

**الفررس العام**  
للسنة الخامسة (سنة ١٣٥٣) هـ من مجلة نور الاسلام

**المقالات**

صفحة	بـقـلم	الموضوع
		(١)
٢٦٧	قلم الترجمة	الآداب والعلوم والفنون في ظل الاسلام
٤٩٦	حضرة الأستاذ مدير المجلة	أبو عبيدة بن الجراح : سيرته ... ..
٢٣١	» » »	أثر العبادة في حياة المسلمين الاجتماعية ...
٤٨٩	» » »	إثبات وجود الروح ... ..
٤١٤	» » »	الأخلاق ... ..
٣٢٩	» » »	الاسترقاق عند الامم وفي الاسلام ... ..
١٢٩	» » »	الأسرة ... ..
٥٩٣	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	الاسراء والمعراج ... ..
٦٤	» » عبد ربه مفتاح	الاسلام والعقل ... ..
٢٠٤٠ ١٣٧	قلم الترجمة	الاسلام في بلاد الغرب ... ..
٣١١	حضرة الأستاذ مدير المجلة	الاسلام يبحث على العمل ... ..
١٩١	» » »	أصول علم الاجتماع ... ..
١٢٥	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد ابراهيم الفحيل	الانتحار ... ..
٤٢	حضرة الأستاذ مدير المجلة	إيمان العلماء ... ..

الموضوع	قلم	صفحة
(ب)		
بدائع الطبيعة	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٧١٢، ٢٤٦
بدائع العالم غير المنظور	» » »	٤٧٤
بدع الذكر	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٣٧٥
البهائية : نظرة في ديانتها	حضرة الأستاذ مدير المجلة	١١١
بيان بعض آيات الله في مخلوقاته	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	١٧٣، ٩٥
(ت)		
تأملات في إثبات الصانع	فضيلة الأستاذ الشيخ سيد رجب	٢٧٧
تعليم القرآن	» » يوسف الدجوى	٥٤٣
تفسير سورة الحجرات	» » ابراهيم الجبالى	٧٨٦٨ ٢٢٠٦، ١٦٢ ٣٦٦، ٢٩٣
تفسير « إن الله يامر بالعدل والاحسان »	» » »	٥٠٨، ٤٣٨ ٦٥٢، ٥٨٠
تفسير « إن في السموات والأرض لايات للمؤمنين »	» » يوسف الدجوى	١٧٣، ٩٥
التقليد : جوازه والرد على من يحرمه	» » »	٦٦٩
تنزيه الله عن المكان والجهة	» » »	٥١٩
(ح)		
حالة الأولاد لدى المنوحشين والمتمدنين	حضرة الأستاذ مدير المجلة	١٩٦
الحث على العمل وقوة العزيمة	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	٤٦٦
الحج	» » »	٧٠٤
الحياة الدينية والحياة المدنية	حضرة الأستاذ مدير المجلة	١٠١

المرسوع	بقلم	سلةة
(خ)		
الحس الخصال المؤدية الى السكال	... ..	٣٥٦
(د)		
دائرة المعارف الاسلاميه ... .. والخلط في التاريخ والحقائق العامية ...	فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفه	٥٥٦
دائرة المعارف الاسلاميه ... .. رأيها في أبي هريرة — ودحضه ... .. دحض مفتریات المستشرقين ... .. في سيرة أبي بكر الصديق ... ..	» » » حضرة الأستاذ مدير المجلة	٦٣٩ ٢٠٨
الدعاء : السر في عدم استجابته ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٤٥٨
(ذ)		
ذكاء الحيوانات ... ..	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٢٦٣
ذكري مولد النبي صلى الله عليه وسلم ... .. ذكري الهجرة النبوية ( قصيدة ) ... ..	» » » فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الفتاح بدوى	١٤٣ ٥٥
(ر)		
الرفق بالحيوان ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	٢٥٢
(س)		
سعد بن أبى وقاص : سيرته ... ..	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٥٤٦

صفحة	بسم	للموضوع
		(ش)
٢٥٩	حضرة الأستاذ مدير المجلة	شهادة عالم أجنبي للإسلام ... ..
		(ص)
٢٥٤	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي	الصوم ... ..
٢٢٢	حضرة الأستاذ مدير المجلة	الصيام في الاسلام : حكمته ... ..
		(ض)
٣٢٤	قلم الترجمة	الضمير ... ..
		(ط)
٣١٦	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي	الطاعات تفرج الكربات ... ..
		(ع)
١٩	حضرة الأستاذ مدير المجلة	مهر القاروق رضى الله عنه ... ..
٢١٢	» » »	صبرو بن العاص رضى الله عنه ... ..
٤٠٤	» » »	المناية بالصحة في الاسلام ... ..
٤٢٧	... ..	عيون الحكم ... ..
		(ف)
١	حضرة الأستاذ مدير المجلة	فاتحة السنة الخامسة ... ..
٣٨٠	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي	قوضى الآخلاق وأزمة الزواج ... ..
		(ق)
٢٦٤	حضرة الأستاذ مدير المجلة	القاديانية في الهند ... ..



الموضوع	بقلم	صفحة
فتية بن مسلم : سيرته ... ..	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٦٨٠
قصة يوسف عليه السلام ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٣٠٣
قيمة العلم فى الاسلام ... ..	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٢٨١
(ك)		
كرية الأرض والأزهر ... ..	حضرة الأستاذ محمد الحسينى رفا افندى	٢٧٢
كرية الأرض ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى	٤١١
« كلحكم راع » شرح الحديث ... ..	» » »	١٧٩
الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة ... ..	» » »	٥٣٩
كلمات فى العلم الاجتماعى ... ..	حضرة الأستاذ مدير المجلة	١٢٩
كلمات عن بذائع العالم غير المنظور ... ..	» » »	٤٧٤
كلمات فى الأدب والحكمة ... ..	... ..	٦٨
كلية أصول الدين - خطبة الافتتاح ... ..	فضيلة شيخ الكلية الشيخ عبد المجيد اللبانى	٤٨٥
كيف تخلص العلم من النظريات المادية ... ..	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٦٨٨
(م)		
ماثر العرب فى علم التاريخ ... ..	قلم الترجمة	٤٢٠
ماثر العرب فى علم الجغرافيا ... ..	»	٥٦٧
ما يقوم المذنبات وما يفسدها ... ..	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٤٥٢
الماديون وأصول الأخلاق ... ..	» » »	٨٩
المبررات العلمية لمبدأ تعدد الزوجات فى الاسلام	» » »	٥٢٨
مهمة الدين الاسلامى فى العالم		
نقشه المبادئ الانسانية ... ..	حضرة الأستاذ مدير المجلة	١

الوضوع	بقلم	صفحة
مهمة الدين الاسلامى فى العالم دعوته لمحور آثار الجاهلية ... ..	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٧١
مهمة الدين الاسلامى فى العالم دعوته الى تجريد العمل لله ... ..	» » »	١٥٦
مهمة الدين الاسلامى فى العالم دعوته لتطهير القلوب ... ..	» » »	٢١٥
مهمة الدين الاسلامى فى العالم دعوته لتأسيس دولة الحق فى الأرض ...	» » »	٢٨٧
مهمة الدين الاسلامى فى العالم دعوته الكافة الى النظر والتفكير ... ..	» » »	٣٥٩
مهمة الدين الاسلامى فى العالم دعوته الى الأخذ بالأحسن من كل شىء	» » »	٤٣١
مهمة الدين الاسلامى فى العالم دعوته الى قرن العلم بالعمل ... ..	» » »	٥٠٣
مهمة الدين الاسلامى فى العالم التوفيق بين مطالب الروح ومطالب العقل	» » »	٥٧٥
مهمة الدين الاسلامى فى العالم دعوته الى الصراط المستقيم ... ..	» » »	٦٤٧
( ن )		
نظرة فى عالم النباتات ... ..	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٣٤٩
( هـ )		
الهجرة النبوية ... ..	حضرة الأستاذ مدير المجلة	٤٧

## الفتاوى

الوضوح	بقلم	صفحة
(١)		
الأذان والاقامة لقضاء النواات	فضيلتي الاستاذين { الشيخ حسين البيومي » عبد السلام العسكري	٣٩٦
الاسبرتو ... ..	» { الشيخ الحسيني سلطان » يوسف المرصفي	٦٣٣
الاسبرتو مسكر ... ..	» حضرة الفاضل الدكتور أحمد شفيق حماده	٧٠٠
الاسبرتو مسكر ... ..	» الامتاذ محمد حنظلي	٧٠١
الاستخارة بالسبحة ... ..	فضيلتي الاستاذين { الشيخ يوسف المرصفي » الحسيني سلطان	٣٤١
الاسهم في الشركات التجارية : ربحها	» » »	١٨٦
إغلاق المحال التجارية يوم الأحد	» » »	٦٩٣
اقتصاص ولي المقنول ... ..	» » »	٦٣٥
الامانة : معناها ... ..	» » »	٣٤١
الامانة : حكمها ... ..	» { الشيخ حسين البيومي » عبد السلام العسكري	٤٠٠
الأموال المودعة في المصارف : فوائدها	» { الشيخ يوسف المرصفي » الحسيني سلطان	١٨٦
أوراق اليانصيب : حكم ربحها ...	» » »	١٨٦
أيمان المسلمين : حكم الخلف به ...	» فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي	٢٤٢
الايمان غير المعتبرة ... ..	» » »	٣٩٥
الأيمان : بعض الخيل ... ..	فضيلتي الاستاذين { الشيخ يوسف المرصفي » الحسيني سلطان	٣٣٩

الموضوع	بـ	صفحة
(ب)		
بيع المقار المهمة ... ..	فضيلتي الاستاذين { الشيخ يوسف المرصفي الحسيني سلطان } ... ..	٣٣٩
البيع تقدا وبأجل ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي ... ..	٢٤١
البيع بالزيادة الفاحشة ... ..	» » » ... ..	٤٤٤
« لا يبيع حاضر لباد » ... ..	» » » ... ..	٣٩٠
البيع : بعض صورته المحرمة ... ..	فضيلتي الاستاذين { الشيخ محمد عبدالفتاح العناني محمد يوسف البريري } ... ..	٣٩
بيع الصكوك ... ..	فضيلتي الاستاذين { الشيخ يوسف المرصفي الحسيني سلطان } ... ..	٣٣٨
(ت)		
التبليغ وراء الامام ... ..	فضيلتي الاستاذين { الشيخ يوسف المرصفي الحسيني سلطان } ... ..	٣٤٠
التبليغ : حكم تعاطيه ... ..	» » » ... ..	٤٨٠
تمسيع البهائم ... ..	» » » ... ..	٣٣٩
التعزية : أحكام ... ..	» » » ... ..	١٨٦
التطلع لرينة الدنيا : تفسير آية ... .. « ولا تمدن عينيك » ... ..	فضيلتي الاستاذين { الشيخ محمد عبدالفتاح العناني محمد يوسف البريري } ... ..	٣١
(ج)		
الجمع بين البنات وامرأة أبيها في عصمة ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي ... ..	٦٠
الجمعة : صلاتها في مساجد القرى المتقاربة ... ..	فضيلتي الاستاذين { الشيخ محمد عبدالفتاح العناني محمد يوسف البريري } ... ..	٣٩

الموضوع	بقلم	صفحة
الجمعة : صلاتها في العزب ... ..	فضيلتي الأستاذين { الشيخ يوسف المرصفي الحسيني سلطان »	١٨٩
الجمعة : صلاتها لغير المستوطنين ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي	٢٣٨
الجمعة : صلاتها في العزبة ... ..	فضيلتي الأستاذين { الشيخ يوسف المرصفي الحسيني سلطان »	٣٤٠
الجمعة : العدد الذي تنعقد به ... ..	» » »	٣٤١
الجمعة : فضل صلاتها ... ..	فضيلتي الأستاذين { الشيخ حسين البيومي عبدالسلام العسكري »	٣٩٦
الجمعة : الصمت في تشييعها ... ..	فضيلتي الأستاذين { الشيخ يوسف المرصفي الحسيني سلطان »	١٠٥
(ح)		
الحسد ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي	٦١
الحصير المنتجس ... ..	فضيلتي الأستاذين { الشيخ يوسف المرصفي الحسيني سلطان »	٤٨٠
الحرام : حكم الحلف به ... ..	» » »	١٨٨
(خ)		
خروج النساء من البيوت ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوي	٢٣٥
(ذ)		
الذبح : أحكام فيه ... ..	فضيلتي الأستاذين { الشيخ يوسف المرصفي الحسيني سلطان »	٣٤١
الذبح : شرط فيه ... ..	» » »	٦٣٤
الذبح : رد شبهة ... ..	» » »	٦٩٦
ذوو الأرحام : تورثهم ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي	٣٤٦

المرصع	المرصع	المرصع
		(ر)
٣٥	المرصع {المرصع محمد عبد الفناح العناوى المرصع محمد يوسف البروى	المرصع : أحكام فى الارضاع ... ..
٣٩٣	المرصع فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	المرصع ... ..
٦٣٣	المرصع {المرصع الشيخ يوسف المرصع المرصع الحسينى سلطان	المرصع ... ..
٣٥	المرصع » » »	المرصع ... ..
		(ز)
٣٣٩	المرصع {المرصع الشيخ يوسف المرصع المرصع الحسينى سلطان	المرصع : حكم إتلافه ... ..
١٠٩	المرصع » » »	المرصع زكاة الزرع ... ..
١٨٦	المرصع » » »	المرصع الزكاة : اعتبار الدين منها ... ..
٤٨٠	المرصع » » »	المرصع زكاة الاوراق المالية ... ..
٤٨٢	المرصع » » »	المرصع زكاة المطر ... ..
٦٣٧	المرصع » » »	المرصع زكاة التجارة : أحكام ... ..
٢٤٠	المرصع فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	المرصع زكاة النقدين والحب : متى تجب ... ..
٣٩٤	المرصع » » »	المرصع الزنى ... ..
٤٠٠	المرصع {المرصع عبد السلام العسكرى المرصع حسين البيومى	المرصع الزنى ... ..
٦٩٤	المرصع {المرصع الشيخ يوسف المرصع المرصع الحسينى سلطان	المرصع الزهرى : هل يفسخ به النكاح ... ..
٣٩٨	المرصع » » »	المرصع الزواج والحج ... ..

الوضوع	بـقـلـم	مـقـعـة
(س)		
سؤال لمروودة بأى ذنب قنات	فضيلتى الاستاذين { الشيخ عبدالسلام العسكري » حسين البيومى	٣٩٦
سجود التلاوة ... ..	» » »	٣٩٦
السماد والبذور : معاملة الحكومة	فضيلتى الاستاذين { الشيخ يوسف المرصنى » الحسينى سلطان	٣٠
(ش)		
شهادة الزور .. ...	فضيلتى الاستاذين { الشيخ يوسف المرصنى » الحسينى سلطان	٣٣٦
(ص)		
الصايون المتداول ... ..	فضيلتى الاستاذين { الشيخ عبدالسلام العسكري » حسين البيومى	١٠٧
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد المغرب ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	٣٩٢
الصلاة خلف المخالف ... ..	» » »	٣٩٥
صلاة الوتر ... ..	فضيلتى الاستاذين { الشيخ يوسف المرصنى » الحسينى سلطان	٤٨٠
(ط)		
الطلاق المعلق ... ..	فضيلتى الاستاذين { الشيخ عبدالسلام العسكري » حسين البيومى	٤٨٣
(ظ)		
الظهار ... ..	فضيلتى الاستاذين { الشيخ عبدالسلام العسكري » حسين البيومى	٤٠٠

الموضوع	بالم	صفحة
(ع)		
المعتقد الدينية : ما يجب على العوام منها	فضيلتي الاستاذين { الشيخ يوسف المرصفي » الحسيني سلطان	٦٣٥
(ف)		
المسيح : حكم أكله ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي	٢٤٣
(ق)		
قبور النصارى : حكم مجاورتها ...	فضيلتي الاستاذين { الشيخ يوسف المرصفي » الحسيني سلطان	٦٩٢
القرآن : أحكام في قراءته ... ..	فضيلتي الاستاذين { الشيخ محمد يوسف البروي » محمد عبد المتاح العناني	٣١
القرض : أحكام في الاقراض ... ..	فضيلتي الاستاذين { الشيخ يوسف المرصفي » الحسيني سلطان	٦٣٥
قضاء الفائنة ... ..	» » »	٤٨٠
(ك)		
الكراء ... ..	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوي	٤٠٢
الكلب : أحكام تتعلق به ... ..	فضيلتي الاستاذين { الشيخ يوسف المرصفي » الحسيني سلطان	٣٤١
(م)		
المآذن والمقامات : هل التبرع لبنائها من صمارة المساجد ... ..	فضيلتي الاستاذين { الشيخ يوسف المرصفي » الحسيني سلطان	٣٣٩
صميم عليها السلام : طهارتها ... ..	فضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم الجباني	٦٣٥
المزارة : زكاة الحب المشترك ... ..	فضيلتي الاستاذين { الشيخ يوسف المرصفي » الحسيني سلطان	٣٥



صفحة	بسم	للموضوع
٣٤٣	الشيخ يوسف المرصفي فضيلتي الاستاذين } « الحسيني سلطان	المزارعة : اعتراض ورده ... ..
١٩٥	» » »	مسجد القرية المنفصل ... ..
٣٤٤	» » »	مسجد القرية المنفصل : اعتراض ودفعه
٢٣٩	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	المسجد : حكم توسعته من المقبرة ...
٣١	الشيخ محمد يوسف البروى فضيلتي الاستاذين } « محمد عبد الفتاح العناني	المصحف : حمله للتبرك ... ..
٦٣٢	فضيلة الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي	المعذور بالفطر في رمضان ... ..
٣٣٩	الشيخ يوسف المرصفي فضيلتي الاستاذين } « الحسيني سلطان	من مات له ثلاثة أولاد ... ..
( ن )		
٤٨٥	الشيخ يوسف المرصفي فضيلتي الاستاذين } « الحسيني سلطان	النجاسة : حكم إزالتها ... ..
٣٩٤	فضيلة الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى	النشوق في رمضان ... ..
( هـ )		
٢٥٢	فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عرفه	هبة بنات القبائل والأخوات وهبة الحرم
( و )		
٩١٦	الشيخ يوسف المرصفي فضيلتي الاستاذين } « الحسيني سلطان	وقت العشاء ... ..

## الخطأ والصواب

من	من	خطأ	صواب	من	من	خطأ	صواب
١٥	١١	وإِخْجَاد	وإِجْهَاد	١٥	١١	وإِخْجَاد	وإِجْهَاد
١٠٠	٥	بِأَلْفٍ وَأَرْبَعِيَّةٍ	بِأَلْفٍ وَأَرْبَعِيَّةٍ	١٠٠	٥	بِأَلْفٍ وَأَرْبَعِيَّةٍ	بِأَلْفٍ وَأَرْبَعِيَّةٍ
١١٤	١٦	الْمَشْهُورُ عَلَى أَنْ	الْمَشْهُورُ أَنْ	١١٤	١٦	الْمَشْهُورُ عَلَى أَنْ	الْمَشْهُورُ أَنْ
١١٩	٥	وَمَاذَا	فَمَاذَا	١١٩	٥	وَمَاذَا	فَمَاذَا
١٣١	١٩	إِذَا كَانَ	إِذَا كَانَ	١٣١	١٩	إِذَا كَانَ	إِذَا كَانَ
١٥٢	١٣	وَتَوَاصَوْا	وَتَوَاصَوْا	١٥٢	١٣	وَتَوَاصَوْا	وَتَوَاصَوْا
١٧١	٩	فِي الْقَلْبِ	فِي الْقَلْبِ	١٧١	٩	فِي الْقَلْبِ	فِي الْقَلْبِ
١٧٣	١٣	وَيَخْرُجُ الْمَيِّتُ	وَيَخْرُجُ الْمَيِّتُ	١٧٣	١٣	وَيَخْرُجُ الْمَيِّتُ	وَيَخْرُجُ الْمَيِّتُ
١٧٧	٢	مُؤَلَّوْفَةٌ	مَأْلُوفَةٌ	١٧٧	٢	مُؤَلَّوْفَةٌ	مَأْلُوفَةٌ
١٨١	١٦	الَّذِي تَضُمُّهُ	الَّذِينَ تَضُمُّهُ	١٨١	١٦	الَّذِي تَضُمُّهُ	الَّذِينَ تَضُمُّهُ
٢٥٤	٢	إِنَّ اللَّهَ لَا يَضْمَعُ	إِنَّا لَا نَضْمَعُ	٢٥٤	٢	إِنَّ اللَّهَ لَا يَضْمَعُ	إِنَّا لَا نَضْمَعُ
٢٦١	١٣	ذِي الْقَرِيحَةِ	ذَا الْقَرِيحَةِ	٢٦١	١٣	ذِي الْقَرِيحَةِ	ذَا الْقَرِيحَةِ
٢٨٩	١٠	وَمَاذَا	فَمَاذَا	٢٨٩	١٠	وَمَاذَا	فَمَاذَا
٣٠٥	٧	رَأَوْا آيَاتِ	رَأَوْا آيَاتِ	٣٠٥	٧	رَأَوْا آيَاتِ	رَأَوْا آيَاتِ
٣٦٢	١٠	وَحِثَّا قِيْلَ مَاذَا	وَحِثَّا قِيْلَ مَاذَا	٣٦٢	١٠	وَحِثَّا قِيْلَ مَاذَا	وَحِثَّا قِيْلَ مَاذَا
٤٠٦	٢٠	مَا أَنْزَلَ رَبِّكُمْ	مَا أَنْزَلَ رَبِّكُمْ	٤٠٦	٢٠	مَا أَنْزَلَ رَبِّكُمْ	مَا أَنْزَلَ رَبِّكُمْ
٤٢٤	٣	وَاسْتَقَرَّ	وَتَوَقَّى	٤٢٤	٣	وَاسْتَقَرَّ	وَتَوَقَّى

من	من	خطأ	صواب
٤٧٩	١٣	كَلِمَاتٍ	كَلِمَاتٍ
٤٨٤	١٣	وَهَذَا مَوْصُولٌ بِهِ	وَهَذَا غَيْرُ مَوْصُولٍ بِهِ
٦٥٤	١٣	مُسْتَعِيدٌ	مُسْتَعِيدٌ
٣٨	١٧	فَاتَهُمْ	فَاتَهُمْ
٤٢	٢١	يَرْفَعُ اللَّهُ	يَرْفَعُ اللَّهُ
٤٤	١٣	لِلنَّاسِ	لِلنَّاسِ
٤٤	٢٧	مِنَ السَّمَاءِ	مِنَ السَّمَاءِ
٥٦	٢٥	فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ	فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ
٦٩	١	لِلنَّاسِ	لِلنَّاسِ
٧٠	١٠	الدَّارِ	الدَّارِ
٧٠	١٠	عُلُوًّا	عُلُوًّا
٧١	١١	لِلنَّاسِ	لِلنَّاسِ
٧٢	١٦	وَأَبْشَرُوا	وَأَبْشَرُوا
٧٨	١	وَلَا بَنُونَ	وَلَا بَنُونَ
٩٣	٢	غُلْبًا	غُلْبًا





# بفكر الاسلام

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية علمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

تظهر مرة كل شهر عربي

المجلد الخامس

المحرم سنة ١٣٥٣

الجزء الأول

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فريد وهدي

الاشتراك	الإدارة
داخل القطر المصري ... .. ٣٠	شارع محمد مظلوم باشا رقم ١
خارج القطر المصري ... .. ٤٠	تليفون : ٨٤٣٣٢
للعلماء وغير المدرسين وأئمة المساجد	الرسائل تكون باسم مدير المجلة
والمأذنين ومعلمي المدارس	
الأولية والطلاب ومصالح الحكومة	
ومجالس التدريس ... .. ٢٠	
للطلاب وأئمة المساجد ... .. ٣٠	
خارج القطر	

نحو الجزء الواحد ٣ صاع داخل القطر و ٤ خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الإسلامية

١٩٣٤ - ١٣٥٣ م



## فاتحة السنة الخامسة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمت بفضل الله وقوته السنة الرابعة لهذه المجلة ، ودخلت بصدور هذا العدد في سنتها الخامسة . فنحن في هذه المناسبة لا نتمدح بجهود بذلناها ، ولا بقوى أنفقناها في سبيل توفيتها حقها من البحوث الجديرة باسمها ، المناسبة لمكانتها ، فإن كل جهد بذلناه ، وكل وقت أنفقناه في هذه السبيل لا نعتبره إلا دون الواجب على من يتحمل تبعه هذه المجلة ، لأنها لسان أكبر وأقدم جامعة إسلامية لها الزعامة الأدبية على مثيلاتها في العالم كله .

فالشعور بهذه التبعة العليا يحفزنا للاضطلاع بأعبائها على أكل ما نستطيع ، وأبعد ما تبلغه جهودنا ، ونحن واثقون أن ما نعمله أول واجب ، لا قدس قضية .

فإذا كنا اليوم نستقبل عاما جديدا في عالم الجهاد العلمي ، فقد أعدنا له كل قوى عقولنا وقلوبنا ، وجملة مدارك علومنا ومعارفنا ، راجين الله أن يسد خطواتنا في أداء واجباتنا ، وأن يمدنا بروح منه في بلوغ رغباتنا .

ولا يفوتنا في هذا المقام أن ننوه بمحيي النهضة المصرية من جميع نواحيها ، وباعث روح الثقافة والرق في الأمة وهو حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك « فؤاد الاول » فقد اختص النهضة العلمية الدينية العليا بعناية بها وطوائفها ، وأرسى قواعدنا ،

وبث فيها مقوماتها ، فأثجرت ثمراتها ، مما يرى ويلبس اليوم ، وسبكون له في المستقبل  
القريب الأثر الضخم المقدر له .

فأله نسال أن يمد في عمر مولانا الملك حتى يرى بعينه ثمرات عنايته الملكية ،  
بهذه الناحية الدينية ، وأن يقر عينيه بحضرة صاحب السمو الملكي أمير الصعيد ولي عهد  
الملكة المصرية ، إنه سميع مجيب

محمد فريد وهدى





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مهمة الدين الاسلامي في العالم

— ٧ —

نشره المبادئ الانسانية

علم الله أن الناس وإن اتفقوا في الفطرة، وفي بدايات العقل، فإن العوامل  
المفسدة من التربية الضالة، وتأثير الوراثة، وسلطان التقليد، والجهل والعصبية، تمتع  
كثيرا منهم من الخضوع لأصول واحدة من الدين الحق، فتبقى أُمم برمتها على أديان  
متخالفة، ونحل متباينة. وعلم سبحانه وتعالى أن الأمة الإسلامية ستضطر إلى مجاورتهم  
ومعاملتهم، والسيادة على كثير منهم. فاقنضت حكمته أن يجعل لهذه الحالة من الحياة  
الاجتماعية أصولا يأخذ بها المسلمون حيالهم، فوضع لذلك أصلا عاما فقال تعالى :  
(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ  
أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) . أى لا ينهاكم الله أن تعاملوا  
بالحسنى الأجانب عن دينكم، الذين لم يقاتلوكم بقصد إخراجكم من دينكم، وإجلائكم  
عن دياركم، وأن تعدلوا في معاملتهم، إن الله يحب العادلين .

هذا أصل لم تهده البشرية قبل الإسلام، فقد كان أهل كل دين يعتبرون  
الخارج عنه عدوا مهدور الدم، فكانوا إذا وقع في أيديهم استعبدوه أو قتلوه . وقد  
ظلت الأمة الرومانية، وهى التى خلفها السامون فى الملك، طوال عهد سلاطينها لا تسمح  
لأجنبي أن يدخل بلادها ولو متجرا، إلا إن حصل على ترخيص رسمى، أو كان تحت  
حماية رجل من كبارهم .

فلما جاء الإسلام تغيرت الحال فجأة، وأصبح للأجانب عنه الحماية والرعاية اللتان لكل فرد من المسلمين، فكان يتنقل سائحهم وتاجرهم في البلاد آمناً على نفسه وماله، واعتُبر ذلك من أكبر الأسباب في دخول عشرات الملايين من الأجانب في الإسلام بدون دعوة غير ما يرونه من مبادئ الإنسانية الحقة في ظل الدولة الإسلامية.

أظهر مجال تتجلى فيه المبادئ الفاضلة لأهل ديانة من الديانات هو مجال الدعوة إليه، فإن الغيرة والحلمة وحب الإقناع وعزة السيادة تتعاون كلها في الحصول على أنصار جدد للديانة الجديدة، فإن لم يكن لأصحاب تلك الديانة منطق ديني انحدرت كل هذه الصفات إلى طرفها الأقصى، فاستحالت إلى وحشية لا تعرف إشفاء غليلها حداً. على هذا النحو سار جميع دعاة الملل السابقة حتى التي حرّم عليها دينها حمل السلاح والدفاع عن النفس. فكان دعاؤها يصحبون الجيوش الفاتحة، فإذا أتم الجنود عملهم الحربى تولوا هم إدخال المهزومين إلى ملتهم، فإن أبوا أشاروا على تلك الجنود بإعمال السيف فيهم، حتى قتلوا بهذه الطريقة ملايين من الأمم، بل وأفنوا شعوباً برمتها. وفي تاريخ أمريكا معتبر.

ولكن الإسلام الذي كتب له أن يرث الأديان كافة وضع الدعوة إليه منطقاً دينياً تجلت فيه مبادئه الإنسانية تجلياً كان أثره في نشره وتحبيب الأمم فيه فائقاً كل أثر أثمره العسف والإغفال في الوحشية من دعاة الملل السابقة.

فأول أساس وضعه في هذا الصدد، قوله تعالى: (أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) فأمر أن تكون الدعوة بالحكمة، وهي العدل والعلم والحلم، وكل كلام سديد موافق للحق، فإن لم تكن الحكمة، وتقمص المدعو روح العناد والجور، وعومل بالموعظة الحسننة، لأن حاله يكون أدعى إليها في ذلك الوقت، فإن لم تجده

الموعظة الحسنة ، فبالجدل وقرع الحجة بالحجة ، ولكن بالطريقة التي هي أحسن الطرق في المحافظة على آداب البحث ومراعاة كرامة الخصم .

قد يعجب بعض الناظرين في هذه الآية من وجوب مراعاة كل هذه الآداب العالية حيال مدعويين ليسوا من دينهم على شيء من العقول ، ولا من سيرتهم على ما يوجب لهم من الكرامة أقل حق ، ولكنهم لو تأملوا في أن الاسلام يدعو الى التحلي بأكل الصفات في كل الحالات ، وجميع المواطنين ، حتى في الحرب ، لا دركوا أن ظهورهم بهذه الصفات أوجب في موطن الدعوة الى دينهم من كل موطن آخر ، ليكون حالهم صورة حية لما يدعون اليه ، وإلا ذهب جهدهم سدى . ألم تر الى الذين يستخدمون في دعوتهم الأمور الشائنة : من اختطاف القاصرين ، وإغراء المرضى والمحتاجين ، والتحايل على الجاهلين والغافلين ، كيف تؤثر سيرتهم هذه على دعوتهم ، فلا تشرهم غير الخيبة على كثرة ما ينفقون في سبيلها من الجهود والأموال ، مصداقا لقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ) وقد شفع الاسلام أساس الدعوة بأصول من صميم العلم الاجتماعي والنفساني تجعل سلوك جادة الحكمة فيها أمرا محتما ، حرصا على أهله أن تستحيل فيهم الصفات المحمودة : من الغيرة ، والحماسة ، ومحبة الإقناع ، الى دعوات نفسية ليست من الاسلام في شيء ، بله كونها عوامل للخيبة ، ودواعي للنفور والملاجة .

من تلك الأصول العلمية ما كشفه تعالى لأنصار ملته من أن اختلاف الناس في مذاهبهم هو مقتضى اختلافهم في مدارك عقولهم ، وأن الله لو شاء أن يجعلهم أمة واحدة من طريق الخلقة لفعل ، فقال تعالى : (وَأَوْشَاءَ رَبُّكَ يَجْعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يألم كثيرا مما يرى عليه الناس من الجود على

تقاليدهم ، والمقام على مودوثاتهم ، وتشددهم في مطالبته بآية تظل أعناقهم لها خاضعين ، وقد علم الله أن ذلك كان منهم معاندة للحق ، لا طلبا للدليل ، فأُتِلَ الله على رسوله قوله : ( فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونُ مِنْ الْجَاهِلِينَ ) وقوله : ( لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ) وقوله : ( أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ؟ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ) وقوله : ( فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ) .

حاط الله الدعوة الإسلامية بهذه لأصول العالية من العلم ، حتى لا تنقص غيرة الدعاة روحا من الإكراه والخاشنة نجردهم من الصفات الكريمة التي أمر كل مسلم أن يتحلى بها ، ويأخذ نفسه بأدبها ، ليقوم على حد وسط بين الطرفين ، فلا التقصير المعيب في نشر الحقيقة ، ولا التطرف الشائن في التحمس لها ، والله بعد ذلك يفعل ما يريد .

فهل عهدت فيما اطاعت من تاريخ الدعوة الى الأديان سييلا أعدل من هذا السبيل ، ومراعاة لمبادئ الإنسانية أدق من هذه المراجعة ؟

لقد طالب الإسلام أهله بمراعاة مبادئ الإنسانية حتى في مواطن الحرب ، فأمر أهله إذا دفعتهم الضرورة لخوض غمراتها ، أن يعلنوا عدوهم بها ، فإذا حى الوطيس أوجب عليهم أن لا يسرفوا في القتل تشفيا من العدو ، وأن لا يجهزوا على جريح ، ولا أن يقتلوا من يستسلم ، ولو علموا أنه يحتال بذلك على نجاته من القتل ، ولا أن يقتلوا الخدم الذين يكونون مع الجيوش ولا يباشرون القتال ، فإذا أمكنهم الله من عدوهم فليس لهم أن يتبعوا مهزوما ، وإذا أسروا عددا من عدوهم أوجب عليهم الاسلام أن يحسنوا مشواهم ، وأن يعطفوا عليهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : « أوصيكم بالأسرى خيرا » فكان الرجل من المسلمين إذا لم يجد خبرا يكفيه ويكفى أسرا اكتفى هو بالتمر وآثرهم على نفسه بالخبر .

فإذا دخوا بلاد العدو حرّم عليهم الدين قتل الشيوخ والزمى ، ورجال الدين والنساء والأطفال . ونهاهم عن التمثيل بأعدى أعدائهم ، وعن إحراق مزارعهم ومنازلهم .  
فهل عهد فى تاريخ النوع الإنسانى مثل هذه السيرة الكريمة ، والمبادئ الرحيمة حتى فى المواطن التى يذهل فيها الإنسان عن نفسه وولده ؟

إن أوروبا التى تفخر بعلومها ومدنيتها لم تصل بعد فى حروبها الى هذه المنزلة العالسة من المبادئ . الإنسانية ، فبعد الذى رأيناه من الجورح التى تُزله المتحاربون بالوادعين من الأهلين ، إذ أسفطوا عليهم من الجواء وبلا من النار أحرقتهم إحراقا ، وهدمت دورهم فوق رؤوسهم ، ما زلنا نسمع عن هول الغازات السامة التى يدها للحروب المقبلة أولئك الذين يزعمون أنهم أرقى الناس عقلا ومدنية ، تلك الغازات التى إذا سلطت على المدن والقرى لا تدع فيها نسمة حية من شيوخ ونساء وولدان وحيوانات !

فإذا كان المتمدنون أنفسهم لا يزالون يفتنون فى إزهاق نفوس غير المحاربين الى هذا الحد ، وقد بلغ العلم فيهم الى مدى بعيد ، ووصلت المدنية عندهم الى ما لم تبلغه فى عهد من عهود الإنسانية ، أفلا يكون من أكبر الآيات أن يسبق الإسلام مجموع البشرية الى هذا النظام الحكيم بالإنسانية ، وأن ينجح فى حمل أهله ، وهم قريبون من عهد الجاهلية ، على احترامه والعمل به ، حتى أصبحوا مضرب الأمثال فى الرفق بالبشرية ؟

ولم يكن المسلمون فى عهد السلم بأقل رعاية لمبادئ الإنسانية منهم فى وقت الحرب ، فقد شهد التاريخ ، حتى الذى كتبه الأجانب عن هذا الدين ، بأن المسلمين قد عاشوا مع المخالفين لهم فى الدين على أكمل حال من الصفاء والموودة ، وساووهم بأنفسهم فى حسن الجوار ، وفى التقاضى أمام المحاكم ، وتركوهم وشأنهم فى الاختلاف على معابدهم وقساوستهم ورهايينهم ، وحوا أموالهم وأعراضهم ، حتى حملت هذه المعاملة بعض الأمم

على أن ساموا لهم بلادهم ليحكموها ، مؤثرين إياهم على أبناء ملتهم ، طمعا في العيش في ظلهم آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعرضهم ، ومستنيمين الى عدالة حكومتهم .  
كان المسلمون يراعون ما هو أخص من مبادئ العدل والمساواة مع الأجانب عن دينهم ، وهو التودد اليهم والبر بهم . وقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بوضع أساس هذا العهد الإنساني ، فكان يزورهم في دورهم ، ويعود مرضاهم ، ويحضر ولائهم وما آثمهم . وزاد فأباح مصاهرتهم ، والمصاهرة هي غاية ما يتوقع من روابط الألفة بين الطوائف . وأمر بأن من كانت له امرأة منهم أن لا يكرها على ترك دينها ، وأن لا يسيء اليها من ناحيته ، وأن يدع لها كل الحرية في إقامة شعائره ، وأن لا يمنعها الذهاب الى كنيستها لأداء ما تعتقده واجبا عليها من الصلاة .

وفرق هذا فقد أمر في مجال البر والصدقة أن لا يفرق بين المسلم وغيره ، فقال عليه الصلاة والسلام : « تصدقوا على أهل الأديان كلها » .

وقد راعى أصحابه هذه الأوامر فقاموا بها خير قيام . قال مجاهد : كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلم شاة ، فقال له : يا غلام إذا سلخت فأبدأ بجارنا اليهودي ، حتى قال ذلك مرارا ، فقلت له : كم تقول هذا ؟  
فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه .

وروى أن أحد اليهود شكى عليا الى عمر رضي الله عنهما ، فلما مثل أبو الحسن أمام عمر قال له : اجلس يا أبا الحسن ، فظهر عليه أثر الغضب . فقال له الفاروق : أغضبت يا علي من أجل أن سويت بينك وبين اليهودي ؟ فأجابه حيدرة قائلا : لا ، ولكني غضبت من أنك رفعتني عنه بتكئينتك إياي ولم تكنه .

فهذا وأمثاله في أول عهد أمة كانت جاهلية بالآمس لا يعتبر عظيمًا فحسب ، ولكنه يعتبر عجيبا مدهشا ، آية في العدل والإحسان والمواساة .

إن أعمق فلسفة في الأرض تعجز عن تعليل هذا الانقلاب الفجائي في أخلاق أمة بالأسباب العادية، ولو كان هذا الانقلاب نتيجته رفع مستوى إنسانيتها الى الحد الذي كانت عليه لدى الأمم المتقدمة في ذلك العهد، لا اعتبر عجيبا مدهشا، فما ظنك وقد كانت نتيجته رفع مستواها الى درجة لم تصل اليها أرقى الأمم في هذا العهد، بعد أن بلغ العلم والفلسفة فيها الى المدى الذي وصلا اليه اليوم؟

لا جرم أن هذا الانقلاب الخلقى يجب حسبانته من معجزات الاسلام التي لا تحصى، والتي كلها ارتقى العلم اكتشف العقل من أطوارها عجبا: (سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ) ١

محمد فريد وجرى

## الحلم عند العرب

سئل الأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ فقال: تعلمته من قيس بن عاصم المنقري: حضرته يوما وهو محتب يحدثننا، إذ جاءوا يابن له قتيل وابن عم له كتيف، فقالوا: هذا قتل ابنك هذا! فلم ينقطع عن حديثه، ولا حل حبوته، حتى فرغ من الحديث. فالتفت إليهم وقال: أرعبتم القتي أثم أقبل عليه فقال: يابني. نقصت عددك، وأوهنت ركنك، وفشت في عضدك، وأثمت عدوك، وأسأت الى قومك.

ثم التفت الى قومه وقال: أين ابني فلان؟ فوقف بين يديه، فقال له: يابني! قم الى ابن عمك هذا فأطلقه، وإلى ابن أحيك فادفنه، وإلى أم القتيل فأعطاها مائة ناقة، لأنها غريبة لعلها تساو عنه.

## وصف الأحنف للمبينين

ودخل لأحنف على معاوية ويزيد بين يديه وهو ينظر اليه إعجابا، فقال: يا أبا بحر ما تقول في الولد؟ فعلم ما أراد، فقال: يا أمير المؤمنين! هم حماد ظهورنا، وثمرة قلوبنا، وقررة أعيننا، بهم نصول على أعدائنا، وهم الخلف منا بعدنا، فكان لهم أرضا ذليلة، وسعدا ظليلة، إن سألوك فاعطهم، وإن استعجبوك فاعتبهم، ولا تمنعهم رفدك، فيملوا قربك، ويستنقلوا جنابك، ويتمنوا وفانك. فقال: لله درك يا أبا بحر، هم كما قلت!

# التفسير

## سورة الحجرات

- ١ -

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا يَدَيَّ اللَّهِ وَرُسُولِهِ وَأَتَقُوا  
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ  
وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ.  
إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ  
لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ  
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ. وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ  
غَفُورٌ رَحِيمٌ).

تناسب هذه السورة وسابقتها سورة الفتح من جهة احتواء السابقة على شرح  
واقعة كان فيها المسلمون ينجحون إلى شيء غير ما قبله النبي صلى الله عليه وسلم في صلابة مع  
مشركي مكة، تلك واقعة الحديبية المشار إليها في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ  
عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَرْفِ مَكَّةَ) فقد اشتط المشركون في شروطهم حتى طلبوا  
أن يسح البسمة من الشروط قائلين: لا نعرف «الرحمن الرحيم» وطالبوا أن يكتب  
بدها «باسمك اللهم» على عاداتهم، وأن يمحذف كلمة «رسول الله» قائلين: لو نعم أنك  
رسول الله ما قاتلناك. فقبل الله عليه وسلم منهم ذلك كله وغيره، فتذمر المسلمون،



وكان من الشروط أن يرجع من عامه، فشق على بعض المسلمين وقالوا: أليس قد وعد الله رسوله أن ندخل المسجد الحرام؟ فقال يوبكر: أَوَقال في هذا العام؟ والواقعة مشهورة، والنتائج الحسنة التي ترتبت على هذا الصلح وقبول تلك الشروط معروفة. فجاءت هذه السورة عقب تلك السورة متصلتين بسبب ما ذكر.

وأيضاً فقد ختمت السورة السابقة بالتنويه بشأن النبي صلى الله عليه وسلم وبيان علو درجته عند الله، وبالثناء على المؤمنين بذكر مثابهم في التوراة ومثابهم في الإنجيل. فكان جذيراً أن يعلم هؤلاء الخيرة الأبرار ما يجب عليهم مع صفوة الرسل عليه الصلاة والسلام من التبجيل والاحترام.

وأما سبب نزول هذه الآية، فقد روى فيه المفسرون عدة حوادث لا يبعد أن تكون كلها حصلت ونزلت بعدها الآية، وسبب النزول لا يخصص عموم اللفظ للنزل، وإنما هو يشرح شيئاً من دواعي التشريع، حتى يتبين جمال الحكم ومطابقته لمصلحة المكافين، ويعين على قبوله بالشرح، ويقوى داعية امتثاله. فما ذكره أنها نزلت في صوم يوم الشك. وقد عرفت أن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ومعنى لا تقدموا: لا تفتاتوا في أمر من عند أنفسكم حتى تعلموا حكم الله فيه، فأنه أعلم بمصلحتكم، وما كانت أنظاركم ببداغة من العلم شيئاً مما علمه الله، والله يعلم وأنتم لا تعلمون. وكم من أناس غرتهم بوارق الوهم، فزعموا لا نفسهم كامل الفهم، فافتاتوا على الله ورسوله يؤولون بأهوائهم صريح ما نزل الله ليبروه إلى مزاعمهم، ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن. هؤلاء وأمثالهم يدخلون دخولاً أولياً وأولوا في الخطاب بهذه الآية الكريمة، فإنه إذا كان قد نهى المؤمنون عن التسرع في حكم قبل أن ينزل به الوحي، فما بالك بمن يعمد إلى وحى محكم فيحاول صرفه عن دلالة المتبادرة انسياقاً مع ما يظنه مصلحة محكمة، ولو أنه تجرد عن هوى ملكه حتى

اتبعه ، لعقل من سر التشريع ما يوافق مصلحة البشر العامة كما أرشد إليها العليم الحكيم ، ولكنهم ممن اتخذوا إلهه هواه وأضلّه الله .

وبدء الآية بآيائها الذين آمنوا للتنبيه الى عظم خطر ما يتلقى بعدها ، فإن الأمر العظيم يبدأ الكلام فيه بالتداء ، استرعاء لذهن السامع الى ما سيلقى عليه . واختيار صيغة « الذين آمنوا » لينبه فيهم شعور الايمان الذي يقتضى المسارعة الى امتثال الأمر الملقى إليهم ، وأنه من مقتضى الايمان .

وقوله : « لا تقدموا » معناه لا تبادوا رأياً أو قولاً أو فعلاً في أمر ينتظر أن يقضى الله بأمره فيه . وقرئ : تقدموا بفتح التاء والفتحة بمعنى لا تتقدموا ، أى لا تتقدموا بأمر أو نحوه بين يدي الله ورسوله ، ولا تفتاتوا من عند أنفسكم قبل أن يوحى الله الى نبيه . كأن من بادى بإبداء أمر ، تقدم على منزلته التي يجب عليه أن يلزمها . وفي هذا التمييز إيضاح وجه الأدب الذي يليق بالثؤمن بالنسبة الى الله ورسوله . وقراءة تقدموا بضم التاء قد ترجع الى هذا ، فإن فُتِمَ يأتي بمعنى تقدم ، كقولهم مقدمة الجيش للفتة المقدمة منه . ويجوز أن يكون الفعل متمدياً ، أى لا تفعلوا تقدماً بين يدي الله ورسوله متعلقاً بذلك التقديم بأى أمر كان .

وقوله : « بين يدي الله ورسوله » أصل كلمة « بين يدي » لبيان المكان الذي يكون أمام الشخص محصوراً بين جهتي يمينه وشماله ، ولكنها توسع فيها للتقدم ولو في الأمور المعنوية أو الأمور الزمانية ، كقولك : بين يدي الساعة . وحسن استعمالها في هذا المقام لأنها تساعد على تهجين ما صنعوا بتصويرهم بصورة من يتقدم حساً بين يدي من هو أعظم منه مقاماً ، ففي ذلك خروج عن مقام المتابعة ، وتقدم على من له حق التقديم . والبيان بلفظ الجلالة فيه من تعظيم مقام النبي صلى الله عليه وسلم ومن تقطيع افتياتهم ما لا يخفى ، فقد جعل التقديم بين يدي الله وبين يدي رسوله سواء في الحكم . وحاصل المعنى : لا تفتاتوا على الله قبل أن يوحى الى رسوله وبين لكم .

أولا تفتانوا على رسول الله قبل أن يوحى الله اليه ويبين لكم وفي إرداف ذلك بلا أمر بتقوى الله تربية لداعية الامتثال لما أمروا به ، فقد جعل ذلك من تقوى الله . كما أن قوله : « إن الله سميع عليم » فيه هذا ، أى يسمع ما يبدو منكم ، ويعلم ما يحول فى سرائركم ، فاحشوا عفايه ، واحذروا بطشه .

( يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول ) : شروع فى بيان الأدب الواجب مراعاته فى حال مخاطبته صلى الله عليه وسلم ، فبعد أن بين لهم أنه لا يجوز الافتيات فى حكم ومساوقة بيان الله عز وجل ، أخذ ينههم عن تجاوز حد الأدب فى كيفية القول . وأما الأول فكان نهيا عن نفس القول الذى لا ينبغى . وإعادة النداء بيا أيها الذين آمنوا للإشعار بأن هذا أيضا أمر عظيم فى ذاته ، مستعمل باستدعاء العناية بشأنه . ورفع الصوت معناه الجهر به وإعلاؤه أكثر مما يصل الى سمع المخاطب . وهو يدل على قلة الاحتشام وضعف المهابة ، فإن المنهيب يخشع صوته عادة ، ولا يعلو صوت امرئ على آخر إلا عند قلة احتشامه منه وتهيبه له . ويجوز أن يكون المعنى : لا تجعلوا كلامكم هيثة كلام المترفع المتعالى فى قوله ، كما يقول الشخص لآخر : « أنا قلت لك كذا » « أنا أمرتك بكذا » ونحو ذلك من العبارات التى تنم عن الاستعلاء . وكلاهما منهى عنه فى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإن كان المعنى الأول أظهر . وقوله : « ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض » نهى عن مساوئته عليه السلام فى رفع الصوت ، أو فى كيفية الخطاب ، بعد النهى عن رفع الصوت على صوته ، أو التعالى عليه ، فهو من باب الترقى فى التأديب .

وقوله : ( أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ) ينهنا الى أن من العادات ما يكون فى أول أمره محتملا وخاليا مما يتوهم فيه من جراءة على المخاطب أو استهانة شأنه اعتمادا على ماله فى النفوس من الاجلال الموجب لليقظة والاحتراس ، ولكنه إذا تكرر حتى صار عادة مألوفا تغفل النفس عما ينبغى له من لاحترام ، وما يحسن معه من الاحتراس ،

ويلحقها التهاون ، فيجره ذلك الى عدم المبالاة ، فان تكرر الشيء يهون ما فيه من قبح ، فان المرء قد يرتكب ما لا ينبغي فيأسف على ما صدر منه ويحترس من عاقبته ، فاذا حصل منه ذلك مرة ثانية خف الأسف والاحتراس ، فاذا ما عاوده مرارا حتى صار عادة مألوفاً زال تدبها الى آثاره وما قد يجره عليه ، فتورط في ارتكاب أمور تلازمه عادة ولم تكن له على بال ، فيكون قوله : « وأنتم لا تشعرون » معناه أنكم اذا لم تصونوا أنفسكم من أول الأمر عن مستقبل الأعمال فستقومون بعد اعتيادها وتمسكها من نفوسكم في شروها التي تدهمكم بحكم الاستخفاف بارتكاب الأمر المعتاد ولو كنتم في أول أمركم محترسين . وقوله : « أن تحبط أعمالكم » في موضع المفعول لأجله ، أى كراهة أن تحبط أعمالكم ، أو حذر أو خشية ، أو نحو ذلك . ومن التحويين من يجعلها على تقدير ( لا ) أى لئلا تحبط أعمالكم . وبعض المفسرين يقول إنه مفعول لفعل محذوف دل عليه لفظ اتقوا الله ، أى اتقوا أن تحبط أعمالكم . والحبوط : البطلان وذهاب الشيء هذرا . وبطلان الأعمال إنما يكون بالكفرات ، وما هنا لا يكون مكفرا إلا اذا اقترن به التهاون بشأن النبي صلى الله عليه وسلم والتعالى عليه أو قصد إيذائه ، وذلك قد يدرك المرء بلا شعور منه اذا عتاد ما يجر الى ذلك ، لأن مهابته تكون قد خفت من نفسه ، فلذلك قيل فيه : احذروا أن تنساقوا الى الوقوع في هذا وأنتم لا تشعرون . وفي هذا تنبيه الى باب عظيم في تربية النفس ، وهو أن التهاون بالأمر الصغير قد يجر الى الوقوع في الكبير ، ولا يحسمه إلا سد الباب وقطع الذرائع . واعتبر ذلك في كثير من أحكام التشريع التي جاءت الشرائع فيها بسد بابها جملة ، مع أنها في نظر العقل قد يحتمل اليسير منها لبعض المصالح ، كالربا وبعض أنواع اليسر ، ومنها عملية (الانصيب) ، فان ذلك باب إذا فتح انزلت فيه النفس من حيث لا تشعر الى ما لم يكن في حسابها ( ومعظم النار من مستصغر الشرر ) .

وهنا نحن أولاء نشهد في المعاملات الربوية التي استهان الناس بالدخول فيها باعتبار

أنها أمر يسير يحتمل — نشهد ما خربت من بيوت ، وما جرت من ويلات ، وما أوقعت فيه من بلايا ومصائب ، كما نشهد من هياج النفوس وتدمير الكثير وديب الحقد يغلى في الصدور حين تسحب ورقات النصيب ، فكم من ذم تخرب ، وكم من أعراض تنتهش . فالحسن ما حسنه الشرع ، والقيح ما قبحه ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

هذا واعلم أنه كما أوجب الله على المؤمنين أن يكونوا في منتهى الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد حلاه الله تعالى وجمله بالرأفة والرحمة بالمؤمنين ، فقال تعالى في صفته عليه الصلاة والسلام : ( أَقْدَ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ) وقال تعالى : ( فَمَا رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ لَئِنْ هُمْ ) وقال تعالى في أمره له وتأديبه إياه : ( وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ) وقال : ( وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ) وذلك لكيلا تكون خدمته وطاعته صلى الله عليه وسلم من خدمة الجبارين المبنية على مجرد الخوف والرهبة ، بل سياجها المحبة واستشعار أن في وجوده نعمة وأى نعمة . وإن أفضل أنواع الاحترام ما كان أكبر دواعيه المحبة واستشعار الفائدة من وجوده واحترام . وهذا ما عليه خاصة المؤمنين الذين ملك الإيمان قلوبهم ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم : ( إِنْ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ) غرض الصوت أو الطرف معناه حفظه ، وأصل معنى الامتحان الاختبار ليعلم حال الشيء ، وهذا المعنى محال في جانب الحق جلا وعلا ، لأنه عليم من الأزل بكل شيء . فالمراد به تمرين النفوس على الشيء حتى يتمكن منها ، لأن شأن الممتحن المختبر أن يجري على من يمتحنه تجربة بعد أخرى ليعلم آخر قوته ، وهذه التجارب تفيده تمرنا وتمكنا . ويجوز أن يكون معنى الامتحان التخليص والتصفية من قولهم : امتحن الذهب بالنار إذا خلصه من الشوائب . وقوله : « لَاتَقْوَى » يتعلق بامتحن ، أى أعد قلوبهم للتقوى

بالتجارب التي أجراها عليها ، فقد أجرى عليهم من لحن والتكاليف ما جعلها خالصة للتقوى .

وهذا البناء من الله تعالى على من اتصف بتلك الصفة ، للترغيب في امتثال النهي السابق ، وضبط النفس عن الاسترسال فيما لا يرضاه الله ، وهو من الأسلوب الحكيم في تربية الأحكام الشرعية في نفوس المؤمنين . ولقد كان ممن ينطبق عليهم هذا الوصف بعد نزول النهي السابق أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فقد كانا لا يكلمانه عليه السلام إلا السراة ، أى كالمناجاة السرية . وكذلك يروى أنه حين نزلت الآية السابقة جلس ثابت بن قيس في بيته وأغلقه عليه وأخذ يبكي ، فافتقده صلى الله عليه وسلم فقال : ما شأن ثابت ؟ قالوا : ما ندري ما شأنه غير أنه أغلق باب داره فهو يبكي ، فأرسل عليه السلام إليه فسأله ما شأنك ؟ قال : يا رسول الله أنزل الله عليك هذه الآية وأنا شديد الصوت فأخشى أن يكون قد حبط عملي ، فقال صلى الله عليه وسلم : لست منهم ، ألا ترضى أن تعيش حميدا ، وتقتل شهيدا ، وتدخل الجنة ؟ فقال : رضيت ولا أرفع صوتي أبدا على صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولقد قتل يوم البعثة في حرب مسيلمة ، فكان شهيدا كما أخبر عليه السلام . وما كان رفع ثابت صوته استهانة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فهو من خير الصحابة إيمانا ، وإنما كان في أذنه صمم ، ومن عادة كثير ممن به صمم أن يرفع صوته ، ولكن خشيته واحتياظه لنفسه وحرصه على سلامة عمله دعاه الى هذا ، كما قالوا : إن الحريص بسوء ظن مولع .

وقد ألحقوا برفع الصوت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعه أمام قبره الشريف ، فإن حرمة عليه السلام ميتا كحرمة حيا . ومثل ذلك رفع الصوت في مجلس الحديث الشريف . وليس يعمد إلحاق مجالس العلم النافع بهذا في منع رفع الصوت الموجب للإيذاء وقطع التفكير حيث كان من العلوم النافعة .

وعلى الجملة فالآية تعطينا أدبا في مخاطبة مع من له منزلة التعظيم ، وأن خطابه

ينبني أن يكون بقدر، وأن الإساءة في كيفية أداء الخطاب لا تنزل عن الإساءة في نفس الخطاب . ولقد يحسب بعض الناس أن رفعهم الصوت في خطاب نظرائهم أو من هم أعلى مقاماً منهم يكسبهم رفعة وعلو قدر، ويكتفون بهذا الصخب عن أن يقولوا حجتهم ويصححوا أفكارهم، وإذا بهم لا يزدادون بهذه الرذيلة إلا حطة ومقتاً. وأسوأ حالاً منهم من يعتمد إلى هجر القول وإغاطة مخاطبه ليكسب منه الحجة بلا وجه حق، زاعمين أنهم بذلك ينتصرون، ولكن لا نلبث الأمور أن تنكشف وقد باءوا بالخزي والذم ولم لا يشعرون. وإنك لتجد في قوله تعالى : « امتحن الله قلوبهم للتقوى » إشارة دقيقة إلى ما ينبني مراعاته والتفطن له في أدب الخطاب ، وأن ليس الأمر كما يبدو للنظر لأول وهلة من زعم غلبة أو إحراز نصره، وإنما هو أدق وأخفى . والعبرة بالجوهر الرزين لا بالصلمة الجوفاء، فهذا هو امتحان النقي من الزائف .

ثم قال تعالى : ( لهم مغفرة وأجر عظيم ) وفيه من الثناء عليهم وإخاد ما صدر منهم ما يرغب في الاقتداء بهم واقتفاء سبيلهم . والمغفرة : ستر الذنب بإزالة أثره من العقوبة . والأجر العظيم : ما يمنحه الله عباده من الثواب المقيم في دار النعيم . قال تعالى : ( يا أيها الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرتم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم ) :

انصاتها بسابقتها ظاهر واضح، فقد أثني في السابقة على من يفض صوته عند رسول الله، وذم في هذه من لا يراعي حقوق الأدب معه عليه السلام .

وسبب نزولها أن قوماً من بني تميم وفدوا على المدينة وجاءوا المسجد وقد أذن للظهر والناس ينتظرون خروجه صلى الله عليه وسلم للصلاة، فلم ينتظروا مع المنتظرين، بل أخذوا بنا دون : يا محمد اخرج لنا يا محمد اخرج لنا، وكان ذلك بصوت جاف، فخرج صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن مدحنا زين وإن شتمنا شين . فقال عليه السلام : بل مدح الله تعالى زين وشتمه شين . فقالوا : إنا جئنا نفاخرك، وذكرنا من مفاخرهم،

فأمر عليه السلام ثابت بن قيس فرد عليهم مفاخرهم فكان أبلغ منهم ، ثم قام شاعرهم ، فأمر عليه السلام حسان بن ثابت فرد عليهم ، فقال قائلهم : إن هذا الرجل لمؤتى له <sup>(١)</sup> خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا ، وكان خطيبهم عطار بن حاجب وشاعرهم الزبرقان بن بدر ، وقد أسلموا بعد ذلك ، وأجازهم عليه السلام بصلات وأحسن جوائزهم ، وكانوا من المؤلفة قلوبهم . ففيهم نزلت هذه الآية . قيل كان جميعهم للتفاخر ، وقيل بل جاءوا يفتنون أسرى لهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ كان أرسل إليهم سرية أسرت منهم ومعنى « وراء » خلف . وقد يطلق بمعنى أمام ، كقوله تعالى : « وكان وراءهم ملك » ومن أهل اللغة من يقول : معنى وراء : ما توارى عنك واختفى ، سواء أكان خلفاً أم أماماً ، فيكون مشتركاً معنويًا بين الخلف والأمام . وأما على الأول فشترك لفظي . والحجرة : اسم المكان المحجور لا يدخل إلا بإذن صاحبه . والنداء من وراء الحجرات يقتضى أن يكون النداء خارجها والنداء داخلها ، كقولك : كلمته من وراء الباب . أما بحذف من فلا يدل على ذلك ، فتقول : ناديت وراء الحجرة أو وراء الباب وكلاهما خارجها . وقوله : « أكثرهم » يعطى أن منهم من لم يكن راضياً ، أو الأكثر معناه الجميع ، كما قد يدل لفظ القليل على العدم في مثل قولهم : فلان قليل الحياء ، يريدون لا حياء عنده . ومعنى « لا يعقلون » أنهم لا يعملون ما يقتضيه العقل ويأبى بالعقلاء ، وليس معناه أنهم لا عقل عندهم أصلاً .

وإن في جفوة الخطاب من الوافد المحتاج لدلالة على حقه وبتعاده عن نيل مقصده الذى له جاء ، فمن كان مجيئه لا فتداء أسراه أولى به أن يكون أدبه خيراً من لفظه ؛ ومن كان إتيانه للمفاخرة من حقه أن يكون فيه من كرم الخلق وحسن الأدب ما تظهر به مزيتة ، وليست جفوة الخطاب فى شيء من هذا ولا من ذاك ، كيف وقد كان النداء بهذه الجفوة ملائماً لوجوده عليه السلام فى حجراته ، وهو مكان يوجب الأدب مراعاة



حرمته واحترام خلوته . وما أحسن ما أدينا أسلوب الكتاب العزيز في قوله تعالى :  
 « أكثرم لا يعقلون » : ولعل المراد كلهم ، وإنما أتى بهذا كأنه على أسلوب الأدب  
 العربي في مثل هذا ، من الاحتياط بنسبة هذا التهجين للأكثر ، مع أنه في الحقيقة  
 صادر عن الكل ، فكان في مراعاة أدب الاحتياط الخطابي ردا عليهم بأدق إشارة ،  
 وتعليمهم كيف يكون أدب الخطاب .

(ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) :

بعد ما نهي عليهم فعلهم ، أرشدهم إلى ما كان ينبغي لهم بطريق الصراحة . وكلمة  
 « حتى » تغاير لفظ « إلى » وإن كانت كلتاها لانتهاى الغاية : بأن حتى تستعمل فيما هو غاية  
 بنفسه وإن لم يجعله جاعل ، وأما إلى فتستعمل في التهاية الطبيعية أو الجعلية ، يقال : سهرت  
 الليلة حتى آخرها أو إلى آخرها ؛ ويقال : سهرت الليلة إلى نصفها ، ولا يقال في الفصيح :  
 حتى نصفها ، فكان اختيار لفظ حتى للإشارة إلى أن خروجه عليه السلام إليهم هو  
 للغاية الطبيعية لصبرهم ، فكان حقهم أن يفهموه بأنفسهم . وضمير كان في قوله :  
 « لكان خيرا لهم » يرجع للصبر ، وهو ظاهر . وقوله : « والله غفور رحيم » تلتطف  
 بعد الإرشاد ، حتى يجعل له الطريق مفتوحا للإجابة ، فقد بلغت الهداية مبلغها . ولقد  
 أساموا وقال صلى الله عليه وسلم للأقرع بن حابس حين قال له أشهد أن لا إله إلا الله  
 وأنتك رسول الله : لن يضرك ما كان قبل هذا .

وإن من تمام الحكمة في الهداية أن يردف الترهيب بالترغيب ، وأن يكون التلطف  
 في الآخر بعد ملء قلب المدعو بالرهبة في الأول إذا دعت الحاجة إلى الإرهاب ، وذلك  
 لتكون الإجابة المنشودة سليمة من مطاوعة العنف ، ولايسة ثوب الاختيار والرغبة ،  
 فإنها أخف على نفس المدعو وأشرف لموقفه . ولقد كان يغلب على نفس العرب معنى  
 الإباء فيشق عليهم مطاوعة الإرهاب ، حتى إذا ملكوا حريتهم أجابوا لما دعووا إليه  
 عن طريق الطواعية . ولا نزال نشاهد ذلك في ذوى الشمم والنفوس الآتية . فلتكن

الدعوة الدينية محلاة دائماً بما يحفظ على المدعو كرامته ، وإن تلبست أحياناً بالشدّة  
فلتكن على قدر محدود ، واعتبر ذلك في قوله تعالى لموسى وهرون عليهما السلام حين  
بعمهما الفرعون: ( فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ) وليس هذا من المداهنة  
المقنونة للزرية ، وإنما هو من الحكمة المطلوبة المجيدة .

وفقنا الله الى ما فيه رضاه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم  
ابراهيم الجبالي

## المرء بأصغريه

قدم وفد الى عمر بن عبد العزيز في أول خلافته ، فتقدم فتي منهم حدث السن ليتكلم عنهم ،  
فقال عمر : ليتقدم من هو أسن منك . فقال الفتى : يا أمير المؤمنين لو أن الأمر بالسن لكان  
في المسلمين من هو أحق بكرسیك هذا . ولكن المرء بأصغريه : قلبه ، ولسانه . فقال عمر : تكلم  
فاني أراك تبين عن لسان وجان ، فقال الفتى : لقد جئنا اليك يا أمير المؤمنين ولسنا وفد الرغبة  
ولا وفد الرهبة ، لسنا وفد الرغبة فقد دخلت علينا رغائبك في بيوتنا ، ولا وفد الرهبة فقد  
أمننا بعدك من حيفك . قال عمر : فوفد ماذا أتمم ؟ قال : نحن وفد الشكر ، جئنا لنشكر اليك  
الله الذي وكل أمور المسلمين الى إمام عادل مثلك . فأدرك صرزة الارتياح ، وكان يصطفي لجالسته  
طالما ناصحا صالحا ، فقال جليسه هذا : يا أمير المؤمنين لا يغلبن جهل القوم بك علمك  
بنفسك . فانكشف عمر حتى كاد تنقلص أضلاعه وقال : لا أحرمني الله من جليس صالح مثلك .  
ثم صرفهم مكرمين .

## عمر الفاروق رضى الله عنه

أعماله الإصلاحية وآثاره العمرانية

إن هذا الرجل الذى كان فى ثوبه أربع عشرة رقعة كان إذا ذكر اسمه ارتعدت له فرائس ملوك الأرض .  
( من التاريخ العام الفرنسى ) لامان وكوتان

إن خلافة الفاروق رضى الله عنه كانت كلها خيرا وبركة على المسلمين ، فقد فتح لهم فى عهد خلافته القصير ثلاثة أقطار كان كل واحد منها يصح أن يكون مقرا للدولة ، ومد عليها من رواق عدله ، وشملها من نظام حكمه ، بما جعلها معاقل للإسلام ومادة لجنده . فإن لم يكن لعمر إلا تدويخه للدولتين اللتين تقاسمتا السلطان على الأرض كان هذا وحده كافيا فى رفعة الى مقام أكبر الفاتحين ، وأعظم القادة العالميين . فما ظنك وقد وفق لأن يربط هذه الأقطار برباط من الوحدة الاجتماعية عجزت عن حله أعاصير الفتن ، وعوامل الإلحاح ، ولم يوفق الى مثلها غيره من الزعماء الأفاضل كالاسكندر ، فإن جميع البلاد التى افتتحتها ثارت على خلفائه بعد وفاته ، فأصبح ملكه نهبا بين قواده ، فذهب كل واحد منهم ببقعة ممزقة الأوصال ، ثم لم تلبث هذه البقع أن لفظتهم بعد فتن كقطع الليل المظلم .

توفيق جليل ، خص الله به عمر ، فأعز به خير الملل ، فإن أراد الباحث أن يعد بناء مجد الإسلام كان الفاروق فى مقدمة الرعيل الأول منهم .

إن الإصلاحات التى أحدثها عمر فى ملكه البعيد الأكثاف ، وكانت أساسا لكل مابنى عليها بعده ، قد لا يمكن أن تحصر ، ولكننا نذكر منها ضيقه للتاريخ الإسلامى وجعله بدايته على الهجرة ، وتدوينه الدواوين ، وترتيبه الجنود فى القلاع والنفور ، وسكة النقود ، وبناء مدينة البصرة ثم الكوفة .

وأكبر من هذه الأعمال وضعه دستوراً للقضاء كان ولا يزال معمولاً به إلى اليوم ، جمع فيه من أصول النظام ما يتجلى بها العدل الإسلامى فى أجل مميزاته ، وقد أرسل بهذا الدستور إلى أبى موسى الأشعرى أحد ولاته ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم أدل اليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له : أس بين الناس فى مجلسك ووجهك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا يخاف ضعيف من جورك ؛ والبينة على من ادعى ، والمبين على من أنكر ؛ والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرم حلالاً أو أحل حراماً ؛ ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمر راجعت فيه نفسك ، وهُديت فيه لرشدك ، أن ترجع عنه ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي فى الباطل .

« الفهم الفهم فيما يتأجلج فى صدرك مما لم يبلغك فى كتاب الله ، ولا سنة النبي صلى الله عليه وسلم . اعرف لأمثال والأشياء وقس الأمور عند ذلك ، ثم اعمد إلى أحبها إلى الله ، وأشبهها بالحق فيما ترى ؛ واجعل للمدعى حقاً غائباً أو بينة أمدأ ينتهى إليه ، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه ، وإلا وجهت عليه القضاء ، فإن ذلك أنفى للشك ، وأجلى للعى ، وأبلغ للعذر .

« المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً فى حد ، أو مجرب عليه شهادة زور ، أو ظنيناً فى ولاء أو قرابة ، فإن الله قد تولى منكم السرائر ، وودراً عنكم بالشبهات .

« ثم إياك والقلق والضجر ، والتأذى بالناس ، والتنكر للخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الأجر ، وبحسن بها النحر ، فإن من يخص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه ، يكفه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه ، هتك الله ستره ، وأبدى فعله ، والسلام . »

نيز من أخبار الفاروق :

لقد سار عمر فى خلافته سيرة المؤسس لدولة ، والمنظم للملكة ، والمصلح لامة ،

لذلك كانت سيرته وأقواله وأعماله وخطبه مجموعة جهود مبذولة لهذه الأغراض العالية ، فكانت ثمرتها أنها حفظت وحدة العالم الاسلامى حفظا تعذر مثله على أكبر القادة والمصالحين ، فإن الجمع فى قرآن بين العرب والفرس والديلم والفنيين والقبط بغير عسف ولا إراقة دم لمن الحوادث المدهشة فى تاريخ العالم .

نعم : إن هذه الوحدة لم تكن ثمرة نظم استعمارية كالتى يحاول بها الاستعماريون اليوم حفظ النظام فى مستعمراتهم ويفشلون فيها ، ولكنها كانت ثمرة نظام معنوى أكل من تلك النظم ، وهو أخلاق عمر ومبادئه التى كانت صورة حية لأصول الإسلام وفضائله ، صمت هذه الأقوام فأوجدتها فى حالة من الحياة الفاضلة أنستها كل ما بينها من الفروق ؛ وشلت فيها عوامل الشقاق ، فآثرت أن تعيش فى مجموعة هذا العدل الشامل على أن تحاول الخروج منه الى ما كانت فيه تحت السلطان الجائر لحكوماتها الوطنية .

هذه آية للإسلام يجب أن يتأملها علماء الاجتماع ، ليدركوا أن فوق النظم الحديدية التى يوجد فيها الغلب ، روحا اختص بها الإسلام وحده تحدث العجائب العمرانية فى عهد لم يكن فيه للاستعمار وسيلة غير القوة الفاشية ؛ فإن من أغرب ما يراه الرأءون أن أمة خرجت من البداوة منذ أمس ، تستطيع أن تسود أمما أرقى منها علما وأغرق تمدنا ، وتربط ما بينها برباط معنوى يمنحها الشغب ، ويعمو منها ذات البين ، على تنافر أجناسها ولغاتها ، ثم يتوكل بها الأمر تحت هذا الرباط المعنوى نفسه الى أن تندمج فى جسم الأمة الإسلامية ، فتصبح مادة لعلمائها وقادتها ، ووزرائها وصناعها وحماها ، إن هذا هو فوق المعجب ، بل هو آية من آيات هذا الدين ، وهى لا تعد ولا تحصى .

وإذا كان الفضل فى هذه الآية وغيرها يرجع الى أصول الإسلام نفسه ، فإن عمر قام بتطبيقها خير قيام ، فكان مثالا أعلى لكل من تولى أمر هذه الأمة بعده .

الروح التى برها عمر فى معاصره :

إن عمر ما كان يفتنى وحده فيما اضطلع به من بناء مجد الإسلام ، وإذا كان لا بد له

من الاستمانة بغيره من أهل الكفايات العالية ، فاستطاع بنظره الناقب وسياسته الحكيمة أن يجمعهم حوله ، وأن يوجههم جميعاً نحو غايته النصية ، بما كان يبنه فيهم من روحه القوى ، بسيرته القويمة .

فكان رضى الله عنه من العدل والرحمة بالمكان الأرفع ؛ وكان يخشى أن يصدر من عماله وولاته ما يرهق الناس دون أن يصل إليه خبره ، فكان يطوف المدينة يستطلع أمور الناس ، ويسمع شكاياتهم ، فلم يهمل طائفة منهم حتى غير المساكين ، فكان يزورهم في دورهم ، ويسألهم عن حقيقة أحوالهم ، ولا يطمئن حتى يسأل كبار الصحابة عن دخيلة أمورهم ، خشية أن يخشوا بطش عماله فيكتنموه ما يشكون منه .

وأما ماغاب عنه من أخبار الأقطار النائية ، فكان إذا قدم عليه بعض أهلها سألهم عن أحوالهم ، وبالع في استطلاع دوائهم .

روى الأسود بن يزيد قال : كان الوفد إذا قدم على عمر سألهم عن أميرهم فيقولون خيراً ، فيسألهم : هل يعود مرضاًكم ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : كيف صتيه بالضعيف ، وهل يجلس على باب ؟ فإن قالوا : لا ، عزله .

وبلغه مرة أن عامله بالأهواز نزل جبل الأهواز والناس يختلفون إليه فيه ، والجبل كؤود يشق على من راحه ، فكتب إليه ماصورته : « أما بعد : بلغني أنك نزلت منزلاً كؤوداً ، لا يؤتى فيه إلا على مشقة ، فأسهل ولا تشق على مسلم ، ولا على معاهد ، وقم في أمرك على رجل ، تدرك الآخرة ، وتصف لك الدنيا ، ولا تدركك فترة ولا عجلة ، فتكدر دنياك ، وتذهب آخرتك » .

وكتب إلى أبي موسى الأشعري :

« إنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم ، فأكرم من قبلك من وجوه الناس ، وبحسب الضعيف من العدل ، أن ينصف في الحكم وفي القسم » .

وخطب عمر بن الخطاب يوماً فقال :

« يأيتها الناس ! إني والله ما أرسل عمالاً إليكم ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا

أموالكم، ولكنى أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم، ويقضوا بينكم بالحق، ويحكموا بينكم بالعدل، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلىّ، فوالذى نفس عمر بيده لا أقصنه منه، أى لم يكن له من ضربه كما ضربه.

فوقف عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، أرايت إن كان رجل من أمراء المسلمين أدب بعض رعيتيه (أى بالضرب) أإنك لتمعصنه منه؟ (أى لتفعلن بالأمر مثل ما فعل هو؟).

فقال عمر: إى والذى نفس عمر بيده إنى لا أقصنه منه، وكيف لا أقصنه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه؟ ألا لا تضرىوا المسلمين فتذلّوهم، ولا تجمّروهم<sup>(١)</sup> فتفتنّوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تنزلوهم الفياض<sup>(٢)</sup> فتضيعوهم.

واستعمل عمر رجلاً على عمل فجاء يأخذ عهده، فأتى عمر ببعض ولده فقبله، فقال الرجل: أتقبل يا أمير المؤمنين؟ والله ما قبلت ولد قط.

فقال له أمير المؤمنين: «والله أنت بالناس لأقل رحمة، هات مهدناً لا تعمل لى عملاً أبداً»؛

روى الحسن البصرى قال: حضر باب عمر سهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام وأبو سفيان بن حرب فى نفر من قريش من تلك الرؤوس (أى من كبار السادة)، وصهيب وبلال (أصل الأول مملوك روى، وأصل الثانى عبد حبشى) من أولئك الموالى الذين شهدوا بدرًا، فخرج إذن ممر لهم (أى الموالى) وترك أولئك.

فقال أبو سفيان: لم أرك اليوم قط: يأذن هؤلاء العبيد ويتركنا على بابهم لا يلتفت

إلينا؟

(١) يقال جمر الجيش أى أبقاه فى أرض العدو ولم يده إلى بلاده. (٢) الفياض جمع غيضة وهى

جميع الشجر فى مفيض ماء.

فقال سهيل بن عمرو - وكان رجلاً عافلاً : أيها القوم . إني والله أرى الذي في وجوهكم ، إن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم ، دعى القوم ودعيتم ( أى للإسلام ) فأسرعوا وأبطأتم ، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم ؟ .

وروى أبو حاطب عن أبيه قال : قدمنا مكة فأقبل أهل مكة يسعون وقالوا : لعمر : يا أمير المؤمنين : أبو سفيان حبس مسيل الماء علينا ليهدم منازلنا .

فأقبل عمر ويده الدرة ( وهى السوط يضرب به ) فإذا أبو سفيان قد نصب أحجاراً ، فقال له : ارفع هذا ، فرفعه ، ثم قال : وهذا ، وهذا ، حتى رفع خمسة أوستة ، ثم استقبل عمر السكبة فقال : الحمد لله الذى جعل عمر يأمر أبو سفيان بيطن مكة فيطيمه : وكما أبان عمر رضى الله عنه عن كفاية إدارية ، وجماعية عالية ، أبان كذلك عن سياسة للنفس قل أن تنفق لدى سلطان غيره ، فقد كان يكره لأمته التنطع فى الدين ، أى التعمق فيه . فقد روى أن جماعة من الصحابة انقطعوا للعبادة ، فخشى أن يقلدكم الناس فتتبط الحركة العمرانية ، ويختل النظام الاجتماعى ؛ فجعل ينهى الناس عن التنطع ، ويحذرهم الابتداع فى الدين .

ونقل أنه رأى بحضرته يوماً شاباً متكساراً رأساً تخشعاً ، فقال له : يا هذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يجوز أن يزيد على ما فى القلب منه ، فمن أظهر للناس خشوعاً فوق ما فى قلبه فإنما أظهر للناس نفاقاً على نفاقه .  
وأخبر عمر برجل يصوم الدهر ، فجعل يضربه بمخففته وهو يقول : كل يادهر كل يادهر .

وروى أن رجلاً وجد يوماً ثمرة فى الأرض فرفعها وأخذ ينادى : من الذى ضاعت منه هذه الثمرة ؟ فأبصر به عمر ، فقال له : كلها يا صاحب الورع البارء .

وسمع أن من الناس من يذهب فيقف تحت الشجرة التى بايع النبى صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه تبركاً بذلك ، فأمر بقطعها حماية للدين من البدع .



وأنا أشهد أن مثل هذا العمل لا يصدر إلا عن مصلح عظيم ، فهم الإسلام حق  
فهمه ، فقام على صراطه القيم يرفع عنه ما عسى أن يلقيه فيه بعضهم من القواطع عن غرضه  
الأسنى ، فسلام على عمر في الخلفاء الراشدين :

### تواضع :

أما تواضعه فحدث عنه ولا حرج . قال كعب الأحمري وهو أحد علماء بني إسرائيل  
أسلم بعد أن تبين جميع ما كان يعرفه من علامات نبى آخر الزمان مما كان قد أنبأ عنه  
علماء بني إسرائيل ، قال : نزلت على رجل يقال له مالك ، وكان جاراً لعمر بن الخطاب ،  
فقلت له : كيف بالدخول على أمير المؤمنين ؟ فقال : ليس عليه ولا حجاب ، يصلى الصلاة  
ثم يقدم فيكلم الناس .

وعن الحسن البصري قال : كان بين عمر بن الخطاب وبين رجل كلام في شيء ، فقال له  
الرجل : اتق الله . فقال رجل من القوم : أتقول لأمر المؤمنين اتق الله ؟ فقال له عمر :  
دعه فليقلها لي ، نعم ما قال ، لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها .  
وروى أن عمر لما قدم الشام عرضت له مخاضة ، فنزل عن بعيره وخلع نعليه  
فأمسكها بيده ، فغاض الماء ومعه بعيره ، فقال له قائده أبو عبيدة : قد صنعت صنيعاً عظيماً  
عند أهل الأرض . فصده عمر في صدره وقال : أواه لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة : إنكم  
كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس ، فأعزكم الله بالإسلام ، فهما تطلبوا  
العزة بغير الله يذلكم الله .

وروى الفضل بن عميرة أن الأحنف بن قيس — وهو الذى قيل فيه : إذا غضب  
غضب لقضيه مائة ألف سيف لا يسألون فيم غضب — قدم على عمر بن الخطاب في وفد  
من العراق ، قدموا عليه في يوم صائف شديد الحر وهو محتجز بعباءة ( أى ملتف بها )  
بهنا بعيرا من إبل الصدقة ( أى يدهنه بالهناء وهو القطران ) . فقال : يا أحنف دع  
نيابك وسلم ، فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير ، فإنه من إبل الصدقة ، فيه حق اليتيم

و لأرملة والمسكين . فقال رجل : ينظر الله لك يا أمير المؤمنين ، فهلا تأمر عبدا من عبيد الصدقة بكفليك هذا ؟ فقال عمر : يا بن فلانة وأى عبد هو أعبد منى ومن الأحنف هذا ؟ إنه من ولى أمر المسلمين فهو عبد للمسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيدده : من النصيحة ، وأداء الأمانة .

وقد كان يقوم بنفسه فيشارف الأسواق ، ويراقب للسكايل والموازين ، ويأمر بإمطة الأذى عن الطريق .

قال المسيب بن دارم : رأيت عمر بن الخطاب يضرب جمالا ويقول : حملت جملك ما لا يطيق . مع كل هذا التواضع والرحمة بالضعفاء ، كان عمر يكره عدم النظام ، ويحب أن يرى كل شئ فى موضعه . روى عن أبى ساعدة الهذلى قال : رأيت عمر بن الخطاب يضرب التجار والتجواين بدرة إذا اجتمعوا على الطعام بالسوق حتى يدخلوا سكك أسلم ، ويقول : لا تقطعوا علينا ما باتنا . وهو نظام يفعله الشرطة اليوم من منع الباعة من الوقوف بالشوارع العامة ، وحملهم على التجوال ، حتى لا يزحموا المارة ، ويعيقوا حركة الغادين والرائحين .

مقال عمر رضى الله عنه :

ما كان يحظر ببال أحد من معاصرى الفاروق أنه يموت فتىلا ، وقد أعز الله به الإسلام ، ولم يوجد فى المسلمين إلا معتبط بخلافته ، مطمئن الى عدل حكومته ، ولكن طبيعة العمران اقتضت أن يندس فى المسلمين من يستبطنون الكفر ، ويسرون الحقد على الفاروق لقضائه على دولهم . فكان منهم مملوك فارسى الأصل للمغيرة بن شعبة يدعى أبا لؤلؤة ، فحدث منه أنه شكا الى أمير المؤمنين قبل الأتولة التى وضعها عليه سيده ، وهى درهمان كل يوم ، فسأله عمر عن صناعته ، فقال : نحاس نقاش حداد . فقال له عمر : ما هذا بكثير على ما تصنع .

فأعد أبو لؤلؤة خنجرا وتحين أمير المؤمنين ، حتى إذا خرج للصلاة ، فلما كبر خرج

الفارسي من الصف وطعنه بخنجره ست طعنات، فسقط، فلما هم الناس أن يقبضوا عليه أخذ يطنهم حتى جرح ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة، فالتقى عليه أحد المصلين برنسا وقبض عليه، فلما أحس أنه أخذ طعن نفسه فمات، فلما سقط أمير المؤمنين قال: أفي الناس عبد الرحمن بن عوف؟ قالوا: نعم. قال: فليصل بالناس. فصلى بهم صلاة خفيفة وعمر طريح، ثم حمل إلى داره. فلما اجتمع الناس قال لابن عباس: أخرج إليهم واسألهم: أَعَنْ مَلَأَ مِنْكُمْ وَمَشُورَةٌ كَانَ هَذَا الَّذِي أَصَابَنِي؟ فسألهم، فقال القوم: لا والله، ولوددنا أن زاد الله في عمره من أعمارنا.

فلما ثقل على عمر مرضه قال لابنه عبد الله: ضع خدي على الأرض، فوضعه، فجعل عمر يقول: ويلى ويلى أى إن لم يغفر لى ربى: ثم مات، فصلى عليه في المسجد، وحمل على سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغسله ابنه عبد الرحمن، وصلى عليه صهيب وأصله مملوك روى؛ وكان تقدم على عثمان للصلاة عليه فتمنعها ابنه عبد الرحمن وقال: ما أحرصكم على الأميرة، أما علمتما أن أمير المؤمنين قال: ليصل بالناس صهيب؟.

لا يجوز لنا في هذا الموطن أن نغفل لفت نظر القارىء إلى أى حد بلغ من المسلمين مبدأ لديموقراطية الصحيحة، وبحق القوارق الجنسية، فقد سمح أن يصلى عليه مملوك روى الأصل، وأثر على سيدين عظيمين من قريش، وهذا ما لم يوجد له شبيهه إلى اليوم في أعرق الأمم في المساواة.

### تحوط عمر له في الرفقة:

روى عن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما طعن عمر بن الخطاب قيل له: يا أمير المؤمنين لو استخلفت:

فقال عمر: إن تركتكم فقد ترككم من هو خير منى (يريد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد توفى ولم يمين من يخلفه)، وإن استخلفت فقد استخلفت عليكم من هو

خير مني (يريد أبا بكر ، فقد استخلف الفاروق ) ، ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا لاستخلفته ، فإن سألتني ربي قلت : سمعت نبيك يقول : إنه أمين هذه الأمة ، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لاستخلفته ، فإن سألتني ربي قلت : سمعت نبيك يقول : إن سألنا يعحب الله حيا لو لم يخفه ما عصاه .

هنا يجب أن ننبه أيضا الى هذه المساواة الحقبة التي لم تبلغ اليها أمة من الأمم الى اليوم ، فإن سألنا هذا الذي يذكره أمير المؤمنين الراحل كان عبدا لأبي حذيفة فأعتقه ، فانظر كيف علم الإسلام هؤلاء الناس أن لا يزنوا الناس بأموالهم وأجnasهم وأصولهم ، ولكن بزيادهم وأعمالهم .

ثم قيل : يا أمير المؤمنين ، فلو عهدت الى عبد الله بن عمر فإنه للخلافة أهل في دينه ، وفضله ، وقديم إسلامه . فأبى قائلا : بحسب آل الخطاب أن يتحمل تبعتها منهم واحد ، ولوددت أني نجوت من هذا الأمر كفافا لآلى ولا على .

ثم راجعوه فقالوا : يا أمير المؤمنين لو عهدت : فقال لهم : قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أولى رجلا أمركم أرجو أن يملككم على الحق ( وأشار الى علي بن أبي طالب ) ثم رأيت أن لا أتحمّلها حيا وميتا ، فعليكم بهذا الرهط الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : إنهم من أهل الجنة ، فذكر منهم ستة وأمرهم أن يختاروا منهم رجلا .

ودعا بعلى وعثمان والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأمرهم أن يتشاوروا في أمر الخلافة ، وقال لهم : انتظروا أخاكم طلحة ثلاثة ، فإن جاء ، وإلا ولوا أحدكم ، وليشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء ، قوموا فتشاوروا ، وليصل بالناس صهيب .

ثم قال لأبي طلحة الأنصاري :

يا أبا طلحة : إن الله أعز بكم الإسلام ، فاختر خمسين رجلا من الأنصار وكونوا مع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم .

وقال للمقداد بن الأسود : إذا وضعتوني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط وقم على رؤوسهم ، فإن انقسموا في الرأي ثلاثة وثلاثة ، فحكموا عبد الله بن عمر ، فإن لم يرضوا بعبد الله ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف .  
فاجتمعوا كما أمرهم ، ولما اختلفوا طلب إليهم عبد الرحمن بن عوف أن يحكموه على أن يتنازل عن حقه ، فحكموه ، فخرج كل من صادقه من صنوف الناس فرآهم جميعين على تولية عثمان ، فاختراره للخلافة .  
محمد فريز ومجدي

## حكم

قال حكيم : إن نخوة الشرف تناسب بطر الغنى ، وانصبر على عقوق الثروة أشد من الصبر على ألم الحاجة ، وذل الفقر يسمى على عز الصبر ، وجود الولاية مانع من عدل الانصاف إلا من كان بعيد الهمة .

وقال بعض بني تميم : حضرت مجلس الأحنف وعنده قوم يجتمعون في أمرهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الكرم منع الحرم ، ما أقرب النعمة من أهل البغي إلا خير في لذة تعقب ندما ، لم يملك من اقتصد ، ولم يغتر من زهد ، رب هزل قد عاد جدا ، من أمن الزمان خانه ، ومن تعظم عليه أهانه ، دعوا المزاح فانه يورث الضيق ، وخير القول ما صدقه الفعل ، احتملوا لمن أدل عليكم ، واقبلوا عذر من اعتذر اليكم ، أطع أخاك وإن عصاك ، وصله وإن جفاك ، أنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك ، إياكم ومفاورة النساء ، واعلم أن كفر النعم لؤم ، وصحبة الجاهل شؤم ، ومن الكرم الوفاء بالذمم ، ما أفيح القطيعة بعد الصلة ، والجفاء بعد اللطف ، والعداوة بعد الود ، لا تكوني على الاساءة أقوى منك على الاحسان ، ولا الى البخل أسرع منك الى البذل ، واعلم أن لك من دنياك ما أصلحت في مثواك ، فأتفق في حق ، ولا تكن خازنا لغيرك ، وإذا كان القدر موجودا في الناس فالثقة بكل أحد عجز ، اعرف الحق لمن عرفه لك ، واعلم أن قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل ، قال : فما سمعت كلاما أبغ منه ، فقممت وقد حفظته .

## بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتْاوَى

### أحكام في الرهن والمزارعة والسداد

ورود إلى إدارة المجلة من حضرة صاحب التوقيع الأسئلة الآتية :

- ١ - ما حكم ما يفعله الناس في الأرياف من أخذ مبلغ معين على الفدان بصفة رهنية وصاحب المبلغ يضع يده على الفدان ويأخذ ما ينتج منه حين أخذ مبلغه ؟
  - ٢ - وإذا أخذ الدائن ربع الفدان وضمه لى ماله الحلال مدة أربع سنوات فما يكون الحكم ؟
  - ٣ - مزارع يزرع قطعة أرض بالنصف عند أحد الملاك وينتج منها قيمة النصاب ، فهل المزارع متمم أن يخرج الزكاة عنه وعن المالك من نصيبه خاصة ، أم كل منهما يخرجها عما يخصه ؟
  - ٤ - ما حكم أخذ الأسمدة والبذور من الحكومة وتوقيع الاستمارة وفيها أن الثمن كذا وخمسة قروش فأئدة م
- محمود معوض شرف الدين  
إمام مسجد الفخفاخ بالطواهرية

الجواب عنه السؤال الاول :

إذا شرط في عقد الرهن أن منفعة المرهون تكون للمرتهن ( الدائن ) كان الشرط لاغياً والمقد فاسداً ، لأن الرهن إنما شرع لتكون العين المرهونة تحت يد المرتهن وثيقة فقط ، وضماناً لأداء الدين الذي له ، فليس له فيها إلا حق حبسها ليستوفي منها دينه عند تعذر الوفاء .

الجواب عن السؤال الثاني :

إذا استولى الدائن على ربع الفدان المرهون فإن ذلك يكون أثراً من آثار العقود

الفاسدة ، ويلزم في هذه الحال بأجرة المثل لهذا الفدان عن المدة التي استولى على ريعه فيها ، ويدفعها لصاحب الفدان أو يخصمها من الدين الذي عليه .

الجواب عنه السؤال الثالث :

الزكاة واجبة عليهما معا ، يخرجاتها من الحب المشترك بينهما قبل القسمة ، أو يخرج كل منهما ما عليه من نصيبه بعد القسمة ،

الجواب عنه السؤال الرابع :

إذا كانت خمسة القروش في مقابلة أجرة مخزن أو أجرة عمال لم يكن ذلك من الربا في شيء ، وإذا كانت هذه الزيادة في مقابلة تأخير الثمن بحيث تزيد إذا زادت المدة ، وتنقص إذا انقصت المدة ، فهي من الربا . وفي هذه الحالة لو أن هذه الفائدة أضيفت إلى الأصل واعتبر المجموع ثمنا ، خرج هذا العقد عن كونه ربا . والله الموفق

الحسيني سلطان

يوسف المرصفي

من كلية الشريعة الاسلامية مدرس في كلية الشريعة الاسلامية

## أحكام في قراءة القرآن

والتطلع لزينة الدنيا

وورد أيضا إلى إدارة المجلة من حضرة صاحب التوقيع الأسئلة الآتية :

- ١ - ما قولكم في رجل متعود أن يقرأ كل يوم جزءين أو أكثر من القرآن : هل الموضوع ضروري وقت القراءة ؟ وهل يحرم ذلك أم يجوز ؟
- ٢ - هل لو حصل لحن وقت القراءة غير مقصود يعاقب القارئ عليه ؟
- ٣ - ما حكم الشرع فيمن يقرأ القرآن وهو مضطجع ليلا ؟
- ٤ - هل حمل المصحف للتبرك بصفة مستمرة محرم ، ولا يخفى الأحوال التي يضطر لها حامل المصحف ؟

- ٥ - أرجو تفسير قوله تعالى مخاطبا نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام:  
(وَلَا تَعْدَنَّ عَيْنُكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) والسبب في نزولها.
- ٦ - هل الأفضل الاستمرار على قراءة القرآن وقت الفراغ ، أو قراءة  
الدلائل والأوراد؟

نصير حموده

بوزارة الزراعة

#### الجواب عنه السؤال الاول :

إن كانت القراءة في المصحف وجب الوضوء ، لأنه لا يجوز مسه بدون طهارة ،  
لقوله تعالى : ( لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ) وهو وإن كان خبرا في اللفظ إلا أنه نهي  
في المعنى ، لئلا يلزم الكذب في خبره تعالى لكثرة من لمس المصحف بدون طهارة .  
أما إن كانت القراءة من حفظ القارىء بدون مس للمصحف فليس الوضوء لها واجبا ،  
وإنما هو مندوب فقط .

#### الجواب عنه السؤال الثاني :

على القارىء أن يجتنب اللحن في قراءته والخطأ فيها بأى وجه من الوجوه ، سواء  
أكان راجعا الى مخالفة اللغة العربية ، أم كان راجعا الى مخالفة أحكام القراءة من مد  
وقصر وما إليهما من الأحكام المدونة ، لقوله تعالى : ( وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ) .  
الترتيل هو التمهّل والترسل حتى تتبين الحروف والحركات ، والخطاب وإن كان للنبي  
صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه عام للأمة أيضا .

ومنى اجتهد القارىء في المحافظة على أحكام القراءة فلا يثم عليه بعد ذلك إن زل  
لسانه أو سها فأخطأ ، لقوله تعالى : ( وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ  
وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ) أما إذا قصر في رعاية الأحكام فإنه يكون آثما ،  
وعليه أن يتعلم قبل أن يقرأ إن كان غير عالم بها وبكيفية الأداء .



### الجواب عن السؤال الثالث :

لا إثم على القارئ إذا قرأ القرآن وهو مضطجع ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ القرآن على كل حال إلا وأنت جنب » وإن كان الأفضل أن يكون جالسا ، متطهرا ، مستقبل القبلة ، متجملا بأحسن الهيئات ، الى غير ذلك من الآداب التي ترجع رعايتها والمحافظة عليها الى تعظيم القرآن .

### الجواب عن السؤال الرابع :

حمل المصحف بصفة مستمرة ليكون كحزب للعامل مما يها به من إنس أو جن أو غيرها جائز ، بشرط أن يكون مستورا بساتريقيه من وصول النجاسة أو أى قدر اليه وإن كان طاهرا ، وليس عليه أن يلتزم الطهارة في حمله .

### الجواب عن السؤال الخامس :

بيان المفردات فى الآية — ( مد العينين ) إطالة النظر بهما الى الشيء إعجابا به واستحسانا له . ومن لوازمه تمنى أن يكون مثله حاصلا للنظر . ( متمنا ) التمتع : الإلحاح والترفيه . ( أزواجا ) أصنافا ( منهم ) أى الكفار . ( زينة الحياة الدنيا ) زينتها وبهجتها . ( لتفتنهم فيه ) الفتنة : الابتلاء والاختبار بما فيه نفع أو ضرر للمرء ، وقد يكون من آثارها الاغترار والطمع ، كما هو شأن من لم يشكر نعم المولى سبحانه وتعالى ، بل جعلها عونا على البغى ومجاوزة الحدود . ( ورزق ربك ) ما منحه النبي صلى الله عليه وسلم من كمال العلم بربه تعالى واصطفائه للرسالة والنبوة ، وكذلك ما منحه المؤمنون من الإيمان وللمال القليل حيث افترن بالرضا والطاعة . ( خير ) مما أوتى الكفار من زخارف الدنيا وزينتها . ( وأبقى ) أدوم بدوام ثوابه وأجره .

ملاحظة المعنى : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التطلع الى ما أوتى الكفار على اختلافهم وتنوعهم من الأموال التي هي زينة الحياة الدنيا وزخرفها ، وبيان أن هذه

الزخارف إنما كانت فتنة لهم أورتهم طغيانا وعتادا فضلوا عن سواء السبيل فساءت عاقبتهم ، وأن ما أنعم الله به على حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم خير من تلك الأموال الزائلة السيئة العاقبة (وأبقى) لما أعد للنبي صلى الله عليه وسلم في دار الآخرة من عظيم الجزاء وجزيل العطاء .

والمقصود من الآية - والله أعلم - تحقير أمر الدنيا وما فيها من زخارف وزينة ، وتعظيم أمر العلوم والمعارف وما يتصل بها من الطاعات ، وتعليم أمته صلى الله عليه وسلم فضل الرضا والفناعة ، وحثهم على عدم التطلع الى الدنيا ، وألا يكونوا كمن قال : « ياليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم » بل يكونوا كما قال الله تعالى : « ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا » .

وليعلم أن النهى عن الشيء لا يستلزم أن يكون النهى متلبسا بالنهى عنه ، ولا أن يكون على شرف التلبس به ، فلا يحتاج في صدر القارئ الكريم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان متطلعا الى المال ، أو هو على شرف ذلك ، فإنه صلى الله عليه وسلم سيد الزاهدين في الدنيا المعرضين عنها ، وإنما جاء النهى موجها للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه هو السيد الذي يجب طاعته على الأمة ، فإذا كان منها عن ذلك كان غيره بالنهى أولى .

وسبب نزولها : أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل الى يهودى يستقرضه فأبى اليهودى إلا برهن ، فلما عاد الرسول الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك قال عليه الصلاة والسلام : « إني لأمين في السماء لأمين في الأرض » وأرسل بذره يرهنه ، فزلت هذه الآية دفعا لما عساه يحتاج في نفوس من يعلم هذه الحادثة من الأسف لثقل المال والتطلع لكثرتة ، وأنت يكون لدى المؤمنين مثل ما رزق به الكفار من الأموال ، وتنبها للمؤمنين على أن هذا المال عرض زائل لا قيمة له ، وأن عاقبته ربما كانت سيئة كما هو حال الكفار ، وأن ما رزقه المؤمنون من الإيمان

والطاعة والمال القليل إذا افترن بالرضا والقناعة خير وأبقى مما عند الكفار ومن على شاكلتهم ممن لم يشكر نعم المولى سبحانه وتعالى ولم يحم بحقوقها المطلوبة فيها .

### الجواب عن السؤال السادس :

قراءة القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والاستغفار والذكر وقراءة الأدعية والأوراد كل ذلك مرغوب فيه شرعا ، وللقائم به أجر عند الله تعالى تفضل به سبحانه لا بطريق الوجوب عليه ؛ والقراءان وإن كان جامعا للكل إلا أن لزوم شيء واحد من أنواع الطاعات ربما كان سببا للمال والسآمة ، فتبغض الطاعة فتتقلب معصية .

لذلك كان الأفضل عدم ملازمة نوع واحد ، فن وجد عنده فراغ من الوقت يعبد الله تعالى فيه فليقرأ القرآن تارة ، وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم تارة أخرى ، وليستغفر ويدع الله تعالى في وقت ثالث ، وهكذا ، يفعل كل ذلك في كل يوم ، أو موزعا على الأيام بحسب ما ينشرح صدره وينشط ، والكل خير وثوابه عظيم ،

والله ذو الفضل العظيم مك محمد عبد الفتاح العناني محمد يوسف البربري  
بكلية الشريعة الإسلامية بكلية الشريعة الإسلامية

## أحكام الارضاع

وورد من حفرة صاحب التوفيق السؤال الاتي :

أفهم من قول الله تعالى في سورة البقرة : (وَالَّذَاتُ يَرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوَّلَيْنِ كَأَمَلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ ، وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا نُضَارُّ وَالِدَةً بَوْلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلَدِهِ) ومن قوله تعالى في سورة الطلاق : ( فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاسْتَوْهِنَ أُولَئِهِنَّ وَأَنْتُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ، وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فِئَتِيكُمْ فِى الرِّضَاعِ فَلْيَمْسِكُوا بِهِنَّ كَأَمَلَتُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ) أن الله

تعالى جعل المرأة المسلمة في حل من الرضاعة : فإن شاءت أرضعت صغيرها ، وإن شاءت أرضعته بالأجر ، وإن شاءت امتنعت ، مع العلم بأن الولد للأب والأم معاً لا للأب وحده ، فضلاً عن أن الرجل والمرأة يتعاونان على أعباء الحياة وما يصادفهما من عقبات في سبيلها كما هي الحكمة من الزواج .

فهل لسيدى الأستاذ أن يتفضل ببيان وجهة نظر الشرع الشريف وحكمته في ذلك ؟  
 ابراهيم غموى محمد البواب  
 مدرس بمدرسة بلاط بالوحدات الداخلة

### الجواب :

إن ما حام حوله المستفتى هو رأى من الآراء المذكورة في تأويل الآيتين . ويتلخص في أن قوله تعالى : « والوالدات » عام في الزوجات والمطلقات ، وأن قوله تعالى : « يرضعن » خبر في معنى الأمر لدى للنسب لا للوجوب ، فيكون المعنى : ينسب للوالدات إرضاع أولادهن .

وإنما نذب لمن ذلك لما هن من وفور الشفقة ومزيد العناية بالأولاد ، ولا كذلك غيرهن من المراضع . وإذا كان الإرضاع غير واجب على الأم فلها الأجر إذا قبلت أن تكون مرضعة لولدها ، وهذا الأجر هو المشار إليه في آية ( والوالدات ) بقوله تعالى : « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » والمصرح به في سورة الطلاق في قوله تعالى : « فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن » .

وقد فات المستفتى أن الأم قد يجب عليها الإرضاع لا محالة ، وذلك في حالين :  
 ( ١ ) أن يعجز الأب عن استئجار مريضع ولا مال للولد يمكن منه الاستئجار .  
 ( ٢ ) ألا يقبل الولد سوى ثدى أمه .

ففي هاتين الحالين يجب على الأم إرضاع ولدها ، تفادياً من ضرر يلحقه ، أو هلاك ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » .

ولعل الحكمة في عدم وجوب الإرضاع على الأم مطبقا أن الإرضاع من قبيل الاتفاق على الأولاد، والمعقول اختصاص الأب به دون الأم، فإنه الولي على الأولاد، وله خاصة النظر في شئونهم وأموالهم، لوفور عقله، ولما له من الهيمنة على الأسرة بتمامها.

والمرأة وإن كانت شريكة الرجل في الحياة، ولكن إلى حد مخصوص، فإن المقصود الأصلي من النكاح الائتناس، والعفة، وتكثير النوع الإنساني، قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا) وقال عليه الصلاة والسلام: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج» وقال عليه السلام: «تناكحوا تكثروا».

ومن الخطأ في الفهم أن تفهم مشاطرة المرأة للرجل على عمومها وبكل معناها، وإلا لكلفت العمل لتحصيل ما تحتاج إليه أو يحتاج إليه أولادها أو زوجها من النفقة مساعدة الرجل في ذلك، وهو غير معقول، لما فيه من إخراج المرأة عن استعدادها، ووظائفها في الحياة: من الحمل، والولادة، وتنظيم البيت، والنظر في شئونه، وتربية الأولاد بحسب ما يناسب حالها وقدرها.

وأما أن نخلق منها رجلا آخر يكون شريكا للزوج في أعباء حياة تمام المشاركة فهو على خلاف المعقول والطبيعة. ومن تأمل قوله تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) سهل عليه التسليم لما ذكرناه بكل وضوح وجلالة.

ويمكن فهم الآيتين بوجه آخر، وذلك أن يجعل قوله تعالى «والوالدات» على خصوص الزوجات ومن في حكمهن من المطلقات طلاقا رجعيا، ويجعل قوله تعالى: «يرضعن» بمعنى الأمر لذي للوجوب، كما هو الأصل في صيغة الأمر، ويخص قوله

تعالى في سورة الطلاق : « فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ » بالمطابقات طلاقاً بائناً .  
 فيصير مفاد الآيتين هكذا :

( ١ ) يجب الإرضاع على الأم إذا كانت زوجيتها باقية ، أو كانت مطلقة طلاقاً رجعيماً ، لأنها كالزوجة .

( ٢ ) لا يجب الإرضاع على المطلقة بائناً ، فإن أرضعت فلها الأجر .

وبما يقال : حمل الأمر في قوله تعالى : « يَرْضَعْنَ » على الوجوب يتنافى هو وقوله تعالى : « وعلى اللولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » فإن الرزق والكسوة أريد بهما الأجرة في مقابلة الإرضاع ، ولو كان واجبا على المرأة ما استحققت أجرا في مقابلته .  
 وجوابا عن ذلك نقول : الظاهر أنه لم يرد من الرزق والكسوة الأجرة ، وإنما أريد بهما نفقة الزوجة الواجبة لها في مقابلة الاستمتاع بها ، بدليل التعبير بالرزق والكسوة دون الأجرة ، وبدليل قوله تعالى : « بالمعروف » كما هو الشأن في نفقة الزوجية ، فإنه يرجع في تقديرها إلى العرف وما يناسب حال الزوجين ، ولا كذلك الأجرة على عمل ما ، فإن الرجوع في تحديدتها إلى ما يتفق عليه الطرفان ، فكأنه تعالى يقول : على الوالدات إرضاع أولادهن ولا يسكلف الوالد شيئا لهن فوق ما هو واجب عليه بمقتضى عقد النكاح من النفقة والكسوة بالمعروف .

إلى هنا ظهر ما قررناه من وجوب الإرضاع على الزوجة ومن في حكمها .

وأما عدم وجوبه على المطلقة طلاقاً بائناً ، فيكاد يكون صريح الآيات في سورة الطلاق ، لأن الله تعالى قال هناك : ( وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٌ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ، فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ) ومعلوم أن الحامل متى وضعت الحمل صارت بائناً ، إذا كان طلاقها في الأصل رجعيماً ، ومثلها البائن من أول الأمر . والإرضاع بعد وضع الحمل ، فالتى فرض الله لها الأجرة في مقابلة الإرضاع

هي من بانت بوضع الحمل ، أو من كانت بائناً من حين الطلاق ، فحينئذ كل بائن إذا قبلت إرضاع ولدها فلها الأجرة .

ولعل السرفى وجوب الإرضاع على الأم أن الولد فلذة كبدها وقد تحمات الآلام في حمله وولادته ؛ فلا ينبغي تركه بعد هذا الشفقة الغير وعطفه ، بل يكون عليها إرضاعه مجتنبون أن تنتظر الحصول على أجر في مقابله . وإنما اختص الوجوب بالزوجة ومن في حكمها - وهي المطلقة طلاقاً رجعيّاً الواجبة نفقتها على المطلق مدة العدة - دون المطلقة بائناً ، لأن الأخيرة مكسومة الفؤاد من ألم الفراق ، وعلى أهبة الاتصال بزوج آخر قد يعيد لها ما فقدته من الهناء والسرور ، فكان من لخرج إلزامها بالإرضاع وإطالة مدة التأميم عليها .

نعم إذا اختارت أن تكون مرضعة لأولادها فلها ذلك ، وإذا يكون لها الأجرة . والله أعلى وأعلم

محمد يوسف البربري      محمد عبد الفتاح العناني

بكلية الشريعة الإسلامية      بكلية الشريعة الإسلامية

## أحكام في صلاة الجمعة والبيع

وورد من أحد فراء المجلة السؤالان الآتيان :

١ - بلاد كبيرة يجمع أهلها سوق واحد وقاض وحاكم واحد ، وبالبلاد قرى متعددة ، وفي كل قرية مسجد جمعة ، وفي بعض الأيام حضرت صلاة الجمعة في قرية وفي مسجد لها من أهلها عشرة رجال غير الإمام ورجلان من قرية ثانية ، وبين القريتين نحو نصف ميل فيه بساين غير مسكونة ، قبل يتم العدد المطلوب حضوره في صلاة الجمعة بمن حضر من أهل القرية الثانية لكون الجميع من بلاد واحدة ، أولاً يتم بهم العدد المطلوب لكونهم من قرية ثانية ولا يرتفعون ببعضهم ارتفاعاً خاصاً كطلب النار والماعون وما أشبه ذلك ؟

٢ - رجل اشترى من غيره بضاعة بألف فرنك مثلاً الى أجل أربعة أشهر، وعند تمامه طلب منه اخلاص فقال من عليه لدين لربه : بمعنى بضاعة ثانية تساوى الآن ألف فرنك الى ثلاثة أشهر بألف ومائة لنبيعها ونخلص بها دينك السابق . أفيدونا ، الجواب على مذهب إمامنا مالك رحمه الله .

#### الجواب عن السؤال الاول :

ينبغي في الإجابة عن هذا السؤال التعرض لأمرين إتماماً للقاعدة :

الأول - هل تصح الجمعة في كل مسجد من مساجد القرى المتقاربة ؟

الثاني - هل تنعقد بمن هو خارج عن قريتها ؟

فمن الأول : مذهب مالك - رضى الله عنه - عدم صحة الجمعة في كل مسجد من مساجد القرى المتقاربة ، وإنما تصح في مسجد واحد فقط وهو العتيق . والعتيق ما أقيمت فيه الجمعة أولاً أى قبل غيره في أول مرة وإن تأخر أداؤها فيه عن غيره بعد المرة الأولى . وكل من كان متوطناً بقرية خارجة عن القرية التي فيها المسجد العتيق يجب عليه السعي لأدائها فيه ، متى كانت قريته لا تبعد عن قرية العتيق بأكثر من ثلاثة أميال وثلاث ، وكل جمعة أديت في غير العتيق فهي باطلة . ويستثنى من ذلك ثلاث حالات :

(١) أن يضيق العتيق عن يغلب حضوره لصلاتها ولا يمكن توسعته .

(٢) أن يخشى من اجتماع الناس في العتيق حدوث فتنة .

(٣) أن يحكم حاكم بصحتها في غير العتيق إذا كان الحاكم ممن يرى جواز تعدد الجمعة في البلد الواحد وما في حكمه .

ففي هذه الحالات يجوز تعدد الجمعة ، ولكن بقدر الحاجة فيماعد الحال الأخيرة . واصل السر في عدم جواز تعدد الجمعة إلا في هذه الأحوال المستثناة ، أن الحكمة في مشروعيتها تقوية الرابطة بين المسلمين ، فكلما كان الاجتماع في مسجد واحد كان



حصول ذلك المعنى أكمل وأتم . نعم إذا دعت حاجة الى التعدد فإنه يجوز ، لأن الضرورات تبيح المحظورات ، ولأن الدين يسر لا عسر ( وما جعل عليكم في الدين من حرج ) .

وعن الثاني : لا تنعقد الجمعة إلا بحضور اثني عشر رجلاً غير الإمام . ويشترط في الاثني عشر شروط ، منها : أن يكونوا متوطنين بالقرية التي تقام فيها الجمعة ، فو حضرها أقل من هذا العدد فلا تصح ولو تم بمن هو متوطن بقرية أخرى — كما في صورة الاستفتاء — ولا عبرة بقريةها جداً من قرية الجمعة ، ولا بكون البسائين بينهما ، ما دامت كل قرية تستغنى بنفسها عن الأخرى .

#### الجواب عن السؤال الثاني :

مذهب مالك — رضى الله عنه — أنه يحرم فسخ الدين في الدين ، ومن صورته أن يكون لشخص على آخر ألف فرنك مثلاً قد حل أجلها وعجز المدين عن القضاء فيتفقاً على تأخيرها الى أجل آخر نظير زيادة يلزم بها المدين كعشرة في المائة . وهذا هو ربا الجاهلية بعينه ، المحرم بالكتاب والسنة والإجماع . ومن قواعد المذهب أن كل عقد أدى الى محرم لا يجوز الإقدام عليه متى كان ذلك المحرم مما يكثر قصده للمتعاقدين بحسب العادة ، كبيع يفضى الى فسخ الدين في الدين ، أو الى اجتماع البيع والسلف ، الى غير ذلك مما هو مبسوط في المذهب بماله من أحكام وتفاصيل . ومن المعلوم أن الغالب في المعاملات الجارية بين الناس الآن إنما هو القصد الى استثمار الأموال ، ولا يبالى بعد هذا بعدم موافقتها لقواعد الشريعة الشريفة .

لذلك نرى أن البيع المستول عنه يتهم فيه المتبايعان بالقصد الى محرم ، وهو تأخير الألف لفرنك التي عجز المدين عن قضاؤها الى ثلاثة أشهر نظير زيادة المائة ، وأنها يريدان عقد هذا البيع كبرر لقصدهما ، فرارا من صريح الربا ، وحيث أن يكون هذا العقد محرماً لا يجوز الإقدام عليه . محمد عبد الفتاح العناني محمد يوسف البربري  
بكلية الشريعة الإسلامية بكلية الشريعة الإسلامية

## إيمان العلماء

للفيلسوف الكبير (باكون) الانجائزى مؤسس الدستور العلمى كلية يتمثل بها العلماء كما رأوا شذوذا من بعض الباحثين فى الطبيعة عن الإيمان بالله ، وهى قوله : « علوم الطبيعة إذا رشفت بأطراف الشفاء أبعدت عن الله ، وإن شربت عبا أوصلت إليه » .

نعم : من الباحثين فى الطبيعة من يقفون مع الظواهر ، ويعمون عن القوى الباطنة التى تحركها ، وتقودها الى الأغراض التى خلقت لها ، ولقد يعتبرهم من الزهو والخيلاء ما يؤهمهم أنهم أدركوا العالل الأولية لتلك الظواهر ، وهم فى الواقع لم يروا إلا مظاهرها . فوقع كثير منهم فى الضلال ، فلابوا الجواء ، بمزاعم باطلة ، ذهبوا بها مذاهب لا تتفق والبدهييات التى لا يجوز أن يعنى عنها من له بصر نافذ ، وعقل ناضج ، حتى لو ثوا العلم الطبيعى بما هو منزه عنه فى الحقيقة من التهم التى ليس لها أساس .

وقد كان أكثر ما مثوا بهذا الداء الناجس من قصر النظر فى القرنين الثامن والتاسع عشر ، وكان أكبر ما رى بهم فى هذه الحماة قصور العلم الطبيعى فى الأجيال التى كانوا عائشين فيها .

من أمثلة ذلك ما نشره فى سنة ( ١٧٧٠ ) الأستاذ ( البارون هولباخ ) الألمانى فى كتابه ( نظام الطبيعة ) وهو قوله : « إن العالم كله مادة وحركة ، وسلسلة أسباب ومسببات لا تنتهى عند حد ، وإن المادة والحركة أزليتان ، وإنه ليس فى الطبيعة أمر عجيب إلا للذين لم يدرسوها حق دراستها ، وإن الحسن والتبجح اعتباريان فى الوجود مثل النظام والاتفاق فيه » .

فالتاظر فى هذا القول من الذين لهم إلمام بالعلم الطبيعى الحديث ، وبما جد من المكتشفات فيه ، يدرك لأول وهلة أن السبب فيه تسرع ( البارون هولباخ ) فى الحكم

على ما لم يكن يعلم من حقيقة المادة وحقيقة نظام الكون ، فقد استند في إلحاده الى ما كان يذهب اليه علماء عصره من أن المادة والحركة أزليتان ، وقد تحطم هذا الرأي في القرن العشرين ، و ثبت أن المادة ليست بأزلية ، وأنها تؤول الى قوة محضة نالحق بقوى الكون العامة ، وأنها ليست مؤلفة من جواهر صلبة ولكن من حركة زوابعية حاصلة في الأثير ، كما قررنا ذلك في مقالة سابقة هنا . فالذى دعا البارون هولباخ لقول ما قاله هو الجهل . والاعتماد على الجهل في مثل هذ الوطن لدقيق ليس من التحفظ الخليق بأهل التثبت . وأدخل في الجهل من هذا قوله : إن الطبيعة ليس فيها من عجب إلا للذين لم يدرسوها . وسفسرد عليك من أقوال أئمتها المعاصرين بعد ما اكتشف من ظواهرها ما اكتشف أنها من العجب بحيث تحتقر علومهم بإزاء أصغر حوادثها . ومن أمثلة ذلك أيضا ما نشره الفيلسوف ( ديدرو ) الفرنسى في كتابه ( المادة والحركة ) حوالى سنة ( ١٧٥٠ ) وهو قوله : « إن ما نراه من خروج كائن حي من البيضة بواسطة الحرارة وحدها ينقض كل تعاليم اللاهوتيين ، ويهدم كل هياكل الأرض » . فكان يتخيل الفيلسوف ( ديدرو ) أن ذلك الكائن الحى يتولد في باطن البيضة تولدا ذاتيا بواسطة الحرارة ، ولوعاش الى أن نبغ الأستاذ ( باستور ) الفرنسى لما قال مثل هذا القول الذى خيل اليه أنه ينقض جميع التعاليم اللاهوتية ، ويهدم جميع معابد الأرض . فقد أثبت باستور هذا أن الحى لا يتولد من حى ، وأن التولد الذاتى محال . فإذا كان الحى يخرج من البيضة فقد ثبت وجود جرثومة حية ميكروسكوبية فيه تنمو بالحرارة المناسبة ، وتغتذى مما حولها من المواد المشمولة في البيضة حتى يتم تكوينها ، ثم تخرج فتسعى لحياتها مع مثيلاتها اللاتي من نوعها .

فهذا القول أيضا قد ورطه فيه الجهل بهذه الحقائق العلمية التى يعرفها اليوم تلاميذ المدارس . فلو كان تحلى بفضيلة التثبت لما اتقى بمثل هذه التأكيدات جزافا لتصبح خرافة من الخرافات المضحكة في أجيال أخرى تأتى بعد الجيل الذى نشأ فيه .

وقد وقع في مثل هذا التسرع علماء من الذين خلد تاريخ الفلسفة أسماءهم ، ومن أمثلهم الفيلسوف الكبير ( أوجست كومت ) الفرنسي واضع الفلسفة الوضعية وعلم العمران . فقد ذكر في عرض كلامه على ما يمكن الانسان اكتشافه وما لا يمكن ، أن من المحال أن يكتشف الإنسان المادة التي تتركب منها الكواكب . فاتفق أنه بعد ما توفي بمئتين سنة فقط اكتشف أحد الطبيعيين آلة التحليل الطيفي المسماة بالسبكتروسكوب ، فأثبت بها أن المواد الداخلة في تركيب الأجرام السماوية هي المواد نفسها الداخلة في تركيب الأرض ، أي أنها الصوديوم والبوتاسيوم والمغنيسيوم والحديد والرصاص الخ .

وبحسن بنا هنا أن نورد بعض أقوال علماء الطبيعة المعاصرين لنا في سمو نظام الوجود ، وفي عجزهم عن إدراك القوى التي تعمل فيه ، وفي حيرتهم في فهم عجائبه وإبداعاته ، وهي أقوال يجب أن توضع حيال أقوال أولئك الملاحدين الذين تقدموهم ، وينقاهم بعض الذين يلفون لفهم من الأغرار اليوم .

وما يدرون أنهم يحبون بذلك عهداً أراد الله أن لا يعود بعد أن منح الناس من البينات العلمية ما لا قبل لأحد على طمسه . قال الأستاذ ( بيو ) في كتابه ( شذرات علمية وأدبية ) :

« بقدر ما أتدبر في نظام هذا الوجود وسمته ، وفي جملة عجائبه ، أعجب من هذا الإبداع المدهش ، وأراني عاجزاً عن تحليله وإني لا أنجاسر على القول بأن تلك التفسيرات الناقصة ، والتعليقات الكاذبة أو اللبيمة التي يريد أن يقنعنا بها بعض الكتاب المعاصرين باعتبار أنها مدارك سامية ، لا تظهر بحجفة وتافهة إلا إذا قوبلت بالطبيعة نفسها ، وإن الذين تشرفوا بإدراك بعض جمالها ونذوقوه وجدوا أنفسهم مرغنين على أن يعتبروا الذين يريدون أن يشوهوا هذا الجمال بتدليسهم القبيح كفاراً ملاحدين . »

وقال الفيلسوف الانجليزى المشهور (ستوار ميل) كما نقله عنه (اللورد أفبرى) في كتابه ثمرة الحياة :

« تبدو لنا الحياة الإنسانية محاطة بغوامض الأسرار ، فترى دائرة تجاربنا الضيقة كأنها جزيرة صغيرة ضالة في بحر لا نهاية له يرفع إحساساتنا ، ويساعد قوتنا التصورية بعظمته وجلاله ، ويزيد ذلك السر غموضا أن مجال حياتنا الدنيا ليس كجزيرة في فضاء غير متناه غسب ، ولكن في زمان غير متناه أيضا »

وقال العلامة (أوليفر لودج) عميد جامعة برمنجهام في إنجلترا من خطبة خطبها في جمعية تقدم العلوم :

« إن الذى نعلمه ليس بشئ ، في جانب ما يجب علينا أن نعمله . قد يقول ذلك بعضهم بغير عقيدة راسخة ، أما بالنسبة لى أنا فهى الحقيقة الحرفية . ثم إن إرادة قصر مباحثنا على المجالات التى فتحتها نصف افتتاح ، يعتبر خيانة لمهود الرجال الذين كلفوا للحصول على حرية البحث ، وتخيبا لأقدس آمال العلم » .

وقال الأستاذ (كاميل فلامريون) الفلكى الفرنسى المشهور في كتابه (المجهول والمسائل النفسية) :

« ليس لنا علم مطلق بشئ ، من الأشياء ، فكل معارفنا نسبية أى نافصة وقاصرة . فالمقل العلمى يوجب علينا أن نتحفظ في إنكاراتنا ، ولنا الحق في أن نكون متواضعين ولنقل مع (أراغوا) : « إن الشك لدليل على التواضع ، وما أضر بتقدم العلوم إلا نادرا » ، ولكننا لا نستطيع أن نقول مثل هذا القول عن الإنكار المطاق .

« إن الذين يقولون حاشانا أن نصدق هذه المستحيلات ، لالا ، نحن لا نصدق إلا نواميس الطبيعة وهذه النواميس معروفة ، هؤلاء يشبهون قدماء الجغرافيين الذين كانوا يكتبون على خرائطهم عندما يصلون في رسمهم الى جبل طارق هذه العبارة :

( هنا تنتهى الدنيا ) ، ولم يعرفوا أن فى تلك الشقة القريبة المجهولة يوجد من الأرض ضعف ما كان يعلمه أولئك الجغرافيون الجسورون فى ذلك الحين .

« ألا إن كل ما نعرفه من العلوم الإنسانية يمكن أن يشبه بحزيرة صغيرة ، صغيرة للحد الأقصى ، محاطة بإفيانوس لا ساحل له » انتهى .

نقول : إن هذا القدر الكبير من التبصر ما وصل اليه الباحثون فى الكون إلا بعدما تبجروا فى العلم ، وأدام تبجرهم نفسه الى أنهم لا يزالون لا يعلمون شيئاً . من أحسن ما نسجله فى هذا الباب لأستاذ كبير من أركان العلم المصرى وهو السير ( وليم كروكس ) الانجليزى الذى تولى رئاسة جمعية العلماء البريطانية قوله فى خطبة له :

« من بين جميع الصفات التى عاونتنى فى مباحثى النفسية ، وذات لى طرق اكتشافاتى الطبيعية ، وكانت تلك الاكتشافات أحياناً غير منتظرة ، قلت : من تلك الصفات اعتقادى الصحيح الراسخ بجهلى . وأكث الذين يدرسون الطبيعة يستحيل أمرهم عاجلاً أو آجلاً الى إهمالهم الكلى لجانب عظيم من رأس مالمهم لعلمى المزعوم ، لأنهم يرون أن رأس مالمهم هذا وهمى محض »

ألا تعجب بعد هذه الأقوال أن ترى رجالاً لا يصلحون أن يكونوا نلاميداً لهؤلاء العلماء يتناولون الكون والكونيات بالإجمال والتفصيل ، ويتبنون فى أحكامهم عليها كأنهم وضعوها بأيديهم ؟ : ( مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ) . محمد فريد وهبى

## التقوى زينة الصالحين

خرج بعض الزهاد فى يوم عيد وليس عليه جديد ، فقبل له : لم تخرج فى مثل هذا اليوم فى مثل هذه الهيئة والناس مترنون ؟ فقال ما تزين لله تعالى بمثل طاعته .

## الهجرة النبوية

من أكبر الحوادث في تاريخ الاسلام هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة مهبط الوحي ، ومشرق ختام النبوة ، الى يثرب ، ملاذ الاسلام ، ومعشش أنصاره ، على أثر اعتراك الحق والباطل ، وطغيان الجاهلية طغيانا دفع بأهلها الى اتخاذ أفظع الوسائل للقضاء على الاسلام ، والتعفية على معالمه .

وإنما لا تون على أمة من تاريخ هذه الهجرة ، ثم معقبوها بما يجب أن يعرف من أثرها في تقوية أدلة الاسلام ، وحياطة آيته الكبرى الخالدة :

لما اشتد اضطهاد فريش للمسلمين كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على قبائل العرب فيفضي اليهم بأنه رسول من الله الى الناس كافة ، وأن نشر الدين الذي أتى به يستدعي أن ينتدب قوم للزيادة عنه وحمايته ، ثم يسألهم هل فيهم من يتحمل هذا العبء فيكون لهم ثواب الدنيا ونعيم الآخرة . فكانوا ينصرفون عنه قائلين : قوم الرجل أحق بذلك مما ، حتى قبض الله له رجالا من أهل يثرب ( المدينة ) عقلوا دعوته وفهموا مغزاها ، فوعده أن يفتحوا بذلك قومهم وضربوا له موعدا العام المقبل . فلما جاء موسم الحج حضر منهم نحو سبعين رجلا ، فتواعدوا أن يجتمعوا ليلا في بعض شعاب مكة حتى لا يشعر بهم أهل مكة ، فاجتمعوا وبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة الاسلام ، فشرح الله صدورهم له ، وعاهدوه على أن ينصروه ويؤيدوه بأموالهم وأنفسهم ضد الأبيض والأحمر ، وطلبوا اليه أن يهاجر اليهم .

فلما وثق النبي صلى الله عليه وسلم من صدقهم أمر أصحابه أن ينتقلوا الى المدينة مستخفين ، فأخذوا يتسللون من مكة في خفية حتى لا يشعر بهم المشركون فيمنعهم ، فكان أول من وصل الى المدينة مصعب بن عمير بإرسال من النبي صلى الله عليه وسلم ،

ثم تلاه عبد الله بن عبد الأسد المخزومي . ومن النساء أم سلمة زوجة عبد الله المذكور<sup>(١)</sup> .  
ثم تلاهما عمار وبلال وسعد . وتتابع سوام ، فنزلوا على أهل المدينة فأوهم وواسوم .  
ثم قدم المدينة عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة في عشرين راكبا وكان هشام  
ابن العاص واعد عمر بن الخطاب أن يهاجر معه ، وقال له : نجدني أو أجدك في محل كذا ،  
ففطن لهشام قومه فخبسوه عن الهجرة .

قال علي بن أبي طالب : ما علمت أحدا من المهاجرين هاجر إلا مستخفيا إلا عمر  
ابن الخطاب ، فإنه لما بالهجرة تقلد سيفه ، وتكسب قوسه ، وانتضى أسهما في يديه ،  
واختصر عزته ( أي علقها عند خصره ، والعزلة هي الحرية الصغيرة ) ومشى قبل الكعبة  
والملا من قریش بفنائها فطاف بالبيت سبعا ، ثم أتى المقام فصلى ركعتين ، ثم وقف  
على الخلق واحدة فواحدة وهو يقول : شأنت الوجوه ، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس  
( أي الأنوف ) من أراد أن تمككه أمه ( أي تفقده ) فليلقني وراء هذا الوادي . قال علي :  
فما تبمه أحد .

واستمرت المهاجرة حتى لم يبق في مكة غير النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر  
وعلى ونفر من المستضعفين .

فلما رأى ذلك أبو جهل وأخوه الحارث بن هشام<sup>(٢)</sup> شخصا إلى المدينة فكلما  
عياش بن أبي ربيعة ، وكان أخاها لأُمهم ، وابن عمهما ، فقالا له : إن أمك  
نذرت ألا تنسل رأسها ، ولا يمسسه مشط ، ولا تستظل من شمس حتى تراك وأنت  
في دين منه البر بالوالدين ، فارجع لى أمك واعبد ربك كما تعبد على دينك الجديد  
لتنفذ والدتك مما وقعت فيه . فرقت نفس عياش وصدقهما . فقال له عمر : ما يريدان  
إلا فتلتك عن دينك فاحذرهما . فرد عليه عياش بقوله : أبر بأُمي ولي هتك مال آخذة ،

(١) عبد الله بن عبد الأسد المخزومي زوج أم سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخوه من الرضاع  
وابن عمته « ص ٥٥ السيرة النبوية لأحمد زين دحلان » : (٢) الحارث بن هشام أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه



وخرج . فلما بعدوا عن المدينة أوثقاه كسفا وضربه كل منهما مائة جلدة ، ثم دخلوا به مكة فأنقروه في الشمس ، وحلفت أمه أن لا يخلى عنه حتى يرجع الى ما كان عليه . ثم حبس مع هشام وغيره مقيدين بالحديد . فتنجا منهم الوائد بن الوليد وهاجر الى المدينة ، ثم عاد الى مكة مستخفيا واحتال حتى خلص عياشا وهشاما من الأسر .

ولما أراد صهيب الهجرة <sup>(١)</sup> خرج وراءه رجال وأرادوا القبض عليه ، فنزل عن راحلته وانتقل ما في كنانته من سهام ثم قال : يا معشر قريش قد علمتم أنني من أركم رجلا وإيم الله لا تصلون الى حتى أرمي بكل سهم من كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقى في يدي شيء منه ، ثم افعلوا ما شئتم . وإن أردتم غير هذا دللتكم على مالى بمكة وخائيم سبيلي . فقالوا : نعم . فذهب على ماله وتركوه .

فلما لم يبق في مكة غير النبي صلى الله عليه وسلم وعلى وأبي بكر والمستضعفين المعتقلين عند المشركين ، استأذن أبو بكر في الهجرة ، فلم يأذن له قائلا : لعل الله يجعل لك صاحبا . فطمع أبو بكر في أن يكون ذلك صاحب هو رسول الله نفسه ، وسأله : أترجو يا رسول الله أن يأذن لك الله في الهجرة ؟ قال : نعم . فأخذ أبو بكر يعد لنفسه ولنبي صلى الله عليه وسلم راحلتين نجيبتين ، وكان يعلفها ويعتنى بهما ليصاحبا لهذه المهمة . فلما رأت قريش أنه قد صار للمسلمين ركن يأوون إليه ، وسند يعتمدون عليه اجتمعوا في دار ندونهم ، وهي دار قصي بن كلاب ، وكان لها باب الى المسجد أعدت للاجتماع والمشاورة ، وكانت قريش لا تمنح أمرا إلا فيها ، وكانوا لا يدخلون فيها غير قرشي إلا إذا جاوزت سنة أربعين سنة . فاجتمع فيها للتشاور في أمر النبي صلى الله عليه وسلم نحو مائة من شيوخهم وأولى الأشراف منهم من بنى عبد شمس وبنى نوفل وبنى عبد الدار ، وبنى أسد ، وبنى مخزوم ، وبنى جهم ، وبنى الحارث ، وبنى كعب ، وبنى تيم ، وبنى عدي ، وغيرهم ، فافتتح الكلام رجل منهم فقال : إن هذا الرجل بهي (محمد) (١)

(١) أصله عبد ربي أسلم وخرج مهاجرا .

قد كان من أمره ما رأيتم وأنا والله لا نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأيا .

فقال أبو البحتري بن هشام : نعم وأنا أرى أن نعتقلوه وتكبلوه بالحديد ، ثم تربص به ما أصاب أشياؤه من الشعراء قبله .

فقال شيخ كان بالحباس ، كأنه من أهل نجد : ما هذا برأى ، والله لو حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلا تشكوا أن يثبوا عليكم فينزعه من أيديكم ، ثم يكأروكم به حتى يقبلوكم على أمركم ، ما هذا برأى ، فانظروا في غيره .

فقال أبو الأسود ربيعة بن عمرو العاصري : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالي أين ذهب .

فقال الشيخ النجدي : والله ما هذا برأى ، ألم تروا حسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحبل على حي من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى يتابعوه عليكم ، ثم يسير بهم اليكم حتى يأتكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، أديروا فيه رأيا غير هذا . فقال أبو جهل : والله إن لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه ، أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتي شابا جلدا ثم يعطى كل فتي منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه ، ويتفرق دمه في القبائل ، فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فنعقله لهم ( أى نمطه ديتهم لهم ) .

فقال الشيخ النجدي : القول ما قل ، لا أرى غيره . فأجمع رأى قريش على قتله ، وتفرق زعماءها على ذلك ، واعتزموا أن يبادروا بتنفيذه .

فأوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما أجمعوا عليه من أمرهم ، فاحتاط له . فقرر أن لا يبيت في داره ، وأن يعمل في سريره غيره . ففأصح عليا بما عزم عليه من الهجرة

مع أبي بكر في غفلة من المشركين ، وأمره أن يبيت على فراشه في برده التي كان اعتاد أن يتغطى بها ، ثم أن يلمت بمكة حتى يؤدي الودائع التي كانت لديه إلى أصحابها ، ثم يلحق به . وكان الناس لشهرة النبي صلى الله عليه وسلم بالأمانة يودعونهم أموالهم ونفائسهم فيجعلها لديه تحت طاعتهم .

فلما جن الليل وأقبل كل إنسان بابه احتشدوا حول داره مدحجين بالسلاح ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد لزم دار أبي بكر تلك الليلة يستعد للخروج سرا . ونام على سريره وتغطى ببرده ، فكان المحاصرون ينظرون من خصاص الباب ( أي شقوقه ) فيجدون عليا فوق فراشه فيظنون محمدا ، فأخذوا يأترون أيهم يدخل إليه فيوثقه كتافا ، ثم انفقوا أن يتسوروا عليه الجدار ، ففعلوا . فقام على يديهم ، فلما رأوه سقط في أيديهم . فسألوه أين صاحبك ؟ فقال لهم علي : لا أدري ، فضربوه واستاقوه إلى المسجد ، فحسوه به ساعة ثم خلوا سبيله .

أما النبي صلى الله عليه وسلم فلبث في دار أبي بكر يتجهز للمسير ليلا ، وأتى أبو بكر بالبعيرين فركب أحدهما وركب الآخر صاحبه ، وخرجا جادين في السير حتى انتهيا إلى غار يقال له غار ثور فتمواريا فيه ، وكان موحشا لا يجرؤ أحد أن يدخله تخاميا مما عسى أن يكون فيه من الحيوانات السامة .

فلما أصبح المشركون وعلموا أن النبي وأبا بكر قد خرجا تتبعوهما ، ومعهم قائف يقص أثرهما حتى انتهوا إلى ذلك الغار ، فجعل بعضهم ينظر فيه ، وبعضهم يطوف حوله ينظر هل تجاوزاه ، ولم يجرؤ أحد منهم أن يدخله خشية أن يكون فيه من الأفاعي والعقارب ما يورده حتفه ، ثم لما أعيام الأمر انصرفوا عنه .

لبث النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار ثلاث ليال في حالة لم تتفق لبشر قبلهما ، حتى كاد يئأس أبو بكر من الخلاص ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يهدي روعه ويقول له كما رواه عنه الكتاب الكريم : « لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا »

وكان يبيت معهما في الغار عيد الله بن أبي بكر ، وكان غلاما فطنا حاذقا ، فكان يدلج من عندهما بسحر حتى يأتي مكة فيصبح مع قريش كبائت فيها ، فيتسمع أخبارهم حتى إذا جن الليل لحق بهما فأخبرهما بما سمع به ، ويقضى الليل معهما ، ثم يعود بنفسه الى مكة ، فعل ذلك طوال مكثهما بالغار ، فلم يفطن اليه أحد .

وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رعى غنما لسيده ، فكان يروح عيما بالغنم كل ليلة فيحلبان ويشربان ، ثم يسرح بكرة فيصبح في رعيان الناس فلا يفطن له أحد ، وكان عامر هذ ممنوكا لبعض المشركين ، فلما أسلم والنبي بمكة كان مولاه يعذبه عذابا نكرا ، فاشتراه أبو بكر واعتقه فيمن أعتقه من مساهي العبدان .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استأجر قبل خروجه من مكة دليلا هو عبد الله بن أريقط ، فأماهما براحتين صبح ثلاث ، فركباهما وانطلق معهما عامر بن فهيرة يخدمهما في الطريق ، فكان أبو بكر يردفه خلقه تارة ، ويتعاقب معه في الركوب تارة أخرى . فأخذ لدليل بهما طريق الساحل ، ثم أجازهما حتى عارضا الطريق . وكان أبو بكر إذا سأله سائل ممن يمر بهم من معارفه عن الذي معه ، يجيبه بأنه هاد يهديه الطريق .

وبلغ أهل المدينة أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من مكة مهاجرا إليهم ، فكانوا يخرجون كل يوم ينتظرونه في ضاحيتها لا تردم إلا الهاجرة ، فانقلبوا يوما وقد طال انتظارهم وإذا رجل من اليهود صعد على محل مرتفع لأمر ينظر إليه ، فبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا بسيف ثيابا بيضاء كسائم إياها الزبير وطالعة وقد صادفهم في الطريق ، فلما رآهم ذلك اليهودي نادى بأعلى صوته : يا معشر العرب هذا جدكم ، أي حظكم لدى تنتظرونه ، فنار الناس الى السلاح فتناقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وهما في ظل نخلة كانت في ضاحية المدينة ، وكانوا زهاء خمسمائة ،

فر كبا وعدلا ذات اليمين الى قبا، في محلة بنى عمرو بن عوف ، فنزلا عند شيخها كلثوم ابن الهدم ، وقيل سعد بن خيشمة ، وبنو عمرو هؤلاء من بنى الأوس .

وكان تعرج النبي صلى الله عليه وسلم على قبا، ليصلى الجمعة التي أدركته وهو سائر .  
فما حفظ من خطبته في ذلك الموطن قوله : « فن استطاع أن يبق وجهه من النار ولو بشق تمرة فاي فعل ، ومن لم يحده فبكلمة طيبة فإنها تجزئ الحسنه بمشر أمثالها لى سبعاثة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

ثم ركب متوجها الى المدينة وهو مردف أبا بكر رضى الله عنه خلفه إكراماله وتو ضعا لله جل وعز حتى دخل المدينة .

قال البراء بن عازب : ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن أنس بن مالك : لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أضاء منها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير ( أى الأسطحة ) بهتفن بقولهن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع  
أيها اليمعوث فينا جئت بالأمر المطاع

فكان النبي صلى الله عليه وسلم كلما مر بمحلة من محلات الأنصار يدعوهم للنزول عندهم فيشكروهم ، وما زال سائرا حتى أتاه عند بيت أبى أيوب الأنصارى ، وهو من بنى النجار أخوال جده عبد المطلب .

هذا حديث عن الهجرة المحمدية ، والهجرة على إطلاقها كانت في كل أدوار التاريخ مظهرا من مظاهر الصراع بين الحق والباطل ، فقد يطغى هذا الباطل ، وتشتد صواته ، ويتفاقم خطره ، حتى يجئ لرأيه أنه قد تنلب على خصمه ، فلا يلبث أن يكر الحق عليه فيرديه قبل أن يفيق من سكرة وهمه .

هكذا كان الشأن في كل زمان ومكان ، وعلى هذه السنة الإلهية نفسها كانت العاقبة للإسلام : ( أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ . سَيَرْجِعُ الْجَمْعُ وَيُؤْتُونَ الدُّبْرَ . بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ) .

للمدافع عن الاسلام ضد سفسطات المستشرقين ومقلديهم مدد برهاني ناحيته الهجرة ليس في وسع أدهي محاولة كلامية أن تقف في سبيله ، وذلك أن بعض هؤلاء المستشرقين لما هالهم نجاح النبي صلى الله عليه وسلم في المهمة التي نذبه الله لها في بيئة من أعصى البيئات على مثلها ، زعموا أن قریشا كانت قبيل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم في دور نهضة اجتماعية ودينية ، وأن دعوة النبي صادفت هذا العهد فتججت نجاحا لا يحدنا التاريخ عن مثله ، فاحتاج للمدافع عن الاسلام أمام هذه الشبهة الى دليل محسوس يدل على فساد هذه السفطة ويكون من القوة ووضوح الدلالة بحيث لا يدع للزخارف الكلامية ساطانا على العقول .

فوجد في الهجرة هذا الدليل المحسوس ، فان قوما يلبث فيهم مصاحبه الاجتماعى ثلاثة عشر سنة يدعوم الى تحكيم العقل فيما يعبدون وما يعتقدون ، والقيام على سنة الحق فيما يعملون وما يقصدون ، ضاربا لهم الأمثال ، ومستشهدا بالتاريخ وما جريات الأحوال ، قلنا : إن قوما على هذا النحو من الجود على القديم الرث ، والمقام على الباطل المحض ، لجديرون بأن لا يعتبروا في دور نهضة دينية أو اجتماعية ، بل خالقون بأن يكونوا مضرب الأمثال في العز بالنواجذ على التقاليد البالية ، والاستقامة المطلقة للباطل الموروث .

فبطلت بذلك تلك الشبهة التي كان يثيرها أعداء الاسلام للفض من هذه المعجزة الخالدة لخاتم المرسلين ، وكانت الهجرة النبوية وقاء لهذه المعجزة الكبرى من أن تتداولها أقلام المشككين ، وتطفئ من نورها أفواه المارقين ، والله غالب على أمره .  
محمد فريد وجدي

## ذكرى الهجرة النبوية

انقصيدة التي أنشأها فضيلة الأستاذ لشيخ عبد الفتاح بدوى المدرس بالمعهد الأزهرى وألقاها فى الحفلة التي أقامتها المشيخة بالجامع الأزهر الشريف فى مفتتح المحرم سنة ١٣٥٣ هـ .

أضياء فاستخرج الدنيا من الظلم	نور من الله فى نور من النسم
ونفحة من حياة الحق خالصة	فاضت فأحييت بنى الانسان من عدم
وقبسة من جمال الله زان بها	أرض الحجاز فكانت روضة الحرم
محمد سيد الدنيا إذا نفقت	سوق الفضائل والأخلاق والهمم
تبلجت عن جبين الصبح طلعتة	فكشفت عن جليل الخلق والشيم

\* \*

فى معشر لهم فى كل مجهلة	سوق من الحرب أو سوق من الكلم
طارت بهم فى مهاوى النجم واغتربت	ضغائن خضيت أحقادها بدم
تصددهم عن مجالى المجد شعودة	ألفت عقولهم فى غيب الظلم
يستوقدون من التيران آلهة	وينحتون من الأحجار والرَّجَم
فقام فيهم رسول الله منصلتا	كالسيف يدعو الى التوحيد والحكم
لا تمبدوا غير رب واحد أحد	هو الذى برأ الدنيا من العدم

\* \*

يا صبيحة هزت الأيام فازدهرت	وأنبئت أى خير نافع عمم
وفتحت من علوم الكون أعينها	كانها قبل ما أغفت ولم تنم
تضوعت واستطارت ضحوة وغدا	يجرى اليها ذوو الأبصار والفهم

السابقون الى الاسلام يحفزهم شوق الى ورد هذا السائغ الشيم

\* \*

فاستكبر الجمع واستغشوا ثيابهم من الحديد وقادوا الخيل في الهمم  
واستصرخوا كل مكروه ومظلمة واستنصروا كل بني معتد أنهم  
وقطمو لك أرحاما مؤشجة وكنت فبهم لذا قربى وذارحم  
تغريهم من نخوة بالكفر جاهلة تلقي الخلائق منها شر مقتحم  
إن الخفافيش إن تُنفب الظلام تطر فيه وإن أظهر الأنوار تنعدم

\* \*

قلت تطلب بالحسنى هدايتهم سرا وما الطيب في سر ينفكتم  
يادار (أرقم) كم شاهدت معجزة من الرسول وكم شاهدت من عظم  
عهد الأرقام أن السم يسكنها ودار أرقم فيها البرء من سقم  
فجمعوا لك ما شاءت غوايتهم ودبروا لك ما استطاعوا من التهم  
السحر والشعر أو جن يعلمه أو الكهانة بالأفلاك والنجم  
بل السموات مهدها ومرشدته وفي السموات مجرى الألواح والقلم

\* \*

يبيتون وعين الله ساهرة ترعاك والله بحمي كل معصم  
سلوا السيوف وقاموا عصبة ندبا يلب بيتك في داج من الظلم  
أيهجمون وهذا السيف منصلت أم ينظرونك حتى الملتقى بهم ؟  
فيم التردد إلا أن باطلهم سل العزيمة واستولى على الهمم ؟  
الحق يعلو يد الرحمن ترفعه والظلم إن قيل هذا الحق لم يغم

\* \*

ضافوا عن الرشد ذرعا فالتفت له أرضا سوام وست الأمر بالحكم



ثم يا على مكاني لا تخف ضررا  
واردد على الناس من بعدى أمانهم  
نَسَجَ بالبردة الخضراء واعتصم  
إن الرسول لأوفى الناس بالذمم

\* \*

فذاك ياخير مبعوث الى الأمم  
أبام ملء جفوني غير مكترث  
فقولك الحق لى لا ضير ثم ثم  
وأرهب الختف يلقاني على أمم  
ولا فوات ولا منجا لمنهزم  
وإن يكن غير مقدور على جسدى  
فكيف أهرب مما ليس من قسمى  
الله أكبر هذا منطق نسجت  
أَمْشَاجَهُ قُوَّةُ الْإِيْمَانِ بِالْحَكَمِ  
إني هنا يارسول الله، فانطلقت  
ملائك الله فى رعياء كالخشم  
يقول مولى الموالى ياملائكتى  
هذا على وهذا موقف الكرم  
إني أباهى به الأملاك فانطلقوا  
لتحرسوه من الأعداء فى الظلم

\* \*

وقت تخرج لا نكساً ولا وجلاً  
ناموا وقوفاً؟ لئن ناموا لقد وقعوا  
وتنثر التراب رغماً فى وجوههم  
(يس) كانت عليهم سكرة هبطت  
اسكنهم لبثوا ساقى على قدم  
لا نور فى العين يهديها ويرشدها  
فبدلت كل طرف مبصر بعمى  
نور الرسالة عشتى من عيونهم

\* \*

للغار للغار يا صديق ، فانطلقا  
إن كنت بالله معتزاً وذا ثقة  
والغار أقرب فى رأى الى التهم  
قصوا الطريق فلما أوشكوا ودّوا  
فألق نفسك إن البحر كالأطم  
من يحمه الله يأمن كل كارثة  
عادوا بخينة واهى العزم منفعم  
ويستظل بأمن فى حماه حمى

يَأْتَانِي أَتَيْنَ لَاسِيفٌ يُذَادِبُهُ وَلَا أُوْءَلٌ مِنْ دَرَعٍ وَمِنْ لَوْمٍ  
تَقُولُ لَا تَحْزَنْ أَنَّ اللَّهَ يَنْعَمُنَا نَعْمَ فَلَسْتُ عَلَى غَيْبٍ بِتَمِّمْ

\* \*

سَلُّوا سِرَاقَةً كَمْ سَاخَتْ قَوَائِمُهَا فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ صَخْرًا جَائِي الْأُدْمِ  
تَجْرِي بِهِ فَرَسٌ كَالرَّيْحِ سَابِقَةً تَكَادُ تَذْرُكُ إِلَّا سَيِّدَ الْأُمِّ  
وَأَسْتَطِيرَ بِهِ فِي الْجَوِّ جَائِزَةً يَنْهَالُهَا مَائَةً عَدًّا مِنْ النِّعَمِ  
قَفْ بِسِرَاقَةٍ، بَلْ يَا أَرْضُ فَاقْبَلِي قَوَائِمَ الْفَرَسِ النَّهَابَةِ الْقُدَمِ  
فَكَانَ قَوْلُكَ قَوْلًا لَا مَرَدَّ لَهُ وَكَانَتِ الْأَرْضُ قَيْدًا غَيْرَ مُنْقَضِمِ

\* \*

وَأَسْتَشْهِدُكَ النِّعْمَةَ الْعَجْفَاءَ مِنْ كِبَرٍ تَكَادُ تَسْقُطُ مِنْ ضَعْفٍ عَلَى وَضَمٍ  
يَا أُمَّ مَعْبِدٍ أَتَيْنَا عَلَى عَجَلٍ يَا اسْتَطَعْتَ لِأَضْيَافٍ مِنَ الْكُفْرِ  
فَلَسْتُ رَحِمْتُ وَأَجَابْتُ لَيْسَ بِالْهَفِي عِنْدِي مِنَ الزَّادِ شَيْءٍ يَرْجِي لِقَمِ  
أَنَا وَنَمَجِّي الْعَجْفَاءَ مِنْ سَعَبٍ نَطَوَى وَنَقَاتِ جَوْعًا مُحْرِقِ الْقُفْرِ  
قَوْمِي إِلَيْهَا فَهَاتِيهَا مَبَارَكَةً سَيَنْزِلُ اللَّهُ مِنْهَا الدَّرُّ فِي عُمْرِ  
وَمَسْ ضَرْمُهَا كَفَ النَّبِيَّ فَمَا أَكَدْتُ وَدَرْتُ بِغَيْثِ هَاطِلِ عَمِّ  
كَفَ بِسَبْحِ فِيهَا الصُّخْرِ مَعْجَزَةً وَيَنْبِغُ الْمَاءُ مِنْهَا سَائِغُ الطَّعْمِ  
وَتَرْجِعُ الْعَيْنُ لِلْإِبْصَارِ ثَانِيَةً مِنْ بَعْدِ مَا قُلَعْتُ وَأَضْرَجْتُ بِدَمِ

\* \*

كَمْ مَعْجَزَاتٍ وَكَمْ عِزَمٍ بَهَرَتْ بِهِ يَغْدُو وَيَرْجِعُ فِي حَرْبٍ وَفِي سَلَمِ  
حَتَّى تَوَطَّدَ لِلْإِسْلَامِ مَأْمَنُهُ وَظَالِلَ النَّاسِ مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمِ  
وَهَذَا لِلْفَرَسِ رَكْنًا كَانَ مَقْسُفًا وَوَسَلَّ الرُّومَ عَرْشًا كَانَ فِي شَتَمِ  
وَبَثْ بِالْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ دَعْوَتُهُ يَدْعُو إِلَى شِرْعَةٍ وَضَاحَةِ الْقَسَمِ

هنا لك العز تقوى ، والملا عمل والمجد بر وخير للعباد هم  
والله معبود كل لناس قاطبة والعقل في ضوء دين غير منهم

\* \*

لعلنا ترجع الأيام سيرتها ويصمد الدهر بالاسلام للقيم  
في ذمة الشرق عهد فأبوف به أن يدعو الناس بالحسن لدينهم

\* \*

وللمليك فؤاد همة عرفت في نصرة الدين تغني القول عن قسم  
في كل مشرق شمس من مكارمه تسرى الفواضل مسرى البرء في السقم  
يوفق الله مسعاء ويكاؤه ويحفظ الله دين الله للأهم

## تبعات الغنى والفقر

روى عن ابن المعتز السلمي قال :

لناس ثلاثة أصناف : أغنياء ، وفقراء ، وأوساط . فالفقراء موتى إلا من أغناه الله بعز القناعة ،  
والأغنياء سكارى إلا من عصمه الله تعالى بتوقع الغير . وأكثر الخير مع أكثر الأوساط .  
وأكثر الشر مع أكثر الفقراء والأغنياء . سخف الفقر وبطر الغنى .

وكان الأوزاعي الفقيه المشهور كثيرا ما ينشد :

المال ينفد حله وحرامه يوما ويبقى بعد ذلك أمانه  
ليس التقى يمتق لاله حتى يطيب ثراه وطعامه  
ويطيب ما يجنى ويكسب أهله ويطيب من لفظ الحديث كلامه  
نطق النبي لنا به عن ربه فعلى النبي صلاته وسلامه

وقال يحيى بن معاذ : الدرهم عقرب ، فإن أحسنت رقيتها وإلا فلا تأخذها .

ومعنى هذا الكلام أن في المال تبعة ، فإن أحسنت وضعه فيما يجب أن يوضع فيه ، وإلا

فابتعد عنه إلا ما لا بد لك منه .

## الجمع بين البنت وامرأة أبيها

في عصمة رجل واحد

رورد إداة المجلة ما يلى :

تزوج رجل امرأة وأنجب منها بنتا، فتزوجت البنت رجلا، ثم ماتت أمها فتزوج والدها امرأة أخرى ثم توفى، أيحل لزواج البنت زواج امرأة أبيها أم لا ؟

زكى عبد الجواد ابراهيم

مدرس بمدرسة كفر المناش — بيا

## الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

يحل لزواج البنت أن يتزوج امرأة أبيها، لأن الضابط في ذلك أننا نقدر إحداها ذكرا والآخرى أنثى، فإذا حلت الأنثى للذكر جاز الجمع بينهما، ولا لم يحز الجمع. ولا بد أن يكون التقدير المذكور لسكل منهما، فلا يجوز مثلا أن يجمع بين البنت وخالتها، لأننا لو قدرنا البنت ذكرا لم يحز أن ينكح الأخرى لأنها خالته، ولو قدرنا الخالة ذكرا لم يحز له أن ينكح الأخرى لأنها بنت أخته .

أما مسألتنا هذه فالتحريم فيها على هذا التقدير ليس إلا من جهة واحدة، فإن البنت لو قدرت ذكرا لم يحل له نكاح امرأة أبيه، ولكن امرأة الأب لو قدرت ذكرا لجاز له نكاح الأخرى، فإنها تكون أجنبية منه . ولا يتصور في هذا الحال أن تكون بنت زوج، بل تكون بنت رجل أجنبي .

والمسألة واضحة لا تحتاج الى إطناب . وقد علمت القاعدة في ذلك .

## هل للحسد تأثير في المحسود

وجاءنا من حضرة محمد محمد نصار برفيئة مشنول السؤال الآتى :

هل لعين الحاسد تأثير يعود على المحسود ؟ فإن عندنا قوما ينكرون ذلك . نرجو شرح هذا الموضوع شرحا وافيا ، مع إقامة الدليل القاطع من الكتاب والسنة . ثم ذكر أسئلة أخرى نأتى عليها في العدد القادم إن شاء الله .

### الجواب

نعم للحسد تأثير كبير . وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة ، وبديل عليه كتاب الله أيضا . وهو من قبيل التأثير النفساني الذي لا يتوقف على تلك القوانين المعروفة في تأثير الأجسام . ومن الغلط البين إنكار كل ما لم يعرف سره ولم يوقف على كنهه . ومن الجهل الفاحش أن ترجع كل شيء إلى ما عرفت من نواميس المحسوسات ، وأن تقيس ما لم تعلم على ما علمت ، فإن لكل عالم من العوالم أحكاما تخصه .

وقد أمر الله نبيه أن يستعين من شر حاسد إذا حسد ؛ ووصى يعقوب صلى الله عليه وسلم نبيه عند ما توجهوا إلى مصر ألا يدخلوها من باب واحد وأن يدخلوها من أبواب متفرقة خوفا عليهم من الحسد ، كما عاينه جمهور المفسرين ومحققوهم .

وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « العين حق » وروى مسلم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين » .

والنصوص صريحة في ذلك ، وهي كثيرة ، وكل شيء لا يؤدي إلى قاب حقيقة ولا مصادمة برهان قاطع فهو من الممكّنات التي يجوزها العقل . وما أخبر الشرع بوقوعه من ذلك وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وإنكاره .

وإجمال القول أن قول المنكرين مدفوع بالأدلة المتكاثرة ، وإجماع من يمتد به من هذه الأمة سلفا وخلفا ، وبما هو مشاهد في الوجود .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسنين رضى الله عنهما بقوله : « أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة » . وكان يقول : « كان أبوكما إبراهيم يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق عليهم السلام » .

وقد قالوا إن النفوس الخبيثة التى تقوى فى خبثها وتتأصل الشر فيها بسبب من الأسباب كالرياضة والمجاهدة والمثابرة على خطتها الشريرة مثلاً ، يمكنها أن تتسلط على من أرادته بالتوجه التام والعزيمة الصادقة ، الى أن يحصل تأثره بنحو مرض وذبول جسم ، وقد يصل ذلك الى الهلاك . وكما يحصل تأثير جسم عنصرى فى جسم عنصرى كالأدوية والسموم فى متعاطيها ، كذلك يحصل تأثير نفس قوية فى نفس أخرى . وهامى ذى نفوسنا تؤثر فى أبداننا ، فإذا قويت أمكنها أن تؤثر فى غير بدننا ، كما قرره فلاسفة الاسلام وغيرهم ، ولاشياء المحسوسة مختلفة الخواص كما هو معروف ، فكذلك النفوس مختلفة أيضاً جد الاختلاف .

## الخلاصة

والخلاصة أن الروح لها من التأثيرات المعجبية ما يزيد على كل ما نعرف من تأثيرات الأجسام ، فإنها أقبل للفيض الإلهى فى كل شئ . وكل ما كان من العالم الأدنى فهو تحت تصرف ما يكون من العالم الأعلى دون العكس ، ولكن تأثيراتها ليست على نحو ما تمهد من قوانين تأثيرات الأجسام ، فإنها تؤثر فى الأشياء البعيدة عنها من غير مماسة ولا مجاورة .

وحال الحاسد مع المحسود هو من هذا القليل ، والحوادث فى ذلك متواترة ، وإن شئت فقل مشاهدة محسوسة . فإن كثرت ممن لا ينكر المتواترات ولا يؤول القطعيات ، فأنظر كيف يؤثر الحاسد بنفسه الشريرة فى المحسود ، ولو كان من أقوى الأقوياء وأعظم الأشياء ، بمجرد توجهه اليه واتفعال نفسه باستحسانه . وأما أهمل الدكتور رشدى بك

فى كتابه فى التنويم المغناطيسى لذلك بأنه من تأثير الاعتقاد، فلا يكاد يقرب من الصواب، فإن الحاسد يؤثر فى الحيوان الأعجم، وفى النباتات والأشجار مما لا يتأتى منه الاعتقاد. وإن أردت البرهان الحسى على ما ذكرناه من كلام أرباب العلوم الحديثة والمكتشفات الجديدة فطالع ما ينقل عن علماء الانتزيم (التنويم المغناطيسى) حتى تعرف مقدار ما وصلت إليه روح النوم (بالسكر) من التأثير فى النوم (بالفتح) الذى يكون طوع إشارته فى كل شئ، حتى لو أمره أن يقتحم لجة البحر أو وهج النار ما استطاع أن يخالف له أمراً أو يمسى له إرادة. بل ذكروا أغرب من هذا، وهو أنه إذا وقع فى نفسه أن يقتل أحداً بادر للنوم إلى قتله من غير أن يأمره بشئ، أو يثلف له بكلمة. ولا بعد فى هذا فإن النفوس تحس بما فى النفوس، فإذا أحست به (وقد فرضناها خاضعة لسلطان هاتيك النفس الأخرى منفذة لأرادتها) لم يكن ما سمعناه عنهم بدعاً من العلم أصلاً.

وللتنويم المغناطيسى عجائب كثيرة تكفى للماديين وتشهد الروحانيين، وكلها تؤيد ما جاء فى الكتاب والسنة من عمل الأرواح التى خرقت نوبس المادة وقضت على الماديين: (سَتْرِبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَلْهُوقٌ). ويمكن كل إنسان الآن أن يعرف تلك العجائب النفسية بالمشاهدة، فإنها أصبحت لمس اليد ورأى العين. ولا يمكننا فى هذه العجالة أكثر من هذا. أسأل الله ألا يجعلك ممن كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه بمنه وكرمه.

يوسف الرجبوى

من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

## الاسلام والعقل

سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام له بالإسلام صلة كبيرة ، والإسلام له به مزيد عناية وعظيم اهتمام ، حتى ذكره في سمت العبادة وأقدس الواجبات ، بل قرن اسمه باسم رسول هذه الأمة في كثير من الشئون الدينية . حَضَّنَا التَّشْرِيعُ الْإِسْلَامِيَّ عَلَى اقْتِفَاءِ أَثَرِهِ وَتَتَبِعِ خَطَوَاتِهِ ، وَأَنْ نَقْتَاتِسَ بِهِ اقْتِيَّاسًا ، وَنَقْسِمَ بِسِيَّاهُ ، وَنَسْتَنْجِسَ سَبِيلَهُ ، وَنَأْخُذَ مَا خُذَهُ . وما كان هذا كله عن حسن صدقة ولا جاء عن غير قصد . نعم جاء دفعا للمسلمين وحفزاً لهم الى طريق البرهان ، وسوقاً لهم الى سبيل النظر والاستدلال ، واستعمال العقول فيما خلقت له من بحث في أسرار الموجودات ، واستكناه حقائق الأشياء .

حقاً لقد دفع الإسلام المسلمين الى استعمال عقولهم ، واستخراج المجهولات بواسطة استعمال تلك العقول ، كما استعمل عقله واستنتج المجهولات بثاقب فكره سيد أهل النظر والاستدلال : سيدنا ابراهيم عليه السلام .

يشير التشريع الاسلامي بمجموع تلك الآيات التي وردت تحضنا على ترسم خطوات الخليل عليه السلام واقتفاء أثره الى أن هذين الطريقين (طريق الاسلام وطريق الخليل) كأنما شقا من نبعة واحدة ، وجاء على غرار واحد ، وقد آمن أديم لا يختلف .

ونحن إذا ذكرنا لك شيئاً مما ورد عن سيدنا ابراهيم استبان لك في وضوح وجلاء أحقية ما ذهبنا اليه ، وبأن لك سر تلك الآيات العديدة التي تدفعنا الى فيالة الرأي وصائبه من اتباع ملة ابراهيم وأنه أبو المسلمين ومن المسلمين « ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين » « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً » ووضع لك أنها حنيفة مائلة عن كل ما تقدمها في أسلوبها ومنهجها « لكل جعلنا منكم شرعة



ومنهاجا» وعلمت ما تشير اليه تلك الآيات من الصلة بيننا وبين سيدنا ابراهيم، صلة تزيد عن النسب، وتتجاوز تلك الصلة وتعلو عليها. تلك الصلة التي نجعل شريعتنا وسبيل سيدنا ابراهيم فرعى نبعة وغصنى دوحة، فكأنهما نشأ فى عش، ودرجا من وكر، ومهدا فى حجر؛ وبأن لك أنها صلة عالمية تزيد فضلا عن صلة القرابة والنسب.

اشتهر سيدنا ابراهيم بمتابعة مائت عليه الوجود، ودل عليه البيان، وقبلة الطبايع، فتحدى قومه بهذا الأسوب المضم، وأخذ عليهم جميع السبل بذلك المنهاج الوضاء، فلو لم يرد ذكره فى عداد الأنبياء والرسل لكان بحق صديق العقل الحميم، والمضطلع بالبرهان، وحامل لواء الفلاسفة. كم يكون نهيار الفيلسوف عندما تشرق عليه شمس البرهان من قول سيدنا ابراهيم عليه السلام للذى آناه الله الملك: «ربى الذى يحى ويميت»، قال أنا أحى وأميت، قال ابراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فهبت الذى كفر» انظر كيف نال الحجة من أفقية أولئك الذين تلفح وجوههم حرارة البرهان المحرقة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها.

انظر كيف يتصرف مع آية وقومه تلك التصرفات التى تلجهم الى الاتقياد لها أو التسليم له، فإن لم يفعلوا كانوا معاندين، وبذلك يسقطون عن مصاف العقلاء» وإذا قال ابراهيم لأبيه أزرأ اتخذ أصناما آلهة بنى أراك وقومك فى ضلال مبين» ثم يتربص بهم حتى يحن عليهم الليل لينال منهم بالبرهان المحس، ويصدف بهم عما هم عليه من زيف وبهتان، وليبين لهم أن أكبر العوالم فى نظرهم وأعظم آيات الوجود المشاهدة لديهم مسخرة فى جو السماء والأرض ما يسكنن إلا الله، وأنها لم تعد باقى الخلقوات «فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى، فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر، فلما أفلت قال يا قوم بنى برىء مما تشركون. إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين».

يرخى العنان لخصومه ثم يستدرجهم حتى يضع أيديهم على الشواهد المحسنة ، والبراهين الملموسة ، والدلائل الواضحة الجلية .

لم يكتف ابراهيم بإقامة الحجة فحسب ، بل أراد أن ياجتثهم لى الايمان إلهاء ، أو يضطرم اليه على الرغم من معاطسهم ومراغفهم حيث يقول لأبيه وقومه : « ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين . قالوا أجتنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جُذاداً إلا كبيراً لهم لعلمهم إليه يرجعون . قالوا من قبل هذا بآلهتنا إنهم للظالمين . قالو سمعنا ففى ذكرهم يقال له إبراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلمهم يشهدون . قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون » الى أن قال : « قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون » . ثم يقول فى موضع آخر : « قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون . فإنهم عدو لى إلا رب العالمين . الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطمعنى ويسقن . وإذا مرضت فهو يشفين . والذى يميتنى ثم يحيينى الخ . . وهكذا مما يطول ذكره وتعداده . فانظر الى سيدنا إبراهيم كيف يناضل ، وكيف يكافح ، وكيف يهاجم ، وكيف يهادن ، حتى لا يبق لهم عذرا ، وكيف يوقفهم أمام أمر واقع لا حيدة لهم عن أحد أمرين : إما التسليم ويكون قد نجا بهم من ظلمات الضلال والشرك ، وإما العناد وبذلك يكون قد بالغ فى التبليغ عن ربه وأعذر .

لذلك كله تجدد التشريع الاسلامى محشوا بالإشادة بذكر ابراهيم عليه السلام ، أمرا بتتبع خطواته ، كما جاء القرآن ، لينصر العقل ويصافيه ، ويتخذة خليلا له ويناجيه ، فلم يهمله فى ناحية ، ولا خذله فى موقعة ، بل دائما العقل قبلة التشريع وعليه قامت الدعوة ،

ولله وحده حل الأمور وعقدها، وإيرادها وإصدارها، وما كان للاسلام معاصم إلا العقول، ولا أخذ على أعدائه مهار بهم إلا بمنحاة الألباب .

انظر الى القرآن وهو يستجلب الناس الى هدايتهم ويأمرهم باستعمال عقولهم « إن في خالق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها » « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

انظر الى القرآن وهو يقرب الناس من ربهم عن طريق العقل وسبيل النظر فيناجهم بقوله : « أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبثنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تثبتوا شجرها إليه مع الله ، بل هم قوم يعدلون . أمّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً ، إليه مع الله ، بل أكثرهم لا يعلمون . أمّن يحيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . ويجعل لكم خلفاء لأرض ، إليه مع الله ، قليلاً ما تذكرون . أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشر بين يدي رحمته ، إليه مع الله ، تعالى الله عما يشركون . أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ، إليه مع الله ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » . وناهيك بشريعة تجعل منافعها ومحور الأخذ بها العقل .

وعلى الجملة فقد بلغ التشريع الاسلامي في إنصاف العقول غاية لا متجاوز وراءها لطالب ، ولا فوقها مرتقى لمجتهد . ولو كان على الجهد مزيد لبلده هذا . ولو رجعت الى أولئك الذين نصب ماء الحياء من وجوههم ، أولئك الذين يحملون على الشرائع سرّة ، ويتفثون ظلالها سرّات ، لسانهم سلم ، وقلوبهم حرب ، يقولون إذا لم تغلب فاغلب ، رأيتهم :

كأنى براش كل لون لونه يتخيل

هذه سبيل القرآن وطريقته ، لا تجده قد اعتمد إلا على العقل ، ولا ارتكز

عبد رب مفتاح

إلا على البرهان

مفتش الوعظ والارشاد

## كلمات في الادب والحكمة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تجاوزوا لذوى المروءات عن عثراتهم ،  
فوالذى نفسى بيده إن أحدهم ليعثر وإن يده لبيد الله » .  
وقال عليه الصلاة والسلام : « لادين إلا بمروءة » .  
هذا مكان المروءة من الدين ، فما هى وما حدودها ؟

المروءة : هى النخوة وكمال الرجولة . وفى المصباح : « المروءة آداب نفسانية تحمل  
مراعاتها الانسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات » .

فلا عجب بعد هذا أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم : لادين إلا بمروءة . فإن  
من لم يكن ذا رجولة وليس لديه آداب تحمله على محاسن الأخلاق وجميل العادات ، كان  
متنكبها صراط الدين لا محالة ، وهل روح الدين إلا محاسن الأخلاق وجميل العادات ؟  
ولكن محاسن الأخلاق كلمة مجملة ربما فهم بعض الناس منها أنها تنحصر فى بشرى  
يقابل به صاحبه الناس ، وآداب يحالسهم ويعاملهم بها ، حتى إذا عض الفقر واحدا  
منهم بنابه ، أو احتاج لمن يمينه على مصابه ، قبض يده ، وضم من إزاره ، وتوارى عنه  
يلتمس لنفسه مهربا .

كلا ! إن محاسن الأخلاق لا تقف عند حدود آداب المعشرة ، ولكنها تتمدها  
إلى إغاثة الملهوف ، وإعانة المضطر ، والعمل على تنفيس كربة المسكروب ، فإن لم تصل  
لى هذه المناطق ، فلا يعتبر صاحبها ذا مروءة ، ولا يقبل أحد أن يطلق عليه هذا الوصف  
ولو كان من أقرب الناس اليه ، وربما استجلب بفعله هذا من ذم الناس ما لم يستجابه  
المجاهر بالشح بماله وجاهه .

وقد أكبر الناس أصحاب المروءات قديما وحديثا ، وأشادوا بذكورهم ، وبالغفوا

في تبييهاهم ، ودونوا سيرهم في كتب الأخبار ، فأنخذت طرائف يقرؤها الناس ويترحمون على أصحابها ، فإذا كانت خصلة من الخصل تبني مجدا لصاحبها لا يبليها الجديان فهي هذه . وما ذلك إلا لأنها أمس بحياة الاجتماع ، وأدعى من سواها إلى تماسك آحاد المجتمع وتكافلهم .

وقد ورد في الكتاب الكريم من الآيات في الترغيب في بذل المال أكثر مما ورد في غيره من الفضائل ، وفي الإيعاد على الإمساك بالعقوبات أشد مما ورد في سوره ، فقال تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

فالشح بالمال ثمر الآفات الاجتماعية ، وأدعاها إلى تفكك عرى المجتمعات ، وترخى أواخياها ، وتهدم أركانها ، لأن المال جعل لأن يكون دولة بين الناس ، فإذا اتفق لرجل أن نجح في أعماله فحصل ما لا يجاوز حاجته ويضطره لحبسه عن الجولان ، أثر فعله هذا في مهمة النقد من الناحية التعاملية ، فأصبح حقا عليه أن يتدارك هذه الخلة بالبذل في سبيل الخير العام ، تخفيفا لوطأة النضوب المالي الذي يحدته عمله . فقال عليه الصلاة والسلام : « ما أديت زكاته فليس بكنز » أى لا يعتبر من الكنز الذى أوعده الله عليه المسكين الأشقاء بأشد العقوبات .

وهذا من الاسلام تخفيف ورحمة ، وهو طريق وسط بين الرأسمالية المتطرفة وبين مذهب الاشتراكيين الغلاة ، فإنهم يحرمون اكتناز المال بقاتا ، ولكن الاقتصاديين رأوا أن تحريم اكتنازه يفضى إلى سقوط طبقة الأغنياء وهم أصحاب المشروعات العظيمة ، والأعمال الضخمة ، فإذا سقطوا وساءوا ساءوا في التجرد من المال ، فلا يوجد في الأمة من يقوم بتلك الأعمال الضرورية . فكانت حكمة الاسلام

في الإبقاء على هذه الطائفة من أجل حكمه الاجتماعية ، وكان إيجابه للبذل عليهم حلا حاسما لهذه المشكلة الاقتصادية .

هذا الاستطراد دعانا اليه الكلام على فضيلة البذل الذي جرننا اليه الكلام في المروءة . وهي لا تنحصر في البذل ، ولكنها تشمل كل ما يستطيع الإنسان أن يسعف به غيره من علمه وجهاه وعواطفه . والله در أبي الطيب حيث يقول :

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة    يواسيك أو يسليك أو يتوجع

## اعتذار

كان موعد صدور هذا العدد أول المحرم ، وكنا قد أعددنا المدة لإصداره فيه ، ولكن مرضنا أصابنا ونحن نعمل على إصداره منعنا من مواصلة العمل ، فتأخر عن مواعده أياما . وقد اعتزنا بحول الله أن نتدارك هذا التأخير في الأعداد المقبلة حتى يصدر كل عدد في مستهل شهره ، إن شاء الله .

محمد فريد ومجدي



which could not have taken place up to the last century. The French had risen against their king Francis I for having sought the aid of the Turks against Charles V Emperor of Germany and Austria who threatened to occupy their country in the sixteenth century.

The present day disregard of these considerations is a new departure in international relations and affords ample evidence to the impending overthrow of the barriers that once separated nations.

All this and the like is fast paving the way for the golden age promised by Islam to humanity. It rests with Moslems to make public the great principles inculcated by the Koran and draw the attention to the study of Islam so that it may become known unto whole world.

« سَتُرِيهِمْ بَيِّنَاتٍ فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوي

“ We will shew the unbelievers Our signs in distant climes through the signal victories achieved by Islam, and through the wonders wrought in the creation of man till it becomes manifest unto them that the Koran is the truth. Doth it not suffice that thy Lord is witness over all things?”

( Baidawy's Commentary ).

« أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوي

“Do the unbelievers seek a religion other than Allah's and to Him had everyone in heavens and earth submitted in obedience or by force, and unto Him shall they return,”

( Baidawy's Commentary ).

classes of people and the independent thinking and formulation of personal opinion inspired by wide reading have paved the way for the adoption of these Islamic principles. But they should be presented to people in a form well-wrothy of the greatness of the ideals inculcated by them.

And now that Islam has allied itself with reason and science which rests on no hypothesis or conjecture, nothing stands between it and the far-flung dominion anticipated for it, save the organisation of the proper propaganda and the expounding of its universal principles in every language. Once this is done, no power on earth could stand in its way or stem its tide.

Indeed, the religious beliefs of nations have become so interwoven with their national life that they constitute a principal element of that life. Many nations still hold to these beliefs to maintain their national existence though they no longer believe in them. But through the succession of events which gave rise to a spirit of friendly co-operation between nations and confirmed the belief that their safety lies in mutual understanding, nationalism is losing ground day by day. Further, the economic crises brought about by trade competition have indicated to nations the necessity of setting up a universal system for agricultural and industrial production so that the world may be spared the economic dearth which induce nations to war in the same way as their early ancestors did. This method has not only become abominable, but it has also proved detrimental, for the economic relations between nations based on the modern business system are so greatly affected by war that the victor so often loses the fruits of his so called victory by the great losses in souls which may exceed those of the vanquished nation itself. It has now become evident that economic depressions affect all nations, victors or vanquished alike.

These considerations have induced the nations of to-day to seek fresh means of life commensurate with the present changes and the degree of cultural progress which science has brought about in every sphere of life. The efforts are calculated to save humanity from the dangerous passes that may take her back to the early days of barbarism.

Every advocate of unity to-day brings to the tortured humanity a new remedy with which to heal its wounds. The call to unity is everywhere received with general approval though the beliefs of men have become an elemental part of nationalism in every country. But nationalism has been badly shaken and human communities have felt the need to reorder their time-worn systems to conform with their present and future requirements. We find to-day nations of different creeds and religions concluding defensive offensive alliances, a thing



مِنْ رَبِّهِمْ ، لَا نَفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ  
مَا آمَنَتْكُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَمُ اللَّهُ  
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البضاوى

“ Say ye believers : We believe in Allah and that which hath been sent down to us (1), and that which hath been sent down to Abraham and Ismael and Isaac and Jacob and his offspring, and that which was given to Moses and Jesus and that which was given to the Prophets from their Lord. We make no distinction between any of them and unto Allah we are resigned. If therefore they believe in what ye believe, then they are rightly guided; but if they turn away from the true Faith, then they are divided among themselves and God will suffice to protect you against them, for He is the Hearer, the Knower.

The law of Allah to which we are created, there is no better law than His! And Him do we worship”

( *Baldawy's Commentary* ).

These principles which show the source of religions to be one, are readily admitted by reason on mere contemplation for they are among its primary axioms.

As to the source of religions being one in all times, no other fact could be more acceptable to reason, for truth is one and could never be more.

As to religion being a divine institution identical with the natural instincts, it is a fact that admits of no doubt for souls are prone to seek the truth and submit to its judgment so long as they are guided by the light of pure reason.

As to the tendency to iniquity, disregard of reason and blind imitation of the practices of ancestors being the cause of differences which divide people among themselves, it is a fact that no one could gainsay and is well borne out by history.

Should man rid himself of all these imperfections and appeal to reason in his search after true religion he will certainly come to Islam. The adoption of these principles in the present day has become within reach of everyone. The spread of learning among the different

(1) The Koran.

with which the Lord had sent him to mankind in its entirety to announce unto them these facts and to settle the differences which their passions have provoked. In this connection the Lord saith:

« إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ، وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ »

ترجمة تفسير هذه الآية تفلاعن البيضاوى

" Verily the true Religion with Allah is Islam and none other is acceptable unto Him; and those who were given the Scriptures (1) differed not concerning it until after the knowledge of its truth had come to them , through mutual jealousy and desire for supremacy; and whomsoever believeth not in the signs of Allah, verily Allah is prompt in reckoning with him "

( Baidawy's Commentary ).

And :

« أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْمَاءُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية تفلاعن البيضاوى

"Do the unbelievers seek a religion other than Allah's and to Him had everyone in heavens and earth submitted in obedience or by force, and unto Him shall they return".

( Baidawy's Commentary ).

In order to give this religious unity the highest consideration in the minds of men, it was included in the Koran in a purposely detailed verse so that no doubt may assail it :

« قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَى ، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ »

(1) Jews and Christians.

- 3 — Islam has established pure reason to be a guiding beacon in all differences in the light of divine revelation.
- 4 — The cause of all differences in religion which leads to division therein, is the tendency to iniquity, disregard of reason and blind imitation. In this connection the Lord saith :

« وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِفِيمَا يَنْتَهُمُ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

“ Nor were the past generations divided among themselves, through enmity and mutual jealousy, till after the knowledge of truth had come to them”.

( *Baidawy's Commentary* ).

The Lord also saith :

« وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّوِيرِ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

“ And they shall say, if we had but hearkened to the discourse of the Apostles or had rightly considered it, we should not have been among the dwellers of burning fire”.

( *Baidawy's Commentary* ).

And :

« وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا،

أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

“ And when it is said unto the unbelievers, Follow ye what the Lord hath sent down, they say, Nay, but we will follow only that which our fathers practised.

What ! will they do so even though their fathers were utterly ignorant and were not guided to the truth ? ”

( *Baidawy's Commentary* ).

- 5 — Islam which God had revealed to the seal of His prophets Mohammed on whom be peace, was the first and initial Faith

\* Allah hath ordained to you the religion which He commanded unto Noah, and which We revealed to thee and which We commanded unto Abraham, Moses and Jesus :

Observe thou this religion by true belief and obedience, and divide not into sects concerning it. The worship of one God to which thou callest them is intolerable unto the unbelievers. Allah will choose to that Faith whomsoever He pleaseth, and will guide thereunto whomsoever shall turn unto Him "

( *Baidawy's Commentary* ).

- 2 — Religion is a divine instinct which the Lord has implanted in human nature and no human soul is devoid thereof. In this respect it is undeniably a natural instinct and the Lord saith:

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقل عن البضاوى

\* Wherefore set thou thy face towards the true Faith deviating not therefrom : the law of Allah to which men are created and are naturally disposed. No one could change the creation of Allah. This is the true Faith but the greater part of men know it not "

( *Baidawy's Commentary* ).

The Lord also saith :

« إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقل عن البضاوى

" They who make distinctions in their religion believing part thereof and disbelieving another, and become sects, have thou no responsibility for their division "

( *Baidawy's Commentary* ).

By division in religion is meant the differences in principles not in ramifications thereof

are by far more effectual than all the means employed by them. The beneficial effect of those principles had been amply shown in the uniting of nations in the early days of Islam despite the great influence which racial distinctions have had over their minds at the time. But these distinctions are fast disappearing to-day so much so that they have come to be regarded as purely theoretical. This has been due to the spread of philosophic and scientific ideas among nations, and to return to-day to Islam's principle of uniting them on a religious basis, would have more effect than it ever had before on the primitive nations which were devoid of all intellectual enlightenment.

Here someone may contend that the civilised nations of to-day do not depend on religion for their ascendancy or progress and even though we granted that they answered the call of Islam and adopted one religion, they have the economic problems which may overwhelm them and bring them into conflict. What advantage would the call to unity of religion avail so long as nations remain subject to social and economic factors?

We should say Yes! But does not our critic agree that these nations have come to realise that war is an abominable means to settle differences and that it weakens both victor and vanquished alike particularly when their interests in the economic field have become so intricate that the least trouble that upsets the one is bound to affect the other, and that for this reason they are looking for an effectual means to abolish it once for all? If to these world-wide efforts the inculcation of the idea of one religion be added, would it not be to the good of the world? Would it not contribute to the unity of nations and help them to overcome the destructive forces of disunion?

Let us now consider the principles on which Islam has founded the unity of religious belief and the historical facts on which it has relied to render this idea acceptable to the minds :

1 — Islam has proclaimed that the religion of Allah is one and the same for all times, that it was revealed to the first apostle sent to mankind and that the Lord hath continued its revelation to His apostles from time to time of the world history to renew the signs which have been obliterated, elucidate its principles and rectify the corruption which took place. In this connection the Lord saith :

« شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ »

ترجمہ تفسیر هذه الآية نقلا عن البضاوى

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

## ISLAM

### ITS MISSION IN THE WORLD (1)

---

#### IV.

#### UNITY OF RELIGIOUS BELIEF.

One of the great human aspects which lends immortality to Islam and establishes for it an historical right to intercourse with all people, is the inculcation of religious unity in so far as the source of religions is one and the same. The plurality and difference of religions were due to the addition, deletion and corruption which took place in the first and original faith.

This notion of religious unity would have been regarded as a intellectual impossibility were it conceived in the olden days on account of the fundamental differences which existed between religions. Indeed, it is still regarded by the sociologists of to-day who are unacquainted with Islam, as a far-off hope because of the intermingling of religions with national and racial affairs.

The efforts they made were therefore to exclude all religions from the field of human activities and to counteract its effect in society so that humanity may attain the universal peace and understanding for which it strives with nothing to obstruct its way.

Yet, should those who study human affairs contemplate the principles on which Islam has established this unity and the historical facts on which it has relied, they would soon realise that these principles

---

(1) Translated from Mr. Mohammed Farid Wagdy's editorial in "Nour-El-Islam" Review.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مهمة الدين الاسلامي في العالم

- ٨ -

دعوته الامم لمحو آثار الجاهلية

إذا ذكرت كلمة الجاهلية انصرفت الأذهان الى الأمة العربية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، لكثرة ما ترد هذه الكلمة مقرونة بتاريخها ، وربما توهم بعض الناس أن هذا العهد من الحياة الاجتماعية الساذجة خاص بالعرب دون سواهم . والحقيقة أن كل أمة مرتت بعهد طويل من الجاهلية الجلاء ، وقد دون التاريخ أدوارها فيها جيلا بعد جيل .

فقد كان لأقدم الأمم كالمصرية والهندية والصينية والفارسية عهود جاهلية مكثت فيها قرونا طويلة حفظت الأساطير أخبارها وأطوارها . وكان الأمم الأقرب منها عهدا كاليونانية والرومانية ومن اتلاها من الأمم الأوربية الحالية عصور جاهلية مظلمة ، قضت فيها مدى طويل من الدهر كانت فيها تخبط في دياجير الجهل ، ملتئة بجميع ما يصحب هذه الحالة من الانحرافات الخفية ، والحرمان من جميع المقومات المدنية .

يتسلط على الأمم في عهدها الجاهلي حكم القوة ، لا حكم العقل ولا العدل ، ولا ما يتنزل منهما من رحمة بالضعيف ، وعطف على المريض ، وإغاثة للملهوف . فكان الحق كله لدى الساعد المفتول ، والسنان المنزب . وكل ما كان يربط بين آحاد تلك الجماعات من عادات محترمة ، ونظم سائدة ، كان يصدر عن هذا الأصل الحيواني البحت .

بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم والعرب في معمران هذا الدور، وكانت سائر الأمم لا تزال فيه، أو ارتكست الى ما يشبهه، بعد أن بلغ بعضها بفضل الديانات الإلهية السابقة، ومعونة العلم والحكمة، درجة صالحة، فكان العلم كله والحالة هذه في حاجة ماسة الى قارعة سماوية تنقشع بها كسف هذه الجاهلية العالمية التي ملأت جو الأرض، فجعلت الجماعات هملًا يوج بعضها في بعض. نعم قد كان لبعضها مظهر من النظام، ولكنه لم يتخذ إلا عدة للعدوان وسبيلًا للغلب، لا وسيلة للارتقاء، وذريعة لحسن النفاق.

تخيل أمة كالعرب لا تزال منقسمة الى قبائل، عاشت على هذه الحالة أجيالا متعاقبة، وانقطعت عن العالم فلم يصل اليها بصيص من نور الدين الحق، ولا أصل من أصول الحكمة، فالتأتأت بكل ما تثمره هذه الحالة من عادات وحشية، ونزعات همجية، جمدت عليها حتى اختلطت بكيانها، وحلت محل الوظائف من بنائها. تقول: تخيل أمة كهذه، ثم انظر هل ترى لها مخرجا مما هي فيه إلا قرونا تنفق في تعليمها وتهذيبها، وجهودا جبارة تتولاها أجيالا متعاقبة، لتقويم غرائزها، وإصلاح ما فسد من كيانها؟. فإن قلت لكائن من كان: إن هذه الأمة قد تحولت في أقل من ربع قرن الى أمة خلصت من جميع شوائب الجاهلية، وتولت خلافة الله في الأرض، فانتدبت لتخليص العالم كله منها، لعدك هازلا فيما تقول، وماذا يضرك من تكذيبه لك وفي يدك القرن، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه وتابعيه في كل زمان؟.

أقوى معول ضربه الاسلام لهدم الجاهلية صوبه الى أصلها الأول الذي تنزل منه جميع أصولها، وهو حكم القوة، فذكره وقرر مبدأ المساواة بين الناس كافة في جميع الحقوق والواجبات، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُرُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) كما قال عليه الصلاة والسلام وهو على المنبر: «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم



وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بتقوى ، ألا هل بلغت ! اللهم اشهد ،  
فليبلغ الشاهد منكم الغائب . »

فسقط بهذا المبدأ الكريم كل ما كان يعتز به الناس في عهد الجاهلية من  
الاعتزاز لقبائل أو للبيوتات أو للسوابق الحسنة ، وأصبح الكافة أمام الحق سواء ،  
لا فرق بين عظيم ووضيع ، وحر وعبد ، بل ومسلم وغير مسلم .

وقد اشتد الإسلام في دعم هذا المبدأ وتمكينه ، لأن به هدم جاهلية من  
أساسها ، والتعفية على آثارها ، وما زال يتمهده بالتقوية حتى صار ملكة راسخة في نفوس  
تابعيه ، وحتى صار من أوليات ما يهتم بالتنويه به القادة والحاكمون ، حتى جاء  
في أول خطبة خطبها أبو بكر رضى الله عنه حيث قال : « الضعيف فيكم قوى عندى حتى  
أخذله حقه ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى أخذ الحق منه ، إن شاء الله . »

ولم يُفضل خليفته عمر الفاروق رضى الله عنه التنويه بهذا الأصل ، فقد جاء في أول  
خطبة خطبها الناس حين انتخب للخلافة قوله : « واعلموا أن شذنى التي كنتم ترونها  
ازدادت أضعافاً عن الأول على الظالم والمعتدى ، والأخذ للمسلمين لضعيفهم من قويمهم ،  
وإني بعد شذنى تلك واضع خدى على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف . »

ومما يستشهد به في هذا الباب ويمتيز من أدل الأدلة على ما نقول ، ما حدث  
لجيلة بن الأثير ملك غسان ، وكان قد أسلم وعاش مع الناس بعد أن استولى المسلمون  
على ملكه ، فقد كان يطوف يوماً بالبيت فداًس أعرابي على طرف رداءه ، فلطمه جيلة  
على وجهه ، اعتزازاً بمكائنته ، فشكاه الرجل لعمر أمير المؤمنين ، فأحضر جيلة  
وحكم عليه أن يخضع للطمه مثلاً من يد الأعرابي ، ولم يكثر بما يدعيه جيلة لنفسه  
من الترفع عن طبقة عامة الناس . فكان ذلك سبباً في هربه ولحقه بهرقل ملك  
الروم وارتداده .

بعد أن أسقط الإسلام حكم القوة ، وهو كما رأيت مادة الجاهلية التي استمدت

منها جميع خصائصها الوحشية ، لم يأل جهدا في بث الأصول العليا للاجتماع : من العدل المطلق ، والمساواة الصحيحة ، والتعاون على إقامة دولة الحق ، وتطهير العالم من آثار الاستئثار والظلم ، والاضطلاع بخلافة الله في الأرض . وقرن ذلك كله بما يجب أن يكون عليه المسلمون من الخلال للكرامة ، والخصال القويمة ، من الاستهداء بنور العقل ، والاستزادة من مادة العلم ، والاستفادة من مصادر الحكمة ، والعمل على استئصال شأفة اباطل حيث كانت ، وبأى مظهر ظهر ، واجتثاث أصول الظلم أنى ثوى ، وتحت أى لبوس استتر . وعزز الاسلام هذه الخلال كلها بوجوب التفاتك بأخلاق الله : من العطف على المستضعفين ، والحذب على المحتاجين ، والبر باليتامى والمحرورين ، وأوصى بالترحم ، وحض على التعاون ، وإغاثة الممانى والملهوف . ولم يغفل في وصاياه الرفق بالبهيم العجم والحيوانات الهامجة ، في نصوص من معدن الوحي والنبوة لم يحفظ مثلها عن مصلح في الأرض الى اليوم .

من هنا تميزت حالتان : ( إحداهما ) ما كان عليه الناس قبل البعثة المحمدية ، وقد سماها الله بالجاهلية . و ( ثانيتهما ) ما آتوا إليه تحت نور الوحي والنبوة ، وقد دعاها الله بالاسلام . ولم يُسم أحد أولى الحالتين بالجاهلية قبل القرآن ، فقد أطلق مؤرخو الفرنجة على أمثالها لدى الأمم المختلفة عهد الفروسية ، وشتان بين التسميتين وما يترتب عليهما من آثار ، من دفع الناس الى الشرور ، أو ردّهم الى حظيرة الخلق والفضيلة .

وقد وردت في الكتاب الكريم مقارنات عدة بين الحالتين ، تحضيضا للمسلمين على اجتناب إحداهما والتمسك بالأخرى ، فقال تعالى : ( وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمَا بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَبِيعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَاحْذَرُهُمْ أَنَّ يَفْتَنُواكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنَّ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ . أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ ؟ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ) ؟ .

وقال تعالى في تكريه النساء في التبرج : ( وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى )  
يريد بها عهد الإباحة وسقوط الأخلاق ، وانحلال ربط الآداب .  
وقال تعالى في تهجين فعل للتبطين عن نصره الحق : ( يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ  
ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ) .

وقال تعالى : ( إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ، حِمْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ ،  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا  
أَحَقَّ بِهَا وَأَهَبَهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ) يريد بحمية الجاهلية نزعمها في عدم  
الإذعان للحق ، فأُنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، أى طمأنينته وهدوئه  
لتبين الحق واتباعه .

هكذا يميز الله عهد الجاهلية بجميع سيئاته وشروره ، ويدعو الناس الى التخلص  
من آثاره . ودعوته هذه مستمرة في جميع الأجيال ، وموجهة الى العالم كافة ، لأنه  
الدين العام . ومن يستقر أحوال الأمم اليوم يجد أنها جميعا في حاجة ماسة  
الى الاستفادة من هذه الدعوة ، فإن آثار الجاهلية لا تزال موجودة حتى في أبعاد الأمم  
شأوا في المدنية المادية . وقد صدق الفيلسوف الانجليزي (برنارد شو) في قوله : إن العالم  
لو أخذ بالاسلام لأبلى من جميع علمه التي يشكو منها والتي أصبحت مهددة لوجوده .

إن حكم الجاهلية كان سائدا في أوروبا الى عهد الثورة الفرنسية التي حدثت  
سنة ١٧٨٩ ، فقد كان الملاحون يباعون مع الأراضي التي يشتغلون فيها ، وكان الضعفاء  
يشكون عسف الأقوياء ولا نصير لهم ، وكانت الأمم منقسمة الى طبقات ، العليا  
منها معفاة من الضرائب والتكاليف ، ومتمتعة بامتيازات خاصة أمام القضاء بحكم القوانين ،  
وكانت كل الأعباء ملقاة على عاتق الفقراء والمساكين . فلما حدثت الثورة الفرنسية  
أزالت كثيرا من هذه المظلم ، ونارت على مثالها الأمم الأخرى ، فاستقرت أوروبا  
على الحال التي نشاهدها عليها اليوم .

ولكن هل محقت أوروبا كل آثار الجاهلية التي يدعو الى محقتها الاسلام ؟ لا ، فلا تزال الحر - وهي أم الخبائث - مباحة ، ولا تزال المفامرة شائعة ، ولا يزال الربا محللا يدفع بأموال الأمم الى خزائن أصحاب الثروة ، ولا تزال العادات تسمح للعائلات المميلات بالتبرج ، يفتن الناس ويدفعن بهم الى العزوبة والاسراف ، ولا تزال النابتة ملقي حبلهم على غواربهم يغشون أما كن اللهو والفجور ، وينشأون بذلك متشبعين بمبدأ الإباحة ، ولا تزال الحكومات تسمح لطوائف من الكاثين والممثلين وأصحاب دور السينما أن يمدوا أهواء النفوس بما يزيد بها تأجيجا ، ويعرضها على الإغراق في الليلول البهيمية .

كل هذه من بقايا الجاهلية التي يدعو الاسلام العالم لمحقتها، والتعفية على آثارها . وكل مايعاينه العالم اليوم هو من جرائرها ، فعلى العالم الاسلامى وحلة هذه واجبان : ( أولهما ) أن لا يقلد الأمم في هذه الطامات ( وثانيهما ) أن يدعو العالم الى التطهر من بقايا الجاهلية إذا كان يريد حقا أن يخلص من حمأة الفنى والفساد ، فإن هذه البقايا كما أنتجت كل الولايات الاجتماعية ، إذا أحملت لا بد أن تستشري فتدفع بالأم قاطبة الى التناحر الحيوانى ، وتحطيم كل ما بناه العلم من معالم المدنية ، كما حطمت بقايا مثلها من الجاهلية مدنيات كثيرة فى خلال العصور اليعيدة .

فقد كان لدى تلك الأمم علم وحكمة وصنائع وثروات طائلة ، فلم تغن عنهم حيال عوامل الجاهلية شيئا ، وذهبوا كأن لم يفتنوا بالأمس . ولقد كان الرومانيون يسمون دولتهم بالدولة الخالدة ، فلم تجدم هذه التسمية فتيلة ، فازالت بها بقايا الجاهلية حتى أرغمت معاطس ساداتها ، وفلت من غرب قادتها ، وحانت من عرى وحدتها ، فأصبحت كلحم على وضم بين يدى القبائل المتوحشة المحيطة بها ، وزالت من الوجود ذوالآبديا . فإذا كانت أمة تحميها علومها ومعارفها وفنونها وصنائعها ووطنيتها من بقايا الجاهلية ،

كانت هي الأمة الرومانية ، وقد انفردت بالسلطان في الأرض ، وعزت فلم يبق لها منافس فيها ، ولكنها لما اطمأنت الى هذه العزة ، وتركت عوامل الجاهلية تعمل فيها ، وهي ضروب من العسف والإرهاق والتمرد ، وإذلال الضعفاء والمقهورين ، ولاستهتار في الشهوات ، والإغراق في اللهو والقصف ، نقول : لما انحلت هذه العوامل ولم تجتثها من أصولها ، أثمرت ثمراتها الممودة : من انحلال الربط ، وارتخاء عرى الاجتماع ، فتمكن منها من كانوا يخشون أن يتخيلوا الغارة عليها تخيلا : (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ) .

محمد فهد بر وجهدي

## الاجواد في الاسلام

الاجواد في الاسلام لا يعدون كثرة ، ولكن امتاز من بينهم قوم كان جودهم عاما شاملا ، منهم عبيد الله بن العباس ، فقد أثر عنه أنه أول من فطر جيرانه ، وأول من وضع الموائد على الطرق ، وأول من حبا على طعامه .

من حوده أنه أثناء رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه فقال : يا بن عباس ! إن لي عندك يدا وقد احتجت اليها .

فصعد عبيد الله فيه بصره وصوبه فلم يعرفه ، ثم قال له : ما يدك عندنا ؟ قال الرجل : رأيك واقعا يزعم وغلامك يمتح لك من مأثها ، والشمس قد صهرتك ، فظالمتك بطرف كسائي حتى شربت .

قال عبيد الله : إني لأذكر ذلك ، وإنه يتردد بين خاطري وفكري . ثم قال لقيمه : ما عندك ؟ قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم .

قال عبيد الله : ادفعها اليه ، وما أراها تفي بحق يده عندنا .

وفيه يقول شاعر المدينة :

وفي السنة الشهباء أطعمت حامضا وحلوا ولحنا تامكا وممزعا  
وأنت ربيع الليثاي وعصمة إذا المحل من جود السماء تطلعا  
أبوك أبو الفضل الذي كان رحمة وغوثا وثورا للخلائق أجمعا

# النفسي

## سورة الحجرات

- ٢ -

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا قَدْ كُنْتُمْ تَادِمِينَ . وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلَّا يَمُنَ الَّذِينَ ذُذِبَتْ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَتْ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ . فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

قد اشتملت هذه السورة الكريمة على خمسة أنواع من الآداب الاجتماعية أو النفسية :

الأول - الأدب في حق المولى تبارك وتعالى ، وهو عدم الافتيات على تشريعه ، وعدم المبادرة الى اقتراح الأحكام قبل نزولها ، فهو أعلم بمصلحتهم منهم ، فيعجل ما يعجل ، ويمهل ما يمهل ، وهو الحكيم الخبير . فن تمام لا إتيان بحكمته وإسلام النفس له أن يرضى المرء بما يقضى ويحكم ، ويطمئن لما يعلى ويمهل ، وذلك هو ما ذكر في قوله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » وقد سبق الكلام في هذا النوع .

والثاني - الأدب في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإعطائه من التعظيم

والإجلال ما يليق بمقامه الكريم، فلا يخاطب كما يخاطب غيره، ولا يُرفع الصوت على صوته، ولا ينادى على تلك السكيفية الخالية من الاحتشام والمهابة، عرفاناً بقدره وإعظاماً لمنزلته، وثقة بأنه إن غاب عنهم فهو في مصالحتهم، وإن خرج إليهم فهو لمنفعتهم، وأن إشعار القلوب بحجبه ومهابته باب للارتفاع بهديه والفوز بإرشاده، وذلك ما ذكر في قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض» إلى قوله عز وجل: «ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم» وقد سبق الكلام على هذا النوع أيضاً.

الثالث — وهو المذكور في هذه الآية التي نحن الآن بصدد تفسيرها.

الأدب مع جماعة المسلمين والفئات العامة، مما يتفق معه الفتن الهوجاء، واستفحال أمور الشرور ولم يتدارك الأمر بالتبين والنثبت، وذلك قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة» الخ.

الرابع والخامس — ماسيأتى في الآيات التالية، وهو الأدب في حق الأفراد من المسلمين، وذلك قسمان: (أحدهما) الأدب في حق الحاضرين المجالسين، وهو الرابع المشار إليه، وذلك ما ذكره الله عز وجل في قوله: «يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم» ثم في قوله: «ولا تنازروا بالألقاب».

و (ثانيهما) ما يتعلق بحق الأفراد الغائمين، وهو الخامس المذكور في قوله عز من قائل: «يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم» وفي قوله: «ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً» الآية.

ولقد ترى النظم الكريم بدأ كل نوع من هذه الأنواع بالنداء بـ «يأيها الذين آمنوا»، لينبه فيهم شعور الإيمان فيقبلوا على امثال ما أمرو به، واجمعين به إلى إيمانهم على أنه ثمرة من ثماره وفائدة من فوائده، وليبين لهم أن هذا هو ما ينتظر من المؤمن ويليق به، فلا يمان شجرة فائدتها ثمارها. والتفت إن شئت للتعبير السابق في الآية الكريمة

للماضية « إن الذين يفتنون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى » فإنك ترى فيها كيف ربط عمل الجوارح بما قر في القلوب ووفر في النفوس .

وسبب نزول هذه الآية أن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه إلى الإسلام فأسلم ، ودعاه إلى الزكاة فأقرّبها ، ثم استأذن في أن يرجع إلى قومه يدعومهم إلى الإسلام فمن أجابه دعاه إلى الزكاة وجمعهم منهم ، وسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يرسل إليه رسولا يأتيه بما جمعه من زكاتهم ، وحدد موعدا خاصا ، فلما جاء الموعد أرسل صلى الله عليه وسلم إليه الوليد بن عقبة ليأتيه بالزكاة منهم ، فلما كان في الطريق أدركه فرّق فرجع . وقيل بل لقيهم مقبلين فظنهم محاربين ، فرجع وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الحارث منعه الزكاة وأراد قتله ، إما لما ظنّه حين لقيهم ، وإما لأنه رأى قوما غيرهم ظنهم إياهم ، فأرسل إليهم صلى الله عليه وسلم بعثا فقابلوهم بعد ما جاوز البعث المدينة ، فسألهم الحارث إلى من يعتم ؟ قالوا : إليك ، قال : ولماذا ؟ قالوا : إن الحارث زعم أنك منعه الزكاة وأردت قتله ، فأقسم إنه ما رآه ، وإنه إنما قدم لما استبطأ رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد كان الحارث جمع سراة قومه وقال لهم : لقد جاء موعد رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان من النبي خلف فأخشى أن يكون تأخره عن سخطه ، فأخذ ما جمع وتوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقابلته البعث على ما ذكرنا ، ثم قدم الحارث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما كان من أمرهم ، فنزلت الآية .

ونزول الآية عند هذه الحادثة لا يدعى إعطاء قطعا أن الوليد بن عقبة كان فاسقا ، وأنه أخبر عمدا بنبا مكذوب بقصد الإيقاع ، وإنما يدل على أن الآية نزلت عند هذه الحادثة لأنها تنبه إلى نظائرها مما يكون للبليغ قد قصده إلى سوء والكذب . وكأنها تفيد تلك بالآولى ، وذلك أن النقل خطأ عن ظن غير محقق قد يجر إلى القتال والفتن ،



فكيف في أماس جعلوا دينهم تشويه أعمال غيرهم ، إرادة لا يقاع بهم ، وإثارة الفتن عليهم ؟ فإذا كان النقل الخطأ قد كاد يجر إلى إثارة الفتنة على قوم أبرياء ، فكيف بالجريمة المقصودة المتعمدة وصاحبها يكون عادة أوفر دهاء ، وأقوى ترتيباً للوصول إلى غرضه السيئ ؟

والناسق : من الفسق ، وأصله الخروج والبروز ، يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرتها . وقد تعورف في لسان الشرع في الخروج من حكم الدين والطاعة . وأكثر ما يستعمل في الماصى الصادرة من المؤمن . وقد يستعمل بمعنى الكفر كقوله تعالى : « والله لا يهدي القوم الفاسقين » وقوله : « ففسق عن أمر ربه » . والنبأ : الخبر الذي له خطر وشأن . والتبين : التثبت والتحرى ، لا اكتشاف الحقيقة . والجهالة : بمعنى جهل حالهم . ولكامة تشير في الكثير إلى معنى التسرع والبدر لشر ، كما في قول الشاعر :

ألا لا يجهلن أحد عايننا فنجهل فوق جهل الجاهلين

أى لا يعجل أحد بالتعمد علينا وإيذاً بنا ، فنينا قوة مبادرته بأشد مما كان منه . ولكن المراد في الآية : أن تصيبوا قوما متبايسين بجهالة حالهم وعدم معرفة حقيقة أمرهم . وتروى الآية تشير باستعمال كلمة « إن » وهي للأمر النادرة أو المشكوك أو المفروضة فرضاً دون الأمور الكثيرة الوقوع — تشير إلى ما كان عليه المسلمون من اليقظة وحدة النهن بحيث يندر أن يتلاعب المنقولون بعقولهم ويحيثوهم كل ساعة بنبا مثير للفتن والافلافل .

وتجبد في توجيه الخطاب إلى المؤمنين ، والتعبير عن الناقل بكلمة فاسق ، إشارة أيضاً إلى أن مثل هذا الناقل حقه ألا يعد في طائفة المؤمنين الذين شرفهم الله بهذا الخطاب ، وإنما يعتبر كأنه خارج عنهم إذ كان خارجاً على تعليمهم . وهذه الإشارات تعطى في طيها من الآداب والأحكام ما ينفع به المؤمن في تربية نفسه وخلقه ، ويفهم به معنى إيمانه وثماره ، فيؤتي الإيمان حقه ويحني طيب ثماره .

هَذَا فِي الْإِشَارَاتِ الْمَطْوِيَةِ وَأَمَّا الْمَعْنَى الْجَوْهَرِي لِلآيَةِ فَهُوَ الْأَمْرُ بِالْإِحْتِيَاظِ وَالتَّحْفِظِ فِي كِبَرِ الشُّيُورِ، وَأَنْ يَتَنَزَّهُوا عَنِ التَّسَرُّعِ وَالْهَوَجِ الَّذِي يَفْسِدُ عَلَيْهِمْ شَتْوُهُمْ. وَلَقَدْ نَرَى فِيهَا يَحِيطُ بِنَا أَنْ صَاحِبِ الشَّأْنِ يَسْتَعِينُ عَلَى ضَبْطِ أُمُورِهِ الْمَكْبَرِي بِالْيَقِظَةِ وَالتَّحَرِّيِ، وَالتَّنَبُّثِ قَبْلَ الْإِقْدَامِ، حَتَّى يَصُونُ نَفْسَهُ وَمَا عَهْدَ إِلَيْهِ بِهِ مِنَ الْمَصَالِحِ مِنَ تَلَاْعِبِ الطَّغَامِ وَاجْتِرَاءِ اللَّثَامِ. فَمَنْ كَانَ ذَا إِحْتِيَاظٍ وَيَقِظَةٍ وَحَسَنِ تَأَمُّلٍ وَتَذَكُّرٍ، هَابَهُ الْوَاشُونَ التَّمَامُونَ، وَأَقْبَلَ عَلَى مَعَاوَنَتِهِ الصَّادِقُونَ الْمُخْلِصُونَ، فَاسْتَقَامَ لَهُ الْأَمْرُ، وَحَفِظَ مِنْهُ الْجَانِبَ. وَمَنْ أَسْلَمَ أُذُنَهُ وَقَبِيحَ لِسَانِهِ نَاقِلًا، وَاسْتَفْزَرَتْهُ كُلُّ رِيحٍ هَوَجَاءَ، وَخَفَ مَعَ كُلِّ صَيْحَةٍ، كَانَ أَمْرُهُ خَلِيقًا أَنْ يَخْتَلِطَ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ الْجُرْأَةُ عَلَى التَّلَاْعِبِ بِهِ مَفْتَاخًا لِفَتْنٍ لَا حَدَّ لَهَا.

فَالثَّبِيتِ وَالتَّنَبُّثِ وَتَعْرِفِ الْأُمُورَ مِنْ مَسَالِكِهَا الصَّحِيحَةِ، وَالتَّحَرِّيِ عَنِ الْحَقَائِقِ حَتَّى تَنْكَشِفَ وَيَزُولَ عَنْهَا اللَّبَسُ، أَمْرُ جَوْهَرِي فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا جَمِيعًا.

وَكَيْفَ لَا وَمِنْ أَهْلِ أَمْرِهِ وَقَعَ فِي سُوءِ عَمَلِهِ، فَأَسْرَعَ إِلَى مَطَاوَعَةِ جِهَانَتِهِ، فَأَصَابَ قَوْمًا أَوْ أَقْوَامًا بِجَهَالَةٍ، فَيَتَبَيَّنُ لَهُ الْأَمْرُ وَإِذَا بِهِ قَدْ وَقَعَ الشَّرُّ، وَالْوَاقِعُ لَا يَرْتَفِعُ، فَلَا يَكُونُ لَهُ حِيلَةٌ إِلَّا النَّدَمُ، وَمَاذَا يَنْفَعُ النَّدَمُ:

وَالنَّدَمُ: الْهَمُّ الْمُلَازِمُ الْمُقِيمُ. وَهَذِهِ الْمَادَّةُ (نَدَمٌ) تُشِيرُ إِلَى الدَّوَامِ وَالْبَقَاءِ وَالْمُلَازِمَةِ عَلَى أَى وَجْهِ رَكِبَتْ. فَمَنْ ذَلِكَ أَدْمَنَ إِذَا لَازِمَ، وَالْمَدِينَةُ لِأَنَّهَا تَتَّخِذُ لِلْإِقَامَةِ الدَّائِمَةِ.

وَتَجِدُ فِي التَّعْبِيرِ بِمَا فِي النِّظْمِ الْكَرِيمِ وَهُوَ قَوْلُهُ: «فَتَصْبَحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ» مِبَالِغَةً فِي النَّدَمِ مِنْ عِدَّةٍ وَجُوهٍ:

أَوَّلًا — كَلِمَةُ «تَصْبَحُوا» فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ بِمَعْنَى تَصِيرُوا وَلَكِنَّهَا أَكْثَرُ مَا تَسْتَعْمَلُ فِي الشَّيْءِ الَّذِي يَبْتَدِئُ ثُمَّ لَا يَزَالُ يَنْمُو وَيَتَجَدَّدُ.

وَدُنْيَا — فِي قَوْلِهِ: «عَلَى مَا فَعَلْتُمْ». وَنَدَمَ الْمَرْءُ عَلَى مَا فَعَلَ أَشَدَّ مِنْ نَدَمِهِ عَلَى مَا تَرَكَ أَوْ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْ غَيْرِهِ، فَفِي الْفِعْلِ مِتَارْفَةٌ وَعَمَالٌ يَجِدُّ لَهُمْ كَمَا ذَكَرَهُ.

وثالثاً — في التعبير بالجملة لاسمية التي تدل على الملازمة والثبات ، فضلاً عما تعطيه مادة الندم من الملازمة على ما قررنا آنفاً .

فترتيب هذا كله على ترك التحفظ وإهمال الأمر بالتبين والتثبت ، يعطى أهميته ، ويشرح قيمته ، فكيف وقد علق بالايمان في قوله : « يا أيها الذين آمنوا » ؟ .  
وللفقهاء كلام في استنباط حكم قبول خبر الواحد في الشهادة والرواية من هذه الآية لا نراه يتناسب وما قصدنا اليه ، فندعه لموضعه ، فليرجع اليه من يشاء .  
(واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ) :

تشعر هذه الآية بأنه كان في الصحابة من يشير بالإيقاع بالحارث وقومه لمجرد خبر الوليد الذي كان أرسل اليهم بأنهم منعوه الزكاة وأرادوا قتله . وقوله : « واعلموا أن فيكم رسول الله » ليس الغرض منه إفهامهم بأن رسول الله فيهم ، فهم يعلمون ذلك ، وإنما المقصود أن يفهمهم أن بين ظهرانيهم من يعتمدون عليه في الرشد والتبين ، وأن تركهم الاسترشاد منه بمثابة عدم العلم بوجوده بينهم ، فلو تنبهوا لذلك ما حصل منهم الاقتنيات في المشورة المتسرفة . وفضل هذا التعبير عن صريح الأمر بالاسترشاد بهديه صلى الله عليه وسلم من جهة تصويره أن مراجعته عليه السلام أوضح من أن يؤثر بها ، وإنما الذي يستحق التنبيه هو ما غفلوا عنه من وجوده عليه السلام بينهم . ونظير هذا أن ترى قوماً يختلفوا فيما بينهم مع وجود شيخ لهم يرجعون اليه فيهديهم ، فيبدل أن تقول لهم : راجعوا شيخكم ، تقول : أليس الشيخ بينكم ؟ فكأن الرجوع اليه أوضح من أن يؤثر به .

وقوله : « لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم » مرتبط بالجملة السابقة ، أي أن رسول الله فيكم على حالة تزنون بها أعمالكم وترجعون اليها فيما اشتبه عليكم ، لا على حالة أن يتبع رأيكم ، ويسير دائماً وراء مشورتكم ، فلو كان يتبع دائماً رأيكم ويرجع فيما يأتي ويذر الى ما تقولون ، لو قمتم في العنت والمشقة . وأصل العنت : الكسر بعد الجبر .

فكانه يشير الى أن في مشورتهم ما يكون عن تسرع وسورة نفس ، فلا يتبينون مغبتها إلا بعد فوات وقتها ، فلو استمر على المتابعة لتكررت لهم مضارهم في غنى عنها وسلامة منها . وقوله : « لو يطيعكم » أى لو استمر على طاعتكم . هكذا يفيد لفظ يطيع بصيغة المضارع الدال على الاستمرار والتجدد . وأما لفظ الماضى « أطاعكم » فإنه يدل على مطلق الحصول ، فالمتنع هو استمرار الطاعة في كثير من الأمر . أما أنه قد يطيعهم فليس بمتنع . كيف وقد قال عز وجل : « وشاورهم في الأمر » ولولا أن في المشورة موافقة في بعض الأحوال ما كان منها فائدة .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يعمل أحيانا بمشورة بعض الصحابة فيم ينزل عليه فيه وحى . من ذلك أنه لما نزل في وقعة بدر في محل كان غيره خيرا منه ، جاءه بعض الصحابة وقال : أهذا منزل أنزلك الله فليس لنا أن نتعمده ، أم هو الراى والحرب ؟ قال : لا ، بل هو الراى والحرب . قال : إذا فغير هذا المسكان خير منه : نزل على أدنى ماء من القوم فتمنعهم الماء حتى يكون ذلك أنكى لهم ، وأفسر لمدة الحرب بيننا وبينهم . فقبل صلى الله عليه وسلم منه وعمل برأيه ، وغير المكان الذى نزل فيه .

فالغنى أنه صلى الله عليه وسلم يبتكم على حالة هي أن يكون رأيه متبوعا لا تابعا ، ولو أنه قد يستشيركم ويعمل برأيكم ليحفركم على أعمال لفكر الروية ، ويعودكم التدبير وحسن النظر ، ولو استمر على طاعتكم في كثير من الأمر لجركم ذلك الى العنت ، فأين رأيكم من رأيه . لموفق ؟ فالجمله إعرابها إعراب الحال من الضمير المستتر في قوله « فيكم » أى كائن فيكم ، أى هو موجود فيكم متبوعا لا تابعا . والتعبير عن ذلك بالجملة الشرطية « لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم » لبيان الحكمة في امتناع متابعتهم ، وأن ذلك من مصالحهم ، ولدفع العنت عنهم . والتعبير بكلمة « كثير » ينحوا أيضا هذا النحو ، وهو أنه كان يقبل منهم في قليل من الأمر .

والحاصل أن المتنع بمقتضى « لو » هو استمراره صلى الله عليه وسلم على طاعتهم

في الكثير من الأمر ، أما أن يمع منه قبول المشورة في الكثير في بعض الأحيان ، أو أن يتكرر منه قبول رأيهم في قليل من الأمر ، فلا امتناع فيه .

وهذا هو قانون المشورة في الاسلام ، وهو الاستمارة بأهل الرأي على أن يكونوا مرشدين موضحين ، لا أن يكونوا ملزمين جازمين ، فإن هذه القاعدة هي التي تضمن التعاون بين الحاكم والمحكوم من جهة ، وتبقي المسئولية في عنق من يختار لإقامة أمر الأمة من جهة أخرى . واصل ذلك أفضل الأنواع التي جرب عليها الحكم وتداولتها الأمم والأزمان ، والله بكل شيء عليم . والمدار في كل ذلك على حسن النية وصدق الطوية ، وبالله التوفيق .

وقوله : (ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم) استدرك على ما يعطيه صدر الآية من النعي عليهم وتوجيه الهى اليهم ، عن الاسترسال في الرأي وترك الثاني حتى يعلم ما عند رسول الله ، فكأنه يقال : ولكن ليس الأمر الذي نعينه عليكم شاملا لكل طوائفكم ، بل منكم من حبيب الله اليه الايمان فجعله مستغفر النفس ، موطنها على متابعتها صلى الله عليه وسلم فيما يأمر به وينهى عنه . فيكون الاستدراك باعتبار اختلاف الطائفتين في الوصف ، أى ليس ما ذكرناه مستغفرا لجميعكم ، بل منكم من ملك الايمان قلبه فأزله حده . ومن المفسرين من جعل الاستدراك باعتبار المواضع التي يقبل فيها رأى العقل وحكمه ، والمواضع التي يحجب الثاني فيها حتى يعلم أمرها ، فكأن سؤالا طرأ على قلب سائل : كيف تُنهى عن الإِدلاء بآرائنا التي اهتمدنا اليها بعقولنا وقد هدتنا عقولنا هذه الى الايمان فآمننا بعد ما شاهدنا آيات ربنا واطمانت اليها عقولنا ؟ أفليست هذه العقول التي نشير بالرأى بمقتضاها هي العقول التي اهتمدنا بها الى الايمان وهو أساس كل فلاح ؟ فجاء الجواب بأن لا تقيسوا تلك الأمور التي تشبه عليكم والرأى فيها مجالات على أصل الايمان الذي اقتضت رحمة الله بكم ورأفته أن يحببه اليكم ، وزينه في قلوبكم ، ويشرح له صدوركم ، بما أوضح من سبيله وبما بين من برهانه ، فأين ما استبان

ووضح مما اشتبه والتبس ؟ فترثوا في الأمور لمشتبهة حتى يأمركم الرسول صلى الله عليه وسلم بما فيه مصلحتكم ، ولا تقيسوها على الايمان الذي أوضح الله سبيله لكم فضلا منه ونعمة ، فيكون استدراكا على ما ظنوه من عموم الثقة بعقولهم ومتابعة ما توصلهم اليه آراءهم قياسا على ما وصلوا اليه من الايمان ، فيُدفع ذلك بأن هذه أمور مشتبهة ، لكن الايمان قد من الله عليكم بتوضيح سبيله .

وقوله : « حُب اليكم الايمان » أى قرّبه الى قلوبكم حتى قبائتموه وأقبلتم عليه .  
 وقوله : « وزينه في قلوبكم » أى جعلكم دائما مغتبطين به عارفين قدر النعمة فيه ، وذلك أن بعض الأمور قد يحجب فيقبل عليه ثم لا تلبث النفس أن تسأمه وتمله ، فللاحتراس عن هذه الحالة حسن موقع قوله عز وجل : « وزينه في قلوبكم » بعد قوله : « حُب اليكم الايمان » أى جعله محبوبا فأقبلتم عليه ، ثم جعله في قلوبكم حسنا دائما فتمسكنم به ، فالأول لتحقيقه ، والثاني لاستدامته .

وقوله : (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) لفظ كره مقابل أحب يتعدى للمفعول واحد ، فإذا شدد وقيل : كرهه تعدى لآخر بنفسه . ويقال كرهته اليه لتضمينه معنى بغضته اليه . والكفر : جحود نعمة الله وربوبيته ، أصله من الكفر بمعنى التغطية والستر ، كأن الكافر غطي وطمس آثار الوهية الله وربوبيته ونعمته . وفي الشرع : إنكار ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . وفسوق : الخروج عن الطاعة والعصيان : هو الوقوع في المعصية . فالفسوق أشد من العصيان ، فكان في الفسوق خروجا عن الأوامر بالبر . وأما في العصيان فأبام بالمعصية ووقوع فيها . وذلك لا يستلزم الخروج على الأوامر كلية . وهذه الثلاثة في مقابلة الايمان الكامل المعتمد به ، فهو التصديق والإذعان للأوامر ، أى الخضوع لها والتزام قبولها ، والوقوف عند حدود الأحكام في الأوامر والنواهي . وهذا حكاية لحالهم التي من الله بها عليهم ، وهي أنه حُب اليهم الايمان على هذه الصورة الكاملة ، فلا تفتفى أن كل واحد من الثلاثة مناف للإيمان ،

فإن الكفر مناف للإيمان حقيقة ومضاد له . والفسوق أى الخروج عن حدود الطاعة ونبذها كلية مناف للإسلام أى الانقياد والالتزام الأحكام . والإيمان المعتد به والإسلام أى الانقياد متلازمان . وأما العصيان أى اقتراف المآثم فى بعض الأحيان ، فليس بمناف للإيمان ولا للإسلام ، وإن كان مضيقا للثمرة المقصودة منهما ، وهى تربية النفوس على طاعة الله والالتزام أحكامه ، وترقيتها بالآخلاق الطاهرة والصفات الكاملة .

وقوله تعالى : ( أولئك هم الراشدون ) بيان لنتيجة تلك النعمة التى أنعم الله بها عليهم ، وهى تحبيب الإيمان اليهم وتزيينه فى قلوبهم ، وتكريه الكفر والفسوق والعصيان اليهم ، فأتبع تلك النعمة بالثمرة التى تترتب عليها والنتيجة الحاصلة منها ، وهى أن من حاز تلك الصفات وشملته تلك النعمة ، كان هو المستحق للوصف بالرشاد ، وهو الحقيق بأن يكون رأيه على هدى وسداد . والخطاب فى قوله « أولئك » للنبي صلى الله عليه وسلم ، أولئك هو أهل الخطاب مطلقا ، فيكون قد وجه الخطاب لغير من وجه اليه فى السابق ، فإن قوله : حبيب اليكم وكره اليكم ، الخطاب فيه للمؤمنين . وما أجل موقع قوله : « أولئك هم الراشدون » بعد قوله : « واعلموا أن فيكم رسول الله » : فإن معنى هذه أنه فيكم يرشدكم ويهديكم ، فمن اتبع هداه واسترشد بإرشاده فهو الراشد حقيقة ، وأما من ركب رأسه ، وتمسكه هواه ، واتبع ما تمليه عليه نفسه ، فهو بعيد عن الرشاد .

وقوله : « فضلا من الله ونعمة » راجع الى حبيب وكره ، أى فعل ذلك بكم فضلا منه ونعمة ، أو الى « الراشدون » أى أنهم هم الراشدون بفضل الله ونعمته . والفرق بين الفضل والنعمة ، أن الفضل منظور فيه الى جانب الحق جل وعلا ، أى أن ذلك كان منه تفضيلا لا وجوبا ، وأنه من الخير الكثير الزائد عنده فى متناول قدرته وعلمه . والنعمة ملحوظ فيها جانب العبد واحتياجه ، أى هو مع كونه من فضل الله دافع لحاجتكم جالب للخير والنفع اليكم . وقد ختمت الآية الكريمة بقوله عز من قائل : « والله عليم

حكيم» لئلا النفوس اطمئنانا لالتزام أوامر الله عز وجل، ووثوقا بحكمته وعلمه، فلا يتخطوا ما أمرهم به صلى الله عليه وسلم مبلغا عن ربه، ولا يتسرعوا في إبداء آرائهم، ولا يحرصوا على متابعتها، فالله عليم بما فيه مصلحتهم، حكيم يضع لأموالهم في نصابها. فيكون كالتعليل، وكالتدليل لما يستفاد في الآية السابقة من الآداب والإرشاد. ويصح أن يرجع الى قوله: حبب إليكم وكره إليكم، أي أنه يفعل ذلك على وفق علمه وحكمته، فهو يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وكل ذلك بعلم وحكمة بالغين منتهى السكال، والله أعلم.

ابراهيم الجبالي

## احترام الامراء لمجالس الحكم

قال العتيبي: تنازع ابراهيم ابن أمير المؤمنين المهدي هو وبختيشوع الطيب النصراني بين يدي أحمد بن أبي دواد القاضي في مجلس الحكم في عقار بناحية اسواد، فزرى عليه ابن المهدي وأغلظ له بين يدي أحمد بن أبي داود، فأحفظه ذلك، فقال يا ابراهيم: إذا نازعت أحدا في مجلس الحكم فلا تعلن ما رفعت عليه صوتا، ولا تشر إليه بيد، وليكن قصصك أئما، وطريقك نهجا، وريحك ساكنة، ووف مجالس الحكومة حقوقها من التوقير والتعظيم والتوجيه الى الواجب، فان ذلك أشبه بك، وتشكل لمذهبك في محنتك، وعظم خطرك. ولا تعجل قرب عجلة نهب ديننا، والله يعصمك من الزلل، وخطل الفسول والعمل، ويتم نعمته عليك كما أتمها على آبائك من قبل إن ربك حكيم عليم.

فقال ابراهيم للقاضي: أصلحك الله، أمرت بسداد، وحضيت على رشاد، ولست بعائد الى ما ينلم مروءتي عندك، ويسقطني من عينك، ويخرجني من مقدار الواجب الى الاعتذار، فاني طائئ معتذر اليك من هذه المبادرة، اعتذار مقر بذنبي، باخع بحرمه، فان الغضب ما يزال يستقزني بمواده، فيردني مثلك بحلمه، وتلك عادة الله عندنا منك، وحسبنا الله ونعم الوكيل. وقد وهبت حتى من هذا العقار لبختيشوع، فليت ذلك اليوم يوفي بأرش الجنائية، ولم يتلف مال أفاد موعظة، وبالله التوفيق.



## الماديون وأصول الاخلاق

ينكر الماديون وجود الخير المطلق ، زاعمين أن الخير والشر أمران نسبيين ، فما ينفع الانسان يسميه خيرا ، وما يضره يسميه شرا . ويبتنى على هذا أن ليس للأخلاق أصول أولية أوجدها خلاق وطبع الناس على الأخذ بها في أعمالهم وتصرفاتهم ، وإنما هي المصالح الوقتية تحتم عليهم اتباع هذه الخطة أو تلك ، تبعاً لما تقتضيه تلك المصالح نفسها منهم .

وعم في هذا الشطط إنما يصدر عن فلسفتهم للمادية ، إذ يزعمون أن الانسان حيوان ، لا فرق بينه وبين غيره من الحيوانات إلا في كمال جثمانه ، وفي قبوله للترقى ، لقيمه على تركيب يسمح له بذلك . وهو مثل سائر الحيوان ليس له روح تخلصه في حياة بعد هذه الحياة الأرضية . وكل ما عزاه الإنسان لنفسه من الخصائص الروحية والمقلية ، ومن الاتصال بعالم أعلى من هذا العالم ، إنما هو شيء زينه له الهوى والخيال ، وأرسخه في ذهنه الوهم والضلال .

رأس الماديين المعاصرين ( بوختر ) الفيلسوف الألماني الذي توفي سنة ١٨٩٩ قد حشر في كتابه المسمى ( القوة والمادة ) جميع الأصول المادية ، وبأبلغ في دعمها بما زعمه من المقررات العلمية ، حتى سمي أشياعه هذا الكتاب بالكتاب المقدس المادية .

ادعى هذا الفيلسوف في كتابه أن ما يسمى بالناموس الأدبي خيال محض ، وأنهم الروحيين من الفلاسفة بأنهم سريعو الانخداع بالفشور ، فعاب عليهم ادعاءهم وجود خير مطلق ، زعم أنه ليس في الوجود أصل أدبي مقرر ، فقال :

«إن المبادئ الأدبية ثمرة التربة ، وهي تترقى وتهذب على طول الزمان حتى لدى الأمم المتقدمة ، والوجدان الأدبي مثل الوجدان الديني من مبتكرات قادة الأديان الذين يدعون أنهم يصدر عن الله مباشرة ، فما الوجدان الأدبي في حقيقته إلا الاعتراف

بوجوب أعمال محدودة اعتبرتها الهيئة الاجتماعية أصولاً يجب الأخذ بها لضرورتها لها ليس إلا»

هذا ما قاله بوختر، ولكن التحقيق أن للصفات السامية أصولاً إلهية يجب البحث عنها من طريقها، وقد ألهم الله الإنسان أن يعيش في هيئة اجتماعية من بني نوعه. ولما كانت الحياة المشتركة لا تقوم إلا على أصول من العدل والأخلاق والآداب، أوحى الله إلى الإنسان الأول التمسك بها، وتناوبت الأديان السماوية على حض الناس على التقرب من مثلها العليا، على قدر ما تمكنهم من ذلك الوسائل العلمية والأدبية.

ولكن بوختر يتكرر كل هذا ويزعم أن ليس هذا الوجدان الأدبي بفطري في النفس البشرية، وإنما هو مجموع عادات أوجبها على الشخص المسمى الذي يعيش فيه، وأرسخها فيه شعوره بوجوب تطبيق أعماله على الحاجات الاجتماعية. فالخير عنده ليس له أصل قديم ثابت وإنما هو الخلق الذي ينطبق على حاجة لنوع الإنسان أياً كانت طبيعته. وعليه فقد يعتبر الشر في زعمه خيراً والعكس بالعكس. فالجرم الذي يعاقب على جنايته ليس هو بجان في الحقيقة كما يقول، فلئن عاقبته الهيئة الاجتماعية فإنما تعاقبه لأن ما فعله خطر على نظامها الحيوي، وهي لها الحق في معاقبته، لأن مصلحة الجماعة فوق مصلحة الفرد.

ثم تصدى بوختر للحرية الإنسانية التي اعتبرها العلماء الروحيون مبدأ للاختيار والارادة، فهدمها قائلاً: إنها وهم باطل، فإن الإنسان في ذاته حادث طبيعي محكوم بالطبيعة التي كوّنته، وبالمناسخ الذي نشأه، وبالبيئة التي ربّته، وبالجنس الذي نسله، وبالترية التي غرست فيه من صفوره.

يرى القاري مما سر أن الماديّين يعملون الحاجة الاجتماعية أصلاً لسائر الأصول الأدبية والاجتماعية، وأن هذه الأصول لا أصل لها لا في فطرة الإنسان، ولا في الخارج.

وقد قالوا : إن الحاجات الانسانية هي : ( أولا ) حاجات مخية . ( ثانيا ) حاجات قلبية . ( ثالثا ) حاجات حسية . ( رابعا ) حاجات غذائية ، مرتبة هذا الترتيب . والذي يدعو الى اعتبار الحاجات المخية في المقدمة كونها أرق مما يليها ، والذي يليها أرق مما بعده ، الى الحاجات الغذائية التي هي دون جميع الحاجات ، إذ يشترك فيها أدنى النباتات مع الانسان .

وقالوا : على هذه الحاجات قامت حياة الانسان في كل جيل ، ونشأ منها جميع ما يتشدد الانسان به ( في زعمهم ) من الألفاظ الضخمة والمبارات الطناتة ، مع أنها لا تعلق عن الحاجات الحيوانية في كبير شيء .

ونحن لأجل الرد على هذه الشبهات نقول :

مما لا يستطيع بوختر نكرانه بوجه من الوجوه ، أن في الكون نظاما ثابتا لا يتغير بتغير الأزمان ، ولا يتحول بتحول الانسان . هذا أصل تعترف به كل فلسفة في العالم . ذلك النظام مشاهد محسوس ، عليه بنيت جميع العلوم ، وينته و بين الانسان ارتباط من جميع الوجوه ، بل الانسان لا يستطيع الافتكاك عن هذا النظام لأنه جزء من أجزاء الكون . وقد اكتشف الانسان فيما وقع عليه بصره من هذا الكون علاقات بين الحوادث والظواهر سماها نواميس طبيعية ، وتنبعها في الحوادث المشابهة فوجدها ثابتة لا تتغير .

فوجود هذا النظام الكوني البديع ، وتلك النواميس الطبيعية الحكيمة ، حقيقة ثابتة لم نسمع عن حاول نقضها قديما ولا حديثا حتى الماديون أنفسهم .

ثم إنه مما لا يستطيع أن ينكره منكر أن الانسان امتاز عن جميع الكائنات المحسوسة بأنه كائن عاقل مدرك ، عقل أن له وجودا خاصا ، وأدرك أن في الوجود العام الذي يعيش فيه نظاما له نواميس مقسرة لا يحيد عنها إلا بإرادة عليا من مبدعه . وإن الانسان فكّر وتدبر ، وقاس حاضره على ما ضيه ، وقارن بين حوادثه المختلفة ،

فأدرك بعد انتهائه إلى درجة عالية من العقل أن كمال حياته مرتبط بكمال إدراكه لتلك القوة الحافظة للنظام الكوني . وتاريخ الفلسفة حافل بكل هذه المحاولات في خلال العصور .

ولقد أدرك الإنسان أنه لم يتز على سائر الكائنات بالعقل إلا لأنه خالق لا إدراك غاية لا يدركها سواه من سكان هذا العالم ، وأنه سوف يحقق لنفسه بها كمالا يسيطر به على الطبيعة نفسها ، فيستخدم قواها لمصلحته ومصلحة ما يحيط به . هذا ما أجمع الفلاسفة على القول به ، وهو ما يسميه الإسلام بخلافة الله في الأرض

ترقى الإنسان في العلم والشعور فرأى في الكون دلائل ناطقة على العناية الإلهية بالكائنات ، وعلى وجود قوى لا يدرك كنهها دائية على تربيتها وتكاملها ، وعوامل خصصت لتربيتها وتهديتها ، فهو أينما يوجه وجهه لا يرى إلا آثار تلك العناية ، ودلائل هاتيك القوى ، وهذا ما يسميه علماء الكون بناموس الارتقاء العام .

وقد تعمق الإنسان في البحث عن هذه القوى الدائمة على ترقية الكائنات وتكاملها فوجدوها فيضاً دافقاً من مدبر حكيم لا يحيط به عقله ، ولا يستوعبه ذهنه ، إذ وجد فيها نظاماً لا يتطرق الخلل إليه ، وحكاماً لا يجوز الخبط عليه ، وعدلاً لا تقص منه الذرة ، وعناية نشرت روائعها على كل كائن ، فعاش في ظلها ما لا يحتمل المس ضعفاً ، كما عاش ما يرجح الأرض بمشيته قوة ، إذ أمدت ذلك الضعيف بما به قيامه وبقاؤه ، وألهمته ما يدافع به عن نفسه ويحفظ نوعه .

أدرك الإنسان كل هذا وعقله ، وأعجب به وأشاد بذكوره ، ولم يخلف الماديون عن غيرهم في هذا المجال ، فوضعوا المطولات في سرد بدائع الطبيعة ، والنظام السائد فيها ، والترابط المحكم بين أجزائها ، ووقف الإنسان أيضاً بصورة إجمالية على بعض ما في الكون من تقدير وتدير وقصد ومراعاة للأصلح .

وهل كل هذه الصفات الفائضة على الكون إلا أصول سامية قامت عليها

السموات والأرض ، وانتظمت بها عوالمها حتى بهرت ظواهرها العقل ؟ وهل هي إلا خير محض ، وجمال بحت ، وكمال لا يقف جلاله عند حد ؟

فكيف يسوغ لفيلاسوف بعد هذا أن يقول : إنه ليس في لكون أصول أدبية ، وإن الخير والشر أمران نسبيان ، ف ينفع الإنسان سماء خيرا وما يضره سماء شرا ، والواقع أن الشر كل ما خالف نظام الوجود وآدابه ، والخير كل ما وافقه وسائر نظامه ، والانسان مدفوع لمحاكاة الطبيعة في آدابها ونظامها ، فكما بلغ من ذلك حدا فل شره على نسبه ، فلا يزال يتحراه ويقتاس به حتى يصبح رجلا كاملا متخلفا بأخلاق مبدعه الظاهرة في مصنوعاته ، الواضحة في أعلامه ، التي نصبها لمن يعقلها من كائناته ؟

كيف يزعم زاعم أن العدل والظلم يستويان ، وأن القسوة والرحمة يتعادلان ، وأن الجهل والحكمة يتوازيان ؟ وهلا يرى أن النوع البشري مدفوع الى الأخذ بالصفات العليا ، ودائب في الاعتماد عن الصفات الدنيا ؟ ألم يفرد للتمدح بالفضائل كتبها ، ويقم للعاملين بها نصبا ؟

لعل الذي فتن هؤلاء الماديين أنهم يرون القبائل العريقة في الوحشية لا تفرق بين المحامد والمذام من الصفات الانسانية ، ولكن أئخفى عليهم أن هذه الجماعات ما قضى عليها بما هي فيه غير الجهل ، وأنها متى أمدت ببصيص من نور العلم اندفعت بفطرتها لتحرى الفضائل ، والإملاس من الرذائل ؟

إن التوجيهات الكلامية التي ساقها بوختر في كتابه ، وافتتن بها بعض البسطاء من قرائه ، لا يصح أن تكون ماثلة في فلسفة القرن العشرين إلا على سبيل التذليل على فساد الذوق المنطقي عند ماديي القرن التاسع عشر ، فإن الفيلاسوف الذي يسمح لنفسه أن يقول كما قال بوختر : « إن المجرم الذي يعاقب على جنايته ليس هو يجان في الحقيقة ، وإنما هو يعاقب لأنه أتى فعلا يضر بالمجتمع الذي يعيش بين ظهرانيه » . إن متفلسفا كهذا لا يصح أن يحشر في عداد أهل التفكير والروية ، فإنه يحكمه على الانسان بهذا

الانحطاط قد سلبه أخص معارفه الضرورية ، من التمييز بين الجمال والقيح ، وقد ثبت وجود حيوانات تفرق بينهما . وإذاً يكون لاسان أخط منزلة من الحيوان .  
الخلاصة أن النظريات المادية الإلحادية ليست كما ترى إلا عصارة من آراء ضالة ، وسفسطات باثرة أدت الى مذهب لا يفتن به إلا الذين تستهويهم الزخارف الكلامية ، ولا يجدون في أنفسهم قدرة على تحليل المسائل الفلسفية .

محمد فريد وجرى

## طرف من احتياط القضاة

قال الشعبي : كنت جالسا عند شريح القاضي ، إذ دخلت عليه امرأة تفتكي زوجها وهو غائب ، وتبكي بكاء شديدا .  
فقلت : أصلحك الله ، ما أراها الامظومة . قال وما علمك ؟ قالت لبكائها . قال لا تفعل ، فان إخوة يوسف جاءوا أيام عشاء يبكون ، وهم ظالمون .  
قال سفيان الثوري : جاء رجل يخاصم الى شريح القاضي في سنور . فأمر أن يحضر بينة تشهد له . قال الرجل : ما أجد بينة في سنور ولدت عندي .  
قال شريح : فاذهبوا بها الى أمها فأرسلوها ، فان استقرت واستمرت ودرت فهي سنورك ، وإن هي اقصرت وأزبأت ، فليمت بسنورك .  
قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز : إذا أتاك الخصم وقد فقت عيه ، فلا تحكم له حتى يأتي خصمه ، فلعنه قد فقت عينا جميعا .  
وكتب عمر بن الخطاب الى معاوية . إذا تقدم الخصمان فعليك بالبيئة العادلة أو الجين القاطعة ، وإدناء الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه ، وتعاهد الغريب فإني لم تتعاهده سقط حقه ورجع الى أهله ، وإتضاع حقه من لم يرفق به ، وآس بين الناس في لحظك وطرفك ، وعليك بالصلح بين الناس ما لم يبين لك فصل القضاء .

## تفسير قوله تعالى

(إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ)

وبيان بعض آيات الله في مخلوقاته

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: (إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ - وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ):

اعلم أن الله أمرنا بالتفكير في مخلوقاته وما أودعه فيها من الأسرار الناطقة بوجدانيته وعظيم قدرته وبدبح حكمته؛ وذكر لنا نماذج من تلك الآيات في كتابه العزيز فقال: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ» وقال: «وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ» «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تُمِشُّونَ» «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا».

وقد قال بعض فلاسفة الأوربيين: «يكفي في الدلالة على الله وبطل قول الماديين وجود الأنتي بجانب الذكر، فمن الذي أشعر المادة الصماء العمياء أن بقاء نوع الإنسان يتوقف على وجود المرأة بجانب الرجل، فأوجدت له الأنتي ومتمتها بكل ما يوجب ميل النفس إليها، وقرقت بينها وبينه في الخصائص والمميزات حتى في صوتها؟ إلخ».

وقال تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ» «وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ» «وَمِنْ آيَاتِهِ يَرْسِلُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ» وقال تعالى: «وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» وقال:

« قُتل الإنسان ما أكفره . من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره . ثم السبيل يسره »  
 وقال عز من قائل : « ألم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه في قرار مكين . إلى قدر معلوم  
 فقدرنا فنعم القادرون » . وقال : « أُولم ير الإنسان أما خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم  
 مبين » وقال : « أليحسب الإنسان أن يُترك سدى . ألم يك نطفة من مئى مئى . ثم كان  
 علقة نفاق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى » وقال : « أوم ينظروا في ملكوت  
 السموات والأرض وما خلق الله من شيء » . وقال : « هل يستوى الذين يعلمون والذين  
 لا يعلمون » . وقال : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . وقال :  
 « وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » إلى آخر ما جاء  
 في الكتاب العزيز مما لا يكاد يحصى .

وقد روى : « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » . بل جاء في بعض الروايات :  
 « خير من ستين سنة » . وفي بعضها « خير من ثمانين سنة » . ولكنها قد تكلم فيها  
 وهي صحيحة المعنى قرب فكرة توصلك من محض الإيمان وصريح الإيقن ، وتعرفك  
 من عظمة الله وجلاله ما لا تنفع فيه عبادة السنين المتطولة ولا الجهود الشاقة . وأنى لعبادة  
 الظواهر أن تصل من تطهير القلوب إلى ما تصل إليه الفكرة في بدع صنع الله الذي  
 بملأ قلبك هيبه وخشوعا ، وسرك عظمة وإجلالا .

وعن عطاء بن أبي رباح قال : « انطلقت أنا وعبيد بن عمير بن فتادة الليثي قاضي  
 أهل مكة إلى عائشة رضي الله عنها وبيننا وبينها حجاب ، فقالت : يا عبيد ما يمنعك من  
 زيارتنا ؟ قال : قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : زر غيا تردد حبا ، قال ابن عمير :  
 فأخبرتنا بأعجب شيء رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فبككت وقالت :  
 كل أمره كان عجبا : أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ، ثم قل : ذرني أتعبد لربي عز  
 وجل ، فقام إلى القربة فتوضأ منها ، ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ، ثم سجد حتى بل  
 الأرض ، ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال : يا رسول الله



ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال - ويحك يا بلال ! وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله عليّ في هذه الليلة « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار » ؟ ثم قال : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها .

رواه عبيد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، وابن أبي الدنيا في التفكر ، وابن عساکر ، كلهم عن عطية .

وفي بعض الروايات « ثم قام فصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ، ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ، ثم رفع رأسه فبكى ، فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة » ويعجبني كثيرا قول من قال :

نبصر حيث كان لك التبصر      وفي ذات الإله دع التفكر  
وإن ترد المهيمن حين تذكر      تأمل في نيات الأرض وانظر  
إلى آثار ما صنع المليك

إلى أن قال :

شمس في البرية طالعات      نجوم في الدياجي مشرقات  
عيون من لجين شاخصات      على قضب الزيرجد شاهدات  
بأن الله ليس له شريك

وكان سفيان الثوري كثيرا ما ينشد :

إذا للرء كانت له فكرة      ففي كل شيء له عبرة

وليست دلائل الوحدانية وآيات القدرة مختصة بشيء دون شيء ، بل هي في الصغير كما هي في الكبير ، وفي الحيوان كما هي في الإنسان ، وفي البر كما هي في البحر ، وفي لأرض كما هي في السماء ، ولله در أبي العتاهية حيث يقول :

وفي كل شيء له آية      تدل على أنه الواحد

ويقول أمية بن أبي الصلت :

هاج للقلب من هواء اذكار      وليال رخـلاطن نهار  
وجبال شواخ راسيات      وعيون مياهن غزار  
ونجوم تلوح في كل فج      مشرقات وفي الدجى آثار  
الى أن قال :

والذى قد ذكرت دل على ألا      نفوسا لها هدى واعتبار  
وقبل الخوض في تفاصيل بعض الجزئيات تذكر كلمة وجيزة عن سعة الكون  
وعظمته فنقول :

كنا نقول فيما رويناه عن سلفنا الصالح إن الأرض بالنسبة الى السماء الأولى  
كحلقة ملقاة في فلاة ، والسماء الأولى بالنسبة الى الثانية كحلقة ملقاة في فلاة ، وهكذا  
الى أن نقول : إن السموات السبع بالنسبة الى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة ، وكذلك  
نسبة هذه العوالم كلها الى العرش . ونقول عند الرفع من الركوع : ربنا ولك الحمد حمدا  
كثيرا طيبا مباركا فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت  
من شيء بعد .

فاسمع الآن ما يقوله أرباب العلوم الحديثة الذين لا يروون عن رسول ولا يقولون  
بالروايات والأخبار ، ولكن بالشاهدات التي أوصلتهم إليها آلاتهم الحديثة مثل  
التلسكوب (النظار المقرب) والشعاع الطيفي الذي جعل ما كان مغيبا خفيا مشاهدا  
محسوسا .

وقد اصطالحنا في بيان المسافات البعيدة بذلك المقياس الذي نعرفه في عباراتنا  
العصرية أعنى الكيلو متر ، ولكنهم رأوا أن ذلك المقياس ضئيل جدا لا يغني فتिला  
في موضوع بيان سعة العوالم وبيان أبعادها . فاذا جعلوا من المقاييس ؟ جعلوا المقياس  
لذلك شيئا يسمى برسكا ، وما البرسك ؟

هو مقدار سير النور مدة ثلاث سنوات وسدس ، وما مقدار ما يسيره النور في سنة ؟ أو نقول : وما هي السنة النورية ؟

السنة النورية أسر يفوق الوصف ولا يكاد يصدق العقل ، فإن النور يسير في الثانية ٣٠٠ ألف كيلو متر . وإياك أن تقول إن ذلك في الدقيقة ، وإنما هو في الثانية التي هي جزء من ستين جزءا من الدقيقة . فما بالك إذا جرى سنة ثم ثلاث سنين وسدس ، وهو ما جعلناه مقياسا فانظر الآن ما يكتبونه عن بعض السدم البعيدة عنا .

يقولون : إن سديم (ماجلون) يبعد عن الأرض ٣٥ ألف برسك ، أي نحو ١١٠ ألف سنة نورية ، وإن السدم التي تمكن العلم من قياسها هي كما يأتي :

- ١ — ستة سدم تبعد عنا ٦٥ برسكا ، أي نحو ٢٠٧ سنة إذا سرنا إليها بسرعة النور .
- ٢ — ثلاثة نجوم سديمية معروفة باسم (توفا) تبعد عنا ١٧٥ برسكا ، أي نحو ٤٣٥ سنة نورية .

٣ — خمسون سديما مظلما ونيرا تبعد عنا ٣٢٠ برسكا أي نحو ١٠١٤ سنة نورية .

٤ — سيعون سديما تبعد عنا ٩٠٠ برسكا (ونذع الحساب اليك فلا نطيل به) .

٥ — تسعة وستون سديما تبعد عنا ٢٣ ألف برسك .

٦ — سديمان حلزونيان على بعد ٢٠٠ ألف برسك .

وهذا البيان مأخوذ من تقرير رفع الى أكاديمية العلوم بفرنسا في شهر مارس

سنة ١٩٢٣

وقد قال بعضهم عند ما أدهشته سعة العوالم : إن هذه العوالم لانهاية لها . وقد وقفت آلامهم الحديثة على عظمتها وشدة التفنن فيها أثناء تلك العوالم ولا يدرون ما وراء ما اكتشفوه . ألا يعرفنا ذلك صغرنا وضآلة أمرنا ويفهمنا معنى قوله تعالى : « سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » وقوله : « وما يعلم جنود ربك إلا هو » وقوله : « ويخاف ما لا تعلمون » وقوله صلى الله عليه

وسلم : « سبحانه لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » ؟ ويعجبنى قول  
 اللورد (أوفبرى) الانجليزى فى كتابه (محاسن الطبيعة) عند ما ذكر شئنا من سعة  
 العوالم التى لا تكاد تندهى : « فليكسر الحساب أقدامهم وليطووا أوراقهم ، فإن الأمر  
 فوق العد والحساب » .

وقد ذكروا أن أرضنا هذه أصغر من الشمس بألف وأربعمائة مرة . وذكروا  
 أن الشمسى أضواء من شمسنا هذه بنحو خمسين مرة ، وأن نبات ندى أضواء منها بنحو  
 ثلاثمائة مرة ، وأن السماكين أضواء منها بنحو ستمائة مرة ، ولكن بعدها الشاسع  
 جعلنا لا نرى منها إلا الضوء الضئيل . أما شمسنا هذه فهى قريبة منا قريبا نسبيا ، فإن  
 الضوء يأتينا منها فى مدة ثمان دقائق وثمانية عشرة ثانية .

وقد اقتضت حكمة الحكيم أن يجعل الأرض على هذا البعد ، لأنه لو جعلها بعيدة  
 جدا لم تنتفع بحرارة الشمس ولا ضوءها هذا الارتفاع . وإذا لا يكون على الأرض  
 نبات ولا حيوان . ولو جعلها قريبة من الشمس جدا لكانت كنار جهنم ، فلم يمش  
 عليها حيوان ولا إنسان . سبحانه الحكيم العليم .

بوسلف الدجوى

من هيئة كبار العلماء

« يتبع »

## العطية على قدر المعطى

مر يزيد بن المهلب فى طريق البصرة بأعرابية فأهبطت له عزرا فقبها وقال لابنه : ما عندك  
 من ثقة ؟ فقال : ثمانمائة درهم . قال : ادفعها إليها . فقال له ابته : إنما لا تعرفك ويرضيها  
 اليسير . فقال له أبوه : إن كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفعى ، وإن كان يرضيها اليسير ، فأنا  
 لا أرضى إلا بالكثير .

## الحياة الدينية والحياة المدنية

يخيل لبعض الناس أن الحياة الدينية تنافى الحياة المدنية، ولهم في إثبات هذا التنافى مذهب ليس له أصل من الفلسفة ولا من حقائق الأشياء، إذ يتوهمون أن الحياة الدينية تقتضى الزهد والتقشف والعزوف عن كل متعة أو رفه، وحبس قوى النفس على الأمور الأخروية، حتى زعم زعماءهم أن الأمم التى تأخذ بالدين لا يرجى لها تقدم فى باحات العمران، وأنها تجمد حيث هى معطلة جميع مواهبها، لا تستثمر علما، ولا تنكشف مجهولا، ولا ترق صناعة ولا فنا، حتى تهمل بها دولة مستعمرة فتبتلعها غنيمة باردة، أو تبقى على ما هى عليه أمدا، ثم يضطرها الإهمال والجنول الى الانحلال، فتفتنى فى أجساد الأمم الأخرى. ومن ثم يجعل هؤلاء الزعماء، دينهم العمل على تشكيك الناس فى دينهم بطرق شتى، رجاء أن يضعفوا سلطان الدين عليهم، ولا يهمهم أدفع بهم هذا التشكيك الى الإباحة أم الى المادية البهجة.

ولست أدري أدرس هؤلاء الزعماء، لتاريخ فعلوا أن الإسلام أحيأ أمما كان الجود قد أناخ عليها كلكه، وأسس دولة لا تغرب عن ممالكها الشمس، وبعث العلوم والفنون من أجدانها، وزاد عليها مما فُتح على أهلها علوما وفنونا جديدة، فكان سببا فى إحياء أوربا ودفعها الى ما وصلت اليه اليوم من علومها وصنائعها التى مزجتها بمدنيتها الزائفة.

فالدین لندى حوّل الأمم الجامدة الهامدة، الى أمم حية راقية رفعت لواء خلافة الله فى الأرض أجيالا متعاقبة، لا يميل أن ينقلب الى دين يكون سببا لجود الأمم وتجريدها من أسباب الحياة وعوامل الرقى.

إن هؤلاء الزعماء يعرفون كل هذا، ولكنهم يتخيلون أن الأمور قد حالت، فساكان يصلح أساسا للمجتمعات فى زمان الغابر، لا يصلح أن يكون أساسا لها

في العصر الحاضر، فيقولون إن الناس كانوا يُعَنُّون في سالف العهود بشئون روحية مع شئونهم المادية، ويجهدون وراء التوفيق بينهما، ولكن الأُم اليوم لا تعباً إلا بالشئون المادية، فإذا وُجدت أُم تتحرى التوفيق بينهما لزمها أن تتوقف عن الأخذ بأمور كثيرة عُدت اليوم من مقتضيات المدنية.

هذه شبهة يدلون بها الى اناس، فيتلهاها الذين لا يعلمون بالقبول باعتبار أنها ترمى الى سر من أسرار علم الاجتماع، وهي في الحقيقة لا ترمى الى شيء غير دعوة صريحة الى التحلل من تكاليف الأخلاق، والتكالب على الأخذ بجميع آفات المدنية وأدائها بغير حساب.

لقد سبقت من هؤلاء دعوة حارة الى ضرورة اختلاط الجنسين، والى وجوب عمل المرأة خارج بيتها، مستأنسين في دعوتهم هذه بما عليه النساء في الأُم المتقدمة، فافتتن بهذه الدعوة جميع من لا يبصر لهم بالأُمور، واطّرحوا كل ما عورضت به هذه الدعوة من طريق العلم الاجتماعي والفلسفة والأخلاق، فلم يعض على هذا القول ربع قرن حتى وقعت أوروبا وأمريكا في شر هذه الأُزمة العامة، فنظر أهلها فإذا العامل الوحيد الذي أدى الى شيوع البغالة إنما هو أن النساء قد هجرن بيوتهن واشتغلن بأشغال الرجال، ورأوا أن ضرر هذه الرخصة لم يقف عند حد البطالة، ولكن تعداها الى نظام الأسر وتربية الأطفال، وانتشرت العزوبة الى حد صريع، وفسدت بذلك الأخلاق فساداً يعجز إصلاحه على الأساة، فأخذ قادة تلك الأُم يعملون على رد الأمور الى نصابها الطبيعي، بكف يد المرأة عن العمل الخارجي، وردها الى مملكتها الطبيعية وهي الأسرة، وهيات أن يتم لهم ذلك إلا في أجيال يكابدون في أثنائها من الشدائد ما لا قبل لنا بديانته.

فإذا جنى الأغرار عتدنا الذين اتبعوا هؤلاء الإباحيين من آثار دعوتهم الى وجوب اختلاط الرجال بالنساء، والى عمل هؤلاء خارج بيوتهن غير ما نشاهده

من فساد الأخلاق، وانحطاط النفوس، وتفاقم الشهوات، وانتشار العزوبة؟ واليوم  
يمدون من مطعمهم فيدعون الى وجوب الأخذ بكل جديد، دون التقيد بالمبادئ  
الأولية للأخلاق، كأنهم يريدون أن نأخذ بجميع أدواء المدنية.

وكأنه ما كفاهم أن تقع بسبب دعوتهم الى اختلاط الجنسيتين في كل ما نشير اليه  
من الشرور، فقاموا يدعوننا للأخذ بجميع تلك العلل جملة، حتى يكون تدهورنا في تهور  
الانحلال غير قابل للعلاج.

إنهم لا يقصدون ذلك كما هو دهي، وإنما هو قصر النظر وخطأ التحليل، والافتتان  
بالظواهر تطوح بهم الى هذه التهاات، وهي حالات تضطر حفظة الاجتماع الى زيادة  
التنبيه، وشحن الهمم لا بطل دعوتهم بالأسلوب العلمي الصحيح.

يتوهم بعض الناس أن الحياة الصالحة تنافي متع المدنية الصحيحة، وتجعل الأمم  
كجماعات من المتبتلة لا يتسع لهم الوقت لغير القيام بالواجبات الدينية، فإذا صح  
انطباق هذا التوهم على بعض الأديان فلا يصح مطلقاً أن بوصم به الاسلام، وهل بعد  
قوله تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) وجه  
لإداعة مثل هذه الشبهة بين الناس؟

الإسلام لم يحرم على إنسان متعة من متع الحياة الصالحة، بل أباحها بشرط  
أن لا تدفع به الى عالم الحيوانية، وتدس به في حاة الإفراطات الشهوانية. فهو يبيع له  
التمتع بالذات الى الحدود التي قرر العلم أن ما وارهها يؤدي الى شرور شنيعة، وأخطار  
على المجتمع مريعة.

فهو يحرم الخمر والمقامرة، والبغاء والتهتك والإفراط، وكل ما ينافي كرامة  
الانسانية، ويحط من قيمتها، وهي صفات قرر العلم في كل زمان ومكان أنها آفات  
يجب تجنبها، لما يبتنى على شيوعها من العلل الاجتماعية الخطيرة. فإذا كان من الناس  
من يزعم أن الحياة لا تكون هنيئة سعيدة إلا إذا أسيحت فيها هذه لمخظورات فقد

أخطأوا خطأ لا يغتفر . فإن الذي يرى أن هناءه لا يتحقق إلا إذا أبيع له أن يتعاطى السوائل السامة المضلة للعقل ، وأن يلقي بماله جزا في اللعب بالورق ، وأن يترك ما أحل له ويجرى وراء السافطات في الشوارع والأزقة ، وأن ينتهك حرمة الآداب ويفرى فاسدات الأخلاق على أنها كها ، وأن يأتي كل ما بدله بحلول الرسن لا يبالي أحفظ كرامة للإنسانية أم أهاتها في شخصه وأشخاص مشايخه ، نقول : إن الذي لا يرى له هنة إلا في هذه المفاذر المنكرة ، فهو ضال عن طريق الهناء الصحيح الذي لا يشوبه كدر ، مما يتمتع به كلة الرجال وينعمون فيه . فهو يحل لذات العقل السليم ، والاحتفاظ بالمال ، والاقتصاد في توفية الشهوة على الحلال ، ويجهل نعيم التصون والاعتدل ، وحفظ كرامة الإنسانية ، والمحافظة على الآداب .

إن لهذه الصفات السامية لذات يشعر بها المحافظون عليها ، ويحرصون على أن لا يجرموها ، وينظرون لى أهل الإباحة نظرم إلى المحرومين من مباحج الحياة ونعيمها . يتخيل هؤلاء المفتونون أن ليس لصفات الكمال لذات ، وهو غاية الجهل ، ومنتهى الغباوة ، ودركة بعيدة القرار من قصر النظر وسوء التقدير .

يغر هؤلاء المفتونين أن للإباحة دولة في أرق أم الأرض ، ويغفلون عن أنها السبب المباشر لكل ما فيه هذه الأمم من أزمت اقتصادية وعلل اجتماعية عجز تبرزها في العلوم ، وتفوقها في الصنائع والفنون أن تهتدى منها إلى حل حاسم . فمن كان ضاربا مثلا فيضربه بالسليم المعافى ، لا بالمرضى الذي يتعالمب العلاج فلا يجده ، والذي يتوقع من آونة إلى أخرى أن يتفجر ما كدسه بين يديه من مواد التدمير فتلقى بالمدنية إلى مكان محقق ( أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ) .

محمد فريد وجرى



## إِذَا أَلَسْتُمْ عِنْدَ الْمَيِّتِ

### الصمت في تشييع الجنازة

ورد إدارة المجلة السؤال الآتي :

ماقولكم دام فضلكم فيما ورد من حديث « إن الله تعالى يحب الصمت عند ثلاث : عند قراءة القرآن ، وعند الزحف ، وعند الجنازة » وحديث « أ كثروا في الجنازة من قول لا إله إلا الله » ؟ فقد قال صاحب مصباح الظلام على نيل المرام على الحديث لأول عند قوله عند الجنازة الخ نقلا عن الحنفى : إن رفع الصوت في الجنازة خلاف الأولى . ونقل عن البجيرى أنه مكروه ، إلى أن قال : إن هذا باعتبار الصدر الأول ، وإلا فالآن لا بأس بذلك لأنه شعار الميت لأن تركه مزرية ، بل لو قيل بوجوبه لم يبعد . مع العلم بأن الحنفى ذكر على الجامع الصغير في معنى الحديث الثانى فقال : ولعل الحديث المأخوذ منه سن السكوت في تشييع الجنازة والتفكير في الموت مقدم على هذا الخ .

فهل ورد قول بأن رفع الصوت بالذكور أمام الجنازة محرم إجماعا ، وما جزاء من حكم بذلك وأنكر حديث « أ كثروا في الجنازة من قول لا إله إلا الله » ؟

محمود إبراهيم عبد ربه  
رئيس مدرسة مسرع اللازمية

### الجواب

اعلم أن المستحب حال السير بالجنازة وعند غسلها والصلاة عليها إنما هو الصمت وخفض الصوت والتفكير في الموت وما بعده من أمور الآخرة ، لأن ذلك هو المناسب للحال ، ورفع الصوت في هذه الأحوال مكروه ولو بالذكور والقرءان . وحديث الدنيا أشد كراهة .

ويدل على ذلك ما رواه البيهقي أن الصحابة رضى الله عنهم كرهوا رفع الصوت عند الجنائز والقتال والذكر ، كما في شرح الرملى على المهاج . وفي شرح المذهب عن قيس ابن عباد أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يكرهون رفع الصوت عند الجنائز . وعن الحسن أنهم كانوا يستحبون خفض الصوت عندها . وعن أبي بردة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك . رواها أبو داود .

ويدل على ذلك أيضا حديث الجامع الصغير ، وهو « إن الله يحب الصمت عند ثلاث : عند تلاوة القرآن ، وعند الزحف ، وعند الجنائز » . وهذا الحديث وإن لم يرد في الصحيح بلفظه ، لكن ورد في الصحيح ما يعضده من الأحاديث المتقدمة التي استدلل بها الفقهاء . ومعلوم أن الفقهاء إنما يستدلون بالصحيح من الأخبار ، فلا يعارضه حديث « أكثروا في الجنائز قول لا إله إلا الله » وهو في الجامع الصغير ، لأنه ضعيف ، وليس له شواهد تعضده كما ذهب إلى ذلك الشيخ الحنفى على أنه لا منافاة بين الحديثين ، لأنه يمكن الإكثار من قول لا إله إلا الله سرا كما قال الشيخ المزرى شارح الجامع الصغير .

هذا هو المنصوص عليه في كتب الشافعية المعتمدة من اللتون والشروح . وأما ما قاله بعض المتأخرين من الشافعية من استحباب رفع الصوت بالأذكار أمام الجنائز وعلل ذلك بأنه صار شعاراً للجنائز المسلمين وأن تركه مزرٍ بالميت وبورثته ، فهو اجتihad منهم مقيد بعلته ، ولعله كان في زمنهم . وأما الآن فلا نجد في ترك ذلك احتقار للميت ولا لورثته ، بل تركه أكمل وأهيب للجنائز . على أنهم إنما استحبوا رفع الصوت بالذكر الصحيح المشروع . وأما ما يفعله بعض الناس من التغنى بالذكر ، وتخطيط الحروف بالأصوات للزجة ، فهو أمر قبيح لا يستحسنه أحد ، بل هو حرام في الجنائز وغيرها يجب إنكاره كما قال ذلك العلامة الرملى في شرحه للمهاج ، وانص عبارته : « وكره جماعة قول المنادى مع الجنائز : استمعوا لله له ، فقد سمع ابن عمر رجلا يقول ذلك فقال :

لا يغفر الله لك . والصواب كما في المجموع ما كان عليه السلف من السكوت في حال السير ، فلا يرفع صوت بقراءة ولا ذكر ولا غيرها ، بل يشتغل بالتفكير في الموت وما بعده ، وفناء الدنيا ، وأن هذا آخرها . وبسن الاشتغال بالقراءة والذكر سرا ، وما يفعله جهلة القراء من القراءة بالتمصيط وإخراج الكلام عن موضعه حرام يجب إنكاره » انتهى كلامه .

وعلى بعضهم استحباب رفع الصوت بالذكر بأن ذلك يباهي الناس ويشغلهم عن الحديث في أمور الدنيا . ذكر ذلك في الحواشي للمدنية ومعنى هذا أنه إذا دار الأمر بين الاشتغال بالحديث الديني وبين رفع الصوت بالذكر ، كان الثاني أولى . وهذا لا ينافي أن الأولى والأحب ترك الأمرين .

والخلاصة أن المستحب أمام الجائز خفض الصوت والتفكير في أمور الآخرة ، وأن رفع لصوت مكروه فقط ، ولم يقل أحد إنه محرم ، إلا في حال التحريف للقراءان والذكر ، فيكون حراما لذلك ، والله الهادي والوفقى إلى سواء السبيل .

الحسيني سلطان  
مدرس بكلية الشريعة

يوسف المرصفي  
مدرس بكلية الشريعة

## الصابون المتداول

وورد أيضا السؤال الآتي

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد أشيع من زمن بعيد أن صابون المتداول الآن بين الناس غالبه مصنوع من الزيوت الحيوانية ، خصوصا من الحيوان المحرم لحمه وهو الخنزير . وقد يجهل البعض سر صناعته فيستعمله باعتبار أنه يجهل صناعته ، ويتنوله البعض وهو يعلم أمر صناعته ، لأنه أحسن استعمالا من الأصناف المصنوعة

من الزيوت النباتية ، بل قد يكون — فضلا عن جودته — أفيد طيبا من الأصناف المصنوعة من الزيوت النباتية ، مع ملاحظة أن الرغوى لا يبق بعد غسلها بماء الخالص سواء كان غسلها مرة أو ثلاثا أو سبعا .

فأراى فضيلتكم فى هذا الأمر : هل يجوز شرعا أم لا ؟ أفدكم الله وثابكم .

حسن السيد زعزع

## الجواب

الحكم فى هذه المسألة ينبئ على أن انقلاب العين وتحولها من حقيقة الى أخرى يطهرها أم لا . وهى مسألة اختلف فيها لإمامان أبو يوسف ومحمد : فذهب أبو يوسف الى أن تحول العين لا يطهرها ، وذهب محمد الى أنه يطهرها ، لأن الحقيقة التى رتب عليها الشارع وصف النجاسة قد ذهبت والوجود عين أخرى ، فالحیوان الميت نجس بوصف الحيوانية والموت ، فاذا صار ملحا كان طاهرا ، لأن الحقيقة التى حكم عليها بالنجاسة غير موجودة .

وقد اختار علماء المذهب قول الامام محمد ، ونصوا على أنه المفتى به ، فقد جاء فى فتح القدير على الهداية ما نصه :

« واختار كثير من المشايخ قول محمد ، وهو المختار ، لأن الشرع رتب وصف النجاسة على تلك الحقيقة ، وتنتفى الحقيقة بانتفاء بعض أجزائها فكيف بالكل » ثم قال : « وعلى قول محمد فرعوا الحكم بطهارة صابون صنع من زيت نجس » اهـ .

ونقل ابن عابدين عن المجتبى ما نصه :

« جعل الدهن النجس فى صابون يفتى بطهارته ، لأنه تغير ، والتغير يطهر عند محمد ، ويفتى به للبلوى » ثم قال ابن عابدين : وظاهره أن دهن الميتة كذلك . ثم نقل عن المنية ما يؤيده اهـ .

ومن ذلك يعلم أن الصابون المتخذ في صناعته دهن نجس من حيوان ولو كان خنزيراً أو غيره ، طاهر ، ولا مانع من استعماله شرعاً على ما هو المختار من مذهب الحنفية ، والله أعلم .  
عبد السلام العسكري الحنفى      حسن يوسف اليبوى الحنفى  
المدرس في كلية الشريعة الإسلامية      المدرس بكلية الشريعة الإسلامية

## زكاة الزرع

وردد أيضاً سؤال ملخصه فيما يأتى :

بعض الملاك الذين آجروا أرضهم لغيرهم بأجر سنوى من النقد المعلوم قدره لا يمتكنون المستأجرين من غلة هذه الأرض حتى يستوفوا أجرة أرضهم ، ومن هذه الغلة حبٌ تجب الزكاة فيه ، فإذا فرض أن الأرض المؤجرة أنبتت من الحب عشرين أردباً استولى عليها صاحب الملك فأخذ منها عشرة أرداب وأعطى للمستأجر عشرة ، أو أخذ سبعة عشر وترك الباقي للمستأجر ، فعلى من تكون زكاة هذا الحب ؟

## الجواب

إنه لا زكاة على مؤجر الأرض ، لأن زكاة الحبوب والثمار إنما تجب على مالكيها ، ومالك الحب في هذه الحالة هو المستأجر وليس للمؤجر شيء في هذا الحب ، إنما الذى له هو أجرة أرضه المتفق على أن تكون نقداً لا حباً .

وإذا كان المالك قد استولى على شيء من الزرع بغير حكم قضائى فهو غاصب ولا زكاة في المال المغصوب ما لم يرد إلى صاحبه . فإذا أعطى المالك للمستأجر ما يبلغ النصاب وجب على المستأجر أن يخرج زكاة الحب الذى أخذه فقط . وأما ما أخذه المالك فهو مال مغصوب لم يتمكن صاحبه من رده ، فلا زكاة عليه فيه . وإذا أعطى المالك للمستأجر حباً لا يبلغ النصاب فلا زكاة عليه فيه .

أما إذا كان المالك قد استولى على الزرع بحكم قضائي بأن أذن له الحاكم بحجزه تحت إشراف من يرضاه ليستوفي منه دينه ، ففي هذه الحالة يكون للمستأجر صورتان : (الأولى) أن يكون مليئاً قادراً على وفاء دينه من غير هذا الحب ، وحكمه حينئذ أنه يجب عليه إخراج الزكاة عن جميع ما أخرجت الأرض من حب . و (الثانية) ألا يكون قادراً على الوفاء إلا من هذا الحب بحيث إذا أدى دينه لم يبق له من الحب مقدار النصاب ، وللعلماء في وجوب الزكاة عليه في هذه الحالة خلاف : فمن الشافعي في أصح قولي أنه يجب عليه إخراج زكاة الحب كله ، لأن الدين لا يمنع وجوب الزكاة ، إذ الدين متعلق بالذمة والزكاة متعلقة بمين الحب فهي مقدمة على الدين ، فيجب إخراجها أولاً ، وما بقي فللدائن . وعند أبي حنيفة وأصحابه وعند الشافعي في قوله الثاني : لا تجب عليه الزكاة ، لأن

الدين يمنع وجوبها  
الحسيني سلطان  
يوسف المرصفي  
مدرس في كلية الشريعة  
مدرس بكلية الشريعة

## الاعجاز في الایجاز

قيل للخليل بن أحمد : مالك تروى الشعر ولا تقوله ؟ قال : لأنني كالمس أشحذ ولا أقطع .  
ومر خالد بن صفوان برجل صلبه الخليفة ، فقال : أنبتته الطاعة ، وحصدته المعصية .  
وذكر شبیب بن شبة خالد بن صفوان فقال : ليس له صديق في السر ، ولا عدو في العلانية .  
قال ابن عبد ربه عقب إيراده هذا القول : « وهذا كلام لا يعرف قدره إلا أهل صناعته » .  
وقال أبو جعفر أمير المؤمنين لعمر بن عبيد الواعظ : أعنى بأصحابك يا أبا عثمان ، فقال :  
ارفع علم الحق يتبعك أهله .  
وقال ابن الأعرابي : قمت لمنزل : ما الایجاز عندك ؟ قال : حذف الفضول ، وتقريب البعيد .

وتكلم ابن السكك يوماً فاطال وجارية له تسمع ، فلما دخل قال لها : كيف سمعت كلامي ؟  
قالت : إلى أن تفهمه من لم يفهمه ، وله من فهمه .

## نظرة في الديانة البهائية

ظهر في نحو منتصف القرن التاسع عشر ببلاد الفرس مذهب جديد في الدين دعا اليه الميرزا علي محمد هناك ملقبا نفسه بالباب ، يريد الباب الموصل الى الحقيقة ، وسمى مذهبه بالبائية . ولما انتهى الأمر فيه الى خليفته الملقب بهاء الله نسخ اسمه الأول وسمى مذهبه بالبائية . وإنا لناظرون في أصول هذا المذهب نظرة نقد وتحيص ، لما نراه من نشاط الدعوة اليه ، إحقاقا للحق وإزهاقا للباطل ، فنقول :

للبهائية عقيدة في الله على طريقة الذين يقولون بأنه مجموع الكائنات ، كما ورد في كتابهم ( البيان ) مترجما عن الفرنسية من قوله : « الحق يا مخلوقاتي أنك أنا »  
وعندهم أن الله تعالى أرسل رسلا بالحقائق الكلية على طريقة الرمز لفصود عقول الناس عن إدراكها ، مدخرا إيمانها وكشف الأسرار عنها الى ( بهاء الله ) مظهره الأكمل في آخر الزمان .

والرسل عندهم مظاهر لله نفسه ، يتجلى بهم على الناس لهداية خلقه ، قالوا بقون على بهاء الله إنما بعثوا لينبهاوا الطبيعة الانسانية النائمة ، فلما تم لها هذا التذيه ، واستعدت لقبول الحقيقة سافرة ، ظهر الله أولا بمظهر ( الباب ) الملقب بحضرة العلي ، ثم تم ظهوره وإشراقه أخيرا في ( بهاء الله ) الذي كان منفي في عكا ، فهو في اعتقادهم المظهر الإلهي الأكمل ، تجلى على خلقه ليوحى اليهم الحقائق الخالدة التي توصلهم الى حظيرة القدسية العليا . قال داعيتهم الشيخ أبو الفضل الجرفاداني في كتابه ( الدرر البهية ) في هذا الموضوع عن الأنبياء الأولين :

« وإنما بعثوا لسوق الخلق الى النقطة المفصودة ، واكتفوا منهم بالإيمان الإجمالي حتى يبلغ الكتب أجله ، وينتهي سير الأفئدة الى رتبة البلوغ ، فيظهر

(روح الله الموعود) يكشف لهم الحقائق المكنونة في اليوم للمشهود « يريد روح الله الموعود خليفة الباب المسمى (بهاء الله) .

وهم بعد أن قرروا هذه الأصول عمدوا الى نصوص الكتب السماوية ، وأخذوا يؤولونها تأويلات غريبة وبعيدة ، أملاها عليهم تعمقهم في الخيال ، ليصلوا من ذلك الى ما يؤيدون به أهواءهم ومزاعمهم الزائفة ، وضلالاتهم السخيفة .

من المتناقض الغريب أن يكون أسس الديانة التي تدعى كشف غوامض لأديان من الغموض ولا يفهم . بحيث تستعصى على الأفهام ، ولا يقبلها العقل في أى زمان ، فإن القول بأن الله هو جميع الكائنات ، وأنه جل وعز قد يظهر في بعض الأفراد ، ليهدى الناس الى سبيل الرشاد ، يرد عليه من النقد الداحض ما لا قيل لأحد على دفعه بالوسائل الكلامية . فاذا كان المذهب الذى يدعى بأنه كشف لمشكلات وحل المعميات ، يجعل أساسه أغمض مسألة في تاريخ العقولات الانسانية ، كان ذلك خروجاً منه على أصله ، وعدواناً صارخاً منه على أساسه

وإذا نظرنا من ناحية فلسفية ، في تاريخ المسائل الدينية ، رأينا أن عاملين خطيرين قد فرقا بين الأديان ، وجمالاً أهملها شيئا يضلل بعضهم بعضاً (أولهما) ما تجرأ عليه قاذتها من التهاافت على تصوير الخالق بصورة ذهنية . و (ثانيهما) اعتمادهم على تأويل ما لم يحيطوا بعلمه ، ولم يكلفوا البحث فيه من الشؤون العلوية .

فبالعامل الأول اختلف أهل الملل في تحديد ذات الخالق ، فأصبحوا بين ممدد ومجسم ، ومشبه وممثل ، وجميعهم لا يصدر عن علم مقرر ، ولا أصل محقق ، ولكن عن الخيال المحض . وقد تأدى أكثرهم الى تأليه أنبيائهم وقديسهم ، فلما جاء الاسلام حسم مادة هذا العامل المفرق ، فقرر أن الانسان مهما خلق في جو الخيال والتصوير ، وأبعد في مجال النظر والتفكير ، فلن يصل الى إدراك ذات الخالق ، فأمر متبعيه بأن يقتنعوا بمحض الاعتقاد بوجوده مع تنزيهه الكامل عن كل ما يحول في خيال المشبهين ،



وهو ما تدل عليه بدهاة العقل . أما أى جهد يبذل فيما وراء ذلك ، ففضلا عن أنه لا يأتي إلا بخيال لا حقيقة له ، يكون أثره المباشر اختلاف النحل الى مذهب لا عداد لها ، فلا تعود تجمعهم جامعة الدين الحق ، الموافق للفطرة البشرية ، والناسب لدرجة قواها المعنوية ، فقد قال تعالى : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما » وقال تعالى : « ليس كمثل شيء ، وهو اسميع البصير » ، وقال تعالى : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » وإذا كان الإنسان لم يستطع أن يدرك لى اليوم حقيقة المادة التي بين يديه ، ولا حقيقة نفسه التي بين جنبيه ، ولا تركيب الوجود الذي يراه بعينه ، فمن الفضول أن يتناول الى تصوير ذات الله بأى صورة تخطر بباله

وأما العامل الثانى الذى مزق وحدة الأمم وجعلها شيعة ، فهو صرف نصوص الكتب السماوية عن ظواهرها الى ما يوافق أهواء البهائيين ، ويؤيد مزاعمهم التي يتشيعون لها . جاء في الإنجيل على لسان عيسى عليه السلام : « إني ذاهب الى أبى وأبيكم ليبعث لكم الفارقليط الذى يثبتكم بالتأويل » وقوله : « إن الفارقليط الذى يرسله أبى باسمى » فذهب المسيحيون الى أن المراد بالفارقليط روح القدس ، ولكن البهائية التي أولعت بصرف النصوص عن ظواهرها الى ما يؤيد أهواءهم قلوا إن المراد بالفارقليط بهاء الله . ( انظر كتاب الدرر البهية ) .

ومن هذا الشطط ما ذهبوا اليه فى تأويل يوم الحسرة ، ويوم التلاق ، ويوم القيامة ، والساعة وأمثالها ، مما ورد فى القرآن الكريم ، فقد أولوا كل ذلك بيوم نزول روح القدس ، وقيام مظهر أمر الله وهو البهاء فى زعمهم . وليس يخفى على عاقل أنه إذا سوغ البهائيون لأنفسهم مثل هذا التأويل الزائف ، فانه يجوز لكل طائفة أن تتخذ ما تشاء من التأويلات التي لا يرضاها عقل ليؤيدوا بها أهواءهم ، ما دام الأمر جاريا على قاعدة الترجيح بالمرجح من أى ضرب كان .

ومن أغرب ما رأيتاه من ضروب التأويل ما ذكره الشيخ الجرفادقانى فى كتابه

الدرر البهية في تفسير قوله تعالى : « واستمع يوم ينادى المناد من مكان قريب ، يوم يسمعون الصيحة بالحق ، ذلك يوم الخروج » فقال : « إن فيها تعيين حمل نزول الموعود ، وتصريحاً بأن نداء الرب تعالى يرتفع من الأرض المقدسة أقرب الأراضى إلى الأقطار العربية ، وهي الجزء الغربي من البلاد السورية . يريد أن في هذه الآية إشارة إلى عكاء حيث كان يقيم بهاء الله ، وأنه هو المنادى المذكور فيها ، وبدهاء العقل تشهد بأن هذه الآية وردت في يوم القيامة ، كما هو ظاهر لا يحتاج إلى تأويل .

يتضح للقارئ مما مر أن الديانة البهائية قد تأسست على العاملين الذين فرقا الأديان وجعلوا أهلها شيعا ، وهما الخوض في تناول ذات الله بالخيال ، وإطلاق العنان للتأويل بدون ضابط من العقل ، ولا ترجيح من العلم ، ولا مسوغ من اللغة .

#### طموح البهائية إلى أنه تكون ديناً عاماً للبشر :

إن طموح البهائية إلى أن تكون ديناً عاماً يدخل فيه الناس على اختلاف جنسياتهم ونحلهم هو مما يقضى بالعجب ، لأنها ليست بدين سماوى ، وليس فيها من الأصول والمبادئ ما يلفت العقول إليها بعد أن بالغت في عرض نفسها على الأمم . فإين هي من الاسلام الذى بنى أمما قوية ومدنيات فاضلة في خلال عصور متعاقبة ، ولا يزال على مثل حيويته الأولى حتى ليتوقع فلاسفة كثيرون ومنهم ( برنارد شو ) الفيلسوف الانجليزى المشهور . على أن مبادئ الاسلام يوشك أن تم العالم أجمع . فهذه الحيوية القوية الداعية في الديانة الاسلامية ، وصلاحياتها لأن تكون ديناً عاماً للناس كافة ، إنما حصلت لها بسبب قيامها على حقائق إلهية خالدة :

( أولاها ) موافقتها للفطرة التى فطر الله الناس عليها .

( ثانيها ) اعتمادها على العقل والعلم .

فبموافقتها للفطرة الانسانية ارتككت على جملة الغرائز النفسية ، وينبوع قواها

المعنوية . ولا يخفى أن هذه الفطرة واحدة في جميع أفراد النوع البشرى ، وما ترى اليه من أغراض الوجود لا يعتمد إلا بعراض من التربية الفاسدة ، أو الوراثة الضالة ، ولكن الفطرة خلقت سليمة ، فلا تلبث حتى تستقيم على جادتها ، وتخلع كل ما صبغت به قهرا من الصبغ الوقتية ، فصيرها محتوم ومنتمين ، وهو الوحدة اعامة ، فلا مناص من أن الدين الذى يقوم على الفطرة لإلهية هو الذى سيكون له السيادة العامة حتما . وباعتماد الديانة الاسلامية على العقل الكامل والعلم الصحيح ، قد ضمنت لنفسها العاقبة التى لا مقر للعالم منها ، وهى الإجماع البشرى على أنها الدين الحق الذى لا معدل عنه . فأنت ترى أن الاسلام قد استجمع جميع العوامل التى تضمن له التعميم والخلود ، وترد اليه الخلائق محفوزة بغرائزها الفطرية ، وبقوى الوجود التى تتولى الانسانية .

فأين البهائية من هذا الموقف العلمى الحق ، وهى تقوم على أصابن ، أحدهما عتيق ضامض ، قال به أفراد من محبي السبح في الخيالات في كل زمان ومكان ، ولم تصادف مذاهبهم إلا إعراضا ونفورا ، وهو تصوير ذات الله بصور المخوقين . تعالى الله عما يقوله المبطلون علوا كبيرا . وثانيهما وهو صرف الألفاظ عن ظواهرها مجال فسبح للظنون والأوهام والخيوط ، قامت عليه فرق قبلها وجلت عن الأرض ولم تخلف أثرا .

### ليس العالم في حاجة الى البهائية :

إن من يستقرى أدوار التطورات العقلية ، والنظم الاجتماعية ، والديانات السماوية يجد أن كل تجديد في هذه المجالات نشأ عن حاجة ماسة اليه من الشعوب والأأم ، وأن كل نجاح يصيبه دين من الأديان أو نظام من النظم يكون مناسبا للقدر الذى يحمله الى الناس من الوفاء بتلك الحاجات ، فقد نشأت الفلسفات والمذاهب متعاقبة ، فكان كل متأخر منها يكمل نقصا في سابقه ، وجرت النظم الاجتماعية على هذا السمت نفسه ، فكان منها سلسلة متتالية الحلقات تسد كل ثغالة منها خلة في سابقتها .

وعلى هذا التدرج الطبيعى المطرد تابعت الديانات على الانسانية ، فكانت كل

واحدة منها تحمل للعالم نظاما جديدا دعت الحاجة اليه ، وافترضته الضرورة ، ناسخة ما بطلت الحاجة اليه ، أو ما كانت ضرورية ضمنية ، وترد على ذلك بيان ما أخطأ البشر في فهمه من الوحي الساق عليها ، أو تصحيح ما تعدوه من تحريفه .

فن يتأمل في الأديان السماوية الثلاثة التي محص العلم تاريخها ، وهي اليهودية والنصرانية والإسلامية ، يجد هذه التجديدات المتعاقبة ماثلة فيها مثولا محسوسا . فوسى عليه السلام قضى على الوثنية بأمته ، وجاء بشريعة هادمة لها ، وكافح الضلالات التي كان يقول بها قومه كفنا شديدا ، وبين أخطاءهم فيها بياناً صريحاً . وعيسى عليه السلام أرسل لتعديل ما افترس من أمر بني إسرائيل ، وتصحيح ما تحرف من أصولهم ، مقررراً أصولاً جديدة دعت اليها ضرورة الاجتماع على عهده . ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين قضى على الوثنية التي كانت سائدة في بيئته ، وتصدى لليهودية والنصرانية ، فرد أصولها الى حقائقها ، وقوم نظير لأخذين بهما ، ونسخ ما بطلت الحاجة اليه منهما ، ودعا العام كله الى وحدة الدين ، ووحدة الوحدة والذابة ، مؤسساً دعوته هذه على أصل لا يمكن أن يختلف فيه عاقلان ، وهو : أن الله واحد ، ودينه لجميع خلقه واحد . فإن أنس نافذ أن الأديان متخافنة ، فإذ كانت ذلك من فعل قادتها ، والقائمين بشرحها وتأويلها ، فطالب كل آخذ بها ، بالرجوع الى أصلها ، وأصلها هو الإسلام الذي أوحى الى كل الرسل السابقين ، ثم الى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم . وشفع هذا البيان الحاسم بنظام اجتماعي محكم ، أقامه على الفطرة والعقل والعلم والأعلام الكونية . وأودع ذلك كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فهل العالم بعد هذا البيان في حاجة الى البهائية ؟ ما هي الأصول التي تسمح لها أن تطمح الى قيادة العالم كله ، وأن تقر بها السلام العام في الأرض ؟

هي ما تحلم به من أنها تفسر غرامض المسائل الدينية ، وتوفق بين نصوصها الكتابية من طريق صرفها عن ظواهرها ، زاعمة أنها ترى بذلك الى ربط الأمم برابطة

أخوية مجردة عن الخلافات المذهبية . وقد رأيت أثر هذا الأصل في إفساد كيان الأديان وصرفها عن حقائقها الأولية .

هل آنت البهائية العالم أصولاً جديدة :

تدعى البهائية أنها آنت العالم بجديد من لأصول لم يدر في خلد المصلحين قبلها ، كاتحاد الأديان ، وترك التعصبات ، واتحاد الأجناس ، ومساواة المرأة بالرجل ، والسلام العام ، متذرعين بذلك الى القول بأن لقرآن ليس ختام الوحي السماوى ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان آخر المرسلين إلا أنه ليس المظهر الاكمل لله تعالى ، وهى المنزلة التى حفظت في زعمهم لبهاء الله وحده ، وأن الاسلام ليس بالدين العام الأخير ، فهذا الوصف لا ينصرف في وجههم إلا على البهائية دون سواها .

كل هذا ليس بحق ، وليس عليه مسحة من علم ، ولا عبقة من عدل . فأما ما سموه باتحاد الأديان فقد سبق اليه الاسلام وأسس على أقوى الأصول ، وحاطه بأحكم الدلائل ، فقرر أن أصل الأديان كلها واحد ، وأن الخلافات التى بينها ما حدثت إلا بسبب ما أدخله قادتُها عليها من الأضاليل والأوهام ، فقد قال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوم اليه ، الله يخبئ اليه من يشاء ويهدى اليه من يئيب . وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم بغيها بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لفضى بينهم ، وإن الدين أوردوا الكتاب من بعدهم لفرق لشك منه مريب . فبذلك قادم واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم ، وقال آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينهم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم ( أى لا حاجة ولا خصومة ) الله يجمع بيننا واليه المصير . » وقال تعالى : « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون . قولوا آمنا بالله وما أنزل علينا ، وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق

ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، والنبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون». وقال تعالى: «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء».

فالاسلام يفرض على أهله لقول بوحدة الدين فرضا، وبأمره بالاعتقاد بجميع الرسل من غير تفريق بينهم، لجاعلا القول بهذه الوحدة أساسا للدين الحق، لا يقبل إيمان يقوم على أساس غيره، فقال تعالى: «إن الذين يكفرون بالله ورسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا، أولئك هم الكافرون حقا، وأعدنا للكافرين عذابا مهينا».

فوحدة الدين كما ترى هي الأساس الذي يقوم عليه الاسلام، والإيمان بجميع الرسل والكتب السماوية شرط أولى فيه مع فارق كبير بينه وبين البهائية، وهو أنه مع تأسسه على وحدة الدين، يبين الأسباب التي ولدت من هذه الوحدة تعددا، وهي ما دسسه قادة الدين فيه من ضلالاتهم وخزعبلاتهم، ثم يكرر عليها بالنقض والتجريح، على طريقة التخصيص العلمي الصحيح، لا كما تفعل البهائية من تكلف تأويل كل هذه الضلالات التي ثبت علميا أنها من مولدات الأوهام في عصور الطفولة البشرية.

أما ترك التعصبات، فإن كان المراد منه التعصبات الجاهلية التي تحمل على اضطهاد المخالفين في الدين، فهذا قد سبق إلى تقريره الاسلام، وعمل به أهله، مما أصبح مضرب لأمثال، فقال تعالى: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين».

ولكن ليس من التسامح في شيء أن تقول للناس وهم يختلفون في النظر، ويتفاوتون في الفهم، ويتباينون في التخصيص: إنكم كلكم على الحق، وإن ما تتخالفون فيه له عندى وجوه من التأويل، فاثبتوا على ما أنتم عليه منها، فإنه يؤدبكم جميعا إلى غاية واحدة: ولكن الإصلاح كل الإصلاح أن تبين الحق عند أى فريق كان، وتؤيده،

وأن تنقد الباطل وتدحضه وتحذر منه ، وأن تتبعد فيما أنت بسبيله عن تأويل  
الوساوس لتعبرها مظهرا من الحق ، فإنها بذلك تصبح أفتك لأهلها ، وأضل لهم ،  
مما كانت عليه مجردة من الزخارف الكلامية -

هذا ما نفهمه ، وما فهمه الناس قديما ، وما يفهمه أهل البصر حديثا ، وليس وراءه  
مذهب ، كما قال تعالى : « وماذا بعد الحق إلا الضلال » ؟

أما اتحاد الأجناس فإن الإسلام سبق العالم كافة إلى الدعوة إليه ، وأيده بالدلائل  
العلمية التي لا تقبل الدحض ، فقال تعالى : « يأيتها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم  
شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم :  
« إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وغلها بالآباء ، لا فضل لعربي على أعجمي ولا  
لأبيض على أسود إلا بالتقوى أو بعمل صالح ، كلكم من آدم وآدم من تراب » . وقد  
جرى العمل في العالم الإسلامي على هذا الأصل منذ صدره الأول إلى اليوم ، فالبهائية  
قد تأخرت فيه عن الإسلام نحو ثلاثة عشر قرنا .

أما مساواة المرأة بالرجل ، فإن كانت في الحقوق الطبيعية والمدنية والشرعية  
والعلمية ، فإن الإسلام قد بلغ من كل ذلك المدى الذي ليس بعده مطمح ، فاعتبر المرأة  
إنسانا حرا لها أن تتصرف في ممتلكاتها وأموالها بدون توقف تنفيذ إرادتها على إرادة  
زوجها ، وهو ما لم تصل إليه المرأة الغربية بعد ، وأن تعامل أمام القضاء بما يعامل به  
الرجل على قدم المساواة ، وأن تطلب من العلم ما تطمح همتها إليه دون حجب ولا تحديد ،  
وأن تحضر الصلوات في المساجد ، وأن تشهد لأموال العامة للمسلمين ، وأن تبدي رأيها  
فيها ، وأن تعلم الناس إن بلغت مرتبة التعليم ، وأن تفتي في المعاضل . وزادت الشريعة  
الإسلامية في العناية بها ، ففرضت على أيها تم على زوجها أن يكفياها الكد لنيل العيش ،  
فإن لم يكن لها أب ولا زوج وجب على أقاربها القيام بذلك ، فإن تجردت من كل قرربة  
وجب على بيت المال أن يسد عنها هذه الخلة .

نعم إن الاسلام جعل نصيبها من الميراث النصف مما للذكور، ولكن لم يكن منه ذلك احتقاراً لشأنها، بل لأنه لم يكلفها السعى لتحصيل قوتها.

فإذا أريد بالمساواة أن يُلقى حبلاً على غاربها، وأن تمبرج تبرج الجاهلية، طائفة الشوارع، وغاشية الأسواق لفتنة الرجال، فإن الاسلام لا يسمح لها بذلك ولا يعده من الإكبار لها، بل إنه قد حرم ذلك على الرجال أيضاً. وأنت ترى أن أوروبا تجنى اليوم الشر المستطير الناجم من هذه الإباحة، وتعمل جاهدة على تلافى مضارها.

بقيت مسألة السلام العام بين الأمم، وفيها يقول:

لا يجوز أن يتحدث متحدث عن السلام العام إلا بعد أن يدقق البحث في الحوائل التي تحول دونه، ليعرف ما هو منها متأصل في طبائع البشر، وما هو عارض من عوارض طبيعة العمران، وما هو ناشئ من تأثير التربية، وما هو صادر من التقاليد لوراثية للجماعات، وما هو مبنى على حاجات اقتصادية قاهرة الخ الخ، ليعالج ما يقبل العلاج منها، ويترك ما لا يقبله إلى التطورات المقبلة. وهذا إذا أراد الداعي إلى السلام العام أن لا تكون دعوته كلمة جوفاء، تجوب الجواء ولا تحدث أثراً، كما حصل في كل زمان ومكان.

وفي رأينا أنه لا يجوز الكلام في السلام العام قبل أن يتوطد السلام الخاص لكل أمة بين آحادها، فإننا نرى حروباً ومعارك نشب نيرانها بين طبقات الأمة الواحدة قيسفت بعضها دماء بعض تحت اسم ثورات أهلية، أو انقلابات اجتماعية، أو اعتصابات اقتصادية. بل نرى ما هو أخص من ذلك من العدوانات الفردية، فيقتل الآحاد لأقل الأمور شأناً، أو لمجرد النهب والسلب، وإشباعاً للشهوات البهيمية، وتضطر الحكومات إزاء هذه الحالات أن تتخذ جنوداً مسلحين للضرب على أيدي المعتدين. فإذا كانت الحرب نشب بين آحاد ذوى قومية واحدة، ودين واحد، ورغما عن النظم التي تتمرد بها الحكومة لقيادتهم، ورغما عن المواعظ التي تلقى عليهم،



والآداب التي لُفَتوها في طفولتهم، فهل يطامع طامع أن يوجد سلاماً عاماً بين أمم من قوميات متخالفة، وقوى متباينة، وهي تحت تأثير عوامل وبواعث من كل ضرب؟ فإذا كانت البهائية تكتفي من التحكك بعبداً السلام العام، بمجرد الدعوة إليه، فلها ما أردت، ولكنهما تكون منها على حد ما سبقتها وما تلاها من الطوائف والجمعيات الكثيرة.

نظر الاسلام على عاداته في كل شأن خطير الى هذه المسألة من أخفى نواحيها، وأتى بالقول الفصل فيها.

فقرر أولاً الأصل الطبيعي الذي تقوم عليه الجماعات في وحدتها، وفي مجموعها، وهو الأصل الذي يكفل بقاءها، ويضمن استمرارها، وينفي العوامل المفسدة عن كيانها، فقال تعالى: «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض» نعم: لفسدت الأرض، ألا ترى أن الله يدفع بالحكومة عدوان العادين على نظمها المقررة، وعلى الأحاد الوادعين منها؟ ولولا ذلك لحلت الفوضى، وتغلب أقوىها على ضعفائها وسلبوهم ما بأيديهم، فيفسد كيانها، وتتحل ربطها، وتجلو عن سطح الأرض. ولولا أن الأمم قد ألهمت أن تستعد لرد المغيرين عليها، ودفع الطامعين فيها، لانحلت عرھا، وتفرق آحادها، ولم يبق لها وجود بين الأمم.

فهل كان يراد من الاسلام أن يخالف في ذلك السنن الاجتماعية يُقَصَّى عليه وليدا في مهده، قبل أن يؤدي للعالم الخدم المنتظرة منه؟

ألا تعجب أن البهائية نفسها لجأت في آخر عهدها ببلادها الى التحاكم الى السيف، فابتنى أشياعها حصناً لهم في ما زندران وأصلوا جيوش الحكومة نلوا حامية، ثم اعتراهم الوهن فأخذتهم الأسنة من كل مكان، حتى لم يبق لهم دعوة علانية في عقر بلادهم.

فإذا كان الذين يفخرون بأنهم يدعون الى السلام العام اضطروا الى اللجأ الى الحرب، أليس هذا دليلاً محسوساً على أن هذه الوسيلة لا تزال من حاجيات الحياة الاجتماعية،

وأن الضرورة قد تدفع إليها فلا يكون بد منها ، وقد شرعت في الاسلام الدفاع عن الحوزة وحماية الدعوة : « أَذْنُ لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَالِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » .  
وقال تعالى : « وَإِنْ جُنَحُوا لِلْإِسْلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ » .

خاتمة :

يتبين مما مر أن البهائية لا تصلح أن تكون دينا قائم بنفسه ، ولا إصلاحا في دين سابق عليها ، بله أن تكون دينا عاما للبشر كافة .

فأما وجه عدم صلاحيتها لأن تكون دينا قائما بنفسه ، فقد سبق بيانه .

وأما وجه عدم صلاحيتها أن تكون إصلاحا في دين سابق عليها كابوذية في البرهمية ، وكالبروتستانتية في المسيحية ، فلا أنها لم تنصد لدين واحد لتقوم نظراً أهله فيه ، وتعديل عوجهم في فهمه ، ولكنها تناولت الأديان جملة محاولة التوحيد بينها ، على ما في غالبها من التحريفات الظاهرة ، والآراء الباطلة .

ولكن الاسلام بعد أن أسس بنيانه على الأصول الخالدة التي تدع البها الإنسانية ، قرر أن الله سبحانه وتعالى أوحى دين الفطرة هذا الى رسله في خلال العصور ، ولكن قاذبه من بعدهم أخرجه عن صراطه ، وحرفوا أصوله على ما تصوره لهم أو هامهم . لهذا السبب اختلفت الأديان كل الاختلاف ، فأعاد الله وحي هذا الدين الى خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم ، ليرد اليه الغالين والمقصرين ، وأمره بأن يبلغ ذلك الى الأمم كافة ، ففعل .

فهذه الدعوة التي يدعنها العقل ويؤيدها العلم والفلسفة والتاريخ من كل وجه تصلح أن تعم بين البشر ، وهي مادة الاسلام ، وصيغته الإلهية التي واجه بها العالم كله . فإذا كانت الفطرة الإنسانية قد ألهمت أن لا بد لها من دين تسكن اليه ، فلا يمكن أن يكون ذلك لدين إلا موافقا لتلك الفطرة ، ولا يجوز أن يكون مخالفا للعقل الذي جعله الله مميذا بين الحق والباطل ، ولا مناقضا للعلم الذي كتب له أن يعم الناس كافة .

وقد نقد العقل والعلم كل ما ورد عن الأمم في دور طفولتها من التقاليد والموروثات الضالة ، واعتبرها وساوس لا يصح أن تبقى في عهد الرشد الذي بلغت الإنسانية ، فألقيا بها بعيدا عن مجال النظر . فإذا كان قد بقي في الناس من يأخذون بتلك الوساوس ، فلن يطول عهدهم في هذه الطفولة ، ولا بد من أن يأتي عليهم حين من الدهر يخضعون فيه تحت تأثير التربية القويمة والثقافة العلمية لمقررات العلم فيجدوا الاسلام عنده .

نحن نعلم أن الذي حدا البهائية الى سلوك طريقة التأويل إنما هو تألف عامة الشعوب لتسارع الى الدخول فيها محفوزة بتقاليدها وموروثاتها ، وكان الأولى بها أن تتألف العقل والعلم ، فإنهما دائبان على القضاء على تلك البقايا الطفلية من الأوهام والرث ، وقد لا يمضي قرن أو قرنان حتى لا يبقى لهذه الأوهام أثر في عقلية الجماعات الإنسانية .

فإلى أية حالة يؤول أمر البهائية يومئذ ؟ لا شك في أنها تؤول الى الثلاثي الذي لا قيام لها بعده .

فالدين العام كما ترى هو لذي يكون بطبيعته وجوهه مشايخا لا دور رقي العقل السليم ، ومنتهيا معها الى حيث تنتهي من درجات الكمال المنتظر من إدراك الحق مجردا من كل صبغة بشرية ، أو نزعة وهمية ، يوم لا تبقى إلا صبغة الله وحده ، « ومن أحسن من الله صبغة ؟ » وهذا الوصف ينطبق على الإسلام وحده كما رأيت ، سواء أكان من ناحية طريقته الإصلاحيية في تطهير النفوس ، وإحياء القلوب ، أم من ناحية أسلوبه في مسيرة العلم والفلسفة الى غاياتهما .

فالأمم للإسلام حتما مقضيا ، وقد أشار الله تعالى الى ذلك فقال : « أفغير دين الله يرغبون ، وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها ، واليه يرجعون » .

وقد اعتقد هذا المصير كثير من الأجانب عن الإسلام ، فقال المؤرخ الإنجليزي الكبير بوسورث سميت في كتابه ( محمد والديانة المحمدية ) : « إنه سيأتي يوم تعترف فيه أدق فلسفة ، وأخلص مسيحية بأن محمدا رسول الله حقا » .

يستخلص مما مر كله أن البشرية ليست في حاجة الى دين جديد بعد الاسلام ، فإنه استكمل جميع شرائط الدين العام ، وقام على نفس الدرب الذي تسلكه لعقول لاوصول الى الحقائق الخالدة . وقد أعلن كتابه أن آيات الله في الآفاق وفي الأنفس ستكشف للناس بالدلائل القاطعة أنه الحق ، فيجمعون على الأخذ به ، والانضواء تحت علمه ، فقال تعالى : «سنبينهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » ؟

محمد فخر وجرى

## البلاغة في الاعتذار

دخل جرير بن عبد الله على أبي جعفر المصور وكان واجدا عليه فقال له : تكلم بحجبتك . فقال جرير : لو كان لي ذنب تكلمت بعذري ، ولكن عفو أمير المؤمنين أحب الى من براءتي . وأتى موسى الهادي رجا ف جعل يقرعه بذنوبه ، فقال الرجل : إن اعتذاري مما تقررني به ود عليك ، وإقرارى به يلزمنى ذنبا لم أجنه ، ولمكنى أقول :

فإن كنت ترجو في العقوبة راحة فلا تزهدن عند المعافاة في الأجر  
وسعى بعبد الملك بن القارسي الى المأمون ، فقال له المأمون : إن لعدل من عدله أبو العباس ، وقد كان وصفك بما وصف به ، ثم أتتني الأخبار بخلاف ذلك . فقال عبد الملك : يا أمير المؤمنين إن الذي بلغك عني تحميل على ، ولو كان كذلك لقلت نعم كما بلغك ، فأخذت بحظي من الله في الصدق ، واتكأت على أمير المؤمنين في سعة عفوهِ . فقال له المأمون : صدقت .

قال الحكماء : ما اعتذر مذنب إلا ازداد ذنبا . وقال محمود الوراق :

إذا كان وجه المذنب ليس بيبين فان اطراح لمذنب خير من العذر

## جريمة الانتحار

نمبر ١ :

إن الحياة جهاد مستمر وكفاح لا ينقطع ، ولا يكون الفوز والنجاح فيها للجبان الوعاع ، بل للشجاع المقدم الذي لا تصرعه صروف الدهر وخطوبه ، ولا تفرغه مصائبه وأرزائه ، ولا يكرهه رسوب في امتحان أو فقد ثروة أو ذهاب عقار وأطيان .

الشجاع الذي لا يئسه إفلاس أو إخفاق في عمل من الأعمال ، بل إذا خاب أمله ولم تسعفه الأسباب في ناحية من نواحي الحياة سلك غيرها في عزم لا يقل وهمة لا تحد ، غير جازع جزع اليئوس القنوط ( وإن تصبروا وتقفوا فإن ذلك من عزم الأمور ) . الشجاع حقا هو من إذا لم يواته الحظ في أمر من الأمور لا تضيق به السبل ، لأن أبواب الأمل مفتحة ، ومطالب الحياة ميسرة ، ونواحيها كثيرة متنوعة ، فليختبر في صبر وأناة ثم ليختار ما يوافق استعداده وميله غير جاعل للأمانى الكاذبة والآوهم الخادعة سلطانا عليه . بهذا يفوز في حياته فوزا عظيما ،

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن الفرع للأبواب أن يلبا

وهام أولاء عظماء العالم في العلم والاختراع والمال . انظر في تاريخهم ، وتتبّع سيرهم ومبدأ أسرهم ، تجد كثيرا منهم قد رسيوا في الامتحان المدرسي أو الجامعي ولم يتوصلوا الى نيل الشهادة التي تفرحت أجدانهم وكنت أذهانهم في سبيل الحصول عليه . هل سقط في أيديهم وهلموا ؟ هل استثقلوا حياتهم وجبنوا عن مواجهة الحياة ، فانتزعوا أرواحهم نزعاً وعدوا عليها قتلاً وانتحاراً ؟ كلا ، بل صبروا وصبروا ، وجدوا وجاهدوا ، وخضوا غمرات الحياة واقتحموا أوعارها ، ثابى العزائم مثلجى الصدور ، لم يعرفوا اليأس الذى هو غول الهمم ، القاتل للآثم ، حتى بلغوا قمة المجد والعظمة ، فخدموا العلم والانسانية بمواهبهم خدمة لا تقدر .

وستجد بينهم من فقد ثروته وأقلس ، هل ضاقت به موارد الرزق ؟ هل سدت منافذ الدنيا في وجهه وقنط من رحمة ربه ؟ كلا ، بل جد وكدح ولم يأنف من الاشتغال بالهن الحقيرة البسيطة ، عاملا بهذه الحكمة الجبيلة « قد تغوص الأصابع في لأقذار والقلب طاهر » فكانت له معبرا وجسرا الى الغنى والثروة الواسعة .

وبنك لو اجد فيهم من كان في مستهل حياته فقيرا معدما ، فما هو إلا أن أخذ في مصارعة الكروب ومجالدة الخطوب ، بعزم لا يعرف اليأس والفنوط ، حتى وجد منفذ الى المال أو العظمة والجاء .

أهؤلاء الذين قد نجحوا في الحياة العامة وفازوا في ميدانها هذا الفوز الباهر وشقوا لأنفسهم طريق العظمة والخلود : أكانت تعرف نفوسهم الخور واليأس ؟ هل تسرب اليهم فرق أو جزع من الآلام والصعاب التي اعترضتهم إبان حياتهم أو أثناءها فقتلوا أنفسهم نخلصا من هذه الحياة المريرة ؟ كلا ، فقد كانوا وما زالت منهم بقية ، زينة الدنيا وبهجتها ، وعنوان الفضل والتبرغ ، ومثال الإرادة القوية والعزيمة الصادقة ، لأنهم جميعا كانوا يقولون : « لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس »

إن الشدائد والحن هي التي شيدت للأمم صروح مجدها وعظمتها ، وكونت أفئدة العالم وقادته .

وهام أولاء أبطال الاسلام الأول أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد كانوا مثلاً عليا في ثبات الجأش وقوة العزم ، لا يبالون بشدة الأيام وقسوتها ، ولا يهعون لبؤس الحياة وشقاؤها ، تنزل الجبال الرواسي من حولهم ولا يتزلزلون .

انظر اليهم في فجر الاسلام وقد فتك بهم العدو وقتل منهم كثيرا في غزوة أحد بعد أن كانوا من النصر قاب قوسين أو أدنى : هل ثقلت عليهم حياتهم ويئسوا من الانتصار في المستقبل والفوز في النهاية ؟ كلا ، فلقط هذا القرآن الكريم نفوسهم ، ومسح ما بهم من هم ولوعة ، وأعلمهم بأن الحرب سجال : يوم لكم ويوم عليكم ، والدنيا

دول لا يزال أبنائها يترجحون فيها ما بين يسر وعسر ، وسعادة وشقاوة ، وغنى وفقر ،  
وتجاح وإخفاق ، فبالكم تجزعون ؟ أفلت النصر من أيديكم في هذه الغزوة بسبب مخالفة  
بعضكم أمر القائد الأعظم صلى الله عليه وسلم ، فاحذروا أن تقعوا في مثلها ، وخذوا حذركم  
فإنكم لا بد منتصرون ، لأن العاقبة للمتقين ( ولا تهنوا ولا تحزنوا وأتتكم الأخبار  
إن كنتم مؤمنين . إن يحسبكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداؤها  
بين الناس ) .

وبعد :

فلا أجد جريمة أجمعت على استنكارها واستيشاعها جميع الأديان السماوية والفوانين  
الوضعية كجريمة الانتحار ، فإنها كلها تمدها عصيانا وتمردا على قضاء الله تعالى  
وقدره ، وخورا وجبنا ومسبة ومهانة لصاحبها في دنياه وآخره . ويعتبرها جميع الحكماء  
والفلاسفة منتهى ما يصل إليه العقل من الاضطراب والخليل ، وغاية ما تصل إليه القلوب  
والمواطف من القسوة والتجبر ، فلا عذر للقادم على الانتحار مهما ألت به الكرب  
والخطوب ، ومهما اصطلحت عليه كوارث الحياة ومنغصاتها ، ومهما اعتلج قلبه بهغم  
وامتلاّت نفسه بالأسى ، لأن ما أقدم عليه من تجرع آلام النزاع أضعاف ما فرمته ، فهناك  
يشاهد من ألوان العذاب ويدوق من صرارة الموت وشدة سكراته ما لا يقاس بحبائه  
جميع مصائب الدنيا وأرزائها ( وللعذاب الآخرة أشد وأبقى ) .

ولقد أكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مضرة الانتحار ، وأعظم جرمه ،  
وقبح فعله ، ولعن مقترفه ، وتوعده بالعذاب الأليم ولغضب المقيم ، فقد فر المجنون  
من ألم موقوف ليقع في عذاب ممدود .

وفي الواقع إن الانتحار عدوى وبيلة تنشب أظفارها فيمن تمكن منه انخورد  
وضعف الإرادة ، تنقل إليه بطريق التقليد لغيره بدون عقل ولا روية ولا حسن تبصر  
في العواقب . أمثل هذا يستحق كلمة طيبة نودعه بها ، أو دمة حارة نذرهما من أجله  
ونبلل بهائرا كما نضع مع من قطع مرحلة حياته في جهاد وصبر :

يا من ضاقت عليه لآرض بما رحبت فرأى في الانتحار تخلصاً من آلامه وأوصابه :  
سلك الطريق التي سلكها غيرك ففاز ، وترسم آثار العطاء الذين قالوا : « لا يأس مع  
الحياة » فهذا يشجذ عزيمتك ، ويعمل همته ، ويقوى يقينك ، ويهيب عواطفك ، ويدفعك  
لى الأمام فى رفق وأناة ، وتوكل على مولاك ( ومن يتوكل على الله فهو حسبه ) .

إن صاحب الإرادة الماضية والعقل السديد والتدبير الرشيد لينال من سعادة الدنيا  
فى وقت قصير ما لا يناله المتقاعدون المتواكلون فى أطول لأعمار وأفسح الأزمان .  
ولقد منيت بعض بلاد الغرب والشرق بفئة تطلب جسام الأمور بالأمانى الباطلة  
والسيروراء لأوهم الخادعة دون أن يعدوا لذلك عدته ، حتى إذا لم يفوزوا بلباباتهم  
خارت قواهم ووهنت عزائمهم ، ثم أنحوا باللائمة على القضاء والقدر ، ورموا بحياتهم  
وأبغضوها ، ولم يجدوا ما يفرج عنهم سوى الانتحار ، فيخرجون من الدنيا مثقلين بوزر  
الاهمال وعدم التبصر ، ووزر الجبن والخور ، ووزر التبرم بقضاء الله تعالى وقدره ،  
أولئك هم الأخسرون أعمالاً ( الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم  
يحسنون صنما ) .

لم تكن هذه الدنيا ولم توجد إلا ليقوم كل شخص بتصديه وحصلته منها . فإذا  
ساغ لكل مرزوء أو مكروب أن يتفكر حياته ، وأن يضعف عن احتمال أوصابها ،  
وإذا جاز لكل من رسب فى امتحان أو أخفق فى عمل ما أن يقدم على الانتحار فراراً  
من هذه الحياة ، فسد النظام واعتلت الأحوال ، وخلت الدنيا من عظماء الرجال ،  
ونضب معين الثروة والمال . فالعقل الرشيد والأريب الحصيف من صبر وجلد وكدح  
وغالب ، وصمد لشدة الأيام وبؤسها ، عالماً بأن المستقبل بيد الله ، وأن الكرب متى اشتد  
هان ، وأن الرسوب فى الامتحان سيعقبه مع الاجتهاد النجاح ، وأن العسر سيمتبهه  
اليسر والرخاء ، مؤمناً بأنه لا سعادة لمن يئس من روح الله ( إنه لا يئأس من روح الله  
إلا القوم الكافرون ) .

محمد إبراهيم الفحيل

واعظ مركز كوم حمادة



## كلمات في العمل الاجتماعي الأسرة

الأسرة أساس البناء الاجتماعي، أو هي أول حلقة من حلقات السلسلة الانسانية. وهي نمرة أصل طبيعي عام ضروري هو حفظ الأنواع. والمتأمل في الكون يرى أن الله تعالى قد جعل لتتبع هذا المرمى العمراني عوامل من ضروب شتى، أولها الألفة المتبادلة بين الجنسين، وثانيها الحنان الذي طبع قاب الأبوين عليه لثريته ما ينتج من تزاوجهما من النابتة الغضة. هذه الألفة وهذا الحنان عامان في جميع الكائنات الحية لم يختص به الانسان دون الحيوان، بل شوهد أن من الحيوانات ما هي أعطف على صغارها من الانسان نفسه فهي لا تترك صغارها وشأنها إلا بعد أن تستكمل جميع شرائط المعيشة الاستقلالية. بل من أنواع الحيوانات ما يمتد حنانها على غير صغارها من بني نوعها ومن أنواع أخرى.

إن عاطفة الحنان في الأمهات من النوع البشري تروى على أشد ما تكون في جميع اليناث، ولدى جميع الأجناس، وإن كانت في أحسن دركات الوحشية، ولكنها تختلف في الآباء على حسب اختلاف اليناث مدنية ورقيا.

فقد ذكر الاجتماعيون وعلى رأسهم (هربرت سبنسر) أن في بوليفيزيا من استراليا لا يوجد بين الأبناء وآبائهم علاقة أكيدة، فالطوائف التي تسكن منهم زيلاندا الجديدة لا يحب رجالها أن تكثر لديهم البنات، فيعمدون إلى قتل بناتهم ساعة ميلادهن وقد فاق هؤلاء الرجال عرب الجاهلية في القسوة، واختصوا بعادة لم تر لدى غيرهم من جميع الشعوب المنحطة، وهي أنهم يعمدون كل خمس أو ست سنين إلى ذبح جميع أطماهم ذكورا وإناثا الذين ولدوا في سنة يتوقعون فيها بؤسا، فيقومون بهذه الجزرة الشنيعة ساكني الجأش هادئي البال كأنهم لا يأتون أمرا إدا.

فإذا عرض لهم أن يهاجروا من مكان الى مكان هربا من القحط أو من عدو ، رحلوا تاركين الضعيفين الطفل والشيخ ، ليحتاجهم العدو في سورة انتقامه ، أو ليقناتهم الجوع بالآلام .

وقد شوهد في العصفور السمي ( الهيرونديل ) من عواطف الرحمة بالضعفاء وبالصغار ما يصح أن يتعلمها منه الانسان . فإنها متى عرض لها أن تهاجر من مكان الى مكان محفوزة بالأم لبرد القارس ، لا تتحرك من مكانها حتى يتم تفريخها ، ولو اشتد عليها الحال ، ودهى الزمهرير ، وصارت رحلتها معرضة لأشد الأخطار . ثم إنها اعتادت أن تقف في الطريق بقصد أن يلحق بها من تأخر من الضعاف والعجزة من أفرادها .

#### هل للرجل النوحى أسرة ؟

قلنا إن الأسرة أساس البناء الاجتماعى ، ولكن المتوحشين لا يعرفون من حالات الاجتماع غير الحالة التى تكون عليها القبيلة ، فلا أسرة عندهم من الكميات المهمة ، فقد دلنا تاريخ الجماعات البشرية الساذجة أن القبيلة كانت تقوم على الرجال وأبنائهم ومن نتج عنهم بالتزاوج ، فنحن نصادف في تاريخها الأب ولابن ، ولا نصادف الأم مهما أحفينا البحث عنها ، والأسرة بدون أم لا تسمى أسرة كما هو واضح . والمرأة لا يعدو حالها لديهم حل آلة للتوليد لا أكثر ولا أقل ، وكانت مستعبدة لرجلها وليس لها حق يعتد به .

هذه الحالة من أظهر التناقض في البيئات الوحشية ، فإن الحنان الأموى من أقوى العوامل في تهذيب النفوس ، وترقيق العواطف ، وما خلت أمة منها إلا خلت من أشرف مميزات الانسانية .

فكان من الأمور الشائعة في المجتمعات البشرية الساذجة أنه لو اتفق حدوث اتحاد بين عدة قبائل لتكوين أمة ، كان يتولى رياستها رجل مطاق التصرف يحكم بلا دستور ولا قانون ، بيده جميع ضروب العقوبات ، ولكن حكمه كان لا يتعدى

رؤساء القبائل . وكان هؤلاء مثل ماله من الحكم المطلق على من دونهم من أبنائهم وأحفادهم ، ففي هذه المجتمعات لا نعتز على أثر من آثار العطف على الضعيف ، والرحمة بالصغار ، بل كان الحكم للقوة ، والحق لمن غلب .

### كيف رجمت الأسرة بالمعنى المعروف لنا الآن ؟

هذه مما تصعب دراسته لتطاول الأزمان على هذه الأحوال ، وأبعدها عن مآخذ التاريخ . غير أننا وجدنا الأمة المصرية في عهد الأسر الملكية المعروف لنا تعرف الأسرة وواجباتها ، وكان للمرأة حقوق محترمة ، حتى تولى للملك منهن عدد عديد . ولكننا نجعل كيف نشأت هذه الحالة يسيرا يسيرا ، وعلى أى وجه تم هذا التطور ، وبأى العوامل حدث .

وجدنا الأسرة في الأمة اليونانية القديمة معروفة ، ولكن ذلك لا يتعدى تاريخه ألفا وخمسمائة سنة قبل المسيح . والذي صادفناه في هذا العهد البعيد أن الرجل والمرأة كانا شريكين داخل البيت وخارجه ، وكان احترام الرجل لها يتعلق بأخلاقيها ، فإن كانت لبنة العريكة مطواعة ، خرج الرجل عن حده في معاملتها ، وإن كانت قوية وحافظة على حقوقها ، هابها وحافظ على مكانتها عنده .

ورأينا في تاريخ هذه الأمة أيضا أن الغيرة الزوجية لم تصل عندئذ إلى حد تكون فيه سببا لحوادث خطيرة . وكانت الخيانات الزوجية تقع بكثرة حتى لا يكاد يكون عدد العفيفات والخليعات متساويا

تم لما جاء عصر أفلاطون وهو القرن الخامس قبل الميلاد انجبت أمامنا مسألة الأسرة في الأمة اليونانية ، إذا كان لكل يوناني الحق في انتخاب زوجة له ، ولكن على شرط أن لا يتعدى مدينته التي يعيش فيها . وكان على كل وطني أن يتزوج وإلا تعرض لعقوبات منصوصة في قانون لديهم ، وهي غرامات ثقل وتكثر على حسب الأحوال . ومن الأمور الغريبة لدى الأمة اليونانية أن الحاكم كان يضطر بعض الأفراد

للتزوج بينات معينات ، وذلك إذا حدث أن رجلا توفي تاركا عددا منهم بلا عائل ، وإن لم يقبلوا ما عرضه عليهم أن يذهبوا إلى مهورهن .  
وكان الرجل إذا تزوج بامرأة ولم تلد له بعد عشر سنين ، انفسخ العقد من نفسه وحصل الطلاق .

من هنا يرى متابع تاريخ اليونانيين أن مرمى مشرعهم كانت تكثير النسل بما أمكن من الوسائل .

وكان الطلاق عندهم جائزا إذا لم تتفق أخلاق الزوجين ، ولكن في هذا العهد حرم الأب من حق قتل أولاده ومن يبيعهم ، وكان ذلك مخولا له قبل ذلك . ولم يبق له إلا حق التبرؤ منهم وقطع كل صلة بينهم وبينه ، ولكن كان ذلك مقيدا بمثوله وإياعهم أمام محكمة تشكل لهذا الغرض يسمح فيها للأبناء بالدفاع عن أنفسهم . ولم يكن للأب أيضا حق التصرف في أملاكه بالوصية إلا بقيود . وكان له أن يؤثر ابنا على آخر ، ولكن لم يكن له أن يحرم ذلك الآخر حرمانا مطلقا . فإذا لم تكن وصية فالقانون كان يقضى بمساواة جميع الأبناء في الميراث . فإذا لم يكن للرجل أولاد كان للأب أن يوصي بماله لمن يشاء ، فإن مات بلا وصية ذهب ميراثه لأخوته ثم لأبنائهم وأبنائهم . فإذا لم يكن له أخوات ولا أبناء أخوات ، ذهب ماله لأعمامه ، ثم لأخوات أمه .

مما يجب أن يذكر هنا أن اليونانيين في هذا العهد ما كانوا يورثون المرأة . ومتى لم يجدوا المتوفى وارثا أحفوا البحث عن أرشد الذكور من أقربائه لتوريثه ، فإذا لم يوجد في أسرته ذكور عمدوا إلى الذكور من أسرة صرته فاعطوهم ميراثه .

### منزلة الأسرة عند اليونانيين في ذلك العهد :

لم تكن الأسرة للرجل اليوناني في ذلك العهد كما هي لنا الآن مهد الراحة ، ومتنسم الطمأنينة ، ذلك لأنه كان متصرفا للسياسة ، فكان شغله بالأشغال العامة مستوليا

على جميع قومه وعواطفه ، فلم يبق منها لأسرته إلا قدر لا يعتد به . وقد كان هنالك عذر آخر لليوناني في انصرافه عن أسرته ، وذلك لانهما كه في الألعاب الرياضية والمسابقات والفروسية . فكان يزاولها كل يوم متفرغاً لها ، لأنه كان يعد العمل عار ، وهو من نصيب الأرقاء دون سواهم .

فإذا كانت تصنع امرأة اليوناني في الدار في ذلك العهد ؟ كانت تمكث فيها منعزلة عن الخارج ، بل ولا نستطيع أن نتصل به لو أرادت ، وذلك أن زوجها كان يرفع السلم للوصول الى فناء البيت والى الباب ، فتضطر المرأة أن تمكث مع الأسرى الذين يخدمونها . فإن سألت كيف استعالت المرأة الى هذه الحالة بعد حريتها المطلقة في عهد الجاهلية قبل ذلك ؟ فلا نستطيع الإجابة على سؤالك ، لأن سلسلة العوامل مقطوعة بيننا وبين ذلك العهد البعيد . وغاية ما يمكننا أن نقوله في هذا الصدد أن ذلك قد يرجع الى استعالة حياة ليونانيين الى حياة خارجية في ذلك العصر ، فقد كان يغيب عن بيته أياماً ، فلا يأمن على امرأته إلا إذا أودعها ذلك المجلس ، فتبقى المرأة فيه ليس لها من عمل غير مشاكسة أرقائها ، لأن البيوت لم يكن فيها إذ ذاك أثاث يستحق العناية ، وأعمال المطبخ كانت غير موجودة لأن أكلهم كان قاصراً على التوتون بلا خبز وعلى التين وبعض الفواكه الأخرى .

أما تربية الأطفال فكانت شيئاً غير معروف لديهم ، وكانت الأم متى وضعت سلمت طفلها لخدمها من أولئك الأسرى ، فإذا كان غلاماً وبلغ أشده أذن له بالخروج من البيت الى مدرسة ، ومنها الى المسكخات السياسية ، وذلك لانهمك السيامى من اليونانيين في ذلك العهد كان بسبب أن حكومتهم جمهورية حرة ، ونظامهم ديموقراطى بحت ، لكل إنسان حق الإشراف عليه والتأثير فيه . فلما انقلبت حكومتهم الى حكومة مطلقة ، وجد اليونانيون فراغاً من أوقاتهم للعناية بأسرهم ، فارتقت العلاقات بين الزوجين ، وعُتوا بتربية أولادهم تربية بيتية ، ووجدت تعاليم الفلاسفة : سقراط

وأفلاطون وأكسينوفون عن الأسرة ولذاتها مكانا من القلوب ، وبقي اليونانيون على هذه الحالة حتى عدت عليهم مقدونيا تحت قيادة ملكها الإسكندر ، فأفقدتهم استقلالهم ، ونال الأسرة من جراء ذلك انقلابات لا فائدة هنا من تفصيلها ، فانا ندرس الأسرة من حيث هي

#### عائلة الأسرة عند الرومانيين :

أما الأسرة عند الرومانيين فقد كانت تمتاز بأمر لا نظير له في غيرها ، وهو الحكم المطلق للأب فيها . فكان الأب يعتبر مالكا لزوجته وأولاده وعبيده ملكا مطلقا ، وكان له عليهم كل حق ، فكان له أن يعاقبهم بكل أنواع العقوبات ، وأن يبيعهم ، أو أن يتنازل عنهم لغيره جزاء لهم على أضرار أحدثوها له ، أو أن يقتلهم ، وكان كل ما يحصله الابن يعتبر ملكا لأبيه .

هذا النظام دام طوال حكم الجمهورية ، وهو نظام كما ترى مجرد الآباء من عواطف الحنان والرحمة ، لأن الانسان لا يقطع عن ظلم يدفع إليه ، وخاصة لو كان هذا الظلم مقررًا على صورة قانون ، فكان الأبناء يهربون آباءهم وبكرهونهم ويحبون لو ماتوا . فإذا مات الأب تولى الابن الأكبر بيت أبيه ، وصار مالكا لكل شيء فيه حتى أمه ، وسلك فيه مسلكه . وتاريخ الرومانيين حافل بحوادث قتل فيه الأب ابنه ، ومنهم من قتل أولاده جميعا .

فصارت البراطرة الحكم بعد إسقاطهم الجمهورية أخذوا في تلطيف هذه الوحشية ، فأبطلوا حق قتل الأبناء ، واشتد في ذلك الأمبراطور كونستنتان حتى عد قتل الابن كقتل الأب في العقوبة . ولكن كان لم يزل للرجل الروماني الحق في رمي ابنه ساعة ميلاده ، فقد كان من عاداتهم أنه متى ولد لأحدهم مولود وضعوه عند رجله ، فإن أمر برفعه صار ابنه واحتضنته أمه ، وإن صمت علموا أنه لا يريدونه فذهبوا به فالقوه في جهة معاومة ، فيموت جوعا أو يصادفه من يلتقطه ويربيه . أما الأم فلم يكن لها حق في الشفاعة لابنها ، لأنها كانت تعتبر مجردة من الحقوق .

أثرت هذه الحالة في النساء أسوأ تأثير ، وذلك أن المرأة ليأسها من لذة الأمومة بعد آلام الحمل والوضع الشديدة ، كانت لا تعتبر الزواج أمرا محبوبا ، فكانت تلقى بنفسها في تيهور الشهوات ، وتعيش في حالة عهر تام .

بطلت عادة رى الأولاد على عهد الإمبراطور كونستانتين المتقدم ذكره ، ولكن بقي الرومانيون حق بيع أولادهم ساعة ميلادهم ، لا بعد تربيتهم ، ويشترط أن يكون الدافع على البيع الفقر والافتقار .

#### الأسرة عند عرب الجاهلية :

ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كان حض الأسرة عند العرب كحظها عند اليونانيين والرومانيين قبلهم ، فلم يكن للمرأة كرامة في بيتها ، وكان إذا مات زوجها ورثها ذروه كما تورث البهيمة ، وكانت محرومة من الميراث ، ومن كل حق على أولادها ، فكان للأب أن يقتل بثاته من فقر أو خشية العار .

وكان للعرب أنسكحة مختلفة ، فمنها أن يتفق ولي الزوج وولي الزوجة على مهر ، فيتم الزواج . ومنها نكاح السفاح ، وهو أن يعاشر الرجل امرأة فإذا أعجبهته تزوج بها . ومنها نكاح البغايا ، وهو أن يكون للمرأة رجال كثيرون فإذا ولدت ألحقت ابنها بمن يشبهه منهم . ومنها نكاح الاستبضاع ، وهو أن يرسل الرجل زوجته الى بعض أصحابه ، ثم يعيدها الى حظيرته .

ومهم من كان يشارك أباه في زوجته ويسمونه الضيّن .

وكانوا يقتنون السرارى ويعتبرون أولادهم منهم عبيدا ، إلا إذا ظهر من أحدهم ما يستوجب إلحاقه بأبيه .

فلما جاء الاسلام أبطل كل هذه الجاهليات ، وأقام بناء الأسرة على قواعدھا الطبيعية ، وخول المرأة حقوقا لا تزال محرومة منها المرأة الغربية كما بينا ذلك في مقالات سابقة . ناهيك بأنه أوصى بالأم مالم يوص به لغيرها ، فقال صلى الله عليه وسلم :

« جعلت الجنة تحت أقدام الأنبياء » وليس يعد هذا منزلة من التشريف يمكن أن يطمح إليها إنسان . وسأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : من أحق الناس بحسن معاشرتي يا رسول الله ؟ فقال له : أمك ، فسأله الرجل : ثم من ؟ فقال له : أمك ، فسأله الثالثة : ثم من ؟ فقال له : أمك ، ثم أعاد سؤاله ، فقال : ثم أبوك .

فإذا كان هذا مكان المرأة من الأسرة الإسلامية فلا مشاحة في أن الأسرة في الإسلام قد بلغت أرقى ما يمكن أن تصل إليه ، وما دامت هي أساس البناء الاجتماعي فلا عجب أن يحىء بناء الأمة الإسلامية من الترابط والتماسك بحيث لا تقوى على هدمه العوامل ، كما نبت ذلك في جميع أدوار تاريخها المجيد .

فنحن إذا قلنا إن الإسلام قد رفع الأسرة إلى أوج كمالها ، فإننا نقصد بذلك أنه بناها على حقوق وواجبات طبيعية مقررة متبادلة بين الرجل والمرأة والأولاد ، تحميها وتشرف عليها الشريعة نفسها ، فهو لم ينصب الرجل فيها طاغية مستبدا في أسرته ، على مثال ما فعله القانون الروماني ، ولكنه جعل له قوامه عليها في حدود أصول شرعية عادلة . وهو يجعل المرأة خاضعة لهذه القوامه لم يحرمها من حقوقها الطبيعية ، ولم يحرم حتى أبناءه من حقوق تناسلهم كذلك .

فالأسرة في الإسلام أشبه بملكية دستورية يخضع كل من فيها لنظام عام مقرر ، ولكل فرد منها حقوق وعليه تبعات موزعة على أفرادها بنسبة طبيعية محكمة ، بحيث لا يعدو بعضها على بعض ، ليتألف من كل أسرة وحدة جزئية ، في جسم وحدة كلية عامة بنيت على مثالها ، وهي الأمة .

وقد قامت المجتمعات الإسلامية على هذا النظام في كل أطوارها ، فكشفت عن ترابط وثيق . لعزى استعصى على جميع العوامل المحللة ما بقيت متمسكة به ، وقائمة عليه . وهذا سر المناعة التي شوهدت في المجتمعات الإسلامية في خلال المصير المختلفة ، وفي ممر الانقلابات العالمية الخطيرة .

محمد فريد ومبري



## الاسلام في بلاد الغرب (١)

فذلك تاريخية

لم يعض على توطيد شأن الاسلام وإعلاء كلمته زمن طويل في بلاد الشرق حتى بدأ ينشر لواءه في ممالك أوروبا ، خضعت له اسبانيا وصقلية مدة من الزمن ، بينما استمر حكمه في الأراضى التركية وروسيا الأوربية وكثير من بلاد البلقان حتى هذا التاريخ ، حيث كفلت له القوى الحيوية السكائمة فيه أن يصمد أمام المناوآت المسيحية التي قامت في سبيله .

ففي اسبانيا لما آلت دولة الغوط الغربية الى الزوال بسبب بدخ وإسراف ملوكها الآخرين واستهتارهم بمصلحة البلاد وانغماسهم في اللذات والشهوات الدنيوية ، حمل أعراب سراكش حملتهم الصادقة على بلادهم التي كثير ما ناقت أنفسهم للاستيلاء عليها ، واستمات أهلها في الدفاع عنها ، ولم تدم المعركة أكثر من ثمانية أيام أظهر فيها المنحاريون من ضروب الشجاعة والحنكة ما يسطره التاريخ بالاعجاب ، ونهت بخروج العرب فائزين بأمنيتهم ، فقسم الوالى المعين من قبل الخليفة الوليد جيشه الى ثلاث فرق ، الأولى توجهت شرقا نحو ساحل البحر لأميض المتوسط ، والثانية غربا ، والثالثة اقتسمها مع طارق لإخضاع المقاطعات الوسطى في داخلية البلاد ، فكان النصر حليفه أينما حل . ولم يعض على دخول العرب أربع سنوات حتى خضعت لهم جميع البلاد ما عدا الأقاليم الشمالية التي صدم عنها شتاؤها القارس ، ومناوأة أمرائها المتواصلة .

ولما أن تم لهم الفتح والنصر المبين عاد قواد العرب الى دمشق تاركين مقاليد

( ١ ) مترجمة من الالمانية نقلا عن كتاب « د محمد والعالم الاسلامى » للمستشرق الالماني الكبير

الاستاذ الدكتور « هرمان زيمر » .

الأمر في يد الحاكم عبد العزيز الذي اشتهر بالعدل والرحمة، وبقيت البلاد تحت حكمه الى أن اغتاله أقاربه بدعوى استثنائه بالحكم، وانقراده بالسلطة دون أن يرجع الى مشورة أحد منهم.

لم نشأ القواد الفاتحون بادي ذي بدء التدخل في أحوال الأهالي الشخصية أوفى انهم أوديانهم، بل حافظوا كل المحافظة على تقاليدهم ووطنيتهم، فاستألوهم اليهم، وزادت ثقتهم بهم، واتخذوا في أساليب الحكم من العدل والرحمة ما جذب اليهم محبتهم، خصوصا بين طبقات اليهود والفلاحين غير الملالة الذين وسعهم رحمتهم وشملم عدلهم، فبدلوا من حياتهم التعسة، وخلصوهم من نير الرق والعبودية، فكانوا بذلك سببا في انتشار الاسلام وازدياد عدد أتباعه، فدخل الناس في دين الله أفواجا، حتى إنه وجد من الطبقات العليا أنصارا عديدين، دون أن يلجأ الفالبون الى القهر أو الإرهاب، فقيمت عوائد المسيحيين وتقاليدهم وشرائعهم دون أن تمسها بد التغيير، اللهم إلا أنهم كانوا يؤدون ما يفرض عليهم من ضرائب.

ولم يعق تقدم البلاد في الفترة الأولى من الحكم الاسلامي سوى ما منى به بعض الرؤساء من تألبهم على بعضهم بسبب الحقد والحسد والطمع، ولكن تلك الحال لم تدم طويلا حتى أسرع عبد الرحمن آخر سلالة بني أمية فقضى عليها وأسس دولة مستقلة عرفت في التاريخ باسم خلافة قرطبة نسبة الى حاضرتها مدينة قرطبة، وتركها بعد وفاته سنة ٧٨٨ ذات أنظمة ثابتة، فاستتب الأمر خلفائه، ودانت لهم البلاد بعد أن فمعوا ثورات داخلية عديدة أثارها عليهم حكام الأقاليم، وتابعوا عمل سلفهم الذي وصل ذروة المجد على يدى عبد الرحمن الثالث حيث بلغ تعداد المسلمين في إسبانيا ٢٥ مليون نفس، وكانت قرطبة حاضرة الدولة في مقدمة المدن حضارة وعمرانا، ومها من السكان ما لا يقل عن نصف مايون، ومائة وعشرة آلاف منزل، وثلاثة آلاف مسجد، منها المسجد الكبير الذي لا يزال قائما حتى اليوم، ومدارس عظيمة، وقصور فخمة، وحمامات آية

في الفن والجمال ، ولم يقل عن ذلك جمال ورونق البلاد الأخرى مثل غرناطة ، وبها قصر  
لمراء الساحر وإشيبيلية ، وبها « القصر » ومدينة توليدو بجانباها الفخمة  
وفي هذا العصر أتممت العلوم والفنون في جميع أرجاء الدولة ، وشيدت الجامعات  
والمعاهد ودور الكتب في كثير من مدن الريف ، وزاد اهتمامهم بتبشير التعليم خصوصا  
بين طبقات الشعب الدنيا ، ووضعوا طرقا محكمة للدراسة والصرف ساعدت على زيادة الرخاء ،  
ومحسن الإنتاج الزراعي ، وتنسيق الحدائق والبساتين . ولم يقل شأن الصناعات في هذا  
لعصر عن الزراعة ، فشعلها التحسين والارتقاء في مختلف ضروبها ، خصوصا في صناعة  
النسيج والأسلحة والخزف ، فكانت مثالا يقتدى به .

خلف عبد الرحمن الثالث ابنه حاكم ، وكان شاعرا مجيدا ، وعالما حكيما ، فصار على خطة  
أبيه الى أن تولى الحكم هشام الثاني ، وكان ضعيفا خائرا العزيمية ، فبدأ الانحلال يدب  
الى جسم الدولة الفتية ، والاضطراب والفتنة ينخران في أساسها الوطيد ، وهكذا حل  
لهزل محل العقل الراجح ، وضعف الإرادة محل العزيمة القوية ، الى أن أتاح الله لإتقادها  
للمنصور ، فقمع الثورات ، وأخذ الفتن ، وجع السلطة في يديه ، وغلب أمراء الشمال  
المسيحيين على أمراءهم ، فدانت له البلاد بأسرها ، واستتب الأمن وعاد النظام ، وقطعت  
البلاد في سبيل الحضارة والارتقاء شوطا بعيدا ، الى أن تولى الحكم من بعده ابنه  
عبد الملك ، فسار على خطة أبيه ، وبعد وفاته أغوت شهوة الحكم وسخطانه الحسك  
من بعده ، فجعلوا الولاية وراثية ، وسعوا في استقلالهم والانسلاخ عن جسم الدولة  
الإسلامية ، وعبثا حاول هشام الثالث آخر خلفاء الدولة الأموية إتقاد عرشه ، فما كان  
من حكام العرب إلا أن أعلنوا الثورة ، وأسقطوه في قرطبة عام ١٠٣١

وتوالى في القرون التالية حملات الملوك والأمراء المسيحيين متفردين ومتحدين  
على أسبانيا ، حتى تمكنوا في عام ١٤٩٢ من إسقاط غرناطة ، وهي آخر حصون العرب

في شبه جزيرة الأندلس ، ولم يبقوا على آثار الحضارة الزاهية التي دامت ثمانية قرون ، اللهم إلا بعض الأطلال والبقايا التي شهدت أزهى عصور الحكم الاسلامي .  
وكما انتصر لواء الاسلام على اسبانيا ، فإن الفوز كان حليفه في جزيرة صقلية ، وسرعان ما خفق علم الرسول على أرجائها ، إلا أن حكمه كان أقصر زمنا وأقل مدى منه في شبه جزيرة إيبيريا ( يريد اسبانيا ) .

جاء العرب الى هذه الجزيرة في عام ٨٢٧ بدعوة من حاكم يزنطة لمساعدته ضد الثوار ، فطابت لهم الإقامة ، وأُنست الى عشرينهم الأهالي الوطنيون ، ولما عيى على دخولهم أكثر من أربعة أعوام حتى تولوا زعامة « بالرمو » حاضرة الجزيرة ، وهكذا أخذوا يستولون على مدينة بعد أخرى حتى دانت لحكمهم جميع البلاد تقريبا بعد سقوط « سيرا كوز » سنة ٨٧٨ ، واضطر المسيحيون الى الانزواء في أقصى الشمال الشرقي من الجزيرة .

بعد ذلك كثرت الاضطرابات الداخلية بين الحاكمين بسبب الخلاف المتواصل بين قبائل العرب وقبائل البربر ، كما أن التغيير الدائم في الأسر الحاكمة لم يكن في صالح الحكم بشيء ، فبعد أن كان الحكم بيد القيروانيين أصبحت صقلية إمارة مستقلة بيد أمراء الدولة الفاطمية للمصريين .

ولقد استنجد الأهالي الأغريق المستوطنون جنوب إيطاليا بأمراء صقلية لتخليصهم من نير الحكام المسيحيين السبدين ، فلبوا دعوتهم مرات عديدة ، وأسرعوا لنجدتهم بطريق البر والبحر ، وكان يتولى عرش صقلية في هذا الحين أمراء السليبت ، نذكر منهم على الأخص الأسير يوسف الذي كان عصره من أزهى العصور التي مرت على جزيرة صقلية ، حيث نشطت التجارة وتقدمت الصناعة ، وارتقت العوم والفنون في ظل حكم منظم ، وأمن مستتب ، وعدل شمل جميع الطبقات لم يعهد له الناس في مثل هذه العصور .

ولما شعر بضعفه وحاجته للراحة ، تنازل عن عرشه لابنه جعفر ، فكان أقل من أبيه نشاطا واهتماما بشئون البلاد ، فاضطر للتنازل عن عرشه لأخيه أحمد ، فعاد الرخاء والتقدم ، فسادوا بتجارتهم وبأسطوهم حوض البحر الأبيض المتوسط ، الى أن انقسموا على بعضهم وتنازع الأمراء فيما بينهم الحكم ، وتسامحوا في تدخل النورماندين حكام جنوب إيطاليا في شئونهم الداخلية ، وآلت الحال الى حرب طاحنة بين النورماندين اللدخلاء والعرب دامت ثلاثين عاما انتهت بهزيمة العرب وخروجهم في عام ١٠٩٠ من الجزيرة تاركين للغاليين من قبائل النورماندين كل ما أدخلوه من إصلاحات مادية ومعنوية .

## وفود الأحنف بن قيس على عمر

قال المدائني : وفد الأحنف على عمر في رجال من أهل البصرة والكوفة فتكلم كل واحد منهم فيما يخصه ، وتكلم الأحنف فقال : « يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير بيدي الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق ، وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأثم الخالية ، فهم من المياه العذبة ، والحدن المختلفة في مثل حواء السلي وحادقة البعير ( كناية عن الأراضي الخصبة ) ، تانيهم ثمارهم غضة لم تحصر ، وإننا أرضا نشابة ، طرف في فلاة وطرف في ملح أجاج ، جانب منها منات القصب ، وجانب سبخة لا يجف ترابها ، ولا يثبت مرهاها ، تأتينا منافعها في مثل مري النعامة ( أي درها ) ، يخرج الرجل الضعيف منا يتعذب الماء من فرسحين ، وتخرج المرأة بمثل ذلك ترنق ولدها ترنق العتز تخاف عليه العدو والسبع ، فإن لا ترفع خسيستنا ، وتنعش ركبيستنا ، وتجر فاقتنا ، وتزد في عيالنا عيالا ، وفي رجالنا رجالا ، وتأمر لنا بحفر بحر تستعذب به الماء ، هلكنا .

فقال عمر : والله السيد هذا . واحتبس الأحنف عنده حولا وأشهر ثم أحضره وقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حذرنا كل منافق صنع اللسان ، وإنني خفتك فاحتبستك فلم يبلغني عنك إلا خير . ثم كتب الى عامله أن يحضرهم نهرا .

## وفاة عالم عظيم

أبي بقاء المولى الكريم في هذا الشهر فاضل عظيم من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف هو المرحوم المبرور صاحب الفضيلة الشيخ محمد إبراهيم السالموطي .  
 وإفاده القدر المحتوم بعد ما خدم العلم والدين وجمهور المسلمين بتعليمه وإرشاده ونافع عظمته خدمة يذكرها له المسلمون بأطيب الثناء ، ويذكرها له العلم بالتمجيد وتسجيل الحسنات ، ونرجو أن يشكرها له الله الذي وفقه لها في حياته الطيبة المملوءة بالحسنات والخيرات

ولقد كان له عليه الرحمة وإرضوان عناية خاصة بعلم الحديث دراية ورواية ، فكان نبزاً منيراً ، طالع سطع ضوءه في أفق العلم ، فانتفع به الطلاب والعلماء وجمهور المسلمين .  
 ولقد حاز بذلك عظم التقدير من كل من عرف فضله وتذوق حلاوة إرشاده . وإياه إذا عم الأسى والأسف عارفي فضل المرحوم لما لحقهم من أم فقده ، فانا نرجو أن يكون قد عمه هو البشر والسرور لما لحقه من وجدان أجره العظيم عند الله لقاء جهاده في سبيله ، وذلك شأن المجاهدين في سبيل إعلاء كلمة الله ونشر نور الهداية بين عباده .  
 نسأل الله أن يكرم وفاته ويحزل مشوبته إياه سميع الدعاء مجيب الرجاء .

## موقف البشر تحت سلطان القدر

هذا عنوان كتاب حافل الحضرة صاحب السماحة مصطفى افندي صبرى شيخ الاسلام للدولة العثمانية سابقاً ، أبد فيه مذهب الامام الأشعري ، وانتقد الذين خالفوه من المعتزلة والماتريدية وغيرهم ، ورد على من يرى في عقيدة القضاء والقدر سر تأخر المسلمين ، وأفاض في تحقيق ماهية الإرادة الجزئية والجبر المتوسط ، ونفى على المقلدين للخريين الخ الخ من المباحث وقد تفضل فأهدانا هذا الكتاب . فنشكر لسماحته هديته ونرجو له لتوفيق .

either, you have enticed us into this delusion and wretched indeed is our ending.

The Lord be praised has seen fit to impress on us by such variegated forms of eloquence the fact that leaders and followers will come to the one and some evil end, and it avails the latter not to be followers of others so long as they have had minds by which to distinguish between truth and falsehood.

By these solemn admonitions, Islam has demolished the principle of blind imitation of forefathers and has roused the consciousness of individual responsibility. It has delivered the weak from their bondage to the strong and smashed down the invulnerable walls of exclusiveness which the leaders raised for their own ends.

By demolishing blind imitation Islam has aimed at abolishing a state of ignorance in which men were enslaved to certain sects that made learning and religion an exclusive right only to themselves, and arbitrarily ruled the people even as absolute masters do. They suffered no censure or criticism to be passed on their actions and declined the admission, into their exclusive body, of any outsider though he may have been a noted man of learning and genius.

Should this state of things become established in a nation, learning and religion will be rendered the exclusive right of a sect which will exploit them in their own interest and subject them to the dictates of their passion. In course of time, they will become a collection of stereotyped forms which will check the onward march of progress and stand between nations and the realisation of their objects.

Freedom from the shackles of imitation was the objective of Islam and it has led its people to a perfect state of co-operations between learning and religion as well as between sentiment and reason. Through this co-operation Moslems have attained to the height of progress which gave them the world-leadership for many a century and it is earnestly hoped that they will regain that leadership once they follow faithfully, the tenets of their glorious religion.

---

double punishment of hell-fire, and the Lord shall say: It shall be doubled unto all, but ye know not your deserts.

And the first of them shall say unto the last: Ye have no advantage over us and we have both been in error, taste ye therefore the punishment for that which ye have done "

( *Baidawy's Commentary* ).

In the preceeding verse, the Lord points out that the followers of disbelief are just as culpable as the leaders, for the Lord has endowed all men with reason and required them to distinguish between truth and falsehood. They are therefore equally responsible for their deeds and none of them has an advantage over the other. And when the imitators have asked the Lord to deal a double punishment to their leaders whose example they have imitated, the Lord has adjudged them both responsible and has doubled the punishment to them all. Such was the Lord's warning against persistence in blind imitation.

In another chapter of the Koran the Lord saith:

« هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مِّمَّكُمْ ، لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ، إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ . قَالُوا  
بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ، أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَنْسُ الْقَرَارُ »

ترجمة تفسير هذه الآية قتلا عن البضاوى

" Unto the leaders it shall be said:

This is a company which shall be plunged with you into Hell, to which they shall say : No welcome is there for them, they shall burn in hell-fire like us. And the followers shall say unto the leaders:

But ye, too! There shall be no welcome for you. It was ye who brought us to this and wretched is the abode "

( *Baidawy's Commentary* ).

On the entry of the unbelievers into Hell, angels shall say to the leaders: This a company of your followers that shall be plunged with you into Hell. The leaders shall say : No welcome is there for them, they have had minds to distinguish between truth and falsehood and their punishment is hell-fire like us. The followers will retort: No welcome for you



« إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ  
الْأَسْبَابُ ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كَرَّرْنَا فَنَتَّبِعَ آبَاءَ مِنهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا  
مِنَّا ، كَذَلِكَ يَوْبِهِمْ اللَّهُ أَعْمَاهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ  
مِنَ النَّارِ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

“ When those heads of unbelievers who have been followed shall declare themselves clear of their disciples on the judgment day after they witnessed its torments, and all relations between them shall be severed, the followers shall say ” Could we but once return to life, we would declare ourselves clear of them as they have declared themselves clear of us. ” So will Allah shew them their actions: bitter sorrow and regret, and in hell-fire shall be their eternal abode ”

(Baidawy's Commentary)

And :

« قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ  
كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا، حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ  
لَاؤُلَاهُمْ رَبُّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا قَالَتْ لَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ، قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ  
وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ. وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لَأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ  
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

“ The Lord shall say unto the unbelievers on the judgment day: Enter ye into Hell together with nations of genii and of men who have preceded you; so oft as one nation entereth, it shall curse its sister, until they have all entered in succession, the last of them shall say unto the first: O Lord, these have led us astray, deal Thou unto them a

« وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ ، قَالُوا حَسْبُنَا مَا  
وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا ، أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوي

“ And when it was said unto the unbelievers, ” Come unto that which Allah hath revealed and to the Apostle : they say, Sufficient unto us is the faith of our fathers. ‘ What! though they knew nothing and were not rightly guided ” ?

( *Baladwy's Commentary* ).

That is, if the unbelievers were called to follow the guidance of the Koran they say the knowledge which we inherited from our forefathers is sufficient for us to which the Lord says.

‘ Will you still say so if your forefathers knew nothing and were not guided in the right way

And in this connection the Lord demanded of the unbelievers to support their claim: of the so - called knowledge of their forefathers:

« هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوي

“ Have ye any certain knowledge to substantiate your claim that ye may produce to us ? ”

( *Baladwy's Commentary* ).

In another verse the Lord saith:

« أَتُتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا ، أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوي

“ Bring me a scripture before the Koran or some vestiges of ancient knowledge to support your claim if ye are truthful.

( *Baladwy's Commentary* ).

In describing the end of those who imitate their forefathers without any knowledge or a book to guide them, the Lord saith:

done, Islam began to attack the main cause which prevented them to consider any reform viz the blind imitation of their forefathers even though they were completely in the wrong In this connection the Lord saith.

«وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آَلَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ . وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَعَقَّبُ عِمَّا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ »

ترجمة تفسیر هذه الآية نقل عن لبیضاوی

« And when it is said unto the unbelievers : Follow ye what the Lord hath sent down, they say ; Nay, but we will follow only that which our fathers practised.

What ! will they do so even though their fathers were utterly ignorant and were not guided to the truth ?

He who invites the unbelievers is like unto one who crieth aloud to the beasts which hear no more than the mere call or cry ! They are deaf, dumb, blind and devoid of understanding

( Baidawy's Commentary ).

In the preceeding verse, the Lord hath given a representation of the state of those who were blinded by imitation. He who calls them to righteousness is likened to one who cries aloud to the beasts which understand not his call. They are deaf, dumb, blind and devoid of understanding on account of their holding fast to the practices of their forefathers and refusing to put them to the test of reason.

The Lord saith that if those unbelievers were asked to follow what the Lord has sent down, they will say "No, but we follow only the practices of our forebears, to which the Lord replies rousing the instinct of reason in them : "Will you still follow them even though they were utterly ignorant and were not guided to the truth ? "

Then the Lord gave the above representation of them which no one with a whit of pride would tolerate, provoking them thereby to seek an outlet of their sorry state.

In order to move them from this inaction, the Lord then applies different reasoning.

- 1 - To spread its life-giving principles calculated to revive humanity in its later days.
- 2 — To couseve for the religious sentiment its intrinsic power which enables it to restrain the human passions and safeguard the people from being carried away by wickedness.
- 3 — To render the system of religious investigation more advanced and more accurate than that of scientific investigation so that the latter may not overwhelm the former and put it into insignificance, attracting people thereby to it.

This is a great objective at which Islam aimed so that reason may not hold undisputed sway over souls independent of the religious sentiment which the Lord has set to mitigate the brutal tendencies attendant on the human state and which no intellectual culture could restrain.

This could only come about by convncing reason, by proof, to give due regard to that sentiment and to admit the power exercised by it. This, reason will not concede unless that sentiment is established on a like system of research and investigation and is equally free of any traces of imitation unsupported by material or mental evidence.

By so doing, Islam has succeeded to associate reason with the religious sentiment for the first time in the history of religions. It has succeeded, on the strength of these two great principles, to raise a nation which attained to the height of human progress and took the lead in both moral and scientific culture as well as in the religious leadership of the world. Islam was thus rendered equal to establish the highest civilisation on earth without the least conflict between religion and reason and without people degenerating in their morals and propensities as is the case in the present day civilisation

Let us now consider how far has Islam succeeded to fulfil this great project.

Islam was revealed at a time when people were the slaves of false and corrupted religions which they inherited from their forefathers and from which they could not be moved. Any one who wished to move them therefrom was regarded by them as a bitter enemy merely because he attempted to bring about a new reform.

The campaign was first opened by admonitions and threats thus awakening in men the instinct of reasoning and urging them to reflection and consideration of the sad end to which past nations have come. This

minor divisions derived therefrom, could appreciate the pernicious influence exercised by blind imitation over the life of people and the harm involved in the consequent antagonism to learning and reason.

Next to the establishment of its principal beliefs, Islam had striven against the tendency of blind imitation into which people have long lapsed without having it examined or assayed by reason.

Indeed, this rational idea could never have been conceived by minds in those dark and remote times when humanity was yet under age. But now that humanity has attained maturity in the generations that followed, this idea has become an essential element of the universal religion which was ordained by the Lord in His last dispensation, not only to conform with the momentous intellectual development that took place, but also to rouse the religious sentiment in the hearts of men and inspire them to still greater and higher attainments.

Those interested in the investigation of human affairs of recent times, will find out that souls have discarded all moral restraints and have fallen an easy prey to unbridled passion and wickedness while the religious sentiment which constitutes the supreme moral power mitigating those excesses, have become incapable to discharge its function in many a nation. It was on account of this that other agents were sought to counteract those excesses. Some have sought such agents in science, in the power of public opinion or in some human instinct. But the investigator who goes deeply into the initial causes of things, will soon realise that, of all human instincts, the religious sentiment is best suited to counteract those excesses and to wield the most beneficial influence over the souls of men. If, however, it has become unequal to the task in certain nations, it is only on account of the weakness which affected their religions and which was the outcome of what was impressed on the people as being traditional matters to be followed or disregarded as a whole. But if they knew that a religion existed which severely censures imitation and imitators, and insists reasoning and consideration, a religion whose beliefs are founded on evidence and truth, and is withal framed in a system which surpasses that of modern scientific investigation in reasoning and accuracy, their hopes in regaining the influence of religion will be roused again. For once this influence is regained the religious sentiment is awakened and its power will once more be felt in the guidance of men and in setting up a virtuous civilisation for the world.

It was for this reason that Islam has striven hard to overcome the obstacle of blind imitation and has attempted to do this by different ways of reasoning aiming thereby at three objects:

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

## I S L A M

### ITS MISSION IN THE WORLD (1)

#### V.

#### CONDEMNATION OF THE PRINCIPLE OF BLIND IMITATION

---

In all ages throughout the human history, reformers were never confronted with a stronger obstacle than that of blind imitation of forefathers and leaders of old religions. This inaction has been the cause of the persistence to this day, of corrupted religions whose survival in our times is a slur on the human intellect. It was equally responsible for the continual existence of certain sects which exploited the ignorance of people who were otherwise well-fitted to take their place among the rising nations but have for this reason remained in stygian darkness down to the present day.

Only one who has made a through study of the religions professed by the majority of contemporary nations as well as of the few hundred

---

(1) Translated from Mr Mohammed Farid Wagdy's editorial in "Nour-El-Islam" Review.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ذِكْرِي مَوْلِدِ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

في صبيحة الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول الموافق لعشرين أبريل سنة (٥٧١) م وضعت آمنه بنت وهب القرشية أرملة عبد الله بن عبد المطلب ولدا أسمته محمدا ، فأعطته على عادة العرب في تنشئة أبنائهم بالبادية الحليمة بنت أبي ذؤيب السعدية فمكث لديها أربع سنين . ثم أخذته أمه وسافرت به الى المدينة لزيارة أخوال أبيه ، وبينما هي عائدة الى مكة أدركتها الوفاة ، فدفنت بالأبواء ، وهي قرية بين مكة والمدينة ، فاحتضنته أم أيمن ، وكفله جده عبد المطلب سيد بني قريش ، فتوفي جده وعمره صلى الله عليه وسلم ثمان سنين ، فكفله عمه أبو طالب .

ولما بلغت سنه اثنى عشرة سنة أخذته عمه معه الى الشام ولم يلبث بها طويلا . ولما كانت سنه عشرين سنة سافر الى الشام ثانية في تجارة خديجة بنت خويلد إحدى عقائل قريش ، وكانت ذات مال ونسب ، فأربح تجارتها مالا جارا . فلما آتت نجابته وأمانته ورجحان عقله أرسلت تخطبه لنفسها ، فقبل وتزوجها ، وكان لها ولد اسمه هالة من رجل يدعى أيا هالة مات عنها وترك لها ذلك الولد ، فرباه النبي صلى الله عليه وسلم . لم يرث رسول الله من والده شيئا ، ولكن كان يرعى الغنم مع إخوته من الرضاع في البادية ، وكذلك كان عمله لما عاد الى مكة . ولما شب مارس التجارة بمكة .

#### سيرته قبل النبوة :

كان أقوم الناس سيرة ، وأحسنهم سمعة ، وأكملهم أخلاقا ، لم تعهد عليه بادرة من كذب أو رياء أو خيانة .

أما صفاته الجسدية، فكان كما قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : «لم يكن رسول الله بالطويل المُنْتَظ (أى الكثير الطول) ، ولا بالقصير المتردد (والمتردد الشديد القصر) . وكان ربعة من القوم ، لم يكن بالجعد ولا بالسبط (أى أن شعره لم يكن مجمدا ولا مرسلا ولكنه كان وسطا) ولم يكن بالمطهم ولا بالمكائم (المطهم السمين والمكائم المدور الوجه) ، أبيض مشعرا بحمرة ، أدعج العينين ، أهدب الأشفار (أى واسع العينين مع شدة سوادهما وطويل شعر الجفون) ، جليل المشاش والكتد (أى عظيم رءوس العظام والكتد مجتمع الكتفين) ، أجرد ، ذو مسربة (أى قليل الشعر له شعر بين الصدر والسرة) ، شثن الكفين والقدمين (أى سمينهما) ، إذا مشى تقلع كأنما ينحط من صبيب (أى مشى كأنه ينحدر) ، أجود الناس صدرا ، وأصدقهم لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله .

#### براء الوصى :

لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم الأربعين من عمره ، وكان ذلك فى أول فبراير سنة (٦١٠) ميلادية ، بدى من الوحي بالرؤيا الصادقة . ثم حجب اليه الاختلاء بنفسه للتعبد ، فكان يمشى الى غار فى جبل حراء بقرب مكة ، فيختلئ فيه نادرة عشر ليال ، وتارة أكثر ، الى شهر .

فبينما هو قائم فى بعض الأيام على الجبل إذ ظهر له شخص وقال له : أبشريا يا محمد ، أنا جبريل وأنت رسول الله الى هذه الأمة . ثم قال له : قرأ ، فقال : لست بقارى (أى أنا لا أدرى القراءة) ، فأخذه فغطه بالخط لئلا يرى ما كان ينشأ عليه حتى بلغ به الجهد ، ثم أرسله وقال له : اقرأ ، فقال : ما أنا بقارى ، ففعل به كالأول ، ثم قال له الثالثة ، فأجاب بما أجاب به أولا وثانيا ، فغطه ثم أرسله ، وقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » فقرأها كما لقنها له جبريل .



فرجع رسول الله إلى خديجة خاتماً صروعا وهو يقول: زملوني زملوني، أي غطوني غطوني. فلما زال عنه الروح أخبر خديجة بما حدث له ظاناً أن الذي ظهر له شيطان، فقالت له: «لا والله لا يحزبك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فلا يسلط الله عليك الشياطين» ثم أخذته وانطلقت به إلى صمها ورقة بن نوفل، وكان شيخاً عارفاً بأحوال النبوات، وأخبرته بما حدث له، فقال ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى.

ثم قتر الوحي حتى ينس رسول الله من عودته، وأصابه لذلك كرب عظيم، وبينما هو يمشي إذ سمع صوتاً، فنظر صوبه فإذا بالشخص الذي ظهر له، فعاوده الرعب، فذهب إلى خديجة وهو يقول: «ذروني ذروني» أي غطوني، فأزل الله عليه قوله: «يا أيها المدثر، قم فأندره وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر، ولا تمنن تستكثر، ولربك فاصبر».

فقام من فوره يدعو الناس إلى دينه سرا، فلباه نفر من قومه. ثم أمره الله بأن يدعو للإسلام عشيرته الأقربين، فجهمهم وخطب فيهم قائلاً: «إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم. والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة»

فتكلم القوم كلاماً لينا إلا عمه أبا لهب فإنه قال: خذوا على يديه قبل أن يجتمع عليه العرب، فإن أسلمتموه إذاً ذلتم، وإن منعتموه قتلتم.

ثم أمره الله تعالى بدعوة الناس كافة، فأخذ يغشي مجالس قريش يدعوهم للإسلام فجزءوا بدعوته، وسخروا منها. ولما أخذ ينزل القرآن في النعمي عليهم والتشهير بأهلهم تضرعت قريش وأخذت في اضطهاده واضطهاد من آمن به، وتمادوا في ذلك حتى قاطعوه واضطروهم لأن يلتجئوا إلى شعب في الجبل يتمتعون فيه من أعدائهم، فكثوا فيه ثلاث سنين.

فلما استمد عليهم الأذى استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة إلى الحبشة فأذن لهم ، واستمر هو يدعو الناس إلى دينه ، ويعرض نفسه على القبائل في موسم الحج طالبا أن تحمي دعوته ، فم تقدم واحدة منها على ما يندبها إليه .

فلما جاء الموسم في السنة الحادية عشرة من مبعثه ، تعرض الجماعة من بني الخزرج الذين يسكنون يثرب مع بني الأوس ، فدعاهم للإسلام فصنعت إنيه قلوبهم فأمنوا به ، ووعدوه أن يخبروا قومهم ويعودوا إليه في الموسم المقبل . فلما أقبل الموسم حضر منهم ثمان عشر رجلا منهم رجلان من بني الأوس فبايعوه على الإسلام . فلما عادوا إلى مدينتهم أخذوا ينشرون بها الإسلام . فلما كان موعد الحج أقبل منهم ثلاثة وسبعون نفرا منهم امرأتان ، ووعدوه على الاجتماع ليلا في أحد شعاب مكة حتى لا يشعر بهم القرشيون ، فاجتمعوا هناك واتفقوا معه على الجهاد في نشر دعوته ومقاتلة الأيضي والأحمر في سبيلها حتى تكون كلمة الله هي العليا ، وطلبوا إليه أن يهاجر إليهم .

فأخذ النبي من ذلك الحين يأمر الذين آمنوا به أن يهاجروا إلى يثرب ، ففعلوا متسللين إليها سرا ، زرافات ووحدانا ، حتى لم يبق في مكة غيره وغير أبي بكر وعلى والمستضعفين الذين لم يستطيعوا الهجرة . وشعر الفرشيون بالأمر فأتمرروا على قتله فأعلمه الله بما عزموا عليه وأمره بالهجرة ، فأمر عليا أن يبيت على فراشه ، وخرج هو وأبو بكر خفية قاصدين المدينة ، فلما انبثق الفجر لجأوا إلى غار مهجور فاختبأوا به ، فلما أدركهم الطلب لم يجرؤ أحد على دخول الغار ، ولم يدر بخلدن أن محمدا وصاحبه قد لجأ إليه ، فتركوهما وعادوا إلى مكة . فلما نصرف المشركون عاودا السير قاصدين لمدينة حتى وصلها ، فاستقبلهما كبار أهلها بالترحاب والفرح الكبير ، وكان ذلك في ٢٠ سبتمبر سنة ( ٦٢٢ ) ميلادية . ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم من يحضر له أهله ، فأحضروهن ، وبقي في مكة قليل من المسلمين منعهم المشركون من الخروج منها .

أصبحت المدينة بإسلام أهلها وهجرة رسول الله إليها معقل الاسلام وبيئته ، فأخذ لוחى يتتابع على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأذن له فى القتال لحماية المسلمين وحماية الدعوة ، فحدثت بينه وبين اليهود وقريش وقائع كان النصر حليفه فيها كلها إلا وقعة أحد ، فقد أصاب المسلمين فيها قرح بسبب خطأ بعض فرق الجيش فى فهم كلام الرسول صلى الله عليه وسلم الذى أمرهم بالثبات فى أما كنهم ، وقد أظهر المسلمون فيها من ثبات الجأش والترابط ما أصبح مضرب الأمثل ، حتى مدحهم الله على ذلك بقوله : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

ثم انتهت هذه الممارك ودخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وكانت معقل قريش وبيئة أعدائه صلى الله عليه وسلم ، فكان ذلك نصراً للدين الله وفتحاً لميمنة واستراح قليلاً ، ثم سار ويحياه أبو بكر وهو يقرأ سورة الفتح : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، ليخفرك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطاً مستقيماً . وينصرك الله نصراً عزيزاً . هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ، والله جتود السموات والأرض وكان الله عليهما حكيماً » حتى انتهى صلى الله عليه وسلم الى البيت الحرام ، فطاف به سبعمائة مرة على راحلته ، واستلم الحجر بحجته ، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً ، فجعل رسول الله يطعنهما بعود فى يده وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل ، وما يبدى الباطل وما يعبد » .

ثم أمر بهذه الأصنام فأخرجت من البيت الحرام ، وفيها صورتنا إبراهيم وإسماعيل وفى أيديهما الأزام . ثم دخل الكعبة وكبر فى جوانبها . ثم خرج الى مقام إبراهيم وصلى فيه . ثم شرب من ماء زمزم وجلس فى المسجد والناس حوله . ثم قال : يا معشر قريش ما نظفون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم . فقال عليه

الصلاة والسلام : اذهبوا فأنتم الطلقاء . فآخذوا بيديعونه على الاسلام ، ودخل الناس في دين الله أفواجا .

تمرد بنى هوازده وبنى ثقيف :

لم رأت هاتان القبيلتان أن النبي صلى الله عليه وسلم قد دخل مكة وصار قريبا منهم ، حسدوه على هذه النعمة وخافوا على ما بأيديهم من الزعامة ، فاجتمع قادتهم وقرروا الهجوم عليه بمكة ، فجمعوا جيشهم وكان يبلغ ثلاثين ألفا ، وجعلوا عليه مالك بن عوف ، فأصرهم بأخذ نسائهم وأموالهم معهم ليدافع كل منهم عن أهله وماله فلا ينهزم . فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثني عشر ألف مقاتل ، فقال بعض أصحابه لبعض : لن نهزم اليوم من قلة ، ففضب النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن نصره ما كان بكثرة العدد وإنما كان بتأييد الله .

فتقدمت مقدمة المسلمين صوب العدو فخرج لهم كمين كان قد أعده المشركون ، وقابلهم بوابل من السهام ، فولوا مدبرين ، وتبعهم في الهزيمة من وراءهم . أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فتثبت على بقلته ، وثبت معه عدد قليل من الأنصار والمهاجرين ، وصار ينادى بأعلى صوته : إلى أيها الناس ، فلا يلوى عليه أحد ، حتى بلغت فلول الجيش مكة .

ظل رسول الله ثابتا مكانه ثم قال لعمه العباس ، وكان جهير الصوت : ناد بالأنصار ، فنادهم ، فسمعه من بالوادي ، فأقبلوا اليه يقولون : لبيك لبيك ، ويريد كل واحد منهم أن يلوى عنان بعيره فيمنعه تدافع المنهزمين ، فيرى بدرعه وينزل عن بعيره ناحيا نحو الصوت ، حتى جتمع الى النبي صلى الله عليه وسلم منهم عدد كبير ، فهجم بهم على الأعداء هجمة صادقة ، فتشتتوا تاركين أموالهم ونساءهم ، فأحصيت الغنائم فباغت أربعة وعشرين ألف بعير ، وأكثر من أربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة .

وقد دعيت هذه المعركة بغزوة حنين ، وفيها أنزل الله تعالى قوله : « لقد نصركم الله

في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيركم فلم تغن عنكم شيئا، وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين .

فجعل الله هزيمتهم جزاء لهم على إعجابهم بكثرتهم ، تمحيصا لقلوبهم ، ونظييرا لنفوسهم ، ليعلموا أن الله كان ينصرهم تأييدا منه على ضعفهم وقلة عددهم ، لا بسبب كثرتهم وحسن استعدادهم .

بعد هذه المعركة لم يبق في جزيرة العرب قبيلة يخشى بأسها على الاسلام والمسلمين .  
غزوة تبوك :

لم يندب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه لمحاربة أعداء الاسلام من العرب وحدهم ، ولكن من جميع الخلق ، ولذلك لما بلغه أن الرومانيين يتجهزون لقتاله دعا أصحابه لغزوم في بلادهم ، فخرج على رأس ثلاثين ألفا ، ولم يبال بما يروى عن كثرة عددهم ، ودربة جيوشهم وقادتهم ، فطالت السنة المناقشين في التشهير بهذا الأمر ، فقال كبيرهم عبد الله ابن أبي : يغزو محمد بنى الأصفر يحسب أن قتالهم معه اللعب ، والله لكأني بهم مفرنين في الجبال . وأرجف قوم آخرون بغير ذلك ، فلم يأبه النبي صلى الله عليه وسلم بهذا كله ، لأن الله وعده النصر على أعدائه . فلما وصل الى تبوك على حدود المملكة الرومانية لم يجد أحدا ، فأقام أياما جاءه في خلالها يوحنا صاحب إيلة ومعه أهل جرباء وأذرح ومينا ، وكانوا تابعين للرومانيين ، فصالحهم على الجزية .

ثم استشار أصحابه في الرجوع أو التقدم فأشاروا عليه بالرجوع فرجع .

هجرة الوداع :

حج النبي صلى الله عليه وسلم بالناس في السنة العاشرة للهجرة ، وخطب فيها خطبة جامعة ودع فيها الناس ، ولم يحج بعدها . فلما وصل الى البيت طاف به واستم الحجر ،

وصلى ركعتين وشرب من ماء زمزم، ثم سعى راكباً بين الصفا والمروة، وكان إذا صعد الصفا يقول: لا إله إلا الله، الله أكبر، لا إله إلا الله وحده، أتجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ثم توجه إلى منى في الثامن من ذي الحجة فبات بها. وفي التاسع من الشهر المذكور قصد عرفة، وهناك خطب خطبته المشهورة بخطبة الوداع، وهي:

« الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره وننتوب إليه، ونموذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

« أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير». أما بعد: أيها الناس: اسمعوا مني آيين لكم، فإنني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

«أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم لي أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

«فن كانت عنده أمانة فليردها إلى من ائتمته عليها، وإن ربا الجاهلية موضوع، وأول دم أبداً به دم عامر بن ربيعة بن الحارث، وإن مآثر الجاهلية موضوعة، غير السدانة والسقاية.

«والعمد قود (أي أن في قتل العمدة قصاصاً)، وشبه العمدة ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فن زاد فهو من أهل الجاهلية.

«أيها الناس، إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

«أيها الناس، النسيء زيادة في الكفر»<sup>(١)</sup> يضلل به الذين كفروا يحلون له عاماً

(١) النسيء المراد به تعديل الأشهر على حسب أهوائهم، فإذا أرادوا الحرب في شهر من الأشهر الحرم أحلوه وحرموا شهراً من شهور الحلال وجعلوه حراماً مكانه.

ومحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات وواحد فرد : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان . ألا هل بلغت ، اللهم اشهد .

« أيها الناس ! إن لنسائكم عليكم حقا ، ولكم عليهن حق : أن لا يوطئن فراشكم غيركم ، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تعضلوهن ( أي تمسكوهن وتضيّقوا عليهن ) ، وتهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليك رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندهم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ( أي ضعاف ) ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء ، واستوصوا بهن خيرا ، ألا هل بلغت ، اللهم اشهد .

« أيها الناس ! إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئٍ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ، ألا هل بلغت ، اللهم اشهد .

« فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإنني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله . ألا هل بلغت ، اللهم اشهد .

« أيها الناس ! إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بتقوى . ألا هل بلغت ، اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

« أيها الناس ! إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا تجوز لوارث وصية في أكثر من الثلث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل . والسلام عليكم ورحمة الله . »

وفي هذا اليوم نزل قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم :

في أوائل صفر من السنة الحادية عشرة ، شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحراف في صحته ، ثم اشتد عليه المرض حتى تعذر خروجه للصلاة وأصاب عنه أبا بكر ، فلما علم الناس باشتداد المرض عليه قلقوا غاية القلق وأحاطوا بالمسجد ، فدخل على النبي عمه العباس وأعلمه بما هم عليه من الكرب ، فخرج عليه الصلاة والسلام معصوب الرأس متوكئاً على عليّ والفضل ، ومشى بخط برجليه الأرض حتى جلس في أسفل مرقاة المنبر ، واجتمع الناس اليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم ، هل خلد نبي قبلي فيمن بعث الله فأخلد فيكم ؟ ألا إني لاحق بربكم ، وإنكم لاحقون بي ، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً ، وأوصي المهاجرين فيما بينهم ، فإن الله تعالى يقول : « والعصر إن لإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » وإن الأمور تجري بأذن الله عز وجل ، لا يعجل بمجلة أحد ، ومن غالب الله غيبه ، ومن خادع الله خدعه »  
 « فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم » ، وأوصيكم بالأَنْصار خيراً ، فأبهم تبوء الدار والإيمان من قبلكم ، أن تحسنوا إليهم . ألم يشاطروكم في الثار ، ألم يوسعوا لكم في الدار ، ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ؟ ألا فن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم ، وليتجاوز عن مسيئتهم ، ألا ولا تستأثروا عليهم ، ألا وإني فرط لكم ، وأنتم لاحقون بي ، ألا فإن موعدكم الحوض ، ألا فن أحب أن يرده عليّ غداً فليكشف يده ولسانه إلا فيما ينبغي » .

ولما كان يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول والناس يصلون وأمامهم أبو بكر ، إذا برسول الله قد كشف رجب حجرة عائشة فنظر إليهم وهم صفوف ثم تبسم يضحك ،



فرجع أبو بكر على عقبه ليدخل الى الصف ، ظنا أن رسول الله يريد الصلاة بالناس ، وكاد يفتن المسلمون في صلاتهم فرحا برسول الله ، فأشار اليهم بيده أن آمنوا صلاتكم ، ودخل الحجرة وأرخى الستر .

فلما كانت ضحوة ذلك اليوم لحق رسول الله بربه ، وكان ذلك في ١٣ ربيع الأول سنة (١١) للهجرة ، الموافق ٨ يونيو سنة ( ٦٣٢ ) ميلادية . فيكون قد عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة قرية وثلاثة أيام .

فلما شاع الخبر اشتد الأمر على الناس وحاروا في أمرهم ، فصعد أبو بكر المنبر وخطبهم قائلا : ألا من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا قوله تعالى : « إنك ميت وإنهم ميتون » وقوله تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي الله الشاكرين » .

فكانت هذه الخطبة سكنا للقلوب الواجفة ، ورقودا للدموع الواكفة ، ومضى الناس في الطريق الذي نهجه لهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكتاب الله يقدمهم حتى بلغوا بأمتهم الأوج الذي يحدثنا عنه التاريخ ، ولم تبلغ اليه أمة قبلهم ولا بعدهم .

### نظرة عجيلى على ماسبو :

هنا يتساءل العقل : أى صنف من الناس كان محمد بن عبد الله ؟ حكما ؟ مصاحبا ؟  
موجدا لأمة ؟ بانبا لدولة ، مؤسسا لدين ، واضعا للمستور ؟ أم كل هؤلاء كان  
فى شخص واحد ؟

هنا يتدخل العلم ويقول : الحكيم مهما خلق فى سماء الحكمة ، فلا يستطيع أن  
يخرق نظام الكون فيقلب لأحوال الى عكس ما هى عليه فى سنوات معدودة .  
والأخلاق ليست من المرونة بحيث يستطيع أن يعطبها المصلح على ما يريد من طريق

الطفرة، ولكن إصلاحها يقتضى أجيالاً متعاقبة لتستوفى في خلالها أدوار التطورات الطبيعية المقررة. والقبائل ليست كالأحجار يضع منها البناء حجراً على حجر، فيشيد منها ما يشاء من المباني الاجتماعية، ولكن لا بد لها من أدوار متعاقبة تمر بها في عصور متتالية لتصلح أن يتألف من مجموعها أمة. والدول لا تبنى من لا شيء، فلا بد أن يسبقها دولة قابلة للتطور بعوامل شتى تدفعها للتكامل في آماد متوصلة. والمستور لا يكون إلا ثمرة ثقافة شرعية عميقة الجذور في حياة الأمة التي تضطلع بأعبائه، وأين هذا الشرط في حياة الأمة العربية، وقد كانت في فوضى ليس وراءها مذهب؟ هذا ما يقوله العلم في هذا الموطن، فإن عدم محالا، فهو أمام أمر واقع ظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم، فإما أن يعلله بعلم علمية، وإما أن ينكر وقوعه. أما تعليله فممتنع كما رأيت، وأما إنكار لواقع فليس إليه من سبيل، فهل من مخرج من هذه الحيرة؟ نعم: هو أن نعتقد أن محمداً كان رسولا لله، صدر في كل أموره عنه، وتأيد بروح منه. فإن قلت فما الدليل على نبوته؟ فهنا موطن العجب العاجب: رجل يدعى أنه نبي ويعجز العقل والعلم عن تعليل بعض ما قام به من عظامم بذبها الحكماء والمصلحين، وفاق القادة والمسترعين، وشأى العياهة والملكين، وصغر شأن الفلاسفة الأولين والآخرين، رجل يأتي بكل هذا لا يمكن أن يتصوره العقل مصلحا كيقية المصلحين. لأن ما قام به من الأعمال، لا يأتيه إنسان موكل إلى قواه الذاتية ما أحسن ما قاله الفيلسوف الإنجليزي الكبير (كارلايل) في كتابه (الأبطال وديانة الأبطال):

«أى دليل تريد على صحة قول من يدعى لك أنه بناء، أقوى من أن يبنى لك بيتا كبيرا يسع للملايين، ومن اللثام بحيث يبقى مئات السنين؟ كذلك أى دليل تبغى على صدق محمد فيما يدعيه من النبوة أكبر من أن يأتى للناس بدين يهديهم به، ويدفعهم في طريق الحياة الفاضلة، وأن يبقوا محافظين عليه ومتحسين له أكثر من اثني عشر

قرنا؟ ألا فليعلم الناس أن مثل الباطل كمثل ورق البتة الزائف يمر من يدٍ ويدٍ ،  
ثم يضبط ويعرف أنه زائف، فلا يرفع به أحد رأساً، ولكن الاسلام هدى العقول كل  
هذه الأجيال ، وأهله أشد اعتداداً وتمسكاً به من أية أمة بدينها في الأرض .

محمد فريد رجبى

## طرائف الشفاعات

قال المبارك بن فضالة : كنت عند أبى جعفر المنصور جالساً فى السباط ، إذ أمر برجل أن يقتل ،  
فقلت : يا أمير المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم القيامة نادى مناد بين  
يذى الله ألا من كانت له يد عند الله فليتقدم فلا تتقدم إلا من عفا عن مذهب . فأمر بإطلاقه .  
وأمر عمر بن عبد العزيز بعقوبة رجل ، فقال له رجاء بن حيوة : يا أمير المؤمنين إن الله  
قد فعل ما تحب من الطغر ، فافعل ما يحبه من العفو .

ودخل ابن حزم على المهدي وقد عتب على بعض أهل الشام وأراد أن يعزبهم جيشاً ، فقال :  
يا أمير المؤمنين عليك بالعفو عن المذهب ، والتجاوز عن المسيء ، فلأن تطيعك العرب طاعة  
محبة ، خير لك من أن تطيعك طاعة خوف .

وأمر المهدي بضرب عنق رجل فقام إليه العلامة الكبير ابن أسماك فقال له : إن هذا  
الرجل لا يجب عليه ضرب العنق . قال أمير المؤمنين فما يجب عليه ؟ قال ابن أسماك : أن تعفو  
عنه ، فإن كان من أجر كان لك دوى ، وإن كان من وزر كان على دونك . فحلى سبيله .

وكلم الشعبي ابن هبيرة فى قوم حبسهم ليطلقهم : إن كنت حبستهم بباطل فالحق يطلقهم ،  
وإن كنت حبستهم بحق ، فالعفو يسعهم .

وروى الأصمعى قال : عزم عبد الله بن على على قتل بنى أمية بالحجاز ، فقال له عبد الله  
ابن حسين بن حسن بن على بن أبى طالب : إذا شرعت بالقتل فى أكتفائك ، فمن تباهى  
بسلطانك ؟ فأف يعف الله عنك .

## مهمة الدين الاسلامي في العالم

— ٩ —

دعوته الى تجريد العمل لله لا للأغراض المادية

لقد أدهش الناظرين في تطورات الجماعات البشرية سرعة تطور العرب من الحالة التي عليها القبائل المتفككة الأوصال ، الى حالة أمة متماسكة لأجزاء ، مترابطة الاتحاد ، وزاد في دهشهم أن هذه الأمة الفتية قاومت كل عوامل التحلل التي نتابتها في أثناء كفاحها للأمم العريقة في الاجتماع ، فلم تزد إلا تماسكا وترابطا ، مع أن بعض هذه العوامل كانت تكفي في حل الأمم القوية ، وإعادة ما كانت عليه من الوهن والانقسام .

وكيف لا يدهش الناظرون من هذا التطور السريع وقد بلغ العرب من سعة الملك وبسطة السلطان في قرن واحد ، ما لم يبلغه الرومانيون في ثمانمائة عام . هذه سرعة تحير العقل ، ويعجز عن تفسيرها العلم ، فهي معجزة خالدة تسجل ختام المرسلين صلى الله عليه وسلم الى جانب معجزاته الكثيرة . ومما يجب لفت النظر ليه في هذا المقام أن هذا التبسط الاسلامي في الملك لم يصحبه ما صحب التبسط الروماني : من إذلال الشعوب المقهورة ، ونجريدتها من حقوقها الطبيعية ، وحمل ملوكها وكبرائها على جر عربات النصر ابراطرة الرومانيين ، بل صحبه لعدل وحرية والمساواة والأمن ، لجميع الشعوب التي ألحقت بلادها بالخلافة الاسلامية ، حتى دعا ذلك شعوبا أخرى الى استدعاء المسلمين للاستقلال بظلم الوارف ، والاستئناس الى عدلهم الشامل .

هذه مدهشات بل آيات لم تر عن شعب فاتح في الأرض غير المسلمين الأولين ، فاسر هذا لأمر الجلل ، وما وجه تعليله ليسكون فيه للناس معتبر ؟  
أما سره فهو أن الاسلام دعا الآخذين به الى أن يبتغوا بعملهم وجه الله ،

لا المصلحة المادية ، ولا المرامي الدنيوية . فقال الله تعالى : « كل شيء هالك إلا وجهه » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها » . وما دام كل شيء هالكا إلا وجه الله ، وما دام كل شيء في الدنيا ملعونا إلا ما كان خالصا لله ، كان حقا على كل آخذ بهذا الدين أن يتحرى بعمله وجه الله .

ولما كان وجه الله لا يصح أن يقصد بالأعمال المنكرة ، والمقاصد السيئة ، فإن هذا الأصل الكريم كان أفضل في تقويم أخلاق المسلمين ، وتكميل نفوسهم ، وتشريف أعمالهم ، من جميع كتب الأخلاق التي تفيض في ذكر محاسن الخلال ، وتمجيز عن حمل حفاظها بل مؤثقيها ، على العمل ببعض ما جاء فيها .

وقد عني الاسلام بطبيع نفوس أهله على هذا الأصل عنايته بطبيعتها على التوحيد لأنه مكمل له ، فاعتبر كل عمل لا يقصده وجه الله مردودا على صاحبه ، بل ووبالا عليه ، فقد جاء في حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : « إن الله تعالى يقول للملائكة : إن هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا التقى الصفان زلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم : فلان يقاتل للدنيا ، فلان يقاتل حمية ، فلان يقاتل عصبية ، ألا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله ، فن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » .

وقد طالب الاسلام أهله بأن يجعلوا وجه الله مطمح أنظارهم حتى في صفريات الأمور ، لتأتي أعمالهم كلها مبنية على أساس ركين من الطهر والنزاهة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ، ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أثن من الجيفة » .

وقد رسخ هذا الأصل في نفوس المسلمين الأولين حتى صار أساس أعمالهم ، وصار العمل على نقيضه مسبة فيهم ، قال ابن مسعود : « من هاجر يبتغي شيئا فهو له ، فهاجر رجل فتزوج امرأة منا ، فكان يسمى مهاجر أم قيس » ، وسأل رجل سعيد

ابن المسيب وهو من التابعين فقال : إن أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر ، فقال له سعيد : أنتحب أن تمقت ؟ قال الرجل : لا ، فقال له سعيد : فإذا عملت عملاً فأخلصه . قصد الإسلام من هذا أن يجعل المثل الأعلى للإنسان أشرف النُّل وأرفعها وهو الإخلاص لله ، والإنسان جدير بهذا المثل ، يل ولا يصلح له غيره ، لأنه منحه من المواهب العقلية ، والملكات الأدبية ، والقابليات المعنوية ، ما لم يمنحه غيره من الكائنات الأرضية .

فتخيل الآن أمة أخذت بهذا الأصل فجردت أعمالها كلها لوجه الله ، كيف لا يترابط آحادها ترابطاً لا تقصم عراه ، وهم إنما يعملون ما يعملون ابتغاء مرضاة الله ؟ وكيف لا يتزدهون عن دينيات الأخلق ، وساقطات الخلال ؟ وكيف لا يكون نسيانهم في الأرض ، وحتلاطهم بالأمم خيراً وبركة عليهم ، وهم لا يقصدون إلا إقامة دولة الحق ، وتشديد صرح العدل ، ورفع منادى الفضائل ، وتطهير الأرض من الرذائل ؟ هل يفوتهم علم لا يضعون أساسه ، ولا يوقدون نبراسه ؟ هل تعدوهم حكمة لا يضيفونها إلى ذخرم ، أو سنة حسنة لا يعدونها من حقهم ، أو عادة صالحة لا يضعونها إلى سيرتهم ؟

إن الأمة التي تجرد أعمالها لوجه الله يسهل عليها أن تجري على السمت الذي يرسمها الله : من الصدق ، والأمانة ، والمطف ، والرحمة ، والإنصاف ، وإحقاق الحق ، وإزهاق الباطل ، وعمل الخير ، والتعاون على البر ، ومجانبة الآثام الظاهرة والباطنة ، والبغى والفسوق ، فإن كانت مدنية فاضلة تنعم في بحبوحتها الإنسانية ، ففي هذه ، وكل ماعداها فصور غير صحيحة للمدنية التي تناسب مواهب الإنسان ، وتبعديه عن مشابهة الحيوان . هذا المثل الأعلى قد جعل الأمة الإسلامية خير الأمم ، وجعل آثارها خير الآثار في الأرض : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

وصفها الله بأنها كانت خير أمة عن جدارة واستحقاق ، وهل تريد دليلاً أقوى

على صحة هذا الحكم من إجماع المؤرخين الأجانب على أن العرب أحيوا موات العالم، وبعثوا العلوم من أرماسها، ونشروها بين الناس، ومصرفو الأمصار، ونشطوا التجارة والزراعة، ورققوا الفنون والصنائع، ومسلأوا المدن مدارس ومكتبات لنشر الثقافة بين كافة الخلق، لافرق بين مسلم وغير مسلم، حتى كانت الأمم الأوربية تبعث الى بلادهم بالبعثات لتعب من معين معارفهم، وكان من بينهم الأب سلفستر الذي أخذ كثير من علومه عن علماء الأندلس وتولى رتبة البايوية في رومية فيما بعد. وكانوا يسيطون أيديهم بالبر على أهل كل ملة، ويؤتون الخير طالبيه من أى نحلة، حتى كان كبراء أوروبا إذا أصابهم مرض انتقلوا الى بلاد المسلمين ليعالجهم أطباؤهم المبرزون، فكانوا يلقون ترحيبا، ويعنى بمعالجتهم كبار النطاسيين حتى ينالوا الشفاء ويعودوا الى بلادهم سالمين. (راجع كتاب درابر المدرس بجامعة نيويورك).

كان العالم على عهد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في اضطراب واضطرام، فكانت الحروب ناشبة في كل مكان، وكان القادة يسوقون الشعوب الى ميادين القتال لأحط الأسباب، كالحصول على نصر يخلدون به ذكراهم، أو لحك حزازة في النفس لا تستحق أن ينتطح فيها عزان، ولا أن يراق فيها قطرة من دم إنسان، فإذا تركت هذه الحركات الجنوبية وراءها غير الخزي والعار، والأوبئة نجتاح ما تركه منها الحديد والنار؟ فلو لم يبعث الله الأمة الاسلامية لتعمل تحت نور مثلها الأعلى من الإخلاص لوجه الله، لا لئيل نصر كاذب، ولا للتمالي على الناس، لانهت البشرية الى شر النهايات « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا، والعاقبة للمتقين ».

واليوم أصبح العالم في أمر مريع، كل ما فيه يؤذت بالويل والشبور، وعظام الأمور، ألا ترى الأمم قد بليت بشر ما تبلى به الجماعات من الأزمات الاقتصادية، والبطالات العملية، والانتساعات الدولية، والعداوات الحزبية، والطامات الإباحية، وجميعها تتطلب المخرج مما هي فيه فلا تجده، ولم يقن عنها ما حصلته من العلوم العالية،

والصنائع الراقية ، والمدنية الزاهية ، ولم تجدها إلا حاييل السياسية ، ولا المحاولات الدبلوماسية ، فهي بين برائن داء عياء أعجز نطس أطبائها ، وحير عقول ألبائها ؟ فهل بعد كل هذه الوسائل العلاجية من دواء يرجي أن تنال به الشفاء ، وأن يرتاح العالم كله بسببه من هذا الشقاء ؟

نعم ، وهو أن يتخذ العالم مثلاً أعلى مما كان له الى اليوم ، وهذا إيذان من الحق سبحانه وتعالى بأن المثل العليا التي تستند الى الأغراض المادية أصبحت لا تقيد الأمم ، فإن المثل الذي جعلته أمثال الأمم اليوم شعارها وهو « إن أمتنا فوق الجميع » إعلان صارخ بمعاداة جميع الأمم ، والتنافس فيه يجرها الى المكارثة في التسليح ، وأخذ الأهب للحروب الطاحنة .

نعم صرح الكتاب الكريم بأن الأمة الاسلامية خير الأمم ، ولكنه علل هذه الخيرية بما اتخذته لنفسها من جليل المهام الانسانية ، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإيمان بالله ، ولم يعلله بتفوقها في الجنسية ، ولا بتبريزها في الميادين الحربية ، ولا بقهرها للأمم الأجنبية ، فقال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ونهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، فلو تنافست الأمم كلها لاستحقاق هذه الخيرية ، لكان أثر ذلك خيراً وبركة على الكافة ، ولتحابت الأمم وتعاونت على البر والتقوى ، فإن التنافس في هذا المجال يؤدي الى التكافل والنساند ، خلافاً للتنافس في المجال الأول ، فإنه يؤدي الى التباغض والتحافد .

يقول قائل : إنك تكلف الناس اليوم ما لا طاقة لهم به ، فأين هي تلك النفوس التي تنزهت عن السقاسف لتجرد أعمالها لوجه الله ، وهي في معمران فتنة صماء من قشور هذه المدنية ، وهل أبقت المطالب الشهوانية من أفئدتها مكاناً لمثل هذه الوجهة العلوية ؟

نقول : هم بين أمرين ، فإما أن يبقوا على ما هم عليه ، فلا تنقطع من بينهم العداوة والبغضاء ، والتحاسد والتحاقد ، وما يجرانهم اليه من قتن كقطع الليل المظلم تدع الخليم



حيرانا، وإما أن يعملوا على حسم مادة هذه العوامل الموبقة برفع مثلهم الأعلى إلى الأوج الذي رفعه إليه الاسلام، فينعموا بسمعة الحياتين، وينالوا الحسنيين.

وفي يقيني أن العاقبة لم يدعهم إليه الاسلام إن لم يكن طوعا فكرها، لأن الانسان الذي منح هذا لعقل يفرق به بين الحسن والقيبح، وهذا الإدراك العالي يتذوق به جلال الحقائق الخالدة، يكبر عليه أن يُبقى على حالة نفسية تجمعها أحط رتبة من الحيوان الأعجم بتسخير مواهبه للأغراض السافلة، فلا مقر له — وهو يزداد كل يوم شعورا بسيئات ما هو فيه — من الانتهاء إلى حالة يطرح فيها عن عاتقه نير هذه الجاهلية، ويخلص مقاصده لله الحق، فيحتل المسكنة التي خلق ليحتلها بين سلسلة السكائن الأرضية، ويحيى مع إخوانه في الانسانية حياة طيبة: «إن الذين قتلوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة»

محمد فريد وجدي

## البلاغة في الأجابة

دخل معن بن زائدة على أبي جعفر المنصور، فقال له: كبرت يا معن. قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين. قال: وإنك لتتجدد. قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين. قال: وإن فيك لبقية. قال: هي لك يا أمير المؤمنين.

وقال هرون الرشيد لعبد الملك بن صالح: هذا مترك. قال: هو لأمر المؤمنين، ولي به. قال: كيف ماؤه؟ قال: أطيب ماء. قال: فكيف هواؤه؟ قال: أفسح هواء.

وقال أبو جعفر المنصور لجريز بن يزيد: إني أردت لك لأمر. قال: يا أمير المؤمنين قد أعد الله لك منى قلبا معقودا بطاعتك، ورأيا موصولا بنصحتك، وسيفا مشهورا على عدوك، فإذا شئت فقل.

وقال المأمون لطاهر بن الحسين: صف لي ابنك عبد الله. قال: يا أمير المؤمنين إن مدحته عبته، وإن ذمته عُعبته، ولكنه قدح (بكسر فسكون، أي سهم) في كف منقف ليوم نضال في خدمة أمير المؤمنين.

وقال المنصور لاسحاق بن مسلم: أفرطت في وفائك لبنى أمية. قال: يا أمير المؤمنين إنه من وفى لمن لا يرجى، كان لمن يرجى أوفى.

# النفس

## سورة الحجرات

- ٣ -

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى . (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بِهِمَا ، فَإِنْ  
بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَنفِيَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ، فَإِنْ فَاتَتْ  
فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَنصِبُوا ، إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ  
فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا  
قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ  
خَيْرًا مِنْهُنَّ ، وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ، وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ  
بَعْدَ الْإِيمَانِ . وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا يَبُغِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) .

قوله تعالى : « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بِهِمَا » من تعمة الإرشاد  
للمتعلق بحال المؤمنين العامة ، أي بحال شعوبهم وطوائفهم ، وذلك هو القسم المبدوء  
بقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا » على ما سبق في المقال للماضي . وقد  
رتبه عليه لأن أكثر ما يجي من التناحر والتقاتل بين الطائفتين والطوائف مبنى على أنباء  
المفسدين الفاسقين ، فقد يتولى شخص بمفرده السعاية بين طائفتين ، فينقل لى كل منهما  
عن صاحبتها ما يوغر صدرها من ناحيتها ويذريهما بالعداوة والبغضاء ، فهو يلتقط من  
إحداها الكلمة ويبني عليها هياكل الإفساد حتى يستفز الأخرى الى حالة قد تكون

هينة، ولكنه يكبرها، ويستشهد ببعض البوادر حتى يحرك الشر السكامن، ويشير  
الهياج الساكن، والطرفان عن خبثه لاهون، وبمداهنته واثقون.

وقد تقوم فئة من المفسدين بالأمر، وتوزع أفرادها على إيجاد الشر، عن تأمر  
بينها، فيتولى كل قسم منها الاتصال بطائفة، يزعم إخلاصه لها، وغيرته عليها، وإخلاصه  
النصح لها، والاحتفاظ بكرامتها، وإرشادها إلى طرق الاحتياط من ينوى إشر لها،  
ثم يكشف بقية زملائه بما وصل إليه، ليبينوا عليه من ناحيتهم فوق ما بنى، ويعمدون  
إليه ليقم مهمته، وهكذا لا يزالون بهما حتى تقوم كل منهما على الأخرى، فينشب  
الشر بينهما إلى أن يتفانيا، وذلك ما أراده بهما الفاسقون، وهم بجاحهم في سوء نيتهم  
مبتجعون، وفي كل ذلك يكون الشيطان من أكبر أعوان هذا الثوران، بما يوسوس  
للفريقين من العناوين الخلابه، كالخزم والاحتياط، والاحتفاظ بالمرزة وإياء الضيم، ثم بما  
يصوره في نفس كل طائفة من احتقار الأخرى والاستهزاء بها، وأنها ما كان لها أن  
تعدومنزلتها، ولا يصح أن تتجاوز حدها، حتى تستحكم حلقات الشر، وتنشب بينهما  
الحرب، ويستحضر الضرب.

هذا هو شأن نبي الفاسق إذا أهملته، لم تكن كلمة كذب وانتهت، ولكنها  
بذرة السوء تنبت شجرة كشجرة الزقوم، طلعها كأنه رعوس الشياطين، تتجلى  
بخضرتها، وتتجلى بنضرتها، حتى يفتتن بها فصار النظر، ويأوى إلى الاستغلال بها  
سيئو الفكر، وإذا ما تذيقهم سموها، وتقطر عليهم من دماءها، وما هي إلا دماءهم  
استنزفها، وحياتهم أفتنها، والله القائل:

الحرب أول ما تكون فتية تسعى بزينتها لكل جهول

حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ولت عجوزا غير ذات حليل

شمطاء ينكر لونها وتغيرت مكروهة للشم والتقبيل

فترى بهذا — وهو أمر مركوز في النفوس معلوم لكل مفكر — كيف أدخل

حكم الطائفتين المتقاتلتين من المؤمنين في سياق الأمر بالتبين عند مجيء الفاسق بالنبأ،  
ممهداً له ومشيراً إليه بقوله عز من قائل: « أن تصيبوا قوماً فيجاءلوه فتصيبوا على ما فعلتم  
نادمين ». ثم لفت نظرهم إلى وجوب الرجوع إلى الإرشاد الرباني والهدى الإلهي والرحمة  
المهداة، وذلك في قوله: « واعلموا أن فيكم رسول الله » وهو صلى الله عليه وسلم إذ كان  
فيهم في العصر الأول يجسده وروحه، فهو في أمته في كل عصر بتعليمه وإرشاده وهديته،  
فيجب الرجوع إلى ما أرشد، والاقتداء بهديه، وخير الهدى هدى سيدنا محمد صلى الله  
عليه وسلم. وما أجل ما نيه فيهم عاطفة الايمان وهز أريجته لتعقب في قلوبهم رائحته الطيبة،  
لتضبط جو رحيمهم، وتنظم تصرفاتهم، مع التحذير من الكفر والفسوق والعصيان،  
تلك العوامل التي لا تنتج إلا شرّاً ولا تثمر إلا ضرّاً، وذلك في قوله تعالى: « ولكن الله  
حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان »؛ وكل  
أمرى يعلم أن عوامل الوقاية ليست دائماً محققة الحصول، فكثيراً ما تذهل النفس  
— لا مرأوده الله — عن مراعاتها، فلا يتبين وخامة العاقبة وسوء المصير إلا بعد حين.  
فلا بد للحكيم إذا وصف أسباب الوقاية من المرض والخطر أن يردفه بوصف العلاج  
لما نزل فيما إذا أهملت الوقاية، وكثيراً ما يكون ذلك.

فهذا هو قوله جل شأنه: « وإن طائفتان من المؤمنين اختلفتا فاصالحوا بينهما ».  
أي إذا تمكن الفاسق المفسد من إتمام جريمته، ووصل إلى سبيء بغيته، ونفذ سهمه  
في طائفتين منكم فأفسد ذات بينهما فافتلوا، فعلى بقية المؤمنين أن يتقدوها من الخطر  
الذي ترديا فيه، إذ لم يستطيعا أن يعتصما منه بسبل الوقاية التي أرشدها الحكيم العليم  
إليها. فواجب المؤمنين أن يصلحوا بينهما، وأن يتوسطوا في السعي بالخير وكسر حدة  
الشر، وفهم ما يجوز في نفس كل منهما من حجاج أو شبهة فيه حصوها ويلطفوا من غلوائها،  
ثم ينتقلوا إلى الثانية فيستمعوا منها بالتي هي أحسن، ويوازنوا بين الفريقين، ويحكموا  
على حجة وشبهة الطرفين، حتى يقرروا وجهة النظر، ويزيلوا عوامل الضرر. ولما افتتل

طائفتان إلا وكل منهما زعم أن الحق بيدها، وأنها ما نارت إلا لتبرير حقها، فكلتاها كما يقولون تقرأ الخطاب من الصفحة التي تلاعها، فتسكون مهمة أوائل المصلحين أن ينظروا بأكلمات العيين إلى كلتا لجهتين، غير متحيزين ولا متحرفين - اللهم إلا ما تقضى الحكمة بمراعاه أو غرض النظر عنه وتهوين أمره، من الهنات الهيئات التي ستعترض طريقهم، فيتصرفون فيها بالتي هي أحسن.

وإذا كانت كلمة الفاسق قد تجر إلى الفتنة العمياء والحرب الشمواء واقتتال الإخوة، فما بالك بالحرب تقوم بين طائفتين، ونار الفتنة تشتعل بين أمتين؟ أتراها تقصر عليهما، ولا يصلى بأوارها غيرهما، أم هي الشر للتدافع والمهيب المنذع، لا بد أن تمتد إلى القريب ثم إلى البعيد، كما قال القائل:

لم أكن من جناتها علم الله وإني بحرها اليوم صالى

هذا هو شأن الفتن بطبيعتها، فن عمل على إنقاذ أصحابها منها فقد عمل على سلامة نفسه من شرها، وما أشبهها بالحريق يشتعل في بيت من قرية، فليس لأبعد الناس بيتا من البيت المشتعل أن يهاون في إطفائه، وإلا طغى عليه وامتد لهبه إليه، فإذا أمر المؤمنون بإصلاح ذات البين بين الطائفتين المتقاتلتين فلمصالحتهن أمروا، ولا نقاذ أنفسهن من الشر وجهوا. ولو فرض أنهم أمّنوا من الامتداد إليهم لكان في شفقة المؤمن على المؤمن ورأفته به أكبر الدواعي على صوته من القضاء وإنقاذه من الهلاك، ففي كثرة المسلمين معزة لجميعهم ومهابة لجانهم، وقد قالوا في المثل: «إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض»<sup>(١)</sup>

(١) زعموا أن ثلاثة ثيران أحدها أبيض والثاني أحمر والثالث أسود تمردت على صاحبها وفرت إلى البرية فالتقت ببعض الوحوش فقطع فيها ورأى أن لا قبل له بها وجهها لوجه، فمهد لى الحيلة فعد معها صداقة بحجة أنها تأكل العشب وهو يأكل اللحم فلا زحام بينهما وبينها فليكن الجميع على تعاون هو يرشدنا إلى العشب وهي ترشده إلى صغار الصيده. فمما قدم جاء إلى الثورين الأسود والآخر وقال إن لوى وورنكما متقارب وغير ظاهر ولكن الثور الأبيض مكشوف اللون يرشد الناس إلى اقتناصنا فهلا أعنتهما في عليه ليخلص لكما العشب وأمن كشف الناس لنا يسبه فجاءه فافترسه. ثم بعد حين جاء إلى الأسود بمثل ذلك فأحس الضعف فاجابه، فلما انفرد به جاء ليقترسه فثبته له خطأ ما ارتكب أولا وقال هذا المثل.

وهنا دقيقة بلاغية، وهي أنه جمع ضمير الطائفتين في قوله: اقتتلوا، وثناء في قوله: فأصلحوا بينهما، مراعاة للفظ طائفتين ومعناه، لأن كل طائفة عدة أفراد. وحسن ذلك أن الاقتتال يسرى بين الأفراد جميعاً، فكل فرد منهما حريص على أن يقتل أى فرد من الأخرى، فالأقتتال منتشر بين جميع الأفراد. أما الصلح فإنه يقسمهما إلى طائفتين ممتازة كل منهما بوحدة المعنوية، ينظر إلى مجموع كل منهما نظرة واحدة، ولا بوقع الصلح بين كل فرد وفرد، فلذا قال: «اقتتلوا» وقال: «فأصلحوا بينهما».

وقوله تعالى: «فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله» معناه: فإن ظفرت بما أردتم وتم بينهما الصلح الذي حاولتم فالصلح خير والحمد لله، فإن حصل تماس فلا بد أن يكون قد تبين الحق مع إحداهما والبغي والافتيات من الأخرى، فالواجب حينئذ أن تناصروا الحق وأن تدوروا على الباغية حتى تفيء إلى أمر الله. وفي هذا وفاء بحقهما جميعاً. وقد ورد: «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» وفسر بأن نصرة المظلوم بإعانتة على دفع الظلم عنه، ونصرة الظالم برده عن ظلمه، ففي ذلك نصرة له على نفسه الأمانة بالسوء، فأنتم بقتالكم الفئة الباغية تكونون قد نصرتم أخوبكم: المبغي عليها بدفع البغي عنها، والباغية بردها إلى صوابها وإنقاذها من شرور أنفسها وسيئات أعمالها. وقوله: «فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله» أي قاتلوا لما بغت، لا انتقاماً منها واستئصالاً لها، بل إصلاحاً لحالها ورداً لها إلى صوابها، فلا يتبع منهزمها، ولا يجهز على جريحها، ولا يستحل مالها، فهو قتال لإصلاح لاقتال إهلاك.

والتي معناه الرجوع. وأمر الله معناه طاعة الله فيما أمر به في قوله: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» ومن طاعة أولى الأمر الانقياد إلى إصلاح المصلحين الداخلين بين المتخاصمين. أو أمر الله أي ما أمر به ورغب فيه، وهو الصلح، فقد قال تعالى: «والصلح خير». أو أمر الله أي الخوف منه وتقواه، فمن اتقى الله اجتنب كل ما يغضب الله. والثلاثة متقاربة في مآلها.

قال تعالى : « فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا » :  
 المحتاج الى التنبيه هنا أنه زاد في الأمر بالإصلاح هنا قوله « بالعدل وأقسطوا » ،  
 وذلك أنه لما تعاضت إحدى الفئتين وتعمدت في بعضها وغيها ، كانت مظنة أن تكون  
 أغضبت المصلحين كما أغضبت خصيمتها ، فينقلبان معا عليها بالخصومة ، فاذا تغلبا عليها  
 فربما أخذت الحمية منهما فأنستهما حكم العدل حتى يتجاوز الحد ، فكان للمقام مقام أن  
 ينبها الى العدل والإقسط في هذه الحالة حذرا مما هم عرضة للوقوع فيه . والقسط :  
 الجور . والإقسط : إزالة القسط ، أي الجور ، كما ترى ذلك في قوله تعالى في آية أخرى :  
 « وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا » وقوله هنا : « إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُسْلِمِينَ » وختم  
 هذا الحكم بقوله : « إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُسْلِمِينَ » مما يرغب فيه مزيد ترغيب ، والأمر محتاج  
 اليه عند ثوران النفس بالغضب على تلك الفئة الباغية ، فَإِنْ مقتضى الإيمان أن يكون  
 هوى المؤمن تابعا لما يحبه الله ورسوله .

والآية قد أمرت بالعدل والإقسط ، أما تفصيله بتضمين إحدى الفئتين ما خسرته  
 الأخرى ، أو ترك التضمين ، أو غير ذلك ، فحله أبواب الفقه ، أو الرجوع الى حكمة  
 المصلحين ونائب رأيهم .

ولقد ذكروا أن الفئتين من المسلمين إذا اقتتلوا على سبيل البغى منهما جميعا  
 فالواجب أن يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويشمر المكافاة والمواذعة ، فإن لم يتحاجزا  
 ولم يصطاحا وأقاما على البغى ، صير الى مقاتلتهم ؛ وأنهما إذا اتعم بينهما القتال اشبهه  
 دخلت عليهما وكلتاها عند نفسها محقة ، فالواجب إزالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين  
 القاطعة ، وإطلاعهما على مرشد الحق ؛ فإن ركبتهما من العجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا  
 اليه ونصحتاه من اتباع الحق بعد وضوحه ، فقد التحقتا باللاتين اقتتلتا على سبيل البغى  
 منهما جميعا . وهذا كما ترى لا يتيسر إلا لمن كان مؤزرا من جماعة المسلمين ، ولا بد لهم  
 في تدارك ما بينهم من هذا .

وقوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» تعميم في الإرشاد السابق، ليشمل كل حالات الخصامات والنزاعات بين المسلمين، وأنها جميعها يجب تداركها بالإصلاح، سواء أكانت بين جموع أم بين أفراد، وسواء أكانت حالات اقتتال أم مجرد اختلاف في أمور غير ذات بال، فربما استفحل الأمر الصغير فصار أمراً خطيراً، ومعظم النار من مستصغر الشرر. وحسبك بالخلاف أنه مؤذ لكل منهما منفص حياتهما. ولا ارتياب أنه لو وجد لكل خصومة تشب بين اثنين من يعالجهما ويقضي عليها في مهدها قبل أن يستفحل أمرها، لسلم الناس من أكثر تلك الخصومات والمشاعبات المودية بالمصالح، المؤذية للأسر والأفراد.

والإخوة والإخوان كل منهما جمع الأخ، إلا أنه كثر استعمال الإخوة في إخوة النسب حتى قيل إنه مختص به، والإخوان في إخوان الصداقة حتى قيل باختصاصه به أيضاً. ويشار لفظ الإخوة على الإخوان هنا للإشارة إلى استحكام الروابط بينهما حتى كأنهما من أب واحد. ويقول القائل:

أبي الإسلام لا أب لي سواه      فلم أخّر بقبس أو تميم

والغرض تحريك عاطفة الصلة بينهم حتى يهتم كل واحد منهم بما يمس الآخر كما يهتم بمصلحة أخيه. فترتيب الأمر بالإصلاح عليه مع إعادة لفظ أخويكم بهذه الصيغة حسنة لا يخفى.

وقوله: «واتقوا الله لعلكم ترحمون» جار على مألوف النسق في النظم الكريم، من توجيه النفوس دائماً ولشكل مناسبة إلى تقوى الله، فهي أساس كل خير. وترتيب ربه الرحمة على التقوى في هذا المقام، لأنها باب لشمول نعمة التعاون والفساند بينهم، فإنهم إذا سادتهم الألفة والمودة كبل تعاطفهم وتراحيمهم، وصاروا عوناً لبعضهم لبعض، فشملتهم رحمة الله وإحسانه بإجراء المساعدة والمعاونة بينهم على أتم وجوها، وأمن كل منهم شر غيره ورجا خيره.



قال الله تعالى: «يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن» :

هذا هو القسم الرابع من الإرشادات التي سبق لنا الإشارة إلى تفصيلها، وقد تقدمت أقسام ثلاثة، وهي الإرشاد إلى ما ينبغي في جانب الله تعالى المذكور في قوله: «يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله»، والإرشاد إلى ما ينبغي في حق الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك في قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي» الخ، والإرشاد إلى ما يطلب في حق جماعة المسلمين، وذلك ما ذكر في قوله: «يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بغيأ» الخ، وهذا هو ما يجب فيما يجري بين أفراد المسلمين حين حضورهم ومواجهة بعضهم بعضا.

وقد ذكر في الآية الكريمة أحكاما ثلاثة، بادئاً بعظمها وأشدّها، ثم بما يليه، ثم بما يليه، فقال: «لا يسخر قوم من قوم». والسخرية: التحقير والاستهزاء، وذلك تارة يكون بالتضحك منه والتشهير به، وتارة يكون بحظه عن درجة الاعتبار وإلحاقه بين لا حرمة له ولا قيمة، كما يقول الفائل:

فذاك الذي إن عاش لا يعتنى به وإن مات لا تبكى عليه أقاربه

وكما يقول الفائل: هو أحقر من أن يذكر.

وتارة بإقصائه عن أن يكون له شركة في الأمور أو مشورة في الرأي واعتباره كأنه نسي منسى، ولهذا النوع أفانين يحدقها الشريرون المؤذون، ونحمد الله على عدم الإيماً بتفاصيلها، ولو أنادربنا كل طرقها ووسائلها لما كان بحاجة إلى شرحها وتفصيلها، فربما كان شرحها درساً معلماً عند من يجهلها، وقد يكون في بعض الجهل خير، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. وأما السخرية على وجه الإجمال فهي معروفة على كل حال، فليحذر لها من يتعرض لها، فهي مفضية للرحمن مرضاة للشيطان، مثار للشر مدفنة للخير. وقد وجه النهي أولاً إلى القوم مع القوم أي الرجل مع الرجل، وثانياً إلى النساء مع

النساء، والمراد التعميم ولو الرجال بالنسبة للنساء، والنساء بالنسبة للرجال. وإنما سلك هذا المسلك لأن الغالب أن السخرية تكون بين أفراد الجنس الواحد، فنخوة الرجال تأتي عليهم غالبا أن يتعرضوا للنساء بالسخرية، وما وقر في نفوس النساء من إجلال الرجال يصدهن عادة عن أن يتعرضن للسخرية من الرجال. كما أن اختيار التعبير بالقوم والنساء المفيدة لمعنى الجمع، لأن أغلب ما تكون السخرية بين المجموع المحتشدة، لأن ذلك أشد في الإغظة.

فهذا من وضع الدوء في موضع الداء وفي المثل: يضع الهناء موضع النقب. ولفظ القوم إذا قبل بالنساء كان مختصا بالرجال، وقد يطلق على لرجال والنساء جميعا كقوم عاد وقوم فرعون. ولعل وجه اختصاصه بالرجال أنه في الأصل اسم جمع قائم كركب وسفر، والرجال هم القاطنون بالأمر غالبا.

وقوله تعالى: « عسى أن يكونوا خيرا منهم » و « عسى أن يكن خيرا منهم » من باب ذكر الحكمة مع الحكم تدعيمه وتمين على أمثاله. والمعنى: قد يكون المسخور منه في الواقع وعند الله متحليا بصفات الخير والكمال حيث يتجرد الساخر منهما، ولعلك إذا تتبع جماعة الساخرين وجدتهم في الغالب مجردين من كل سمات الخير، منغمسين في أردل حمات الشر. وقد تعودنا أن نرى في سجايا أهل الخير الابتعاد عن السخرية بالغير، والاهتمام بتنقية أنفسهم من الأضرار، ومراقبة أحوالهم حتى يكونوا من الأطهار، وترهم يتلمسون لما يبدر من نقائص الغير جميل الأعذار، ويعكسهم الساخرون المستهزئون. ويجوز أن يكون معنى عسى أن يكونوا خيرا منهم، عسى أن يصير المحتقر خيرا من المحتقر، وأن تتقلب صروف الزمان بكليهما فيصير العزيز حقيرا والحقير عزيزا، كما قال القائل:

لأتهين الفقير علك أن تر كع يوما والذهر قد رفعه

قال تعالى: « ولا تميزوا أنفسكم » وهو المرتبة الثانية من هذا الإرشاد الحكيم. والميز: العيب. ولما جعل المؤمنون كنفس واحدة كان المؤمن إذا لمز المؤمن كأنما لمز

نفسه ، فهو على حد قول لقائل : فاذا رميت يصيبني سهمي . أولا نلزموا غيركم فيلزمكم فتكونوا قد جلبتم العيب على أنفسكم ، على حد ما ورد في الحديث « من الكبار أن يشتم الرجل والده » وقسر بأن يسب الرجل رجلاً فيسب الآخر والده . وكلا العنيتين داخل في النهي . ويفارق المزمز السخرية السابقة بأن تلك — على ما سبق — مبنية على التضحيك أو الاحتقار وعدم الاعتداد ، والمزمز التنبيه على العيوب وإن لم يكن على وجه التضحيك منه أو إسقاطه عن درجة الاعتبار . و فرق بعضهم بينهما بأن المزمز إشارة خفية يرساها صاحبها للتنبيه من وجه دقيق على عيب مستكن ، وأما السخرية فواضحة ، والمعاني متقاربة .

وقوله : « ولا تنازروا بالألقاب » أي لا يدع بعضكم بعضاً بقلب بغض اليه . وأكثر ما يستعمل « التنازع » في اللقب البغيض ، بل كذلك لفظ « اللقب » أكثر استعماله في المكروه من الألقاب ، وإن كان كل منهما يستعمل في اللقب الحسن ، كالحسن والنصور والصديق والفاروق وذى النورين . وهذه هي الرتبة الثالثة من هذا الإرشاد ، فقد يكون لشهرة الرجل بلقب — وإن كان غير محبوب — مصرف عن إرادة الإيذاء والشر به ، وليس كذلك المزمز والسخرية . فيكون هذا الإرشاد الرابع قد علمنا ما يجب علينا مراعاته في آداب عشرتنا واجتماعاتنا . وبدأ بالأثم ليقنتله ، إذ هو مثار العداوات ، ودواعيه في الغالب متوافرة ، وذلك هو السخرية ، فقد يدعو إليها مجرد التطرف والرغبة في جلب السرور على الحاضرين ، بضحك من أحدهم ، غافلاً عما يلحق هذا المضحك منه من غيظ كبير ربما أدى إلى شرأ كبير ؛ ونهى بالنهي عن المزمز ، لأن صاحبه قد يستخف أمره لما فيه من الخفاء فيبدر منه على خفة العجلة . ثم ختمها بأخفها وهو التلقيب المكروه الذي قد يتساح في شأنه ، وذلك ليقنتل كل بذور الشر والعداوة من أصلها ، ترسيخاً للمحبة بين أفراد المؤمنين وجماعاتهم .

ولعلك إذا تأملت في أسلوب النظم الكريم رأيت من حسن الوضع ما يملأ نفسك إعجاباً ، فقد عبر في الأول بكلمة لا يسخر قوم من قوم ، لأن المسخور منه عادة يكون كأنه

قد جعل في نظر السخرين فريقا وحده، ونصب هدفا لعبثهم ولعبهم، فكأنه صار أجنبيا منهم وقال في الثاني: ولا تلمزوا أنفسكم، لأن اللامز والممز في عادة التخاطب يجمعهم بساط واحد، ويكوتون في زمرة واحدة. ثم لا يلزم من لزمه من واحد أن يستحضر هو ما يلزمه به، فقد لا يحضره ذلك أو لا يقدر على مقابله بمثله. وأما التنبيه بالألقاب فهو إذا فتح بابه سرى بينهم مقابلة المثل بالمثل، فكلما يخلو واحد من أن يعرف بقلب يكرهه، فإن لم يكن استطاع أن يسكر له لقبا من جنس ما يقول، وذلك ما تعطيه صيغة التناز.

وما أجل ما عقيت به هذه النواهي من إيقاظ شعور الإيمان في نفوسهم، والتنويه بما ينبغي أن يشمره في تحايتهم، والتنبيه على ما يجب عليهم أن يسلكوه وفاء بحقه من الابتعاد عن الفسوق والعصيان، فقال تعالى: «بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان» أي ما أقبح أن يشين المرء كماله بنقيصة: فالنقيصة في ذاتها ذميمة، وهي ممن تحلى بحلية الكمال أقبح. فالمرنى: بئس الحالة أن تعرضوا أنفسكم للتسمية بفاسقين بسبب مخالفتكم ما نهاكم عنه بعد أن أحرزتم شرف لتسمية بالمؤمنين. فالاسم هنا بمعنى الذكر والشهرة، كما يقال: طار اسمه في الآفاق، أي اشتهر وعرف.

وقوله جل شأنه في ختام الآية: «ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون» فيه تأكيد التحذير بتسميته تلك المخالفات ظلما، بل حصر الظلم فيمن خالف. وفيه مع هذا فتح باب التوبة للخروج من تلك الورطة التي قد يقع المرء فيها عن غرة. ثم يشبه أن تكون من باب إرسال المثل. والمعنى أن من فتح أمامه باب الخلوص من مصيبة تردى فيها ثم لم يفتنم الفرصة بالفرار منها فهو الظالم لنفسه كما قل تعالى: «وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»

نسأل الله أن يرزقنا التوفيق للتوبة من كل الذنوب، وأن يجنبنا وساوس الشيطان وهزاته، ويقينا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه سميع مجيب. أبراهيم الجبالي

## تفسير قوله تعالى

(إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ)

وبيان بعض آيات الله في مخلوقاته (١)

وإني أود أن تتخيل الأرض حينما كانت كتلة نارية كما هو باطنها الآن أو أشد، وقد ذكروا أنه يصهر الصخور . فقل لي بعيشك كيف صارت بعد ذلك محل المعجائب والغرائب ؟ فقد جعلها الله مخزنا لكل ما نحتاج إليه من مساكين وملابس وغذاء ودواء، بل من رجال ونساء ، فإننا خلقنا منها « ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون » . فكم يكون دهشك إذا قارنت ذلك كله وأضعافه وأضعافه إلى حالتها الأولى عند ما كانت كتلة نارية، وهل يشتمل الشيء على ضده ؟ وهل يمكن فيه ما يباينه ؟ وهل يكون من عناصره ما يتناقى هو وحقيقته ؟ وماذا عسى أن تكون تلك النار التي اشتملت على تلك المعجائب والأسرار حتى أصبحنا نطلب منها ما نأكل وما نشرب وما نلبس وما نسكن وما نتكح الخ ؟ فسبحان من لا يعرف قدره غيره ، ولا يبلغ الواصفون صفته « يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ذلكم الله فأنى تؤفكون » .

ولا بأس أن نقول بعد هذا كلمة صغيرة عن الملسلة الحيوانية التي نبتدى بذلك المكروبات المنتهية في الصغر :

فقد ذكروا أن آلاف الآلاف منها تعيش في نقطة ماء صغيرة وتنمو هناك وتتكاثر وتموت كما تعيش حيوانات البر في القفار . ويقولون إن هذه الحيوانات لا يساوي هيكل الواحد منها جزءا من ١٨٧ مليون جزء من القبحة . ومع هذا الصغر المنتهى لهذه الحيوانات كان لكل حيوان منها ما بهضم به طعامه وماتم به حياته من الأعضاء

(١) تمة ما نشر في الجزء السابق بهذا العنوان .

الباطنة وظاهرة، فإذا تماهى الحيوان في الصغر فإذا عسى أن تكون تلك الأعضاء. وقد كنّا نمثل بالذرة لأصغر الأشياء، ونؤمن تقليداً للقرآن بأن هناك أشياء أصغر من الذرة، حيث أشار إليه في بعض آياته، ونقول ليمتدّ نعرف ما هي تلك الأشياء التي تكون أصغر من الذرة، فإن الله يقول في بيان سعة علمه المحيط بكل شيء: «وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين» حتى أثبت لنا الاكتشافات الحديثة أهم الميكروبات في صغرها، وأسمعتنا غريب حديثها، فقلنا عن عيان ووجدان: صدق الله العظيم حيث يقول: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً» وإنه لسكتاب عزيز. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ثم ترقى في سلسلة الحيوان من تلك الحيوانات الدنيا إلى أن تصل إلى نوع الحيوانات العليا كالفيل بل ما هو أعظم من الفيل مثل الهيدشة التي تزيد على الفيل خمس مرات. ثم من حيوانات البحر ما يكبر جداً حتى يظن أنه جزيرة في البحر. وفي البخاري أن المسلمين وقعت لهم سمكة (من البحر الأحمر) أكلوا منها شهراً، وكان أطول رجل فيهم يركب على جمل ويمر من تحت انحناء ضلع من أضلاعها. أو كما ورد.

فانظر وعاك الله إلى هذه السلسلة العجيبة التي لا تتقيد بقيد ولا تنضبط بحال. فإن قلنا: لا بد لها من قدر كالبقرة والطير والضفادع والسمك، ينقضه أننا وجدنا حياة بلا فقار فيما هو أسفل منها كالعنكبوت والحشرات الدنيا. وإن قلنا إن الحياة لا بد فيها من قشور في ظاهر الحيوان، رأينا الحيوانات الهلامية لا قشور فيها. وإن قلنا إنه لا بد من رءوس، كذبتنا الحيوانات التي ليس لها رءوس. وإن قلنا إنه لا بد أن يكون الحيوان صلب الجسم، ورد علينا النقايات والاسفنجيات، إلى آخر ما لا يمكننا شرحه.

فها أنت ذاترى الحياة عامة شاملة لا تتوقف على حال من الأحوال ، فلا يصد عنها بر ولا بحر ، ولا هواء ، ولا رخاوة في الجسم ، ولا عدم الرأس ، ولا فقد الفقرات ، ولا قلة لحواس .

ثم انظر بعد هذا تجد حيوانات يقتلها الأ كسوجين وتعيش تحت التراب ، أو نقول لا يمكنها أن تعيش في الهواء الخالص ، وحيوانات لا تعيش إلا في الهواء كالطيور ، وحيوانات لا تعيش إلا في البر كالإنسان ، وأخرى لا تعيش إلا في الماء كالأسماك .

فسبحان القادر على كل شيء ، « خالق كل شيء ، فقدره تقديرا » « أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين » « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم أرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خلسا وهو حير » « وما قدروا الله حق قدره » « سبحانه لا تحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » . وإن شئت أقرب من ذلك كله فانظر الى نفسك وما فيها من عجائب الصنع وبدائع الخلقة ، وما اشتملت عليه من الأسرار الظاهرة والباطنة ، وقد قالوا قديما : « نظرك فيك يكفيك » .

ونقل كلمة إجمالية جدا عن بعض ما في الإنسان :

إن في الجسم الإنساني أكثر من مائتي عظم ، ولكل منها شكل مخصوص يناسب ما نيظ به وما خلق لأجله ، ولولا ذلك لتمطلت حركاتنا التي نأتيها كل وقت وساعة . ثم انظر كيف خلق لك الكبد والمعدة والرئتين والكليتين الخ الخ ، وكيف ناط كل واحد منها بعمل مخصوص ، ثم أوجد لك اللحم وأثبت فيه الأسنن المختلفة ليقع بها الهضم الأول ، ثم جعل لك غطاء يغطي مجرى النفس عند البلع ، وجعل لك مجرى مخصوصا للطعام والشراب ، وآخر للنفس ، وجعل للمعدة بابين للدخول والخروج ، وأمعاء دقيقة وأمعاء غليظة ، ثم جعل سبيلين بعد ذلك لإخراج الفضلات التي لو بقيت

في الإنسان لآهليته . ثم انظر بعد ذلك الى ما فيك من المفاصل وتركيبها العجيب ، ولولا ذلك لاختلت أحوالك ووقفت أعمالك ، وكنت إذا أردت أن تنم وقعت على الأرض دفعة واحدة كالشجرة حين تقع ، أو الحائط عند ما تسقط .

ثم انظر الى العين وتركيبها الذي يدهش الأنظار ويحير الأفكار . فانظر الى ما اختير لها من وضعها في الحجاج ، وجعلها أمام البدن لتكون حارساً للأعضاء الشريفة التي غطاؤها ضعيف كالبطن والوجه ، الى أسرار أخرى .

وأيضاً الأعضاء الخارجية كاليد والرجلين من الأمام ، فتكون العين مشاهدة لأعمالها وماذا يكون الحال لو وضعها في رأسك أو في رجلك .

ثم انظر كيف كان الجفن يمنع الأذى عن العين والغبار والدخان والضوء عند الإقفال ، والآن هدايتهم الغبار ، وتدخل الضوء عند الحاجة اليه كما في أوقات هبوب الرياح . وقد قال بعض الفلاسفة : « يكفي هذب العين في الدلالة على الله » .

ثم انظر كيف ركب العين من ست طبقات بديعة الصنع غريبة الترتيب ، وهي : القرنية والعنبرية والعنكبوتية والشبكية والمشيحية والصلبة . ولهذا شرح طويل لا يسهل هذا المقال . ثم انظر كيف جعل داخل الأنف مصفاة تقيك ما عسى أن يكون من غبار بعكر عليك صفوك ويكدر منك أنفاسك . ولا يمكننا أن نسير بك في بحر تلك العجائب التي لا يدري الناظر فيها أيها العجب .

ولو شرحت لك عجائب الأذن لكان عجبك أكثر ودهشك أشد . ولو ذكرنا لك ما للكرت البيضاء والخمراء من الوظائف ، وما يذكرونه الآن عن الغدد التي اكتشفوها حديثاً وما لها من الوظائف التي هي أعجب من كل عجب ، لطال القول واتسع المجال .

ولو ذكرنا ما وراء ذلك من أسرار الباطنة كالشعور والإدراك والتذكر والتخيل الى غير ذلك ، لوقعنا من الروحانيات في بحر لا يعرف له ساحل ولا يدرك له قرار « وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها » .



وإجمال القول أننا غارقون في الآيات، ولكننا لا نلتفت إليها لكثرتها وتكررها حتى أصبحت مألوقة معتادة، وكل ما تكررت مشاهدته سقط وقعه. وهما هي ذى النجوم تطلع كل ليلة، والشمس تشرق كل نهار، ولا نكاد نلتفت إليها أو تفكر فيها، لكوننا نراها كل يوم وكل ليلة. وقد كنا ننظر إلى الطيارات أول ما ظهرت، فلما تكررت رؤيتها سقط وقعها فلم تنفعل النفس بها فلا نكاد نلتفت إليها لأن. ولو قال لك قائل: إنه رأى نقطة ماء قدرة لا يعبأ بها، ثم رأى رجلا سميعا بصيرا مناضلا مجادلا فيلسوفا قد خرج من تلك النقطة الخفية، لعدده مصابا في عقله أو هازئا بك غير محترم لعقلك. ولكنك تشاهد ذلك الذى عدده خرافة أو جنونا كل يوم، فما ذلك الشجاع الباسل، ولا ذلك العالم المتفنن، ولا تلك الغواني الفاتنات، إلا من نقطة ماء قدرة تعافها النفس وينفر منها الطبع، نفستها القدرة الإلهية في تلك الأتوار العجيبة حتى جعلتها من نوع البشر ذى السمع والبصر، فسبحان القادر الذى لا تحد قدرته ولا تنتهى عظيمته «إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم».

وقبل إلقاء القلم تتحلف بما ورد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: روى أن واحدا قال له: إني أعجب من أمر الشطرنج، فإن رقعته ذراع في ذراع، ولولعب الانسان ألف مرة لم يتفق مرتان على وجه واحد. فقال عمر رضى الله عنه: هنا ما هو أعجب من ذلك، وهو أن مقدار الوجه شهر في شهر، ثم إن مواضع الأعضاء التى فيه كالخاجين والعينين والأنف والفم لا تتغير البتة. ثم إنك لا ترى شخصين في لشرق والغرب يشتهيان في الصورة اشتباها بوجب أن لا يمايزا، بل سمعت من بعض المبرزين في الطب أننا لو قارنا بين أنفين (فضلا عن الوجهين) لم نجدهما يتماثلان من كل وجه. فسبحان اللطيف الخبير. وقد قالوا إن ابنان كل إنسان هيئة خاصة لا تماثلها هيئة بنان إنسان آخر من كل وجه. ولهذا تراهم يلزمون الأذى الذى لا يقرأ ولا يكتب أن يوقع بإيهامه في الأمور الرسمية علما منهم أن إيهامه لا يماثل إيهام شخص آخر ولا يمكنه فيه

ادعاء التزوير. ولعل القرآن خص البنان بالذكر في قوله تعالى: «بلى قادرين على أن نسوى بنانه» لهذه الحكمة، ولعل فيه حكماً أخرى، وقد تعرض المفسرون لشيء منها. ولا بأس أن نذكر لك هنا ما يروى عن أبي حنيفة مما يناسب هذا المقام: يقال إنه جاء جماعة من الدهرية لأبي حنيفة رضى الله عنه وطلبوا منه دليلاً على وجود الله عز وجل، فقال: ما تقولون في خشب قطع من الأشجار بلا نجار، واجتمع من تلقاء نفسه ثم كون سفينة تجرى في البحر، وهي مشحونة بالأحمال مملوءة من الأثقال، فقد احتوشها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة، وهي مع ذلك كله تجرى مستوية ليس لها ملاح يجرها ولا متعهد يرعاها؟

فهل يجوز ذلك في العقل؟ قالوا: لا، هذا شيء لا يقبله العقل. فقال أبو حنيفة: يا سبحان الله! إذا لم يحز في العقل سفينة تجرى في البحر مستوية من غير متعهد يرعاها ولا ربان يدير أمرها، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها ومشتات أعمالها وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع يكاوئها وحكيم يديرها؟ فاعترفوا جميعاً وقالوا: صدقت.

وقد أشير إلى هذا الدليل الذي يذكر عن أبي حنيفة في القرآن الشريف حيث يقول: «ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره»

ولنختم مقالنا هذا بقوله تعالى: «يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب. ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز»

ولتقف اليوم عند هذا الحد، ولعلنا نعود إليه في فرصة أخرى، إن شاء الله

يوسف الدموي

من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

# السياسة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :  
« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع  
في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته ،  
والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن  
رعيته ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » رواه البخارى ومسلم .

هذا الحديث من جوامع الكلم ، فقد أرشد كل فرد من الأمة الى أن عليه من الواجبات  
المستول عنها ما لو قام به لكل نظام الأمة بأسرها ؛ وتضمن أن كل واحد من الناس  
يجب أن يعيش بما يعمل وبما يؤدى للأمة من خدم ومنافع ، ولا يعيش لنفسه فقط ،  
فما استحق أن يعيش من عاش لنفسه وحدها . وهذا حكم لو راعاه كل واحد فيما عهد به  
اليه لكانت الأمة مؤلفة من جزئيات حية حياة نافعة ، فتكون حياة الأمة أعظم حياة .  
ولو أنا دققنا النظر لو وجدنا كل ما يقسوم به الوعاظ والمرشدون والمربون يدور حول  
تفصيل هذه الواجبات ، وحث كل فرد أو كل طائفة على القيام بها وأدائها حق أدائها .  
« فالإمام راع ومسئول عن رعيته » وهو الرأس العليا ، والقذوة العظمى ، ومنه  
يستمد كل ذى سلطة في الأمة سلطته ، فحكمه يتناول كل من ولى قسطا من السلطة  
العامة وعهد اليه بمصلحة من مصالح الأمة : من حاكم إدارى ، وقاض ومنظم ، ومرشد

ومرب . فكل من نصب على مصلحة من مصالح المجموع فهو راع فيها ومستول عن أدائه حقها .

«والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته» فـ أول الحقوق التي يسأل عنها في شأن أهله وأسرته حق السعي على معاشها واكتساب قوتها ونفقاتها ، وهذا يستدعي منه حسن التأمل والتفكير لا اختيار نفع الطرق التي يليق به سلوكها ، ثم الاجتهاد في إحكام الوسائل التي تعود عليه بالنجاح فيما سلك ، ثم دوام اليقظة والرقابة لما عسى أن يعترضه في طريقه من عقبات فيجيد عنها ، أو قرص فيسارع الى اتهازها واعتنامها ، مع دوم الكد في مصاحته والجد في أداء ما يجب عليه . بيد أنه يجب أن يحترس من التهاك المفسد لأمر دينه أو مروءته ، ومن التطوح في الشره حتى يتجاوز حدود الله ، ومن التفريط في الواجبات الأخرى النوَطة به نحو نفسه في عبادة ربه ، أو نحو أهله في رقابة أخلاقهم ، أو نحو صحابته في القيام بحقوق معاشرتهم ، فليكن الاعتدال رائده والحكمة قائده .

ولا يقلل عن هذا الواجب عليه نحو أهله ، بل قد يزيد عليه واجب حياتهم في دينهم ، والمحافظة عليهم من الوقوع في هاوية الجحيم ، قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَرَا وَقُودَهَا النَّاسُ وَالْحَيَاةُ » فوقاية الأُفْس والأهل من النار من أكبر واجبات الرعاية المسئول عنها المرء نحو أهله ونحو نفسه ، وهذا يتضعن تربيتهم على المبادئ الدينية ، وتعويدهم العادات الشرعية ، ومراقبة حالاتهم وضبط حركاتهم وسكناتهم بعين يقظة وفكرة نيرة ، ولا سيما في عهد الشيبة المشتعلة ، حيث النفس نائرة ، والقوى الحيوية متوثبة ، وسلطان العقل مغلوب بثورات الهوى ، فلا يحظرون بباله أن يتعلل بما يتوهمه من ظاهر قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلٍّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ » فقد قيد عدم ضرر المرء بضلال غيره باهتدائه هو ، ولا يكون مهتديا إلا إذا قام بما وجب عليه وأدى الحقوق التي هو مسئول عنها ، ومنها حق رعايته لأهله

ويلتحق بهذين الواجبين واجب دنيوى ، وهو إرشادهم الى مسالك الحياة

الصحيحة، وتوجيههم نحو ما ينفعهم في أمر دنياهم وكسب معاشهم بعد أن يكون قد هياهم لذلك، كل على حسب ما يناسبه، فذلك من حقوق الرعاية المستول عنها، وكذلك تأديهم بالآداب الاجتماعية، ونأهيلهم لأن يعيشوا محبوبين موفوري الكرامة، متحلين بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق. أما تعهد الأطفل في صغرهم بحفظ صحة أبدانهم وتسمية قوى تمييزهم، فأظهر من أن يحتاج الى شرح.

وعلى الجلة فالرجل في أهله كسلطان في مملكته، من واجبه أن يرعاها ويدفع عنها الأذى، ويسعى في تربيتها وترقيتها في كل مناحي الحياة. ولو أن كل امرئ راعى في أهله هذه الحقوق لصلحت الأمة واستقامت شئونها.

ونرى من المفيد استعراء النظر الى أن قوله تعالى: «أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» محكم في مثل هذه الحالة، كما هو شامل لغيرها، فليراع الحكمة في تربية أهله وأولاده، ومن أعظم ضروب الحكمة أن يكون هو المثل الأعلى لهم والقُدوة الصالحة. فليحترس من أن يلحظوا عليه اعوجاجا في عمل، أو كذبا في قول، أو تراخيا وخولا في أداء واجب، فإنهم الى الافتداء بعمله أسرع منهم الى الاهتداء بقوله. وليجعل أنسه وقت فراغه بمحادثتهم وجلب السرور الى نفوسهم، واضعا نصب عينيه قوله تعالى: «والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين» فإنه متى تعود ذلك يوشك أن يحتقر يجانبه ما يستلذه من مخالطة أصحاب السوء الذين تضمه اليهم لقهوات والبارات وأندية الملاحى وأماكن الخازى. سيجد في شرح أطفاله حوله ومداعبته لهم في صغرهم أو جميل محاوراتهم وطريف متازعاتهم ما يكون الى نفسه أشهى من تلك السخافات والحقاقت.

وإني لعلى يقين بأن ذلك سيعود عليه هو بالتربية الحسنة في خاصة نفسه، فالمرء إذا اجترأ على مقارفة الفعال الخسيسة أمام أترابه الذين يشاطرونه لعبه ولغوهم، يغلبه الاحتشام أمام أهله وولده، فلا يلبث أن يصير ذلك بالمران وطول لزمن عادة له راسخة في نفسه، فيكون قد أدب نفسه ودب أهله، ولا يلبث إلا قليلا حتى يجنى ثمرة ذلك بما حفظ

لنفسه من ثروة كانت مهددة بالضياع، وما أقام لأهله من ثروة خلقية وأدبية وعلمية تفهمهم وتنفعهم معهم، وينطلق لسانه بشكر الله قائلا: « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » .

« والمرأة رعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيها » إذا كان الرجل في أهله بمنزلة السلطان في مملكته، فالمرأة في بيت زوجها إلا بمنزلة وزرة الداخلية في المملكة العمومية : عليها يدور نظام البيت ، وهي المعوان للرجل على أداء حقوق الرعاية، فمليها أن تكون مدبرة في مصرفها، مستوفية لوازمها من أقرب الطرق وأيسرها، فلا تتغال في جلب كل ما تافت إليه نفسها .

فالنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد الى قليل تنقع  
والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن نفضمه ينطعم

وإن المرأة الحاذقة تستطيع بثاقب فكرها أن ترفه عن زوجها، وتعدل مطاعم أولادها، ونكيب جماع رغباتها، وتوازن بين مقدور زوجها وبين لوازمه، حتى لا تضاعف عليه الكد، ولا وقعه في العنت والإرهاق . ولتحسب دائما حساب أن اليسر والعسر لا دوام لهما، فتقتصد في حال اليسر ما تجمله عدة لمفاجأة العسر، وتستجمع في حال العسر جميل الصبر وعظيم الشكر، بالتنويه بما هي فيه من نعمة لو تذهبت لها وقدرتها قدرها لكان فيها نعم العزاء . ولعلها تجد نعمة إلا وفي جوارها ألف نعمة « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » . إنها إذا سلكت هذا المسلك جعلت بيتها فردوس النعيم، كما أن الإخلال بذلك يقلبه الى نار الجحيم، وفي كلتا الحالتين هي التي نجى ما غرست، إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

يضاف الى واجبها هذا واجب هو أكبر خطرا وأعظم أثرا ، ذلك هو واجب التربية لأطفالها ، وتعهدهم بالنصائح المفيدة، ومعاونة رب البيت بالرقابة الصادقة، والإخلاص له بإطلاعه على ما قل وجل مما تحب ومما تكره، ليعتادوا على تنمية ما تحب من أخلاق أطفالها، وتنحية ما تكره منها، ولا تدفعها الشفقة الحفء على مداراة عيوبهم

عنه حتى تستفحل ويصبح اقتلاعها من نفوسهم أمرا عسيرا، ويصبح أثرها في قلوبهم وعقولهم وأخلاقهم شرا مستطيرا. والفعل السيء يمكن تطهير النفس منه إذا تدورك قبل استفحاله، فإذا أهمل في بدايته تعسر أو تعذر التخلص منه. ثم عليها في كل ذلك أن تكون بشوشة الوجه، طليقة الحيا، محبة الى الجميع. وأول قلب يجب أن تمتلكه هو قلب زوجها، فتي نجحت في ذلك فقد استمسكت بعروة وثقى، واستطاعت أن تستكمل معه التعاون على ضمائم الأسرة وجمع قلوبها، فيشبووا على محبة بعضهم البعض، وينشئوا متساندين متعاونين متحدى الإحساس والشهور، فيمتلئ بهم البيت سعادة، وترقرق عليهم السررات. أقلست بذلك مركزها كبير وشأنها خطير؟ بلى، إنها كذلك.

« والخادم راع في مال سيده ومستول عن رعيته » حتى الخادم الذى يظن أنه لا يؤبه له يعتبر في نظر الشارع الحكيم راعيا فيما وكل إليه وعهد له به من تصرف في مال سيده. فعليه أن يقوم بحق الرعاية في ذلك، وأن ينتخب فيما يكلف مشتراه أو مبيعه ما هو الأحظ لسيده، وأن يجنب الطرق المائلة التى يسكها من لا خلاق لهم، أو يغمض عما يحق له أخذه لسيده طمعا فى أن يستفيد لنفسه سعنا قليلا من المال يشاظره فيه التاجر، أو يشعر منه بالرغبة، فيستبد به ويضطر هذا أن يخضع لإرادته. ولكن مثل هذا لا بد أن ينكشف أمره يوما ما فيخلع من عمله، وبعد لآى ما يتصل عيشه فينكشف غشه فيخلع من نعمته، ويتكرر هذا حتى تتحاماها الأعمال الشريفة، إذ يكون قد كملت ضاروته على الخيانة، فيلتجئ الى اللصوصية المحضة حتى تضبطه يد العدالة ويساق مع المجرمين، ومعظم النار من مستصغر الشرر.

أما الأمين من الخدم فإنه مغفور الزلات، مستور الهفوات، معفو السيئات. فهما صدر منه من غلطة كانت أمانته له نعم الشنيع. ولا نرى بأسا فى أن نستطرد بهذا رأى ابن خلدون فى شأن خدم المنازل: فقد قسم الناس الى ذكى وبليد، وكل منهما إما أمين وإما خائن، ثم قال: أما البليد الخائن فلا خير فيه ولا فى مقاربتة؛ وأما الأمين الذكى فن

ظفر به أحقه بأسرته ، وقاما يرضى مهنة الخدمة المنزلية لنفسه ، فسيرى من ذكائه ما يفتق له مغلق المضايق في الحياة ، وسيكون له من أماته ما يكسبه ثقة الناس فتتسع أمامه السبل . فبقى للخدمة في الغالب أحد القسمين الباقيين : إما الذكي الخائن ، أو الأمين البليد . ولعل كلمة الخائن أقوى عوامل النفرة ، وربما كان الذكاء معيناً على شدة خطرهما .

وما سقناه عن ابن خلدون يعبر عن الغالب ، وإلا فربما اضطرت الحالات الشاذة بعض الأئمة العقلاء أن يرضى بهذه المهنة قانعا من العيش بالكفاف ، راضيا من الدنيا بما يمسك الرمح ، ولله في خلقه شؤون

« والرجل راع في مال أبيه ومستول عن رعيته » :

هذا سبب مع ما يجري كثيرا في متعارف الناس ، إذ ينشأ الولد في حجر أبيه حتى يبلغ أشده وتكمل رجولته ويدخل في طور التكليف ، ولا تزال يده تجول بالتصرف في مال أبيه كما يتصرف المالك في ملكه . فالشارع الحكيم يقر هذه الحالة على ما هي عليه ، ويرشد من هو كذلك الى أنه في تصرفه راع مستول ، لا مطلق التصرف من جميع الوجوه ، فيجب أن يكون تصرفه تصرف القيم الأمين ، لا تصرف المالك المطلق . وما أحوج الشاب في نشأته الى مثل هذه النصيحة القيمة ! فطبيعة الشباب غالبا تهون أمر التبذير والبعثرة : ( أولا ) لأن تجارب الزمان لم تحكمه . و ( ثانيا ) لأن نفوس لشبان أسرع الى الزهو والاغترار بمكذوب الثناء من معسول اللسان ، فهو عرضة لأن يسلبه أصحاب الألسنة المدقة والنفوس المتعلقة . و ( ثالث ) لأنه لم يكد في تحصيل ذلك المال ولم يذق عناء جمعه حتى يعرف قيمته ، فتصرفه على نفسه هين جد الهوان . وهنا ندرك السر في قوله في شأن الرجل أولا : « راع في أهله » وفي شأن الرجل ثانيا والمراد منه الولد الذي لم يزل في بيت أبيه : « راع في مال أبيه » ، فالرجل في ماله حر التصرف مطلقه ، لم يقيد تصرفه فيه بأمر الرعاية ، لأن الغالب أنه يعرف قيمة ماله ومواقع الحاجة اليه فترك لفطرته ، بخلاف الولد في مال أبيه . ولا تحسبن هذا معناه



إباحة السرف الرجل وسوء التصرف في المال ، وإنما هو من باب الثقة بقول الرجل ، وأنهم مفروض فيهم أن طباعهم ترشدكم إلى ما فيه فلاحهم ، فمن شذ عن ذلك فبإق النصوص له بالمرصاد ، كقوله تعالى : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » وكقوله تعالى : « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين » وأشباه ذلك كثير .

أما هذا الحديث الشريف فإذا كان لبيان دستور عام لمجموع في الشئون الاجتماعية الشاملة ، كان الضبط فيه مجاريلما يغلب على طباع الناس ، ومع ذلك فرعاية الرجل في مال نفسه دخلة في حكم رعايته في أهله ، على ما سبق أن بيناه من أن أول رعايته لأهله سعيه في كسب قوتهم وتحصيل نفقاتهم ، فهذا متناول للرعاية المالية ضمنا بدون ريب . وعبارة البخاري في رواية هذه الفقرة الأخيرة : « وأحسب أن قد قال : والرجل راع في مال أبيه الخ » وهذا من كمال احتياط الرواة فيما يروون ، فما كان عندهم موضع الجرم ساقوه بصيغة الجزم ، وما كان عندهم موضع الظن والرجحان ساقوه بصيغة الحسب ، فما كان أدقهم وأشد احتياطهم فيما يروونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« وكلكم راع ومسئول عن رعيته » :

هذا إجمال بعد التفصيل ، ليقرر ما سبق فضل تقرير ، ويزيده تأكيذا وتثبيتا ، وليدخل ما عساه لم يدخل في التفصيلات السابقة ، كرعاية الجار شئون جاره ، والصديق مهام صديقه ، بل كرعاية المرء شئون نفسه الخاصة من ضبطه جوارحه وحواسه ، فهو راع في لسانه ، راع في جنانته ، راع في حواسه ، مسئول عن كل ذلك . وانظر إذا شئت لما ورد « من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه » ألسنت ترى فيه معنى المسؤولية واضحا ؟ نسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

إبراهيم الجبالي

## بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتْوَى

ورد من حضرة عبد العزيز السيد بهندسة السكة الحديد السؤال عن هذه المسائل :

أطعام في التعزية - اعتبار الدين من الزكاة - ربح أوراق البانصيب  
وفوائد الاموال المودعة في المصارف ، و ربح الاسهم في الشركات التجارية

### الجواب

١ - سنة التعزية :

لم يكن معهودا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عصر الخلفاء الراشدين  
والسلف الصالح من التابعين أن يجتمع الناس لتعزية أهل الميت ، إنما الذي كان في عصرهم  
أن ينصرف أهل الميت بعد الدفن في حوائجهم وأعمالهم ، فن صادفهم من الناس عزاءهم  
فدعا لميتهم ، وحملهم على الصبر ، ونهاهم عن الجزع .

أما جلوس أهل الميت في بيت أو سرادق لتلقى التعزية فهو مكروه . ومن  
نص على كراهته الامام الشافعي رحمه الله في كتابه الأم . وعبارته : «وأكره المآتم  
وهي الجماعة وإن لم يكن لهم بكاء ، فإن ذلك يجدد حزن وبكاف المثونة مع ما مضى  
فيه من الأثر» اهـ . فالجلوس للتعزية واجتماع الناس في دار أهل الميت أو سرادفهم  
مكروه ، سواء أ كان فيه سماع قرآن أم حديث أم قصص .

وإذا كان الجلوس للتعزية مع خلوه من المنكر مكروها ، فكيف به إذا اشتمل  
على منكرات ، مثل التغنى بالقرآن وتلحينه وتخطيط كلماته حتى تخرج عن الحد المألوف  
في تلاوة القرآن الكريم ، ومثل اللغو في مجلس القرآن وعدم الانصات لقارئه ، ومثل

الاتفاق على هذه المجتمعات من أموال القصر التي يستحقونها من تركه ميتهم كما هو الغالب الكثير في مجالس التعزية في عصرنا الحاضر ؟ لا شك أن مثل هذه الاجتماعات يكون محرماً أشد التحريم .

### ٢ - اعتبار الدين مع الزكاة :

الدين الذي يكون للمزكى على مفاس لا يجوز اعتباره من الزكاة الواجبة عليه في ماله ، فإذا كان له عشرة جنيهات على مفاس ووجب عليه في زكاة ماله عشرون جنيها لم يجز أن يخصم العشرة التي على المفاس من مقدار الواجب ، بل يتعين عليه أن يخرج العشرين جنيها كلها فيدفعها إلى الفقراء والمساكين ومستحق الزكاة . أما ماله الذي أخرجه على سبيل القرض ، فإن تيسر له أخذه من المدين فيها ، وإلا جزأه عند الله ، وسيضاعف الله له قرضه « إن ترضوا الله قرضوا حسناً يضاعفه لكم ويفقر لكم » . ولو كان كل قرض مضمون السداد ، لم يكن في القرض هذا الثواب العظيم . ولولا أن مال القرض عرضة للضياع ما مدح الله لمقرضين ولا ضاعف لهم للثوبة .

### ٣ - ربح أوراق البانصيب وغيرها :

الربح من أوراق « البانصيب » ليس من الربح الحلال ، وكذلك جميع الفوائد التي تؤخذ عن الأموال المودعة في المصارف والبنوك . أما الربح الناتج عن أسهم الشركات التجارية ، مثل شركة مصر لغزل القطن ونسجه ، فإنه ربح حلال مادامت هذه الشركات تستغل أموالها في وجوه التجارات الشرعية ، كالبيع والشراء والإجارة والجمالة والاستصناع الخ ، وهي مع ذلك خاضعة لقوانين التجارة ، فقد تبيع وقد تخسر ، وليس لحامل السهم فيها ربح معين . فهي إذا تجارة جائزة لا يمد الربح منها ربا ولا أكلا لأموال الناس بالباطل . والله الموفق .

يوسف المرصني ، الحسيني سلطان  
بكلية الشريعة

## الحلف بالحرام

ورود من حضرة الفاضل صاحب التوقيع سؤال خلاصته :

رجل يغار على زوجته من أزواج بناتها وبناته وكانت تظهر لهم بحال لا ترضيه ،  
حلف عليها قائلاً : على الحرام إنك ما تظهرى على أزواج بناتك وبناتى . فقالت له :  
وابنتى الصغيرة ؟ فأجابها : الى أن تبلغ حد الزواج تكونين قد بلغت سن الكبر .  
فهل هذا تحريم بات أم طلاق ، وهل هو من الكفريات التى تحتاج الى نية  
أم صريح ، وهل هو معلق بظهورها أم منجز ، وهل يشمل البنت الصغيرة التى  
لم تتزوج ، وهل يقع اليمين إذا ظهرت متأزرة على الوجه الشرعى بحيث لا يظهر منها  
سوى الوجه والكفين ؟

مصطفى ذهني

مفتش السكة الحديد في عمان شرق الاردن

## الجواب

لفظ الحرام في مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه من كنيات الطلاق ، فإذا قال  
الرجل لزوجته : أنت على حرام أو حرمتك أو على الحرام منك ونوى الطلاق ، وقع  
طلاقاً رجماً ، فلا زوج مراجعتها إن لم يسبق ذلك بطلاقتين ، وإن لم ينويه الطلاق  
ولا الظهار فلا تحرم عليه زوجته وعليه كفارة مثل كفارة اليمين . وقول السائل لزوجته :  
« على الحرام منك إنك ما تظهرى على أزواج بناتك وبناتى » طلاق معلق بظهورها  
لأزواج البنات حيث نوى به الطلاق ، فإذا فعلت الزوجة للحلف عليه عامدة مختارة  
بأن ظهرت أمام الأزواج ، وقع الطلاق طلقة واحدة ، فله مراجعتها إذا لم يتقدم منه  
طلقتان . ولا يشمل الحلف الابنة الصغيرة ، لأن الحلف إنما هو على الأزواج  
الموجودين في الحال . وظهورها أمام لأزواج متأزرة لا يعد ظهوراً ، عملاً بالعرف ،  
وأخذاً من أسباب الحلف المذكورة في السؤال ، فلا يقع الطلاق بذلك . والله الموفق

يوسف المصطفى ، الحسيني سلطان

والهادى الى الصواب م

بكلية الشريعة الاسلامية

## صلاة الجمعة في العزب

وورد أيضا من حضرة صاحب التوقيع ما يخصه .

ثلاث عزب متجاورة يفصل بينها أرض زراعية ، وفي العزبة الوسطى منها مسجد ، وأقصى بعد بين العزبة الوسطى وغيرها من العزبتين الآخرين يبلغ نحواً من أربعين قصبة أى ١٤٠ متراً تقريباً ، فهل تجب صلاة الجمعة على أهل هذه العزب الثلاث ؟  
ابراهيم احمد ابراهيم أبو المكارم  
بالسكري - رشيد

## الجواب

١ - مذهب الشافعى رحمه الله :

( أ ) إنه إذا كان في القرية من أهلها المستوطنين بها أربعون مكلفاً حراً ذكراً لزمهم الجمعة ووجب عليهم إقامتها في قريتهم ، سواء أصلوها في مسجد أم في غير مسجد ، لأن الأدلة على وجوب الجمعة عامة في أهل القرى والأمصار .

( ب ) وإذا لم يكن في القرية أربعون موصوفون بالصفات السابقة ، فإن كان يحورهم بلد تقام فيه الجمعة وكانوا بحيث يسمعون النداء من طرف بلد الجمعة الذي يليهم ، وجبت عليهم الجمعة أيضاً ، لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود : « الجمعة على من سمع النداء »

( ج ) وإذا لم يكن في القرية هذا العدد وليس يحوارها بلد قريب تقام فيه الجمعة لم تجب عليهم الجمعة .

٢ - التطبيع :

بما أنه يتخلل هذه العزب الثلاث أرض زراعية فهي تعتبر قرى منفصلة .

فاذا كان في إحدى هذه العزب أربعون موصوفون بالصفات السابقة لزمهم الجمعة ووجب عليهم إقامتها في عزبتهم، سواء أكان بها مسجد أم لا، ووجب على أهل العزبة الأخرى الذين لم يبلغوا الأربعين أن يسعوا للصلاة الجمعة في هذه العزبة التي أقيمت فيها الجمعة، لأن البعد بينهما لا يحول دون سماع صوت المؤذن في وقت همدو الأصوات والرياح.

وإن لم يكن في هذه العزب الثلاث عزبة اجتمع فيها أربعون موصوفون بالصفات السابقة ولم يسمعوا النداء من بلد آخر، لم تجب الجمعة عليهم جميعا، والله الموفق في  
يوسف المرصني، الحسيني سلطان  
بكلية الشريعة

## مسجد القرية المنفصل

وردد من حضرة صاحب التوقيع ما ملخصه أسؤل الآتي :

يوجد بقريتنا مسجد واقع في أرض زراعية والبلد مفصولة من جميع الجهات ، فهل تصح صلاة الجمعة فيه مع وجود مسجد آخر مستعمل بالبلد خلاف هذا المسجد ؟ نرجو فتوانا على مذهب الإمام الشافعي ، ونرفق مع هذا رسما ( كروكيا ) المسجد المذكور.

سليمان اليبوي  
كفر طنبول القديم

## الجواب

بعد الاطلاع على الرسم المرافق نجيب بأن هذا المسجد يعتبر من أبنية القرية وإن كان في طرفها، لأنه لا يفصله عن البلد شيء، مما اعتبره الشافعية فاصلا كالسور والمزارع والترع والمصارف. فالمسجد والحالة هذه متصل بأبنية القرية، وتصح إقامة الجمعة فيه في

يوسف المرصني، الحسيني سلطان  
بكلية الشريعة

## أصول علم الاجتماع

لقد أحدث الإسلام في العالم انقلاباً لم تشهده الإنسانية في دور من أدوارها التاريخية وكان من آثاره تكوّن أمم وتلاشي أمم ، وامتزاج شعوب بشعوب ، وفناء لغات في لغات ، ونشوء نهضة عالمية عم نورها الناس جميعاً إما مباشرة وإما بواسطة . وهذه الحركات تناولت لقلوب والعقول والأخلاق ، والتقاليد وروابط الاجتماع ، والعلوم والفلسفات والفنون والسياسة ، فأحدثت فيها تطورات بعيدة المدى ، تألفت منها نفسية وعقلية ساميتان . فهذا الدين الذي مجّله كل هذه المجالات مجتمعة ، يظهر جلاله وجماله للعالمين بأصول الانقلابات البشرية ، والتطورات الأدبية والاجتماعية ، وطبائع النهضات العسية ومناشئ القواعد المدنية . وفي الكتاب الكريم آيات صريحة تدل على ما نقول ، كقوله تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » وقوله : « يفصل الآيات لقوم يعلمون » وقوله : « إن في ذلك لآيات للعالمين » بكسر اللام . وقوله : « ولنبيننه لقوم يعلمون » ولو أردنا أن نستقصى ما ورد بهذا المعنى في القرآن الكريم لملاًنا منها صحفاً ، فلنكتف بما قدمنا فيه دلالة على ما نقول .

لهذا كله لم نر بدا من التوسع في هذه المعارف ، وأول ما نبدأ به علم الاجتماع البشري ، مدخري الكلام على بقية العلوم لفرصة أخرى ، إن شاء الله . يقول علماء الاجتماع : إن الهيئة الاجتماعية كالجسم الحي تولد وتشب وتهرم ثم تموت . قل لأستاذ ( هربوت سبنسر ) في كتابه أصول علم الاجتماع :

« الهيئات الاجتماعية كالأجساد الحية ، تبدأ حياتها على صورة جرائم ، فتولد صغيرة جداً إذا فورنت بم تنتهي حالتها اليه في مستقبلها . فترى أنه قد نشأت المجتمعات الكبرى من عصابت صغيرة . هذا استنتاج لا يمكن الشك فيه . فإن في المصنوعات التي يعثر عليها الإنسان تحت الأرض من صنائع الإنسان الأقدم الذي كان عائشاً قبل

التاريخ ، وهى أشياء أكثر غلظا من مصنوعات الإنسان المتوحش المعاصر لنا ، تدل على أن الصنائع التى لا يوجد بدونها مجتمع كبير ، لم تكن وجدت فى ذلك العهد . والاحتفالات الدينية التى شوهدت آثارها عند الأصول القديمة من أنواع الإنسانى تذكرنا بالأزمان التى كانت فيها أسلاف هذه الأقوام يصنعون المدى من حجر السلكس ، ويستطيعون إيجاد النار بحك الخشب بعضه ببعض ، وهى الأزمان التى كان فيها أولئك الناس عائشين على حالة جماعات صغيرة ، وهى كل ما كان يمكن حدوثه قبل نشوء فن الزراعة . وهذا يدل على أنه قد تكونت بمد ذلك جماعات أكبر بليون مرة من الجماعات التى وجدت فى الأزمنة البعيدة جدا . وهذا نمو تدريجى يشبه فى سيرد نمو الأجسام الحية » انتهى .

ليس هذا وحده كان المانع من تكون الجماعات الكبيرة ، ولكن كانت هناك أسباب قاهرة ، وصعوبات لا يمكن تذليلها تنبع من ذلك ، كعدم كفاية الأرض التى تقوم عليها الجماعة لتغذية أفراد كثيرين . مثال ذلك أنك تجد فى بلاد لقويحيين طوائف لا تستطيع أن تنمو ولا أن تؤلف قبيلة كبيرة ، لشح الأرض عليها . وكذلك الحال لدى قبائل الأندمانيين ، فإن وجودهم بين الجبال والغابات لا يسمح لهم بأن يؤلفوا شعبا كثير العدد ، أو قبيلة يصح أن تسمى قبيلة .

والذى يدفع الأفراد لتأليف جماعة هى الحاجات التى يشعرون باستحالة توفيقها إلا مجتمعين . فإذا اجتمعوا تألفت منهم روح عامة أحوالهم فى اجتماعهم الى ما يشبه الجسد الواحد ، فتدبج جميع الأفراد بعضهم فى بعض اندماجا تاما ، وتوزعت الوظائف الاجتماعية على هؤلاء الأفراد نوذعا يؤدى اليه الشعور بالحياة المشتركة .

تقوم كل جماعة على هذه الحالة ، فينشأ منها الشعور بنفسه الذى ينشأ عند الفرد حينما ينال قسطا من القوة الذاتية زيادة عما كان لديه منها من قبل . وهذا الشعور يولد عنده حاجات جديدة فيتدفع لتحقيقها ، فيضطر أن ينسلك فى نظام يمكنه من نيل تلك



الحاجات على الوجه الذى ينبغي، فيعين له حكومة، وبهها من تأييده بما يمكنها من قيادته على الأسلوب الكافل لنجاحه، ولا يضمن أن تكون مع الحكومة هيئات أخرى تتفق وحاجاته المتنوعة.

إذا قام مجتمع على هذا السمت ولم تصادفه عقبات خارجية عنه، كأن تغير عليه قبيلة فتفسد كيانه، أو يطغى على بيئته نهر فيذهب بثمراته المدخرة، ويهدم مساكنه القائمة، قلنا إذا قام مجتمع ولم تصادفه هذه العقبات، نهض يتصيد الثمأ والتوسع من مظانها، يبذل الوسع فى الأعمال المنتجة، وبالعارة على جيرانه، فيكون نجاحه فى بداية محاولاته سببا فى ازدياد نهمة بالتوسع، فلا يزال يعمل ويكدح، ويصوب ويحول حتى يكبر بزيادة محصوله من العمل، ويم يدخله فى حوزته من الجماعات الضعيفة.

فإذا اتسع هذا المجتمع لقبول النمو المترادف فقد يقف فى الطريق، لا لأن للنماء الاجتماعى حدا لا تستطيع أن تجتازه الجماعات، ولكن لأن عوامل جديدة من عوامل الفساد تكون قد نشأت فى جثائه، إما من نقص نظامه الذى قام عليه وأوصله إلى هذه الدرجة المحدودة من الارتقاء، وإما من خصال جديدة يكون قد عدى بها من احتكاكه بالجماعات المختلفة، وقصر فى تطهير نفسيته منها، فيمضى بالوقوف حيث هو، ثم يدركه الهرم ثم يموت كما يموت الأفراد، فينحل التثامه، وتلتحق أحاده بجماعات أخرى، وقد يحدث أن يترك وراءه شعبا صغيرا يتسمى باسمه ويقوم فى بيئته، ولكنه لا يكون على شئ من صفات أسلافه.

من أحسن الأمثلة على ما قدمناه الأمة الرومانية، فقد كانت فى مبدئها عصابة من المهاجرين، وألقت عصا التسيار فى المكان الذى فيه عاصمة إيطاليا اليوم، وكانت تحت قيادة أخوين: روموس ورومليوس، مات أحدهما وبقي الآخر، فأسس قرية صغيرة دعاها رومية سنة ٧٥٤ قبل الميلاد، وأخذ يغير على مجاوريه من السابانيين واللاتين والأتروسك حتى اندمجوا فى جثمان قومه، وخلفه غيره فجروا على سنته جيلا بعد جيل،

فلم تمض ثمانية قرون حتى كانت دولة رومية مالكة لجميع أوروبا وبعض الممالك الشرقية ، ولم تبق دولة في الأرض تنازعها السلطان ، فكانت هذه الحالة داعية لهم الى إضاعة ما كانوا عليه من صفات البطولة والتضحية والاختيشان ، فانغمسوا في اللهو واللعب والتصف ، وأسرفوا في شرب الخمر والفسوق ، فاعتراهم الوقوف ، ثم أعقبهم الضعف والفتور ، فزالت مهاتهم التي كانت لهم في قلوب الشعوب المقهورة ، فأخذت تلقى نيرهم عن عواتقها الواحدة تلو الأخرى ، وشرعت الجماعات الضاربة بقرب عاصمتهم في لاإغارة عليهم ، وما زالت بهم حتى قوضوا دولتهم بعد أن مكثت ألف سنة ، رغما عما كانوا يعتقدون من أنها الدولة الخالدة .

هذا مثل واحد من أمثال لا تحصى ، كلها يدل على صدق ما قرره علم الاجتماع من أن الأمم كالأجسام الحية ، تبدأ على صورة جرثومة ، ثم تنمو حتى تشتد وتترعرع ، ثم تشب فتبلغ أقصى ما قدر لها من قوة ، ثم تقف حيث هي محافظة على ما حصلته من أسباب البقاء ، ثم يستريح الهرم فتشيخ وتتضعف ، ثم تمحل وتتلشى في أجساد أم أخرى ، أو يبقى مكانها أمة صغيرة تحمل اسمها وليس لها من صفاتها الميزة ومقوماتها شيء .

إذا تقرر هذا ساغ لنا أن نبدأ في سرد العوامل الاجتماعية التي تعمل في إيجاد جرائم الأمم ، وفي إنعاشها وترقيتها حتى تقوى وتشتد ، وفي إيصالها الى دور الشبيبة حيث تتوافر فيها جميع مميزات ومقوماتها ، وفي وقفها عن التواء والترق ، وفي إبلاغها من الهرم ودور الانحلال والتلاشي . وهذا الدرس مجال بعيد المدى لدراسة النواميس الاجتماعية التي ثبت أنها لا تتغير ولا تتحول ، كما قال الله عنها : « سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » فنقول :

#### عوامل المورث الاجتماعية :

كل حادث يحدث في العالم سواء أكان أرضيا أم سماويا له عامل أو عوامل

تحدثه. وموضوعنا في هذا البحث درس عوامل الحوادث الاجتماعية خاصة، فلنبين هنا كيف تؤثر العوامل في المواد الجامدة، ثم نطبقها على أحوال الاجتماع فنقول :

كل حادث يطرأ على جسم غير حي ينتج من تفاعل القوى الذاتية لذات الجسم . والقوى التي تتسلط عليه من الخارج . فالمقطعة من المعدن تحفظ شكلها الصلب مادامت في نجوة من التأثيرات الخارجية ، فإذا سلط عليها مقدار من الحرارة استحال إلى سائل بواسطة تفاعل يحدث بين قواها الذاتية وقوى الطاردة عليها .

وقد ضرب الأستاذ الاجتماعي ( هربرت سبنسر ) مثلاً لهذا التفاعل فقال : إذا صببنا مركبة مشحونة حجارا ، وأخرى مملوءة رملاً ، ومثلثة مملوءة كريات منتظمة ، رأينا الأكوام الحاصلة من هذا التفريغ تختلف تبعاً لحالة هذه الأجسام المفرغة ، فترى الأحجار قد تراكت وتراكت على شكل سفح محدد ، والرمل قد انهال على نفسه على صورة مخروط ذي سفح منتظم ، والكريات قد نيمثرت إلى كل جهة ، وتفرقت شذراً شذراً متدحرجة هنا وهناك .

هذا التخالف بين هذه المواد ناتج من خواصها الذاتية من جهة ، ومن قوة جذب الأرض لها من جهة أخرى ، ومن قوة الاحتكاك بالحوائل من جهة ثالثة . وكل هذه المؤثرات قد أثرت على مجموع تلك المواد جملة ، وعلى كل فرد منها على حدة .

هذا التفاعل نفسه بين القوة الذاتية والقوى الخارجية ، يحدث إذا كان الاجتماع مركباً من أفراد أحياء مكوّنين لنوع من أنواع الحيوانات . فإن الحوادث التي تنتاب هذا النوع من زيادة أو نقص ، إقامة أو هجرة ، إبقاء على شكل المعيشة أو تغييرها ، تكون تابعة للتأثير المزدوج الواقع عليه من قواه الذاتية وعوامل الطبيعة المحيطة به من الخارج . هذه العوامل بنوعها يمكن تقسيمها إلى عوامل أخص منها لكل منها خصائص محدودة .

نكتفي اليوم بما قدمناه مدخريّن الكلام عن هذه العوامل إلى الأعداد المقبلة على التوالي .

محمد فريد ومبري

## حالة الاولاد لدى المتوحشين والمتهمدين

إن حالة الأولاد لدى أكثر المتوحشين أخط من حالة الأولاد لدى الحيوانات العجم . فبينما نرى الأبوين من الحيوانات يعنيان بتربية صغارها حتى تستطيع السعى فتتركها وشأنها ، ومنها من تتحمل الأم وحدها هذه التبعة ، بينما نرى ذلك نجد الأبوين في الجماعات المتوحشة لا يعطفان على أولادها ، فقد شوهد منهم من يثدون أبناءهم ويدفنونهم مع أمهم إذا ماتت ، وشوهد منهم من يقتل أحد التوأمين ويستبقى الآخر ، وبعضهم يقتلون كل ما يولد لهم إذا كان لديهم أبناء آخر . ولا مناص لنا هنا من سرد بعض عادات المتوحشين في هذا الصدد لتوفية المقام حقه ، فنقول :

روى العلامة ( سبنسر ) في كتابه في الاجتماع البشري ، أن الرحالة ( انجاس ) شاهد أن الأب الاسترالي إذا أعوزة الطعم لسنارته يقتل ابنه ويقطع من لحمه قطعة ليصطاد بواسطتها سمكا يأكله .

وشوهد أن الفويجيين وإن كان عندهم مبدأ العطف على أولادهم فنههم يبيعونهم كالأرقاء .

وذكر الرحالة ( فالكينو ) أن قبائل البتاجون من أمريكا يعطون الاسبانين أولادهم في مقابل قليل من الحبوب .

وروى الرحالة ( سمبسون ) أن قبائل ( البيثيديس ) تنازل عن أولادها للتجار في مقابل قطع صغيرة من الأقمشة .

ويؤثر عن قبائل ( لينش ) أن المرأة إذا أتت في أول ولادتها بأنثى قتلوا الطفلة ، ولا يزالون يقتلون كل طفلة تأتي بعدها حتى تلد ذكرا .

وفى جزر فيجي حيث الغريزة الحربية على أشد حالاتها تجد حالة الأطفال مريعة جد . وقد حسب الحاسبون عدد ضحاياهم الأطفال قبلغو نحو ثلثي المواليد . وروى عن هؤلاء القوم أنهم يقتلون أولادهم بدون أسباب صحيحة ، فقد يقتلونهم لهوا ولعبا ، أو لمنفعة وقتية ، أو لغضب أولغيره . وروى (أرسكين) الرحالة أن رحالا من قبائل فيجي أهدوا الى رئيس قوى فيهم أطفالا كثيرين لا بقصد أن يتخذهم أرقاء بل بقصد أن يأكلهم .

وتقل عن قبائل (الشيشيميكاس) من مكسيكا أن الابن لو تجارى على الزواج دون استشارة أبيه قتله أبوه .

وقال الرحالة ( كلا فيجيرو ) : إن أهل مكسيكا الأقدمين كانوا يربون أولادهم على الطاعة العمياء لهم ، بحيث إن أحدهم مهما كان متقدما فى السن ما كان يستطيع أن يشكلم أمام أبيه .

وقد علل علماء الاجتماع هذه المجازر البشرية بحالة الفاقة التى فيها هؤلاء المتوحشون ، فإنهم لا يكادون يحسدون ما يسدون به رمقهم ، فاذا رزقوا بأولاد عجوزوا عن توفيتهم بحاجتهم ، فلا يرون فى نظرم أسهل من التخلص منهم بالقتل .

ومما شوهد لدى المتوحشين أنهم يفضلون الذكور على الإناث ، والسبب فى ذلك الاستكثار من عدد المدافعين عن القبيلة ، وميل الآباء لوجود من يأخذ بثأرهم إذا تعدى أحد على حياتهم ، وحرصهم على من يؤدى لهم شعائر الجنائزاة عند موتهم ، ويقررون القرابين لأهلهم فى سبيل أرواحهم . فإن ذهاب دم القتل هدرًا يعتبر من المحظورات الدينية ، وعدم تقديم القرابين فى سبيل روحه يعد من أكبر المصائب عندهم . وهذا الأمر الأخير يظهر بأقوى مظاهره فى الصين ، فإنه لو مات الابن الوحيد لأحدهم ففقد بذلك من يهدى للآلهة الهدايا بعد موته ، عقدوا له المناسبات وبكوا حاله بكاء مرا .

والمعروف عند المتوحشين أن البنات لا يصلحن لهذا الأمر ، لذلك لا يعباون بهن ، ويعاملونهن على النحو الذي صر بك في هذه المقالة .

ومما شوهه أن القبيلة متى أخذت في الاشتغال ببعض الصنائع ، تحسنت حالة الأبناء فيها ، وكلما ازدادت حذقا في صناعتها ازدادت فيها حالة الأولاد تحسنا . لذلك لا ترى أثرا لهذه الوحشيات لدى قبائل البودوس والدهيالس الصناعية . وقد روى عنهم أن لديهم حنوقا وانعظافا على بناتهم ، حتى إنهم متى شرعوا في زواجهن أخذوا آراءهن في أرواجهن . ويرى الأبناء من العار أن يهملوا حقوق أبويهم فلا يدعونهم كثيرهم يقاسون آلام الفاقة والشيخوخة .

وقد نقل عن قبائل الدباكس الصناعية أن قتل الأولاد فيها نادر ، وأن الشاب منهم ينتخب امرأته ، والمرأة تنتخب زوجها بحرية .

ولا تصادف حادثة قتل الأبناء لدى قبائل الساموان الصناعية ، بل ترى للأولاد من الحرية ما يسمح للشباب منهم أن يتزوج بمن شاء ولو لم يرض أبوه بالمرأة التي يختارها .

وعند النيجريتيوس الصناعيين الذين يسكنون جهات ( تانا ) لا تجدد أثرا لقتل الأولاد ، بل هم يحبونهم ذكورا وإناثا على السواء .

وتجد للشبان والنساء لدى قبائل بوييلوس الصناعية حرية تامة لا توجد لدى غيرهم ، بل تجد عندهم للنساء امتيازات ليست للرجال .

ينتج من هذه المشاهدات كلها أن القبائل بمجرد ما تشغل بالصنائع يحل فيها مبدأ الاعتراف بحقوق الأولاد وبمساواة الذكور بالإناث .

\*\*\*

بقى علينا أن ندرس حالة الأولاد في الأمم الكبيرة التي أخذت من المدنية بنصيب وافر ، فتبدأ بالصينيين فنقول :

إن قتل البنات كان أمرا شائعا لدى الصينيين ، وكان من حق الأب أن يبيع

بنائه إذا شاء بلا حرج عليه . وقد بقيت هذه العادة الى ما بعد منتصف القرن التاسع عشر ، ثم صدرت أوامر مشددة من الحكومة بمنعها ، ومنع بيعهم أولادهم لذكوراً أيضاً . أما عند اليابانيين القدماء ، فقد كان بيع البنات جائزاً ليسكن خادماً أو مغنيات أو عاهرات . وقد بقيت فبهن هذه العادة الى القرن التاسع عشر ، وشاهدها بنفسه الرحالة الانجليزى ( متفودا ) وكتب عنها بإفاسة .

أما عند الإسرائيليين ، فقد كان للدائن أن يستولى على أولاد المدين وفاء لدينه . ورد ذلك فى سفر الملوك من التوراة . وجاء فى التوراة أيضاً ما يفيد إباحتهم بيع البنات ، وأمر صريح برجم الولد العاق .

أما عند الرومانيين ، فقد كان للأب حق قتل أولاده ، وحق إلقائهم فى الطريق ساعة ولادتهم ، ثم حرمت عليهم دياتهم أن يلقوا أطفالهم فى الطريق إلا إذا كانوا مشوهى الخلقة ، أو كان المولود بنتاً ، بشرط أن تكون أولى ما ولد للرجل من الإناث .

\*\*\*

وإذا انتقلنا من هذه الشعوب الى الأمم الأوروبية ، رأينا أنه فى عهد ملوك فرنسا من أسرة الميروفنجيين التى حكمت هذه المملكة الى سنة ٧٥٢ ، كان للأب وللأم الأرملة أن يبيعا أولادهما ، وبقيت هذه العادة جارية فى أوروبا الى ما بعد القرن التاسع .

وقد استمرت حالة الأولاد فى فرنسا بعيدة عن العطف الى عهد الثورة الكبرى سنة ( ١٧٨٩ ) . وقد صور الفيلسوف الفرنسى المشهور ( شاتوبريان ) حالة الأولاد فى عصره فقال : « كنت أما وأبى وأختى ننقلب فى حضرة والدنا الى تماثيل لا تتحرك ، وما كنا نرجع الى حالتنا العادية إلا بعد أن يزايل الغرفة » .

وقال الأستاذ المؤرخ ( تين ) الفرنسى : « إن هذه المادة من السيطرة الأبوية كانت شائعة فى كل البيوت قبل الثورة الفرنسية ، ولكن بعد هذه الثورة تغيرت الأحوال ، وأخذ الأولاد يعرفون أن تلك الخشونة لا يصح أن يقابل بها الآدميون ، وليست هى إلا بقية من بقايا التوحش ، حتى قال عنهم ( سيجور ) : إن الولد الذى يبلغ

الثامنة عشرة من أهل هذا الجيل يُرى أقل طاعة لرئيس أسرته مما كان عليه الرجل الذي بلغ الثلاثين أيام أسلافنا الصالحين .

أما عند الانجليز فكان الأمر على هذا النحو ، فقد تقل المؤرخ الانجليزي (رايت) أن تربية البنات والأولاد في القرن الخامس عشر في بلاده كانت إرهاقاً محضاً حتى في الأسر الكبيرة . فقد كانت سيطرة الآباء بالغة حد الإفراط .

أما في القرن السابع عشر ، فقد كان من واجبات الآباء ألا يوبهم أن يقفوا على أرجلهم ، أو يجثوا على ركبهم في صمت مطلق ، ولا يجسسون حتى يؤمروا بالجلوس . وقد شوهد أن هذه العادة نلظفت على نسبة تقلص الحكم المطلق و انتشار الصنائع . واليوم حيث بلغ الانجليز في الصنائع والحكم الدستوري الى أرقى ما وصلت اليه ألمانيا وفرنسا ، نجد الآباء فيها أكثر حرية منهم فيهما ، ففي ألمانيا ترى الشدة في معاملة الآباء مناسبة للشدة في شكل الحكومة ، ومراقبة الأهل لأولادهم فيها شيء من الإفراط . فالطفل الألماني إذا قيس بالطفل الانجليزي صح أن يقال عنه إنه أسير أبويه .

أما العرب ، فقد كان حظ الأولاد عندهم الى عهد محبي الاسلام أو كس حظ ، فقد كانوا محرومين من الحقوق وموكولين الى إرادة الآباء إن شاءوا سيقوم وإن شاءوا قتلهم تخلصاً من نفقاتهم في حالة الفقر . وكان كثير من ساداتهم وأهل الكبرياء منهم يقتلون بناتهم بدفنتهم أحياء مخافة العار . فلما جاء الاسلام حرم ذلك كله أشد التحريم ، فقال الله في الزجر عن قتل الأولاد : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطاً كبيراً » وقال تعالى في تهجين عاداتهم في كراهة البنات ودفنهم إياهن أحياء : « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشره ، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ، ألا ساء ما يحكمون » . ثم قرر الكتاب أن الأولاد زينة الحياة فقل تعالى : « المال والبنون زينة الحياة



الدنيا». وجعل الاسلام لهم حقاً على الوالدين من التهذيب والتربية والتعليم. سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله من أبر؟ قال: بر والديك. فقال الرجل: ليس لي والدان. فقال النبي: بر ولدك، كما أن لو والديك عليك حقاً، كذلك لولدك عليك حق». فهذا نص صريح على أن الولد حقاً على أبويه، والحق أمر واجب الأداء يسأل المقص فيه.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من حق لولد على الوالد أن يحسن أدبه، ويحسن اسمه» وقد كانت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مع أولاده مثلاً حسياً لقومه. روى الأقرع بن حابس أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن، فقال ابن حابس: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم، فقال له النبي: «إن من لا يرحم لا يرحم». وقال عليه الصلاة والسلام: «ريح الولد من ريح الجنة».

وروى عبد الله بن شداد فقال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد، فأطال النبي السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر، فما قضى صلاته قالوا: قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر، فقال: إن ابني قد ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته». فالنظر إلى هذا المثل الأعلى من العطف على الولد، فلا جرم أن أصحابه الذين كانوا يقلدونه في كل ما جل وقل أخذوا عنه هذا الأدب الأبوي، فتغيرت حالة الأبناء ذكورا وإناثا من إهمال مطلق إلى اعتداد لاحد له، فأخذوا في تعليمهم وتهذيبهم والعناية بصحتهم، ولم يسمع بحدوث حادثة قتل لواحد من الأبناء، أو وأد لواحدة من البنات في الاسلام.

فتأمل في هذا الانقلاب المحير للعقل الذي حدث في القرن السابع الميلادي أيام كانت حالة الأولاد في العالم كله على ما وصفت لك، واستمرار هذه الحالة إلى القرن التاسع عشر، فن أي مصدر استقى محمد صلى الله عليه وسلم هذا الإصلاح الاجتماعي العالي غير الوحي الإلهي؟

محمد فريد وجدي

## هبة بنات القبائل والأخوات

وهبة الهرم

وجه اليثا الميسو ييفون لينان هذا السؤال :

ورد في الناسولى الجزء الثانى من كتاب «البهجة شرح التحفة» : من الهبات الباطلة هبة بنات القبائل والأخوات لقرايتهن وهبة الهرم .  
فهل صحيح حسب رأى المالكية أن الهبات المذكورة باطلة ، وهل رأى الناسولى هذا هو الرأى الراجح والمعمول به أم لا ؟

### الجواب

ينقل بعض المالكية فى كتبهم أن هبة بنات القبائل والأخوات لقرايتهن باطلة ، وهبة الشيخ الهرم والمرأة الهرمة كذلك باطلة ، ولكن ليس ذلك لنقص فى بنت لقبائل والشيخ الهرم عن التصرف ، بل لعل أخرى وسند كرها :  
أما بطلان هبة بنات القبائل والأخوات لقرايتهن فلا كراه المعنوى وعقد المكروه غير لازم ، وذلك لأن بنات القبائل قد شاع عدم ميراثهن ، ولو امتنعن من الهبات لأوجب ذلك استهانتهم وقطعن والغضب عليهن وعدم تحملهن إذا غصين من أزواجهن ، فاذا وهبن فى هذه الحالة كن مكروهات على الهبة . فمن النظر إليهن أن تبطل هبتهن ، لأنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس .

وأما بطلان هبة الشيخ الهرم والمرأة الهرمة ، فذلك إذا ادعى أنه وهب للنفقة عليه ، فهذه الهبة تكون باطلة ، لأنها تصير بيعا فى نظير النفقة عليه والنفقة عليه مجهولة لا يدرك كم يعيش ولا كم تبلغ نفقته ، فحصل جهل فى أحد العوضين ، فحصل البطلان لذلك . وعبارة المالكيين تفيد ما ذكرناه ، قال أبو عبد الله محمد التاودى فى شرحه على

المعاصم على أرجوزة ابن عاصم : من الهبة الباطلة هبة بنات القبائل والاخوات لقرايتهن مع اشتهار عدم تورثهن ، فلهن الرجوع في حياتهن ، ولورثتهن القيام من بعدهن ، لأنهن لو امتنعن من الهبات لأوجب ذلك استهاتهن وقطعهن والغضب عليهن وعدم الانتصار لهن إذا أصابهن شيء من أزواجهن . ولا فرق بين المتجالات ذوات الأولاد وغيرهن ، قاله الباجي وأبو الحسن ، صح من المييار ومثله في الدر النثير .  
وقال التاسولي في شرحه البهجة على التحفة :

من الهبة الباطلة أيضا هبات الهرم من الرجال والنساء ، كما في العلمي وغيره ، والقول قولهما أنهما وهبا ليقوم الموهوب له بنفقتهما وموئتهما ، فيكون من أفراد قول خليل : وكبيعه بالنفقة عليه حياته ، ومعلوم أن الإنسان مصدق في الوجه الذي أخرج به ماله عن ملكه . ولم ينفرد التاسولي بالقول المتقدم في بطلان هبة بنات القبائل ، بل قاله الباجي وأبو الحسن ، ونقله وأقره التاودي ، وله وجه صحيح .

وأما بطلان هبة الهرم والهرمة فبنى على أن هبة الثواب كالبيع يلزم فيها تعيين العوض وهو مرجوح ، والراجح أنه لا يلزم فيها تعيين العوض كمنكاح التفويض ، وعلى ذلك لا تبطل بعدم التعيين ويوجع فيها إلى ثواب المثل . محمد عرفة  
وكيل كلية الشريعة الاسلامية

## الاعتذارات الموقفة

عتب المأمون على رجل من خاصته ، فقال له : يا أمير المؤمنين إن قديم الحرمة ، وحديث التوبة ، يعحوان ما بينهما من الاساءة . فقال المأمون : صدقت . ورصى عنه .  
واعتذر رجل إلى المأمون من ذنب فقال : إن كانت زلتى قد أحاطت بجرمتى ، فإن فضلك محيط بها ، وكرمك موف عليها .

## الاسلام في بلاد الغرب<sup>(١)</sup>

فذلك تاريخية

الفتوحات الاسلامية على أيدي الأتراك العثمانيين

إن الأتراك العثمانيين هم إخوان العرب في الدين ، فلقد اتبعوا تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم في القرن الثامن من الميلاد ، وكانوا حينئذ بموطنهم الأصلي « طوران » ثم بدءوا هجرتهم غرباً تحت قيادة زعيمهم سليمان الأول هرباً من اضطهاد المذبول ، فكانت هجرتهم سبباً في فتوحات عظيمة وانضمام مناطق واسعة في الغرب الى حظيرة العالم الإسلامي .

تولى زعامة الأتراك بعد سليمان ابنه أرطغرل ، ودخل في خدمة علاء الدين سلطان السلجوقيين في « قونية » فأقطعهم أرضاً في الشمال الغربي من « فريجيا » استعمرها الأتراك من بعدهم وطرّدوا منها الأهالي الوطنيين من الإغريق . وتولى من بعده الحكم ابنه عثمان الذي غامر في حروب اتسع بها نطاق ملكه على أنقاض الدولة البيزنطية الآيلة الى السقوط ، وانتزع لقب السلطنة بعد وفاة علاء الدين في عام ١٢٩٩ ، واليه ترجع تسمية الأتراك بالعثمانيين ، وفي عهده قويت شوكتهم ، وانتظمت شئونهم الداخلية ، وكثرت فتوحاتهم الى أن وقعت جزيرة « صاقص » في حوزتهم عام ١٣٠٨ ، ومن ثم بدءوا إغاراتهم على سواحل آسيا الصغرى الغربية ، حتى تمكن أورخان بن عثمان من الاستيلاء على « بروسه » في عام ١٣٢٦ وهي من أهم الحصون الآهلة بالسكان ، وهناك شيد له قصراً أطلق على مدخله « الباب العالي » ، وكانت هذه المدينة الى قبيل فتح القسطنطينية مقر حكم سلاطين آل عثمان ومتواعم

(١) مترجمة من لامية مقلان كتاب « محمد والعالم الإسلامي » من تأليف المستشرق الألماني الاساذ

« هردان زيجفريد ديم » .

الأخير ، فيها مقابر الكثيرين من الوزراء والأعيان والشيوخ والعلماء والشعراء والأطباء والفنانين . وتمتاز مدينة « بروسة » بجمال ضواحيها ، وبمياه حماماتها الشافية ، وبمحصولاتها الزراعية والصناعية ، فكانت بهذه الميزات ولوجود مقابر العظماء بها في نظر العثمانيين بمثابة البلد الوفور الذي يحق له إجلال خاص .

نظم أورخان دولته بمساعدة وزيره الأول علاء الدين على قواعد القرآن ونصوص الشريعة الإسلامية ، وقسم البلاد إلى ثلاثة مراكز حرية ، وكان كل منها يسمى بالسنجق أى العلم ، وفي عهده تم تكوين فرقة الإنكشارية المكونة من المسيحيين الذين دخلوا في الدين الإسلامي ، وكانت تبلى بلاء حسنا في سبيل اتساع دولتهم ، كما عني بتكوين فرقة من الفرسان كانت مثالا للنظام وحسن التدريب ، فكان للأتراك بذلك أول قوة حرية منظمة عرفتها أوروبا ، وكانت تنزايد عددا بالرغم من الحروب المستمرة ، وذلك بفضل دخول الناس في دين الله أفواجا .

وكان أورخان من أعظم سلاطين آل عثمان ، بل من أعظم الملوك الذين عرفهم التاريخ ، وقد دام حكمه خمسا وثلاثين سنة لم يشبها شائبة ، وكان محاربا شجاعا وحاكما عادلا ومشرعا بعيد النظر .

هكذا درجت الدولة العثمانية نحو التقدم حتى تولى أمرها مراد الأول ( ١٣٥٩ - ١٣٨٩ م ) وكان قوى العزيمة متضلعا في العلم والحكمة ، فبدأ فتوحات واسعة النطاق ، تغلغل الإسلام بواسطتها إلى قلب أوروبا ، فوجد بها آذانا صاغية وقلوبا واعية ، فثبت بها قدمه حتى اليوم في مناطق عديدة ، لم تتمكن الأجيال الطويلة والدول المختلفة من محو أثره .

فتح مراد الأول مدينة أدرنة وفيلبة ، كما وقع تحت سلطته كثير من المدن الصغيرة والحصون ، وعنى بتحسين أدرنة ، وكانت تمتاز بمخيرات طبيعية وافرة ومحاصيل صناعية كثيرة ، فجعلها العاصمة الثانية للملك ، وتمكن مراد من عقد اتفاق في مصلحة الأتراك

مع أمبراطور الإغريق ، وخضعت له بلاد الصرب والبيلغار وفرض عليهما الجزية ، كما دانت له آسيا الصغرى بأكملها .

وكما استفاد مراد من حروبه في توسيع نطاق بلاده وإعلاء كلمتها ، لم يفته لانتفاع في أوقات السلم من توحيد ممتلكاته والاهتمام بشئونها من جميع النواحي المادية والأدبية . وأهم مواقفه الحربية كانت بينه وبين ملك الصرب الذي لم يشعر بأغراض مراد تحالف مع ملوك البوسنة وألبانيا ، وقد أخذ مراد في هذه الموقعة على غرة من يد صربي طعنه طعنة بجلاء ، بغدر وخيانة ، ولكنه تمكن من البقاء في ميدان القتال يصدر أوامرهم إلى رجاله حتى تم له النصر بالرغم من وفرة عدد العدو ، وأخذ ملك الصرب « لازار » أسيرا ، وهكذا تم له النصر وهو في آخر رمق للحياة ، وأصدر حكما بإعدام الملك الصربي الأسير ، وتوفي مراد الأول متأثرا بجراحه ، ودفن بمدينة « روسة » .

تولى من بعده الحكم ابن « بايزيد » وكان سياسيا بعيد النظر ، فعرف كيف يستفيد من فتوحات أبيه ، فقم له إخضاع الصرب نهائيا عام ١٣٩٠ ، ثم انهجه بنفوذه تجاه براطرة بيزنطة الضعفاء ، فظهرت سلطته في توليتهم وخلعهم إلى أن تمكن أن يعلى عليهم إرادته ، فكانوا يتبعون رغبته في كل حركاتهم وسكناتهم ، كما تمكن من إخضاع بلغاريا ومقدونية وتساباليا لنفوذه ، وفتح فتحا جديدا للإسلام لا يزال أثره حتى اليوم أمام ناظرنا ، ومن ثم اتجه بفتوحاته نحو بلاد الروم في بلاد البحر ، وتقابل مع ملك بوهيميا والمجر في موقعة حاسمة انتهت بانتصار بايزيد انتصارا باهرا ، وكانت النتيجة أن دانت له بلاد البوسنة بأكملها ، فاتجهت مطامعه نحو القسطنطينية ، ولم يقف تيار فتوحاته في بلاد الغرب إلا ظهور تيمور المغولي مصدر الرعب والخوف لشعوب كثيرة ، حيث هاجم لأتراك في آسيا الصغرى ، فبادر إليه بايزيد ووقع في أسرهم في موقعة أنقرة عام ١٤٠٢ ، ومات وهو في الأسر .

اختلف أولاده من بعده في الحكم ، فكان ذلك مما جعل مصالح الدولة مهددة

بالخطر، الى أن استتب الأمر لأحدم المدعو «محمد» فسار بالبلاد نحو لتقدم والمدنية، وخلفه ابنه مراد الثاني الذي بدأ بحصار القسطنطينية، إلا أنه رجع عن تنفيذ مأربه بسبب الاضطرابات المتواصلة في آسيا الصغرى، كما أن الحروب التي قامت في عصره في حوض نهر الدانوب ضد المجر والصرب وعلى رأسهم هنيادي، وتلك التي نشبت في بلاد البانيا، ناهيك بالاضطرابات الداخلية، كانت قد شغلته طويلا ونهكت قواه ولم تمكنه من تحقيق حلم آل عثمان من تقويض الأمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) بالاستيلاء على القسطنطينية حاضرة ملكهم. فلما استتب للعثمانيين الأمر في ممالك نهر الدانوب وقهروا المسيحيين في ورنه وكوسوف وثبتت زعامتهم في جميع أرجاء جنوب أوروبا الوسطى، تمكنوا أن يعاودوا الكرة ويتجهوا بجيوشهم نحو القسطنطينية الى أن فازوا في عصر محمد الثاني من الاستيلاء عليها في ٢٩ مايو سنة ١٤٥٣، وبذلك سقطت الأمبراطورية البيزنطية.

## حسن الاعتذار

دخل أبو دلف على المأمون، وقد كان غضب عليه ثم أقاله (أى غفر له سقطته)، فقال له المأمون، وقد خلا مجلسه: قل أبادلف وما عسيت أن تقول وقد رضى عنك أمير المؤمنين، وغفر لك ما فعلت؟ فقال: يا أمير المؤمنين:

ليالى تدنى منك بالبشر مجلسى      ووجهك من ماء البشاشة يقطر

فن لى بالعين التي كنت مرة      الى بها فى سالف الدهر تنظر

فقال المأمون: لك بها رجوعك الى مناصحتك، وإقبالك على طاعتك، ثم عاد الى ما كان عليه.

## دحض مفتريات المستشرقين

في سيرة أبي بكر الصديق

قرأنا بالعدد الخامس من مجلة دائرة المعارف الإسلامية التي تُترجم إلى العربية سيرة لأبي بكر رضي الله عنه كتبها واحد من مؤلفي تلك الدائرة المستشرقين غمز فيها عليه وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فساءنا ذلك جدا كما ساء كل من اطلع على هذا العدد، فرأينا أن نتعقبه هنا إحقاقا للحق وإزهاقا للباطل .

قال كاتب ذلك الفصل : « وظل أبو بكر ثابت الإيمان حتى في الأحوال الكثيرة التي كان الناس فيها يشكون في أقوال النبي كما في حديثه عن الإسراء ، أو عند ما حار الناس في تعليل مسلك النبي كما في صلح الحديبية » .

وهذا القول يوم أن أصحابه كانوا كثيرا ما يشكون في أقواله صلى الله عليه وسلم إلا أبا بكر، وهو كذب ومحض افتراء عليهم، فإن إيمان أصحابه صلى الله عليه وسلم برسالته كان أرسخ من الجبال الراسيات، وما كان محتلج بصدورهم أي شيء من الوهم أو الريب في صدقه صلى الله عليه وسلم، عما منهم بأنه ما كان ينطق عن الهوى وإنما هو الوحي يوحى إليه من عند الله . وآية ذلك أنهم كانوا يضعون أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما يملكون من قوة فداء له صلى الله عليه وسلم ونأييدا لدينه .

ونظرة بسيطة فيما قام به الصحابة من غزوات معه صلى الله عليه وسلم تبين ذلك أجلى بيان، فلو كانت الصحابة تنطوى قلوبهم على شك أو ريب في رسالته لما استماتوا في نصرته، ولأعقب ذلك حتما تفككهم وانفصام عرى اجتماعهم، مع أن الذي ثبت وأوجب لهم خلافة الله في الأرض أنهم كانوا من الترابط والتماسك بحيث لا تفصم وحدتهم أشد الخطوب تأثيرا في النفوس .

وقدمروا سنين على ضروب من المحن كان يكفي بعضها حل أية جماعة تتعرض



لها ، حتى مدح الله إخلاصهم هذا فقال : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » ثم عاد فدحهم إذ لم يهنوا ولم يضعفوا يوم ابتلاهم الله بتأليب الأَحزاب عليهم فقال تعالى : « ولما رأى المؤمنون الأَحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً » .

فلو كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما كانوا يشكون في أقواله لما صدرت منهم هذه العزمات التي دكت لجبال الشام ، وغيروا بها خريطة لعالم في سنوات معدودة . وأما صلح الحديبية الذي ضربه كاتب ذلك الفصل مثلاً فهو أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج معتمراً في ألف من أصحابه حتى شارف مكة ، فتمعه أشركون من دخولها ، فمز ذلك على أصحابه وأجمعوا أن يدخلوها عنوة ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم استقدم سفيراً من أهل مكة واتفق معه على أن ينصرفوا هذا العام ويأتوا في الذي يليه ، فكلّمه أصحابه في أن هذا الصلح يعتبره المشركون انتصاراً لهم ، فقال لهم : إني أمضيته بوحى من الله . فرجعوا مع رسول الله إلى المدينة ، وما كادوا يلبثون فيها إلا قليلاً حتى أراهم الله رأى العين أن هذا التسامح كان فاجحة خبير كبير على الإسلام والمسلمين ، إذ أسلم في مدته عدد جهم من كبار القرشيين ، كان لهم قدم صدق في نصرته الدين وإعلاء كلمته في الخافقين .

وقد قال ذلك المستشرق : إن أبا بكر « استطاع في كثير من الأوقات بفضل سداد رأيه أن يحول بين النبي وبين الاندفاع في الأمور » .

وهذا إفك مبين . والحادثة المتقدمة تنفي ما يقوله من أن أبا بكر كان يحول بين النبي وبين الاندفاع في الأمور ، إذ لو كان كما يصفه لا ندفع بالندفاع أصحابه إلى دخول مكة عنوة .

على أن المجمع عليه من صفاته صلى الله عليه وسلم أنه كان حكيماً في جميع تصرفاته ، ماخير بين أمرين قط إلا اختار أرفقهما ، وكان قبل أن يبت في أمر استشار فيه أصحابه ،

فلم يعهد عليه طوال مقامه فيهم أنه دفع بهم الى مغامرة ولا مرة واحدة ، فأى فائدة يحنيها الناس من قلب حقائق التاريخ الى هذا الخد ؟ وقد وصفه الله في رحمته بقومه بما لم يصف به أحدا من خلقه فقال تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

أما تنويعه بمسألة الإفك وتسميتها بالفضيحة وأن التي أثارها امرأة صغيرة طائشة فهذا منتهى التوقع ، ومن أشد ما رأينا خروجا على آداب التاريخ المقررة . وهو ما وصف هذه الفرية بأنها فضيحة إلا ليستدرج القارئ حتى يخيل اليه صحة ما لفظ المنافقون به في حق أم المؤمنين ، وما وصفها بالطيش إلا ليؤيد مزاعمهم التي اختلقوها من عند أنفسهم . وقد ضرب صفحا عن أن هذه المسألة قد محضت وقت حدوثها أكل تمحيص ، فقد بنيت أولا على ظن سيء بسيدة من أكمل سيدات البيت النبوي دينا ، وبصحابي جليل عرف الناس كلهم دينه وتقواه وحسن بلائه . ومن آداب التاريخ أن التهم التي لا يثبت وقوعها لا تسمى بالفضائح ، فما ظنك بالتي ثبت بطلانها بكل دليل ؟ ومنها أن لا نوصم شخصية بارزة من شخصيات أى مجتمع كان بالطيش بمجرد وقوع أفعالها فيها ، وإلا لما نجا نبى مرسل ولا مصلح كبير من مثل هذه الصفات الذميمة ، فقد اتهموا جميعا بالكذب والتدليس وسوء النية .

فكان من أول واجبات كاتب هذه المقالة أن يقدر موقف النبي صلى الله عليه وسلم من أمة كانت أكثر آحادها مشركين أو متافقين يترقبون به درة السوء ، ويسارعون الى كل خيال من نقيصة ليذمموها ويشهروا بها ليفسدوا عليه أمره . وكان في المدينة قوم أظهروا الإسلام واستبطنوا الكفر لا هم إلا نصيد الشبهات والإرجاف بها في مجالسهم ، وقد وصفهم الله تعالى بقوله : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون » وقوله تعالى : « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم » وقوله : « إن تصيبكم حسنة تسؤم وإن تصيبكم سيئة يفرحوا بها » وقوله : « لأن لم ينته المنافقون والذين

في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لتغريشك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا .  
 كان يجب على كاتب ذلك الفصل وهو بصدد الكلام عن شخصية بارزة بحاسب على  
 الكلام عنها حسابا عسيرا أن يقدر هذه الظروف كلها ويدرك بذكائه إن كان له من الدكاء  
 نصيب أن مثل هذه البيئة تعتمد على الإفك والبهتان لا بطل أمر خصوصها بعد  
 أن عجزت عن إبطاله بالسيف والسنان ، فكل ما قالوه يجب أن يوضع في ميزان النقد ،  
 وأن يحلل الى أدق عناصره حتى ولو لم يثبت خلاف ما قالوه ، تحريصا لوقائع التاريخ ،  
 وإنصافا لشخصياته البارزة ، وإلا لو كنا آخذين أقوال خصوم هذه الشخصيات لكنا  
 خائفين من آثار الأحقاد عليهم في حماة يكون مكانا منها أدنى من مكان أولئك  
 الخصوم درجات كثيرة ، فأولئك دفعهم التناظر على اختلاق ما اختلقوا ، ولكن  
 الآخذين بأقوالهم لا عذر لهم في تتبع خطواتهم إلا أن يكون لهم غرض في تصيد  
 مثل هذه الأباطيل وترويحها بين الناس من جديد .

أما مسألة الإفك فهي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا عزم على الخروج  
 الى غزوة أقرع بين نسائه فأبتهن خرج اسمها خرج بها ، فلما أراد غزو بني المصطلق ،  
 خرج مع عائشة رضي الله عنها فأخذها معه ، فلما تمت الغزوة أمر جيشه بالانصراف  
 الى المدينة ، فلما قرب منها نزل منزلا ، ثم أذن بالرحيل ، فقامت عائشة حتى جاوزت  
 الجيش لقضاء حاجة ، فلما عادت الى رحلها افتقدت عقد ألها كانت على صدرها فوجدته  
 قد انقرط فرجعت أدراجها لقلتمسه ، وفي أثناء بحثها عنه أقبل الرهط الذين كانوا يحملون  
 هودجها فظنوها فيه خلفتها لأنها كانت حديثة السن ، وذهبوا بالبعير ، فلما عادت  
 عائشة الى مكانها لم تجده أحدا ، فجلست موقنة بأنهم سيعودون في طلبها .

وكان صفوان بن المعطل من أجلاء الصحابة معينا ليتعقب الجنود فيلتقط ما عسى  
 أن يكونوا قد نسوه من أمتعتهم وسلاحهم ، فمئر بأم المؤمنين ، فسألها عما خلفها  
 فقضت عليه أمرها ، فنزل وتنحى عن بعيره حتى ركبت ، وأمسك هو بخطام البعير

حتى أوصلها الى بيتها . فلما سمع المنافقون بما حدث أرجفوا به ، وغضب النبي صلى الله عليه وسلم ، وليث عائشة في بيت أبيها شهرا نبيكى ليلا ونهارا ، حتى نزل قوله تعالى : « إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ، لعل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم » .

وكان من الذين خاضوا في هذا الحديث مسطح بن أثانة وهو رجل معوز كان أبو بكر والد عائشة ينفق عليه ، فاما حدث منه ما حدث أقسم لا ينفق عليه شيئا ولا ينفعه بشفع أبدا ، فأنزل الله في ذلك قوله تعالى : « ولا يأتل ( أى ولا يحلف ) أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى وإساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعصفوا وليصفحوا ، ألا نحبوز أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » فقال أبو بكر : إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع الى مسطح نفقته التي ينفقها عليه قائلا : والله لا أنزعها منه أبدا . هذا حديث الإفك ، فهل يثير في بساطته التي تراه عليها شبهة في نفس المؤرخ ، فينضم الى المنافقين المرجفين في تصديق ما تقولوه ، متناسيا آداب لتاريخ ، متعديا على أسو به من التمهيص ، لا لشيء ، غير حاك حرازة في صدره ضد الاسلام والمسلمين ؟

بقيت لنا كلمة نوجهها لحضرات الفضلاء الذين يترجمون هذه الدائرة ، هي أن هذه الدائرة تشتمل على الشيء الكثير من أمثال التهم الباطلة على الاسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم ورجالاته الصالحين ، وهم يعلمون أنه لا بدفع ببعض هؤلاء المستشرقين على التورط في هذه الخلطة المريبة إلا ما يحملونه في صدورهم من البغضاء لهذا الدين ، فلا يصح والحالة هذه أن يحملوا أنفسهم إثم نقل هذه السفاسف الى لغتهم وبأفلامهم ليقرأها الناس في جميع بلاد المسلمين . هذا ما لا يتصور أن تفعله شبيبة أمة في العالم ، ونحن أولى بهذا الأدب الكريم .

فالذي أراد أن يتمتعوا عن ترجمة ما يصادفونه من هذه الأباطيل ، وأن يكتفوا بالإشارة اليها مشفوعة بما يدحضها ، ويبين وجود فسادها بكل دليل . أليس من البلاء العظيم أن

يضطر أحدنا أن يصف أطهر نساء العالم وهي في الوقت نفسه أمه في الدين ، بالطيش والفجور ؟ أى فائدة أدبية ترجى من إذاعة هذه الفرية بين المسلمين في عبارات وقحة يسمح بها لنفسه رجل أجتبي عن الدين ؟

لا يعترض أحد علينا بأن الامتناع عن ترجمة المفتريات يعتبر من الخيانة في الترجمة ، فإننا نشير بالامتناع عن ترجمتها والإشارة إليها ، لا بترجمتها على غير وجهها وتلطيفها بما يخرجها عن صيغتها التي أرادها لها كاتبها ، فالفرق بين الأمرين كبير .

ولا يقولون قائل بأن المترجمين للدائرة قد عقبوا على حديث الإفك بقولهم : « هذه هي ألفاظ المستشرق بالنص ونحن لا نقره عليها بحال من الأحوال ، أما حديث الإفك فعروف وقد نزل فيه قوله تعالى : « إن الذين جاءوا بالإفك . الآية » .

فنقول: نعم إنهم عقبوا عليه هذا التعقيب ، ولكنهم سخرُوا لنقله في صلب كتابهم ، وما عقبوا به لا يكفي في دحض تلك المفتريات ، فإن الذين لا يؤمنون بالقرآن لا يعيروننا نزل فيه من الآيات ، فتبقى تلك التهم لاصقة بأم المؤمنين ، وهذا إثم كبير .

ثم إنهم عقبوا على هذا الحديث ولم يعقبوا على التهم التي وجهها كاتب ذلك الفصل إلى خاتم النبيين من كثرة الاندفاع مما كان يتداركه أبو بكر ، ومن الإكثار من غير المعقول مما كان يصدقه أبو بكر ، وخطر هذه الدسائس على عقول النابتة لا يقف عند حد ، فامها تلتفح بها ويصبح القول بها من دلائل الألعمية ، فهل نأخذ على عهدتنا أن نحدث مثل هذا الحدث في الإسلام بترويج أراجيف ساقطة كتبها قوم ليشفوا بها داء في صدورهم ، أو نأدوا إليها ضلالا في بحوثهم ؟

المخرج من هذا المأزق أن يتمتع حضرات مترجمي تلك الدائرة كما قلنا عن ترجمة تلك المفتريات ، والاكتفاء بالإشارة إليها ، مع بيان وجوه الضلال فيها . أما نقلها ثم الإشارة إليها في الهامش بأربعة أسطر ، فهي مقاومة سلبية لا يرضى بها إلا من عجز عن تقضها ، وهذا مالا يرضاه مسلم ، بل ولا يرضاه إنسان يتحوى أن يصل إلى إدراك الحق له أو عليه .

محمد فهد بر وجهدى

## جمعية المحافظة على القرآن الكريم

ستمعد جمعية المحافظة على القرآن الكريم بالقاهرة يوم السبت والأحد ٤ و ٥ أغسطس سنة ١٩٣٤ الساعة ٨ صباحا امتحانا في القرآن الكريم حفظا وتجويدا للذين لا تزيد سنهم عن ١٤ سنة لمن يقدم طلبا بذلك الى ٢١ يولييه ، ويرفق بشهادة الميلاد أو صورتها الرسمية . وسيعطى للفائزين جوائز أعلاها ستة جنيهات وأدناها جنيه واحد . ( مكان الامتحان مسجد السلطان أبي العلا بشارع فؤاد الأول ) .

## سهام الدين المسارقه في صدور النادقه

سلسلة محاضرات لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمود حسن ربيع من علماء الأهر تقع في جزئين صغيرين . وهى محاضرات نفيسة ممتعة الغرض منها تقويم العقليّة الروهنة فيما تشط فيه عن الدين وتشد عن الحكمة ، وقد اختتمها بحقيقة النبوة وحقيقة الوحي ، فجاء عملا موقفا عس الحاجة اليه ، فجاء الله خير ما يحزى به أوليائه .

## بلوغ السؤل في مدخل علم الاصول

كتاب يشتمل على مقدمة في علم الأصول يتخللها أبحاث هامة في أحكام الاجتهاد والتقيد لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى من هيئة كبار العلماء . ولأستاذ ليس في حاجة الى التقريلط ، فخرجوا الله أن يمد في عمره ، وأن يبارك في عمله ، وأن يحز به جزاء العاملين .

They prided themselves later that they have produced more poets than all other nations put together. In science, their superiority was due to the research system which they have borrowed from the Greeks of Alexandria and not from the Greeks of Europe. They concluded that speculation could not lead to progress and that all hope must necessarily rest in the practical observation of events. Their attachment to experimental systems was a characteristic of theirs. In their works on mechanics, hydrostatics and optics, it may be noticed that they have reached the solution of their problems by way of direct experience or observation by means of instruments. It was this that rendered the Arabs the creators of chemistry and have led them to the invention of several apparatus for distillation, sublimation, fusion, filtration etc. It was this also that made the Arabs employ, in their astronomical works, the graduated instruments, the cadrans and astrolabes. It was this that made them employ the balance in chemistry whose theory they were perfectly familiar. It was this that led them to compile the tables of specific weights and astronomical tables ( almanacs ) as those of Baghdad, Cordova and Samarcand. It was also this that made them attain such great progress in geometry and trigonometry; and lastly it was this that made them the inventors of Algebra and led them to adapt the Indian numeration system"

In the course of his comments on their libraries, Professor Draper remarked:

" The library of the Caliphs of Spain contained six hundred thousand volumes and the catalogue alone made forty four volumes. Apart from this, there were seventy public libraries and many private ones in Andalusia. "

" As to original works, it was the custom of university professors to prepare treatises on the subjects given. Every Caliph had his own historiographer. "

" Reference books on geography, statistics, medicine, history as well as dictionaries were abundant. There was also a scientific encyclopaedia by Mohammed Abu Abdallah."

" The Arab Empire abounded in schools and colleges. There were many of them in Mongolia, Tartary, Morocco and Spain. In one end of this vast empire which surpassed by far the Roman Empire, there rose the observatory of Samarcand while on the other was that of Giralda in Spain.

" We will exceed the limits of this book should we wish to give here all the effects of this great scientific movement. The old sciences have been greatly developed and new sciences were created."

sought knowledge in every field and have evinced genuine keenness on it, a keenness unprecedented in the history of any other nation. Have you read in the annals of history of a victorious nation who exacts from the vanquished people among other exactions the cession of a scientific library ? This was what the Moslems have done in the time of Al-Mamoun son of Haroun Al-Rachied. In their peace treaty with the Romans they stipulated the cession of a certain library of the Roman Empire which the Emperor yielded to them. They translated the contents of that library and a new wealth was thereby added to the great accumulated treasures of Moslem learning and culture. Little wonder therefore that the Moslems have worthily won the scientific leadership of the world. Their schools and universities became the seats of higher culture and were rendered the scientific Caaba of men from all corners of the globe.

Perhaps the testimony of a foreign historian will throw further light on the subject. In his book "The Conflict between Science and Religion", Professor John W. Draper of New York University has given the following " :

The Moslem interest goes back to the time of their conquest of Alexandria in 638 A. D. that is six years after the death of Mohammed. Within less than a century, they were familiar with all scientific Greek works. "

\* When Abu Jaafar Al-Mansour became Caliph (753 — 775 A. D. ), he transferred his capital to Baghdad which he made a magnificent metropolis. He gave much of his time to encourage the study of astronomy and founded schools of medicine and law.

His grand child Haroun Al-Rachied (786 A. D.) followed his example and ordered schools to be annexed to every mosque throughout his domains. But the golden age of science in Asia did not appear until the Caliphate of Al-Mamoun ( 813 — 832 A. D. ). He made Baghdad the scientific capital, amassed great collections of books and showered favours on the learned people.

This position and this cultivated taste acquired by the Arabs continued until the division of their empire into three parts. The Abassides in Asia, the Fatimites in Egypt and the Ommiades in Spain were not only three rival dynasties in government, but they were also rivals in quest of literature and science.

In literature, the Arabs have embibed of all that sharpens the spirit.

---

(1) Owing to the lack of an English edition of this book, the writer's views are here translated from a French edition published by M Em Aiglave in 1900.



sciences including the proper reading of the Koran, interpretation of its meanings and methods of deduction of principles therefrom etc. etc Others devoted themselves to the study of the traditions of the Prophet, recording it and distinguishing the authentic from the unauthentic.

Yet others have made the language their subject of study. They compiled its vocabulary, studied its dialects and edited its lexicons.

Yet other parties made physical sciences their objective including astronomy, mathematics, medicine, pharmacology, chemistry and physics etc. They studied all books dealing with these subjects that were available at the time. But having not been satisfied with the books at their disposal, they began to translate all the treasures of the Greeks, Romans and Persians and they unearthed many a great book that was lost to the world. By those combined efforts in all spheres of learning, they succeeded to produce a wonderful collection of sciences which have never fallen to the lot of any nation prior to them.

In their gigantic efforts, to produce all useful knowledge, they were totally unaffected by tribal partisanship or racial prejudices. They remained true to their Prophet's saying (on whom be peace) "Imbue wisdom from whatever source it may come from."

They cared not what source knowledge was coming from so long long as they can benefit therefrom. They never disdained to benefit of learned people and scholars even though they were of a different faith.

The rectorship of many a Moslem University was given to men professing different faiths when at one time no Moslem could have filled their place.

It has been established that our forefathers were not led astray by the knowledge they obtained from the works translated by them. They treated many and diversified subjects and carried research work to its furthest ends. As true critics, they rejected the wrong ideas and retained and commented on those that were right augmenting thereby its data and even discovering new subjects which were unknown before the advent of Islam such as chemistry and Algebra. They did not abstain from research work in any scientific doctrine on the grounds of its being inimical to the interests of religion, or that it is forbidden by religion. They inquired even into magic, charms and talismans astrology etc. etc, in pursuance of the high motto 'Learn magic but practise it not'

In short the Moslems have, through the urge of their religion,

وَالَّذَوَابُّ وَالْأَنْعَامُ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ ، إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ  
الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝

ترجمة تفسیر هذه الآية نقلا عن البيضاوى

"Dost thou not see that Allah sendeth down water from heaven and that We produce thereby fruits of varied hues, and that in the mountains there are white and red tracks of different intensity and others of a raven black colour; and of men, beasts and cattle there are likewise different hues? Verily of all the servants of Allah, those who are endued with knowledge fear Him the most: Allah is mighty, Gracious"

( *Baidawy's Commentary* ).

It is evident from the last part of the preceeding verse that by the learned people are meant those who are acquainted with the secrets of these natural phenomena over and above their knowledge of divine matters.

The Lord also saith:

« وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ۝ »

ترجمة تفسیر هذه الآية نقلا عن البيضاوى

" And of His signs are the creation of heavens and earth and the variety of your languages and colours: verily herein are signs to those who have knowledge"

( *Baidawy's Commentary* ),

By " those who have knowledge" is meant those who are acquainted with the natural and human sciences.

The knowledge to which the Koran calls and to which tradition urges is that which counteracts and banishes ignorance, be it connected with religious beliefs or material phenomena. The Lord be praised was cognisant of humanity's need of true knowledge as regards both its material and social life. Our forefathers have appreciated this in the same way as we do now and they have therefore striven after the death of the Prophet ( on whom be peace ) to seek knowledge in the widest sense of the word. There were some of them who specialised in religious

ficial effects on society could nowhere be found.

The Lord be praised has forcibly urged to knowledge so much so that He made perfect righteousness dependant on it for thus saith the Lord:

« إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

" Verily of all the servants of Allah, those who are endued with knowledge, fear Him the most"

( *Baidawy's Commentary* ).

The understanding of the similitudes set by the Lord to guide men unto salvation or urge them to righteousness was made closely connected with knowledge; and in this connection the Lord saith:

« وَنَبِّئَكَ الْأَمْثَالَ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

" These similitudes We set forth unto men: but none appreciate their usefulness except those who know"

( *Baidawy's Commentary* ).

What more could a religion do to establish its people on learning than to make it an incumbent duty on them ? Did not the Prophet ( on whom be peace ) say " The seeking of knowledge is an incumbent duty on every Moslem" and did he not say, "Seek knowledge even unto china" ?

What knowledge does Islam mean by all these injunctions ?

Doubtless it means all branches of learning conveyed by the word which the human mind could so far conceive.

The Lord's saying bears this out:

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ،  
وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَتَحَرُّ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ، وَمِنَ النَّاسِ

In his commentary on this verse, Abu Abbas says: Learned people have seven hundred grades over the believers.

In the description of the Koran, the Lord says:

« وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ »

ترجمة تفسير هذه الآية قلا عن البيضاوى

“ And We have brought unto the unbelievers a Book, we explained the meaning thereof with knowledge ”

( *Baidawy's Commentary* ).

Knowledge was made here the peculiar characteristic of the divine utterings.

In another verse the Lord says of the Koran :

« بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ »

ترجمة تفسير هذه الآية قلا عن البيضاوى

“ But the Koran is clear signs conserved in the hearts of those who are given knowledge ”

( *Baldawy's Commentary* ).

There could be no higher honour given to knowledge than the foregoing.

The traditions of the Prophet ( on whom be peace ) dealing with learning are innumerable. In one of those traditions, the Prophet ( on whom be peace ) is recorded to have said “ All that is in Heavens and earth crave forgiveness for the learned man.”

Commenting on this, Al-Ghazali says that there could be no higher rank than that of him for whom the angels of heavens and earth crave forgiveness.

Another tradition of the Prophe. ( on whom be peace ) is : “ Verily the death of a whole tribe is a lesser misfortune than the death of a learned man ”

Greater appreciation of the true value of knowledge and its bene-

« شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

" Allah hath witnessed, establishing the truth, that there is no God but He; and the angels and those endued with knowledge have borne witness thereto"

( *Baidawy's Commentary* ).

In the preceeding verse, the Lord be praised has highly esteemed the testimony of the learned people in this great matter and has thereby set learning on the highest possible pinnacle.

Another of the Lord's saying in this connection:

« قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

" Say, shall they who have knowledge and they who have it not be held equal ?

( *Baidawy's Commentary* ).

A great honour indeed is ascribed to learning as the Lord has distinguished the learned people from all others for being the torch bearers of divine light and His agents to banish ignorance from the minds of mankind.

Yet another saying of the Lord :

« يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

"Allah will raise those of you who believe to great honour, and those of you who are given knowledge to even higher grades of honour "

( *Baidawy's Commentary* ).

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

## ISLAM

### ITS MISSION IN THE WORLD (1)

#### VI.

#### CALL TO LEARNING

---

In the preceeding chapters, we have discussed the lofty principles on which Islam was established and which caused it to wield absolute influence over the minds and souls of men and make of its followers a nation well-worthy of the leadership of the world.

In this chapter, we wish to show that Islam has not omitted to imbue its people with a strong spirit which urges them to advancement and development and preserves them from the inaction and immobility that assail nations ultimately resulting in their total extinction.

This spirit is the spirit of learning in its fullest sense, a spirit which is capable of adjusting itself to the social and intellectual exigencies of the time and of answering to the needs of a nation which was destined to take a leading position in the commonwealth of the world.

Indeed, no religion or social system could claim to have set such a value on knowledge or to have urged to it so vehemently as Islam has done. In this connection, the Lord's saying is significant:

---

(1) Translated from Mr. Mohammed Farid Wagdy's editorial in "Nour-El-Islam" Review.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مهمة الدين الاسلامي في العالم

- ١٠ -

دسوته لتطهير القلوب

الانسان عقل وقلب ، وهما وإن كانا مظهرين لروحه المدبرة ، فإنهما لاختلاف  
اختصاصيهما في حياته الأدبية قديعبران مستقلين . لكل منهما مقومات خاصة ،  
وسلطان خاص . فمقومات العقل العلوم ، ومهمته النظر والتحصيل لإدراك الواقع ؛  
ومقومات القلب الشعور الفياض ، والعواطف الكريمة ، ومهمته تجلية الجمال في كل  
شيء ، وإقامة الكمال كغاية قصوى للحياة . والانسان بين هذين المظهرين الروحانيين  
يطلب اليه أن يقوم على حال تمكنه من الاستفادة منهما ، ونجنيبه التدافع بينهما ،  
ليصل الى أرق ما أعدله من منازل الكرامة ، ومكانات الرفعة ، وليعيش عيشة  
الحاصلين على السمانين مما .

وقد شوهد من استقرار أحوال المجتمعات المختلفة في خلال العصور أن الأمم  
لا تقوم على جادة الحياة لصحيحة إلا إذا تعادل فيها هذان المظهران الروحانيان ، فإن  
طغى أحدهما على الآخر اضطربت أحواله ، على نسبة ذلك الطغيان ، وتعرضت  
للمشكلات اللاهبة ، فإما اجتاحتها أمة مناظرة لها ، أو هلكت مكانها تحت كلا كل  
لاضطرابات الداخلية .

هنا قد يتساءل متسائل فيقول : إذا تغذى العقل بلباب العلوم فأصبح قويم  
النظر في الأمور ، مدركا للواقع على ما هو عليه ، ألا يكفي ذلك في إقامته على

صراط الحق المستقيم ، ويكون من لوازم ذلك كل ما نسبتموه الى القلب من الشعور  
وكمال العاطفة ، وإدراك الجمال ، وتطلب الكمال المنشود ؟

نقول . لا ، وهذه بعينها شبهة لذين وقفوا التربية على العقل وحده ، من أصحاب  
المذهب الحديث في التعليم ، فقصرروا التدريس على العلوم وما اليها ، وأهملوا تربية القلب  
جانبا ، فكان أثر ذلك أن بطل التعادل بين العقل والقلب ، فإن كان شئ يبطل  
هذا المذهب فهو ما نشاهده من حال الجيل الذي نشأ هذه التنشئة ، إذ قل اعتداده  
بالآداب النفسية ، بل منهم من اتخذ الإباحة البهيمية مذهباً له ، وأخذ يدعو اليها  
في عبارات تحتمل وجهين ، وهي بحملتها وتفصيلها ترمي الى إحلال الملاذ البدنية المكنة  
للعليا من النفوس ، فكل ما يصدر من ثمرات العقول اليوم ، ويباع من مطبوعاته  
للملايين لا يرى إلا الى تقديس الأهواء النفسية ، والجري وراء الميول البدنية ، حتى  
أصبح الناس لا ينتفسون إلا هواء مشحوناً بالملهيات ، والمثيرات للشهوات ، وترى  
في الأمم المتمدنة التي أهملت تربية القلب الشاهد العدل على ما قلنا ، فهي اليوم ترزح تحت  
كلا كل الإباحة التي ضربت بحر أنها فيهم على عظم ما يبذلونه من الجهود الجبارة في تربية  
العقول . ولسنأري دليلاً أقوى وأوضح من هذا الدليل المحسوس على أن سلطان  
العقل وحده لا يكفي في تقويم الشخصية الانسانية ، وأن لا يحيد لها عن سلطان القلب  
لا بلاغ هذه الشخصية الى كمالها المنشود .

فالاسلام الذي أنزل رحمة للعالمين ، قد عنى بتربية القلب عنايته بتربية العقل ،  
فكما منح العقل سلطانه في التمييز بين الحق والباطل ، أعطى القلب سلطانه ليقود  
الانسان الى العواطف النبيلة ، ويفتح له كوة الى عالم لروح ، كي يستمد من نفحاتها  
ما يقوى به على الدواعي البدنية الشائرة عليه .

قال الله تعالى : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب » ولم يقل : لمن كان له عقل ،  
إذانا بسلطان القلب في الردع وعدم كفاية العقل وحده في ذلك ، فقد يعقل الانسان



ما تجره عليه المنكرات فلا يقوى وحده على الإفلاخ عنها إلا إذا أيدته قلب ، ولولا ذلك ما وجدت على سطح الأرض من يجري وراء منكر قط ، فإن أقل الناس يدرك سوء المنقلب مما يجترحه من السيئات ، ولكنه لحومانه من عزيمته القلب لا يصادف وازعاً يزعه عن الغنى ، فيتمادى فيه .

وقد نبه الله الى أن القلوب بالأمراض المعنوية تضعف عن أداء مهمتها السكرية من حياة لانسان ، فقال تعالى : « في قلوبهم مرض » علل بذلك عدم قبولهم للحق ، وإلا فلو كانت صحيحة ما منعهم عن قبوله شيء ، وإلى ذلك أشار النبي صلى الله عليه وسلم من حديث بقوله . « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » .

وقد زاد الله في التنويه بإسقاط القلب فقال تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها وهم أعين لا يبصرون بها وهم أذان لا يسمعون بها » « فإنها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور » فصغر عاهات الجوارح في جانب عاهات القلب ، وقرر بأن سلامته تنبئ عن سلامتها ، وليس بعد هذا مدى في تشريف ربيية القلب ، والإدلال بوجوب العناية بها .

ثم دفع مهمة القلب الى أقصى الغايات ، لجعل النجاة في اليوم الآخر موقوفة على سلامته من الآفات المعنوية ، فقال تعالى : « ولا تخزني يوم يبعثون ، يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من أتى الله قلب سليم » أي سليم من عاهات الصفات الذميمة ، وأدواء الميول الخسيسة . وانظر الى ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في مصير الإنسان بسبب جود القلب ، قال : « دخلت امرأة النار في هرة حبستها ، فإلهي أظمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض » .

نحت ضوء هذه التعاليم العالية هبّ المسلمون لألوان يتطلبون عقولا وقلوبا ، العقول للتمييز بين الحق والباطل ، والقلوب للتزهد من الصفات الحيوانية ، والتطهر

من الأدران البهيمية ، وللتعرض لنفحات الروح من طريق المشاعر الأدبية ، والحواس الباطنة ، فاعتموا أن تألفت منهم أمة بلغت الشأو الأعلى بقلوبها وعقولها معا ، فهم يموت في ظواهرهم ، نساك في بواطنهم ، أجسادهم تصول وتجول ، وقلوبهم تأسو وتعلو ، لم يدعوا صرحا أقيم للباطل إلا هدموه ، ولا مَعَمَّا للحق إلا أقاموه ، ثم ما هي إلا سنون معدودة حتى أصبحوا خلفاء الله في أرضه ، وحفظته على وحيه .

هؤلاء الناس أتوا من الأتغال في ربح قصير من الزمن ما لم تات به الأمم في قرون عديدة ، أفلا تعجب إن قلت لك إن ملكهم على عهد سليمان بن عبد الملك سنة (٩٦) ناهجرة بلغ الى أوسع مما بلغ اليه ملك الرومانيين في ثمانية قرون ؟ نعم وكانت هذه السرعة المحيرة للعقل شغلا للمتسائلين ، ظلو يبحثون عن أسبابها أمدا طويلا ، ثم علموا كل منهم بما آداه إليه تفكيره أو دفعه إليه هواه ، ولكن الحق الذي لا مصرية فيه أن المسلمين الأولين لو كانوا توجهوا الى أغراضهم العمرانية بقلوب الفانحين العاديين ، لصادفوا من عقبات التوسع ما صادفه من سبقهم من المتوسعين ، ولأجبرتهم القواطع أن يترثوا في توابعهم الى حين ، واسكن هؤلاء مضو في سبيلهم بقلوب لا تتطاب علوا في لأرض ولا فسادا ، وأرواح اتصلت بصميم الحق فأضعفها منه شاهدومعين ، فبلغت يحدوها التأييد الإلهي انى حيث بلغت ، من بسطة الملك والمقام الخطير .

هذا هو الذي يمكن أن يعمل به بلوغهم هذا الشأو البعيد ، في أقل من عشر لزم الذي لبته سوام ولم يبلغ الى ما يريد . أضف اليه ذلك لفارق الكبير في الأساس لدى قامت عليه فتوحاتهم ، فهي لم تماس الوحشية من قريب أو بعيد ، شأن بقية الأمم التي ظمرت بمحاربيها فطغت عليهم ومحت شخصياتهم ، فإن المسلمين أقاموا ملكهم على أصول لا تزال تستخدم العلوم في بيان حقيقتها ، وتجيئة كرامتها ، فتضيق العبارات عن بياناتها . ونعجز الأقالام عن توفيتها حقها .

ولا يزال الاسلام وهو دين الله الخالد يدعو الأفراد والجماعات لتقويم شخصياتهم

الأدوية بتطهير قلوبهم من ران الصفات الذميمة ، والميول الوحشية ، ومتى عم هذا الأصل لعام انتشعت عن سماءه غيوم من المحن ، تلك المحن لا تغتأ نصب عليه شو ظا من نار ونحاس ، ولا يكاد يخلص من آثارها حتى يتولاه صيب آخر أهول من سابقه ، وأشد اجتياحا لثرائه .

فإذا كان تقويم الشخصية الانسانية ضروريا للأمم كيلا تندفع في الغي الى حيث يحتاج طيبتها ، وتفسد كيانتها ، فذلك لتقويم أصبح اليوم أوجب لها ، فإن سموم الجاهلية أخذت تهب أشد ما تكون عليها ، فتقذف بالآحاد والجماعات في تيار الحياة الحيوانية ، حتى أصبحوا من الترد على النظم المقررة ، والأصول الموطدة على حال لا يستقر معه نظام ، ولا يستتب أمان ، ولا يتقوم عوج ، ولا يعتدل أود ، وحتى صدق ما قيل :

إن دام هذا ولم تحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود  
وما أحكم فيلسوف الانجليز الجريء ( برناردشو ) حيث قال : إن العالم لا يحيدله  
عن الاسلام ليأسوه به جراحه ، ويهدل به معوجه ، ويقوم من أمره على سداد  
تتطلبه حياته ، ويقتضيه صلاحه : « إن في ذلك لذكى لمن كان له قلب أو ألقى السمع  
وهو شهيد »  
محمد فريد وجدي

## فضيلة بذل المال

قال انبي صلى الله عليه وسلم : « الخلق عيال الله فأحب الخلق الى الله أنعمهم لعباله » وقال :  
« أنفق بلالا ، ولا تحش من ذى العرش إفلالا » وقال : « اصطاع المعروف يني مصارع  
السوء » . وقال « إن الله يحب الجود ومكارم الأخلاق ويغض سقسقها » . وسأل صلى الله  
عليه وسلم بعض العرب : من سيدكم ؟ قالوا : الحر بن قيس على بخل فيه . فقال النبي : « وأى  
داء أدوأ من البخل ؟ »

وقال المأمون لمحمد بن عبادة المهبلي : أنت متلاف ، فقال : منع الجود سوء ظن بالمعبود ،  
يقول الله عز وجل : « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين »

# النفس

## سورة الحجرات

- ٤ -

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ) .

قوله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ الخ » هو القسم الخامس من الإرشادات التي سبق أن قلنا إن هذه السورة اشتملت عليها ، وهو ما ينبغي مراعاته في حق المسلم حال غيبته ، وذلك القسم مشتمل على ثلاثة إرشادات : ( الأول ) : النهي عن ظن السوء به ، و ( الثاني ) : النهي عن تتبع عوراتها ، والبحث عن هتك مستوراتها ، و ( الثالث ) : النهي عن إشاعتها بين الناس بالغيبة . وقد بدى هذا القسم كما بدئت الأقسام السابقة ، بقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » ، يشعرهم بأن ما يدعونه إليه هو مقتضى إيمانهم ، وليثير فيهم عاطفة الإيمان التي هي منشأ كل خير وإحسان ؛ كيف لا وهي حلية القلب الذي هو ملك الجوارح ، ومتى صلح صاحبه الجسد كله . ولقد أخذ في هذا القسم بالتدرج الطبيعي ، فإن أول بوادر الشر أن يخطر بنفس المرء من قبل أخيه ظن

السوء، ولعل ذلك لبادرة آسء تأويلها، وهو الدور الأول، فيأخذ في تثبيت ما خطر بباله، ويعمل على تدعيمه بتتبع حركاته وسكناته، في خلواته وجلواته، بانبا ذلك على الأساس الذى ظنه، ولتموهم الخبيث الذى ملأ قلبه، وهو سيعثر على شيء من الزلات، أو يطلع على بعض الهفوات من الهنات الهيئات، فيبنى عليها الهيكل الضحاح من سبى الأحكام، ويستنبط منها قرارة الخبائث ولو أنصف لعم أن ما اطلع عليه قلما يخفى هو وأمثاله منه، أو من أكثر منه. ولو كان قلبه سليما من ظن لسوء الذى استبطنه من ناحيته، ما بنى عليه كل تلك الهيكل، وذلك هو الدور الثانى فى ذلك الخلق الممقوت، وهو دور التجسس. ثم يأتى الدور الثالث، وهو أخطرها على صاحبه وعلى المجتمع، وهو دور الغيبة، دور محبة أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين، دور التقاطع والتدابير، دور التباغض والتفانى، وتفاهم الشر، واستحكام الضر، نعوذ بالله من كل شر. قال الله تعالى: «يأبها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم الخ» هذا هو الأسلوب الحكيم فى مثل هذا الموضع، إذ لم يقل اجتنبوا الظن أو بعض الظن، أو كثير الظن، أو ما يماثل ذلك، وإنما اختار هذا التعبير، وذلك أن الظن بإطلاق لا ينهى عن اتباعه، فإن من الظن ما فيه احتياط لسلامة النفس أو لتفوس، أو سلامة المال بأخذ الأهبة للدفاع، أو استنباط أحكام الدين حيث لا قاطع، أو تعرف وجوه الكسب والعماس، وإصلاح الشؤون، وكل هذه الأحوال اتباع الظن الصحيح فيها مع إعمال الروية واستقصاء الأمارات مأموره لا منهى عنه، فإنك إذا نظرت الى رجل يسلك طريق سفر، ووجد أمامه طريقين دلت أمارات قوية على أن أحدهما مخوف الهلاك أو الضرر، وأن الثانى مأمون لماقبة، أفيقتل لهذا: اجتنب مقتضى ظنك؟ كلا. وكذلك من عهد إليه بصيانة أرواح الناس وأموالهم، وكان فيما على مصالحهم، ووجد أمامه أمارات تغرس الريبة فى قلبه من نحو بعض الأفراد أنهم يعيشون فى الأرض الفساد، أو يتوون إضرار العباد، أو يبيتون نية الشر للأمتين الوادعين،

أفيممكن أن يقال له : دع هؤلاء يعمشون ويعيشون فسادا ويقلقون الآمنين وينهبون ويفجرون ولا تعمل ظنك لأخذ الطريق عليهم وصون الناس من شرهم واستعمال سبل الوقاية لواجبه حتى تكون قد فقت بما يجب عليك فيما استخلفت فيه وكنت سالما من المسؤولية التي وضعت في عنقك شرعا بقوله صلى الله عليه وسلم : كسكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ؟ وهل يصدق أنه راعه وقام بحق الرعاة إذا هو أهله حتى اغتاله المغتال ، ولم يستيقظ للحرائم قبل وقوعها ؟ وهل يمكن التيقظ لها قبل وقوعها إلا إذا عمل فراسته بنفسه أو بمن يثق به ؟ إذ لا يمكن الفرد أن يقوم بالمهام الكثيرة بمفرده ، فاستقصى ما يبدر من حركات أهل الرب وتبعهم بثاقب فكره ، يحلل حركاتهم ، ويجهد في استخراج أغراضهم ، ويترصد لهم حتى لا يفلتوا منه ولا يكيدوا للآمنين في غفلته ؟ مثل هذه اليقظة ، ومثل هذا الظن في ضبط الأمور العامة لا يمكن أن يكون منهيًا عنه بحال من الأحوال . بيد أنه لا ينبغي أن ينطوح فيه ويسترسل حتى يتخيل من حركة بريئة جريئة يجتهد في تدعيمها ، ويتصيد لها مما صح وما لم يصح ، فهذا هو النوع المنهي عنه .

وكذلك الفقيه المستنبط لحكم لم يوجد فيه دليل قاطع ، إذا وجه تفكيره نحو عموم الأدلة وروح الشريعة ، وأخذ بالأظهر في القياس والأشبه به من الأحكام ، وتبع ظنه الذي هداه إليه تفكيره ، لم يكن ذلك من الظن الدائم بأجتنابه المنهي عن اتباعه . وفي وجوه المكاسب يظن الناجر في بلد كثيرة احتياجا إلى نوع فيجلبه لها ، أو غناها عن عرض فيجتنبه . وفي لزراع يعمل ظنه في اختيار أرضه وانتقاء بذوره وطرق تعبه ، وأمثال ذلك .

كل هذا من الظن الذي قد يكون واجبا وقد يكون مندوبا ، وأقل أموره أن يكون مباحا ، ولكن لظن السيء الذي أمرنا بأجتنابه هو ما يحيك بنفوس الأكفأ ، وانظراء من الناس عادة من نحو بعضهم البعض ، إذا رأى أحدهم من آخر

علا فيه وجه محتمل للشر ولو كان بعيدا يسرح ذهنه إليه، وبهمل ما يساويه أو يكون أقرب منه إلى الذهن المعتدل من وجوه الخير، يحمله على ذلك نوع منافسة ومناظرة، أو قياسه على خواطر تتردد في نفسه، أو اعتقاد كثرة الشر والفساد في الناس، فيتبرم بهم، ويتنكر لهم في كل ما يأتون وما يذرون. ولو أنه كان مهيمنا عليهم، أو كان ممن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسبة، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، لاحتمل ذلك منه. ولكنه إنما يصدر عن موجدة في نفسه نحو الناس، ويشقى غليلا كما كنا في قلبه نحو نظرائه وأكفائه، وهو إذا فتشته لم تجده يتعدى تقديس الروح لنفسه، واعتقاده فيها لرجحان على كل الناس، والزاهة حيث تلوث الناس، وما ذاك إلا الأناية المفقودة، وإن خيل إلى صاحبها أن ذلك غيرة على الدين والخلق والمجتمع ونحو ذلك، وما أدق مسالك الشيطان من الإنسان، وما أبصره بتصوير الشر بصورة الخير! هذه الأحوال ليست كل الظن وليست أكثره، كما أنها ليست بعضها ما منه لينفر منها بكلمة بعض الظن، ولكنها بعض كثير منه تنتشر في ظنون كثيرة، وتلتبس بمواضع حميدة، فتحتاج إلى الاحتياط في تمييزها عن غيرها، والتيقظ في التخلص منها والابتعاد عنها. وهذا هو ما يفيد التعبير «بكثيراً من الظن». فكان الآية تشير إلى أن مبيتون بالتعرض للظن المنهى عنه في كثير من الحالات، فينبغي أن تتيقظ دائماً لتمييز ظنوننا، وأن تنبيه لها حتى نعرف حسنها من سيئها، فلا تقع في الشر ونحن عنه غافلون، أو نصيب قوماً بجهالة فنصبح على ما فعلنا نادمين. وقوله تعالى: «إن بعض الظن إثم» يشرح لك هذا المعنى، فإن معناه أن المرء إذا استرسل في ظنونه، وأرخص لنفسه العنان، وأطلق لها العقال فلم يتبعها في ظنونها، ولم يتجنب المسيرة لكثير من خواطره وظنونه احتياطاً، أو شك أن يقع في لإثم، فإن بعض الظن إثم وموقع في الحرج. وهل يمكن اجتناب الإثم المبهم للتلبيس بكثير من غيره إلا بالتباعد عن كثير مما يشبهه؟ ويوضح لك هذا المعنى إثم توضيح ما جاء في الحديث الشريف «الحلال

يّن والحرام يّن وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في شبهات كراع برعى حول الحمى يوشك أن يواقعه» فالحديث وإن كان متبادراً منه أفعال الجوارح، فإن خطرات القلوب أشد التباساً. وبعد فالظن إما أن يكون اختيارياً أو اضطرارياً، فإن كان اختيارياً فالنهي فيه ظاهر، وإن كان اضطرارياً كان النهي في الحقيقة منصبا على متابعتة والعمل بمقتضاه، من احتقار المظنون به وبتفاهله، وإذاعة ما ظن به مما لا موجب له إلا متابعة النفس الأمارة، أما العمل الذي له موجب صحيح كالأحتراس منه والتحفظ من أذاه المحتمل، فلانهي فيه، على شرط ألا يلحق أذى بالآخر، وذلك محمل ما ورد «الحزم بسوء الظن بالناس» و«احترسو من الناس بسوء الظن». فالاحتراس المأمور به هو التحفظ الذي لا يجر على الغير ضرراً، وكذلك هو المحدود حتماً ويقرب من هذا وإن لم يكن مما نحن فيه ما أجاب به بعض القواد المعروفين بالشجاعة وقد سئل: هل لحقك خوف قط؟ فقال: «ما سلمت من خوف أكسبني الحذر، وما لحقني خوف أفقدني صوابي».

قال تعالى: «ولا تجسسوا» هذا هو الدور التالي لدور سوء الظن، فإن المرء على ما سبق أنفاً يخاطر بباله الخاطر السيء من نحو أخيه، فيرى أسبابه واهية، فيعمل على تدعيمه وتثبيت قواعده، فلا يرى فيما يبدو منه ما يشهد له، فيتعقبه بحثاً عن مساويه، فإذا رأى حسنة أغمض عنها إذ لم يكن وجدانها من غرضه، وإن رأى سيئة فرح بها، وإن رأى ما يحتمل الأمرين جره إلى أسوأ التقديرين، يزعم أن ذلك كله من اليقظة والانتباه، وما هو في الحقيقة إلا حقد دفين يتوارى عن صاحبه ويرقعه له إبليس يبرقع اليقظة والذكاء. هذا هو منشأ التجسس في الغالب، وفي ذلك يقول القائل:

إذا رأوا سبة طاروا بها فرحاً عني وما علموا من صالح دفنوا

وأصل التجسس مأخوذ من الجسس باليد، وهو المس بها مع نوع من الضبط، نقل إلى مطلق التعرف. وكذلك التجسس (بالحاء المهملة) من الحس، وهو أثر الجسس وغايته.



والتلمس ، وهو من التمس والتجسس والتجسس متحدان في المعنى أو متقاربان ، فمنهم من فرق بأن التجسس بالجيم تعرف الظواهر ، وبالحاء تعرف البواطن ، ومنهم من فرق بأن الأول التعرف ، وغيره ، والثاني أن تفحص بنفسك ، ومنهم من قال : التجسس في الشر ولتجسس في الخير ، أو مطلق . والمراد هنا تتبع العورات والبحث عن المساوى . وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم خطب الناس فقال في خطبته : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه : لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين فضحه الله في قعر بيته » . وخص النهي بمن آمن بلسانه ، لأنه الذي يكون ذلك منه غالباً .

وإذا قلنا تتبع العورات والبحث عن المساوى ، فإننا نريد تتبعها والبحث عنها بقصد الإشاعة والتشنيع ، والاحتقار والانتقاص ، وما يماثل هذه الأغراض السيئة . أما بحث الرب عن أمره ويقوم على تأديبه ، وبحث الراعى عن رعيته لاقتلاع جرائم الجرائم ، فلا يمكن أن يكون موضع نهى ، وإنما هو مطلوب أيما طاب ، وذلك كما يقولون في ضرب اليتيم تأديباً وضربه إيذاء ، فالأول حسن مأثور به ، والثاني قبيح منهى عنه . ومأخذ ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » . وهذا تعرف سقوط حجة من احتج على عمر رضي الله عنه حين تجسس عليه ، فقد روى أن عمر رضي الله عنه كان يمر بالمدينة يتعرف أحوال أهلها ، فسمع صوت رجل في بيت يتغنى ، فتسور عليه فوجده أممه الحُر ، فقال : يا عدو الله : أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته ؟ ! فقال الرجل : يا أمير المؤمنين إن كنت عصيت الله في واحدة فقد عصيت الله في ثلاث : قال الله : ولا تجسسوا وقد تجسس ، وقال تعالى : وأتوا البيوت من أبوابها وقد تسورت على ، وقال جل شأنه : لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وقد دخلت بغير إذن .

أقول : قد علمت أنه لا حجة للرجل في ذلك ، فحفل هذا في غير الرب والراعى وأمثالها .

قال تعالى : « ولا يغتبب بعضهم بعضا » :

أصل الغيبة : العيب في الشيء ، ولكن حكم تحريمها شامل للعيب في الحضور ، إما للتوسع في إطلاق لفظ الغيبة ، وإما لجمع العاملين في حكم واحد بطريق القياس ، وذلك كما قالوا في سجود السهو : يشمل السجود لما ترك عمدا . وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت لو كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » والبهت : الكذب والباطل الذي يتحير من بطلانه واقترائه . والمراد بالذكر أعظم من أن يكون صريحا أو كناية ، بل يشمل بعض الأفعال التي تُتهم الاتقص ، فقد تكون الغيبة بلفظ ظاهره الدعاء له ، كقول الرجل وقد سئل عن آخر : أصلح الله حاله ؛ وقد تكون بصيغة الاستغفار عند ذكره ، أو بحمد الله على المعافاة ، وأمثال ذلك مما يخيل لضعيف النظر أنها عبادة إذ كانت حمدا واستغفارا ودعاء ، وما هي في الحقيقة إلا المعصية المبرقة ، وقد تكون بفعل خفي لا يفهمه إلا اليقظ ، كما يكون من توجيه بصرك إلى شيء معيب في شخص ، ثم إرداف ذلك بابتسامة أو إيماء طرف ، وأمثال ذلك ، فكله حكمه حكم الغيبة ، أو داخل في مسماها عرفا .

نعم : قد تباح الغيبة إذا اقتضاها موجب شرعي ، كالنظم لمن يملك رفع الظلامة ، وكالشهادة في الخصومات ، فيذكر ما يعلم وإن كرهه المشهود عليه ، وكالتشجيع على المتجاهر بالفسق ليزجر ويرتدع هو وأمثاله ، وكالجرح والتعديل في رواية الحديث تمحيصا للأحكام الشرعية والسنة النبوية أن تناو لها السنة من لا يوثق بهم فيدخلوا فيها ما يوافق أهواءهم . وقد كان بعض رجال الجرح والتعديل إذا جاس في حلقته يقول : هذا مجاس تباح فيه الغيبة . والمراد بها إزالة اللبس عن يغتربهم ، ليؤمن شرهم وتلييسهم في الدين . ومنها باب المشورة حينما يريد رجل أن يعهد إلى رجل بعمل يحتاج إلى الأمانة والسكفاية ،

ولا سيما أعمال المصالح العامة في شئون الأمة ، فالتعريف بحال مثله لا يعد غيبة منهية شرعا ، إذ كانت مراعاة مصالح الأمة العامة بحق أولى من مراعاة مصالحة فرد واحد بدون حق . ولا يغرنك قول بعض المتورعين في مثل هذا المقام : حرام علينا منع الخير عن الناس . فخير العام مقدم على خير الفرد الخاص . ومثل ذلك من رآه يقدم على مصاهرته أو مشاركته أو نحو ذلك وهو يعلم عنه ما لا تطيب معه هذه المصاهرة أو المشاركة ، فلا بأس أن يبين له أمره ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة » قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال : « لله ولرسوله ولعامة المسلمين وخاصتهم » . ولتكن دائما على بينة من قوله صلى الله عليه وسلم : إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى . قال تعالى : « أوجب أحذكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » :

هذا تقرير للحكم ، وحمل على امتثال ذلك النهي ، بتعقيبه بما ضربه له مثلا من جعله بمنزلة أكل اللحم ، فإن من مزق عرض إنسان فسكأ ما مزق لحمة وهشه نهشا ، أليس اللحم يستر ما وراءه من العظم فإذا مزق انكشف ستره ؟ وكذلك قرص الأعراس فيه كشف الستر عما يجب الإلصاق ستره . ثم في نهش الأعراس من ميل النفوس الشريرة واستمراءها ما يكون في نهش اللحم من ميل النفوس الشريرة واستمراءها .

ولقد أبدع هذا الأسلوب في التنفير من ذلك الأمر لدى كثير الابتلاء به أيما إبداع ، فقد صور به بحجة ما حقه أن يكون في غاية الكراهية وهو أكل لحم الأخ ، وزاده أن صور به بصورة الميت ، وحقه أن يكون منه أنف . ومشايبته له من حيث إن كلا من الغائب والميت لا يستطيع الدفع عن نفسه . والتعبير بكلمة « أحذكم » لبيان أن أحدا مما من الناس لا ينبغي له ذلك . وكيف وهو مع أخيه لا مع عدوه الذي قد يعذر إذا أراد أن يتشبه منه ؟ ثم كيف وأخوه ميت لا يستطيع الدفع عن نفسه ولا مقاومة من يهاجمه ؟ ولو كان جبا يقدر على المقاومة لالتبس لنفسه العذر بالمغالبة . هذا إلى إبراز الحكم

في معرض الاستفهام لحمل المخاطب على أن ينطق به ويعترف بقبحه من نفسه ، كأنه أظهر من أن يذكر لك ، وإنما يكفي أن تلفت إليه نظرك لتعرفه أنت بنفسك .

أما قوله بعد ذلك : « فكريهتموه » فهو من إصدار الحكم عليه حسبما وقر في النفوس السليمة ، وهو أن هذا العمل لا يقبله أحد ، ومن أحبه فقد كرهه الناس جميعا . وقد سموا الفاء في مثل هذا التركيب فاء الفصيحة ، وقالوا إنها تفصح عن مقدر في الكلام ، وكأن التقدير : إن يفعل ذلك أحد فقد كرهتموه . وتغيير الأسلوب على هذا الوجه من المبالغة في التنفير ، فبعد أن عرض الأمر على نفس النهى ، وخوطب بما يستخلص منه الحكم بإقراره واعترافه ، وهو أنه لا يجب أحد ذلك ، عدل الى تقرير ما تقضى به العقول عند الجميع ، وهو أن من يفعل ذلك فهو مكروه بغض ، فهذا الحكم مما لا تستريح له نفس ولا يقبله عقل ، والتصريح بالكراهية أشد من نفي المحبة .

ولما كان الاغتياب مما يتفشى في الناس غالبا ويغفل الكثير مما فيه من المساوىء والقبائح ، أكد النهى عنه بما تولى ، ثم أودف ذلك باليسم الشافي ، والدواء الناجع لكل داء من أدواء النفوس ، وذلك هو تقوى الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، تقوى الله الذى ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم ، تقوى الله الذى يعلم السر وأخفى ، فقال : « واتقوا الله » احذروا عقوبته وقوا أنفسكم من غضبه ، فلا يدلكم بدفع عذابه ، ولا قدرة لكم على احتمال مقتته . اتقوا الله ونوبوا اليه مما فرط منكم ، فأقلعوا عنه ، وصمموا على عدم العودة اليه ، واستشعروا الندم على ما فرطتم في جنبه ، إن الله تواب رحيم ، يقبل التوبة عن عباده مهما كثروا ، ويعفو عن السيئات مهما عظمت ، وهو وحيم بكم ، يرشدكم الى ما فيه خيركم ، ولا يفلق باب الإجابة في وجوهكم . ولكن إياكم أن تظنوا أن مجرد كلمة « تبت الى الله » تعتبر توبة حتى مع الإصرار على المعادة ، فالتوبة لا تكون توبة ما لم يصحبها الإقلاع عن الذنب ، والندم على ما كان ، والتصميم على أن لا يعود

الى مثله، مع استحلال صاحب الحق من حقه، أو الاستغفار له إذا تمذر أن يستحله مما جنى عليه.

هذا والحق أن الغيبة من الكبائر لهذه الآية، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه» فقد جمع العرض الى الدم والمال في حكم واحد، ولا شك في أن التعمد عليهما كبيرة، فكذلك العرض، بل قد يتساهل المرء في المال حيث لا يتساهل في العرض، بل ربما تسامح المرء فيما أصابه في بدنه ولا يتسامح فيما أصابه في عرضه، والله القائل:

جراحات الستات لها التثام ولا يلتام ما جرح اللسان

ومن الناس من زعم أنها صغيرة متعللاً بأمرين: الأول فشوها في الناس، والثاني ما ورد أنه صلى الله عليه وسلم مر على قبرين فقال عمن فيهما: «إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير: أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الثاني فكان يوض في أعراض الناس». ولا حجة له فيما ذكر، أما الأول فإن شيوع الجريمة لا يغير من حكمها مهما كثر فاعلوها، واعتبر بكثرة الكافرين مع المؤمنين وأنهم فيهم كالشجرة البيضاء في الثور الأسود. وأما الثاني فعنى ما يعذبان في كبير أنهما لم يكونا مرتكبين ما يكبر عليهما تركه ويشق عليهما اجتنابه والتخلص منه لو أرادا، فليس الاستبراء من البول والتزهد عن الجلاسة من التكاليف المرهقة الشاقة، وليس ترك أعراض الناس بدون نهش مما يتعاضى على ذوي النفوس الكريمة. وما أحلى قول القائل:

وقوم راعهم منى مقاي وقدر العلم والشرف اللباب

فعايونى على فضلى عداً ومتلى لا يعيب ولا يعاب

ولا يفوتنا قبل أن تنتهى من الكلام على الآية الكريمة أن ننبه على بعض أمور يتجلى بها براعة الأسلوب الكريم:

الأول: أنه قيل في ختام الآية السابقة: ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون، وقال في ختام هذه الآية: واتقوا الله إن الله تواب رحيم، وذلك أن الأولى كانت

في التهمى عن السخرية واللمز والتناز بالآلقاب ، وكل ذلك مما يظهر فيه نية الشر والتحرش بالغير والعمد الى الايذاء ، وهو من العدوان الشديد الذى يستتبع الشر الكبير ، فذلك كان الحث فيه على التوبة بعبارة فيها التوعد الشديد بقوله : ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ، بل مهدله بقوله : يتأس الاسم الفسوق بعد الإيمان . أما باب الغيبة فهو وإن كان محرماً وكبيرة على ما ذكرنا ، فليس فيه من عوامل إرادة الشر ما فى الأول ، فاكنتى فيه بالأمر بالتقوى ، والإرشاد الى أن باب التوبة مفتوح ، وأن الله تواب رحيم . الأمر الثانى : أن قوله : « فكريهتموه » فيه ضمير منصوب إما أن يرجع الى من فعل ذلك ، وكراهة الفاعل تابعة لكراهة فعله ، أو يرجع الى نفس الآكل المصور بالصورة السابقة ، أو الى اللحم المسأ كول إذ كان لحم ميت ولحم أقرب الكائنات اليك فلا تشهى نفسك أن تتصلع منه . والتنفير المقصود مستفاد على كل احتمال .

الأمر الثالث : أن قوله : « واتقوا الله » معطوف على اجتنبوا فى أول الآية ؛ أو على كرهتموه ، لأن بعضهم يقول إنها وإن كان لفظها لفظ الخبر فإنه أمر فى المعنى ، فكانه يأمر بالاجتناب عن ذلك الأمر الذميمة وبغضه ؛ وعبر عنه بصيغة الخبر ليشير الى أنه أمر جارم وامتناله محتوم لا محالة ، وكأنه حصل وتحقق ؛ أو هو معطوف على مضمون الآية بتمامها ، إذ كان تذييلاً لهذا الحكم مقررأ له برمته .

وبعد : فالغيبة قد يتهاون بعض الناس فى أمرها ، فيقع كثير منهم فى شرها ، ولو علموا ما تستتبعه من غرس العداوة والبغضاء ، وشحن النفوس بالشحناء ، وتفريق الشمل المجتمع ، وتمزيق الوحدة النافعة ، وحرمان الناس من نعمة التواد والتعاطف ، ما أقدموا عليها ، ولا استساغوا طعمها ؛ فكيف وقد ورد فيها وفى غيرها من آثار اللسان « وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ؟ » .

نسأل الله أن يعصمنا من الزلل ، ويوفقنا لصالح القول والعمل ، إنه سميع مجيب .

إبراهيم الجبالى

## أثر العبادۃ فی حياة المسلمين الاجتماعیة

صنّی مجلس یوماً وأحد رجال القلم من غیر المسلمين ممن تؤدّبهم بحوثهم الی تناول الكلام عن الاسلام ، فلما أخذ کل منّا مجلسه ، نظر الیّ وخصنی بکلمات من الثناء شکرتہ علیها ، ثم قال : لقد کنت أرجو أن یضمّنی وإیاک مجلس فأطرح علیک سؤالاً أدلت البحت فی جوابه حتی هتدیت الیه ، وأحب أن أری رأیک فیہ .

فقلت له : وما هو ذلک السؤال ؟

فقال : یمّ تعمل سرعة قیام المسلمين ، وانسیاحهم فی الأرض ، وتأسيسهم لدولة بذت دولة الرومانيين فی الانساع وبسطة السلطان ، مما حیر عقول الباحثین ولم یجدوا له تعلیلاً یقبله العلم الاجتماعی وتسیفه فلسفة التاريخ ؟

فقلت له : أتحفنی بالجواب الیّ وفقت الیه لأری رأی فیہ أولاً .

فقال : إنی أری أن علة هذه السرعة کانت شدة تماسکهم ، وقوة ترابطهم ، حتی أصبحوا علی کثرة عددهم کالجسد الواحد تدره إرادة واحدة ، ویدير حركاته عقل واحد .

قلت : أحسنت فی وجدان العلة ، فإنه جدير بأمة نصیب من الترابط کالجسد الواحد أن تأتئ بالآیات فی التوسع وبناء صروح المجد ، ولكن فأتک أمر جلیل وهو أن تفسر کیف حدث ذلک التماسک الذی لم یکن مثله لأمة قبلهم ، وقد كانوا فی أمسهم مثلاً یضرب فی تفرق الکلمة ، وفی النعافذ الذی کان کثیراً ما محملهم علی لتناحر ، فإن انقلاب جماعات كانوا بالأمس علی شر حال من التناذب والتکافح الی جماعة واحدة متحدة المبدأ والغایة ، تضطلع بمهمة اجتماعیة کأنی اضطلع بها المسلمون الأولون ، وتنجح فی أدائها ، رغماً عن جمیع العقبات الیّ صادقها ، والقواطع الیّ قابانها ، قلنا : إن مثل هذا

الانقلاب الحير للعقل يعوز تفسيراً ، إذ ليس هو بالأمر العرضي ، ولا بالسبب الثانوي ، ولكنه الأصل الأصيل في إحداث ذلك لتماسك الذي أدهشكم من آثاره ما أدهشكم . وإذا كان هذا أثر التماسك بين آحاد الأمم ، فما الذي ينعما أن تأخذ به لتصل الى أقصى غايات الاجتماع من أقرب الطرق إليها ، وبمثل السرعة التي أدت المسلمين إليها ؟

فسكت مخاطبي قليلاً ثم قال لي : وما سر ترابط المسلمين هذا الترابط المتين في نظركم ؟ قلت : إن سره في نظري يرجع الى الحكمة التي بنيت عليها عبداتهم ، فقد كتب على المسلمين صلاة وصوم وزكاة وحج . فاصلاة عمل تشترك في أدائه الجوارح والقلب معاً ، وقد روعي في حركاتها الجسدانية أن تمثل الانساق واقفاً أمام خالقه خاشعاً مستسلماً قارئاً ، فإذا أتم قراءته ركع خاضعاً ، ثم قام وخر ساجداً ، واضعاً جبهته على الأرض ، وهو غاية ما يستطيع الانسان أن يظهره من دلائل الطاعة والعبودية لقيوم السماوات والأرض . أما عمل القلب فقد أمر الانسان أن يتجرد فيه من جميع علاقاته بالدنيا ، وأن يثير في نفسه شموراً قويا بصلاته بمخالقه . فيطلب اليه أول ما يدخل الى الصلاة أن يقول : « الله أكبر » قاصداً بذلك محق جميع الأغيار ، والتحلل من جميع الآصار ، مطرحة كل هوى وكل خاطر ، حاصراً جميع قواه الروحية في مبدعه الحكيم الذي لا يحصره وصف ولا يحده مكان . فإذا تم له هذا التجرد بدأ يتلو أم الكتاب ويعقبها بما تيسر من السور أو الآيات . فهذا العمل القلبي إذا أدى على ما ينبغي رفع من نفسية الانسان ما لا ترفعه دراسة الفلسفة سنيين ، وهذب من شعوره ، ولطف من إنسانيته ، وأزال من أدواء نفسه ما لا تستطيعه العلوم مجتمعة .

والصوم إمساك عن الآكل والشرب ساعات معدودة ، يقضيها المسلم في فكر أو ذكر أو عمل ، بعيداً عن المشاغبات والمأكسات ، تفرغ فيها النفس لذاتها نحت جو من التجرد صالح لا يراز أقصى مكنوناتها من القوى المعنوية ، والأنوار القدسية .



والزكاة مهران إجباري للنفس على أن تفكر في حاجات غيرها ، وتسد مفارقة إخوانها ، وإخضاع للنفس بسلطان الشريعة على أداء حق المجتمع من المال الذي اجتمع لديه ، باعتبار أنه عضو من هذا المجتمع لا حياة له إلا بحياة المجموع وسلامته .

والحج رمز عملي لوحدة الوجهة ووحدة الغاية ، وإشعار للناس كافة بأنهم إخوان في الله ، وإن فرقت بينهم المناسبات ، وبأبنت بينهم المناصب ، وأنهم وهم محرمون في صعيد واحد يمثلون حالة الفطرة ، إخوانا متحابين أمام معبود واحد ، لا ينظر الى صورهم ولا الى أموالهم ، ولكن ينظر الى قلوبهم وأعمالهم .

إن هذه العبادات كلها تتكافل في إعداد النفوس الى كمالها باستثارة القوى المعنوية الكامنة فيها ، فما الذي يمنع هذه النفوس من التحاب والترابط ، وجميعها قد خالص من إيسار الأوهام ، واقتك من سلطان الأهواء ، ونظهر من أدران الأدواء ؟ وكيف لا يكون الترابط بينها على أقوى ما يتخيل وقد سلمت من جميع العلل المفرقة ؟

قلت لمحدثي كل هذا ، فأظهر إعجابه به ، ثم أخذنا في أحاديث أخرى حتى تفرقتا . وإني أحب في نهاية هذه الحادثة أن ألفت نظر المسلمين الى وجوب أداء العبادات على ما أمر الشرع الحكيم : من التدبر فيها . وإعطائها حقها من الخشوع ، والمثابرة عليها . وقد أشار الله الى ثمرات هذه العبادات في تكمين الإنسان فقال في حق الصلاة : « إن الإنسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا ، إلا المصلين » . فانظر الى هذه الثمرة الكريمة التي تنحصر من الصلاة ، ثمرة لو بذل الإنسان في سبيلها ملء الأرض ذهباً ما حصل عليها ، وهي أنه يصير من ثبات الجأش ، ورباطة القلب بحيث لو أصابه ما تطير له النفس شعاعاً ، ويتخلع من هوله الفؤاد ارتياحاً ، ثبت له ثبوت الرواسخ ، وهذه منزلة تحدث عنها الفلاسفة ولم يصلوا اليها ، وقد نالها المسلمون بفضل إيمانهم وعبادتهم ، فكانوا إذا زلزلت الأرض تحت أقدامهم ، ومادت رواصي الخطوب أمام أعينهم ، صمدوا لها مطمئنين ، حتى تأخذ حدها وتنجلي وقد زادتهم إيماناً الى إيمانهم .

وقد أمرهم الله إذا جد الجِد ، و شتد الكَرْب ، أن ياجأوا الى العبادة يستمدون منها روحا يقاومون بها ما يحتوشهم من خطر ، ويساورهم من أمور كُبر ، فقال تعالى : « واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين » . فانظر كيف يأمرهم أن يلبأوا الى الصلاة يتقون بها الشدائد ، ويستفتحون بها أبواب الخير .

وقد أوعد الله تعالى الذين يعبدونه وهم لاهون بأموالهم الدنيوية ، لا يتدبرون ما يقولون ، ولا يعقلون ما يقرءون ، فقال : « ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » فإن مثل هذه الصلاة لا تؤدي الى الثمرة التي وضعت لها ، فلا يحصل مقيمها على شيء ، قال عليه الصلاة والسلام : « كم من مصل ليس له من صلاته إلا التعب ، وكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » .

ووصف الله تعالى الصلاة بأنها طهور للانسان تدرأ عنه أدران الصفات الساقطة ، والخصال الموبقة ، فقال تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ، فإذا أداها الانسان حق تأديتها منعتة عن محارم الله ، وحفظت له كرامة إنسانيته . وإذا أداها ساهيا أو لاهيا حرم من ثمرتها ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » .

وقال الله تعالى في ثمرة الصوم : « وأن تصوموا خير لكم » وهذا الخير لا يقف عند حد ، فإن النفس متى انقطعت عن أهوائها ورغباتها بالصوم ، استعدت لتبقى الافاضات الإلهية ، وكان اتصالها بالعالم لروحاني أكمل وأنهم مما تكون عليه في حالتها العادية ، وليس في وسع أحد أن يقدر قدر ما ينال الانسان بهذا الاتصال من الرتب المعنوية . فلا غرو أن يكون المسامون وهم يتعرضون لكل هذه المزايا الروحانية على أكمل ما يتخيل لأمة من الترابط والتساند ، وعلى أعلى ما يتصور من ثبات جأش أمام الزعازع ، ورباطة قلب حيال الخطوب الجسام ، فيحاولون تذليلها بقول لم يذهب بها الهلع ، ولم يؤثر فيها الذعر . ولا عجب بعد ذلك أن يلين لهم ما استعصى على غيرهم ، وأن يلبغوا ما حاولوا أن يصلوا اليه بأسرع مما وصل اليه سواهم ؟

محمد فرير ومجدي

## بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتَاوَى

### خروج النساء من البيوت

ورد إدارة المجلة من أحد مشتركيها باليوم السؤال الآتي :

هل يجوز خروج النساء من البيوت أو يحرم لقوله تعالى : « وفرن في بيوتكن » ؟  
وما رأى اسادة العلماء في حال النساء الآن مما هو معروف للجميع ؟

### الجواب

أمر الله تعالى نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالمسك في البيوت وعدم الخروج ،  
فقال : « وفرن في بيوتكن » وهو أمر يدخل فيه جميع النساء ، لأنه لا دليل على  
الخصوصية ، بل غيرهن أولى بذلك .

وقد أخرج الترمذي والبخاري عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم  
وسم قال : « إن المرأة عورة ، فإذا خرجت من بيتها استشرقها الشيطان ، وأقرب ما تكون  
من رحمة ربها وهي في قعر بيتها » . غير أن هذا الحكم مقيد بما إذا لم توجد ضرورة  
دينية أو دنيوية تقتضي خروجها ، فيجوز أن تخرج للحج مثلاً لقوله تعالى : « ولله على  
الناس حرج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ، وفي الحديث الصحيح أن النساء قالت للنبي  
صلى الله عليه وسلم : « غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من أنفسك » ، فوعدهن يوماً يقمن  
فيه ، فوعظهن وأمرهن فقال لهن : ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها  
حجاباً من النار . فقالت امرأة : واثنتين ؟ فقال : واثنتين « الحديث .

فأنت ترى من الآية أن الله طلب من الناس الحج ، وهو يستدعي الخروج

الى مكة ، ومن الحديث أن النساء طلبن سماع العلم وتخصيص يوم لهن فأجبهن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يسندى الخروج أيضا بلا مشقة . وما حضور النساء الى النبي صلى الله عليه وسلم وسؤالهن عن أمور دينهن بقليل .

والخلاصة أن في خروج المرأة تفصيلا ، حاصله عندنا معشر المالكية أن المرأة إذا كانت عجوز لا أرب للرجال فيها جاز خروجها في كل وقت لقضاء حوائجها ، وجنازة أهلها وأقاربها ، ومجالس العلم والوعظ ، وإن كانت شابة غير مخشية الفتنة ، جاز خروجها أيضا لجنازة أهلها وقرابتها وقضاء حوائجها إذا لم تحدد من يقوم لها بذلك ، وذلك بشروط :

١ — أن تلبس خشن الثياب لا رقيقها .

٢ — وأن لا يبدو منها ما يحرم النظر إليه

٣ — وأن تكون الطريق مأمونة .

٤ — وأن لا تمس طيبا ولا تبدى زينة .

وإن كانت مخشية الفتنة حرم خروجها مطلقا .

أما كشف عنقها وصدرها وذراعيها وساقها فلا يجوز بوجه من الوجوه وكذلك مصافحتها بالأحائل : حرام ولو لم يثر فتنة ولم يحرك شهوة . فيجب على الناس أن يمتنعوا لذلك ، حتى لا تقع المصافحة بين الجنسين إلا بأحائل . وقد تساهل الرجال والنساء الآن في ذلك كل التساهل .

أما إذا خشيت الفتنة ولم يؤمن الفساد ، فلا يجوز كشف وجهها ولا شيء من بدننها بحال من الأحوال عند جميع العلماء . وللشريعة نظر واسع وحكمة بالغة ، فتراها تحرم وسائل الفساد وكل ما يقضى إليه ولو في بعض الناس ، سد للذرائع ، وحصل المادة الشرور ، علما منها بأحوال النفوس البشرية وما جبلت عليه . ولذلك حرمت الخلوة بالأجنبية ولو مع أصالح الصالحين وأورع الورعين . فهذا هو حكم الله ودينه .

وقد أطنب القرآن في ذلك غاية الإطناب لأجل ما فيه من الشرور وما يجر إليه من المفاسد كما قلنا . وقرأ إن شئت قوله تعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن » ، وقوله عز وجل : « ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نساءهن أو ما ملكت أيمانهن ، أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضررن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » ، إلى غير ذلك من أمر الرجال والنساء بنفس الأَبصار واليَمد عما عسى أن يؤدى إلى مالا تحمد عقباه شاءوا أم أبوا . والاختلاط أس الشقاء والحمية رأس الدواء .

فانظر إلى أى حد وصل النساء الآن من التهلك وعدم المبالاة ، وكأن امرأة القرن العشرين لا تريد أن تكون امرأة كما خلقها الله ، فتراها تخرج إلى الأسواق بلا ضرورة ، بل تغشى المجالس والمجامع بدون حياء ولا احتشام ولا تحفظ . وهو انقلاب فظيع وفساد كبير . وقد جعل الله لها في المجتمع وظيفة خاصة وأعمالاً تستغرق كل أوقاتها لو أرادت أن تقوم بها على ما يجب عليها وليس قسطها من الواجب في تربية الأطفال وإصلاح شئون البيت وما يوجب للرجل فراغ قلبه لمهمته الساقة وإعداد وسائل الراحة والطئاة له ، حتى يكون البيت جنته التى يأوى إليها من شقائه ويستريح فيها من عنائه بأقل من قسط الرجل في واجبات الحياة . والحكمة تقتضى توزيع الأعمال وتخصيص كل بما يليق به ، بل الحق سبحانه وتعالى راعى ذلك في خلقه ، فخلقهم مختلفين الاستعداد ليختص كل بما هو أولى به ، فسيحان الحكيم لعليم .

وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء . « تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك

ثم الظالمون ». وقد اعتاد الناس رؤية تلك المنكرات فصاروا لا يستنكرونها، ولا تنفعل نفوسهم من أجلها، غافلين عن مقتضى الطباع وما للشهوات البشرية من السلطان الأكبر على النفوس، ولذلك حرم الدين لمس المرأة بكل وجه من الوجوه ولولباشهوة، ونهى أن يحتل الرجل بالمرأة ولو كانا صالحين عفيفين، سدا للدرائع، وقطعا لوسائل الفتنة كما قلنا .

ولسنا نعلم شهوة من الشهوات لها ذلك الأثر البالغ والسلطان القاهر في نفس الإنسان بمقتضى جبلته البشرية وتكوينه الطبيعي أعظم من ميل الرجال الى النساء، وميل النساء الى الرجال . وكما قد سمعنا من الحوادث المؤلمة ما فيه من دجر، ورأينا من المشاهدات المخزية ما فيه ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ولكننا في زمان فسدت فيه النفوس، وانقلبت فيه الرءوس، فظهر التدهور والانحطاط بمظهر الرق والنهوض، وسيئات الأعمال ومساوى الأخلاق بمستظرفاتها ومحاسنها . وشواذ الآراء وفاسدات العقائد بصورة التجديد والابتكار، والتمسك بالفضائل والآداب بصورة التأخر والجمود :

تشكل فينا كل شيء بشكل ما يباينه والنس عنه نيام  
قال الله المشتكى وبه المستغاث من زمان لبست فيه الرذيلة ثوب لفضيلة، وتجلت فيه الفضيلة بصورة الرذيلة .

والرزية كل الرزية عدم الإحساس بذلك، وفقد الحمية الدينية والمخوفة الانسانية والرجولة الصحيحة، وتتابع الناس على ذلك من غير شعور ولا تبصر . وكيف يستحي الإنسان من الإنسان وهما سواء فيما يقترفان، ولا زالا كذلك حتى يبطل منهما الإحساس بالرذيلة، ويسهل عليهما القضاء على الفضيلة :

هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود

## صلاة الجمعة لغير المستوطنين

دوردد أيضا من حضرة صاحب التوفيق السؤال الآتى :

هل تجب الجمعة على قوم أقاموا ببلدة وعمروها غير مستوطنين لها ؟

محمود شحاته

بالفرقة

### الجواب

استيطان البلد أى نية الإقامة فيه على التأيد شرط لصحة الجمعة ووجوبها أصالة عند المالكية . فاذا عمر قوم بلدا وأقاموا به غير مستوطنين له ، لم تجب عليهم الجمعة ولا نصح منهم . ومع هذا لو ارتحل منهم شخص الى بلدة الجمعة وأقام بها أربعة أيام وجبت عليه الجمعة تبعاً لأهل هذه البلدة . فالوجوب الأصلى يستدعى الإقامة على التأيد ، والوجوب التبعى يستدعى إقامة أربعة أيام فقط . والله أعلم ؟

### توسعة المسجد من المقبرة

وجاءنا من حضرة صاحب التوفيق اسؤال الآتى :

هل يجوز نبش المقابر ونقل ما فيها من عظام ورفات ، وجعل ميضأة المسجد

ومراحيضه مكان المقبرة عند الحاجة ؟

ابراهيم لاشين

من كفر أبرد

### الجواب

صرح العلماء فى باب الجمعة أن المسجد العتيق إذا ضاق يوسع من المقبرة . وكذلك

صرحوا فى باب الوقف أن المسجد يوسع من المقبرة والطريق . لكن ينبغى أن يعلم

أن المسجد هو المكان المعد للصلاة ، فليست الميضة والمراحيض من المسجد ، وإنما وضع كل منهما تسهيلا على المصلين في الوضوء وقضاء الحاجة . وإذا لا يجوز جعل الميضة والمراحيض مكان المقبرة ، لأن هذا العمل ليس من توسعة المسجد في شيء . والفرق أن إقامة الجمعة في المسجد سنة يقاتل على تركها ، بل قيل إنها واجبة ، والوضوء من الميضة لا فضل فيه ، بل الوضوء في البيت أفضل . والله أعلم

## متى تجب الزكاة في النقدين والحب

وورد من حقرة صاحب الترتيع السؤال الآتي أيضا :

متى تجب الزكاة في النقدين : الذهب والفضة ، وما مقدارها ؟ ومتى تجب فيما يخرج من الأرض العشرية أو الخراجية ، وما مقدارها في كل منهما ؟

محمد محمد جمال الدين  
بالساحل

## الجواب

كل من ملك نصاب النقدين وهو عشرون دينارا ذهبيا أو مائتا درهم فضة ، وحال الحول على ملكه النصاب ، وجبت عليه الزكاة ، وهي ربع العشر ، فيخرج نصف دينار من العشرين وخمسة دراهم من المائتين ، إلا أن يكون عليه دين يساوى النصاب أو ينقصه فلا زكاة عليه . ومن خرج له من أرضه حب مقدار النصاب وجبت عليه الزكاة ، وهي العشر إن سقى بتغير آلة كالمنظر ، أو نصف العشر إن سقى بالآلة كالذوالب ( ومنها الواورات ) . ولا فرق في ذلك بين أن تكون الأرض خراجية أو عشرية عند مالك ، فإن ذلك لا يسقط الزكاة ، كما أنها لا تسقط بالدين على مالك النصاب من الحبوب التي تخرجها الأرض . والله أعلم



## البيع نقدا وبأجل

ورود إدارة المجلة سؤال من أحد التجار يقول فيه :

إن البيع عند التجار يجري على نوعين : فإما يكون بالنقد ، وإما يكون لأجل .  
فأما البيع بالنقد فمعروف أن التاجر يحدد له ثمنا بعد أن يضيف إليه ربحا بسيطا  
مراعيا فيه عدة عوامل : منها مزاومة أقرانه في السوق ؛ ومنها أن يقبل الناس على  
متجره وهم واثقون برخص أثمانه ؛ ومنها أن يتمكن من قضاء مصالحه بالنقد الذي  
يبيع به ، كسداد دين أو شراء بضائع بالنقد ، أو مصروفاته ومصروفات محله الخ .  
ومن أجل هذه العوامل وغيرها ربما ألجأته الضرورات إلى أن يتنازل عن جزء  
من أرباحه أو أرباحه كلها ، بل ربما اضطر إلى ترك شيء من رأس ماله حينما يكون  
محتاجا للنقد .

وتختلف هذه الحالة عند البيع بالأجل ، فمند يبعه بالأجل عليه أن يراعى عوامل  
عديدة : منها مقدرة المشتري على كيفية السداد إن كان ليعاد قصير أو ميعاد بعيد ؛ ومنها  
تقديره لمصروفات يضطر لصرفها كسفريات ومحاطبات ؛ ومنها انعدام بعض هذه الديون  
أو هلاك جزء منها .

ففي هذه الحالة يضطر التاجر أن يعمل لمثل هذه الأحوال حسابها ، ولا يمكن  
أن يبيع مبيعاته لأجل بتمن واحد ، فلكل مشتر لأجل ظروف في السداد كما أسلفنا .  
فلهذا تجد أن البضاعة التي يكون ثمنها نقدا مائة قرش ربما يضطر إلى بيعها لأجل  
بمائة وعشرة ، ولشتر آخر بمائة وعشرين أو ثلاثين .

فما رأى الشرع الشريف في هذا البيع ؟ وهل للربا دخل في هذه الحالة ؟

## الجواب

إن البيع في جميع هذه الصور التي ذكرت في السؤال حلال لا شيء فيه ، فإن

العلماء صرحوا بأن الأجل له حصة من الثمن . فلا غرو أن تختلف الأثمان باختلاف  
الآجال نظرا الى تلك الأمور التي ذكرها السائل .

ولا يعقل في الشريعة التي هي تنزيل من حكيم حميد ألا تراعى مصالح الناس  
فتكلفهم أن يبيعوا المؤجل كالمجمل ، أو يجعل ما قرب أجله مثل ما بعد أجله ، فإيس  
في ذلك شيء محرم ، إلا أن يبيع بثمن لأجل ، فإذا لم يدفع عند الأجل زيد فيه بحسب  
التأخير ، فهذا هو المحرم . وأما البيع بثمن متفق عليه من أول الأمر فلا شيء فيه  
كائنًا ما كان . فعلى التجار ألا يغشوا ولا يحلفوا ، ولهم أن يبيعوا بما يشاءون ، بشرط  
أن يكون ذلك معروفا متفقاً عليه عند البيع بحيث لا يزيد ولا ينقص .

أما إذا كان بحيث كلما تأخر عن الدفع زيد عليه شيء في نظير ما يزداد على الأجل  
الذي حددوه عند البيع ، فذلك ربا محرم كما قلنا ، وهو موجب لعنة الله تعالى . فيحذر  
منه المسلم الذي يشفق على دينه ونفسه . والله يتولى هدى الجميع .

## الحلف بأيمان المسلمين

وجاء من حضرة صاحب التوفيق السؤال الآتي :

ما هو اللازم في قول الشخص : وأيمان المسلمين لا أفعل كذا ثم فعل ، أو لا أفعلان  
كذا ثم لم يفعل ؟  
محمد شعبان رفاعي  
خادم القرآن الكريم بالقوصية

## الجواب

أيمان المسلمين من صيغ العموم : يتناول كل ما اعتيد الحلف به . فلذا قال المالكية  
في قول الشخص : أيمان المسلمين تلزمني : إنه يلزمه كل ما اعتيد الحلف به من المسلمين .  
والاعتاد الآن في عرف مصر الحلف بالله وبالطلاق . وحيثئذ فاللازم لمن حلف بذلك

كفارة يمين وبث من يملك عصمتها ، ولا يلزمه مشى الى مكة ولا صيام ولا عتق كما كان في العصور الأولى ، لعدم من يخلف بذلك الآن . هذا هو المشهور في مذهب مالك ، وهو المفتى به عند المالكية .

وقد نقل بعض العلماء الخلاف في هذا اللفظ فقال : وليس لمالك في «أيمان المسلمين» كلام ، وإنما الخلاف فيه للمتأخرين : فقال الأبهري : يلزمه الاستغفار فقط ، وقيل كفارة يمين ، وقيل ثلاث كفارات ( نظرا للفظ الجمع الذي أقصه ثلاثة ) ، وكل ذلك ما لم ينو طلاقا ، وإلا لزمه . وقيل بث من يملك عصمتها ، وعتق من يملك رقبته ، وصدقة بثت ماله ، ومشى بحج ، وكفارة يمين ، وصوم سنة . وقد قدمنا لك ما هو المشهور من مذهب مالك ، وأنه يراعى ما اعتيد الحلف به في كل بلد من البلدان وزمن من الأزمان ، وأن المعتاد الآن بمصر هو الحلف بالله وبالطلاق لا غير .

ومما يحسن التنبيه عليه أن الشافعية يقولون : إن من حلف بأيمان المسلمين لا يلزمه طلاق ، وإنما يلزمه كفارة يمين . وقد تقدم لك أن بعض المالكية يوافقونهم على ذلك . ومنهم من يقول : يستنفر الله ولا شيء عليه . ودين الله يسر ، والحمد لله على اختلاف المذاهب . والله أعلم .

## حكم أكل الفسيخ

دورود من حضرة صاحب التوفيق السؤال الآتي :

هل يجوز أكل الفسيخ أم محرم ؟

عبد ربه طه

مهندس كوبري سنبار

## الجواب

السمك لا شك في طهارته ، ولكن الدم المسفوح نجس ، وهو السائل عن مقره في حال الحياة ينحو الفصد أو بعد الموت ولو بعد التذكية الشرعية من سائر الحيوانات

ولو من السمك ، خلافا للقابسى ، وتبعه ابن العربي حيث قالا : إن الدم المسفوح من السمك طاهر .

فالسمك إذا ملح ووضع بعضه على بعض حتى صار فسيخا ولم يتحلل منه دم مسفوح ، يكون طاهرا على القولين يحل أكله ، سواء أ كان ذلك من الصف الأعلى أم من بقية الصفوف . أما إذا خرج منه دم مسفوح بواسطة الضغط عليه بمثل مثلا ، فقد صار نجسا لا يحل منه إلا الصف الأعلى (وليغسل قبل أكله) دون بقية الطبقات السفلى على القول المشهور الذى به الفتوى ، فإنها تنجست بمرور الدم عليها ، ولا يمكنك تطهيرها لامتزاجها به . ويحل أكل جميعه على ما لابن العربي والقابسى .

وعلى المشهور إن شك كونه من الصف الأعلى أو غيره أكل ، لأن الطعام لا يطرح بالشك . هذا حكم الفسيخ على مذهب مالك .

ومذهب الحنفية أن السمك لا دم له ، والائل منه رطوبة فإذا ملح حتى صار فسيخا ، يحل أكله ، سواء أ كان ذلك من الصف الأعلى أم من الصف الأسفل أم من بقية الصفوف ، ما لم ينخش ضرره ، وإلا حرم للضرر لا للتنجيس . ودين الله يسر . وبعد : فالورع تركه على كل حال .

## البيع بالن زيادة الفاحشة

وورد من حضرة صاحب التوقيع السؤال الآتى :

هل يحرم البيع بالزيادة المتفاحشة على لثن المعتاد أو يجوز ولو كانت تلك الزيادة فوق فائدة الربا بكثير ؟ عبد الوهاب حسنين وهدان - بتفهما العزب

## الجواب

متى علم البائع والمشتري قيمة السلعة التى تباع بها فى الأسواق ، وحصل الغبن بزيادة فى الثمن غير معتادة ، أو نقص فيه كذلك ، فالبيع صحيح ولا حرمة فيه ، ولو كان الربح فوق فائدة الربا بكثير . وما مثل هذا إلا كزراع وضع قليلا من الحب فى أرضه

فأنبتت عشرة من الأرادب ، فالطريق مشروع ، والكسب حلال ورزق ساقه لله الى التاجر والزارع .

أما إذا جهلت قيمة السلعة ، فإن استسلم أحدهما لصاحبه بأن أخبره بجهله وائتمنه فيما يخبره به وما يحدده من ثمن ، فقال البائع للمشتري : قيمتها في السوق عشرون ، فإذا هي عشرة ؛ أو قال المشتري للبائع : قيمتها في السوق عشرة ، فإذا هي عشرون فلمغبون الرد ، وعلى صاحبه المؤتمن الكذب الحرمة . فإن لم يستسلم لصاحبه مع جهل القيمة ، بل باع أو اشترى على المغالبة ولمشاحة خُصل الغبن المتفاحش ، فالبيع صحيح لا رد فيه ولا حرمة على المشهور .

وقال بعضهم : إن وصل الغبن الثلث فأكثر من قيمة الساعة ، فسح البيع إن قام المغبون في أثناء السنة من يوم البيع وقد أفتى به ابن عرفة والمازرى والبرزلى . ومضى عليه ابن عاصم في التحفة . لكن رده ابن رشد بقوله : إنه غير صحيح لحديث « لا بيع حاضر لباد ، دعوا الناس في غفلاتهم يرزق الله بعضهم من بعض » .

قال في أقرب المسالك وشرحه : ولا رد بغبن ولو خالف العادة في القلة أو الكثرة ، كأن يشتري ما يساوى درهما بعشرة أو عكسه ، إلا أن يستسلم أحد المتبايعين لصاحبه بأن يخبره بجهله ، كأن يقول المشتري : أنا لا أعلم قيمة هذه السلعة فبعنى كما تبيع الناس ، فقال البائع : هي في العرف بعشرة ، فإذا هي بأقل . أو يقول البائع : أنا لا أعلم قيمتها فاشتر منى كما تشتري من الناس ، فقال : هي في عرفهم بعشرة ، فإذا هي بأكثر ، فلمغبون الرد على المعتمد ( بل باتفاق ، ولم يخالف فيه أحد ) . وإما الخلاف في الغبن من غير استسلام ، إذا كان المغبون جاهلاً . فإن كان عارفاً فلا رجوع له اتفاقاً ،

فإن استسلم الجاهل فالرد متفق عليه ، والله أعلم .  
 يوسف الدجوى المالكي  
 من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

## بدائع الطبيعة

في الطبيعة التي أحكم صنعها الخالق القدير عجائب وبدائع لا يمكن أن يستوعبها الوصف ، فهي تحلى ليس له حد ، يجد فيها العقل مورده العذب ، والقلب مرتعه الخصب ، كما قال تعالى : « وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم ، أفلا تبصرون . » وقد أخذ الله الذين يرون على آيات الله فلا يعيرونها نظرة ، ولا يحيلون فيها فكرة ، مع أنها خلقت وأبدع فيها التنبيه النفوس من رقادها ، وإيقاظ الأشاعر من سباتها ، وتغذية لأرواح بما تكشف عنه من أسرارها ، فقال تعالى : « وكأين من آية في السموات والأرض يرون عليها وهم عنها معرضون » .

وهل بلغ آباؤنا الأولون من السلطان العامي والمدني ما بلغوه ، إلا بفضل مشاربهم على كشف أسرار الوجود ، وتبين قواه الخفية ، وعوامله الذاتية ، واستخدام ما وفقوا عليه في تغذية أرواحهم وعقولهم ، وترقية علومهم وصنائعهم ؟ وهل وصلت أوروبا الى ما وصلت اليه إلا بتربسها خطواتهم ، وتبعها لمناهجهم ؟

لهذه لا اعتبارات أصبح حقاً علينا أن نأثي على فذالكات في فلسفة الطبيعة نضمنها ما يجب أن يكتشفه الناظرون في بدائعها من الأسرار الباهرة والآيات البينة : قال الأستاذ الفيلسوف الفرنسي الكبير ( كاميل فلامريون ) :

« الطبيعة ليست معروفة بقدر ما يجب أن تعرف ، ولذلك فهي ليست محبوبة بقدر ما يجب أن تحب . إن أكثر الناس لا يعرفونها حق المعرفة ، لأنهم يحكمون عليها من ناحية مظاهرها الساذجة ، إذ لا ينظرون إلا الى قشور أشجارها دون أن ينفذوا الى سر حياتها . وراهم يتنسمون أريج الأزهار دون أن يدرسوا سر هذا الأريج الفياح في صميم كئوسها العطرة ويحلمون تحت النجوم لزهردون أن يذكرو

المخلوقات المعجبية التي تعيش في الكواكب الأخرى السابحة في هذا الفضاء .  
 ونعيش جميعا على سطح الأرض دون أن نتأذى الطبيعة ، ودون أن نعتبرها الينبوع  
 الذي لا ينضب لكل متعة وكل هيام . إن قطعة صغيرة من العشب جديرة بأن  
 تفيدنا من العلم أكثر مما يفيدنا تاريخ الإنسانية وحروبها منذ أول رومولوس إلى آخر  
 قيصر . ولا يوجد في جميع بدائع المدنية مظهر يقرب في الروعة والجمال من مظهر زهرة  
 في بعض المروج . ولا يوجد في جميع التوقيعات الموسيقية ، لا أكبر أئمة فنونها ،  
 قطعة غنائية يمكن أن تفارق بمطلع من مطالع الشمس ، ولا يوجد بهو قد تنأى  
 في الإبداع في جميع قصورنا الباريسية ، يضاهي روعة القبة الزرقاء في ليلة حالية  
 بالكواكب الزاهرة . فنحن معشر العمى بإرادتنا نحرم وجودنا من أكمل السعادات  
 التي يمكن أن توجد في هذه الدنيا بعدم تعويد أنفسنا أن نحيا حياة عقلية ، وأن نتعرف  
 الكون البديع الذي نعيش فيه ، وأن تتمتع في كل لحظة باستجلاء المشاهد للنوع التي  
 تنوأل حولنا في مدى حياتنا .

إلى أن قال :

« كل حادث في تاريخ الطبيعة ليس له قيمة خاصة فحسب ، ولكنه يزيدنا علما بوحدة  
 الطبيعة أيضا ، وليس لكل وجهة نظر في الطبيعة فائدة محدودة فقط ، ولكنها تعيننا  
 أيضا على فهم حقائقها جملة ، فإن الحوادث الطبيعية مترابطة برباط عجوب عنا كترابط  
 التوقيعات في الأغنية الواحدة . فعلى المفكر أن يستمع إلى صوت الأغنية الطبيعية  
 العامة في الوقت نفسه الذي يقدر فيه علل حوادثها الجزئية . والكون ليس بأداة كبيرة  
 تعمل لوالها في عماية ، ولا هو بحركة تجري على غير شعور منها ، ولكنه قصيدة  
 مترابطة الأبيات ، بل هو حكمة عالية قائمة على أساس . والعلم الذي يقتصر على امتحان  
 الناحية المادية لشيء من الأشياء ، يعتبر علما ناقصا يقتل روح المشاهدات بدل أن يحياها .  
 فلا تنوهم أن الشعر والعلم يتنافيان ، فإن الشعر يبعث روحا في العلم ، والعلم يمد

الشعر بالإلهام والوحى . فلا نخاف من الجمع بين الحقائق الطبيعية ، والإلهامات الفنية الشعرية ، فإن الجلال هو الصورة الظاهرة للحقيقة ، ولا يسمح لأحد أن بمنعنا من الإعجاب به . وقد جرت العادة في مجال الأدب أن الكتاب يكثرون القول على غير طائل ، ويظهر لى أن الأمر يجب أن يكون على عكس هذا ، فينبغى أن يكون لكل موضوع أدبي غرض تسميى عام . فاماذا ينحط كاتب علمى من طبقة دالمبير ولا بلاس وأراغو وكلود برنر وبوانكاريه ، عن أى كاتب أدبي آخر ، وعن أى مصور خلقى أو أى مؤرخ ؟ لقد اشتمل الأدب دهرًا طويلًا بالمخترعات الخيالية التى تتفاوت فى درجات السبك ، فلتكلفه اليوم أن يصف لنا مظاهر الكون الخليفة منا بالإعجاب على الدوام .»

بعد أن قدم الفيلسوف الفلكى هذه المقدمة كتب تحت عنوان ( الحركة الطبيعية ) يقول ما معناه :

« كنت جالسًا الى ظل أشجار الصنوبر الفياح والأوكالبتوس العطر التى يزدان بخضرتها المغفرة الطرف الغربى من رأس ( أنتيب ) ، وكانت الطبيعة تظهر كأنها معجبة بنفسها فى هدوء شامل زف فى حلها الربيعية ، وكانت الأمواج ساكنة ، والطيور صامتة ، والشمس مائلة للغروب ، والطبيعة كأنها فى تلك اللحظة تسبح فى حلم لذيذ . فى هذه اللحظة الرهبة اخترقت مخي صورة واضحة للحركة الأرضية رأيت معها أنه رغمًا عن السكون الذى أنا فيه فاني محمول من هذا الكوكب على سيارة تخرق الفضاء الرحب بسرعة محيرة للعقل هى ١٠٦٨٠٠ كيلو متر فى الساعة الواحدة .

« فتحوّلت فجأة صورة الهدوء الظاهرى الذى كنت فيه الى صورة أخرى من حركة هائلة لا يشعر بها أحد .

« نعم إن الكرة الأرضية التى نعيش عليها هى فى حقيقةتها سيارة ثقها ٥٩٥٧٩٣٠ كنتليون كيلو غرام ، وطول قطر ها ١٢٧٤٢٢٠٠ متر ، تطوف بنا فى مدار حول الشمس



طوله ٩٣٦ مليون كيلو متر يضطرها أن تقطع يوميا ٢٥٦٣٠٠٠ كل يوم أى ١٠٦٨٠٠ كيلو متر في الساعة ، أى ١٧٨٠ كيلو متر في الدقيقة أى ٢٩٦٧٠ مترا في الثانية .

« هذه حالتنا من سرعة الحركة في أشد أوقات هبوبها ، وقد أبدع الخالق في تنظيم هذه الحركة ، حتى إن أدق حواسنا لا تحس بها ، مع أنها من هول السرعة بحيث وصفته لك .

« هذه الحركة الأرضية حول الشمس مدبرة بحيث لا تبعد الأرض عن الشمس فتضيع في متاهات الفضاء فهلك من عليها في زهرير ليس لشدة وصفها ، ولا تقرب منها فتحترق بحرارتها وتستحيل إلى بخار يضيع في الجو .

« وليست هذه هي الحركة الوحيدة للأرض ، فإنها تتحرك على محورها في كل يوم مرة ، ولها اثنتا عشرة حركة أخرى ، أشهرها حركة عامة تتحركها تبعاً لدوران الشمس وتوابعها حول مركز أضخم منها ، وحظ الأرض من السرعة في هذه الحركة يبلغ ٢٠ كيلو متر في الثانية الواحدة ، أو ١٢٠٠ كيلو متر في الدقيقة ، أو ٧٢٠٠ في الساعة ، وهذه المليارات من الكيلو مترات التي تقطعها جيلاً بعد جيل لا تبلغ أن تساوى خطوة واحدة في هذه اللانهاية الوجودية .

« الشمس نجم من النجوم تظهر لنا كبيرة وحارة ومضيئة ، لأننا أقرب إليها منا إلى غيرها ، وكل نجم من نجوم السماء له حركة خاصة لحركة الشمس ، وشمسنا وأخوانها من مجموعة النجوم المتأثرة بحركة مشتركة يؤلفن حركة زوابعية هائلة لا يستطيع الشعور لها وصفاً . وهذه المجموعة من الشمس التي لكل منها كواكب خاصة يطمئن بها ، والشمس الكبرى التي يدور حولها ، كلهن يدورن حول شمس أكبر منهن جميعاً في لانهاية كونية لا يتصور العقل لها حداً .

« كل شيء في هذا الكون يتحرك ، وليس في وسعنا أن نحدد مقدار السرعة التي للأجرام بالضبط ، لأن مقاييسنا تعتمد على مراكز هي نفسها في حالة حركة ، وبهذا

المقياس التقريبي نعرف نجوما تتحرك بسرعة مائة ومائتين وثلاثمائة وأربعمائة كيلو متر في الثانية ، فكل الأجرام السماوية التي تظهر لنا ثابتة وتؤلف مجموعات شمسية شبيهة بمجموعتنا الشمسية، كلها مدفوعة في الفضاء الى كل جهة ، ولسانها ثابتة إلا بسبب بعدها الشاسع عنا . فالنجوم السبعة للدب الأكبر تتباعد ببطء بعضها عن بعض ، وسواها من الثوابت يجرى مجراها بسرعة مذهشة ، حتى إن الشمس المسماة ( آلتا ) تتجه اليها على خط مستقيم في سرعة لا يدركها العقل ، فجميع هذه الشمس ومجموعاتها من الكواكب والتوابع تتطير في الفضاء في حالة زويعية مؤلفة أجزاء جئان ضخم عجيب حي بحياة مجبولة لنا في لانهاية كونية ليست كرتنا الأرضية فيها كذرة لا تدرك ، ولكنها ذرة تحكمها قدرة حكيمة مدبرة ، فتجرى شئونها على نظام مقرر لا تجد فيه خطا ولا تشويشا .

« وكل شئ ، على أرضنا هذه في حالة حركة دائمة ، فبخار الماء يتصاعد من البحار في حالة غير مرئية ، فتتألف منه السحب في أعالي الجو ، فتستحيل الى مطر مدرار يجرى في الأنهار والجداول راويا المروج والفياض ، ثم ترد هذه الأنهار نفسها أكثر هذه المياه الى البحر الذي صدرت منه ، بعد أن تكون قد أخذت منه للزراع والغابات حاجتها . والهواء يتحرك أيضا فتجرى تياراته الى كل جهة . ولا يستثنى من هذه الحركة حتى الخشب والمعادن والحديد ، فإن جواهرها الفردة المركبة لها تتحرك على الدوام حركات زويعية شبيهة بحركات الأجرام العلوية . فبرج إيفل المبني في باريس من الحديد الصرف ، تجده في الليل بسبب حركات ذرانه أطول منه في الصباح ، وفي الصيف أعلى منه في الشتاء . وترى الأشجار تتضاعف حجوما في الربيع ، وعشوش الأطياف ، تبنى ثم تبيض وتحتضن بيضها ، ثم يفقس هذا البيض وينشق عن صغار تربها أمهاتها ، وتفتح الأزهار ، وتطيب النمار الخ . فالحركة الدائمة العامة لا تنقطع عن سطح الأرض لحظة واحدة من ليل أو نهار ، ونحن نشترك في هذه الحركة المستمرة ولا نشعر بذلك .

« أما كتلة الأرض نفسها فلا تستثنى من هذه القاعدة ، فهي في حركة ذرية مستمرة ، وتفاعلاتها الباطنية متواصلة ، وقد تسبب أحيانا زلازل هائلة تهدم المدن وتبيد الأحياء .

« وأجسادنا نحن لا نخرج عن هذا النظام العام ، فحركات خلايانا لا تنقطع في ليل ولا في نهار ؛ وراثتنا تستنشق الهواء وترفره باستمرار ؛ وقلوبنا يدق بلا فتور في اليقظة والنوم ؛ ودمنا يجري في عروقنا لا يني ولا يستكين . وقد حسب الحاسبون أن قلبنا يخفق مائة ألف مرة في اليوم ، أو ٥٦ مليون دقة في العام ، أو ١٨٢٥ مليون خفقة في خمسين سنة . وقد يستمر خافقا مليارا أو مليارين أو ثلاثة مليارات ، فإذا وقف مات الانسان . فأى قدرة علوية ملأت هذه الدقاقة للوجود مرة واحدة لتبقى متحركة الى الأبد ؟

« كل ذرة من ذرات الهواء والماء والأخشاب والتراب والحديد ، وأى جسم كان ، كلها في حالة حركة مستمرة ، ولا توجد في هذا الوجود في حالة سكون ، فالحياة العاملة في هذا السكون لا يتصور العقل لها حدا .

« ففي الوجود وفي الطبيعة وفي الواقع وفي المعدالة وفي النظام الحى للكائنات الناموس الأعلى واحد لا يتغير ، وهو ناموس العمل المستمر والترقى العام .

نقول : هذا ما كتبه الأستاذ ( كاميل فلامهرون ) وأبدع فيه كل الإبداع ، وهو في تفصيله وإجماله لا يخرج عن قوله تعالى : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى لأبواب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانه ففنا عذاب النار » . فالسالمون مأمورون أن يتدبروا الخليقة ويعترفوا ما أودع فيها من أسرار وما وضع فيها من أعلام ، ابزاد العقل قسوة على فهم الحقائق ، والقلب تنورا بإبداع الخالق ، ويكون من أثر هذا الارتقاء الروحاني على الناس ارتقاؤهم في العلم ، وإتقانهم للصنائع ، وبلوغهم أقصى شأوا في المدنية الفاضلة .

محمد فريبر ومبرى

# السنة

الرفق بالحيوان

## سَمِ اللَّهُ الْجَمَلُ الْخَيْرُ

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بيننا رجل يمشى فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فلام نفسه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له. قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال: في كل كبد رطبة أجر.»

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض.» رواها البخاري.

الراحمون يرحمهم الرحمن؛ ومن لا يرحم لا يرحم؛ والرحمة من أجل مظاهر الآثار التي ينتجها الإيمان بالله الرحمن الرحيم؛ وما استجاب امرؤ رحمة الله بأقرب من رحمته هو بعباد الله. ولقد جاء من الترغيب في التحلي بها والتنويه بشأن من انصف بها ما يزيد القلوب الطاهرة ولنفوس الزكية أملافاً بها. وحسبك من ذلك ثناءه جل شأنه على أفضل خلقه محمد صلى الله عليه وسلم بوصفه بالرافة والرحمة، إذ يقول عز وجل في أواخر سورة التوبة: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم، بالمؤمنين وءوف وحيماً.»

ولونأملت تلك الصفات لوجدها كلها رحمة ، أو بسبب متين من الرحمة . فيكونه من أنفسهم مستمدع عادة لرافته بهم وشفقته عليهم ؛ وكونه يعز عليه عنهم وإرهاقهم لا ينشأ إلا من رحمته بهم ؛ وحرصه على منفعتهم ومصلحتهم هو من أكبر مظاهر رحمته بهم . والرافة والرحمة إذا اختلفتا في لتحديد فبعضها من بعض بسبب قريب . والرحمة على ما فسروها ترجع الى رقة في القلب تجعل للمرء يحس بالمرء غيره ، ويشعر كأنه يحق به ، وتجعله يسمى في التخليص منه ، تخليصا لنفسه مما يشعر به . هي المعنى الذى يجده المرء من نفسه حين يرى ابناله متألما ، أو عزيزا عليه يشكو من فاجعة . هي معنى وجدنى قد جعله الله في القلوب الحية حتى في قلوب العجاوات . واعتبر بما تراه من عطف الحيوانات الداجنة على أولادها ، بل من استماتة الوحوش المفترسة في الذب عن أشبالها ، وجلب الخير والمير لها ، وإيثارها بهنى الطعام على أنفسها . اعتبر ذلك تجد أن الرحمة معنى أودع الله في كل قلب جزءا منه ، قل أو أكثر .

إلا أن الاستواء في إحراز أصل الوصف يقتضى الخلقة لا يبنى عن تنعيم الأوصاف الصالحة بالتنمية ، كما تتبع الصفات السيئة بالتهذيب والتخليص من الشوائب الممقوتة . وهذا ما يقصده المربون والمهذبون والمصلحون ، فهم لا يقصدون خلق معنى من العدم ، وإنما يقصدون الى غرائز كامنة فيظفرون الطيب منها ، أو أخلاق ضعيفة فيقوون واهنها . وأى مرب أعظم ومصلح أكبر ومهذب أقوى ممن يستند في تهذيبه وإصلاحه وتربيته للأمر السماوى والوحى الإلهى الصادر من لدن حكيم علم ، المنزّل من الله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ؟

لقد من الله تعالى على عباده إذ بعث فيهم رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، فكان مبعثه رحمة للعالمين ، وكانت شريعته خيرا عميما للناس أجمعين ، بل لم يقتصر خيرها وأثرها على طبقة المكلفين ، وإنما تناولت تلك الرحمة المهداة كل ما على الأرض من نسمة ، بل كل ما على الأرض من مرافق الحياة ، فتعهدتها بالترفيه

والتهذيب ، والتنمية والإصلاح الذي يبلغ بها درجة الكمال اللائقة بها . وحسبك من هذا قوله تعالى : « إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا » وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب من أحكم إذا عمل عملا أن يحسنه » وهذا بلا شك متناول لكل من عمل الدنيا وعمل الآخرة . وإتقان العمل وإحسانه فضيلة في نفسها ، سواء أعاد على العامل من عمله أثر في هذه الحياة العاجلة أم لم يعد .

ومن أكبر مظاهر الرحمة في الشريعة السمحة الدعوة إلى الرحمة والترغيب فيها بالذسية لكل حيوان حساس يشعر بالألم والراحة ، ومنه ما نحن بصدد شرحه من الحديث في هذه الكلمة .

وإن تعجب فمجب زعم فئة من الجاهلين الذين قبعوا في بيوتهم ، وقنعوا بما يصل عفوهم إلى آذانهم لا إلى أذهانهم ، إذ يزعمون أن الرفق بالحيوان أثر من آثار الحضارة الحاضرة والمدنية الحديثة ، ولو كانوا أنفسهم نظرة ناحية خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم لأوه ينطق بالدعوة إلى الرفق بالحيوان ، ومعاملته بالرحمة والحنان ، ولوعده عليه من الله بالمغفرة والإحسان ، فضلا من الله ونعمة .

انظر إلى هذا الحديث وما تضمنه من الترغيب في هذا العمل الشريف ، إذ صور ذلك لمحسن للكاب ، والكاب كثيرا ما يعد من أخس الحيوانات فصيلة ، وأحقرها في النظر ، رغما عن المزايا التي غرسها الله فيه من نحو الصبر والوفاء واليقظة ، وحفظ حق العشرة وأمثالها .

نقول : قد صور الحديث الشريف هذا العمل بصورة استلفت النظر ، ونحمل على المحاكاة ، فقال عليه السلام : « بينا رجل يمشى » . وبيننا أروينا ظرف بغير أن ما جاء في جوابه وقع في أثناء ما جاء في حيزه . فالعنى أن هذا الذي سيتحدث عنه حصل في أثناء مشى الرجل ، والمشى عادة حريص على اغتنام وقته والأخذ فيما هو فيه ، وقاما يرجع على شيء غير الغرض الذي يسعى فيه .

فإذا ضم إلى هذا أن ذلك كان في سفر، وأن ذلك كان في فلاة، والمسافر لا يهيمه إلا أمر نفسه، وسالك الفلاة حريص على التخلص منها، تبيّن مقدار ما عانى ذلك الرجل في إسداء مكرمه، وإعمال عامل الرحمة التي أودعها الله في قلبه .

ثم يقول بعد ذلك: « فاشتد عليه العطش » . وقد علمنا أنه لا نفس أكبر سامة وأشد ضيقا من نفس الظمآن الذي اشتد به الظمآن، فهو لا يكاد يُعنى بغير نفسه، حتى إذا روى فإنه يبقي هنيهة تحت تأثير ذلك الانفعال النفساني، فلا يكاد يلتفت لغير نفسه. ثم يقول: « فنزل بئرا » . ومعناه أن البئر لم تكن من قرب الماء بحيث يذال ماءها من كان على حافتها . « ثم خرج » . فقد عانى في سبيل الشرب عناء النزول والصعود . « فإذا هو بكاب يلهث » قد فاجأه حين خروجه وهو على حداثة عهد بتمبه منظر الكلب الذي يلهث، فهو لا يزال في سامة التعب .

ولقد صورت حالة الكلب بأنه بلغ من أمره أنه يأكل التراب من العطش يتلمس فيه رطوبة تطفئ أوار عطشه، فنسى الرجل عناءه وتعبه في لوصل إلى الماء، وذكر ألمه وظمأه الذي أصابه، فتحرّكت فيه عاطفة الرحمة، وليس معه من إناء يعترف له به، ولا على البئر دلو يستقي بها، وإلا ما كان قد كلف نفسه عناء النزول ليشرب هو . لم يثنه ذلك عن أن يجتال لا يروء تلك النفس العطشى — والكربم يجتال والدنيء عيال — فلم يجد سوى أن ينزل ثانيا وينزع خفه ويملاّه ليسقى ذلك الكلب، إذ قد تذكّر ما كان هو فيه، وقال: « لقد بلغ هذا مثل الذي كان بلغ بي من العطش » .

نعم: نزل ونزع خفه وملاّه له، ولكن أنى له بتوصيل الماء إليه وهو بحاجة إلى أن يعمل في الصعود كلتا يديه، وليس معه حبل يربطه به ثم يشده بعد أن يصعد؟ لم يثنه هذا عن أن يعمل حيلته، ويكيد نفسه تعباً في جوارحه، يخلصه من ألم شديد في قرارة نفسه: ألم الإحساس بالعطش الذي أصاب ذلك الكلب، ولا يعرف الألم إلا من ذاقه . ولعلك تذكر هنا حكمة الصوم وأنه من بواعث الرحمة بالفقير الجائع .

نعم : لقد أعمل الرجل حيلته فلا أخلف وأمسكه بفيه . نعم : أمسكه بفيه ليسقى الكلب العطشان ، أمسكه بفيه حاملا له بأسنانه ، وأعمل يديه ورجليه في الصعود مع أنه قد عرف ما سيعانيه قبل أن ينزل لأجل الكلب ، فقد سبق أن نزل لأجل نفسه ، فسقى الكلب من خفه حتى أرواه .

أفليس جديرا أن يشكر له الله ، وأن يغفر له الله ، وأن يرحمه الله ؟ إن هذا الرجل قد أجاب داعية شريفة في نفسه ، وأنفذ حكم غريزة طاهرة ركبها الله في سجاياه . وإنك إذا تخيلته وتخيلت حالته قرأت منها لا محالة أنه فعل الخير حبا في الخير ، ونجى من الألم كراهية في الألم .

ولو أنك جزمت بأن نفسه لم تكن متجهة إلا للخير في ذاته بقطع النظر عما يترتب عليه من ثواب وأجر مما يدخله في باب المعاملة والمفاوضة بدل الإحسان والفضل ، أقول : لو جزمت بأن نفسيته هكذا لم تكن بمنزل عن الصواب والجادة . وأي عمل أشرف وأنبل وأفضل من عمل الخير حبا في الخير ؟

وقوله صلى الله عليه وسلم : « فشكر الله له فغفر له » من أجل ما يبين لنا قيمة الثمرة التي جناها الرجل من وراء عمله ، فحسبك بقوله : فشكر الله له ، وإن الشكر من الله لأجر عظيم ، فهو ثناؤه على صاحبه وتنويهه بشأنه ، وذكر قصته ليتبها غيره ، فيكون له في اتباعها أجر ، وإن كان كل ذلك بتوفيق العليم الحكيم الرحمن الرحيم . وذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم لقصته في معرض التعليم ليجهل عمه نبراسا يستضاء به ، من أقوى مظاهر شكر الله له . وقوله : فغفر له ، أمر مترتب ترابا حتميا على شكر الله له ، فلم يكن الله ليشكره حسن عمله ويبقى عليه وزر ما اقترف . فعنى غفر الله له غفر له ما اقترف من إثم سابق . والفاء في قوله فغفر له فاء العطف مع ترتيب ما يليها على ما قبله . وبعض شراح الحديث يجعل هذا العطف للتفسير ، أي شرح الشكر بأنه قد غفر له . ولعل الوجه الأول أدق .



« قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال: في كل كبد رطبة أجر » :  
 هذا منهم استيثاق لما فهموه من عموم هذا الحكم حتى يطبقوا أعمالهم عليه  
 عن يقين، وليس ذلك من باب الاستغراب أو الاستنكار ولا شك أن استيثاق المرء  
 في المعنى الذي فهمه من المقاصد البديلة ليكون في أمره على يئنة . والبهائم ليس المراد  
 منها مجرد الأنعام : الإبل والبقر والغنم ، ولا مجرد الدواب : الخيل والبغال والحمير ،  
 بل المراد منها الحيوانات مطلقا التي انبهم عليها أمرها فلا تستطيع أن تبين عما  
 في نفسها ، فإما من حيوان ذى كبد رطبة إلا وفي الإحسان إليه والرحمة به أجر . ورطوبة  
 الكبد كناية عن الحياة ، إذ مظهر الحياة رطوبة الأكباد . وقد استثنى بعضهم من  
 ذلك الحشرات الضارة كالحيات والعقارب والفأرة وأمثالها ، مما أمر بقتله أو مما أيسر  
 قتله ، وأمر ذلك ظاهر ، فإن ما طلب قتله للتخلص من أذاه ، في قتله تغليب سلامة  
 الآدمي والحيوان النافع على تلك الملهكات المؤذيات .

ولقد توسع بعضهم في معنى الرحمة وعموم حكمها لكل حيوان فقال حتى هذه  
 الفواسق المؤذية مع الأمر بقتلها ينبغي ألا تقتل بالعطش ، وألا تقتل صبرا ، بل ينبغي  
 إحسان قتلها ، فلو أمكن الجمع بين إروائها وقتلها كان في إروائها ثواب ، كما يقتل من  
 استحق القتل من الآدميين بعد إروائه إن كان ظمآن ، وكما تسقى الشاة قبل ذبحها عملا  
 بقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا  
 القتل » . ولقد نهى عن المثلة في القتل . ولقد جاء في الحديث الثاني ذلك الوعيد الذي  
 يتجلى لك بأشد مظاهره وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « دخلت امرأة النار في هرة  
 ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض » . فتدبر : دخلت النار في هرة ،  
 معناه بسبب هرة ، والهرة الحيوان المعروف ، وهى القطة . ودخولها فيها النار لتعذيبها  
 لها بحبسها لها حتى ماتت جوعا فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض .  
 وخشاش الأرض هو امها وحيواناتها الصغيرة .

فاذا كان هذا في إيذاء الحيوان وفي إروائه ، فكيف يكون في إيذاء الآدى وأنعامه ؟ وإذا كان هذا في الحيوان الذى لا ينتظر منه نفع يعتد به ، ورعاً كان منه بعض الضرر كالخطف ونحوه ، فبالك بالحيوان الذى ينتظر منه النفع كالأنعام والدواب ؟ وإذا كان هذا في مجرد الإرواء أو في مجرد الحبس ، فكيف يكون الأجر في تربية مواهب الحيوان حتى يبلغ مرتبة الانتفاع به على أكمل وجه ، وحتى ينتج من فصائله أكمل الأنواع وأقربها الى الانتفاع ؟ وكيف يكون الإثم في التعذيب الفعلى بتحميل الشاق من الأثقال ، وتكليف الحيوان المرهق من الأعمال ؟ إن من ينظر الى بعض غلاظ لقلوب وقد حملوا دوابهم عناء مراراً ، وكلفوها من أمرها عسراً ، واستعانوا عليها بوسائل الضرب والتعذيب مما يجعل الناظر إليها متمثلاً بقول القائل :

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى      ولكن لو عرف الكلام مكلمى

أقول : إن من ينظر الى هؤلاء وهول ما يُلقونه من العذاب على ما ملكت أيديهم يشمر من فرارة نفسه بالرحمة تتحرك في جميع عروقه ، ويرى نفسه كأنه سينقض على ذلك القاسى بكل ما يمكنه من قسوة ، بل يعتقد أن الرحمة في العالم هي سبيل الحياة وعليها تقوم المصالح ، وبها يتم الترابط ويكمل التساند . كما أن من ينظر الى تلك الآثار الجميلة التي أنشأتها جمعية الرفق بالحيوان والحكومة الرشيدة : من أحواض للسقميا ، ومنرقبين للأعمال المؤذية في دفعونها ، ومن مستشفيات للحيوانات وعلاجات ناجعة وأدوية نافعة ، لا يسعه إلا أن يتنفس تنفس الارتياح ، ويتنسم ابتسامة السرور والاعتباط ، ويتنهل الى الله أن يزيد أولئك الراشدين توفيقاً ، ويزيد مثل هذه الجمعيات توثيقاً .

نسأل الله أن يمن علينا برحمته ، وأن يجعلنا من الراحين الذين يرحمهم الرحمن ،

ابراهيم الجبالي

إنه سميع مجيب ، والله المستعان

## شهادة عالم أجنبي للإسلام

يعرف كثير من قراء العربية الفيلسوف (أرنست ريتان)، ويعرفون كذلك أنه ألقى محاضرة في جامعة (السوربون) بباريز اشتملت على كثير من الآراء الضالة في الإسلام، فنهض الرد عليه عالم فرنسي مثله هو المسيو (مسمر) ففند تلك الآراء تفنيدا علميا، مستشهدا بالعقل والتاريخ ونصوص الإسلام نفسه، وجعل هذا الرد موضوع محاضرة ألقاها على جمهور من الفرنسيين. وقد قام المسلم الغيور على أفندي يوسف المهندس بترجمة المحاضرتين، ونحن قياما بحق هذا الدين نرى إضافة هذه الشهادة الحقة الى سائر الشهادات التي سجلناها هنا لعلماء أوروبا. ولا نأخذ منها إلا أقوى القسم الذي هو أولى بالناية، وهو رده على ما زعمه (أرنست ريتان) من أن دين الإسلام كان يصد عن العلم، وأن ما وجد منه عند المسلمين كان بسبب خروجهم عن أصوله، فقال العلامة (مسمر) ردا منه عليه في هذا الوطن :

« من الغريب أنه قبل أن يلقى المسيو ريتان محاضرتيه يومين كان قد ألقى أحد كبار العلماء وهو (بياتره سنتا) أمام المحفل عينه محاضرة في مآثر العرب في علم الطب وقوانين الصحة نشرتها المجلة العلمية (دفو سيانتييفيك) اشتملت على ملخص استكشافات العرب في علم الحياة. ولما كان الإيهام بهذا العلي يتوقف على معرفة الرياضيات والهيئة والطب والكيمياء فإن هذه المحاضرة تفقنا على حقيقة تمدن الإسلام في مدة القرون المتوسطة. ولو كان المسيو ريتان اطلاع على هذه المحاضرة أو على ما كتبه المؤرخان المحققان (سديو) و (دروى) عن العلوم والآداب والفنون والمصناعات المعزوة الى العرب في عصور كانت أوروبا فيها تخوض في حمأة الجهالة لما جرؤ المسيو ريتان على نسبة هذه النهضة الخارقة للعادة لعلل واهية كالتى أتى بها.

« وإني لشديد التمتع من رجل يعد في علمائنا ومفكرينا يعزوهذا التمدن الذي عم العالم وكان الحكم فيه شوريا لطائفة قليلة من النساطرة والمجوس واليهود، غمطا حق العرب ودينهم في تشييد صروحه .

« ولو كان السيورينان صادقا فيما زعمه من أن الخلفاء العباسيين كانوا ملاحدة ، وأن مجالسهم كانت مؤلفة من أمثالهم ، لكانت مدينة المسلمين اقتصرت على بغداد ، فإذا هو قائل وقد عمت هذه المدينة دمشق والقاهرة ومراكش واسبانيا وبخارى وسمرقند وبروسة واستنبول ؟ فهل اتفق أن أولى الحل والعقد فيها كانوا ملاحدة خلفاء العباسيين ؟

« الحق أن الاسلام جاء ليوفق بين فريق كبير من بني آدم كان بعضهم يقاتل بعضا بسبب تخالفهم في الأديان ، ولينشر العلم والحكمة في أمم كانت قبل مجيئه تخبط في دياجير الجهل .

« ولما كان كلامنا موجها لمن يعرف التاريخ ، فلنقتصر على الإشارة الى حالة العالم في القرن السادس من الميلاد ، ولنقل إن الجاهلية كانت متسلطة عليه ، وإن الأفراد القليلين من الأذكياء في تلك الأثناء كانوا منهمكين في المجادلات الدينية ، إذ كانت قد نشأت للنصوص الغامضة في الدين المسيحي تفسيرات لا يقبلها العقل ، وصارت البلاد النصرانية ميدان حرب تلتطم فيه أمواج الدماء ، على حين كان الفسق والفجور يوقعان الفشل في صفوف المجتمع ، وكان المتوحشون من قبائل الجوشيين والهونيين وغيرهم يحجزون على بقية ما كان أسسه الرومانيون من مدينة ، فلا جرم كان العالم في هذا الوقت ، أي وقت ظهور محمد ، في حاجة ماسة لمن ينقذها من الويلات التي كانت فيها .

« ومن شط في هذا الموطن وزعم أن محمدا كان مدعيا للنبوة فقد زاد هذه المسألة تعقيدا بدون أن يحلها ، وأن يبين أسباب نجاحه فيما تصدى له .

« أما نحن فنقول : إن الرجال الذين تبقى أمثالهم خالدة بعدمى العصور لا بد

أن يكونوا من أهل الفطنة الفائقة ، فينتدبوا لإصلاح العالم ، وعظفهم عليه يؤديهم إلى إمتاعه بما هو في حاجة إليه من الأصول ولا يستطيع هو الوصول إليه بتصوره العادي . « إن التوحيد الذي هو أساس الدين الاسلامي كان السبب الأول في نجاح دعوة محمد . وقد أصاب بعض المؤلفين في قوله إن إعلان محمد هذا التوحيد في عصر ملّت فيه الأمم خرافات عم اللاهوت كان أفضل ما جاء به ، وأفعله بالمقول ، حتى إنه ما كاد يفوه بالدعوة الى توحيد الله حتى استنثار بدعوته تلك العالم .

« أما زعم المسيو رينان بأن خلفاء بني العباس كانوا شاكين في دينهم ، واستنداه في توهين أصول الاسلام على هذا الزعم ، فهو باطل من أساسه .

« وفضل الدين الاسلامي يظهر مما فاه به محمد وهو يسقط الأصنام التي كانت حول الكعبة ، وهو : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » وقوله : لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى أو بعمص صالح ، كلهم من آدم وآدم من تراب الخ . « فهل يجوز لنا أن نجعل حقيقة الاسلام في عهدنا هذا ، عهد المناقشات الحرة ، والآراء المستقلة ؟ فما كان أعم ( بونا برت ) ذى القريجة الواقعة بمعنى الاسلام ، كما نزل عليه سيرته في حكم مصر ، ويؤثر عنه أنه قال : « النصرانية وعيد ، والاسلام وعد » : وما كان أذكى الكتاب ( مراشي ) الذي كان عائشا منذ قرنين حين مدح الاسلام بقوله : « إن الدين المحمدي حفظ ما كان معقولا من الدين المسيحي وزاد عليه كل ما هو موافق لقانون الطبيعة » . إلا أن هذا الكتاب لم يمكنه أن يعال انتشار العلوم الذي صلب الاسلام منذ ظهوره ، مع أن هذه العلل ماثلة في القرآن والحديث .

« فإن قيل إن ما في القرآن والحديث يوجد عند المسلمين قولاً لا فعلاً ، قلنا . إنك لو سألت أي سائح عن هذا الأمر ، لأجبتك بأنه ما من مسجد قديم إلا وفيه مكتب للتعليم ، وكان من عوائدهم أن يحترفوا أول دخول الطفل الى المكتب فيوماً الولائم . « ومن يتأمل أي القرآن يجد أن أساس الاسلام التوحيد ، وقطيعه التآخي

وتحسين شئون العالم تدريجياً بواسطة العلم . فهذه هي الأسباب الحقيقية لظهور الإسلام وقد قَصَرَ للسيو ريتان عهد ارتفاع شأن المسلمين على خمسة قرون ، والحال أنها تزيد عن ذلك كثيراً ، فإنه بعد انحلال دولة بغداد ودولة قرطبة رفع السلطان سليمان عظمة الإسلام إلى الأوج ، فكانت دولته تحكم على مائة وعشرين مليوناً من النفوس بها جميع سكان الأرض ، لقونها الحرية ، ونظاماتها الحكومية ، ودرجتها في المدنية . وما ابتداء اضطهاد الدولة الإسلامية إلا بعد حصار مدينة ( فينا ) سنة ( ١٦١٣ ) كما ابتداء اضطهاد دولة إسبانيا بعد وقعة ( ركوردا ) .

« في سنة ( ٧٤٣ ) من الميلاد أي بعد مائة وإحدى عشرة سنة من وفاة محمد كانت دولة الإسلام أكبر من دولة الاسكندر ، ويقدر مملكة فيصر تقريباً . وفي سنة ( ١٥٦٦ ) عند وفاة السلطان سليمان كانت أكبر من مملكة الرومانين . فيتضح من هذا أن عظمة دولة الإسلام مكثت نحو ألف سنة . وكل من يعرف أنه لا يمكن الوصول إلى مثل هذه الدرجة العليا في الأمور السياسية والحرية إلا بالعلوم ، يجزم بأن للإسلام كان إلى ذلك العهد له السبق في العلوم والمدنية .

« أما أسباب انحطاط الإسلام في هذا الزمان فهي عدم اشتغال أهله بالعلوم . فإذا كان في الأرض أديان تعادي العلوم فإن الإسلام على العكس لا يقوى ولا يزدهر إلا بانتشار العلوم وتقدمها ، فإن بينه وبينها رابطة أكيدة . فعلى أي وجه يمكن عزو الانحطاط الحالي للمسلمين إلى دينهم وهو كما رأيت كان السبب الوحيد في رقيهم وعظمتهم ؟ » وبعد : فهل انحل الإسلام وبطل عمله ؟ لا يجيب على هذا السؤال بالإثبات إلا من كان قليل العقل ، فإن الدين الذي تحتف به ملايين من النفوس تدافع عنه بأموالها وأرواحها ، لا يعقل أن يكون على شفا الزوال . »

## ذات الحيوانات

أحدى معجزات القرآن العلمية

كان العلماء الأقدمون لا يترفون بالحيوانات بعقل ولا بذكاء، من نوعي عقلنا وذكائنا، فكانوا يظنونهم مجرد آلات حية تحس وتتألم، ولكنها لا تجيل عقلا، ولا تعمل روية؛ وكان كل ما يشاهد منها من آثار التفكير والتدبير يعتبرونه من ثمرات الإلهام الذي فطروا عليه منذ نشأتهم.

بقيت هذه العقيدة العلمية الى عصور متأخرة، فكان الفيلسوف (ديكارت) المشهور يصفهم بأنهم مجرد صور آلية حية، وقد اشتهر عنه هذا التعريف وتناقله عنه الباحثون، ولم يعترف للحيوان المسكين بعقل وتفكير نسبين إلا في القرن الثامن والتاسع عشر، حيث استبحرت العلوم، وعمت البحوث كل شيء، حتى حياة الحيوانات، فرأى العلماء أن بجانب الإلهام الذي فطرهم الله عليه عقلا خاصا بهم يحيلونه في ابتكار الأحاييل، وفي تدبير الوسائل التي تدعو اليها الحاجة الطارئة. ومن هذا العهد كثر البحث في عقل الحيوانات وذكائهم، فجمع العلماء من ذلك حوادث مذهشة لا يكاد يصدقها مطالعها.

فكانت هذه الأوبة من العلم الى إنصاف الحيوانات إحدى معجزات القرآن، فإنه قد وصف جماعاتها بالأثم، وعزى الى بعضها عقلا وتفكيرا وكلاما، فقال تعالى: « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم، ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ». فهذا النص الكريم على إيجازه قد جمع كل ما أثبتته العلم في هذا المجال الى اليوم، فقد دل العلم على أن جماعات الحيوان أم يربط آحادها بباط اجتماعي متين العرا، وأن منها ما تعيش على صورة مماثل ذات نظم ثابتة كالنمل

والنحل ، وغيرها من الحيوانات التي تعيش مجتمعة ، وأن لكل جماعة منها لغة يفهم أفرادها بها ، حتى إن بعض العلماء عاشر القردة سنين في غاباتها وجمع من لهجتها قاموسا ، وما كان أحد يتصور ذلك قبل القرن التاسع عشر ، مع أن القرآن الكريم قد سبق العلم الى هذا الحقيقة بنحو ألف وثلاثمائة سنة ، فقال تعالى حاكيا عن سليمان قوله : « علمنا منطق الطير » ونسب للنمل كلاما فقال تعالى : « قالت نمل يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » .

وإننا في هذه العجالة نريد أن نتحف القراء ببعض مادونه العلماء الباحثون في طباع الحيوانات من دلائل التعقل والتفكير عندهم :

شوهده في شهر أبريل من سنة ١٨٦٥ بباريس أن سائحًا تجاريا يسكن بشارع (فرنك بوجوا) كان يسير على شاطئ نهر السين في نحو منتصف الساعة التاسعة مساء ، إذ سمع نباح استغاثة من كلب قريب من تلك الجهة ، فلم يتمالك نفسه من الاتجاه نحو ذلك الصوت ، فإنتهى الى المكان الذي صدر منه ذلك النباح حتى رأى كلبا أسود يندفع اليه ، فلما قرب منه أخذ يحميه من طرف معطفه ويقوده نحو الساحل ، فأنقاد له ذلك السائح وكان اسمه السيو هولو ، فأبصر بحصان ممدد في ضحضاح من الماء ، فلما تأمله وجد أن تحته رجلا يحاول أن يسحب نخذه من تحت الحصان فلا يستطيع الى ذلك سبيلا ، وكان يرفع رأسه فوق الماء بين آونة وأخرى كيلا يموت مختنقا ، وما كان ليتمكن من ذلك إلا لحظات قصيرة بسبب موضعه تحت ضحضاح الحصان عليه . فأسرع السيو هولو الى إغاثة الحصان على الوقوف ، وبذلك تم الرجل أن يتجوز من الاختناق . وكان السبب فيما حدث أن ذلك الرجل وهو سائس ذلك الحصان كان يريد أن يفصله في هذا الموضع ، وكان الحيوان قد أنهك قواه التعب ففضل أن يستلقي على جنبه ، فوقع على ساق سائسه ، ولولا كلبه الأسود الذي كان يصحبه لبقى هنالك حتى يهلك اختناقا . وشوهده في بلجيكا في شهر يناير من سنة ١٨٦٧ أن طفلا عمره ست سنين كان



في خلا، (فورشوتن) بقرب (بريدا) فانغمروا في ثلج كثيف نزل من السماء فلم يستطع حراكا، واشتد أهل في البحث عنه هنالك فلم يهتدوا إليه، فمكثت ساعات مدفونا في ذلك الجليد حتى قبض الله له كلب الأسرة فاندفع يبحث معهم عن سيده الصغير حتى عثر عليه بسرعة مذهلة، فأخذ يصيح بشدة وهو يذب الثلج بمخالبه ليظهر وجه الطفل، وأقبل أهل نحو الصوت فوجدوا أن كلبهم قد اهتدى إليه قبلهم، فألقوه وهو بين حي وميت، وأسرعوا إلى تدفئته، والعناية به، حتى تماثل عما كان ألم به. فكان الكلب سبب حياته.

وقد اتخذ رهبان جبل سان برنار كلاباً تروود تلك الجهات الثلجية، فإذا عثر على رجل قد سقط وغطاه الثلج أتت فأخبرت الرهبان، فيجري أمامهم الكلب ويدلهم على مكانه فيستنقذونه من الزمهرير.

ونقلت جريدة (اللوستراند لوندن نيوز) في عددها الصادر في ٨ يونيو من سنة ١٨٦٧ أن طفلاً في الحادية عشرة يدعى (هار جريفس) كان يلعب على شاطئ قناة (كولدون) فزلقت رجله ووقع في الماء فهوى إلى أسفله ثم طفا، فانفق أن المستر (اليجاه بولتون) كان ماراً مع كلبه في تلك اللحظة، فألقى الكلب بنفسه في الماء وأمسك بالناحية الخلفية من صدر الطفل بأسنانه، وسبح به على هذه الحالة حتى أوصله إلى الساحل، ولبت بجانبه حتى عاد إلى صوابه، وشرع يمشي ليعود إلى داره، فتبعه الكلب يحرسه حتى وصل إلى مأمنه، وهنالك أظهر الكلب دلائل الفرح والسرور، ثم تركه وعاد إلى سيده.

وكتب الجراح الفرنسي المشهور (بيرك) أنه وجد يوماً قريباً من باب داره كلباً جليلاً جداً مصاباً بتكسر في أصابعه، وقد برح به الألم. فأمر بإدخاله إلى الدار واعتنى بأصابعه فبر عظامها، وما زال به حتى شفى مما كان قد ألم به. وكان الكلب أثناء العناية به يظهر أكبر إخلاص نحو منقذه، حتى ظن الجراح أنه لن يبرح داره قط.

ولكن كان للكلب سيد غيره ، ومن طباع نوعه أنه لا ينسى صاحبه الأول ، ولا يبت حبل صلته به مهما كانت الأحوال ، فتفقدته الطبيب يوما فلم يجده ، وانتظره قلم يعد ، فأسف عليه جدا ، وساء ظنه في إخلاصه ، وعده ناكرا للجميل . فلما انقضى من يوم غيبته نحو خمسة أو ستة أشهر صادفه الدكتور على عتبة داره ، فأظهر له الكلب من دلائل العطف والشكر ما لا يوصف ، وبالغ في إظهار الفرح برؤيته ، فظن الجراح بأنه كان قد انقطع عنه لسبب ، فدعاه ليدخل الى داره ، ولكن الكلب بدل أن يلبي دعوته أخذ يتملقه بلحس يده نارة ، ويستدعيه لاتباعه يجذب طرف ثوبه تارة أخرى ، مظهرا له أنه يريد أن يطعمه على شيء . فانتقاد لجراح له فأوصله الى كلبه مطروحة على مقربة من الدار ، تشكو مثل ما كان يشكوه من تكسر الأصابع ، فعلم الدكتور عند ذلك أن الكلب قادها الى هنالك ليفعل منقذه معها مثل ما فعله معه من معالجة أصابعه ، فكان هذا سببا لدعش الجراح وتمجيبه ، ودليلا على ذكاء هذا الحيوان وتعلقه .

هذه أمثلة قليلة من ذكاء الكلب . وروى عن كثير من الحيوانات أمثاله مما غصت به الكتب ، وشجنت المجالات ، وقد جاءت كلها هادمة لآراء الأقدمين في مجرد الحيوانات من العقل والتفكير النسبي ، وموافقة لما قرره القرآن الكريم في حقها من أنها أمم ، ومن نسبة الكلام والتدبير لبعضها . ومن العجيب أن مسألة حشرها قد أصبحت اليوم موضوعا للبحث لدى العلماء الذين يبحثون في خصائص النفس ، وتفرق لديهم أن أرواحها تبقى بعد موت أجسادها ، ولا يزال البحث متواصلا في أمرها الى اليوم . فلا جدال في أن آية الحيوانات هذه من معجزات الاسلام العلمية التي تضاف الى سائر

معجزاته التي تجلت في عصر العلم

محمد فريد وهدي

## الاداب والعلوم والفنون

في ظل الاسلام (١)

كان الشعر بجميع نواحيه مزدهرا في كافة البلاد الاسلامية قبل بعثة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فلما جاء القرآن وتناول النواحي الاجتماعية وخلقية بالتهذيب ، ابتداء اثره يظهر في الأدب العربي وخاصة في الشعر ، فدخله من هذه الوجوه تحسينات ظاهرة ، فز دطلاوة وسهولة ، وخلص مدينا في الآداب الاجتماعية والتقاليد الاسلامية . وفي زمن خفاء الدولة العباسية ذاع الشعر ذيوغا واسما وشمل جميع نواحي الحياة المتعددة ، وبه تحررت الفكرة واتسعت دائرة الأدب والعلوم والفنون ، حتى أصبحت بغداد حاضرة ملكهم مبعث النور الذي تستضيء به كافة أرجاء العالم المتمدن .

وقد انجبت هذه العلوم والفنون بفضل تمهد أمراء الدولة العباسية الى أنبل الغايات وأشرف الأغراض ، فالتهمت لها مشاعر الأمة وقويت حميتها ، وتضافرت جميع القوى العقلية على رفعة شأنها ، والتموض بالثقافة الى حد بهر دول الغرب ، وبذ حضارة الإغريق والدولة البيزنطية .

سطع نور هذه الآداب والفنون بأجلى مظاهره في عصر خليفة المأمون ابن هارون الرشيد ، الذي جعل أكبر همه إحياء النهضة الفكرية ونشجيع الثاقبين بها وحفز المهتم على تنفيذها ، حتى امتاز من بين خلفاء الأمم الاسلامية بهذه الناحية امتيازاً أظهره ظهور بادزافي تاريخ ثقافة العربية ، فقد شهد له كبار مؤرخين أمثال فريد رنخ ديليتش للمؤرخ الألماني الكبير بأنه اهتم اهتماماً فائتقاً بعلوم الإغريق

(١) مترجمة من الألمانية نقلت عن كتاب « محمد والعالم الاسلامي » المستشرق الألماني الكبير

الاستاذ « هرمان زيميردريم »

وفلاسفتهم وشعرائهم، فأصر بإحضار كتبهم من القسطنطينية لنقلها الى العربية، وبذلك أبرز الى الذهن العربي فاسفة أرسطو وأفلاطون سائغة. وقد قام بترجمة هذه المؤلفات الكندي فياسوف العرب الذي عرف بأبحاثه في العلوم الطبيعية ولأجرام السماوية.

عنى المأمون بعلوم الفلك والرياضة التي نقلت الى العربية عن الهنود عناية خاصة لارتباطها الوثيق بالعلوم الإغريقية، فزادها توسعا وتحسينا، فمهد الى الخو رزمي ترجمة أم المصنفات الهندية في علم الفلك الى اللغة العربية، كما عهد إليه بوضع أول المؤلفات الرياضية في علم الجبر. ولم يقل اهتمام المأمون بالتطبيقات الفلكية عن اهتمامه بالعلوم النظرية، فأدخل على خريطة بطليموس الفلكية تعديلات كانت وليدة ملاحظاته الفلكية في دمشق وبغداد، كما أنه تمكن من قياس درجة من خطوط الطول.

وقد جمع في دور كتبه ذخائر عديدة من الثقافة الاسلامية والغربية، وشيد مستشفيات ودور العجزة والملاجئ والمدارس والجامعات. وسبق اسم هذا الخليفة لعالم أبد الدهر ولا يمحي أثره من التاريخ.

ولم تكن نهضة الأدب العربي قاصرة على الأشعار الغنائية والحكمية أو النثر المسجوع فحسب، بل إن الأدب القصصي كان له مركز ممتاز في تاريخ الأدب على العموم. ولعل أحسن مثل يستدل منه على ذلك حكايات ألف ليلة وليلة المعروفة والذائعة في جميع أنحاء العالم، وبها وصف فائق وتحليل دقيق للحياة بكل مشاعرها ونواحيها المتعددة في عصر الخلفاء، وهي تمتاز بأسلوب شيق لم نعهده في حكايات أو قصص أخرى. ولم يقل شأن الشعر عند الفرس عنه في بلاد العرب، بل قد بذه في نواح متعددة. ولقد قام كثير من علماء الأوربيين المستشرقين لنقله الى اللغات الأجنبية. وأشعر شعراء الفرس القصصيين الفردوسي، ويعتبر كتابه المسمى «كتاب الملوك» أم ما وضع بالأسلوب المدرسي القديم «كلاسيك». وجدير بالذكر أيضا في هذا المقام من شعراء

الفرس السعدى مؤلف كتاب الأَخلاق المسمى « حديقة الورد » وهو من أعم المؤلفات النثرية تتخلله أشعار رائعة لجمال . وكذلك حافظ ، وكان يطلق عليه منشد شيراز ، ويعد في مقدمة ناضلي الأشعار الغنائية في العالم ، وقد اعترف بقضيه فطاحل شعراء الغرب مثل جوتييه ، وقد نقلت منظومات عديدة غاية في الطلاوة وغزارة المعنى من وضعه الى لغات الأجنبية ، ولافت استحسانا فائقا ، وذيوعا كبيرا . ومن يستحقون الذكر في هذه العجالة من شعراء الفرس أيضا عمر الخيام ، ويعمد بحق أول الشعراء الحكميين الناقدين الساخرين من الحياة ، وولد في مدينة نيسابور عام ١٠١٧ ، وعاش في ظل السلاطين السلاجوقيين مشمولا برعايتهم وحسن تقديرهم . وقد ظل هذا الشاعر زمنا طويلا مجهولا في أوروبا حتى قام فريد ريخ روزن سفير الألمان في المغرب الأقصى وأحد كبار المستغنين بشئون الشرق والشرقيين بترجمته ترجمة لافتا بحاجا كبيرا واهتماما عظيما جعله في مقدمة شعراء الشرق وحكامه .

أما من جهة مآثر الفارسيين الأخرى على الأدب فإنه يجب أن لا نغفل ذكر ماخلدوه في العالم الروائي والفصصى مما كان ذخيرة يانعة — حتى في عصرنا الحالى — لكثير من مصنفى الغرب ، ناهيك باشتغالهم بتدوين التاريخ ، فقد اهتموا به أيما اهتمام وجعلوا منه دائرة واسعة النطاق للأبحاث الفنية القيمة .

وأما القصص التمثيلية فكان اهتمامهم بها قليلا لدرجة أنهم لم يخلدوا فيها أثرا يذكر في الأدب .

وأما العثمانيون فلم يظهر بينهم في مضمار الأدب والشعر من يعد مبتكرا ، بل كانت الغالبية العظمى من شعرائهم مقلدين لمن سبقهم من شعراء العربية أو الفارسية . ولعل ذلك هو السبب في وفرة عدد شعرائهم ، إذ أن التقاليد لا يتطلب مجهودا لا بشكار . وقد أحصى « هامر بور جستال » أحد علماء الألمان المستشرقين شعراء العثمانيين بما لا يقل عن ٢٢٠٠ شاعر . واشتهر من بينهم « باكى » المتوفى سنة ١٦٠٠ ، وقد أجمع العثمانيون

على أنه كبير شعراهم الغنائيين ، ومحمود لمعى ، وهو معاصر للسلطان سليمان الأكبر ، وله تأليف ثرية عديدة وأربعة منظومات قصصية كبيرة ، وأخيرا الشاعر المجيد فضلى ، وله من المنظومات الشعرية القصيدة المعروفة باسم « الورد والبليبل » وكلها مجاز وكتابات بليغة .

ولقد ورث الغرب عن الشرق كثيرا مما وضعه مؤلفوه في الأدب الشعبي من حكايات وقصص ، فنقله بحذافيره أو انتحل منه أو نسج على منواله ، أو مثله ذلك كثيرة لا نحفى على مطلع .

وأما من جهة اهتمام العرب بالعلوم البحتة فإن لهم عليها أيدى بيضاء ، تشهد لهم بذلك مؤلفاتهم في التاريخ وعلم تقويم البلدان والقانون والعقائد والطب والعلوم اللغوية وغيرها مما لا يقع تحت حصر — شهادة لا يستطيع إنكارها جاحد .

وأما من جهة الفنون الإسلامية فإن من أهم ما اشتغل القائلون بها هو بناية المساجد فجعلوا منها آيات باهرة الجمال ، وهى إما عبارة عن صحن متسع مربع الزوايا عارية السقوف ومحاطة بصنوف من الأعمدة ذات الأقواس ، وإما مبان تذكارية ذات قباب نخفة ، وأهم ما يمتاز به المساجد المآذن الرشيقة التى تكسب البلاد الإسلامية روعة وبهاء خاصا ، وكذلك القباب والأقواس التى تعلو الأعمدة والأبواب والمنافذ ، فقد وصلت الفنون الإسلامية بها الى درجات باهرة فى الجمال . ومن هذه الأقواس ما يزيد محيطه عن نصف الدائرة ، فيزداد روعة ويسجل إقداما وجرأة نادرة فى فن هندسة العمارة ، وأكثر ما نجد هذا الشكل فى مباني الأندلس ، ويلىه فى العظمة والرونق الأقواس المديبة المكونة من قوسين ، ولعل هذا الشكل الأخير مأخوذ عن المباني الهندية .

ولقد اعتنت الفنون الإسلامية بوجه خاص بتنسيق الفسحات الواسعة دون الاهتمام كثيرا بزينة لوجهات الخارجية ، بسبب تحريم الاسلام لتصوير الأجسام ، إلا أن جل العناية كان يبذل عادة فى الزخرفة الداخلية فى المساجد والمدارس والقصور

والحمامات والمقابر، وإتها حقاً لما يشير إعجاب كبار رجال فن العمارة حتى اليوم تلك الزخارف والتفوش العربية الجميلة الملائى بالخطوط والمنحنيات التي تمثل أشكالاً هندسية مختلفة يكاد يعجز عن أمثالها كبار الفنانين اليوم بدون الالتجاء إلى أدق النماذج والآلات الحديثة. ولقد أظهر الفن الاسلامى في تلك الأشكال الزخرفية ابتكارات مختلفة لا تقع تحت دصر أو بيان، كما يتضح لنا ذلك من «بهو السفراء» وهو إحدى قاعات قصر الحمراء المشهور بمدينة غرناطة، ففيه من أنواع الزخارف المنقوشة على الجدار ما لا يقل عن مائة وخمسين شكلاً مختلفاً ملونة جميعها بألوان هي غاية لانسجام ومنتهى البهاء والرونق.

وفي الواقع لا يمكن للانسان أن يتخيل منظراً يأخذ بصفائه وروعته بمجامع القلوب من بيت عربي جميل بفسحته الداخلية إلى حية وأروقته ذات الأعمدة التي تعلوها الأقواس والقباب ويتردد خلالها صوت خرير المياه المنبثق من النافورات الهادئة، وبه من زخرف المفروشات ما يلبذ للعين رؤيته، ويطيب للنفس الإخلاد إليه.

وأما الفنون التطبيقية فلما أبدعت في ظل الاسلام وتقدمت في عصر خلفاء الدولة العباسية تقدماً بعيد المدى في جميع فروع الحرف والصناعات اليدوية، مثل رفو الثياب، وزخرفة الكتب وتجميلها، وخرط الخشب والعاج، والتطعيم بالمعادن في صناعة الأسلحة أو المنسوجات، إذ كان نصيب الفن الاسلامى فيها من الفوز ما فاق نجاحه في فن العمارة، فكانت مستحدثات الغزل والنسيج بأشكالها المتعددة في بلاد الفرس والصناعات الخرفية والزجاجية بألوانها البهيجة في مصر والأواني النحاسية المطعمة للمصنوعة في الموصل وأشغال الذهب والفضة الدمشقية والأواني الصينية المنقوشة بالألوان والرسوم الطبيعية من صناعة آسيا الصغرى، كانت كل هذه السلع تستلقت الأنظار وتسترعى اهتمام التجار والغواة منذ أكثر من ألف عام في أسواق المدن الاسلامية المزدهرة، ولا تزال حتى اليوم وقفا على الصناعات المسلمين المهرة لا يحاربهم فيها غيرهم من الأمم، ولا يزال الغرب ينظر إلى تلك القطع الفنية نظرة الإعجاب والتقدير.

## حول كرية الارض والازهر

أرسل أحد المسلمين بأمريكا يطلب الرأى فيما نشرته مجلة الباثيندر الأمريكية خاصا بهذا الموضوع وهو قولها : « بالرغم من أن كولبس قد أثبت سنة ١٤٩٢ م أن الأرض مستديرة فإن إحدى جامعات مصر الكبرى رفضت الاعتراف بهذه الحقيقة الى وقت حديث ، أى أن جامعة الأزهر بالقاهرة كانت تلقن طلبتها لأكثر من تسعة سنة أن لأرض مسطحة ، ولكن هذا المركز الفكرى لسياسى للعالم الاسلاى شعر أخيرا بسلطان المدنية والعلم الحديث فأصبح يتلقن اليوم الملايين من أتباع محمد ومن خريجي تلك الجامعة أن الأرض مستديرة » .

ونحن نقول : ليست هذه أول مرة يُرمى فيها الأزهر باتهم الباطلة من قبل أولئك الكتاب الذين لم يكلفوا أنفسهم أن ينظروا ولو نظرة سطحية الى موضوع خطير يريدون الكتابة فيه ، إن لم يكن خدمة للحقيقة فليكن احتراماً لقراءهم ، وتحاميا من التفرير بهم ، وتلقيشهم الحقائق على غير وجهها . ولطالما حاول الكثير من أولئك الكتاب أن ينالوا من الأزهر ثغرة يطمنون فيها ، فكانت سهامهم ترد إليهم خائبة غير صائبة .

إن الأزهر منذ وجد ، شمس تشع منها أنوار الهداية ، وتنبعث منه الثقافة الصحيحة من مختلف العلوم : أدبية وفلسفية واجتماعية وغيرها .

نعم : إن مهمته الأولى هى تخرج علماء دينيين موثوق بهم فى علوم الدينية ، ومتفهمين فى الدين ، ولكنه مع هذا يزودهم بالعلوم العمرانية والاجتماعية ، حتى يكونوا على بينة تامة من شئون عالمهم الذى يعيشون ، وليعينهم على إتقان علومهم الدينية الا يتقان الكامل ، إذ كانت مرتبطة بالعلوم السكونية أنهم ارتباط .



فهم من أجل ذلك يتلقون علوم التاريخ والجغرافيا والمنطق ، وعم النفس والأخلاق والتربية والفلسفة والرياضة والتاريخ الطبيعي والطبيعة والكيمياء ، وذلك زيادة عما يدرسونه من علوم الدين واللغة العربية وآدابها .

وكأن أولئك الكتب راعتهم النهضة لأزهرية وما أحرزه الأزهر من التقدم والترقي العظيم في عهد حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فؤاد الأول ، الذى وجه من عنايته نحو هذه الجامعة التاريخية الكبرى قسطا عظيما على تطلع منها واستعداد النهوض ، فكانت شجى في خلقهم ، فأرادوا أن يحطوا من قيمته بما يفترونه عليه في ماضيه ، ولو أنهم عُنوا بتعرف علوم الأزهر في ماضيه وحاضره وما يدرس فيه من كتب قيمة ، وطريقتهم في دراستهم : من تعويض نظريات ، ومناقشة أدلة حتى يصلوا بها الى منتهى البحث العميق ، لما كانت منهم تلك المفتريات .

إن أم ما يدرس من العلوم في الجامعة الأزهرية منذ الأجيال الماضية هو العلوم الدينية ، وبخاصة علم أصول الدين : التوحيد ، وعلم الفقه ، والتفسير . وإنك لتجد في كل عم منها ما يعطيك صورة واضحة لما يتعلمه الأزهريون في هذا الموضوع . وسنورد لك في هذا المقال جملة من مسائل أهم العلوم التى تدرس في الأزهر من أجيال قديمة حتى نعرف منها رأى الأزهر من قديم في هذه المسائل التى يفترون فيها على الأزهر ما يفترون .

فهاك عبارة المواقف للإمام عضد الدين من علماء القرن الثامن الهجرى أى قبل كلومب بقرن أو يزيد ، وشرحها للسيد الشريف الجرجاني ، وهى من أمهات الكتب المعنى بدراستها فى الأزهر قديما وحديثا ، يقول فى الاستدلال على كرية الأرض مانصه : « أما فى الطول أى ما بين المشرق والمغرب فلأن البلاد كلها كانت أقرب الى الغرب كان طلوع الشمس عليها متأخرا بنفسية واحدة ، ولا يعقل ذلك إلا فى الكرة . فإذا رصدنا خسوفاً معينا فى وقت من الليل وجدناه فى البلاد شرقية مثلاً آخر الليل ،

وفي بلاد غربية عنها بمسافة معينة كالف ميل قبله بساعة ، وفي بلاد غربية عنها بتلك المسافة بعينها قبل الأول بساعتين وقبل الثاني بساعة ، وعلى هذا القياس ، فعلمنا أن طلوعها في الغربية متأخر منسية واحدة . وأما العرض فلأن السالك في الشمال كلما أوغل فيه ازداد القطب ارتفاعا عليه حتى يصير بحيث يراه قريبا من سمت رأسه ، وكذلك تظهر له الكواكب الشمالية ، وتختفي الجنوبية . والسالك في الجنوب بالعكس ، اه .

فهل جد في إثبات كرية الأرض ما هو أوضح دلالة من هذا ؟ وليست هذه عبارة المواقف وحدها ، بل مثلها عبارات الكثير من الكتب التي على منوالها في هذا العلم مما يتداوله الأزهريون دراسة ومراجعة . وأكثر من هذا أنهم يقررون نظرية دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس ، وأن مرجع الليل والنهار للحركة الأولى ، ومرجع اختلاف الفصول للحركة الثانية ، ويتسبون ذلك للحكماء الأقدمين ويناقشونه ويحييون عنه بما لا يزيد عنه ما يقرر الآن بشيء ، وذلك ما يدل على جهل بعض المستشرقين الذين يزعمون أن نظرية دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس حديثة في هذا العلم . نقول هذا لا لنقرر النظرية في نفسها ، وإنما لنريك أن هذا كان معروفا موصفا للبحث عند الأزهريين ، شأن النظريات العلمية ، فيختارون منها بعد التحيص ما يختارون حسبما يرشدكم الدليل .

ونرى مثل ذلك في علم الفقه ، فهاك استمدلال ابن حزم وهو من علماء القرن الخامس الهجري على كريتها بما يرجع إلى الأحكام الفقهية في العبادات ، إذ يقول ما ملخصه :  
قد أجمع المسلمون على أن صلاة الظهر تجب بزول الشمس ، فلو كانت مسطحة لكان زوال الشمس عند أهل المشرق عقب الشروق وعند أهل المغرب قبيل الغروب ، ولم يقل أحد من المسلمين إن صلاة الظهر تحل قبل نصف النهار ، ولا أن وقتها قبيل الغروب ، بل هذا خارج عن حكم دين الاسلام ، وإنما وقتها هو نصف النهار ، فكل من هو على ظهر الأرض لا يصلي الظهر إلا عند انتصاف نهاره أبدا اه . وكل علماء الأزهر في الفقه على تقرير هذا الحكم .

وكذلك يرتبون في المواريث أنه إذا مات اثنان بتوارثان، وكان موتهما ساعة الشروق مثلاً وأحدهما بالشرق والآخر بالمغرب، فإن من بالمغرب يرث من بالشرق، لأن شروق من بالمغرب متأخر عن شروق من بالشرق. وهذا لا يتأتى إلا في التكوير. وغير ذلك كثير في أحكام الفقه، كاعتبار اختلاف المطالع في هلال الصوم وغيره.

وأما المفسرون، فنسوق لك عبارة تفسير الفخر الرازي إذ يقول :

« ومن الناس من زعم أن الشرط في كون الأرض فراشا ألا تكون كرة، واستدل بهذه الآية على أن الأرض ليست كرة، وهذا بعيد جداً، لأن الكرة إذا عظمت جداً كانت القطعة منها كالسطح في إمكان الاستقرار عليه. والذي يزيده تقريراً أن الجبال أوناد الأرض ثم يمكن الاستقرار عليها، فهذا أولى ».

وكذلك القاضي البيضاوي من علماء القرن السابع الهجري يقول في تفسير قوله تعالى : « التي جعل لكم الأرض فراشا » ما نصه :

« ومعنى جعلها فراشا أن جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الإحاطة بها، وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيئة لأن يقعدوا ويناموا عليها كالفرش البسوط، وذلك لا يستدعي كونها مسطحة، لأن كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأثي الافتراض عابها ». وكلا التفسيرين عمدة عند الأزهرين قديماً وحديثاً.

فترى من هذا أن الأزهر يقرر في علومه الدينية مسألة كرية الأرض قبل أن يوجد كلومبس بعدة قرون، وأن علماء الأزهر كانوا يعلمون ذلك بأدلتهم ويعلمون ما هو أكثر منه.

ولنسلم أن بعضاً من علماء الأزهر قال في وقت من الأوقات بسطحية الأرض كما يشير إليه أولئك الكتاتيون في الرد عليه (على فرض أن الردود عليه كان من علماء الأزهر) فليس في ذلك ما يشينه، فإننا نرى كثيراً من النظريات العلمية تتغير وتتبدل

عمر الزمن وظهور ما ينتقضها أو يعززها تبعاً لتوأميس التقدم الإنساني في مختلف العلوم . واعتبر بمسألة دوران الأرض حول الشمس أو دوران الشمس حول الأرض ، فقد كان الرأي السابق هو الأول ، ثم عفا وظهر عليه أصحاب الرأي الثاني ومكث ذلك قروناً طويلة ، ثم ظهر ما يعزز الرأي الأول ، وهو ما استقر عليه رأي الكثير في وقتنا الحاضر . فهل هذا يقدر في الكفاية العلمية لأحد الطرفين ؟

ولا يفوتنا قبل أن نختم هذه الكلمة أن نشير إلى أن القرآن الكريم أشار في آيات كثيرة إلى كثير من النظريات التي أثبتتها العلم الحديث في خلق السموات والأرض ونظامهما ، وفي خلق الإنسان والحيوان والنبات مما يتبجح كثير من المعاصرين بأنهم مكتشفة ومسرره . فالحقيقة أن الغرب مدين في نهضته الحديثة لما خلفه علماء الإسلام من ثمار علمية ناضجة في بغداد والقاهرة وقرطبة وغرناطة وغيرها من العواصم الإسلامية . وإن النصفين من كتاب الغرب ليشهدون بذلك ، ولا يحسد فضل لإسلام على الحضارة الأوروبية إلا كل متعنت مكابر . والحقيقة كما قدمنا أن أولئك الكائنين قد راعتهم تلك النهضة الجليلة التي نهضها لأزهر فضم إلى الاحتفاظ بترائه القديم مسابقة أرقى الجامعات الأوروبية في نظمه وطرق دراسته ، في مختلف الأدوار التعليمية ، وفي استعداده يجمع ما يلزم لسير الدراسة من معامل وأجهزة ومصورات وغيرها ، بل في نخبة<sup>(١)</sup> مبانيه التي استحدثت في عهد صاحب الجلالة الملك فؤاد ملك مصر صاحب اليد الطولى في هذه النهضة المباركة ، أمد الله في عهده . وقد كان الأجدد بخدام العلم على اختلاف نحلهم أن يقتبطوا ويبتمجوا كلها رأوا العلم متقدماً وإن كان على يد غيرهم . وفق الله الجميع

لما فيه خير الجميع

محمد الحسيني رجا

مفتش الآداب بالجامع الأزهر

(١) زاد أحد السامعين لأوردين معهد أسيوط الجديد وشهد بأنه أفهم من جامعة السربوز الرئيسية .

## تأملات في آيات الصانع

« أفي الله شك فاطر السموات والأرض ؟ »

أنا لست أزعج أني سأبتكر لك في هذا الموضوع ابتكارا جديدا ، فهو في ذاته قديم جد القدم ، قديم منذ كانت العقول والأفكار ، ومنذ أدركت هذه النفوس بفطرتها أنها لم تخلق من غير شيء ولم تخلق هي نفسها ، فأخذت تبحث عن خالقها في كل ما يقع عليه حسها من شيء ؛ قديم منذ كانت الأديان وكان الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فلم يعالجوا الناس ما عالجوهم في هذا الموضوع وإنما أنا الآن بصدد تأملات أريد منك أن تصحبنى فيها ، وإذا كان غيرنا قد سبقنا إليها فليس ذلك مما يهونها علينا ، بل هو بالعكس مما يؤكدنا ويشجعنا على المضى فيها .

على أنك — إن قبلت نصيحتي — لست منتفعا بتأمل غيرك حتى يكون تأملك أنت ، وليست كل آية في الأرض والسماء آية عندك إلا أن تعقلها وتهتدى بها . ومع كل هذا فساأحاول أن أجعلك تنظر لموضوع من ناحية شائقة ؛ وأظن أن في تغيير الصور والأشكال بل في تغيير الأسلوب نفسه جدة لا بأس بها . تلك الناحية هي العناية الإلهية ، العناية التي ترى قصد توجيهها في كل ما نحسه من شيء ، فإن تخيل متخيل أن السموات والأرض ومن فيهن وجدت عن طريق الاتفاق ، فليس من العقول أن يشك في هذه الترتيبات والنظم التي لا يمكن أن تكون في عظمتها ودقتها وكثرتها وأعقدها وسداد توجيهها إلى غاياتها المرجوة منها إلا مقصودة لقاصد ، مرادة لمريد ، مدبرة يقينا ، تكاد تلمح اليد الحكيمة الصانع من خلال تسييرها وتوجيهها .

هب أنت الطبيعة منحتني يدا ، والطبيعة وإن كانت ذات قوى كبيرة هي كما يقول العقل ويقول الحس غير مدركة ، فكيف اهتدت إلى أن هذه اليد

لا يمكن الانتفاع بها إلا إذا ركبت من ثلاث قطع : عضد ، وساعد ، وكف ، يوضع بين كل واحد منها والآخر مفصل يتحرك به إذا شاء ويسكن متى أراد ؟ :  
وكيف اهتمت الطبيعة الى أن تشقق هذا السكف منى ومنك الى خمسة أصابع لا بد منها في تمام الفائدة من اليد وحصول الغرض على أكمل وجهه ؟ : ثم كيف اهتمت الى أن تقسم هذه الأصابع الى أنامل ، وأن تضعها على مفاصل كذلك تتحرك بالمشيئة والاختيار ؟ : صدقني أني وأنا أكتب هذا كنت أنظر الى يدي دهشا معجبا ، إذ أرى الإبهام في مقابل الأصابع الأربعة يحوز إليها وتسند عليه ، فقلت : هل كنت أستطيع الكتابة لو أن الإبهام وضع في محاذة الأصابع الأخرى ؟ ثم تأملت أصابعي فرأيتها كلها منحنية ، فلم أدر ماذا كنت أفعل لو أن كل أصبع منها جعل عمودا مستقيما لا مفاصل فيه ؟ على أن تشقيق الأصابع وتقسيمها الى أنامل ما كان يغني عني شيئا لو أن كفي نفسه لم يكن هو الآخر مفصولا عن ساعدي بذلك المفصل الذي يمكنه من أن يدور على نفسه الى أي جهة أراد ، بل ما كان هذا كله يكفي لتمكني من الكتابة لو كان العضد والساعد كلاهما قطعة واحدة لا فاصل بينهما . وقل مثل ذلك تماما في كل صانع وعامل يريد أن ينتفع بيده فيعمل بها عملا ما — هل كان يستطيع مزاولته عمله على وجهه الأكمل من غير أن تتم له هذه الكيفية للحكمة في خلق اليد ؟ ثم قل لي بربك هل يمكن أن يكون ذلك إلا مقصودا غاية القصد مرادا كل الإرادة ، مدبرا لهذه الغايات والمقاصد الواضحة منه ذلك التدبير المحكم ؟ ( فتبارك الله أحسن الخالقين )  
أترى أننا لا نفرق بين الأعمال الصناعية والأعمال التي يسمونها طبيعية بأكثر من هذا ؟ فنحن إذا مررنا ببستان قد صفقت أشجاره فوضعت على خطوط متوازية مستقيمة ، ثم ضم كل صنف منها الى شبيهه فوضع الخلو والخمض والمالح كل في مكانه لا يجاوزه ولا يختلط بسواه ، ثم رأينا يد التنسيق والتهذيب قد تجارت في البستان الى طرق معبدة ، وأرائك مصفوفة ، وزراعي من خائل الزرع مفروشة مبشوة ، ونوافير

تقذف بسيائك اللجين من الماء الزلال فتردها إليها الشمس ذهباً أصفر وعقيقاً أحمر وزمرداً أخضر وأنواعاً من الجواهر على عدد ألوان الطيف ، أقول : إذا رأينا هذا البستان وعجائبه ، ألسنا نجزم ببداهة العقل بأن هذا النظام الذي شمله عمل تفكير وروية ، وأن أحداً إذا ظن أو توهم أن هذا التنظيم وذلك التنسيق قد جاء من طريق المصادفة فإننا نحكم عليه بأنه خارج عن دائرة العقل ؟

فهل ترى العناية البادية بكل صغيرة وكبيرة من الخلق ، وأثر الصنعة الذي زاه بأعيننا ونلغسه بأيدينا في كل نواحي الكون أقل دلالة على صانعه ومبدعه من ذلك البستان على منظّمه ومرتبّه ؟

عجبا لك تؤمن بالشئ وتكفر بمثاله ، أو تؤمن بالشئ وتكفر به في آن واحد ؛ وإني والله لا أدرى كيف يؤمن بشئ في الحياة من يكفر به ، وكيف يستطيع الإخلاص في أي عمل من لا يروجو ثواب خالقه ؛

فقد عهدنا الناس ، ولا شئ ، عندهم أظهر من نكران الجليل وجحود الخير ، تدفعهم إلى ذلك خلائق شتى ، وطبائع من الحسد والحقد والمنافسة لا يجدون عنها محيصاً ، فانتظار الثواب منهم برق خُلب ، وأضيع العمل ما قصدت به وجوهمهم وابتغيت به مرضاتهم . وليس القول بإلزام النفس أن تفعل الخير لذاته دون أن ترتقب عليه جزاءً ما إلا هراء وتضليلاً .

وكل ما ينجيل إلى الناس من تضحيات بعض الفلاسفة والعظماء أنه عمل لغير غرض دنيوى أو أخروى : لوقشوه لوجوده مليئاً بالغايات والأغراض المادية لذلك لا ينتقى منا العجب حينما نتصور حياة هؤلاء البائسين الذين يرغمون أنفسهم إرغاماً أن تعيش بغير إله ، ويحاولون جهد المستطاع أن يتسامع الناس عنهم بأنهم قد انتزعوا منها تلك الفطرة التي فطرها الله عليها . كيف يعمل هؤلاء بل كيف يحبون ؟ وما هو موقفهم في الضراء والسر ؟ ! وهل لهم أمل ؟ ! سبحانك ربى : أكل هذا الشقاء والعذاب

ليقال عنهم عند أشباههم من خلق إنهم فلاسفة وقادة فكر : ألا إن خول الذكر خير من الذكر الذميم ، وكما قال عيسى عليه السلام : « ماذا ينفع المرء لو ربح العالم وخسر نفسه ؟ » .

نسأل الله تعالى لهم الهداية من فضله : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون . وهذا صراط ربك مستقيماً ، قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون » .

السيد رجب  
واعظ قليوب

## حسن الاحدوثة

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » فسرره بعض المفسرين بأنه أراد حسن الثناء من بعده .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا أردتم أن تعصوا ما للعبد عند ربه فانظروا ما ينفعه من حسن الثناء » .

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبي موسى الأشعري : « اعتبر منزلك من الله بمنزلك من الناس ، واعلم أن ما لك عند الله مثل ما للناس عندك » .

وقيل لبعض الحكماء : ما أظذك الدهر ؟ فقال : العم به . قال : فما أحمد الأشياء ؟ فأجاب : أن تبقى للانسان احدى حادثة حسنة .

وقال أكرم بن صبيح : « إنما أتم أخبار ، فطوبوا أخباركم »

أخذ هذا المعنى أبو تمام فقال :

وما ابن آدم إلا ذكر صالحة أو ذكر سيئة يسرى بها الكلم  
أما سمعت يدهر ياد أمته جاءت بأخبارها من بعدها أم



## قيمة العلم في الاسلام

قال العلامة الفرنسي (مسمر) في رده على محاضرة الفيلسوف أرنتست رينان وقد نقلناه في هذا العدد : « إن الاسلام لا يتمتع ويزدهر إلا بانتشار العلوم وتقدمها لأن بين الاسلام والعلوم رابطة أكيدة . وهو كلام وجيه يؤيده الكتاب والسنة أبلغ تأييد ، قال الله تعالى في مقام الدلالة على قيمة العلم : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ؟ وهو استفهام إنكارى كبير التأثير فى النفس . وقال تعالى : « وقل رب زدنى علما » وهو أمر صريح بوجوب طلب العلم . وقال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » قال ابن عباس : بينهما سبع مائة درجة . وقال تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » علق فهم تلك الأمثال على العلم ، وفي هذا من الحظ على طلب العلم - على وجه - ما فيه .

أما السنة فقد شحنت بالأحاديث الحاثثة على طلب العلم والدعوى على تحصيله ولو من أقصى مظانه ، فروى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اطلب العلم ولو بالطين » وما بين بلاد العرب والصين آلاف من الأميال ، والسفر إليها فى عصر النبوة كان من أشق الأمور ، وفى هذا من استنهاض الهمم ، وبعث النفوس مالا مزيد عليه . وروى عنه عليه الصلاة والسلام : « الناس عام ومتعم وسائرهم هيج » ، فانظر رعاك الله كيف حصر الناس فى دائرة العلم وعدم من عداهم همجا ، وهذا أبلغ ما يعرف فى باب الحث على العلم والترغيب فيه . وروى عنه عليه الصلاة والسلام : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطالب ، ولمداد ماجرت به أقلام العلماء خير من دماء الشهداء فى سبيل الله » . وإنا لنشهد أن هذا تشويق لطالب العلم لا يدانيه سواء ، فإن وضع الملائكة أجنحتها لكبارا لطالب العلم يدفع بالإنسان الى طلبه انميل هذه المسكاة العلوية ،

والتصريح بأن مداد أقلام العلماء خير من دماء الشهداء في سبيل الله ، يشعر بأن أثر العلم في بناء الشعوب ، وإقامة صروح عظمتها ، أبلغ من أثر بذل الأرواح في الدفاع عن حوزتها ، وتوسيع دائرة سلطانها . وهذه الحكمة العليا تكشف عن إدراك بعيد المدى بأسباب الارتقاء والبقاء للأمم ، فإنه قد ثبت في جميع أدوار التاريخ أن اعتماد الأمم على مجرد القوة للدفاع عن وجودها ، ولضمان بقائها عاملة في مجموعة الأمم ، لا ينيلها هذه الأمنية إلا إذا ضمت الى قوتها المادية قوة أدبية توجب لها التفوق العقلي ، فقد انحلت أمم كانت من القوة الحربية على أوفر الحظوظ ، ولم تخلف وراءها أثرا يذكر ، خلافا للأمم التي جمعت بين الفضيلتين ، فقد امتدت حياتها قرونا طويلة ، ولو كانت استمرت حريصة على مسكاتها منها ، لبقيت قوية تغالب الحوادث وتغلب عليها .

ولسنا نشك في أن هذا الحديث الكريم من أعلام النبوة ، فإن البيئة التي كان فيها النبي صلى الله عليه وسلم كانت بيئة أمية ليس للعلم فيها شأن يذكر ، وكان للتفوق الحربي فيها القدر المعلي في مفاخر الأمم ، فأتيانه بهذه الحكمة العمرانية السامية يدل على أنه تلقاها من طريق الوحي الإلهي ، لأن الحكيم مهما نفذت بصيرته لا يستطيع أن يسبق الى أمهات الأصول الاجتماعية التي لم تنقرر بين الناس على عهده . ألا ترى أن أفلاطون وتلميذه أرسطو قررا أن الأرقاء مجردون من الأرواح الانسانية ، وأن العاملين في المهن اليدوية يجب أن يحرموا من الحقوق المدنية ، وهما من هما في العلوم الكونية والمباحث الفلسفية .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام : « لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل » ، وهذه أيضا من دلائل النبوة ، فإن البيئة الأمية لا يمكن أن تكون مصدرا لمثل هذا النظر البعيد في العلم . فإن كان يعقل أن يظهر فيها من يجيب في طلب العلم فلا يعقل أن ينبغ فيها من يرى أن العلم لا حدة له ، وأن الانسان مهما تعلم لا يزال جاهلا بأكثر ما بين يديه ، بله ما ليس بين يديه ولا يتخيل وجوده تخيلا .

فهذه الآيات الكريمة والآحاديث الشريفة تثبت ما قاله العلامة (مسمر) من أن بين العلوم والاسلام رابطة أكيدة . وقد ظهرت هذه الرابطة بأجلى مظاهرها في حياة المسلمين الأولين ، فقد أظهروا كلفا بالعلم لا يمكن تمثيله إلا بوجود هذه الرابطة . فإنهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أخذوا يخاطبون الأمم التي سبقتهم في العلم ويقتبسون منها أفضل ما يجدونه لديها سواء في المعارف المادية أو المذاهب الفلسفية ، ولم يكفهم ما وجدوه شائعا بين الناس ، فهبوا يستثيرون دقائق العلم من مظانها ، فبعثوا من علوم اليونانيين والفرس ما كان قد جهله أهله أنفسهم ، ودأبوا على ترجمته الى لغتهم ، وتناولوه بحثا وتنقيبا ، ولم يقنعهم أن يكونوا مقلدين فيه ، بل أعملوا فيه النظر ، فأخذوا ما ثبت من أصوله وتركوا ما لم يثبت ، أو هذبوه حتى وافق لصواب ، ووضعوا علومها جديدة لا تزال أسماؤها عربية كعلم الجبر وعلم الكيمياء .

ومما حير العقل أنهم اتبعوا في بحوثهم العلمية الأسلوب العملي الذي يؤدي الى نتائج صحيحة ، لا الأسلوب العقلي الذي يكثرفيه الخبط والخطأ . قال الأستاذ (دراير) في كتابه (المنازعة بين الدين والعلم) :

« لقد كان تفوق العرب في العلوم ناشئا من الأسلوب الذي توخوه في مباحثهم ، وهو أسلوب اقتبسوه من فلاسفة اليونانيين ، فإنهم تحققوا أن الأسلوب العقلي المحض لا يؤدي الى التقدم ، وأن الأمل في وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقودا بمشاهدة الحوادث ذاتها . من هنا كان شعارهم في بحوثهم الأسلوب التجريبي والدستور العملي ، وكانوا يعتبرون الهندسة والعلوم الرياضية أدوات ومعدات لعلم للنطق . وقد يلاحظ المطالع لكتبهم العديدة على الميكانيكا والابدروستاتيكا (علم توازن السوائل وضغطها على جدران أوعيتها) ونظريات الضوء ، ولا يصادف أنهم قد اهتموا الى حلول مسائلهم من طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات . هذا هو الذي أدى العرب الى أن يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء ، والمستكشفين لعدة آلات للتقطير والتصعيد والإسالة

(إسالة الجوامد) والتصفيه الخ، وهذا بعينه أيضا هو الذي جعلهم يستعملون في بحوثهم الفلكية الآلات المدرجة، والسطوح المعامة، والاسطرلابات (هي آلات لقياس أبعاد الكواكب) وهو أيضا الذي بعثهم لاستخدام الميزان في العلوم الكياوية، وقد كانوا على ثقة تامة من نظريته، وهو الذي هدام لعمل الجداول عن الأوزان النوعية للأجسام والأزياج الفلكية (هي آلات تعرف منها حركات الكواكب) مثل التي كانت في بغداد وقرطبة وسمرقند، وهو أيضا الذي أوجد لهم هذا الترقى الباهر في الهندسة وحساب المثلثات، وهو أيضا الذي هم بهم لاكتشاف علم الجبر، ودعمهم لاستعمال الأرقام الهندية. هذا هو سبب تفضيلهم لأسلوب أرسطو الاستدلالي على مقالات أفلاطون الاستنتاجية.

الى أن قال :

« كان الملك الاسلامي يفتخ بالمدرس والمكتبات، وكانت بلاد المغول والنتار وراكش والأندلس حاصلة على عدد عديد منها، وكان في طرف من أطراف هذه المملكة الواسعة، التي فافت المملكة الرومانية كثير، مرصد في سمرقند لرصد الكواكب، وكان يقابله في الطرف الآخر مرصد (جيرك) في الأندلس.

« ولو أردنا أن نستقصى كل آثار هذه الحركة العالمية العظمى، خرجنا عن حدود هذا الكتاب، فإنهم قد رفقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جد ( تأمل ) وأوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم».

الى أن قال :

« إن نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الذي نالته الصنائع في عصرهم، فقد استفادت منها فنون الزراعة في أساليب الري والتسميد وتربية الحيوانات وسن المنظمات لزراعية الحكيمة، وإدخال زراعة الأرز وقصب السكر والبن، وقد انتشرت المعامل والصنائع لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف

والحرير والفضة ، وكانوا يذيمون المعادن ويجرون في عملها على ما حسنوه وهذبوه من صنعها وسبكها » انتهى .

وقال العلامة الدكتور (جوستاف لوبون) الفرنسي في كتابه (تمدين العرب) :  
« العرب مع ولعهم بالأبحاث النظرية لم يهتموا بتطبيقها على الصنائع ، فقد اكتسبت علومهم لصناعاتهم جودة عظيمة جدا . وإننا وإن كنا لم نزل نجهل أكثر الطرائق التي سلكوها لذلك ، فإننا نعرف نتائجها وآثارها ، فنعرف مثلاً أنهم احتفروا للمناجم واستخرجوا منها الكبريت والنفاس والزئبق والحديد والذهب ، وأنهم برعوا جدا في الصباغة وتمهروا في صقل الفولاذ تمهرا بعيد المدى ، وأنهم في كثير من فنون الصنائع قد برعوا برعة لم يلحق لهم فيها شأو للآن » ( تأمل ) .

أليس معنى هذا كله أن العرب اندفعوا بحافز من دينهم الى اقتباس العلم حيث وجدوه ، وجروا فيه الى آخر شوط سمح لهم الزمن الذي كانوا فيه ؟ فإذا كان في دينهم صدقته لما اندفعوا هذا الاندفاع الذي حير المؤرخين أجمع ، ولما كان هذا الاندفاع عاما في جميع البقاع التي حلت فيها جماعاتهم ، إذ يستحيل أن يتواطأ المسلمون في جميع البلدان على ما بينها من البعد على أن يجروا على خلاف ما يأمرهم به دينهم ، فشبهة الميسورينان داحضة دحوضا لا انتماش لها منه .

هنا يحسن بنا أن ننبه القارئ الى أن مراد الاسلام من العلم كل ما تنفق به الجاهالة ، سواء ما كان منه لتصحيح العقائد ، وتقرير الفرائض ، وتطهير النفس من الأوهام والوساوس ، وما كان منه لإدراك حكمة الله في مخلوقاته ، وما يتأدى اليه الناظر فيها من استكشاف أسرارها ، وتعرف قواها ، واستخدام ما يفيد منها في تقويم حياته المادية ، وترقية مواهبه العقلية ، ولاستكمال شروط النظر في الكونيات التي ندب الكتاب الكريم الى النظر فيها ، بقوله تعالى : « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » ، إذ كلما كان الإمام يدققها أوسع ، كان الاستبصار بها أكبر ، والاعتبار بها أكل .

محمد فرير ومجدي

## مائة حديث وحديث

هذا عنوان رسالة وضعها حضرة صاحب العزة الألعى محمود حاطر بك وضمنها مائة حديث وحديث للنبي صلى الله عليه وسلم اختارها من جوامع كله ، ونوابغ حكمه . وقد شرحها من ناحيتي اللغة والمعنى شرحا وافيا . فنشكر لحضرتة هذه الخدمة الدينية ، ونتمنى لها الذيوع والانتشار .

## علم الدولة

وضع هذا الكتاب حضرة الأصولي المحقق الأستاذ أحمد وفيق المحامى ، وموضوعه فقه النظم التى تقوم عليها الدولة ، وهو لأجل أن يوصل الى هذه الثمرة مر على جميع الأدوار التى كابدها هذه النظم ، وأتى على تاريخ تطوراتها ، وعلى أشهر الآراء فى أصولها وفروعها ، وكفانا أن نقول هذا ليدرك القارئ أن فى هذا الكتاب من لباب العلوم الاجتماعية ما لا يوجد فى غيره . فنشكر للمؤلف المفضل همته ، ورجو أن ينال على عمله بما هو أهله .

## جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تأسست هذه الجماعة بالاسكندرية سنة (١٣٤٨) وهى تاملة على إحياء السنة وإماتة البدعة والمساهمة فى أعمال البر . وصل إلينا تقريرها لسنة ١٣٥١ - ١٣٥٢ قرأنا فيه أن عدد أعضائها قد بلغ ٣٩٣ وبلغت إيراداتها ٢٢٥ جنيها و ٧٨٦ مليا . ومن أعمالها افتتاح مدرسة يتعلم فيها ٩٦ تلميذا ، ومنح إعانات لبعض خطباء المساجد لالتقاء دروس وعظية فيها بين المغرب والعشاء ، وقيامها بعمارة زاوية السيدة ستينة ، وإحياء مكتبها . ومساهمتها فى عمل البر كإمداد بعض المعوزين بالمال . وتجهيز موتى للفقراء ، وتحويل بعض أبناء السبيل المنقطعين ، فنثنى على حضرات القائمين بها ورجو لهم زيادة التوفيق .

## الى حضرات القارئ

نلفت نظر حضراتهم الى ضرورة ذكر رقم اشتراكهم (الموضوع على غلاف المجلة) مع كل كتاب يرسلونه للادارة خاصا بتغيير عنوانهم أو بطلب من طلباتهم ، ليسهل مراجعة أسمائهم .

"The Prophet on whom be peace had so often exhorted us to the kindly treatment of the neighbour that we feared he will give him the right even to inherit us."

It is related that a Jew complained Ali to Omar and when Ali presented himself before Omar, the latter said to him "Sit down Abul-Hassan (Father of Hassan)" Ali showed signs of being annoyed and Omar said: "Art thou annoyed Ali because I have treated you on an equality with the Jew?"

"No" said Ali "But I was annoyed because you have favoured me with a nickname while you did not nickname the Jew."

Such incidents taking place in the early days of a nation which had only recently been delivered from a state of complete ignorance, are not only great, but also most surprising.

The highest philosophy on earth will fail to account for this sudden change which the morals of the Arab nation had undergone. If this change had been the result of the raising of its human standard to the same level as that of civilised nations of the time, it would have been deemed truly wonderful.

But what if the result was to raise that nation to a standard hitherto unattained by the civilised nations of our times?

There could be no doubt that this phenomenal moral change should be regarded as one of the innumerable miracles of Islam which the progress of science reveals to the minds of men in their full significance and glory:

« سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ »

ترجمة تفسیر هذه الآية تقرأ عن البضاوی

"I will shew you my signs in this world and the hereafter, so hasten ye not their revelation"

( Baidawy's Commentary ).

---

indicative of its superiority to all other systems? Would not the success it achieved in inducing its people to uphold and adhere faithfully to it suffice to convince one of its efficacy as a remedy for the terrible state of uneasiness which pervades the world to-day?

In peace time, the Moslems were no less strict in the observance of those humane principles. History, even that recorded by non-Moslem historians, bears testimony to the fact that Moslems have lived together with followers of other religions on the best terms of amity and friendliness. They have treated them on an equal footing in regard to neighbourly relations and litigation. They gave them complete freedom to frequent their own churches and temples and to visit their own priests and rabbis. They protected their property and defended their honour. This treatment had induced certain nations to surrender to them to benefit of the rule of Islam rather than remain under the rule of their own co-religionists.

In their treatment of foreigners, the Moslems observed even more than the bare principles of justice and equality. They observed amity and kindness. The Prophet on whom be peace, has laid the foundation stone of this great epoch of human intercourse irrespective of creed, race or nationality. He used to visit them in their homes, come to their sick-beds, accept their invitations and attend their funerals. He even went as far as to permit marriage relationship with them an act which constitutes the highest imaginable bond between sects. He ordained that a Moslem who is married to one of their women should not compel her to disavow her religion or hurt her susceptibilities regarding it. He should allow her complete freedom to practice its ritual and should not prevent her from going to church to perform what she believes to be her duty in prayers.

In regard to charity and alms giving, the Prophet has ordained not to make distinction between a Moslem and a non-Moslem. In this connection he says: "Give ye alms to followers of all religions,"

The Corruptions of the Prophet on whom be peace, have strictly observed these orders and have faithfully carried them out.

The following incident is recorded by Mujahed: "I was once in Abdullah Ibn Omar's house when a servant of his was engaged in skinning a sheep. "Boy, when you finish skinning, start with our neighbour the Jew" said Abdullah Ibn Omar and repeated it several times. "What! how many times are you going to say this" said I, to which he replied:



The call to Islam was circumscribed by these high principles so that the preachers might not be carried away by their zeal to use compulsion and so that they may steer a middle course between the two extremes of disgraceful neglect and excessive enthusiasm. The issue is then be left in the hands of Providence.

Could these be a more equitable way or stricter observance of humane principles in the annals of religious history?

Islam has required its people to fully observe humane principles even in time of war. It enjoined its people to make a declaration of war before they take the field against their enemy. They are not to take them unawares without previous declaration.

In the height of battle, they are enjoined not to commit brutal excesses or apply the coup de grace to a wounded enemy, Nor kill those who surrender to them or the non-combatants who accompany the army. If the Lord gives them victory over their enemy, they are not to pursue and hunt down the defeated and if prisoners fall into their hands, they are enjoined to treat them with kindness for the Prophet on whom be peace said:

"I commend prisoners unto your good care." The Moslems have remained true to their Prophet's saying and many incidents have been recorded where Moslem soldiers gave their bread to prisoners and went without themselves or contented themselves with a few dates.

If the Moslems invade the enemy's country, they are forbidden by their religion, to kill the old and infirm, religious men, women and children. They are also forbidden to mutilate the bodies of their most bitter enemies or to burn up their farms or homes.

The history of the human race fails to find a parallel of such chivalrous and noble deeds under circumstances in which man forgets even his own self

Indeed, Europe which prides itself on its science and civilisation has failed to attain this high standard of humane principles in its warfare. We have seen the destruction caused by the belligerent forces to peaceful citizens and we hear of the terrors of poisonous gases which are being prepared for the next war by those who claim to be the most civilized and cultured people of the world, gases which will wipe out every living being including old people, women, children and animals.

If such is the civilised people pursuit, to devise death-dealing methods for non-combatants when science and civilisation have reached heights hitherto unattained in any epoch of the world history, would not the clement system ordained centuries ago by Islam be regarded as

an altitude and in this connection the Lord saith:

« فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ  
بِآيَةٍ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ »

ترجمة تفسير هذه الآية لقلا عن البيضاوى

"If thou canst seek an opening whereby to penetrate unto the earth or a ladder by which to ascend unto heaven to bring them a sign, thou wouldst do so. But if Allah pleased, He would bring them all to guidance and belief, so be thou not therefore one of the ignorant"

( Baidawy's Commentary ).

The Lord also saith:

« لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَآلَكِنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ »

ترجمة تفسير هذه الآية لقلا عن البيضاوى

"Thou art not responsible for their guidance but Allah guideth whomsoever He pleaseth"

( Baidawy's Commentary ).

and:

« أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا  
بِإِذْنِ اللَّهِ، وَيَجْعَلُ الرُّجُسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية لقلا عن البيضاوى

"What! Wilt thou force men to become believers against Allah's decree? No soul can believe except by Allah's will and He shall deal out punishment and failure to those who disregarded the consideration of His signs"

(Baidawy's Commentary).

And:

« فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ »

ترجمة تفسير هذه الآية لقلا عن البيضاوى

"Verily thou art responsible for preaching only and We are responsible for recompense"

( Baidawy's Commentary ),

ignorant and unwary in an endeavour to convert them to their religion, gain nothing thereby despite the great efforts and expenses expended by them to that end.

This is borne out by the Lord's saying:

« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

"Verily those who expend their wealth to turn men away from the religion of Allah and His Prophet will spend it all, then grief shall overtake them for its loss and in the end they shall be overcome."

( *Baidawy's Commentary* ).

The principle of preaching in Islam is borne out by principles from psychology and social science which make the observance of wisdom and discretion an indispensable matter in preaching. Omission of this on the part of the preacher will inevitably lead to change such qualities as zeal, enthusiasm and love of conviction into weaknesses altogether foreign to Islam and constituting moreover elements of failure as well as causes of dissension and dispute.

Among these scientific principles which the Lord has revealed to the followers of Islam, is that the difference of people in religion is the result of the difference in their intellectual attainments. Had the Lord pleased, He would have made all people one single nation for thus saith the Lord:

« وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ، وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

"And if thy Lord pleased, He would have made all people Moslems, but men shall not cease to differ regarding the truth save those to whom thy Lord hath granted mercy, and for this hath He created them."

( *Baidawy's Commentary* ).

The Prophet on whom be Peace, was greatly chagrined at the bigoted and blind attachment of people to the tradition and practices of their forebears. They persistingly demanded a proof to which they will submit but it was mere obstinacy to the truth that they took such

of the vanquished people into their religion. But if they refuse such conversion, the soldiery were directed to use the sword and in this way, millions have been massacred and whole nations were destroyed.

But what of Islam? Islam that was destined to succeed all religions on earth. It has laid down for its preaching activities, a system of religious reasoning in which its great humane principles were so clearly demonstrated with the result that it has spread far and wide and won the sympathy of many a nation exceeding thereby any influence gained by the ruthless coercion and tyranny perpetrated by the preachers of past creeds.

The first principle laid down by Islam in this connection is:

« ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ،  
ترجمة تفسير هذه الآية تفاعيل البيضاوي

"Call thou unto Islam with wise discourse and good counsel and argue with the disputants in the kindest manner, verily thy Lord knoweth them best who have deviated from the path He ordained, and He knoweth best those who are guided thereto"

( *Baidawy's Commentary* ).

The Lord be praised has ordained that call to Islam should be conducted with wisdom that is, justice, knowledge and tolerance coupled with wise discourse. Should this fail and should obstinacy and bigotedness gain the upper hand, recourse is to be had to good counsel as it will be most needed then. But if good counsel proves futile, argument and conviction are resorted to provided this is done in the kindest possible manner in which politeness and due consideration of the disputant's feelings are throughout maintained.

One may well wonder at all these high manners being observed in connection with people who blindly follow their religion and are not worthy of any regard. But should they consider that Islam calls to the maintenance of the highest possible qualities at all times and in all fields even in war, they would soon realise that the observance of such manners in the field of religious preaching, is much more essential than in any other field so that the Moslem preachers may offer a living example of what they preach, otherwise their efforts will be doomed to utter failure.

Unscrupulous preachers who employ such shameful means as the kidnapping of minors, tempting the sick and needy and enticing the

وَلَا يَنْهَىٰكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

ترجمة تفسیر هذه الآية نقلا عن البیضاوی

"Allah doth not forbid you to be charitable and to deal justly with those who have not waged war against you on account of your religion and have not driven you out of your homes; verily Allah loveth the equitable."

( *Baidawy's Commentary* ).

That is, Allah does not forbid you to treat with kindness and justice the non-Moslems who do not wage war against you with the intention of forcing you out of your religion and driving you out of your homes.

This is a principle with which humanity was unfamiliar before the advent of Islam. The followers of every religion regarded those of other religions as bitter enemies to be kept in bondage or put to death should they fall in their hands.

The Roman Empire, to whose domains the Moslems succeeded, continued throughout its reign to refuse admission to its territory to any foreigner even as a trader, unless he could obtain an official permit or could claim the protection of one of their grandees.

On the advent of Islam, this state of things was completely changed. Foreigners became entitled to the same protection given to Moslem citizens. The foreign trader or traveller, moved freely about the country in full security and this feeling induced millions to embrace Islam with no more preaching on its part except the true humane principles which they have witnessed under its rule.

Preaching is necessarily the most conspicuous field in which the virtuous principles of any religion are given full display. Zeal, enthusiasm, love of conviction and pride of mastery, all work together to win the sympathy of fresh supporters to the new religion. Should the followers of that religion lack religious reasoning, all these qualities will be swung to the other extreme and would be changed into a relentless barbarism which knows no limit at which to stop. In this wise, the preachers of all preceding religions even those religions which prohibited the acquisition of arms and self-defence, carried propaganda. Their preachers were wont to accompany the invading armies and on the conclusion of the military operations, they took in hand the conversion

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

## ISLAM

### ITS MISSION IN THE WORLD. (1)

---

#### VII.

##### INCULCATION OF HUMANE PRINCIPLES.

Though men may be of the same nature and fundamentally of the same intellect, yet the corrupting elements of ill breeding and the influence of heredity and imitation coupled with ignorance and racial prejudice bar many of them from adhering to the same religious principles. Whole nations have professed different creeds and religions and the Lord be praised, seeing that the Moslem nation is bound to come into contact with those nations and even rule many of them, has wisely ordered certain principles for the Moslems to go by in such a state of social intercourse. A general principle was laid down by the Lord's saying:

---

(1) Translated from Mr. Mohammed Farid Wagdy's editorial in "Nour-El-Islam" Review.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مهمة الدين الاسلامي في العالم

- ١١ -

دعوته الى تأسيس دولة الحق في الأرض

الحق الذي هو نقيض الباطل ، هو العدل الخالص ، وهو الأصل الراسخ ، روح كل نظام ، وحياة كل كمال ، وقوام كل خير في الأرض والسماء ، يهتدى إليه العقل السليم ، ويؤيده العلم الصحيح ، ويتأدى إليه النظر القويم ، يرتاح إليه القلب ، ويطمئن له الضمير . والباطل هو فساد الزائل ، والظور الحائل ، والنشر المستطير ، علة كل متداع ، وسبب كل فتنه ، ينفر منه العقل ، ويدحضه العلم ، ويتقرز منه النظر ، لا تقوم له دولة إلا حيث تسود الجمالة ، وتعم العماية ، أو حيث تعمرد الشهوات ، وتعبد الأهواء ، وتُسَهِد المثلات ، وتُنَجِّل الهلكات .

الحق هو الأصل الأصيل في كل وجود ، والباطل يعرض عليه ، فلا أقول إنهما متى تقابلا يضطرعان ، ويتنازعان السلطان ، ولكني أقول إن الحق يدحض الباطل ويذهقه ، ويكر عليه فيمحقه ، ولا عبرة بتطاول الزمان ، فإن للخالق في ذلك الإمهال حكمة ، ولا بد أن تذوق شيعة الباطل وبال أمرها ، فترجع الى هداها عن بينة ، أو تهلك عن بينة ، وستكون في ترطمها في باطنها ، وتورطها في آثارة الخائفة بها ، حجة على نفسها ، وعبرة لغيرها من الجماعات البشرية .

ليس فيما بين أيدينا من تعاليم الحكماء الأولين ، والفلاسفة المحدثين ، ما يمكن

أنت يقارن بما أتى به الاسلام في التنويه بالحق وإعلاء كلمته ، وفي التشهير بالباطل وتقويض دولته ، فقرر أولاً أن الحق أساس الوجود كله ، وقوام كل موجود فيه . فقال تعالى : « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية قاصح الصفح الجميل » ثم جعل ذلك في حكم المحسوسات لظهور آثاره في كل صغير وكبير من الخلق ، فقال تعالى : « ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . وما ذلك على الله بعزيز » ، وجعل ذلك آية بينة للمؤمنين الذين يرون بأبصارهم وبصائرهم ، فقال تعالى : « خلق الله السموات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين » .

وقد ضرب الله مثلاً للحق والباطل يتلهما للذهن بصورة تجليهما في وصفيهما المميزين ، ليندفع الإنسان محفوزاً بجميع عوامله النفسية الأخذ بالأول والركون إليه ، وترك الثاني والأزراء به ، فقال تعالى : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبداً رابياً ، ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال » ، يشبه الله تعالى الباطل بالزبد الذي يعلو الماء حين يتدفق سبيله في الأودية ، وبالزبد الذي يطفو على المعادن إذا صهرت لتتخذ منها الأواني أو الحلي ، وشبه الحق بالماء الذي يروى الأرض والناس ، وبالمعادن التي تبقى بعد نبي السكودورت عنها ، يقول : فأما الزبد فيذهب سدى لعدم الفائدة فيه ، وأما الماء والمعادن التي تستخلص من شوائبها فتبقى في الأرض لينتفع الناس بها . وأى عاقل يعول على الزبد الذي لا فائدة منه ويترك المواد التي عليها المعول في الحياة .

وقد زاد الله الحق تشريفاً فجعله من أسمائه الحسنى ، فقال تعالى : « فذلكم الله ربكم الحق » وقال : « فتعالى الله الملك الحق » وقال : « ذلك بأن الله هو الحق » .  
ولشدة عنايته بالحق سمي الاسلام دين الحق ، فقال تعالى : « هو الذي أرسل



رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . ووصف آياته ونعاليه بالحق ، فقال تعالى في وصف القرآن : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » وقال تعالى : « إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا » وقال : « يأيتها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم » وقال : « لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون » .

وقد أعلن الله الناس بأنه يؤيد الحق وينصره ويزهق الباطل ويبطله ، فقال تعالى : « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » وقال : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، فإذا هو زهق ، ولهم الويل مما تصفون » . وقال : « فل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد » وقال : « وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » .

وقد زاد في تجلية حقيقة الحق فقرّر أن كل ما عداد ضلال ، فقال تعالى : « وماذا بعد الحق إلا الضلال » ، فهل لدى مسكة من عقل أنت يعدل عن الحق ليتخبط في دياجير الضلال ، ويتعرض للهلاك بهلاك ما تمسك به من خيال ؟

هاتان صورتان للحق والباطل لم توفق أية فلسفة في الأرض قديما ولا حديثا الى الايتان بثلهما ، وقد جليتتا في الكتاب الكريم على كل وجه بحيث تتأثر بهما كل نفس بشرية ، ولا تجد مناصبا من الاعتداد بأمرهما في كل شئونها المادية والأدبية ، وفصارى المصلح الاجتماعي أن يوجه الناس توجيها ذاتيا تحت سائق من صميم فطرتهم الى تحرى الطريق القصد في محاولاتهم ، وتجنب المضال التي تؤدبهم الى عكس مطالبهم ، أو الى ما يورطهم في مشتجر شهواتهم ، ومزدحم أهوائهم .

ليس في قدرة أي مصلح ولو كان مثلاً أعلى في الإخلاص للانسانية أن يقرن كل رجل برفيق عتيد بزعه عن الباطل ، ويوجهه الى الحق ، ويتمنى لو استطاع أن يجعل هذا الرفيق نفسانيا ، فهذه الرقابة الذاتية قد أوجدها الاسلام في أكل ما تكون عليه لمن يأخذ بأدابه ، ويدمن على تلاوة كتابه . وقد ظهرت آيات ذلك في المسلمين

الأولين ، فأصبح كل منهم رجلاً ذا الحق ، وشرطياً على الباطل ، ليس في نفسه فقط بل وفي الخارج أيضاً . روى أن يهودياً شكاً على بن أبي طالب الى عمر بن الخطاب ، فلما مثلاً بين يديه ، قال القاروق لعلی : اجلس يا أبا الحسن ، فظهرت دلائل الامتعاض على وجهه ، فلحظ ذلك أمير المؤمنين ، فقال له : أكرهت يا علي أن تجلس أمام خصمك ؟ قال : لا ولكنك ناديتني بكنيتي فرفعتني عليه فكرهت ذلك .

فانظر يارعاك الله الى رجل يتمتع لأن الحاكم رفعه على خصمه لمجرد مخاطبته بكنيته ، وهذا كما هو مألوف بين الناس مقام اغتباط وارتياح ، ولكن علياً كرم الله وجهه كان حريصاً على الحق في نفسه ، وجلواز له في مجتمعه ، ولو كان ذلك على نفسه . إن عدداً قبيلاً من هؤلاء الآحاد الذين يقومون على حراسة الأصول الإلهية جديرون أن يفتحوا الأرض ، وأن يقوموا أودها ، وقد فعلوا فأدهشوا العالم ، وذهب المفكرون في تحليل ذلك مذاهب قديداً ، والحق أنهم ما وقفوا الى إتيان هذه الأمور الخارقة للعادة ، إلا بقيامهم على حراسة هذه الفضائل العليا التي لم يعرفها العالم الى اليوم . نعم : أقول الى اليوم ، لأن الكلمة العليا كانت ولا تزال بين الأمم وبين الآحاد ( للمصلحة ) لا ( للحق ) ، فاعتادوا أن يتغابوا في سبيل مصالحهم عن كل حق ، حتى إن أكيس الناس في نظرم هو الذي يسلك كل سبيل من التعسف لتأييد مصلحته غير مبال أخطأ الحق أم راعاه ، وأسوس الأمم وأحقها بالاعجاب هي التي تؤيد مصالحها بالحديد والنار غير آبهة بحق ولا متورعة عن باطل . لهذا أصبح الناس حتى في الشعب الواحد متراحمين غير متراحمين ، ومتناظرين غير متكافئين ، لا يبالي قوبهم بما جناه على ضعيفهم ، وأضحت الأمم يتربص بعضها ببعض دوائر السوء ، مما جرها الى الإسرار في الإنفاق على الآلات المدمرة ، والذخائر الموبقة ، ف وقعت في شر أزمات اقتصادية لم يعرفها البشر الى اليوم . أسمع عن جيوش الجياع الذين يقصدون المدن العاصرة عشرات من الألوف ؟ هذا ما لم يسمع في تاريخ بني آدم أيام كان لا حول له ولا حيلة ،

فهل يصح أن يكون على هذه الحال في وسط هذه المدنية ، وفي مزدهم هذه الوسائل الصناعية ، وملتطم هذه العلوم الاقتصادية ؟

هذا كله نتيجة العمل على المصلحة دون الحق ، أقلابكون العالم وهذه حالته في حاجة ماسة الى تعاليم الاسلام العليا ، ومنها العمل على إحقاق الحق لا على ترويج المصلحة ، الخروج من هذه الفتن التي تدع الحليم حيرانا ؟

ليس معنى هذا الكلام أن الاسلام لا يعتد بالمصلحة الفردية والاجتماعية ، ولكن معناه أن الاسلام يجعل الحق فوق المصلحة ، فإذا وافقت المصلحة الحق أصبحت المصلحة حقا ، فيجب تأييدها والدفاع عنها ، وإذا لم توافق الحق كانت باطلا ، فيجب دحضها وإزهاقها .

ففي المثل الذي ضربناه في حادثة على واليهودي كان من مصلحة أبي الحسن أن يكون مكانه أعلى من مكان خصمه ، ولكنه لما رأى أن مصلحته تتعارض والحق آثر الحق على المصلحة .

وفي قوله تعالى : « كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » ، في هذا الموطن من المصلحة أن لا يعتد الانسان بالعدل ، وأن لا يشهد على نفسه أو والديه أو أقاربه ، ولكن الاسلام يأبى ذلك ويريد أن يقوم أهله على احترام الحق ضد النفس والوالدين وذوى القربى .

وقد أمر الاسلام بمراعاة الحق حتى في مواطن البأس ، فقال تعالى : « وقتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، وقد عد من الاعتداء الإجهاز على الجرحى ، وتعقب المهزومين ، وقتل الأتباع الذين يخدمون المحاربين ، وهذه مبادئ لم نعرف قبل الاسلام ، ولا تزال غير مرعية في عهد هذه المدنية المادية ، فقد يخيل لبعض الناس أن المصلحة تفضى بالإختار في العدو ، والإغراق في التنكيل به

ولكن الاسلام يرى المصلحة الحقيقية في إثبات الحق على كل اعتبار آخر ، والحق هو أن تقاتل الذي يرفع في وجهك سلاحا دون سواه .

هنا يحتمل أن يقول قائل : إن خادمه يعتبر معينا له ، فهو شريكه في عمله . وزرد عليه بأنه لو صحت هذه القاعدة لا عتبرت النساء وأقوياء الصبية والشيوخ وجميع المتخلفين معينين للمقاتلين ، ويجب قتلهم متى ظفر بهم . ولكن الحق يقضى بأن الحرب يجب أن تنحصر في المتحاربين ، حصراً لسفك الدماء في أصغر دائرة ممكنة ، وما دامت تنكسر شوكة العدو وتبطل مقاومته بانهمزام جيشه ، فيجب الاكتفاء بهذه النتيجة احتراماً للحياة البشرية . وهذا مما اختصت به تعاليم الاسلام ، وكان أفضل في تدويع أعدائه من جميع الوسائل الوحشية التي يأخذ بها أعداء الانسانية ، بل كان من أقوى العوامل في دخول الناس فيه أفواجا ، لأن النفس البشرية لما فطرت عليه من تقدير الجليل ، وذوق الفضيلة ، تنساق لحب المتصنفين بشريف الخلال ، وتميل لأن تعد في زميرتهم .

هذه الميزة من الإصلاح الاجتماعي التي اختص بها الاسلام فيها راحة الأفراد والجماعات ، وانتظام أمورهم الى أقصى حد يتخيله العقل ، لأن الحق يسع الخلق أجمعين ويصلح من شئونهم ، ويزيل من شرورهم ما لا يستطيعه العلم ولا المدنية ولقنون مجتمعة ، والباطل يضيق حتى عن صاحبه نفسه ، ولا يزال به حتى يورده الموارد ويضر المتصلين به ، لأنه جرثومة شر لا تلبث أن تستشري وتولد غيرها من العوامل المفسدة . وإذا كانت الأمم في حاجة الى الأخذ بهذا الأصل في كل زمان ومكان ، فهي اليوم بما تودطت فيه من آثار الباطل قديما وحديثا أشد احتياجا الى الأخذ به ، والاسلام لا يزال ولن يزال يهيب بها إليه ، الى أن تقوم الساعة : « يأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم ، فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله علما حكما » .

محمد فريد ومبري

# النفس

## سورة الحجرات

- ٥ -

### سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ .  
قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ قُلْ أَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . يَمْذُورَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ بِسَلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ) .

قد اطلعت على الارشادات العظيمة الفيمة التي تربط الناس بعضهم ببعض ، وتنزع ما في صدورهم من غل ، وتجعلهم متوادين متساندين ، وذلك في قوله عز من قائل :  
« لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنَّ

خيرا منهم ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب» ثم في قوله تعالى: «ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا» الخ. وهنا يبين لكم الإرشاد العام الذي يقتلع من النفوس عقيدة أن بعضهم بأصل خلقته أو بشرف نسبه خير من بعض، فوجه الخطاب الى عموم الناس ليرشدهم الى أصل خلقتهم ومبدأ تكوينهم، وأن الجميع في الذئاة يرجعون الى أصل واحد، وهم من طينة واحدة، والذي خلقهم وصنعهم إله واحد، فهم في مادتهم لا ولي متحدون، وبالنسبة الى من خلقهم متحدون، فالتفاضل لا ينبغي أن يرجعوا به الى ماضيهم، فإذا افتخروا فإتما يكون فخرهم بصالح أعمالهم وشريف صفاتهم؛ وخير الأعمال ما قرب العبد من ربه وأتاله عظيم رضاه ومنزلة قربته؛ ذلك هو تقوى الله في عمله، لا مزية عشيرته أو أهله؛ فإذا يفيد المرء أن يكون أهله من خير الناس وهو من شرارهم، وهل له من ذلك إلا قيام الحجة عليه بأبلغ من أن تقوم على من نبت في غير أهل الخير؟

وقد قالوا: الناس أربعة: اثنان قد تبين أمرهما وكفيت نجرتهما، واثنان أنت منهما على نجربة، فأما اللذان تبين أمرهما وكفيت نجرتهما فصالح بين فاسق، وفاسق بين صالحة، فلو كان للصالح الى نفس هذا والفساد الى نفس ذاك طريق، لكان في بيئته ما يجذبه إليه؛ وأما اللذان أنت منهما على تجربة فصالح بين صالحة وفاسق بين فسقة، فإلعل أحدهما لو تغيرت بيئته لتغيرت حالته. فيكون ذلك المفتخر بما تاله أهله من مجد وشرف وهو عار منه مع توافر دواعيه وتهيؤ أسبابه قد أقام البرهان على أن نفسه من خبث بحيث لا يجحد الخير إليها سبيلا، فهو يطمع نفسه من حيث لا يدري.

ومما يحكى في ذلك أن رجلا من أولاد على كرم الله وجهه كان متجاهرا بالفسق وكان في بلده مولى أسود عرف بالصالح والتقوى حتى أحبه الناس وأقبلوا عليه يفتنمون به ويتبركون، وكانوا يحلون به بقدر ما فيه من صلاح وتقوى، فكان يمر يوما والناس من حوله ما بين متبرك وخادم له، فلقية الشريف سكران، ففجأه الناس عن

طريق ذلك الصالح، فعاينهم حتى وصل اليه وقال له: يا أسود الحوافر والمشافر! يا كافر ابن كافر: أنا ابن رسول الله، أذل وأنت تجل، أنا أهان وأنت تمان! فكاد الناس يبطشون به، غماه منهم وقال: هذا محتمل منه إكراما لجده وإن خرج عن حده. ثم التفت إليه وقال له: بيضت باطنى وسودت باطنك، فظهر بياض قلبي على سواد وجهي فحسنت، وظهر سواد قلبك على بياض وجهك فقمبحت، وأخذت سيرة أبيك وأخذت سيرة أبى، فرآنى الناس فى سيرة أبيك ورأوك فى سيرة أبى، فعملوا معى ما يعمل مع أبيك وعملوا معك ما يعمل مع أبى.

ولا يخفى الحسن فى بدء هذه الآية «يأياها الناس» وبدء الآيات السابقة «يأياها الذين آمنوا» فإن الآيات السابقة كانت مسوقة للنهى عن أحوال لا تلتئم مع وصف الإيمان، فوجهت أنظارهم الى الإيمان ليكون عوناً على اقتلاعها؛ وأما هذه الآية فهي مسوقة لاقتلاع مبدأ الفكرة التى درج الناس على سرعاتها فوقعوا عامة فى خلالها، وهى الافتخار بأنسابهم، وبماضى أسلافهم، وهى فكرة وقع فيها الجميع، فكان جذيراً بها أن يوجه الخطاب المتعلق بها الى الجميع، فقال تعالى: «يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى» والمراد بهما آدم وحواء؛ وقد تضمنت حكيمين: (الأول) أن الله هو الذى خلق الجميع، فليس بينهم تفاوت فى الصانع. و(الثانى) أن المبدأ الذى خلقوا منه واليه يرجعون واحد. وإذا أردت ترجيح شئ على آخر بماضيه فلا يمدو أن تقول: هذا صنع من معدن وذلك من معدن أعلى وأشرف؛ أو تقول: هذا صنعه فلان وذاك صنعه فلان الذى هو أmeer منه. فأما وقد صنع الشيطان من مادة واحدة، وصانعهما واحد، فلا وجه لتفضيل أحدهما على الآخر بماضيه، وإنما يكون التفاضل بينهما بما حواه كل منهما فى ذاته وفى حاضره، لافى سابقه وغايه. ونكتة ثالثة وهى ما يقيد به قوله تعالى: «إنا خلقناكم» من أن هذه الخلقة لأفضل لكم فيها، فليس لكم فيها أى مدخل، وإنما هى من خلقنا وإيجادنا، فكيف تغفرون بما لا دخل لكم فيه!

والخلق : الإنشاء والإيجاد . والجمل في قوله : « وجعلناكم شعوبا وقبائل » هو التكميف والتنويع ، أى أن الخلق يرجع الى إيجاد الذات ، والجعل الى تنويع الصفات ، ولذلك قالوا : يستعمل الخلق فيما هو من قبيل الأصول ، والجعل فيما هو من باب الفروع ، كقوله تعالى : « خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور » . والشعوب جمع شعب ، والقبائل جمع قبيلة . والشعب هو الجماعة الكبيرة التى تمتاز بوطن يجمعها ، والقبيلة الجماعة التى عرفت بأب ترجع اليه . أو الشعب الأمة الكبيرة المنتشرة كالعرب والروم والبربر والفرس وأمثالها ، والقبيلة الجماعة المندرجة تحت الشعب كقريش وتيمم وأمثالها . ومنهم من يقول : الشعوب فى العجم والقبائل فى العرب ، وهو يرجع الى المعنى الأول . ومنهم من يقول : الشعب فوق القبيلة ، فالشعب ككنانة مثلا ، والقبيلة كقريش ؛ وهو قريب من المعنى الثانى . وبعضهم يرتبها درجات فيقول : الشعب ثم القبيلة ثم العارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة ثم العشيرة . وهذا مبحث لغوى لا يعنيننا كثيرا ، وإنما القصد فى الآية الى التنويع فى تقسيم الناس ، وبيان حكمته المقصودة منه ، وهى التعارف لا التناكر ، والتناصر لا التناحر ، والتعاون لا التناحر . فاللام فى قوله : « لتعارفوا » لبيان العملة الغائية والحكمة المترتبة على تقسيمهم أمتا وقبائل ، وهى أن يكون ذلك للتعارف لا للتناكر .

ذلك أن التعارف مبدأ خير كثير ، فنه صلة الرحم ، والتواد فى الله ، والتناصرح بإخلاص ومحبة . وقد جاء « الدين النصيحة » . وفى النصيحة قسم من التناصر المشار اليه فى حديث « انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، فقيل : هذا المظلوم نصره فكيف تنصر الظالم ؟ فقال : تردعه عن ظلمه فتكون قد نصرته على نفسه الأمارة » فهذه كلها ثمار للتعارف ، ولا ننم على وجهها الحقيقى إلا بالتعارف .

وإذا نظرنا الى ما تضمنه الكثير من الأحكام الشرعية ، نجدها قد أشربت بحكمة التعارف ، انظر الى الجمعة والجماعة ، والحج وأمثالها : تجدوها مسهلة لطريق التعارف .



وانظر الى قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» والى قوله عليه السلام: «مثل المؤمنين في توادهم وتواحمهم كتثل الجسد الواحد إذا شتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحلمى والسر» تجد التعارف يتجلى فى ثنايا كلماتها. وفى التعارف معنى أزيد من معنى ع ل م وهو إلف النفس لشيء العروف، وطما أيتها له وسكونها اليه.

وكان المعنى — والله أعلم — أن الله ميزكم بشعوبا وقبائل، وقسمكم أقساما، ليكون أدعى الى أن يعرف بعضهم بعضا، فى التنويع تقريب للضبط، وعون على المعرفة، فكيف انقلب عليكم القصد والتوى بكم الطريق، فاتخذتم ذلك طريقا للتفريق، ووسيلة للتناكر والتقاطع، وهل نتيجة النفاخر إلا التناكر؟ وهل ينشأ عن ترفع بعضكم على بعض واحتقار بعضكم بعضا إلا نفرة النفوس وتخاذلها، وترية الأحقاد والأضغان بينها؟

وإذا كان لا بد من أن يفضل بعضا، فاعلموا أن فضل كل امرئ إنما هو بإحرزه الفضل لنفسه، وانصافه هو به، لا بأن يعرى ويكسى غيره، فما كانت كسوة لغير مع غيره إلا مجلبة لعاره، ولا فضل يمتد به إلا ما جلب لصاحبه السعادة، وكان سببا للحسن والزيادة؛ ذلك تقوى الله، فيها تنافس النفوس، وبها يفتخر المفتخرون، وفيها يتنافس المتنافسون، واليها يتسابق المتسابقون؛ كيف لا وهى جامع الخير فى الدنيا والآخرة. ولا يذهب عليك أن تقوى الله فى العمل بأوامره واجتناب مناهيه. ولقد أمرنا بأن نصلح ديننا ودنيانا، وأن نسلك السبيل الأقوم فى معاشرتنا ومخاطبتنا، وأن نقوم على ما استرعينا فيه حق القيام، وأن نحسن ما وليناه من الأعمال والمهام؛ فن أدى ما طلب منه فى دينه ودنياه، وفى أعماله وما استرعاه الله إياه، فهو التقي؛ وبقدر ما يقوم من ذلك بالتصيب الأوفى يستحق أن يكون هو الأتقى؛ وإذا فهو الأكرم عند الله؛ وبالتالي يكون الأكرم عند عباد الله؛ ولو فرض وانحرفت طباع بعض الناس فلم يروا الكرامة إلا فى أسباب الشر، فلا عبرة برأيهم، ولا اعتداد بالكرامة لديهم:

إذا رضيب عنى كرام عشيرتى فلا زال غضبانا على لثامها

إذا صبح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

فليت الذي بيني وبينك عامر وبينى والعالمين خراب

نقول : إن التقوى معنى جامع لخيري الدنيا والآخرة ، وإن من قام بحق الله في دينه ودنياه فهو التقى الكريم عند الله ، ومن كرم عند الله فقد كرم عند خير الناس ، ولا عبرة بشرارهم .

نكرر ذلك لثقتل ما يتوهم بعض الجبهة من قصر التقوى على كلمات بهمهمون بها ، وأوراد يرددونها ، وحيات بين أصابعهم يدبرونها ، وهم بعد ذلك خلو من كل ما ينفع عباد الله ، فلا يعلمون ولا يتعلمون ، ولا يجدون في تحصيل نفع لأنفسهم أو لغيرهم في معيشتهم أو في أخلاقهم ، وحسبهم من تقواهم استمرازم من الجاهير ، واعتزالهم عن العالم في ناحية ، مستبطنين من ناحيتهم السكره والتكبر ، وتروى أحدهم يهش ويهش إذا ما وصلت إليه صلة من واحد ولو كان من شرار الناس ، كأن خير كل الخير في مرضاتهم هم على عجزهم وتكاسلهم وتوانهم وتخاذلهم ، ويحسبون صلاحهم هذا المزعوم منة على الناس يجب عليهم أن يكافئوه عليها ، ويخدموه من أجلها ، فكأنهم أرادوا الناس بما هو لله ، وطلبوا الدنيا بالدين ، أولئك في الآخرة من الخاسرين :

لا ، لا ، ما كانت هذه الحالة هي التقوى التي يكرم بها المرء عند الله ، وإنما التقوى هي العمل بخيري الدنيا والآخرة ، فمن قام بها حق القيام استحق عند الله الإكرام . وإن من قام بحقوق التقوى على ما ذكرنا استغنى عن التفاخر ، فإنه يجد من شهادة عمله ما يغنيه عن التشدد بلسانه ، ويجد من ثناء الناس عليه ما يستحي معه أن يضم إليه ثناءه على نفسه ، ولسانان لا يجتمعان على مدح شخص : لسانه ، ولسان غيره ، بل ولوعه بالثناء على نفسه يبعده عن معنى التقوى ، فيحط من كرامته التي ربما اكتسبها من عمله ، بقدر ما يفرغ على نفسه من الثناء . نسأل الله العصمة من الزلل . والتوفيق لصالح العمل :

وقوله تعالى : « إن الله عليم خبير » تذييل جميل يراد به التسجيل ، وإقبال باب القال

والقيل ، فكان المعنى أن الله أعلم بكم من أنفسكم ، فما كان ثبوتكم على أنفسكم بتغيير ما علمه الله منكم ، فهو العليم بكم وبأعمالكم ، الخبير بالباطن والظاهر من أحوالكم ، إذ هو العليم بكل شيء ، الخبير بكل حال .

وقد روى أن هذه الآية نزلت يوم الفتح ، لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فأذن فوق الكعبة ، فغضب الحارث بن هشام وعتاب بن أسيد وقالوا : أهدأ العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة ؛ فنزلت الآية ، فعجبا من علمه صلى الله عليه وسلم وقالوا : ما أخبرك إلا الله . وكان سببا في حسن إسلامهما ، وكان إسلامهما يوم الفتح . وروى عن ابن عباس أنها نزلت في مولى يسمى أباهند : خطب إلى جماعة من بنى بياضة فأمرهم عليه السلام أن يزوجه ، فقالوا : يا رسول الله أتزوج بناتنا موالينا ؟ فنزلت الآية .

ولما كان بعض الناس يرى أن معنى كون الآية مكية أو مدنية أنها نزلت بمكة أو بالمدينة ، قال : إن السورة مدنية إلا هذه الآية ، واستأنس له بأن ما صدر « بيأياها الذين آمنوا » فذنى ، وما صدر « بيأياها الناس » فكى وكثير من المفسرين يفسر المكى بأنه ما نزل قبل الهجرة ، والمدنى بأنه ما نزل بعدها ، ويقول : إن تصدير المكى بيأياها الناس والمدنى بيأياها الذين آمنوا أغلبي ، وعلى ذلك يعتبر السورة كلها مدنية .

قال تعالى : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما بدخل الإيمان في قلوبكم » :

نزلت هذه الآية في بنى أسدين خزيمية : كانوا يقيمون في جوار المدينة ، فأصابهم سنة مجدية ، فقدموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأظهروا الإسلام ، وصاروا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم : جئناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان ، ويقولون : آمنا فاستحققنا الكرامة ، يريدون بذلك كله أن يتصدق عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ويعطيهم مما أفاء الله عليه ، فكانوا يمتنون على النبي عليه السلام بإيمانهم ويستجدون به ، فنزلت هذه الآية ؛ فالمراد بالأعراب قوم مخصوصون منهم لا كل

الأعراب ؛ والمعنى يتناول كل من أراد أن يجعل دينه وتقواه وإيمانه وإسلامه وسيلة لورقه، فما كان الإسلام والإيمان مما يطلب عليه أجر، لا من الله . ويدخل في هذا المعنى أولئك المتسكعون المتسقطون الذين يغشون الناس مراراً وتكراراً قائلين : كنّا كفاراً وأسلمنا، فعادانا أهلنا، وقطعوا وسائل عيشنا، فنحن في حجة إلى المعونة، وترى أحدهم يزي بحمل، وفي صحة وقوة وعافية، ولكن أبت نفسه إلا أن يكون من المتسولين، الشحاذين، ودبر هذه الحيلة ليستثير عاطفة المؤمنين، وما كان المؤمن ليرضى أن يتاجر بإيمانه .

كانوا يمتنون على النبي صلى الله عليه وسلم إسلامهم ويتباهون به، وما أشبه المنانّ بالمفتخر، بل يكاد يكون نوعاً منه، فلذلك حسن ارتباط هذه الآية بسابقتها . وترى الفعل المسند إلى الأعراب هذا وهو « قالت » دخلت عليه ثاء التأنيث، لأن الجمع فيه معنى الجماعة فيؤنث؛ ولو نظرت إلى خلو الفعل المناظر له من التاء في قوله تعالى : « وقال نسوة في المدينة » لمحت فيه معنى سامياً، وهو إبراز أولئك النسوة بما يدل على رجاحة العقل وأصالة الرأي، إذ قد استنكرن منها ما صدر ولتها عليه، بينما أذخبت التاء هنا على الفعل المسند للأعراب، لأن ما صدر منهم يناهى بهم عن الكرامة، وينهي عن قلة عقولهم، وخساسة آرائهم .

وقوله عز وجل : « قل لم تؤمنوا » تكذيب لهم في دعوى الإيمان، فإنه التصديق عن ثقة وطمأنينة نفس وإذعان قلب، لا دافع يدفع إليه إلا امتلاء القلب باليقين، ولم يكن شيء من ذلك في نفوسهم، وإنما هي الحاجة ألجأتهم، والجذب نزع بهم عن ديارهم إلى حيث يتلقطون الصدقات؛ ولو كانوا آمنوا حقاً لعلموا أن اللنة عليهم لله إذ هدام للإيمان، كما تراه في آخر الآية .

وقد أُرشدهم بهذا التكذيب إلى ما لو قالوه لكانوا قد صدقوا فيه، وهو قولهم : أسلمنا؛ وفيه مع هذا نوع كزٍ لهم، وكشف عن فرارة نفوسهم، كأنه يقال لهم : ليس

ما كان منكم بإيمان ، قلبي ولكنني إلا ذعان والاستسلام بالجوارح لدواع أنتم تعرفونها من أنفسكم ، فلا تكذبوا أنفسكم ، ولا تكذبوا على الله ورسوله ، فهو أعم بكم أليس اتقيادكم لا لجلاء الضرورة ، وانتجاع الرزق ، وضعف المقاومة ؟ أقتل هذا يحق له أن يذكر إيمانه ويعتق به ، ثم يذكره لمن يعلم السر وأخفى :

ولقد جبر خاطرهم وخفف وقع التائب والتبكيك على نفوسهم ، بالإشارة الى أنهم على شرف الإيمان ومرتقب لهم أن يعبروا الإيمان قلوبهم ، ذلك قوله تعالى : « ولما يدخل الإيمان في قلوبكم » فإن لما لتنى الفعل مع ارتقاب حصوله ، ولم لنفيه فحسب ، فلما كان الأول مسوقاً للتكذيب ، أتى بما يدل على مجرد تنى الفعل الماضي ؛ ولما كان الثاني مسوقاً لتخفيف وقع التائب على نفوسهم ، ذكر بصيغة تدل على أنه مرتقب حصوله لهم ، فهو كالإشارة ، وفتح باب الأمل وطرد اليأس عن نفوسهم ، وتخفيف الخزي الحاصل لهم بذلك التكذيب .

ثم إثارة قوله : « لم تؤمنوا » على أن يقال : لا تقولوا آمناً ، لأنه أصرح في التكذيب . ولو قال لا تقولوا آمناً ، لربما توهم أن المؤمن منهى عن أن يقول آمناً . ثم قوله : « ولكن قولوا أسلمنا » نجد فيه إفادة ما كان منهم على الحقيقة وهو الاسلام ، بصورة لا نحتمل المراوغة ، ذلك أنه لم يخبر عنه صراحة ، بل أفاده بطريق اللزوم ، كأنه من الظهور بحيث لا يحتمل التحدث عنه ، فأنتهم عالمون بما في نفوسكم ، فحدثوا عن ذلك لذي وقر فيها ؛ وذلك أبلغ من أن يقول : ولكن أسلمنا .

وبعد : فلا تعارض بين قوله تعالى هنا : « قل لم تؤمنوا » وبين قوله في سورة أخرى : « ولا تقولوا لمن أتى إليكم السلام لست مؤمناً » مع أن هؤلاء ألقوا السلام . وذلك أن النهي في الآية الأخرى للمؤمنين عن عدم قبولهم من أسلم تحت تأثير الخوف ، والرعب ، كما حصل لبعض الصحابة ، فإنهم لم يعلموا ما في القلوب ؛ وأما هنا فهو إخبار من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم عن حالة خاصة يقوم بخصوصين ، امتنوا على النبي بدعوى الإيمان فأكذبهم الله وكشف لنبيه ما في قلوبهم ، فلم يتضمن هذا حكماً عاماً ، بخلاف ذلك النهي .

وفي الآية دلالة صريحة على المغايرة بين الايمان والاسلام، وأن محل الايمان القلب ومرجع الاسلام الى الاستسلام والطاعة والانقياد. وأما الأحكام الشرعية المترتبة على كل منهما من جهة أن الايمان الذي خلا عن الاستسلام والانقياد، والاسلام الذي لم يتبن على الايمان القلبي كاسلام المنافقين يفيد في النجاة أو لا يفيد، فحله علم التوحيد. والخلاصة الوجيزة فيه أن الاسلام في الظاهر بدون الايمان القلبي يفيد في المعاملة الدنيوية: كالتوارث، والدفن في مقابر المسلمين، وقبول شهادته، وأمثال ذلك، حيث لم نطلع على قلبه؛ والايمان القلبي إذا أحاط بصاحبه الاكرام الذي يحول بينه وبين إظهار ما في نفسه مع طمأنينة قلبه للايمان يفيد عند الله. ومعنى الاكرام أنه إذا علم منه ذلك تعرض لما لا يحتمله من شديد الاضرار والأذى، والله بصير بالقلوب. وليس من الاكرام زوال منصب أو مما كسة في أموال أو نحو ذلك مما يتوهم أن فيه معنى الاكرام؛ والله عليم خبير.

قال تعالى: «وإن طيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم»: هذا زيادة في تشويقهم للايمان الخالص والطاعة الصحيحة بطريق من الترغيب، إذ كانت نفوسهم أتمد أطلعا الى ما يستفيدون، فقال تعالى: إن باب الثواب والأجر مفتوح أمامكم، فليجوه بنطاعة الصحيحة والايمان الحق، فإنكم إن أطعتم الله ورسوله لا يظلمكم شيئا من أجوركم ولا ينقصكموها. «فشيئا» مفعول به، أو لا ينقصكم نقضا ما، فشيئا مفعول مطلق. إن الله غفور رحيم: يغفر الذنوب لمن تاب وأناب إليه، ورجع عن شركه ونفاقه الى الايمان والايخلاص، وعن العصيان والإصرار عليه الى الطاعة ولوومها، وعن إرادة الدنيا بالعبادة الى إرادة وجه الله؛ فأطيعوا الله ورسوله تحوزوا أجرهم، والله رحيم بعباده، يتفضل عليهم فيجزئهم بالحسنة عشر أمثالها، ويضاعف لمن يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ابراهيم الجبالي

## قصة يوسف عليه السلام وما يؤخذ منها (لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)

كتبنا في هذه القصة بالعام الماضي، ولكن لم نستكمل ما فيها من حكم وأسرار . وقد وعدنا القارئ الكريم أن نعود إليها مرة ثانية فشغلتنا الشواغل وكثرة الفتاوى . واليوم نتجز ما وعدنا فنقول ، وقد يكون فيما نقول بعض تكرار مقصود لزيادة الفائدة وتأكيده العائدة :

بيّنا في مقالنا السابق أنه يؤخذ من قصة يوسف عليه السلام أن من صبر على القضاء كان له أحسن العواقب وأعظم المثوبات : « إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

وقد صبر يوسف على ما كان من إخوته إذ أقوه في غيابة الحب ، وعلى بيعه واستعباده ، وما لاقى بعد ذلك من الفتنة وكيد النساء ، وسجنه بضع سنين ، ثم كان عاقبة ذلك العز والملك والتمكين في الأرض . ومثل ذلك ما كان من يعقوب من به وحزنه ثم تقويضه الى الله ، ففرج الله همهم وغمه ، فرد بصره عليه ، وجمعه مع يوسف في صفاء ومهجة بعد ما كان من حزن طويل « إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون » . وفي ذلك الحث على سلوك سبيل المتوكلين ، والدلالة على الانقطاع الى الله تعالى والاعتماد عليه عند نزول الشدائد . كما أن في القصة لدلالة على أن اصطفاء المصطفين أمر مخصوص بمشيئة الله تعالى ، لا يتعلق بسعي ساع ولا إرادة مرید ، ولهذا كان ليوسف في صغره ولم يكن لإخوته في كهولهم ، وأن من أراد الله به خيراً لم يكن لأحد دفعه ، ومن عصمه الله لم يكن لأحد رميه بسوء ، ولا قصده بشر ، وأن كيد الشيطان وإغواءه أمر لا يأمن منه أحد حتى الأصفياء ، فينبغي أن نكون منه على حذر .

كما أن فيها الكشف عن أحوال الخائنين، وقبح طرائق الكاذبين، وابتلاء الخواص بأنواع المحن، وتبديلها بأنواع الألطاف واليمن، مع ذكر ما يدل على سياسة الملوك الحكيمة وحالهم مع رعيّتهم، كما كان يوسف عليه السلام.

كما أنه يؤخذ منها أن الحسد متأصل في الإنسان، فهو غريزة لا يكاد يخلص منها أحد. ويؤخذ من القصة أن حب الدنيا والتنافس فيها متغلغل في طباع البشر تغلغلا يقطع الأرحام، ويطنى على الرحمة التي تكون بين ذوى القربى ولو كانوا إخوة.

فعلى العاقل أن يحترس منها، فإنها رأس كل خطيئة، وجبها هو الذى أنار الحسد في نفوس إخوة يوسف. والحسد هو جماع المفسد والشرور؛ وقد أدام إلى قطيعة الرحم وعدم الرأفة بالصغير الذى لا ذنب له، وترك العهد وخلف الوعد الذى وعدوه، والهم بارتكاب أكبر الجرائم. ولا غرو فالحسد هو الذى طرد إبليس من رحمة الله وأورثه الشقاء الأبدى واخذلان السرمدى.

ويؤخذ من ذلك أن أبناء العلات لا يكادون يتفقون ولو كانوا أولاد خالة، أو كان أبوم من أكابر الأنبياء كما في هذه القصة.

هذا ويؤخذ من قول يوسف عليه السلام: «إنه ربى أحسن مثواى» أن المعروف يقابل بالمعروف، والإحسان لا يكافأ إلا بالإحسان، فحيث إن العزيز أكرمه لا ينبغي أن يخونه وإن لقي مالتقى في هذه السبيل على ما فصل في القصة.

ويعلمنا قوله تعالى: «فصبر جميل» حكاية عن يعقوب عليه السلام، أنه يلزمنا فيما لا مناص منه السكون تحت مجارى الأقدار سرا وعلنا، وإن قدح الخطب وعظم المصائب، تسليما لله وثقة بحكمته، وخضوعا لربوبيته.

كما يؤخذ من قوله تعالى: «لولا أن رأى برهان ربه» أن الإنسان لا يثق إلا بمن كان مراقبا لله، عارفا بالله، خائفا من الله، وسواه يجب أن يحذر منه كما يحذر من الأفاعى.



ويؤخذ من قوله : « السجن أحب إلي مما يدعونني اليه » أن طريقة عباد الله المخلصين الذين يلزمنا الاقتداء بهم تعظيم أمر الله والتضحية بكل شيء .  
وقوله : « وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين » يفرس فينا ملكة التوحيد بالرجوع الى الله في كل شيء ، موقنين أن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وهذا هو شأن العارفين بنفوسهم ، الحذرين منها المراقبين لها ، العارفين بربهم وإحاطته التي لا يخرج عنها شيء .

ويؤخذ من قوله تعالى : « ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين » أن كثيرا من الناس لا تؤثر فيهم العظات ، ولا تفيد فيهم الآيات والبراهين الواضحات ، ولا تنهمم الزواجر عما تشير به الأغراض وتسوق اليه الشهوات .

ويؤخذ من قوله تعالى : « إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي » الإشارة الى أن النفس بطبعها كثيرة الميل الى الشهوات ، والدعوة الى التورط في المهلكات . وقد قال بعض العلماء : « النفس ظلمة كلها وإنما سراجها التوفيق » . وقال بعض آخر : « من صحب نفسه صحب اعجب واخيلاء ، ومن صحب الصالحين وفق لطاعة الله والقرب من الله ، ومن صحب أهل الدنيا سلكوا به طريق جهنم ، ومن صحب أهل اللسان والتشدد بقتضوه في خيار الناس وحببوه في شرارهم » .

ومما ينبغي أن يعرف في هذا المقام أن الانسان في مقام النفس لا يمكنه أن يدرك علوم القلب الإلهامية ، وأسرار الروح الربانية على ما فصله العلماء الربانيون « وما منّا إلا له مقام معلوم » .

وليلاحظ بعد هذا أن كل دور من أدوار الانسان وكل حال من أحواله له علوم تخصه لا يتعداها ما دام في ذلك الدور فالانسان في دور الصغر مثلا لا يمكنه أن يدرك الحقائق على ما هي عليه ، وفي حالة الشهوة كذلك ، وهكذا جميع الأدوار والأحوال ، فكل إنسان في سجن مرتبته التي هو فيها ، ولحيوان لا يمكنه أن يرتقى الى رتبة الانسان .

وحبذا لو كانت التربية بتعليم النشء ما جيل عليه الانسان من الفرائز المهلكة، وأن الكمال إنما هو في التخلص منها، ويان أن القوة الغضبية إذا هاجت حجت العقل عن كل فهم والبصيرة عن كل خير، وكذلك القوة الشهوية؛ وأن لها سياسات يجب تعليمها، وقوانين يتحتم معرفتها، وإلا كان الانسان حيوانا أعجم بل وحشا ضاربا. ولا أرى للتربية معنى إلا هذا، وهي الآن على عكس ذلك على خط مستقيم، لأنها مبنية على تقديس النفوس وغرس الأناية فيها، وذلك أساس كل شر، وجماع كل بلاء. وقد قال بعض الحكماء: من ملك نفسه فقد ملك الوجود بأسره « ولا تتبع لهوى فيضلك عن سبيل الله ». ولا بد للعبد من الرجوع الى الله في كل شيء حتى يلهمه الرشيد فيما يأتي ويذر، فإن العقل ليس له إلا قبول إفاضة العلم لا إيجاد الاستعداد، ورفع الحجاب بيته وبين الحقائق على ما هي عليه. وقد قالوا: إن العالم هو الذي يعلم، والحكيم هو الذي يعمل. وبعد: فيؤخذ من القصة بيان سنة من سنن الله تعالى، وهي امتحان من يريد اصطفاؤهم واجتباؤهم، حتى يخلصهم من ضرر النفوس وظلمة الهوى الذي يضل عن سبيل الله، وينعرف بصاحبه عنه الى ما سواه، فإن الله يريد منهم أن يماشوا إليه ولا يعملوا إلا عليه.

ويؤخذ من قوله تعالى: « لا تدخلوا من باب واحد » أنه لا بد من الأسباب التي اقتضتها الحكمة الإلهية؛ ولا بد مع هذا من اعتقاد أنها لا تغني شيئا ولا تنافي التوكل.

وقول يعقوب: « إنما أشكو بني وحزني إلى الله » يعلمنا أن الانسان إذا ضاقت به الأحوال وجب أن يفرغ الى الكبير المتعال، وألا يعمل على شيء سواه، وأن يفرغ قلبه من جميع ما عداه، كما يشير إليه الإتيان بأداة الحصر، فكل من انقطع اليه كفاه، ومن أناخ بيباه أعطاء وأرضاه. وما أحسن قول بعضهم في هذا المقام:

فإن رحلتا حطت رضاء بحكمك عن حلول وارتحال

وقول الآخر :

إذا ما نقي الناس روحا وراحة تنميت أن أشكو إليه فيسمعنا

من حظ ثقل حمولة في باب مالكة استراح

ويؤخذ من قول أولاد يعقوب في حق أبيهم : « إن أبانا في ضلال مبين » أن الجهل قد يصل بصاحبه الى حد أن يعد أعلم العلماء جاهلا ، وأهدى المهدين ضالا ؛ وكلما زاد البعد بين المراتب زاد الجهل بها وإنكار ذويها .

ويؤخذ من قوله تعالى : « اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا » أن أسرار الله لا غاية لها ، وليس الأمر موقوفا فيها على تلك النواميس المادية التي قدسها الجاهلون ، ووقف عندها الجامدون ، وكيف يملل ذلك أو يفهمه أولئك المتشدقون الواقفون عند الظواهر ، وبينهم وبين تلك اللطائف ما بين الجسم والكثيفة ، والأرواح اللطيفة . فهو يفتح لنا بابا من العلم ، ويعرفنا أن العلم ليس له غاية . كما أن قول يعقوب : « وأعلم من الله ما لا تعلمون » يعرفنا أن من عباد الله خواص يعرفون من قوانينه وحسن معاملته مع من تصدق عبوديته ما لا يعرفه غيرهم ، فسنة الله كثيرة ، ولا يعرف أكثر الخلق منها إلا النزر اليسير . وهناك ما يختص به الأنبياء وورثتهم ، وهذا ما جعلهم يتحملون أعظم البلياء ولا يضعفون ، ويحملون جبال الشدائد ولا ينزلون .

رزقنا الله ذلك العلم الواسع ، والنور الساطع ، واليقين التام ، حتى لانعيا بشدائد الدنيا ، والمار لم تنطفئ إلا إبراهيم نوره ، وسمو يقينه ، وسلطان الروح أعظم من سلطان المادة « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » . وقد جاء في الحديث أن النار تقول للمؤمن : « جز يا مؤمن ، فقد أطفأ نورك لحي » .

ويلتحق بذلك ما عرفناه من تلك السورة الشريفة من أن المنامات منها ما هو صادق

كنتم يوسف عليه السلام ، وقد صدقه أبوه ، ولم يشك فيما رأى ، ولذلك قال له : « لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا » ، وقال : « وكذلك يجتديك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث » الى آخر الآية ، وفيها منام صاحب السجن ، ورؤيا الملك للبعثات ، وتأويل ذلك كله ، ففيه الرد على أصحاب النزعة الجديدة الذين لا يعرفون إلا أضغاث الأحلام ، وقد جاء في الحديث : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة » . وورد « الرؤيا من الله والحلم من الشيطان » .

وإجمال القول أن في هذه السورة الشريفة كثيرا من الأسرار الروحانية التي لا تجرى على هذه النواميس الطبيعية ، مثل المنامات الثلاثة كما قلنا ، ومثل وجدان ريح يوسف من مسيرة عشرة أيام أو ثمانية أيام ، ورد بصير يعقوب بإلقاء القميص على وجهه كاشرحنا . ولا يفوتنا أن نقول : إن من الآداب التي نستفيد منها من القصة أنه قال بعد القدرة : « لا تثريب عليكم اليوم » . وقد قالوا : إن من يرجع الأمر الى الله لا يزال مستريحا ، ومن اهتم بما يكون من الناس لا يزال في تعب وعناء ، وقال : « وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن » ولم يذكر من إحسانه تعالى أنه أخرجته من الحب لئلا ينجبل إخوته بذلك ما فعلوا .

فلتعلم هذه الآداب العالية ، والأخلاق السامية ، كما أنه يمكننا أن نستفيد منها أن الرجل الطيب القلب يقدم حسن الظن ويقبل المذرة ، ونستفيد منها أيضا أن تدبير الله لا يحيط به أحد ، وأنه لا يراعى الأهواء والأميل ، ولا يعبأ بألم المتألمين وجزع الجازعين ما دام موصلا الى غايات سامية ، وعاقبة حميدة في علم الله تعالى ، فإن قصة بنيامين هي التي كانت السبب في اجتماعهم بيوسف مسرورين مفتيطين . فعلى العبد أن يسلم لله وإن لم يعرف الحكمة .

يا حاكمي وحكيمي أفعالك الكل حكمة

وإن في قصة زليخا ويوسف ما ينبه على اقتدار النساء على قلب الحقائق ، والتحليل

على إلصاق الإِجرام بالبرىء ، وتصوير ذلك بصورة الواجب الذى لا يذم منه ، والتأثير فى السامع بما يهيج عواطفه ويثير حميته ، وهن أعرف بمواضع الضعف من الرجال ، وأخبر بقرع الوتر الحساس من القلوب .

وإن شئت فانظر قولها : «ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم ، كيف أخرجته هذا المخرج وأنت به على سبيل الخبر المسلم الذى لا ينازع فيه ، وخلطت الحق بالباطل تلييساً وتغريراً ، فإن من أراد بأهله سوءاً استحق العذاب الأليم كما تقول . ولكن أدعيت فى ذلك باطلاً ، وهو أن يوسف عليه السلام أراد السوء ، وجعلت ذلك مسلماً غير منازع فيه ، الى آخر ما يرشدك اليه ذوقك وعلمك ، مع ملاحظة أن زوج المرأة كان فى هذه الحالة مدهوشاً مبهوتاً لما رآه عند الباب مع زوجته ، فهى تفهمه أن الإِجرام مفروغ منه ، والتفكير إنما هو فى الجزاء الذى يجب إيقاعه على المجرم .

وبعد : فن عوارض الحضارة والمدنية قلة الغيرة ، وكانت الحضارة فى مصر بالغة حدّها ، فكان للنساء فيها شأن وخطر ، حتى إن بعضهن تولت الملك مثل نيوتوكريس . وكل أمة تساوى رجالها بنسائها فلا بد أن يخرجن عن حدودهن ويتخطينها ولا يقمن للرجال وزناً كبيراً ، فهذا من مساوىء المدنيات القديمة والحديثة . وإنك لتلاحظ فى غالب الأحوال الخنوع من الرجال الذين أثرت فيهم المدنية غير الاسلامية أثرها الممقوت ، فترى قلة غيرتهم على النساء وسلطان النساء عليهم ، كما هو مشاهد الآن فى أولئك المقلدين للأوربيين بلا عقل ولا بصيرة .

### « خاتمة »

رأينا أن تتم هذا الموضوع بفوائد متناسبة بالقصة ، وهى مفيدة فى نفسها أكبر فائدة فنقول :

١ - روى أن يوسف عليه السلام دعا بهذا الدعاء وهو في الحب ، ففرج الله كربته ، وهو هذا :

يا صريح المستصرخين ، ويا غوث المستغِيثين ، ويا مفرج كرب المكرويين ، قد ترى مكافئ ، وتعلم حالي ، ولا يخفى عليك شيء من أمري . يا شاهداً غير غائب ، ويا قريباً غير بعيد ، ويا غالباً غير مغلوب : اجعل لي فرجاً مما أنا فيه !

٢ - يقولون : إن أعظم الناس فراسة ثلاثة : العزير حيث قال : « أكرمي مثواه » ، وبنت شعيب حيث قالت لآبائها في حق موسى عليه السلام : « إن خير من استأجرت القوي الأمين » ، وأبو بكر حيث استخلف عمر .

نسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم ، وأن يجعلنا ممن دعا إلى الله على بصيرة ، وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك بمنه وكرمه .

يوسف الدجوي  
من هيئة كبار العلماء

## فضيلة الاستشارة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : مندم من استشار ، ولا شقي من استخار . وسئل بعض الحكماء : أي الأمور أشد تأييداً للعقل ، وأيها أشد إضراراً به ؟ فقال : أشدها تأييد له ثلاثة أشياء : مشاورة العلماء ، وتجربة الأمور ، وحسن التثبت . وأشدها إضراراً به ثلاثة أشياء : الاستبداد ، والتهاون ، والعجلة . وكان عامر بن الظرب حكيم العرب يقول : دعوا الرأي يغيب حتى يحتمر ، وإنا كم والرأي الفطير ( أي الذي لم ينضج ) .

## الاسلام يحث على العمل

يُخيل لبعض البسطحيين أن التقرب الى الله تعالى ينحصر في الانقطاع عن أعمال الدنيا والتفرغ للعبادات كالصلاة والصوم وما الى ذلك ، وما دروا أن الله تعالى يتقرب اليه بكل عمل مباح قصد به إسداء الخير لجهة خاصة أو للناس كافة ، متى تمحضت فيه النية خالصة للخير ، وأريد به وجهه تعالى ، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن المسلم ليؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها الى في امرئته » . وهذه ميزة للإسلام جعلت منه ديننا مدنيا يصلح لكل زمان ومكان ، ولكل أمة ، في أي عهد من العهود الانسانية .

لقد فتح المسلمون الأولون الأرض بعمل دائم مستمر ، وحفظوها تحت سلطانهم بجهد عظيم متواصل ، فلو كانوا اكتفوا بما يجبونه من خراجها ، وجزية أهلها لوقعوا في شر حالات البطر ، كما حدث للرومانيين حينما آمنوا أعداءهم ، وأثروا من أموال مقهورهم ، ولكن المسلمين عَفُوا عن أموال الناس ، وأكبروا على الأعمال فنلوا من ورائها ثروة لم تكن لأمة غيرهم ، فنهضوا من اشتغل بالتجارة فكانوا أبرع أهلها في سائر أقطار العالم ، ومنهم من زاول الصناعة فبلغوا منها شأوا لا يزال مضرب الأمثال الى اليوم ، وعملوا في الزراعة فأوجدوا فيها الأساليب التي يجري عليها الأوروبيون الى هذا العهد ، كما اعترف بذلك العالم الاجتماعي ( درابر ) وغيره .

ونظروا أيضا في العلوم والفلسفات وترجموها الى لغتهم ، وتوفروا على الاشتغال بها ففسر حوها وزادوا مادتها ، واكتشفوا علوما جديدة ، ولم يهملوا الفنون والصناعات فوصلوا منها الى حدود بعيدة لم تكن معروفة من قبلهم ، ولم يهملوا حتى السكاليات من لا أمور ، فاقبسوا ضروب الأعمال الزخرفية ، وانتهوا منها الى نهايات لا تزال تعتبر من الإبداعات الفنية .

ولم يهملوا حتى الرحلات القصية ، فبلغوا الى أقصى ما بلغه من سبقهم من الفنقيين واليونانيين والرومانين ، وعادوا بملومات ثمينة عن الأمم والممالك ، دونوها في كتب لا يزال يستهدى بها الأوروبيون في تدوين معارفهم الأرضية والجغرافية .

ولم يقصروا حتى في البحث عن المعادن ، حفروا المناجم واستخرجوا منها ما استكن في بطن الأرض من الذهب والفضة والحديد والرصاص والنجاس ، وأنشأوا لها المسابك فنقوها مما علق به مما ليس منها ، وصنعوا منها ما احتجوا اليه من الأواني والآلات . وتفرغ رجال منهم للغة فجمعوها وتقودوها وألقوا فيها المعاجم ، ووضعوا لها نحو وصرفا ، ودرسوا نثرها وشعرها فصاغوا علوما خاصة بها ، تبحث في درجات دلالاتها وفي محسنات ألفاظها ، وفي جزالة معانيها ، وفي أوزان قريضها .

ومما يدهش أنهم لم يهملوا حتى العلوم السحرية والطلسمية والسيمايائية وغيرها مما كان يشتغل به الأقدمون على غير هدى ، فدوتوها وبيدوا رموزها ، وكشفوا مسابرها . هذا عجيب من أمة قامت بالدين ، واضطلعت بنشر دعوته بين العالمين ، ولكن متى أدرك الباحث أن الاسلام نفسه يعد من الخير والتقرب الى الله تعالى كل بحث ونظر واستقصاء في كل شيء ، متى أخلص الانسان لله في الاشتغال به ، وقصد به النفع العام أو الخاص . إذا أدرك الباحث هذا الأصل الاسلامي بطل تعجبه ، وأمكنه أن يعمل نسايع المسلمين الى اقتباس كل ما عثروا به ، والى بذل الوسع في حذقه وترقيته الى أقصى ما يصل اليه الا مكان .

ومما ثبت هذا من الآيات القرآنية قوله تعالى : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » وقال عن المؤمنين العاملين : « وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله » اعتبر عملهم هذا قرينة منهم . وزاد الله على هذا فأمر بالانسياح في الأرض وطلب الخير بذلك ، فقال تعالى : « فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » .

فسن الله بهذه الآيات للمؤمنين سنة الانتشار في الأرض ، والتماس فضل الله ،



وفضل الله ليس قاصرا على التجارة، ولكنه يشمل الزراعة والصناعة والعلوم والفنون، وكل ما يصدق عليه أنه فضل إلهي؛ فتدب الله الناس بذلك إلى الأخذ عن الأمم. وقد جرى النبي صلى الله عليه وسلم على هذه السنة بالعمل في وقعة الأحزاب؛ وذلك أنه لما بلغه أن قريشا قد جمعت لجموع لحربه، واتفقت مع قبائل مجاورة لها ومع اليهود النازلين قريب منهم، وتعمدته بجيش عرمرم؛ أخذ رسول الله يستعد للقائهم، فقال له سليمان الفارسي: يا رسول الله إنا اعتدنا في بلادنا في مثل هذه الأحوال أن نلشئ الخنفاق حول مدتنا، نعطل بها حركات العدو. فبادر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأخذ بهذه الوسيلة الدفاعية، وكان العرب يحملونها، وتدب أصحابه خفر الخندق، واشترك بنفسه معهم، وكان يحمل التراب على عاتقه. فكان أخذه بما صلح من وسائل الحرب وفنونها عن قوم كانوا يعبدون النار لا شك يعتبر سنة عممية سنّها لقومه ليأخذوا بما يصلح من فنون الأمم وصنائعها مع عدم الاعتداد بمقائدها.

وقد أعد الله نفوس المسلمين الأولين لإساعة هذا الاقتباس بما كشفه لهم من الحقائق الاجتماعية، فقال لهم في محكم كتابه: «هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» فبين لهم بهذا أن الاستواء بين الفريقين محال، وعدم الاستواء يفضي إلى تفضيل أحدهما على الآخر في ثواب الآخرة وثواب الدنيا أيضا. وكشف لهم بقوله تعالى: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» وبقوله: «وقل رب زدني علما»، أنهم في حاجة إلى العلم وأنهم مطالبون بالتزود منه لديتهم ودنيائهم. وأرشدهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن العلم يتصيد من كل مظنة ولو من المشركين، فقال: «الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها» وفي حديث آخر: «خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت». فهذا لإعداد لنفوس المسلمين للأخذ عن الغير دفع بهم إلى تناول كل ما وجدوه من العلم والفلسفة، ولم يكتفوا بما كان شائعا منه، فعمدوا إلى مكتبات الأمم فترجموا أمهات الكتب ونشروها في بلادهم، وزادوا مادتها بفضل جهودهم.

ومن العوامل النهضة سته سنة التخصص في العلوم والفنون ، لأن المتخصص في بعضها يستوعب من مسائلها ما لا يستطيعه الآخذ من كل منها بطرف ، فيستطيع أن يفتح لها مجالات جديدة ، وأن يزيد مادتها بما يفتح عليه من كشف مسائرها ، فقال تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » .

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً عملياً كان نبراساً لكل من أتى بعده ، وعاملاً قوياً في إنهاض الهمم ، وذلك أنه مر على قوم يأبرون نخلاً ، أى يضعون من الطلع المستخرج من ذكره على الأعضاء المولدة للتمر من إنائه ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم : لو تركتموه لآثمر ، فتركوه . فلما جاء وقت الإثمار لم يثمر فأخبروا رسول الله بذلك ، فقال لهم : أنتم أعلم بأمر دنياكم .

هذا الأدب النبوى العالى سن للناس سنة الرجوع الى الخبراء والعمل بإرشاداتهم . وهذه المجموعة من الآيات والأحاديث ، كانت عوامل رئيسية للنهضة العلمية والفنية البعيدة المدى التى دخل فيها المسلمون الأولون في سنين معدودة ، وكانت سبباً لمصير ثروة العالم اليهم . وإن دينا يعتبر كل عمل يقصده الخير ووجه الله قربةً يتقرب بها اليه تعالى سواء أكان علمياً أو فنياً ، هذا الدين جدير بأن يندفع أهله في كل مجال من مجالات النشاط العقلى والعملى ، وأن يبلغوا منه أقصى ما يقدر للقائمين من الكفاية والتبريز . وهذا هو الذى حدث للمسلمين ، فقد أخذوا كل علم وفن عن الأمم التى اختلطوا وبرزوا فيها جميعاً ، فكان علماءهم أوسع علماء الأرض علماً ، وأطبائهم أعلى أطباء الأرض كعباً ، والمشتغلون منهم بسائر القروع العلمية أثمة يرجع إليهم في حل معضلاتها ، وفك معمياتها ، وكان صناعتهم وفنائهم أرفع ذوقاً وأصنع يداً من جميع نظرهم في الأرض .

يلغوا بعض الباحثين المصريين في تعليل هذه النهضة الاسلامية العجيبة ، وهذا التفوق الباهر الذى ناله المسلمون في العلوم والفنون في سنين معدودة ، ويمزونها الى العناصر الأجنبية التى اعتنقت الاسلام كالفرس والروم والديلم الخ ، ويتغابون

عن أن هذه الأمم كلها كانت عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في دور تدهور مستمر عقب دور من النهوض كانت فيه منذ قرون طويلة ، فكيف يعقل أنهم بعد إضاءة استقلالهم ، وزوال دوائهم يكسبون حياة جديدة ليست من لاسلام ترفعهم من تدهورهم وتوجد لهم نهضة قوية خلافا للسنن المعروفة بين لبشر في مثل هذه الأحوال ؟

لا شك في أن هذا البعث الجديد لهم ولجميع العناصر المكونة للأمة الاسلامية كان بركة الاسلام ، وحكمة تعليمه ، فهو الذي وحد بين هذه الأمم كلها بعد أن خلمها من جنسياتها ، وجردها من جميع الفوارق التي كانت سببا في نزاعاتها ، وصاغ منها أمة عالمية حلاها بروح منه يبلغها أقصى مراتب الكمال الأدبي والاجتماعي والعمراني. ولو كان لأمر غير ما ذكرناه للفظت بذمة لاسلام هذه النهضة ، وحالت بين الأخذين به وبينها ، ولوجد بين هؤلاء المجددين وبين المحافظين نزاع يفضي الى قتل الأولين وإخفاق حركتهم كما حدث في كل أمة قبل الاسلام ، ولكن المقرر تاريخيا أن الأمة الاسلامية اندفعت في هذه النهضة موحدة الأجزاء ، متكافلة الأعضاء ، وأن خلفاء المسلمين ووزراءهم وعلية علمائهم وقادتهم في كل بلد إسلامي كانوا يشطرون هذه الحركة المدنية بأنفسهم وأموالهم ، وليس يعقل أن يندفع الكافة في تيار يحرمه عليهم دينهم الذي كان في أرفع درجات سلطانه .

وهنا نحن اليوم وجميع عناصر العالم الاسلامي في دور نهضة قوية ، فلم لا يحرمها علينا المحافظون ورجال الدين ، أستغفر الله ! بل هم قد أصبحوا في مقدمة الداعين لها كما كان عليه أوائلهم من قبل . فلا شك أن شبهة أعداء الاسلام داحضة ، وتعليلاتهم لنهضة المسلمين الأولى سافطة ، وله الحمد في الأولى والآخرة .

محمد فريد ومجدي

# السُّنَنُ

## الطاعات تُفَرِّج الكربات

### سُنة النبي محمد ﷺ

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «خرج ثلاثة يمشون فأصابهم المطر ، فدخلوا في غار في جبل فانحطت عليهم صخرة ، فقال بعضهم لبعض : ادعوا الله بأفضل عمل عمتموه ، فقال أحدهم : اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت أخرج فأرعى ثم أجىء فأحلب فأجىء بالخلاب فأتى به أبوى فيشربان ثم أسقى الصبية وأهلى وصرأتى ، فاحتبست ليلة فنجت فإذا هما نائمان ، قال : فكرهت أن أوفظهما والصبية يتضاغون عند رجلى ، فلم يزل ذلك دأبى ودأبهما حتى طلع الفجر ، اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة ترى منها السماء ، ففرج عنهم . وقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنى كنت أحب امرأة من بنات عمى كأشد ما يحب الرجل النساء ، فقالت : لا تنال ذلك منها حتى تعطها مائة دينار ، فسعيت فيها حتى جمعتها ، فلما قعدت بين رجلها قالت : اتق الله ولا تنقض الخاتم إلا بحقه ، فقممت وتركتهما ، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة . قال : ففرج عنهم الثلاثين . قال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنى استأجرت أجير بفرق من ذرة فأعطيته وأبى ذلك أن يأخذ فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته حتى اشتريت منه بقرأ وراعيها ، ثم جاء فقال : يا عبد الله أعطى حقى ، ففعلت : انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك ، فقال : أنستهزى بى ؟

قال : فقلت : ما أستهزئ بك ولكنّها لك ، اللهم إن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عني ، فكشف عنهم « صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا الحديث رواه البخاري وغيره في عدة مواضع ، حسب ما حوى من فضائل وأحكام وقوائد : من بر لوالدين ، وخشية الله حين استحكام أسباب الفتنة ، وإجابة دعاء من اتقاه ، وإكرام أهل طاعته ، وكالتصرف في مال الغير بغير إذنه لمصلحته على ماسيجي . وسنعرض لشرح مفرداته ثم نعود للكلام عليه جملة بتوفيق الله وتيسيره .

قوله : « خرج ثلاثة » جاء في بعض الروايات « ممن كان قبلكم » وفي بعضها « من بني إسرائيل » ولم يذكر الشراح أسماءهم وقوله : « يعشون » روى بدلها : يرتادون لأهلهم ، ولا ريب أن البحث عن الكلام والمرعى والماء وأمثالها مما يجعل المكان صالحاً للإقامة فيه ، فالعنى أنهم كانوا مسافرين يبحثون عن مكان يرشدون أهلهم لينتقلوا اليه . وقوله : « فدخلوا غارا » روى « فأووا إلى غار » وفي رواية « حتى أووا المبيت إلى غار » والمعنى أنهم دخلوا الغار ليؤويهم من المطر وليبيتوا فيه . وقوله : « فأنحطت عليهم صخرة » روى « فأنحطت على قم غارهم صخرة فأنطبقت عليهم » أو فأنطبقت عليهم ، أي انطبقت على قم غارهم فسدت ، أو أنطبقت عليهم قم الغار ، وفي رواية « فسقط عليهم حجر متجاف حتى ما يرون منه خصاصه » ومعنى متجاف : غليظ ، فهو بمعنى الصخرة ، والجفاء : الغلظ في الخلقة أو في الخلق ، أو متجاف متباعد عنهم لم يصيبهم بل سدد عليهم باب غارهم . وخصاص الباب ونحوه : الثقوب والفرج التي يرى منها الضوء . وقوله : « ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه . » في رواية أنهم قالوا : عفا الأثر ووقع الحجر ولا يعلم مكانكم إلا الله ادعوا الله بأوثق أعمالكم . وروى أنهم قالوا : إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق فأيديع كل رجل منكم بما يعلم أنه صدق فيه . وروى مثل ذلك . والروايات متقاربة واضحة . وقوله : فقال أحدهم ، الروايات المعتمدة متفقة على هذه القصص الثلاث المذكورة ، وإنما تختلف بالتقديم والتأخير بينها . وفي رواية ضعيفة الإسناد عن عقبة

ابن عامر جاء بدل الأجير : أنه كان له غنم يرعاها فحضرت الصلاة فقام يصلي فعدا الذئب على غنمه فكره أن يقطع صلاته فأتى صلاته .

والحلاب : الإناء الذي يحلب فيه . والمقصود اللبن . ومعنى احتبست أى استأخرت كما فى رواية أخرى . وروى أنه نأى به الشجر أى بعد ، وهذا سبب تأخره . ومعنى يتضاغون يبكون . والضغاء الصباح . وفى رواية يتضاغون من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواى . وقوله : دأبى ودأبهما أى شأنى وشأنهما . وروى فكرهت أن أوقظهما وكرهت أن أدهما فيستكنا لشربتهما . وسبب كراهته إيقاظهما أن يسبب لهما الأرق على ما هو عادة الشيوخ إذا أوقظوا بعد هجمة ، ولأن الإنسان يتأذى لا يقاظه من نومه قبل أن يستوفيه ، وكرهه أن يدعهما خشية أن يستكنا لشربتهما أى أن يضعفا بسبب قوت العشاء كما هو شأن الهرم الضعيف من الاستكانة وهى الضعف . وقوله : إن كنت نعم هذا من باب الأدب بر كل شىء الى علم الله ، كأنه يشك فى نيته ومقصده ، ويدع ذلك الى من يعلم السر وأخفى ، وهو الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، فهو أعلم به من نفسه . أو كنى بقوله : تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، عن أنه مقبول عند الله . وقوله : فافرج عنا ، روى ففرج عنا . وقوله : فقالت « لا تنال ذلك منها » فى الإتيان بضمير الغيبة مع أنها تحدث عن نفسها لطف لا يخفى مع مراعاة أن الحكاية عن غائب . وقوله : « حتى نعطيهما مائة دينار » جاء فى رواية « فامتنعت منى حتى أملت بهاسنة » أى سنة قحط ، ويكون امتناعها أولاً عفة ، وإجابتها ثانياً تحت تأثير القحط الذى ألم بها . وقوله : « فقالت اتق الله ولا تقض الخاتم » روى إلا بحقه ، وهو يعطى أنها لم تكن ذات زوج ، وأنها كانت بكرًا ، وإن كان يحتمل أن يراد بفض الخاتم ذلك الفعل المشين .

وقد روى أنها ارتعدت وبكت فسألها فقالت : إني أخاف الله رب العالمين ، فقال : خفته فى الشدة ولم أخفه فى الرخاء ، لأننا أحق أن أخاف ربى . وفى رواية أنها قالت : أذكرك الله أن تركب منى ما حرم الله عليك .

وقوله : « بفرق من ذرة » في رواية بفرق من أرز . والفرق : مكيال يسع ثلاثة صيمان . وقوله : فأبى ذلك أن يأخذ ، روى في سبب إيبائه أنه جاء أجير آخر اشتغل نصف يوم كسغل أحد الأجراء يوما كاملا فأعطاه كأحدهم ، فغضب هذا وقال : لمطيه في نصف يوم كما أعطى أحدنا في يوم كامل ! فقال : يا هذا هو مالي أعطى منه ما أشاء ولم أظلمك حقك . وهذه عادة في الأجراء الى الآن . وقوله : « حتى اشتريت منه بقرا وراعيها » في رواية : بقرا وإبل وخنما . ولعله اشترى الأنواع الثلاثة ، وكانت أغلبها البقر ، فذكر الكل مرة ، واقتصر على النوع الغالب مرة أخرى .

أما بعد : فقد أرشدنا هذا الحديث الشريف الى طريق الفلاح ، وصور لنا طاعة الله والرفق اليه بأجل مظاهرها ، وجلالها في أبهى حلالها ، على وجه أخذ يمتدب القلوب الى التماسى بفاعليها ، وانتهاز الفرصة للحاق بمن استحقوا هذا الثناء وتخليد الذكر بسببها . انظر الى صاحب القصة الأولى وما قضى به يومه من كدح وكد في رعي غنمه ، فهو طوال يومه في حركة وبقطة ، يلمس المرعى وبوجه غنمه ويحرسه أو يسوسها ، ثم يجذب عليه مكان فيرتاد غيره حتى يتطوح به السير وينأى به الشجر فلا يرجع إلا وقد نام الشيوخ ومتى ينام الشيوخ ! ثم يحلب بنفسه ويحجي ، لتهمد أبويه وأبنائه وأهله ، ولا تسلم هنا عن المعركة بين ميل الانسان الفطري نحواً بئانه وزوجه ، وبين معرفة الجميل وتقدير الضعف المستحکم في أبويه ، معركة وجدانية يدر بها من وقع فيها ، فالمرء وإن أحب والديه وبالف في محبتهم فإن محبته لأبنائه أغلب على طبعه . تجد محبة الآباء مبناهم الوفاء ، ومحبة الأبناء مبناهم الرجاء ، وهل الأمر بينهما على حد سواء ؟ نعم يجب المرء أبويه ويكرمهما ويبالغ في تكريهما ، ولكنه ينظر الى ذلك نظر المرء الى ما يجب عليه ويكلف حمله وأداءه ، لا نظر الغبطة والابتهاج الذي يشمله حينما يصدق على أبنائه ويرفه لهم العيش . سأل بعض الناس : إني ألي من أبوي الآن كل ما كانا يلبانه منى في الطفولة : أفأكون وفيتهما

كل حقهما؟ فقال: لا، لأنك تفعل ذلك وأنت تحب أن يموتاً، وكانا يلبان ذلك منك وهما يجبان أن تعيش. وسئل بعضهم: لماذا نحب أبناءنا أكثر مما يحبوننا؟ فقال: لأنهم قطعة منا واسنا قطعة منهم.

هذه المعركة الوجدانية الهائلة تجد فيها هذا الابن الأب يتغلب على عاطفة البنوة التي ملأت قلبه نحو أولاده وفلذات كبده، عاطفة الأبوة المبنية على عرفان الجميل الماضي، ومراعاة الشيخوخة المتهدمة، والضعف الذي لا يحتمل معه تأخير عشاء. ثم انظر إليه وهو يضحى براحته، ويضيف إلى كده طول يومه سهرة واقفا متحيراً طول ليلة، يتقطع قلبه لأطفال صغار يتضاغون من الجوع تحت قدميه والابن في يديه، ولكنه ينتظر أبويه. ولقد كان يريجه من كل هذا العناء أن يوقظهما ولو بعد الوقت الذي يظن أنهما أخذتا قسطهما فيه من النوم، ولكن تأتي شفقتة إلا أن يسمع أنهما قد يتأذيان من الأيقاظ قبل أن يستوفيا قسطهما من النوم ويستيقظا بأنفسهما، وأنه قد يندب عنهما النوم بعد ذلك فلا يجدان السبيل إليه، فيكون قد أساء إليهما أكثر مما أحسن. أما صبيته وبكاؤه تحت قدميه من الجوع فأمرهين، فالأطفال مرحون بطبعهم، وما هو إلا أن يسقيهم حتى ينسوا كل شيء، وفي طبيعتهم قوة التحمل.

أما إنها لا تحدى الفضائل العظمى التي لا تصدر إلا عن قاب ملائته خشية الله وتقواه، وحق لمن هذا شأنه أن يراعاه الله، ويجعل له مخرجاً، ويجعل له من أمره يسراً. مثل هذا يدخل في مضمون ما ورد «رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره». إن نفساً كهذه بين رعاة الغنم تحمل النفوس على احترام طائفة بأسرها، ولكن من هذا وقد كان من بينهم خيرة الخلق عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. ولقد سمع الله من هذا الراعي فكشف عنهم، والله في خلقه إرادة، فلقد كان قدبراً أن يكشف الباب جميعه، ولكنه أراد أن يوجه كل من الثلاثة قلبه نحو خلقه، ويمنحه شطراً من كرامته، حتى يتبين للناس إكرام الله لأهل طاعته، جعلنا الله منهم.



ثم انظر الى صاحب القصة الثانية : شاب يملأ الحب شغاف قلبه ، ويحب ابنة عمه كأشد ما يحب الرجل النساء ، يتدله فيها ويهمهم ، ويسأل عنها ضوء الكواكب ويستنشق منها رذا النسيم ، تتناول به السنون ، وهو يملل النفس بما يكون أو لا يكون ، ثم تسعفه الفرصة ، ويكاد يبل تلك العصاة ، أصابتها سنة قحط فلوت قيادها ، والآلات عنادها ، فجاءته ترجيحها الحاجة وتعلوها الذلة ، فطلبت إليه مع ذلك شططا : طلبت إليه مائة دينار في تلك السنة المجيدة ، ليس معه منها درهم ، يقول : فسعيت حتى جمعتها ، وفي رواية : جمع لها عشرين ومائة . ما أشد سلطان الحب : يخلق من الجبان أسدا ، ومن الضعيف ماردا . الحب ، وما أدراك ما الحب :

الحب أول ما يكون مجانة فإذا تمكن صار شغلا شاغلا

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيتها

نقدتها الدنانير الكثر ، ليصل الى ذلك الأمر . ولقد استسلمت الفريسة ، ولكن خشية الله لم تتخل عنها . الله أكبر : إن مجرد كلمة الرجل في أذن المرأة وقوله لها : أحبك ، تعمل في نفسها كل عمل ، وتملأ قلبها بالأمل بعد الأمل فكيف به وهو ابن عمها ، يقضى الأيام اطوال يترضاها ، ويبدو لها منه ما هي أدري به ، ثم تتحداه بالمرهق المعجز في السنة الجداء ، فيحضره لها ثمنا ما أراد ، وبرها ناعلى صدق الوداد . وهل كانت إلا فتاة لها حظ في الرجل كحظه منها ؟

انظر إليها في هذه الساعة الرهيبة تدركها خشية الله ، فترتعد وتبكي ، وتذكره الله ألا يركب منها ما حرم الله عليه ، فتلاحقه هو أيضا الخشية ، ونحو طه تقوى الله ، ويتذكر حين ذكرته أن الذكرى تنفع المؤمنين ، فيقول : هذه تخاف الله في الشدة ولم أخفه في الرخاء ، فينصرف عنها طاهرين تقيين تقيين . الحمد لله ، هذا هو مقام الخشية والخوف من الله . هذا هو ما جاء في قوله تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى » وفي قوله عز وجل : « ولن خاف مقام ربه جنتان » يردف هذا بمنة

عظيمة فيدع لها المائة الدينار ، وينقلها عليها عشرين دينارا ، كما جاء في بعض الروايات .  
اللهم لا توفيق إلا توفيقك ، ولا موصوم إلا من عصمت .

رب إن الهدى هداك وآيا      تلك نور تهدي بها من إنشاء

أما إن للشيطان في مثل هذه الحيل لجولات وصولات ، فكم يغرر بهما ويسهل الأمر عليهما ، ويضمن لهما أن لن يقترفا جرما ولا إثمًا ، وإنما هي المداعبات البريئة ، حتى إذا غشى قبهما ما غشى ، ووقع في الشرك الذي نصبه لهما ، تولى عنهما بفرح وسرور ، وقال : ما كان لي عليكما من سلطان إنما دليتما بغيري . اللهم إنا نعوذ بك من الشيطان ومن الهوى .

وهذا الثالث صاحب الأجير : ترى الأجير في طامعه يحسد من عمل في نصف يوم مثل عمله في يوم على أن يأخذ مثل أجره ، والمالك لو أعطاه بلا مقابل فلا سبيل عليه ، فيذهب به الغضب إلى الإيذاء ، فينصرف مغاضبا رافضا أخذ أجره ، ثم يكث السنين الطوال كما يدل عليه أنه زرع الفرق ونماء وشترى من غلته بقرا وراعيها وإبلا وغنما ، وهل يأتي ذلك في عام أو عامين والفرق ثلاثة أصع من ذرة أو من أرز ؟ يحيى هذا المغاضب المحتج فيطلب أجره ، ولو شاء المستأجر لتجاهله وأنكره ، ولو سمح فأعطاه ذلك الفرق لكان جميلا منه ، ولكنه امتحن الله قلبه للفتوى فوفقه لزرعه وتنمية غلته حتى اشترى منها بقرا وراعيها ، وأضاف إليها إبلا وغنما ، فأصبح مالا وفيرا ورزقا كبيرا ، ومتى تبطل النفوس بالشح إلا حينئذ ؟ جاء الأجير راضيا بأخذ الفرق الذي استحقه على عمل يومه ، فقال : دونك هذه النعم فاستبقها براعيها ، وبروى برعاتها ، فقال الرجل - وحق له أن يقول : أستعزى بي ؟ وهل يظن هذا إلا أنه استعزأ ؟ يقول له : أعطني فرق ذرة أو فرق أرز ، فيقول له : استبق هذه النعم برعاتها ويصر على أن الأمر جدد وأنما له حتى ليأبى أن يقول له : لقد منحتكها ولكنك يقول : أنا لا أستعزى ولكنك ، فلا يقبل على نفسه ولا أنه صاحب جيل فيما أعطى ، ويقول إنها وديلة يأخذها صاحبها وكفى هذه هي الأمانة حقا ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

إن هذا هو الفصص الحق ، يبين لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم سبيل الهدى  
لنسلكه ، ويقرب لنا سبب الخير لنذكره ، ويصور لنا روح الطاعة لتتحلى بها ، ويميل لنا  
وجه الرأى لمتعلق بسببها . اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله :  
ثم يشرح لنا كيف كانت نجاتهم بسبب لجئهم الى من تعرفوا اليه في الرخاء فعرفهم  
في الشدة ، وكيف يكون يُمن الطاعة في الدنيا ، والدار الآخرة خير وأبقى .  
نسأل الله أن يسلكنا في زمرة المتقين ، ويجعلنا مع الذين أنعم الله عليهم من  
النبیین والصديقين والشهداء والصالحين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
أجمعين

ابراهيم الجبالي

## آداب الماشاة

وجه هشام بن عبد الملك ابنه على الصائفة ، ووجه معه ابن أخيه ، وأوصى كل واحد منهما  
بصاحبه . فلما قدما عليه قال لابن أخيه : كيف رأيت ابن عمك ؟ فقال : إن شئت يا أمير المؤمنين  
أجملت ، وإن شئت فصلت . قال : بل أجمل . فقال : عرضت بيننا جادة ( أى طريق واسعة ممهدة ) ،  
فتركها كل منا لصاحبه ، فلما ركبناها حتى رجعنا إليك .  
وقال يحيى بن أكرم : ماشيت المأمون يوما في بستان مؤنسة بنت المهدي ، فكنت  
من الجانب الذى يستره من الشمس . فلما انتهى الى آخره وأراد الرجوع ، أردت أن أدور  
الى الجانب الذى يستره من الشمس . فقال : لا تفعل ، ولكن كن بجانب حتى أستر كما سترتنى .  
فقلت : يا أمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك حر النار لعلت ، فكيف أشمس ؟ فقال : ليس  
هذا من كرم الصحبة . ومشى سائرا الى من الشمس كما سترته .  
وقيل لمرو بن ذر : كيف بر ابنك ؟ قال : ما مشيت نهارا قط إلا مشى خلفي ، ولا ليلا  
إلا مشى أمامي ، ولا رقى سطحاً وأنا تحته .

## الضمير<sup>(١)</sup>

الضمير هو مجموع الآراء الخلقية التي توجد وقتنا ما في مدركة الانسان وتكون له بمثابة مرشد لسلوكه في طريق حياته .

وإذا كانت هذا الضمير يضعف فإنه كذلك ينمو ويشهد بالتربية الفردية والاجتماعية ، ويختلف عند الأفراد والشعوب قوة وضعفا .

إن هذه الحالات النفسية الفردية والقومية تكون في غالب الأحيان ثابتة بحيث يمكن أن نعزوها الى مجرد الوراثة ، وأن نعتبرها من الخصائص الراسخة في الجنس ، بيد أننا نرى أن تلك العقليات لدى الأفراد ترتقي بالنصائح الحكيمة ، ولدى الشعوب بتأثير تيار من المبادئ الدينية والخلقية .

وإن إثبات هذه الوقائع يحملنا على أن نعتبر الضمير كشجرة للتربية بشرط أن نعلم بأن هناك تأثيرا للاستعداد الفطري يرجع الى الوراثة والأصل .

أول كل شيء يجب أن يكون كل إنسان قادرا على التفكير ، وأن يفكر بحكمة ، إلا أنه يوجد أناس كثيرون ليسوا في حالة يلجأون معها الى الإقدام على هذا العمل (عمل التفكير) ، وهم بذلك محرومون من المبادئ التي تعتبر أساسية ولا غنى عنها .

ولكن من المفيد نظريا معرفة ما إذا كانت إحدى الأفكار التي تجول بخاطرنا هي فطرية وجدت معنا منذ نشأنا أم أن جميع أفكارنا هي ثمرة « التجربة » .

إنى لا أتبين تماما ماذا يمكن أن يوجد في دماغ الطفل عند ولادته ، وإنه ليخيل لي أنه عند مجيئه الى هذا العالم لا يملك سوى غرائز وشعور بالحاجات المادية ، وإنه

(١) ملخص عن الفرنسية من كتاب تربية النفس بالنفس للدكتور (دوبو) أستاذ علم الامراض العصبية

من الجراءة أن نقول إن عنده أفكارا وخصوصا أفكارا مركبة كتمطشه للانسجام أو حاجته للعدل ، ولكن منذ الأيام الأولى من الحياة تبدأ التربية عن طريق التجارب المحسوسة ، والشعور بالراحة والتعب الناشئين عن المؤثرات الجثمانية كالحر والبرد ، وهي مؤثرات تكون ملطفة أو حادة بالنسبة لحساسية المجموع العصبي . ولهذا الإحساس تأثير على عقلية الطفل منذ الساعة الأولى من ولادته ، ومن هذا ندرك أن تعاقب بعض المؤثرات المؤلمة يمكن أن تغير من أخلاق الطفل ، وتجعل عنده استعدادا للغضب الذي يلاحظه عند الأطفال الذين أصيبوا ببعض الأمراض ، أو أسيئت معاملتهم ، وقد لا تزول عندهم هذه الوصمة . وما يدرينا أن هذه التربية بواسطة الحواس لا تبدأ قبل الولادة والطفل في بطن أمه حيث قد يجد الجنين بعض الظروف السيئة لتكوينه ويتأثر بالمؤثرات المؤلمة ؟

ويصل لطفل شيئا فشيئا إلى معرفة آراء جديدة عن طريق تجاربه الشخصية ، ثم بعدئذ عن طريق تجارب الغير عندما يكون في حالة يدرك معها الأشياء ، فهو يتخلص من عقليته الساذجة ليكوّن نفسه الإنسانية المستعدة لقبول الآراء المعنوية والفكرة الأدبية ، فهو يدرك فكرة البعد عند رؤيته للأشياء التي أمام عينيه والمسافات التي تشغلها ، ويدرك نظرية الوقت بمراقبة تعاقب الحوادث ، فيتعلم فهم هذا العالم ، ويسعى في الحصول على ما يريجه ، ويتجنب ما لا يسره . فعندما يعامل بالحسنى من جانب الناس الذين يحيطون به مثل أمه أو مربيته فإنه يصل إلى إدراك معنى الحسنى فيقدرها بشكل أناني تماما ، ولكن فكرة العدل تلزمه بعد ذلك بصفة شخصية دائما عندما يتألم مما يصيبه من الجور .

إن المنطق يدعو إلى الامتناع من الجور لجرد أنه وقع علينا . ونحن ندرك مقدار الألم الذي يسببه هذا الجور ، وليس هناك تحاكّ للآراء أسهل مما يحدث بسبب الضدية » وبضدها تتميز الأشياء « فإن فكرة العدل يجذب إليها الوقوع في الجور ،

وكما قال روسو في كتابه « إميل » : « إن أول شعور لفكرة العدل لا يأتينا مما نحن مدينون به للغير ، ولكن مما يكون هذا الغير مديننا به لنا » .

وكذلك نظرية العدل والانسجام تنطبعان في قلب الطفل بسهولة ، إذ أنهما تذبذبان من لرغبة في العيشة الرغدة ، فضميرنا يتكون من جميع الآراء المعنوية والأدبية التي ندين بها إلى التجارب . فبعض تلك الآراء ينمو بسرعة عظيمة ، وهي الآراء التي تتصل مباشرة بحياتنا الشهوانية ، وبعض الآراء تصكون مركبة ولا يمكن إدراكها إلا بالتمو البطيء للعقل الإنساني ، تحت تأثير التجارب الناضجة القائمة والأكثر دقة التي تلقاها من جميع المرين من دينيين وفلاسفة .

إن هذا الضمير الأدبي يتكامل ما بقيت حياة الإنسان باكتساب آراء جديدة ، وتهذيب الآراء القديمة ، فنظراتنا للفضيلة تتحدد أو تتعدل ، وكثيرا ما ندهش عندما نصل إلى سن معينة كيف أننا أقدمنا على فعل أمر من الأمور بضمير هادئ ، مستريح ، ذلك لأن قسيتنا تتغير وتتبدل في مختلف أطوار الحياة .

( نور الاسلام ) : هذا ما قاله مدرس جامعة السوربون الأستاذ دوبوا . ونحن نقول : إن أكبر مقومات الضمير هو الاعتقاد بإله قادر ، يحاسب على الكبائر والصغائر ، ويطلع على ما تكنه السرائر ، وبحياة بعد هذه الحياة ، يثاب أو يعاقب فيها الإنسان على ما قدمت يداه ، فكل تربية وكل تعليم لا يغنيان عن صاحبهما شيئا ما دم ضميره مقفرا من هاتين العقيدتين ، وهذا هو المشاهد المحسوس ، فإن الناس في أيام جهالتهم ، وعدم انتشار التعليم فيهم ، كانوا بفضل هاتين العقيدتين أفضل حالا ، وأقوم أخلاقا مما هم عليه اليوم ، يشهد بذلك كل من اطلع على النتائج ودرس أحوال الأمم في أدوارها المختلفة ، بل إن من أدرك الناس قبل خمسين سنة يرى من تدهور الأخلاق ، وسقوط الآداب في هذا العصر ما لا كان يتوقعه ، ولا يحول في خياله في ذلك العهد .

فلا يمكن أن يقال إن ما هو حاصل أثر من آثار فساد التربية ، ونقص التعليم ،

فإن هذا الأثر نفسه يشاهد في الأمم الآخذة بأدق ضروب التربية ، وأرق أساليب التعليم ، فالمسألة ترجع والحالة هذه الى خواء الأفئدة من العقيدتين اللتين ذكرناهما ، فهما اللتان أهملتا في برامج التعليم العصرية ، بعد أن كان لهما المكانة العليا في البرامج القديمة .

لقد خيل لقادة الانقلابات الاجتماعية أن العقائد أمور شخصية تترك الحرية فيها للناس متى أمكنهم التمييز بين الحق والباطل ، وهذا وهم منهم ، فإن النفوس إذا لم تلقح بالعقائد منذ نشأتها شبت أجنبية عنها ، ولا تكفي شكيمة الأصول الخلقية في ردها عن أهوائها ، فتندفع حيث تدفعها الشهوات ولا كرامة .

هذا هو الواقع ، وقد أدرك هذا الأمر كبار الفلاسفة المعاصرين من أمثال اللورد فبري ، وكاميل فلامريون ، وهنري بيرنجيه وغيرهم ، حتى قال واحد منهم ، إن ضميرا بلا عقيدة بالله كحكمة بغير قاض .

وقد صدق فيما قال ، فإن القلب متى تأرت فيه نواتر الشهوات فلا تستطيع أن تردها قوة التربية ولا قوة العلم ، لأن النفس تجذب من كليهما مخرجا بالتستر أو سواء ، ولكن تستطيع أن تردها قوة العقيدة بالله . وقد صاحت هذه القوة أن ترد عن الشهوات جماعات لم تنل من العلم ولا التربية شيئا يذكر ، فظنك بأنهم قد حصلت منهما على أوفر الحظوظ ، وارتفعت بهما الى أعلى الدرجات ؟

يقول قائل : صحيح ما تقول ، ولكن كيف السبيل الى غرس العقيدة بالله والعقيدة بالخلود في النفوس بحيث تصالحان أن تكونا قوتين رادعتين ، وقد تمردت العقول ، وتمردت النفوس ، وامتلات الصدور بالشبه والشكوك ؟

ونحن نقول : إن الله الذي يتولى خلقه بما يصاحبهم ، لم يحلهم من إمداده في كل دور من أدوارهم بما يقوّم عقولهم ، ويصلح نفوسهم ، فقد أفاض على الناس في هذا المهيد الذي تمردت فيه العقول ، وتمردت النفوس ، من نور العلم ما يكشف كل غمة

من شبهة ، ويطنىء كل نائرة من شك ، ويدحض كل فتنة من باطل ، وإنما المعول على استجماع هذه الفتوحات العلمية واستخدامها في وجوهها ، وهذه وظيفة حفظة العقائد ، وحلة أمانتها بين البرية ، فإذا خُلِّيَ بينهم وبين نفوس النابتة رأيت لذلك أثرا مياركا في تقويم عوجهم ، وتعديل أودعهم ، ولا بد من ذلك إن لم يكن اليوم فعدا : « كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز » .

## فضل العقل وما قيل فيه

قيل لعمرو بن العاص : ما العقل ؟ فقال : الاصابة بالظن ، ومعرفة ما يكون بما قد كان . وقال زياد : ليس العاقل الذي إذا وقع في الأمر احتال له ، ولكن العاقل يحتمل للأمر حتى لا يقع فيه .

قال الأصمعي : ما سمعت الحسن بن سهل مذ صار في مرتبة الوزارة يتمثل إلا بهذين البيتين :

وما بقيت من اللذات إلا      محادثة الرجال ذوي العقول  
وقد كانوا إذا ذكروا قليلا      فقد صاروا أقل من القليل  
وقال محمد بن عبد الله بن طاهر :

لعمرك ما بالعقل يكتسب الغنى      ولا باكتساب المال يكتسب العقل  
وكم من قليل المال يحمده فضله      وآخر ذو مال وليس له فضل  
وما سبقت من جاهل قط نعمة      إلى أحد إلا أضر بها الجهل  
وذو اللب إن لم يعط أحدث عقله      وإن هو أعطى زانه القول والفعل



## الاسترقاق عند الأمم وفي الاسلام

مناسبة مرور مائة عام على إبطال الاسترقاق

كان الاسترقاق شائعا بين الأمم قبل عهد الاسلام بألوف من السنين ، فكان قدماء الهنود والصينيين والمصريين والآشوريين والبابليين والفرس واليونانيين والرومان وغيرهم يتخذون الرقيق من أسرى الحروب ، كما يحصلون عليه بالثمن من أصحاب النخاسة ، وهم رجال يتشبثون في بعض الأصقاع بحتطفون من يقع في حبالهم من النساء والبنات والعلماء ، بقصد الاتجار فيهم كالماشية سواء بسواء ، وكانوا يعرضون سلهم البشرية في الأسواق ، فيتردد عليها الراغبون يقيمون هذه المخلوقات التعسة الحظ ، ولا يدعون خفيا من جسمهم إلا لخصوه ، ثم يسامون مواليتهم في أثمان ما يقع اختيارهم عليه منهم ، فيعتلونهم كما يعتلون البهائم ، ويتحكمون في حياتهم وموتهم ، غير خاشين رقيقا ولا حسيبا ، لا من ناحية الحكومة ولا من ناحية الرأي العام .

وكانت القوانين في هذه الأمم تعطي السادة كل حق على أرقائهم حتى حق قتلهم ، فكان المالك يجلدون ويعذبون لأقل هفوة ، وكثيرا ما كانوا يقتلون لأحقر الأسباب . وكان الناس يسيغون هذه القسوة لاعتقادهم أن الأرقاء ، وخاصة السود منهم ، ليسوا من الأسرة البشرية . وقد اشترك الفلاسفة مع الدهماء في احتقار الأرقاء حتى إن أفلاطون الفيلسوف اليوناني الكبير ، وتلميذه أرسطو الملقب بأمير الفلسفة ، قدرا في تعاليمهم أن العبيد يجب أن يحرموا من الحقوق المدنية .

وقد نقل التاريخ أن الشبان في إسبارطا من الملوك اليونانية ، كانوا يمرنون على الفتك بالأعداء ، في أشخاص العبيد ، فكانوا يوقفونهم جماعات جماعات ، عزلا من السلاح ، ويأمرسون شبانهم بالهجوم عليهم والتكيل بهم ، فكانوا يقومون بما يؤمرون

به فتجربى دماء أولئك الأرقاء أنهمارا ، بلا داعية معقولة غير تعويد الشيطان على سفك الدماء ، والتتكيل بالأعداء !

ودوى أن بعض براطرة لرومانيين كان له فرقة موسيقية من المماليك ، فرتأى أن يبنر سواعد الضاربين على الآلة المسماة بالتروميتتا ، وأن تربط مضاربها في أعضادهم لكيلا يتكفوا نثي أذرعهم وهم يضربون عليها .

وكان نساء اليونانيين والرومانيين في ذلك العهد محجبات ، فكان الرجال يتخذون الخلعيان خلد متهن ، وكانت ترهق أرواح الأتوف المؤلفة من الأطفال الذين يعدونهم لهذه الخدمة بتأثير هذا العمل الجراحي الخطير الذي كان يزوله رجل ليس لهم أقل علم بالجراحة وقصميد الجروح .

ولما جاءت الديانتان اليهودية والنصرانية تركت الاسترقاق على ما كان عليه ، فبقى أتباعهما عامين به الى نحو منتصف القرن التاسع عشر .

ولما اكتشف الأوربيون أمريكا واستعمروها ، وجدوا أنه نعوزهم الأيدي العاملة وخاصة بفلاحة الأرض ، وحفر المناجم ، فكانوا يرسلون بسفنهم الى شواطئ أفريقيا فيشحنونها بمئات من الزوج ويعودون بها الى أمريكا ، فيموت من هؤلاء السود من يموت في الطريق ، فيلقون بهم في اليم ، ويعملون من بقي منهم في أشق الأعمال وأشدها إرهاقا في مقابل تنذيتهم وإيوائهم ليس إلا . أما العناية بصحتهم والاهتمام بتنقيف عقولهم ، وإعدادهم للحياة الصحيحة ، فكان لا يفكر فيه إنسان ، لأن الدماء كانوا يعدونهم أحط من البيض من كل الوجوه . من هنا كثر السود في أمريكا حتى ليبلغ عددهم هنالك اليوم نحو عشرين مليونا غير الذين هاجروا منهم الى أفريقيا منذ أعلن تحريرهم ، وأسسوا لهم مملكة في شمال غينا الشمالية باسم جمهورية ليبيريا ، تحت حماية إنجلترا ، لا تزال قائمة الى اليوم .

ولما جاء الاسلام نظريا نظرا فيه من أمر العالم في حالة الأرقاء ، فلم ير من الحكمة

إبطال الاسترقاق طرفة، ولكنه أحدث انقلاباً خطيراً لم يحدث ما يشبهه ولا ما يقرب منه على يد أى مصالح عظيم، فقرر أن المالك إخوان لمواليهم لهم عليهم حقوق الأخوة، فقال عليه الصلاة والسلام: «إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ولو شاء جعلكم تحت أيديهم». لذلك منع النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول أحدهم: عبدى وأمتى فقال: «لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى، ولكن ليقول فتاى وفتاى». .

هذا تجديد فى أمر الاسترقاق لم يكن يخطر على بال إنسان فى الأرض قبل الإسلام، وهو حد فاصل بين القسوة الجاحقة وبين مخلوقات بريئة أوقعها نكد طالعها فى الأسر وليس لها غير الله من ملجأ تلجأ إليه .

ولم يقف الإسلام من عنايته بالرفيق عند هذا الخلد الأدنى، ولكنه تمدها إلى أقصى حدوده المادية، فلم ينفصل طعامه وشرابه وكسوته، فأراد أن يساوى فيها سادته فقال صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الله فيما ملكت أيماكم: أطمعوم مما تأكلون واكسوم مما تلبسون» الحديث وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه، فإن لم يفعل فليناول له لقمة» وفى رواية أخرى: «إذا كنى أحدكم مملوكه صنعة طعامه، فكفاه حره ومؤنته وقربه إليه، فليجاسه وليأكل معه، فإن لم يفعل فليناول له، أو ليأخذ أكلة فليروغها (أى فليشبعها بالدم) وأشار بيده، وليضعها فى يده وليقل كل هذه» .

هذا ما لم يسمع به أحد قبل الإسلام، فإن الناس كانوا يتخذون الأرقاء تعظيماً وتكبراً، فإذا أكلوا وفقروهم أمام مواردهم للخدمة، فيصيب سادتهم من أطيب الأطعمة ويتركون لهم نفائسها، وكانوا من ناحية اللباس يختصمون بأرقها وأنعمها، ولا يسمحون لماليتهم إلا بأخشنها وأرخصها. من أحسن ما يروى فيما يتعلق باللباس أن عالياً كرم الله وجهه أعطى غلامه دراهم ليشترى بها ثوبين متفاوتي القيمة، فلما أحضرهما له أعتاه أرقهما نسيجا وأغلاهما قيمة، وحفظ لنفسه الآخر، وقال له: أنت أحق منى بأجودهما، لأنك شاب وتغفل نفسك للتجمل، أما أنا فقد كبرت ويكفينى هذا.

أما من ناحية الاعتقال فقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يكلف الأرقاء ما لا يطيقون ، فقال من حديث في حقهم : « ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما أحببتهم فأمسكوا وما كرهتهم فبيعوا ، ولا تعذبوا خلق الله ، فإن الله ملككم إياهم ولو شاء للملكهم إياكم » وقال صلى الله عليه وسلم : « للملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق » .

وكان عمر رضى الله عنه يذهب الى العوالى فى كل يوم سبت فاذا وجد عبدا فى عمل لا يطيقه وضع عنه منه .

ويروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه رأى رجلا على دابته وغلما يسمي خلفه ، فقال له : يا عبد الله احمله خلفك ، فإنما هو أخوك روحه مثل روحك ، فحملة . ثم قال أبو هريرة : لا يزال العبد يزاد من الله بعدا ما مضى خلقه .

ولما استدعى عمر أمير المؤمنين الى الشام ليمضى صلحا فى بعض بلادها كما اشترط أهلها ، كان يتناوب فى الركوب بينه وبين غلامه ، فلم يقربوا من المدينة كان الدور فى الركوب للغلام ، فانتهى عمر الى معسكره وهو يمضى وعبيده راكب .

وأما من ناحية الإحسان الى المملوكين والتلطف فى معاملتهم ، فإن الاسلام قد شدد فى ضرورة ذلك تخفيفا لحالة العبودية على العبيد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من ضرب غلاما له فكفارته عتقه » .

وقال عبد الله بن عمر : « جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كم نعفو عن الخادم ؟ فصمت عنه رسول الله ، ثم قال : اعف عنه فى كل يوم سبعين مرة » .

وقال الزهري من أئمة الحديث : متى قلت للمملوك أخذك الله فهو حر . وعن أبى مسعود الأنصارى قال : « بينا أنا أضرب غلاما لى إذ سمعت صوتا من خلفي : اعلم يا أبا مسعود — مرتين — فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فألقيت السوط من يدي ، فقال : والله لله أقدر عليك منك على هذا » .

ودخل رجل على سلمان رضى الله عنه فوجده يعجن ، فقال له : يا أبا عبد الله ما هذا ؟ فقال : بعثنا الخدام في شغل فكرهنا أن نجتمع عليه عمدين .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من كانت عنده جارية فصانها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها ، فذلك له أجران » .

من أعجب وأعظم ما يذكر في هذا الموطن أن الاسلام قرر أن الأرقاء يثابون على الطيبات في الآخرة ضعف ثواب الأحرار ، ويعاقبون على جرائمهم في الدنيا بنصف عقابهم . نخل هذا جانباً وانظر الى ما كان يعاقب به الأرقاء على أصغر لهفوات بنصوص القوانين الوضعية .

أما الحياة الآخرة فقد كان ميثوساً منها بالنسبة لهم ، لأنهم كانوا يعتبرون مجردين من الأرواح البشرية !

ولقد حجب الإسلام في العتق الى حد لم يعهد له مثيل في الأمم ، فجعل العتق جزءاً في الكفارات عن كثير من الآثام ، وحض عليه في أحاديث كثيرة ، وسهل على المملوكين سبيل الحرية بواسطة المكاتب ، وهي أن يكاتب المولى عبده على مال يؤديه إليه في مقابل عتقه ، فينصرف للعمل والكسب حتى يؤدي لسيده ذلك المال فيصبح حراً . ومن شدة رغبة الاسلام في العتق أن جعل الله جزءاً من مال الزكاة يتفق على مساعدة الأرقاء على الخلاص من أسرهم بإمداء المساكين بالمال لتوفية ما عليهم .

ومن أجلّ وأكبر ما تذكره من آيات الاسلام أنه لم يوصد باب العلم في وجه عبد بمحنة عبوديته ، ولكن تركت له حرية التعلم والتبحر حتى وصل عدد كبير منهم الى درجة الإمامة ، كبلال مولى أبي بكر ، وسالم مولى أبي حذيفة ، ونافع مولى عبد الله ابن عمر ، وتولى كثير منهم الخطط الهامة في القيادة والإدارة ، فولى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً للمدينة ، وولى أسامة بن زيد مولاه قيادة جيش فيه أبو بكر وعمر .

وقد جرى المسلمون على هذه السنة ، فاتفق أن كان جميع الأئمة في الأقطار الاسلامية

في القرن الأول من الموالى إلا واحدا . قال العلامة السخاوى في شرح ألفية الحديث للقرافى : « إن هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى قال للزهري إمام الحديث يوما : « من يسود أهل مكة ؟ فقال الزهري : عطاء . قال هشام : بم سادهم ؟ فقال الزهري : سادهم بالديانة والرواية . فقال هشام : نعم : من كان ذا ديانة حققت الرياسة له ، ثم سأله الخليفة عن اليمن ، فقال الزهري : إمامها طاووس ، وكذلك سأل عن مصر والجزيرة وخراسان والبصرة والكوفة ، فأخذ الزهري يعد له سادات هذه البلاد ، وكلما سعى له رجلا كان هشام يسأله أهو عربي أم مولى ؟ فكان الزهري يقول : مولى ( أى أصله مملوك أو ابن مملوك ) الى أن أتى على ذكر النخعي فقال : إنه عربي . فقال هشام : الآن فرجت عني ، والله ليسودن الموالى العرب ويخطب لهم على المنابر . »

هذه آيات إسلامية تأخذ باللب والقلب معا ، وتدل في جملتها وتقصيلها على أن الاسلام كان يعطى الحق لأهله بصرف النظر عن ألوانهم وجنسياتهم ، عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى أو بعمل صالح » وجرى المسلمون على هذه الطريقة ، فلم يحرموا العبيد من تولى أرق المناصب ، وقد اتفق أن تولى بعضهم الملك أيضا .

قلنا في أول هذه المقالة : إن الاسلام أقر الاسترقاق كما أقرته جميع الأديان ، ولكنه امتاز عنها بحصر وسائله في دائرة واحدة معقولة هي دائرة الحرب الشرعية ، أما بقية وسائله التي يجمعها اسم النخاسة فقد أبطلها وعفى على أثرها ، فلا يحل لمسلم أن يشتري إنسانا اختطفه النخاسون من بين أحضان أبويه . فكان الاسلام بذلك أول من قضى على النخاسة قبل أن يشكر في ذلك الأوروبيون بنحو ألف ومائتي سنة . فلم يبق للاسترقاق إلا هذه الدائرة وهي قابلة للضييق ، بل وللزوال أيضا على حسب الأحوال ، فقد تقل الحروب لعدم ما يقتضيها ، وقد تزول بتاتا إذا نجحت الجهود التي تبذل لا تقاؤها ، وربط الدول والأمم بميثاق الألفة والتعاون .

وقد قال الله تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .  
وإذا فرضنا أن أمنية السلم العام لم تتحقق ووقعت حرب كان من نتائجها دخول  
المحاربين أسرى في يد المسلمين ، فإن لا إمام المسلمين أن يمن على الأسرى فيهمهم لأنفسهم  
ويطلق سراحهم بدون أى مقابل سوى ابتغاء مرضاة الله تعالى .

وعند ما دعت إحدى لدول في سنة ١٨٣٤ الى عقد اتفاق عام بإبطال الاسترقاق  
كانت الدول الاسلامية على اختلاف جنسياتها أول الملبيين لا جابة هذه الدعوة ، لأن  
دينها الاسلام يسعى الى تحرير الرقيق ، بل يجعله من القربات التى يتقرب بها المسلم  
الى ربه .

هذه صفحة مجيدة من صفحات الاسلام تتمثل فيها أصول إسلامية هى أعجب  
ما وصل الى علم البشر منذ خلقهم الله الى اليوم . وأى شئ أعجب وأدل على إلهية هذا  
الدين من إحاطته الأرقاء وهم أضعف طوائف البشر وأحقها في العرف العام بهذه  
الحماية التى لم يسمع بمثلا في الأرض ، وتخويله إياهم حقوقا على سادتهم ما كان يحلم بها  
الأحرار أنفسهم في العهود الخالية ؟  
محمد فريد وجدي

## مكانة القرآن الكريم

روى عن على أمير المؤمنين قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كتاب الله  
فيه خبر ما قبلكم ، ونبا ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، هو الذى تزيغ  
به الأهواء ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه . هو الذى  
من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله . هو حبل الله المتين ،  
والذكر العظيم ، والصراط المستقيم .

وقال عبد الله بن مسعود : إذا رلعت ( أى فى تلاوة القرآن ) رلعت فى رياض دمنة  
أثأثق فيهن .

## بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتَاوَى

بيع المقابر المهملّة — التبرع لبناء المآذن وغيرها  
شهادة الزور — جريمة تسميم البهائم

ورد إدارة المجلة هذه الأسئلة :

- ١ — مقابر ترك الدفن فيها من مدة خمسين سنة تقريبا ، فهل يجوز بيع أنقاضها والانتفاع بموضعها في الزرع ؟
- ٢ — هل يعتبر التبرع لبناء مئذنة لأحد المساجد والتبرع لبناء مقام لأحد الأولياء داخلا في قوله تعالى : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » أعني هل يثاب المرء على ذلك ؟
- ٣ — ما حكم الشرع الشريف فيمن كان يؤدى شهادة أمام القاضى وظهر أنه كاذب في شهادته ؟
- ٤ — ما الحكم شرعا في سم بهيمة انتقاما من صاحبها ، وكذلك لو قلع زرعه أو حرقه ؟ محمد حسيني بدر — من أهالي ابنهس

## الجواب

- ١ — المقابر المهجورة : إذا علم أن في القبر شيئا من آثار الميت عظاما أو غير عظم ، لم يجوز نبش القبر ، ولا نقل عظام الموتى منه إلا عند الضرورة ، كأن لحق القبر سيل أو ندوة .
- وإذا بلى الميت وصار ترايا جاز نبش القبر وجعل مكانه مزرعة أو غيرها ، وجاز لمالك الانتفاض الانتفاع بها ، والتصرف فيها بسائر أنواع التصرفات الشرعية .



وليس ليل الميت زمن معين، بل ذلك يختلف باختلاف البلاد وجفاف الأرض ونداوتها. ويعتمد في ذلك قول أهل الخبرة. وقد ثبت في صحيح البخارى عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما أنه دفن أباه يوم أحد مع رجل آخر في قبر، قال: ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فاذا هو كيوم وضعته هيئة غير أذنه. وفي رواية للبخارى أيضا «أخرجته فجعلته في قبر على حدة» وذكر ابن قتيبة في المعارف أن طلحة بن عبيد الله أحد العشرة رضى الله عنهم دفن فرأته بنته عائشة بعد دفنه بثلاثين سنة في المنام فشكا إليها النزع، فأمرت به فاستخرج طرياء فدفن في داره بالبصرة. وذكر غير ابن قتيبة أنهم حين حولوه قال الراوى: كأني أنظر الى الكافور في عينيه لم يتغير، إلا عقيصته فإنها مالت عن موضعها، واخضر شقه الذى يلي الأرض من نزل الماء.

٢ - يعتبر التبرع لبناء مئذنة لمسجد من عمارة المساجد التى مدح الله القائلين بها في قوله عز اسمه: «إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر» الآية. ولا يعتبر التبرع لبناء مقام لأحد الأولياء فوق قبره داخلًا في عمارة المساجد، لأن البناء على القبر مكروه عند جماهير الفقهاء، لما روى مسلم وأبو داود والترمذى وغيرهم عن جابر رضى الله عنه قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر وأن يبنى عليه وأن يقعد عليه» قال العلماء: ولا فرق في البناء بين أن يبنى قبة أو بيتًا أو غيرهما. ثم ينظر: إن كانت مقبرة مسجلة حرم عليه ذلك. قال أصحاب الشافعى: ويهدم ذلك البناء بلا خلاف. قال الشافعى في الأم: ورأيت من الولاة من يهدم ما بنى فيها. قال: ولم أر الفقهاء يعيرون عليه ذلك، ولأن في ذلك تضيقًا على الناس. وإن كان القبر في ملكه جاز بناء ما شاء مع الكراهة ولا يهدم عليه. وحكى النووى عن أبى حنيفة رحمه الله جواز البناء على القبر للملوك بلا كراهة. وعلى كل حال لا يعتبر البناء على القبر من عمارة المساجد في شيء.

٣ — إذا ظهر للقاضى كذب الشاهد عزره بما يراه من حبس أو ضرب، إلا إذا كان من الشهود بالزنا، فإن الشارع جعل للكاذب فى الشهادة بالزنا عقوبة معينة وهى جلده ثمانين جلدة، ورد شهادته، وتفسيقه.

٤ — من أتلف زرع غيره أو أهلك مواشيه فعليه قيمتها، وعلى الحاكم تأديبه بما يراه من حبس أو ضرب. يوسف المرصنى الشافعى، الحسينى سلطان الشافعى

### « حكم بيع الصكوك »

وورد من حضرة صاحب التوقيع السؤال الآتى :

هل يعد من المراءين من يشتري الصكوك من الدائنين بأقل من قيمها ليتقاضاها بتمامها من المدينين ؟  
عبد المنعم سماعيل شلبى — القنایات

### الجواب

هذه مسألة بيع الدين اغير من هو عليه ، وللشافعية فى ذلك تفصيل :

١ — فإن باعه بدين كان بيعا باطلا ، لما صح من نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع الكالئ بالكالئ . قال علماء الحديث : معناه بيع الدين بالدين .

٢ — وإن باعه بعين فإن لم يتفق العوضان فى علة الربا صح البيع على المعتبر . مثاله أن يكون الدين نقدا فيبيعه بقمح مثلا .

٣ — وإن باعه بعين واتفق العوضان فى علة الربا كان كان الدين نقدا فباعه بنقد فلا بد من قبض العوضين فى مجلس العقد ، وإلا كان البيع من الربا المحظور .

الحسينى سلطان الشافعى ، يوسف المرصنى الشافعى  
بكلية الشريعة الاسلامية

## حكم بعض الأيمان — من مات له ثلاثة أولاد

وجاء من أحد قراء المجلة السؤالان الآتيان :

- ١ — ساوم رجل آخر في ثوب مثلابجنيه، خلف صاحب الثوب لا يبيعه إلا إذا زاد عن جنيه — وهو يقصد أن الثمن الذي يصل اليه ويدخل في ملكه لا بد أن يكون أزيد من جنيه — فتوسط ثالث وأبرز قرشا وضمه للجنيه وأعطاه لصاحب السلعة ليبر في يمينه فقط، وبعد ذلك أخذ الوسيط القرش من البائع، فاحكم هذه اليمين؟
- ٢ — ما معنى الحديث « لا يموت المؤمن ثلاثة أولاد فتتمسه النار إلا تحلة القسم »؟

## الجواب

- ١ — الأيمان مبنية على العرف، ولا شك أن العرف يحكم في هذه المسألة بأن الرجل باع الثوب بجنيه فقط، وقد حلف لا يبيعه إلا إذا زاد عن جنيه، فيكون حينئذ قد حنث في يمينه.
- ٢ — تقول العرب: ضربه تحليلا إذا لم يبالغ في ضربه، قال كعب بن زهير:  
تخدى على يسرات وهى لاهية ذوابل وقمن الأرض تحليل  
أى قليل، كما يحلف الإنسان على الشيء أن يفعله فيعمل منه اليسير يحلل به يمينه، مثل أن يحلف على النزول بمكان، فلو وقع به وقعة خفيفة أجزأته، فتلك تحلة قسمه. وللعلماء في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «إلا تحلة القسم» رأيان: (أحدهما) أن قوله تعالى: «وإن منكم إلا واردة» كان على ربك حتما مقضيا «منزل منزلة القسم لتحقق وقوعه، فالعنى أنه يرد النار زما يسيرا مقدار ما يحقق قوله تعالى: «وإن منكم إلا واردة».

(والثانى) أن هذا مثل ، ومعناه لا تمسه النار إلا مسة يسيرة مثل تحلة قسم الخالف ،  
ويريد بتحلته الورود على النار والاجتياز بها <sup>الحسينى سلطان ، يوسف المرصنى</sup> <sup>الشافعى</sup> <sup>بكلية الشريعة الاسلامية</sup>

### « حكم التبليغ وراء الامام »

وحاءنا من حضرة صاحب التوقيع هذا السؤال :

ما حكم التبليغ وراء الامام فى الصلاة ؟ وما حكم التبليغ نفسه : هل يقصد الذكر  
أو الاعلام أو يقصدهما معا ؟ عبد الرحمن ابراهيم جميل — بميت حمل

### الجواب

قال أصحاب الشافعى : التبليغ مطلوب عند الحاجة اليه . وذلك لأن من شروط  
صححة الاقتداء العلم بانتقالات الامام ، ومن وسائل العلم بانتقالات الامام التبليغ إذا كان  
صوت الامام لا يصل الى جميع المصلين ، وحينئذ يكون التبليغ من الإعانة على تحصيل  
الجماعة ، فيكون داخلًا فى المعاونة على البر . أما إذا لم تدع اليه حاجة فإنه لا يكون  
مطلوبًا والأحسن تركه .

وينبغى المبلغ إذا كان من المصلين أن يقصد بقوله : « سمع الله لمن حمده » مثلاً  
الذكر فقط ، ويكون الاعلام تابعا غير مقصود ، والله أعلم

يوسف المرصنى الشافعى ، الحسينى سلطان الشافعى  
بكلية الشريعة الاسلامية

### « أحكام فى صلاة الجمعة »

وورد أيضا :

ما حكم الله فى سكان عربة يقرب عددهم من الخمسين رجلا يريدون أن يؤدوا

فريضة الجمعة بزاوية عزيتهم، مع العلم بأن عزيتهم لا تبعد كثيرا عن المسجد الجامع بقرية مجاورة، وليس لهم من علة فيما يريدون سوى الرغبة في الراحة ؟  
ناظر مدرسة إلزامية - بمركز إنيابى البارود

## الجواب

إذا كان في القرية أو العزبة أربعون مكافا ذكرا أو كانوا مستوطنين بها، وجب عليهم إقامة الجمعة في قريتهم أو عزيتهم، سواء أكان بها مسجد أم لا؛ ويحرم عليهم السعى إلى بلد آخر ولو سمعوا النداء منه أو كان مصرا، لما في ذلك من تعطيل الجمعة في محلهم، بل يجب على الحاكم منعهم من ذلك، والله الموفق للصواب.

يوسف المرصفي الشافعي، الحسيني سلطان الشافعي  
بكلية الشريعة الإسلامية

« أحكام في الذبح، وفي نجاسة الكلب، وفي صلاة الجمعة

وفي الأمانة والاستخارة »

وورد من حضرة صاحب التوقيع الأسئلة الآتية :

١ - ما قولكم دام فضلكم في الذكاة المغلصمة عمدا أو جهلا أو نسيانا؟ وفيما لو افترس ذئب شاة أو دجاجة ثم ندوركت وبها أمارات الحياة؟ وما حكم المريضة التي اشتد مرضها حتى أبطل حركاتها ثم ذكيت فلم تحرك عضوا من أعضائها ولم يخرج حال التذكية غير دم قليل؟ وفيما لو تردى بهيم في بئر أو سقط عليه حائط وتعذر ذبحه لبعده محل النحر أو لعدم وجود مدية ولم يكن هناك غير فأس، فهل يجوز العقر بها أم لا؟ وفيما لو فر للذبح من مذكيه وقد أنفذ مقتلا وتدوركت عن بعد، أو فر قبل الشروع في الذبح أشدة قوته فجعل أو ثور مثلا وتعذر إمساكه فأطلق عليه بتدق الرصاص مكبرا

ناويا بذلك الذكاة فوق ولم يحرك عضوا ؟ وفيما لو ترك المذكى شيئا من الحلقوم ، ولا فرق فى ذلك بين طير أو غيره ؟

٢ — ما الأحكام المتعلقة بالكلب من حيث الطهارة والنجاسة ، والأكل وعدم الأكل ، والصلاة على جلده ، فى المذاهب الأربع ؟

٣ — هل هناك دليل يسوغ للسادة الشافعية أن يصلوا الجمعة بعدد يعين عشرين فأقل ؟ وهل يجوز لما لى أن يصلى معهم على هذا القول مع وجود مسجد آخر لقرية مالكية ، وقد توسطت إقامة هذا الرجل بين القريتين غير أنه يشق عليه الوصول الى جنسية مذهبه ككونه كفيما يسهل عليه الوصول الى الأول دون الثانى ؟

٤ — ما الأمانة الواردة فى قوله تعالى : « إنا عرضنا الأمانة » الآية ، وفى قوله تعالى : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » ، وما المهد المقصود من الآية ؟

٥ — ما حكم الاستخارة بالسبحة ؟ وما حكم قراءة البردة والأذكار ودلائل الخيرات أمام الجنائز ؟

عبد الحميد موسى الزعيق

خطيب وإمام بمسجد منشية القاضى بالقوس

## الجواب

١ — الذبح يكون بقطع الحلقوم والمرئ ، بشرط أن يبقى شئ من الجوزة نحو الرأس ، أما لو فصلت الرأس من العنق فلا يحل أكلها ، وهى المقصصة .

٢ — ولو اقتصر ذئب شاة أو دجاجة وأدركت وفيها حياة مستقرة ، حلت . وعالمة الحياة المستقرة شدة الحركة وانفجار الدم ، وإلا فلا تحل .

٣ — أما المريضة فتحل متى كانت فيها حياة ولو ضعيفة وإن لم تتحرك ، لعدم وجود سبب يحال عليه الهلاك .

٤ — لو ردى بهيم فى بئر أو وقع عليه حائط أو ثمرد ولم يقدر عليه ، فذكاته

عقره في أى موضع ولو في غير المذبح : بأن يمحوه بألة محددة جرحاً يؤدي الى خروج الروح . أما لو قتلته بمثل كبندقية فلا يحل ، وكذا لو ضربه برأس الفأس ، أما لو جرحه بمحدها فيحل .

٥ - لو ترك الذابح شيئاً من الحلقوم فلا يحل المذبوح طيراً أو غيره .

٦ - الكلب نجس ولا يحل أكله ولا يظهر جلده بالدبغ ، فلا تجوز الصلاة على جلده ولا فيه .

٧ - لا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين ولو بالإمام على المعتمد من مذهب الشافعي ، لأن ذلك ما كان عليه السلف .

٨ - الأمانة الواردة في قوله تعالى : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض » هي التكليف الشرعية ، وعبر عنها بالأمانة تنبيهاً على أنها حقوق مرعية أودعها الله للكافرين وأثمنهم عليها وأمرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وأداؤها من غير إخلال بشيء من حقوقها ، وهي المرادة بالأمانة والعهد في قوله تعالى : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » .

٩ - الاستخارة بالسبحة لا أصل لها في الشرع .

١٠ - الذكر أمام الجنائز وقراءة البردة سبق أن تكلمنا عليه وأجبنا عنه إجابة وافية في العدد الثاني من هذا العام فليرجع اليه السائل .

ملحوظة : الذبوحه التي حكم فيها بعدم الحل للإخلال بشرط الذبح لا فرق فيها

بين العمد وغيره م  
الحسيني سلطان الشافعي ، يوسف المرصفي الشافعي  
بكلية الشريعة الإسلامية

« رد اعتراض على فتوى »

ورد من الشيخ أحمد لا مين محمد عبد الله إمام مسجد الأغوات بالإبراهيمية شرقية

اعتراض على فتوى نشرت في الجزء الأول من المجلد الخامس فيما يتعلق زكاة الحب المشترك . وحاصل الاعتراض أن الفتوى تقتضى صحة المزارعة مع أن المزارعة باطلة عند الشافعية .

وللإجابة عن هذا الاعتراض نقول :

١ — ذهب لا كثرون من أصحاب الشافعى الى عدم جواز المزارعة منفردة والى جوازها تبعا للمساقاة .

٢ — واختار الفتوى في شرح مسلم جوازها مطلقا: سواء أكانت منفردة بعقد أم تابعة لعقد المساقاة . واستدل بما روى مسلم وغيره عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامل أهل خيبر بشرط ما يخرج منها من ثمر أو زرع، وبأن المعنى المجوز للمساقاة موجود في المزارعة ، فياسا على القراض فإنه جائز بالإجماع وهو كالمزارعة في كل شيء، وبأن المسلمين في جميع الأمصار والأعصار مستمرين على العمل بالمزارعة . قال : وقد صنف ابن خزيمة كتابا في جواز المزارعة ، وستقصى فيه وأجاد وأجاب عن الأحاديث بالتهى . والله أعلم .

٣ — على أن السائل إنما سأل عن زكاة الحب المشترك بين مالك الأرض وزارعها ، ولما كان للمزارعة صور نصح فيها باتفاق حملنا كلام السائل على الصحة وأجبناه عن حكم زكاة الزرع المشترك .

يوسف المرصفي الشافعى ، الحسيني سلطان الشافعى  
بكلية الشريعة الإسلامية

« دفع اعتراض على فتوى »

وورد الى إدارة المجلة اعتراض من الأستاذ الشيخ عبد الحكيم العنانى على فتوى المجلة بصحة صلاة الجمعة في المسجد الخارج عن القرية إذا لم يكن بينه وبين مبانيها شيء .



مما اعتبره الشافعية فاصلا . وحاصل اعتراضه أن المسجد المذكور يعتبر منفصلا عن القرية فلا تصح الجمعة فيه .

ونحن نقول :

مبنى الفتوى على أن المسجد المذكور ( وهو المسجد الجديد بكفر طنبول القديم ) متصل بالقرية وإن كانت خارجا عنها . أما اتصاله بها فهو أمر ظاهر من الاطلاع على الرسم الذى كان مرافقا للسؤال ، لأن المصرف لذى كان يفصل القرية عن المزارع قد طم وصار شادعا من شوارع القرية .

والأستاذ المعترض مسلم بأن المصرف قد هدم من أمام المسجد ، إلا أن وجهة نظره هي أن المسجد لا يزال خارج البلد ولا يعتبر بعد طم المصرف متصلا بها .  
فاختلاف بيننا وبينه يتعصر فى عقبار المسجد متصلا بأبنية القرية أو منفصلا عنها . ونحن لا نطيل معه الجدل والمناقشة ، ونكتفى بنقل عبارة شيخ الاسلام زكريا الأنصارى فى شرح الروض ص ٢٤٨ من الجزء الأول ، ولعلها أحسن شيء فى حسم هذا النزاع :

قال رحمه الله :

« ويجوز إقامتها ... يعنى الجمعة ... فى فضاء معدود من الأبنية المجتمعة بحيث لا تقصر فيه الصلاة ، كما فى الككن الخارج عنها للمعدود منها ... بخلاف غير المعدود منها .  
فن أطلاق المنع فى الككن الخارج عنها أراد به هذا . والسبكى لما لم يظهر له أن كلامهم يفهم ذلك قال : كذا أطلقوه . ومعناه إذ لم يعد الككن من القرية ، فإن عدمها ولو منفصلا عنها فينبغى صحتها فيها ، فى الأم أن المسافر لا يقصر حتى يحاوز بيوتها ، ولا يكون بين يديه بيت منفرد ولا متصل . قال الأذرى : وهو حسن ، وأكثر أهل القرى يؤخرون المسجد عن جدران القرية قليلا صيانة له عن نجاسة البهائم ، وعدم انعقاد الجمعة فيه بعيد .

وقول القاضى أبى العليّيب : قال أصحابنا لو بنى أهل البلد مسجداً خارجاً لم يجز لهم إقامة الجمعة فيه لا انفصاله عن البنيان محمول على انفصال لا يعد به من القرية ، اهـ .

وقال العلامة الرملى فى حاشيته على شرح الروض تجريد الشورى : ( قوله محمول على انفصال الخ ) قال ابن عييل : إذا كان بين المسجد وبين آخر بيت من القرية ثلاثمائة ذراع فما دونها انعقدت فيه الجمعة اهـ .

الحسينى سلطان الشافعى ، يوسف الرصنى الشافعى  
بكلية الشريعة الاسلامية

## توريث ذوى الارحام

وررد الى المجلة السؤال :

١ - عمن مات وخلف عم الأم وخالها ، فما حكم توريثهما على مذهب أهل التنزيل ؟ ومعلوم أن عم الأم ينزل بمنزلة أبى الأم ، وخال الأم ينزل بمنزلة أم الأم ، وأم الأم وارثة ، وأبا الأم غير وارث .

٢ - وعمن مات وخلف بنت عمه وعمه الأم ، وكذلك معلوم أن بنت عمه بمنزلة أمها ، وهى بمنزلة الأب ، وعمه الأم بمنزلة أبى الأم ، وهو بمنزلة الأم ، وهكذا ننزلها ونورثها ، كما إذا مات وخلف أبا وأما ، أم نورث بنت عمه لتنزيلها بمنزلة أمها ، وهى تنزل بمنزلة الأب ، ونكتفى بتنزيل عمه الأم بمنزلة أبى الأم فلا ينزل ثانياً ، إن قلتم نعم فاعلة ذلك ؟ مع أن أهل التنزيل قالوا ينزل فرع بمنزلة أصله درجة بعد درجة الى أن تصل الى وارث . أففتونا وبينوا لنا بياناً يشفى الغليل .

## الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، محمد نبيه ومصطفاه ، وعلى آله وصحبه

ومن ولاءه .

أما المسألة الأولى فجوابها كما ذكره السائل ، أى أن عم لأم ينزل منزلة أبى الأم ،  
وخال الأم ينزل منزلة أم الأم ؛ وإذا اجتمع أبو الأم مع أم الأم فإن أم الأم ترث  
وأبى الأم لا يرث ، فقد سبق خال الأم الى الوارث ، فيحوز كل التركة ولا شئ لعم الأم ،  
وذلك حيث لم يكن من ذوى أرحام الميت غيرهما ، قال شيخ الاسلام زكريا الأنصارى  
فى شرح روض الطالب لابن المقرئ : ( فرع أخوال الأم وخالاتها بمنزلة أم الأم ) فيرثون  
ماترته ويقتسمونه بينهم كما لو ماتت عنهم ( وأعمامها وعماتها بمنزلة أبى الأم ) فيرثون  
ما يرثه ( وأخوال الأب وخالاته بمنزلة أم الأب ) فيرثون ما يرثه ( وعماته بمنزلة أبى  
الأب ) فيرثن ما يرثه ( وهكذا كل خال وخالة بمنزلة الجدة التى هى أختها وكل عم وعممة  
بمنزلة الجد الذى هو أخوها ) . وقال فى موضع آخر : ( ويقدم ) منهم ( الأُسبِق الى الوارث )  
لا الى الميت لأنه بدل عن الوارث فاعتبار القرب اليه أولى ( فإن استووا ) فى السبق اليه  
( قدر كان الميت خلف من يدلون به ) من الورثة واحدا كان أو جماعة ( ثم يجعل نصيب  
كل واحد ) منهم ( للمدلين به ) الذين نزلوا منزلته ( على حسب ميراثهم ) منه ( لو كان  
هو الميت ) . الى أن قال : ( مثله بنت بنت وبنت بنت ابن يحدلان بمنزلة بنت وبنت  
ابن فيحوزان للمال بالفرض والرد أرباعا ) بنسبة إرثهما فى بنت ابن بنت وبنت بنت  
ابن الخال للثانية لأنها أُسبِق الى الوارث ) . وقال : ( فصل والأجداد والجدات  
السافطون كل ) منهم ( بمنزلة ولده ) بطننا بطننا لتزويل أبى الأم منزلتها وأبى أم الأب  
منزلتها ( ويقدم ) منهم ( من انتهى الى الوارث أولا ) . ثم قال : ( فصل ) لو ( اجتمع  
أم أبى أم وأبو أم أم فليل لأبى أم الأم لأنه أُسبِق ) الى الوارث إذ بعد التزويل  
يصيران أبا أم وأم أم ( أو ) اجتمع ( أبو أم أب وأبو أب أم فليل للأول ) الخ .

ومن هذا وغيره من بقية نصوصهم يؤخذ أن الحكم فى المسألة الأولى أن خال  
الأم يحوز جميع المال وعم الأم لا يرث ، فإن خال الأم ينزل منزلة أم الأم أى الجدة  
التي أدلى بها ، وعم الأم ينزل منزلة أبى الأم أى الجد الذى أدلى به ، وأم الأم وارثة

وأبو الأم غير وارث . وأن الحكم فى المسألة الثانية أنا نزل بأت العمة منزلة العمة وعمة الأم منزلة أبى الأم ، فهذه درجة فى التنزيل لم يصل بها أحد منهما الى الميراث ، فنزل درجة ثانية لكل منهما : فنزل العمة منزلة لأب أى منزلة الجد الذى أدلت به وأبى الأم منزلة الأم ، وهذه درجة ميراث لكل منهما ، فاستويا فى الوصول الى الوارث بعد درجتين من التنزيل ، فىكون الارث بينهما كما لو مات عن أم وجد ، فىكون لبنت العمة الثلثان نصيب الجد حين فقد الأب ، ولعمة الأم الثلث نصيب الأم . والله أعلم )

ابراهيم الجبالى  
الشافعى

## الكلم البليغة فى الاعتذار

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : من لم يقبل من متنصل عذرا صادقا كان أو كاذبا ، لم يرد على الحوض .  
وقال الشاعر :

إذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائباً إليك فلم تغفر له فلك الذنب  
واعتذر رجل الى جعفر بن يحيى فقال له : قد أغدك الله بالعذر عن الاعتذار ، وأغنانا بحسن النية عن سوء الظن .  
واعتذر رجل لبعض الملوكة فقال : أنا من لا يحتاجك عن نفسه ، ولا يعالطك فى جرمه ، ولا يلمس رضاك ، لا من جهة عقوك ، ولا يستعطفك إلا بالافرار بالذنب ، ولا يستميلك إلا بالاعتراف بالولة .

وقال الحسن بن وهب :

ما أحسن العفو من القادر لا سيما من غير ذى ناصر  
إن كان لى ذنب ولا ذنب لى فما له غيرك من غافر  
أعوذ بالود الذى بيننا أن يفسد الأول بالآخر  
وقال آخر :

أقبل معاذير من يأتيك معتذرا إن بر عندك فيما قال أو جفا  
فقد أطاعك من أرضاك ظاهرا وقد أجلك من بعصيك مستترا

## نظرة في عالم النباتات

قال الله تعالى : « وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان ( أى خارجة من أصل واحد ) وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض في الأكل ، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

وقال تعالى : « وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ ، فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان ( أى عناقيد ) دانية ، وجنات من أعناب ، والزيتون والرمان مشتها وغير متشابه ، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ( أى نضجه ) ، إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » .

معنى الآية السكرية أن في الأرض قطعا متجاورة من زروع ذات أنواع شتى ، تروى بماء واحد ، ويفضل بعضها بعضا في الطعم والمنفعة ، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون .

حقا إن في ذلك لآيات أى آيات ، وإليك التفصيل :

إن كل بذرة من أى ثمرة كانت تحتوى على مقدار من المواد المولدة للحرارة وآخر من المواد المغذية ، وفي باطنهما خلية واحدة حية تدعى جنينا ، وهى الأصل الذى ينمو ويخرج منه ساق النبات وجذوره . وهذه الخلية كيس غشائى شفى داخله مادة لزجة يقول علماء النبات إنها المادة الحية ، وقد عجز العلم عن إدراك كنهها ، وعن فهم سر الحياة المستكنة فيها .

أما المواد المولدة للحرارة والمواد المغذية فحكمة وجودها أن تمد الجنين المذكور من الحرارة الغريزية بما يحفظ حياته ، ومن الغذاء بما يسمح له بالنمو حتى يبلغ حدا يستطيع معه أن يتغذى بنفسه من مواد الأرض .

انظر الى حكمة الله في هذا الوضع المحير للعقل : إن الجنين على الحالة البسيطة التى

هو عليها لا يستطيع أن يستمد غذاءه من الأرض ، لأنه ليس له جذور ماصة ولا أعضاء حاضمة ، ولا يقدر أن يستمد الحرارة الضرورية لنموه من الجو ، لأنه محروم من جهاز للتنفس ، فتدرك الله له هذا المعجز بأن خلق بجانبه مواد خلاصية تذوب في الماء الذي يروى به قتمده بالحرارة والغذاء ، حتى ينمو له جذير صغير يستطيع أن يمتص له الأغذية من الأرض ، ويرتفع له سويق في الهواء مجهز بجهاز تنفسي يمدّه بالحرارة .

إن جميع الأجنة في البزور متجانسة التركيب لا يمتاز بعضها عن بعض في شيء ، ولكنك لو أخذت بزورا من القمح والتفاح والشليك والحنظل والاسفاناخ والفجل والورد ، وغرستها في قطعة واحدة من الأرض ، وسقيتها جميعا بماء واحد ، تحصلت على أشجار وشجيرات وأعشاب مختلفة أجساما ، ومتباينة أثمارا ، ومنوعة أوراقا وأزهارا وطعوما وروائح . هنا وقف العم حائرا لا يدري كيف يعلل هذا التنوع الذريع بين متحصلات بزور أجنحتها ذات تركيب واحد ، فما الذي هدى جذور هذه البزور المختلفة أن لا يمتص كل منها من المواد إلا ما يناسب شجرتها وثمرتها ، ومن الألوان والروائح إلا ما يوافق زهرتها ، وأن لا تخرج عن حدود أصولها في تكوين سوقها وغصونها وأوراقها ؟

هذا مدهش حقا ، ويدل على أن القدرة الإلهية تتولى هذه الكائنات فتقيمها على هذه السنة ، وقد أشار إليها الكتاب في الآية المتقدمة بأبلغ عبارة ، وعدها من آيات الله الكبرى لأولى النهي .

هذه الآية يمر عليها الناس صباح مساء ، ويعملون فيها بأيديهم ، فلا يلتفت لها نظر لا شيء غير أنهم تعودوا رؤيتها .

فلنا : إن في كل بذرة من بزور النباتات جنينا ، فهل النباتات عوالم حية ؟

نعم إنها عوالم حية ، فالحياة ليست محصورة في الانسان والحيوانات التي نراها بين أيدينا ، ولكنها عامة في جميع الكائنات النامية .

قال الأساتذة النباتيون (دوبوى وجيرار وريفيل وهيرينك) في مقدمة كتابهم الضخم الذى أسموه المملكة النباتية :

« إن الميلاد والنمو والظهور بأوفر حظ من القوة والجمال ، ثم الهبوط والذبول والموت ، كل هذا هو التاموس الذى تخضع له طبقات الأنواع النباتية ، كما تخضع له طبقات الأنواع الحيوانية . ظاهرة طبيعية عجيبة ، أصلها لا يزال مستورا عنا ، كأصل الكرة الأرضية نفسها وجميع الأجرام السماوية المعلقة فى الفضاء الذى لا نهاية له . هذه الظاهرة الطبيعية التى هى موضع التأملات المستمرة للعلم تظهر فى صور شتى ، رغما عن الدائرة الضيقة التى يمتدحها الطبيعيون أنهم يحصرون فيها أصولها الأولية . وحيثما اتجه الناظر فيها يكتشف صورا جديدة دون أن ينضب معين الخصوبة الطبيعية بسبب هذا التوليد المستمر فيها . فإذا كانت الحيوانات تظهر لنا غير قابلة للحصر ، من أول أنواعها الضخمة الى أصغر أنواعها النقاعية غير المدركة بالعين المجردة ، فأجدر منها بعدم قبول الحصر العالم النباتى من أول دوحاته الوارفة الظلال الى أصغر أعشابه الخضراء .

« تسود المملكة النباتية على الطبيعة سيادة عظمى ، إذ سبقت المملكة الحيوانية فى الوجود ، وكانت سبب وجودها ، ولا تستطيع أن تستديم حياتها إلا منها . فهذه اشنيات الدنيا النامية فوق الصخور الخشنة التى تسكسها شمس محرقة فتظهر مكسوة بطبقة خفيفة منها ، هذه النباتات تأخذ فى الكبر بقدر ما تسمح لها به البيئات المختلفة ، فهى فى مكان تمثل آثارا بسيطة لا تستطيع العين أن تدركها إلا بواسطة النظارات المكبرة ، وفى مكان آخر تبدو ذات تركيب معقد ، أو على حالة أنواع كبيرة الحجم تلوح لرائبها فى الغابات من الدنيا الجديدة ، كأنها شهدت عهود الانسانية الأولى ،

كما تبدو الصخور غير القابلة للتحطم أنها تقاوم أفاعيل الزمان وتغلب عليها ، انتهى .

هذه صورة بديعة لعظمة المملكة النباتية ، وإنك لو أمعنت النظر في قصائل هذه النباتات لوجدت بين يديك الدليل البين على القدوة الإلهية التي أبدعت جميع هذه الأنواع ، وحت جراثيمها الضعيفة من الدثور ، على كثرة ما صر عليها من الدهور المداهرة ، ولا نقلايات الأرضية الثائرة . فهذه القوة الحيوية الكامنة لدى أودعها الله هذه الكائنات كانت ولا تزال موضع دهش وحيرة لعقول العلماء في كل جيل . وهذه الكائنات النباتية تظهر فيها ظواهر الحياة كما هي في الحيوانات سواء بسواء ، فهي تتنفس وتأكل وتشرب وتنام .

نعم إنها تتنفس ، فلو وضعت نباتا داخل زجاجة وأفرغتها من الهواء بواسطة الآلة المفرغة ، لذبل ولم يلبث أن يودع الحياة . ولكن النباتات تؤدي هذه الظاهرة الحيوية على عكس ما يؤديها العالم الحيواني ، لأنها تستنشق الحامض الكربوني ونحن نستنشق الأوكسيجين ، وتزفر الأوكسيجين ونحن نزفر الحامض الكربوني ، فهي تعوض الهواء ما يفقده من عنصر الحياة للحيوانات ، ولولا هذا الوضع الإلهي الحكيم لنفد الأوكسيجين من الهو ، وهلكت الحيوانات اختناقا في مقدمتها الإنسان .

قلنا : إن النباتات تأكل وتشرب ، نعم وهي تأكل الكربون والنوشادر والكبريت والفوسفور ، وتشرب الماء ذائبة فيه مواد أخرى . وقد جهزها الله لتوفية هاتين الحاجتين بمجنور وأوراق تسمح لها بالتقاط هذه المواد من الهواء والتراب وقد تمثال للحصول عليها .

والنباتات تنام ، فأكثرها يظل نائما من غروب الشمس الى طلوعها ، وبعضها لا يبكر في الانتباه من النوم ويبقى نائما الى ما قبل الظهر ، وبعضها لا يستيقظ طول النهار إذا كان الجو مؤذنا بالمطر .



وقد شوهد أنه توجد علاقة خفية بين النباتات والنور ، فبعضها يجري في النور ، وتفتح براعمه على عادة فصائله لا يجيد عنها ، ومنها ما يتبع تقلبات الجو ، ومنها ما يتبع سير الشمس بنظام محكم ، مما سمح للأستاذ ( لينيه ) أن يتخذ منها ساعة نباتية .

ومما لا مساحة فيه أن للنباتات خاصة التمييز ، فهي تميز بين ما يصلح لها وما لا يصلح ، كما تميز بين الأغذية المختلفة فتمتص ما يوافقها منها وتترك ما لا يوافقها . ولها أسلحة دفاعية ، فلشجرة الورد شوك ، ولزهرتها سم مخدر ، فالشوك ليحمي نفسه من هجمات الفراش عليه ، والسم لتخدير الحشرات كيلا تعدو على زهراته فتصوحها .

وقد لاحظ الأستاذ ( غريمار ) في كتابه المسمى ( النبات ) بأن للنباتات غرائز لحفظ ذواتها تبلغ الى حدود التطرف ، كتطلب الحياة الكاملة ، والوجود الصحيح ، واتعاش البقاء ، فهي لذلك تحيد عن الموانع التي تصدها عن بلوغ كمالها ، وتتجنب مجاورة الأشياء التي تضر بها ، وتبحث بشراهة عن الهواء والنور والتربة الثرية بالمواد المغذية ، وعن الماء ، وتترك أمان وجوده ، فتند إليه جذورها بمهارة تحير العقل . وقد شوهد كثيرا أن أشجارا أعوزها الماء فاخترقت جذورها الأرض الى جهات بعيدة ، حتى انتهت الى بعض الصحاري أو الآبار فتقبت جذورها لشديدة الصلابة واتصلت بالماء الزلال .

وكتب المهندس ( دوهامل ) بأنه لما رأى أن أشجارا من الحور تمد جذورها الى أرض مجاورة لها وتمتص موادها ، فتفقدتها خصوصتها ، عمد الى حفر خندق بينها وبين تلك الأشجار ، قاطعا جميع الجذور الممتدة منها الى تلك الأرض ، فلم تستسلم هذه الأشجار لهذا العمل القاسي ، ولكنها مدت الى تلك الأرض جذورا جديدة مررتها تحت الخندق ، فاستدامت بذلك طعمتها على أكل ما يكون من الاطمئنان .

للنباتات غرام شديد بالضياء ، فقد شوهد أن منها ما يمتد الى نحو أربعين مترا ليخرج من الظلمات الى النور .

وقد وضع المجربون شجرة ياسمين تحت سطح من الخشب المثقب ليحببوا عنها النور، فكانت تبرز من بعض تلك الثقوب في طلب النور، فأعادوها الى الظلام ثمانى مرات، فكانت لا تلبث أن تظهر من بعض تلك الثقوب في كل مرة.

ومن أغرب النباتات النبات المسمى بصائد الذباب، فإنه يبسط أوراقه المستديرة القابلة للانطباع، ويفرز عليها قليلا من المادة العسلية التي يهواها الذباب، فإذا ما وقعت عليها ذبابة انطبقت عليها أسرع من البرق، فلا تدعها تفلت حتى تمتص ماذنها، ثم تنفتح فتلتق بجثتها بعيدة عنها، ثم لا تعود الى الانطباع حتى تقع عليها فريسة أخرى.

هذا معرض عام لحياة النباتات، ولما جهزت به من القوى التي تستديم بها وجودها، وتستكمل بها مقوماتها، قد نقلناه عن كبار المؤلفين من العلماء بطبائعها، وكل ما نلاحظه عليهم فيه أنهم ينسبون اليها النظر في شئونها، والتفكير في أمورها، والعمل على ما به حيتها وقوامها. ولو صحت هذه النسبة لوجب علينا أن نعزو اليها عقلا أرقى من عقل الانسان نفسه، وشعورا أدق من شعوره، وإلماما بمصالحها أوسع من إلمامه بمصالحه، وهذا يناقض أبسط قواعد المنطق، ويناقض أصول العلم التي نصبوا أنفسهم حفظها عليها.

فن أين للنباتات أن تميز بين مختلف المواد، فتختار الصالحة لها فتمتصها دون سواها، تاركة ما عداها للأنواع المجاورة لها؟

أنى للجيزة الحمراء مثلا أن تستخلص المواد الحمراء من الأرض، تاركة المواد الصفراء لأختها المجاورة لها، وكلتا المادتين ذائبة في الماء الشائع بينهما مما يعجز عنه الانسان نفسه؟

وبأى حاسة غريبة تدرك الأشجار أن الماء الذي تحتاج اليه يوجد في بئر أو صهريج على مسافة منها، فتسجه اليه، فإذا صادفها جدار اخترقته لتبلغ من وراءه حاجتها المرجوة؟

وبأى إدراك تعرف النباتات أن جذورها يجب أن تنبت متجهة إلى باطن الأرض، وأن سيقانها يجب أن تنبج إلى فوق متطلبة النور والهواء، فلا تحيد كلاهما عن هذين الوضعين أبداً، فإذا انعكس الأمر ووجه الجذر إلى أعلى، والساق إلى أسفل، عاذا فالتويا متطلياً كل منهما موضعه الخاص به ؟

إن أطفال الحيوانات بل وأطفال النوع البشرى يعجزون عن تحسرى المواطن الصالحة لهم وهم فى جهالة الطفولة وضعفها، فهل تقوى صغار النباتات على ذلك وهى دونهم فى سلم الحياة بمراحل كثيرة ؟

اللهم إن هذا ليس بمعقول، وإنما المعقول هو أن القدرة الإلهية تتولى هذه الكائنات الضعيفة بالعباية، قهديها لى طرق حياتها، ووسائل نموها، حتى تبلغ من النمو والكمال ما قدر لها، فكل ما أوردناه هنا أدلة ناطقة على وجود الخالق سبحانه وتعالى، وعلى إحاطته الكلية بما يصلح الموجودات وربها، ويصل بها إلى أكمل حالاتها، مصداقاً لقوله تعالى: « أعطى كل شئ خلقه ثم هدى » محمد فريد ومبرى

## فضيلة التثبت فى العلم

قيل لمصقلة: ما أكثر شكاك! قال: محامدة عن اليقين .  
وسأل ابراهيم النخعى طامرا الشعبى عن مسألة فقال: لا أدرى . فقال النخعى: هذا والله العلم، سئل عما لا يدري فقال: لا أدرى .  
وقال مالك بن أنس إمام المذهب: إذا ترك العالم لا أدرى فقد أصيت مقاتله .  
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: من سئل عما لا يدري فقال لا أدرى فقد أحرز نصف العلم .

وقال العلماء: العلم ثلاثة: حديث مسند، وآية محكمة، ولا أدرى . فجهلوا لا أدرى من العلم إذا كان صوابا . وهذا الأدب العالى الذى تحلى به المسلمون فى مجال العلم هو الذى يفخر اليوم علماء الغرب بالوصول إليه . وقد عدوا من الأدب أن يبدأ الرجل كلامه بقوله ( يظهر لى ) أو ( يلوح لى ) أو ( أرجح ) الخ من صيغ التثبت .

## الخمس الخصال المؤدية للكمال

قال على أمير المؤمنين كرم الله وجهه : « أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت لذلك أهلا : لا يرجون أحد منكم إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحيين أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم ، ولا يستحيين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه . وعليكم بالصبر ، فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ، ولا خير في جسد لا رأس معه ، ولا في إيمان لا صبر معه » .

حقا إن هذا كلام من أصنى معين الحكمة ، فإن من أخذ نفسه بهذه الخصال الخمس وصل إلى أرفع مقامات الكمال ، وأعلى مكانات الرفعة . فهي لذلك كما يقول أمير المؤمنين أهل لأن تضرب في طلبها آباط الإبل ، وأن يبذل في تحصيلها أقصى ما يستطيعه الإنسان من مجاهدة ، وأشق ما يطيقه من رياضة نفسية وعقلية .

يقول إمام المسلمين في أولى هذه الخصال : لا يرجون أحد منكم إلا ربه . نعم وبهذا يسند الإنسان طلبه إلى اقادر على إجابته ، وليس معنى هذا أن يتنعم عن الطلب إلى الناس بتاتا ، فإن بدت له حاجة دعا الله بها ، غير متخذ لها الوسائل العرفية ، ولا معتد بالأسباب العادية ، ولكن معناه أن يعتقد أن حاجته في الحقيقة بيد الله إن شاء منحه إياها بتسخيره الأسباب العادية له ، وإن شاء منعه إياها بمصلحته ، وإن خيل إليه أن حرمانه منها أثر له ، فرب شر أدى إلى خير عاجل أو آجل .

وفائدة هذه الخصلة أنها تدفع الإنسان إلى إتيان محاب الله وترك مكارمه ، فإنه لا يطلب إليه وهو ماض في عصيانه ، متمسك في مساخطه . وبذلك يزداد صلاحية لحاجته التي يطلبها ، ولحاجات أخرى تليها ، وقد جرت العادة أن الصلاحية للمطالب من أفضل أسباب النجاح في تحقيقها .

ويقول الإمام في الخصلة الثانية : ولا يخافن إلا ذنبه . وهذه من جوامع الكلام .

فإن اقتراف الذنوب يبعد الانسان عن الفضائل ، ويدسه في حمأة الرذائل ، ومن كان كذلك كان عرضا لكل فتنة ، وهذا لكل نازلة ، فإن كان نبي ، يجب عليه أن يخشاه كل الخشية فهو الذنب الذي يقفه الموقف ، ويقذف به في المهالك . فإذا كان يخاف الفقر أو الظلم أو المرض أو الهلاك ، فإن الذنوب تجر الى كل هذه المخاوف ، فمن يخشاها حقيقة يجب أن يخشى ما يدفع اليها من ذمم الحاصل ، وقبيح الأعمال .

ويقول الامام في الخصلة الثالثة : ولا يستحين أحد إذا مثل عما لا يعلم أن يقول لأعلم . نعم فإنه لو خبط في الجواب خبط العشواء في الظلماء ، حشر في زمرة المضللين ، وكفى بالمرء جناية على نفسه أن يبوء بمثل هذا الإثم العظيم ، من أجل التظاهر بالتبجر في العلم ، وما درى أن حثفه في هذا التظاهر بما ليس فيه ، فلو ساغ أن يستتر أمره مرة أو مرتين ، فلا يبعد أن يفتضح في الثالثة فيعرف الناس أنه خابط في ضلالة ، وأنه متسكع في عمية ، وأنه مستخف بالعلم ومستهنئ بالحكمة ، ومثل هذا يلفظ لفظ النواة ، ويخسر حقه حتى فيما يحذق علمه ، وهذا هو الخسران المبين .

وقد حفظ تاريخ العلم أن رجالا من أكبر رجاله لم يروا بأسا في أن يقولوا فيما لا يعلمون إنهم لا يعلمون . حتى عدوا قول ( لا أدري ) من العلم ، فقالوا : العلم آية محكمة ، أو سنة ماضية ، أو لا أدري .

وكيف يخجل الانسان أن يقول فيما لا يدريه : لا أدري ، ولم يجتمع العلم كله لإنسان في الدنيا من يوم أن خلقها الله الى اليوم ، وقد اعترف أكبر علماء الأرض حتى من الكونيين أنهم يحلون أكثر الحوادث الطبيعية ، وأن ما يعلمونه منها لا يتعدى العلاقات الموجودة بينها .

قال الأستاذ الكبير (وليم كروكس) الانجليزى في خطبة له بالمجمع العلمى الملكى بلوندره « من بين جميع الصفات التى عاونتنى فى مباحثى النفسية ، وذلت لى طرق اكتشافاتى الطبيعية ، وكانت تلك الاكتشافات أحيانا غير منتظرة ، قلت : من بين تلك الصفات اعتقادى الصحيح الراسخ بجبلى . وأكثر الذين يدرسون الطبيعة يستحيل

أمرهم عاجلاً أو آجلاً إلى إهمالهم لكل جانب عظيم من رأس مالمهم العلمى المزعوم ،  
لأنهم يرون أن رأس الملم هذا وهمى محض .

فإذا كان هذا عتراف رجال العلم للماديين أنفسهم ، فكيف يخجل أن يقول  
إنسان فيما لا يعلمه إنه لا يعلمه .

يقول الامام فى الخصلة الرابعة : ولا يستجيب أحد إذا لم يعلم الشئ أن يتعلمه .  
نقول : إذا كان الانسان يخجل أن يقول فيما لا يدري إنه لا يدري ، فكيف يمتنع أن يتعلم  
ما لا يعلمه فيستديم بذلك جهله وخيطة ؟

نعم قد يحمله التظاهر الكاذب بالعلم أن يأنف من التعلم ، ولكنه يضر بذلك  
نفسه ، فيشتهر عنه الجهل والآنفة من التعلم معا ، فيجمع على نفسه خصلتين ذميتين  
لا تزالان به حتى تلحقاه بالهالكين . فإذا كان الانسان يتحرقى الكرامة لنفسه فلا  
يعقل أن يطلبها حيث يفقدها ، ويسجل على نفسه الخسة والمهانة معا .

ويقول الامام كرم الله وجهه فى الخصلة الخامسة : وعليكم بالصبر ، فإن الصبر  
من الايمان كالرأس من الجسد ، ولا خير فى جسد لا رأس معه ، ولا فى إيمان  
لا صبر معه .

المراد بالصبر عدم الجزع عند نزول النوائب ، فإن الجازع يضيق على نفسه السكينة  
التي هى مهبط الإلهام المنجى من كل هلكة ، الكاشف لكل كربة . فإذا أملت بإنسان  
نايبة ولم يدرع لها بالصبر لم يهتد إلى وجوه دفعها ، وذهب به الملح كل مذهب ، فزاد  
ما به تأثيرا فيه ، وبلغ منه مالم يبلغه لو تلقاه بثبات جأش ، ورباطة قلب ، وطاش سهمه  
فى دفعه عنه ، فكان كمن سعى إلى حتفه بظلفه ، ومن جدد بكفه مارن أنفه .

فهذه الخصال الخمس ما اجتمعت لإنسان إلا كانت سببا فى رفعه إلى قمة الشرف ،  
وانتهت به إلى أكرم التهاتبات ، وأخذت بيده إلى أرفع مكانات الكرامة . فطوبى  
لمن وعاهها ورعاها ، فهى جديرة كما قال الامام أن تضرب لها آباط الإبل ، وأن يبدل  
فى الحصول عليها كل مرخص وغال .

But has Europe really done away with all the traces of the days of ignorance? No, indeed. Wine, the mother of evil, is still permitted, gambling is prevalent, usury is still lawful and custom and conventions still allow the adornment of women in public inducing men to celibacy and extravagance. The young generation is left free to frequent places of pleasures and dissipation and to grow up to countenance the laxity of morality from which the world suffers to-day. Governments still allow writers, actors and Cinema proprietors to offer such material to the public as to kindle the passions and induce to excesses in animal propensities.

All these are traces of the former days of ignorance which Islam called to abolish, and whatever the world suffers to-day is the outcome of that former state. The Moslem world has therefore two duties to discharge. First, to stop short of imitating those nations in such excesses, and second, to call the world to purge itself of the traces of that state of ignorance as they constitute the direct cause of all existent social evils. It is superfluous to mention that if such state persists it will eventually lead to the demolition and disruption of the present-day civilisation just as it had contributed to the destruction of former civilisations of bygone days.

Former nations possessed learning, wisdom and great wealth, yet this did not spare them annihilation because of the survival of certain traces of some former state of ignorance. The Romans were wont to describe their country as the 'eternal nation', but it was all futile, for factors of former days of ignorance were at work undermining its life and sapping its vitality so much so that it became, as time went on, the mere prey of the fierce and barbaric hords which overran and annihilated the glory that was Rome.

Such is the end of nations which neglect to abolish all traces of their former states of ignorance, and in this connection the Lord's saying is significant:

« قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ »

ترجمة تفسير هذه الآية تقرأ عن البضاوى

"Say, go through the land and see how Allah hath destroyed those who disbelieved in His Apostles"

( Baidawy's Commentary ).

« إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ، حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَآزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوي

"When the unbelievers had put in their hearts an affected pride, the pride of the days of ignorance, Allah endued His Apostle and the unbelievers with steadfastness and sobriety, and chose for them to remain in righteousness and the profession of the true Faith for they were the most worthy and deserving of it; verily Allah is cognisant of all things"

(Baidawy's Commentary).

By the pride of the days of ignorance, the Lord means the tendency to gainsay the truth which was then prevalent among the pagan Arabs.

Condemning the days of ignorance and their evils, the Lord calls mankind to rid themselves of its baneful influence. His call will continue throughout the ages and is addressed to the whole world for Islam is a universal religion. Those who investigate the world conditions at present will find out that the world stands to-day in greater need of it than in any other time.

Vestiges of former days of ignorance could still be detected in even the most civilised of nations and Bernard Shaw was right when he remarked that Islam constitutes a remedy for the many ailments from which the world of to-day complains.

The 'state of ignorance' existed in Europe up to the time of the French Revolution in 1789. Farmers were then purchased along with the land they tilled. The weak were forever in deadly fear of the injustices of the strong. The nation was divided into classes. The upper class was exempt from taxation and duties and enjoyed certain privileges before the law.

The farmers and the poor bore the whole brunt of misery and privation. The French Revolution removed many of those injustices and like revolutions broke out in other nations but even to-day Europe itself is far from being settled.



يُصِيبُهُمْ بِمَعْصِيَتِهِمْ ذُنُوبِهِمْ ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ . أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ . وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية لقلا عن البيضاوى

"Wherefore do thou judge between them according to that which Allah hath revealed unto thee and follow not their desires, but beware of them lest they beguile thee and cause thee to disregard some of the laws which Allah hath revealed unto thee; and if they turn away from the revealed injunctions, then know thou that Allah chooseth to punish them for some of their transgressions, for verily most men are perverse. What! Do they desire the law of the days of ignorance? But who is a better judge than Allah for a people who consider things and believe firmly in what He revealed".

( *Baldawy's Commentary* ).

The Lord be praised saith in connection with the public adornment of women:

« وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى »

ترجمة تفسير هذه الآية لقلا عن البيضاوى

"And bedeck not yourselves in public in the same wise as of former days of ignorance"

( *Baidawy's Commentary* ).

thereby referring to the laxity and degeneration of morals which existed in those days.

The Lord further saith in connection with those who refrain from upholding and supporting truth:

« يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ »

ترجمة تفسير هذه الآية لقلا عن البيضاوى

"The unbelievers think wrongly of Allah in the same wise as the people in the days of ignorance have done"

( *Baidawy's Commentary* ).

The Lord further saith:

### Roman Emperor and his disavowing Islam.

Following the demolition of the authority of brute force which constituted the mainspring of the savage practices of the days of ignorance, Islam spared no effort to inculcate the higher principles of social life including equity, equality and co-operation to establish the truth and rid the world of materialism and injustice. Coupled with this, were the lofty ideals and noble traits to which Islam has continually urged. Guidance by the light of reason, embibing of learning, tapping the sources of wisdom, fighting against falsehood wherever it may lift its head and extirpation of injustice wherever it may appear. These are Islam's ideals. They were not left unsupported by godly qualities such as sympathy to the weak, help of the needy, charity to orphans, affection, co-operation and succour to the stricken.

Nor was kindness to dumb animals left out in the injunctions of Islam and many and diverse are the teachings which the Koran and Tradition have given in this connection.

We can now distinguish two states: the first is the state of people prior to the mission of Mohammed which the Lord called the 'state of ignorance'.

The second is the state of the people under the light of revelation and prophethood and this the Lord called "Islam".

None prior to the Koran has called the first of the two states, the 'state of ignorance. European chroniclers have dubbed such epochs which succeed the first in the history of different nations as 'knighthood period'. The difference of the two appellations and the consequent results of both are none than apparent. While one induces to evil, the other urges to virtue and chivalry.

Several comparisons between the two states have been given by the Holy Koran urging Moslems to avoid the one and follow the other. In this connection the Lord saith:

« وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ، وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ

By this noble principle, Islam has demolished all that men boasted of in the days of ignorance as the pride in the tribe or ancestry and all men were thereby rendered the same with no distinction between the great and the lowly, the free and the bondman, nay, even between the Moslem and non-Moslem.

Islam has greatly insisted upon the establishment of this principle, for by means thereof, it has succeeded to demolish the state of ignorance and exterminate it from its very roots.

It continued to infuse it into the hearts of its followers until it became a characteristic of theirs and was regarded as one of the most essential elements of government so much so that the Caliph Abu Bakr had said in his first sermon to the people:

"The weak among you is strong in my sight until I have given him back his right, and the strong among you is weak in my sight until I have taken that right from him"

His successor the Caliph Omar was no less insistent on this principle. In his first sermon to the people following his election to the Caliphate, he said:

"And know ye that my severity which ye have witnessed before will increase hundred fold against the unjust and the aggressor and to give back the weak the rights which the strong have appropriated. But with all my severity I would'st lay my cheek to the dust for the modest and poor"

Among the many incidents which bear out this principle the following may be given as an example:

Jabala Ibn Al-Ayham the King of Ghassam who embraced Islam and lived among the Moslems after the cession of his country, was once performing the circumambulation of the Kaaba when an Arab inadvertently trod on the edge of his mantle whereupon Jabala struck him on the face. The Arab complained him to the Caliph Omar who brought Jabala before him and ordered him to submit to be struck in the same way heedless of the high position which Jabala claims for himself over the common people.

This resulted in the fleeing of Jabala, his joining Heraculus the

Should one imagine a nation in such a state and endeavour to find a way out, he will come to the conclusion that centuries of education, culture and ceaseless efforts must elapse before it could be reformed. And yet this very same nation had changed in less than a quarter of a century into a mighty nation which took up the viceregency of God on earth and was destined by the Lord to be the saviour of the whole world. The Koran, the story of the Prophet his companions and followers, bear ample evidence to the authenticity of this phenomenal change unprecedented in the annals of history.

Islam struck hard at the very root of this state of ignorance'.

It struck at its original source, the authority of brute force, and by demolishing it, it established the principle of equality between men in rights and responsibilities. In this connection, the Lord saith:

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ »

ترجمة تفسیر هذه الآية تقلا من الیضاوی

“ O, men ! Verily We have created you all of Adam and Eve and We have made you into people's and tribes that ye might know one another and boast not of your lineage. Verily the most worthy of honour among you in the sight of Allah is the most pious”

( *Baidawy's Commentary* ).

In this view, ran the seremon of the Prophet ( on whom be Peace ) which he delivered from the pulpit:

“O people! Your Lord is one and your father is one. Ye all come from Adam and Adam is to dust. No merit there is to an Arab over a non-Arab except by piety. O Lord! Bear thou witness, I have delivered thy message. Let him who is present of you convey it to him who is absent”.

Ancient nations such as Egypt, India, China and Persia have all passed through states of ignorance which lasted for centuries and whose records had been retained in the myths and folk-lore of their people. More recent nations as Greece, Rome and the modern European states which succeeded them have their share of the dark days of ignorance which lasted for long periods in which they were groping for light in the stygian darkness which shrouded them and were guilty of all the excesses and moral degeneration attendant on such a state.

In such state of ignorance the authority of brute force reigns supreme and is recognised as the sole power to govern the people to the exclusion of the authority of reason or justice and the consequent kindness to the weak, sympathy with the sick and succour of the needy. Might was right, and only him with strong muscles and sharp weapon could claim the right to anything. All the prevalent practices and systems which linked together individuals of those communities were the outcome of this purely material principle.

Mohammed, on whom be Peace, was sent when the Arabs were in the thick of that state. All nations were experiencing the same condition or have declined to a like state after they have attained, through past dispensations and the aid of learning and wisdom, a tolerable degree of development. The world in its entirety was in dire need to a bolt from heaven to drive away those gathering clouds of ignorance which darkened the whole horizon and threatened to strike down the human communities on the earth's face.

Indeed, some of those nations had displayed certain semblance of order and civilisation, but this was only tool for aggression and not a means to development and progress.

Imagine a nation as the Arab's which was divided into several tribes and which lived in this state for successive generations. It had been virtually cut off from the rest of the world and not a streak of religion's light or truth, nor a principle of wisdom or reason could find its way thereto. It became tainted with the savage practices and brute tendencies attendant on such a state and in due course those tendencies so mingled with its very life that they became characteristic of the Arab nation.

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

## ISLAM

### ITS MISSION IN THE WORLD. (1)

---

#### VIII.

##### CALL TO ABOLITION OF FORMER STATE OF IGNORANCE.

On referring to the 'state or days of ignorance', minds are turned to the Arab nation prior to the advent of the Prophet (on whom be Peace). This expression has so long been coupled with the history of the Arabs that some people think that period of primitive life is confined to the Arab nation to the exclusion of all other nations. The truth, however, is that every nation had experienced a long period of that 'state of ignorance' and that such periods have been recorded by history in successive generations.

---

(1) Translated from Mr. Mohammed Farid Wagdy's editorial in "Nour-El-Islam" Review.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مهمة الدين الاسلامي في العالم

— ١٢ —

دعوته الكافة الى النظر والتفكير

في العهد الذي أنزل فيه الدين الاسلامي من لدن حكيم عليم ، كان رؤساء الأديان في الأرض قد أحكموا حصار قوة النظر والتفكير في دوائر ضيقة رسموها لها بحيث كانت لا تتعدى الشئون المعاشية الساذجة ، أما ما وراء ذلك من النظر والتفكير في النفس وفي الكائنات وفي الكون ، للتأدي من ذلك الى ما وراء الطبيعة أو الى بناء علم ، أو استنباط حكمة ، أو ملاحظة على فلسفة ، أو شرح لمذهب ، فكان كل ذلك يعتبر اشتغالا من الناس بما لا يعنيه ، ويتولاه أولئك القادة بالنقد ، فإن وجدوا فيه ما يعدونه خروجا على المعارف الضيقة التي بأيديهم استتبوا صاحبه ، فإن عاد ألقوا به في تنور مسجور ، أو حبسوه في جب مظلم طول حياته ، فلا يخرج منه إلا محمولا على الآلة الحديدية .

في عهد هذه الشدة العالمية بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم بالدين الحق يخرج به الناس من الظلمات الى النور ، فطالب كل إنسان بأن ينظر ويفكر ، وأن يستدل ويستنتج ، على قدر ما تسمح له قدرته العقلية ، مستعيناً بمن حوله من أولى الأبصار ، ومستهدياً بمن تقدمه من الكملة الأبرار ، عاملاً على زيادة مادته العلمية ، جاهداً في استكمال مقوماته الأدبية ، ( وقل رب زدني علما ) .

قصد الاسلام بهذا الى تحقيق غرض من أسمى الأغراض ، وهو تنبيه جميع قوى العقل الى أداء وظائفها ، وبمئها من ركودها الى الحركة التي خلقت لها ، لتصبح الشخصية الانسانية مستكملة جميع عناصرها ، ونكتسب المناعة الطبيعية حيال ما يلقى اليها من التعاليم المنافية للعقل ، والمجافية للعلم ، فيصبح الانسان بذلك صعب القياد على المضللين ، شديد الشكينة على المتخربين والمخرفين .

ولقد كان جهد المضللين موجها الى تحريم النظر العقلي على ذويهم ، آخذين عليهم كل طريق يؤدي الى التفكير الحر ، والراى المستقل ، ليتسنى لهم أن يستعبدوهم بالأوهام والوساوس ، وأن يتحكموا في ضمايرهم بحكم القادة المستبدين . وبذلك قبلت الأئمة منهم كل ما ألقوه إليها حتى ما يوجب السخرية من العقائد ، ويستدعى الدهش من التقاليد . ومن يعرض الأئمة من هذه الناحية يحدد ما لا يتصوره عقل : من استسلام للأوهام ، واستخذاء للأضاليل ، واستئانة للخزعبلات من كل قبيل .

فجاء الاسلام ببيئاته هادما هذه الحجب الكثيفة التي أسدها المضللون على أدوات التعقل ، من النظر والتفكير ، والاستدلال والاستنتاج ، فكان الآخذ به كمن أخرج من غيابة جب مظلم الى عام النور ، فراى بعينيه ما لا يستطيع أن يطمسه الموهون ، وسمع بأذنيه ما لا يقوى أن يخفيه عنه المسيطرون ، فقبل الحق غير متردد ، وتمسك به تمسك الغريق بحبل نجاته ، وعمل به مدفوعا بعوامله الذاتية ، وقواه الأدبية . ولقد قرر علماء الاسلام ما يعتبر نتيجة منطقية لهذا الإصلاح الأدبي الخطير وهو أن إيمان المقلد غير مقبول ، لأن التقليد كما يكون في الحق قد يكون في الباطل ، وقد نعى الاسلام على التقليد والمقلدين ، وندب الى النظر العقلي ، والاعتماد على الحجة والبرهان ، ولم يكف أحدا فوق طاقته ، فأجهل الناس لا يعدم دليلا يرضاه على صحة مادعا اليه الاسلام . والمراد من هذا أن يشمر كل مكلف بالتبعية للملقاة على عاتقه ، فينساق لإعمال قواه العقلية في الاستدلال والاستنتاج ، حماية له من التحجر الأدبي الذي يعده لقبول الأوهام التي يدلى بها إليه المضللون .



لهذا كان المسلمون أعصى الأُم قيادا على دعاة الملل في كل زمان ومكان، فهم أكثر تمسكا بدينهم من أية أمة يدينها في الأرض.

لقد فطرت النفس البشرية على التفكير في الأصل الذي صدرت عنه، وفي قواها المختلفة، وفي مصيرها الذي تنتهي إليه، وجبلت على النظر فيما بين يديها من معادن ونباتات وحيوانات وجماعات بشرية، ومن سهول ووديان وجبال، وما فوقها من سحب وأجرام سماوية، ولم تقف همها عند هذا الحد، قالت لتعرف ما وراء المحسوسات من قوى خفية، وعوالم علوية، فتأدت النفس بالجري على السمات الذي رسمه الله لها الى المعارف المختلفة من نفسية، وكونية، وقيلت ما آتاها به من البينات الدينية.

فإذا سد الانسان على نفسه باب النظر والتفكير، فانما يكون ذلك لعارض من تعاليم ضارة حمل على قبولها حملا، وقهر على الجري عليها قهرا، كما حدث ذلك في القرون الوسطى، فسادت الجهالة، وعمت العمية، وأهملت العلوم والفنون التي فتح الله بها على الأقدمين، ووقع الناس بسبب ذلك في شر مستطير، حتى تداركهم الله بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم يفك عنهم هذه السلاسل والأغلال، ويدفع بهم الى الصراط السوي الذي اختطه الحق خليفته مناسبا لفطرتهم، وملائما لمصلحتهم.

لهذا السبب شدد الاسلام في وجوب النظر في النفس والكائنات، وحث أهله على تتبع آيات الله في مخلوقاته، وتنوير إبداءه في مصنوعاته، فجاءت في الكتاب الكريم عشرات من الآيات تلفت النظر الى جمال صورها، وحسن تنسيقها، والى عظمتها وكبير منفعتها، وتحت العقول على اجتلاء أنوارها، واكتناه أسرارها. قال الله تعالى: « وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم، أفلا تبصرون » وقال تعالى: « فلينظر الانسان مم خلق، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب ». يحث سبحانه وتعالى الإنسان في هاتين الآيتين على أن ينظر في نفسه، وفي أصل تكوينه.

فن النظر في النفس يستنبط علم النفس بكل ما فيه من مختلف التراز والميول،

ومتباين القوى والعوامل الذاتية . وكيف يتأتى لمن طوّل بهذا النظر أن لا يكف بسبر غسور هذا العلم ، ويلوغ الغاية منه ، ما دامت ثمرة الإحاطة به الوصول الى الحق اليقين ؟

ومن النظر في أصل التكوين يتأدى الإنسان الى علم الحياة ، وفيه من عجائب نمو الجرثومة الانسانية ، وتقلبها في أدوار الخلقة ، وتطورها في لرحم ، وما يعتريها فيه من الاستحالات ، ما أصبح مادة ( البيولوجيا ) وانقطع لدراسته عشرات من العلماء في كافة بقاع الأرض .

وقال تعالى : « فلينظر الإنسان الى طعامه : أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبثنا فيها حبا . وعنبنا وقصبا ( أى رطباً ) . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا ( أى ذات أشجار غليظة ) . متاعا لكم ولأنعامكم » ، تأمل في هذه الآية الكريمة نجد أن الخالق جل وعز قد وقف الإنسان أمام أحب الأشياء اليه وهو الطعام ، فلم يرش أن يهتم به وهو غافل عن تكوينه ، كما تفعل الحيوانات ، ولكن طالبه أن ينظر فيه ، ويتأمل في كيفية وجوده ، فأراه أن الله أنزل المطر مدرارا ، ثم شقق الأرض نشقيقا لينفذ الماء الى باطنها ، فأنبث فيها الحب والعنب والرطب والزيتون والأشجار ذات السيقان الغليظة ، توفية بحاجة الإنسان والحيوان من الغذاء . أفلا يتأدى الإنسان من هذا النظر الى علم النباتات يحملته وتفصيله ، فإن بلغه بأن في هذا العلم كتباً موضوعه تكفل بيان كل ما يتعلق بالنباتات من تكوين وإبداع : أفلا يكب على دراستها ، ويتبين بزيادة مادتها ؟

وقال الله تعالى : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ؟ وإلى السماء كيف رفعت ؟ وإلى الجبال كيف نصبت ؟ وإلى الأرض كيف سطحت ؟ » هذا تخفيض صريح على وجوب النظر على الإنسان فيما بين يديه من الحيوانات والأرض والجبال والسماء . وفي كل عالم من هذه العوالم علم لا ينتهى الى مدى ، وحكم لا تقف عند حد . فليس

من العجب أن يكب المسلمون على نصيد العلوم من مظانها بنهمة الصادى المتوله، ولكن العجب أن لا يطلبوها وفي كتابهم كل هذا التحضيض عابها، والتبكييت على مهمها. قال الله تعالى: «أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض، وما خلق الله من شىء، وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم، فبأى حديث بعده يؤمنون». وقال تعالى: «وكأين من آية في السموات والأرض يعرون عليها وهم عنها معرضون» وليس أبلغ من هذا زجر عن الجود أمام الآيات الإلهية، ولا أشد منه تريب على إهمال العلوم الموصلة الى فهمها أكمل فهم. لهذا السبب لم يقطع المسلمون من العلوم بقشورها أو القليل من موادها، ولكنهم طلبوا الصميم من لبابها، والقصى من أغراضها، فأصبحوا لها أئمة، وعلى كنوزها حفظة قرونا طويلة.

لم يكتف الاسلام بتكليفه لانسان النظر والتفكير فيما هو أمامه من الكائنات، بل دفعه للبحث فيما كانت عليه. لأمم السالفة من قوة السلطان، واتساع العمران، وما كان لهم من نحل وأديان، ثم ما آلوا اليه باتباع الشهوات، وتجاهل البيئات، من هلاك ودمار، فقال تعالى: «أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، كانوا أشد منهم قوة، وأناروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها، وجاءتهم رسلهم بالبينات، فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون». أترى أن قوما ينزل عليهم مثل هذا الوحي يهملون السياحات العلمية لتعرف آثار الأمم من ناحيتى القوة والضعف، والنظام والفوضى، والمعدل والاستبداد، والعلم والجهل، والايان والكفر الخ؟ أفلا يؤدى هذا التعرف كله الى علمى التاريخ والاجماع بكل ما يحتملانه من بحوث وتحقيقات، ونظر فى أسباب تكون الأمم وانحلالها، ورقبها وانحطاطها، وعمرانها وخرابها الخ؟

فالتأمل فى هذه الآيات وما ماثلها مما يكثر وروده فى الكتاب الكريم، يرى أن الاسلام ينبه ذويه الى النظر فى كل ما خلق الله من شىء، فى الأرض والسماء،

وفي الانسان نفسه والجماعات البشرية . وموضوعات العلوم المختلفة لا تخرج عن هذه الدائرة ، فهو يدعو الى النظر والتفكير في كل شيء ، لا متذرعاً بالفائدة المادية فحسب ، ولكن بفائدتها الروحية أيضاً ، فدعوته اليها أفعلى في النفس من دعوة رجال العلم والترقية ، لذلك اندفع المسلمون لتناول العلوم من جميع مظاهرها ، وبلغوا منها بعد مائتي سنة ما لم يبلغه غيرهم في مدى القرون اطويلة ، فأصبحوا أصحاب الزعامة فيها ، ولم يرو في تاريخ البشر أن أمة تنهض في قرنين من الألفية الصرفة الى مكانة الإمامة في المعارف البشرية في مثل هذه المدة الوجيزة .

فالذين يقولون من الخصوم بأن الاسلام يناهض العلم ، وأن أهله ما أخذوا في أسبابه إلا معاصاة لدينهم ، هؤلاء الخصوم يتجاهلون أخص سميات هذا الدين ، فإن الدين الذي ينصب العقل حكماً بين الحق والباطل ، ويدعو الى العلم في عشرات من آياته ، ويحض على النظر والتفكير في كل شيء ، بمباريات تأخذ بالألباب بلاغة وحكمة ، نقول : إن مثل هذا الدين لا يعقل أن بوصم بأنه يخاف العلم ، ومركب هذه الفرية لا يصح أن بوصم بالعدوان على المنطق فحسب ، ولكن يجب أن بوصم بأنه يجهل الموضوع الذي يكتب فيه كل الجهل .

لو كانت حركة النظر والتفكير في الكائنات وما أدت اليه من علوم ومعارف عند المسلمين نجمت في عاصمة واحدة أو عاصمتين من عواصم الاسلام وبقيت سائر عواصمه تضرب في متاهات الجهل ، لساغ لخصوم هذا الدين أن يلبسوا على البسطاء والسطحيين من القارئيين مثل هذه الفرية ، ولكن إجماع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على الاشتغال بالنظر والفكر في الكونيات ، والذهاب بنتائج هذا النظر والتفكير الى أقصى ما تؤدي اليه من التبصر في العلوم ، وترجمة ما حجب عن الدهاء في المكتبات ، ودعوتهم على إيجاد علوم جديدة ، هذا الإجماع وحده وهذا الجهد كله يدحض كل فرية من هذا القليل ويحملها غير جدية بالناقشة .

فلا سلام دعا ولا يزال يدعو العالم كله للنظر والتفكير على أسلوبه الحكيم المؤدى للاعتبار والازدجار، وهذا المبدأ لو أخذ به الناس لوصلوا الى حسم مادة الملل الاجتماعية التي تفسد كيان الأمم، وتجعل رقبها الصناعي والأدبي وبالاً عليها، بدل أن يكون سبباً للهدوء والطمأنينة والحياة الطيبة فيها.

ومن طرائف العجم في هذا الموطن أن الاسلام علق ظهور هذا الدين على جميع الأديان، واقتناع الناس بأنه الحق في آخر الزمان، على إجابة النظر والتفكير في النفس والكائنات، ولم يعلق ذلك على وسيلة أخرى من وسائل الغلب وامتداد السلطان، فقال تعالى: «سنبرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد».

محمد فريد وجدي

## كلمات مأثورة في الحلم

قال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان: بم بلغ فيكم الأحنف ما بلغ؟ قال: إن شئت بخلة، وإن شئت بختين، وإن شئت بثلاث. قال: فما الخلة؟ قال: كان أقوى الناس على نفسه. قال: فما الخلتان؟ قال: كان موقى الشر، مبقى الخير. قال: فما الثلاث؟ قال: كان لا يجهل، ولا يبتغي، ولا يبخل.

وقيل لقيس بن حاسم: ما الحلم؟ قال: أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتمنعو عمن ظلمك.

وقالوا: ما قرن شيء الى شيء أزين من حلم الى علم، ومن عفو الى قدرة.

وقال الحسن: المؤمن حليم لا يجهل وإن جهل عليه، وتلا قول الله عز وجل: «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً».

وقال الشاعر:

ليست الأحلام في حين الرضا إنما الأحلام في حين الغضب

# النفس

## سورة الحجرات

- ٦ -

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَؤْتُوا  
وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . قُلْ أَتَعْلَمُونَ  
اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .  
يَعْتُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْمُوا قُلْ لَا تَتَّبِعُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ  
هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَاللَّهُ يُصِيرُ بِمَا تَعْمَلُونَ ) .

قد سبق القول فيما حكاه الله تعالى عن الأعراب من قولهم آمنا وتكذيبه  
عز وجل لهم بأنهم لم يؤمنوا ، وكل ما حصل منهم أنهم استسلموا للطاعة خوف السبأ  
والقتل ، وأن الإيمان لما يدخل قلوبهم ، ولما يستيقنوا في أمرهم . وفي التعبير بهما التي  
تفيد نفى الفعل الذي بعدها ، وتقيد مع ذلك أنه مرتقب ثبوته بعد ذلك ، وفي إرداف  
ذلك بقوله : « وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتمس من أفعالكم شيئا » المفيد للترغيب  
في الإيمان الحقيقي ، الداعي الى الطاعة الخالصة - في هذا وفي ذلك تشويق النفس  
الى تعرف حقيقة الايمان المدعو إليه ، المرغوب فيه ، المشار الى الوعد بحصوله لهم بصيغة  
الارتقاب وهي لسا ، فإن ذلك بمثابة الوعد بأنهم سيكون منهم الايمان الصحيح حقا ،  
وإن كانوا قد كذبوا الآن في زعمهم أن ذلك قد كان .

لا جرم جاء قوله عز من قائل : « إنا المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله » موقفا على النفوس بما تشوقت لمعرفة وتطلعت للوصول إليه . ولفظ « إنا » على ما ذكره البلاغيون يعطى معنى الحصر في مقام يكون سابق الكلام قد أشعر به النفس شعورا ما ، وليس مقام إنكار ورد ، وإنما هو مقام إجابة المتطلع ، وإتمام إفادة المستشعر .

ولا شك أن ما سبق من الرد عليهم ونفى الإيمان عنهم يفهم منه عند التأمل أن الإيمان ليس بمجرد الدعوى المسانية ، وإنما هو معنى ذو أثر عميق في النفس ، وذلك هو ما صرح به في قوله عز من قائل : « إنا المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله » أي لا أولئك الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ولا أولئك الذين يعبدون الله على حرف : فإن أصابهم خير أطاؤا به وإن أصابهم فتنة اتقلبوا على وجوههم ، ولا أولئك الذين يمتنون عليك إسلامهم ليشتروا به متاع الحياة الدنيا ، كلا ، ليس هؤلاء بالمؤمنين ولا بالجديرين باسم الإيمان ، وإنما المؤمنون هم أولئك الذين شرحنا حالهم وبيننا صفاتهم .

وقد بين جل شأنه في شرح حال المؤمنين المستحقين لاسم الإيمان حقيقة صفات عدة :

(الأولى) أنهم آمنوا بالله فأيقنوا بعظمته ، واستشعرت نفوسهم عظم قدرته وواجب العبودية له ، عرفوا أنه السميع العليم يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وأنه هو العليم بخفايا النفوس وخلجات الضمائر ، علموا أنه المنعم المتفضل ، وأنه ذو الطول والإحسان ، وأنه ذو المنة على كل إنسان . علموا أنه هو الذي خلقهم ورزقهم ، وهو الذي أحياهم وميتهم ، وهو الذي بيده خيرهم وشرهم ، أرسل إليهم الرسل لهدايتهم ، فأقبلوا أمره ونهيهم ، وطريق رضاه أو سخطه ، وموجب ثوابه أو عقابه ، فرغبوا في الزلفى إليه ، وأقبلوا بكل قوتهم على طاعته وعبادته .

(الثانية) آمنوا برسوله ، وأنه إنما يبلغهم أمر ربهم ، وأنه ما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، وأن الله مصدق في رسالته اليهم ، ومؤيد في قيام حجته عليهم ، وأن من أطاعه فقد أطاع الله ، وأنه لن تكون طاعتهم له حتى يخلصوا في ذلك نياتهم ، ويصدقوا ما عاهدوا الله عليه مخلصين لله الدين .

(الثالثة) « ثم لم يربأوا » ثم يكون هذا الايمان ثابتا غير مزعزع ، فلا يكون عرضة لأعاصير الوسوس ، ولا مذبذبا بين رياح الشبهات ، فهما مر على صاحبه من الاحن والحن فلا يعصف شيء منها بيمينه ، ولا يزلزل جزءا من إيقانه ، فلا يكون إيمانه محل تجربة : فإن أصابه خبر اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه . فكلمة ( ثم ) التي للتراخي معناها أن إيمانهم من الثبات على مر الحوادث بحيث لا يتعرض للزلزلة مهما صادفه ومهما طال به الزمن . وفيه تعريض بما يكون من بعض الأفراد تسكن نفوسهم للعقيدة حينما حتى إذا جأهم ما يكرهون رجعوا الى عقيدتهم هذه يتمونها بأنها كانت سبب بؤسهم وشرورهم ، وما انتابهم في حشرهم وزرورهم ، ففكروا في المدول عنها ، أو وقفوا أمامها وقفة المتردد لا يدري أيضى فيها أم يحيد عنها .

ترى الرجل يجاور شخصا فاجرا قد بسط له في الرزق ، بينما قدر على المؤمن رزقه ، فيجول الشيطان في خاطره بهوا جس تفسد عليه إيمانه ، ويوسوس له بأن ذلك الفاجر ما وسع عليه في رزقه إلا لاجترأه على ربه ، واطراحه تلك القيود التي قيد بها نفسه باسم الدين ، فيدب عنده الارتياح في دينه ، والزلزلة في يقينه . وهل ترى حال أولئك الذين تلوك ألسنتهم دائما عبارات الإعجاب بم عليه الأوربيون ، وصوغ أساليب التمجيد والتحييد لهم ، غافلين عن سبب ما هم عليه من ثراء وعظمة ، وهو جدم وأخذهم بالأسباب والعمل على الإنتاج الذي دعا اليه الإسلام ، فيظنون أن ما هم عليه نتيجة لما دانوا به أو لما خلعه عن رقابهم من قيود الدين — فهل ترى حالهم يعدو أن يكون ارتياحا في أمر دينهم ، ما ساقهم اليه إلا غفلتهم عن رد كل شيء الى سببه الحقيقي ، ثم ضعف الايمان عندهم حتى جعلوه دائما معروضا للامتحان ، بل معروضا للارتياح ؟



(الرابعة والخامسة) ما ذكر في قوله: «وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله» وهذا محك يظهر به الإيمان الصادق من الدعاوى الزائفة. والجهاد والمجاهدة: بذل الجهد وأقصى الطاقة في تحقيق الطاعة، فعني جاهدوا في سبيل الله بذلوا أقصى جهدهم، فلا مفعول للفعل. ويجوز أن يكون المعنى جاهدوا أعداء الله وأعداء الدين، أو جاهدوا أنفسهم ليحملوها على الصدق في الوفاء والإخلاص لله، فيكون للفعل مفعول محذوف. وتقديم الجهاد بالأموال على الجهاد بالنفس من باب الترقى من الأدنى وهو الجهاد بالأموال، إلى الأعلى وهو الجهاد بالنفس، كما قال القائل:

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

على أن تقديم الأموال فيه مساس بالتعريض بحال أولئك الأعراب الذين سخروا إيمانهم للاستجداء، ونصبوه وسيلة لاستحقاق العطاء، إذ قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا محمد آمنا فاستحققنا السكرامة» وأمثال ذلك، فكأنه يقول لهم: المؤمن من جاهد في سبيل الله بماله «وأنتم لم يكفكم أنكم لم تجاهدوا في سبيل إعزاز دينكم بمالككم حتى جئتم تتجرون بالإيمان وتجعلونه شركا لا صطيادا للأموال».

(السادسة) قوله: «في سبيل الله» وهذا هو المحك الذي يعرف به صادق الإيمان من زائفه، ويفرق به بين الجهاد المحمود والمذموم شرعا.

وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاقل حمية ويقاقل رياء أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» ومعنى أن تكون كلمة الله هي العليا ألا يعترض قائمها معترض من أجلها وبحول بينه وبين النطق بها والعمل على مقتضاها، أي أن يكون حرا في أن يدين بدين الله، وأن يدعو إلى سبيل الله، لا يمنعه من ذلك مانع.

وقوله تعالى: «أولئك هم الصادقون» فيه عود على بدء، بإعادة التعريض بتكذيب أولئك الأعراب في قولهم آمنا وهم لا يؤمنون، فكأنه قيل: إن المؤمن الحقيقي الصادق

في دعوى لايمان هو من ظهرت منه الآثار الجدية التي يتمتع بها الايمان فتدل على ألا تلجج في نفسه، ولا اضطراب في عقيدته، ولا ريب في يقينه، ولا نكوص لديه ساعة يجد الجدد، فهو تطيب نفسه بما يطيب منه بذله من أعز عزيز وأنفس نفيس، هو من يبذل نفسه وماله في سبيل الله ولا إغلاء كلمة الله. هذا هو الصادق، لا من يدعي الايمان ليشتري به عرض الحياة الدنيا.

قال الله تعالى: « قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم ».

روى في سبب نزولها أنه لما نزلت الآية الأولى لتكذيبهم جاءوا وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون، فنزلت هذه الآية لتكذيبهم وتسفيههم: ببيان أنهم بخاطبون من يستقى علمه من علام الغيوب، الذي لا تخفى عليه خفايا القلوب، فهو الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض، وهو بكل شيء عليم مما قل ومما جل، فأين يذهب بهم حتى يحاولوا أن ينطلي أكاذيبهم أو تروج تمويهاتهم؛ وليلاحظ أن هذا الإطّئاب في الرد على أولئك الأعراب ليس لخصوصياتهم، ولا لمزيد الاعتناء بأمرهم خاصة، وإنما هو شأن لقرآن الكريم في النعي على المنافقين والتنديد بهم، والتحذير من الانخداع بتمويهاتهم؛ ذلك أنهم سيدخلون عضوا فاسدا في المسلمين، ويكونون داء دقينا في الجسد التماسك المتضام، فيكون عملهم في تفريقه وتوهمه أشد وأنكى من العدو الخارج، فذلك كثيرا ما نرى الكلام في ذم المنافقين والتشهير بهم وكشف سوءهم يزيد على الكلام في شأن الكافرين المعلنين. ومثال ذلك ما تراه في أوائل سورة البقرة.

و«تعلمون» بمعنى تخبرون، من علمت بكذا أي أحطت به وأخبرت، فلذلك عدى للمفعول الثاني بالباء. وقوله: « والله يعلم ما في السموات وما في الأرض » جملة واقعة موقع الحال، وهي محط الإنكار عليهم. وقوله: « والله بكل شيء عليم » تقرير لمضمونها

وتثبيت له . والمعنى : كيف تظنون أن من يعلم ما في السموات وما في الأرض وهو عليم بكل شيء يخفى عليه منكم شيء حتى تحاولوا أن تظهروا خلاف الحقيقة فيخفى على رسوله الذي يتلقى العلم منه :

قال تعالى : « يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَامُكُمْ بِلِ اللَّهِ يَمُنْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » :

هذا تنويع للكلام معهم بنوع آخر من أنواع التأنيب والتنديد ، فبعد أن سرد الدعوى التي زعموها وكنبهم فيها ، وبين من هو الجدير أن يصدق في هذه الدعوى ، عاد فبين غرضهم منها ، وهو الامتنان على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أسلموا ولم يقتلوه كما قاتله غيرهم . والمن تعداد النعم اعتدادا بها وإظهارا لفضل صاحبها على من أنعم عليه ، وذلك إنما يكون عند ما تصدر من النعم دون أن ينتظر عليها جزاء ، وعند ما يكون المنعم عليه محتاجا إليها فتسد حاجته ، ويكون للنعمة رجحان ووزن كبير ، فذلك قالوا : إن أصل اللفظ مأخوذ من من بمعنى قطع ، كأن المنعم قطع النظر عن أن ينتفع من نعمته بجزء ، أو قطع احتياج المنعم عليه ، أو أنعم عليه بمن وهو الوزن المعروف أو الكيل المعروف .

ومعنى يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا أى يعتدون بإسلامهم ويعمدونه نعمة عليك كبيرة ، قل لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَامُكُمْ ، أى نبههم إلى أن إسلامهم لا تعود ثمرته إلا على أنفسهم . ففي الحقيقة المنّة عليهم لله الذي هداهم ، فإن كانوا قد صدقوا في دعواهم فقد اهتموا بهداية الله إياهم ، واستفادوا من ثمره رسالته صلى الله عليه وسلم إليهم ، فهم الممنون عليهم ، وإن لم يكونوا صادقين فيما ادعوا فلا معنى لهذا الامتنان منهم ، فحقهم أن يداروا سيئاتهم ، ويتواروا عن أنظار من يفحص حالهم .

وينبغي أن ننظر نظرة دقيقة إلى اختلاف التعبير في كلمات (أَنْ أَسْلَمُوا) (إِسْلَامُكُمْ) (أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ) وقد دخلت كلها في حيز فعل المن :

أما ( أن أسلموا ) و ( إسلامكم ) فكلاهما فيه معنى المصدرية ، من الاسلام ، ولكنهما يفترقان في نقطة دقيقة : ذاك أن قوله : « أن أسلموا » يفيد معنى الاسلام باعتباره حاصلًا منهم ، قائمًا بهم ، صفة من صفاتهم . فحط القصد فيه أنه حليتهم التي تحملوا بها ، وهذا مقصدهم في الامتنان وكلمة ( إسلامكم ) تفيد معنى الاسلام في نفسه ، وإضافته اليهم لتوضيحه وبيان المعنى المراد منه ، بل لتوهينه وبيان درجته وأن إسلامهم ليس مما شأنه أن يعتد به ، فهو إسلام حقه ألا ينسب إلا اليكم ولا يرتضيه أحد غيركم ، إذ هو إسلام ما صدر إلا عن مخافة ، وهو استسلام منشؤه الرهبة من بطش من استسلمتم له ، والرغبة في أن تنالوا به من عرض الحياة الدنيا ، فأى إسلام إسلامكم هذا الذي تمنون به ؟ فلا إضافة فيه كما يقولون لتحقير .

وحاصل المعنى أنهم في امتنانهم جعلوا إسلامهم حلية لهم يظهرون بها ، وهذا يفيد على الوجه الأكمل الإتيانُ بصفة الفعل مسندة اليهم ، وفي الرد عليهم أظهر إسلامهم نفسه ، ونشر الأنظار معرفًا بالإضافة اليهم ، فلم يكن في نفسه مما يعتد به ، ولم تزد إضافته اليهم إلا هوانًا وصغرا . وأما قوله : « بل الله بمن عليكم أن هذا كم للإيمان » فهو لإظهار الفعل الجليل الذي حقه أن يمتن به حقيقة ، وهو أن هداهم الله للإيمان الذي فيه سعادتهم ، ويحق لمن استفاد منه وقد هيء له أن يقتبط بما أوفى ، ويتهيج بما حباه الله . وقد خالف التعبير الأول بالعدول عن الإسلام الى الإيمان ، وبذكر لفظ الهداية ، أما العدول فلتنبههم الى ما حقه أن يعتد به ويحرص عليه ويصار اليه ، وهو الإيمان الذي يملأ القلب بعيدا عن الارتياح ، لا مجرد استسلام الجوارح وخضوع النفوس . وأما ذكر لفظ الهداية فلا أنه هو الذي حصل لهم من الله وإن كانوا قد ضيعوه على أنفسهم ، فقد قرب لهم الجنى ، وسهل عليهم حصول النى ، ولكن انصرف قلوبهم الى متاع الحياة الدنيا هو الذي حرمهم الوصول الى الدرجات العليا ، وعلى ذلك يكون معنى هذا كم للإيمان : ذلكم عليه وأرشدكم الى سبيله ، وإن كنتم لم تتفعموا

بالإرشاد ، ولم تصلوا الى المراد ؛ فالهداية بمعنى الدلالة مطلقاً : وصلت أو لم تصل ؛ ويكون المعلق على صدقهم هو اعترافهم واقتناعهم ، وإلا فالمنة لله عليهم بهدائيتهم متحققة ، سواء أ كانوا صادقين أم كاذبين .

ويصح أن يكون المراد بهداكم أى دلكم دلالة موصلة للإيمان ، ويكون ذلك معلقاً على قوله : إن كنتم صادقين الآتى بعد ، أى بل إن صدقتم فيما زعمتم من أنكم آمنتم فالمنة عليكم لله بأن هداكم للإيمان الذى تزعمون .

والهداية تطلق على مطلق الدلالة كقوله تعالى : « وإنك لتهدى الى صراط مستقيم » أى تهدى كل الناس ، وعلى الدلالة الموصلة كقوله تعالى : « إنك لاتهدى من أحبيت » . تأمل فى هذه الدقائق وأشباهاها فى النظم الكريم ، تبصر شيئاً من الأسلوب الحكيم الذى لا يكاد يدانيه فى رقة ودقة عبارته واختيار ألفاظه شئ من كلام البشر ، فهو تنزيل من حكيم حميد .

وقوله : « إن كنتم صادقين » أى فى دعواكم بالإيمان ، وليس الشرط راجعاً للهداية ، فهى متحققة جزماً بما أرسل الله من رسول ، وبما أيد به من آيات يذمات كما بينا آنفاً . والتعليق يترتب عليه اعترافهم الذى كان يجب أن يحصل منهم بأن المنة لله عليهم لا هم على رسوله ، وإلا قلله المنة ورسوله عليهم ، سواء أ صدقوا فى دعوى الإيمان أم بقوا على ما هم فيه وضيعوا الثمرة على أنفسهم ، ومقامهم يجب أن يكون مقام الشاكرين لا مقام اللائين .

وأما قوله تعالى : « إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون » فهو من جهةٍ مرتبط بمضمون هذه الآيات الأخيرة ، مسجل للرد عليهم فيما ادعوه كذباً ، ومرشد لهم الى طريق الجد وما حقهم أن يسلكوه فى أمر الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أن يشكروا بدلاً من أن يننوا ، ولافت أنظارهم الى أن ما استبطنوه فى نفوسهم إنما هو إسلام وخضوع لا يوصلهم الى السعادة التى هيئت لهم ، فيجب أن

يقتنبوها الى لغرض الأسمى وهو الإيمان ، فها هو ذا معروض عليهم بآياته البديعة ، وقد هداهم الله له ، فلم يبق إلا أن يجنوا ثماره .

ومن جهة أخرى قد عاد على ما ذكر في أول السورة بالتقرير وبيان الحكمة ، وهو قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » والمعنى أن الله يعلم غيب السموات والأرض ، ويعلم النافع والضار ، ويعلم ما ينبغي وما لا ينبغي ، ويعلم نتيجة كل فعل وثمرته كل حكم ، وما يليق بكل نفس وبكل أمة ، فكيف تجترئون على الافتيات عليه في الأحكام ، وتقدمون بين يديه أحكاما لا تعلمون مغبتها ولا آثارها المترتبة عليها ، وأن علمكم من علم الله الذي يعلم غيب السموات والأرض ؟ ثم قوله : « وَاللَّهُ بِصِيرِ بِمَا تَعْمَلُونَ » فيه أخذ الطريق عليهم حتى لا يتفلتوا الى المراءغات والمداورات ، فقد بين لهم أنه بصير بما يعملون ، مطلع على أسرار نفوسهم ، وخلصات ضمائرهم ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء .

بل نقول : إن هذه الآية الكريمة التي ختمت بها السورة ترتبط أتم ارتباط بكل لإرشادات والآداب التي تليها علينا في هذه السورة الكريمة ، فإن علمه غيب السموات والأرض وبصره التام بكل ما يعملون يدعو الى ترك الافتيات على الله في الأحكام ، وهو مغزى قوله تعالى : « لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » ومدعاة الى امتثال الأدب الكامل مع رسوله الكريم ، فلا يرفعون أصواتهم بحضرة ، ولا يجهرون له بالقول كجهر بعضهم لبعض . وكذلك يقرر فيهم معنى الامتثال لما أوجبه عليهم نحو بعضهم البعض ، وهو ما يتعلق بالطوائف العامة ، أو ما يجري بين الأفراد بعضهم مع بعض في حال لحضور وفي حال الغيبة من الأحكام التي سبق تفصيلها والتي إذا اتبعها المسلمون حق تباعها كانوا أسعد أمم الأرض على الإطلاق .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا ويوفق جميع المسلمين الى ما فيه سعادتنا وسعادة

الجميع . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم  
إبراهيم الجبالي

## بدع الذكر

جاءتنا أسئلة كثيرة عما أحدثه الناس في مجالس الذكر من البدع التي لا يقرها عقل ولا دين، ومما جاء فيها أن بدع الذكر قد تكاثرت بسبب عدم العناية بالتنفير عنها، فسدت على رفيع جلال الإسلام وبديع رونقه ستارا أي ستار، وأحدثت أضرارا عظيمة ومفاسد جسيمة. ومن شرها مزج الذكر بالله وكالف والشبابة، والذكر بأصوات ساذجة مثل (ها) و (هي)، ومثل اللهج أثناء الذكر بأصوات ينجل اللسان من ذكرها والقلم من تسطيرها. ثم ذكر السائل شيئا من الألفاظ التي يقولونها حال غيبتهم على ما يزعمون لا نستطيع ذكرها في المجلة، ثم قال بعد ذلك: ومن عظم شهروا في وجهه السلاح بدعوى أنهم إنما يصدر عنهم ما ذكر في حال غلبة ناشئة عن الذكر، ومن مدهشات العجائب أنه يوجد بقربة قريبة منا تسمى (محلة الأمير) رجل أبوه كان أحد شيوخ طريقة تسمى الحبيبية، وهذا الرجل يؤيد تلك البدعة التي لا أحد لشناعتها ولا منتهى لفظاعتها بكل ما أوتي من قوة، حتى خدع الناس أيما خديعة، وصار عقبة في سبيل من يحاول تطهير ساحة الدين منها. ولا وسيلة لكف شرور مثله أو تخفيفها سوى فتوى تصدر في مجلة نور الإسلام التي يحترمها الجميع. ولا سيما إن عززت بفتوى من مشيخة الطرق الصوفية.

فأشددك الله أيها المجاهد الغيور أن تسرع بما تقدر عليه من تلك الكتابة الصافية الشافية في الموضوع. وأقسم عليكم بالحق تعالى أن تغيثوا هذا الدين، فقد تلاعب به أولئك الفجار إلى حد أشعر بخلو قلوبهم من استشعار شيء ما من عظمة الجوار، عظمته سطوته.

انتهى المقصود من السؤال الذى جاءنا من بعض أفاضل مديرية البحيرة ، وفى غيره ما يوافقه فى مغزاه وصرماه .

ونحن نقول : إن الذين يعملون هذه الأعمال المنكرة داخلون فيمن قال الله فيهم : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّة » ، ومن الذين اتخذوا آيات الله هزواً . وسيقال لهم : « أيا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزون » ، ولا ندرى كيف يتكلمون بذلك الهذيان الذى تقشعر منه الجلود وتضطرب الأسماع على ما جاء فى سؤال السائل .

وإنه لا أكبر برهان على أنهم كانوا فى أحوال ظلمانية لا نورانية ، ووساوس شيطانية لا إلهامات ربانية . فإن الذكور يورث القلب أسراراً وأنواراً ، فإذا تكلم صاحبه تكلم بالمعارف واللطائف لا البهتان والهذيان ، فكلامهم بالفحش على ما يقول السائل أكبر برهان على أنهم ما كانوا يتبعون إلا عن الشياطين ، ولا يسرون إلا فى ظلمات بعضها فوق بعض . فما أدل لأثر على المؤثر ، والدخان على النار ، والغايات على المبادئ ، والنتائج على المقدمات ؛ وإذا كان فى سماع الآلات المجردة خلاف طويع عريض ، وقد ألف فيه ابن حجر كتابه المسمى بكف الرعاع . وأقام فيه البراهين على تحريم سماعها ، فإياك إذا كانت فى مجلس يذكر فيه اسم الله تعالى ؟ !

وإنه ليجب أن تخشع الأصوات للرحمن ، وتطرق لرؤوس ، وتخضع القلوب ، إعظاما لهيبته وجلاله . وكيف يتفق ذلك مع تلك الآلات الملئية عن ذكر الله وعن الحضور مع الله كما هو المطلوب من الذاكر ؟ ! فالآلات الالهوية يجب تنزيه تلك المجالس الشريفة عنها .

وربما زادوا الطنبورة نعمة ، ففتنوا بالخرجات التى تجلب الحر إلى النفوس ، ثم يقولون : إن المراد بالخررة خررة الأرواح لا الأشباه ؛ وقد يكون ذلك صحيحاً إلا أنه غير مأمون ولا معروف ، وقد أوشكت الدنيا أن تخلو من ذويه ، وأن لا يوجد فيها أحد الآن من ذاتقيه ، إلا من صطفاهم الله بعنايته الخاصة ، وقليل ما هم . وبوشك



أن يحجر ذلك الى مالا تحمد عقباه ، خصوصا مع الآلات والأوتار . وأين ما يفهمه العامة مما يفهمه أهل المحبة الإلهية من قول بن الفارض :

خفت السير واتد يا حادي إنما أنت سائر بفؤادي  
الى أن قال :

ما شئت البشامة إلا وأهدي لفؤادي تحية من سعادي  
أو قول غيره :

أهل الهوى تعرف قدر الهوى وإن هذى الجهال قالوا سلام  
الى غير ذلك مما يحرك النفوس الى حمى الكؤوس ، ويهيج في أرباب الشهوات  
ذكرى الغايات والسماع لا يحدث في النفوس جديدا ، وإنما يهيج منها ما استقر فيها  
من خير أو شر .

وقد سئل مالك عن الغناء فقال : إنما يفعله عندنا الفساق ، حتى لقد روى عنه أن  
الإنسان إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب . ومن عرف النفوس  
واستدرجها لصاحبها من حيث يشعر ولا يشعر ، لم يمكنها من أن تخطو خطوة واحدة  
في طريق يوشك أن يؤديها الى الفساد ، ويسير بها الى غير السداد .

وقد قال بعض العلماء : كيف لا يحرم سماع الآلات وهو شعار أهل الخمر والفسوق  
والفساد والمجون ؟ وما كان كذلك لم يشك في تحريمه ولا في تفسيق فاعله وتأثيره .  
ولا ينفعهم تلك التعللات الباطلة ، ولا قولهم إن المراد بالخرقة خمرة الأسرار ، وبالحانة حانة  
الحضرات ، كما سمعناه من بعضهم ، فإن ذلك كله الآن خيالات وزهات ، وما هي إلا  
تلييسات من الشيطان ، وألوان براءة من الهديان . ومن عجيب أمرهم أنهم لم يكتفوا بما  
ارتكبوه حتى وقعوا في حق السلف الماضين رضى الله عنهم ، ونسبوا اليهم اللهو واللعب ،  
لأنهم يعتقدون أن السماع الذي يفعلونه اليوم هو الذي كان السلف رضوان الله تعالى  
عليهم يفعلونه .

وقد أذكرني ذلك قول الامام الكبير والمحدث الشهير رزين العبدري : ما أتى بعض المتأخرين إلا من وضعهم الأسماء على غير مسمياتها . ولهذا شرح طويل . ولننقل لك عبارة الامام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره حين تكلم على قصة السامري في سورة طه :

سئل الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله : ما يقول سيدي الفقيه في مذهب الصوفية الذين يجتمع منهم جماعة فيكثر من ذكر الله وذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شيء من الأديم ، ويقوم بعضهم ويتواجد حتى يقع متغشياً عليه ، ويحضرون شيئاً يأكلونه : هل الحضور معهم جائز أم لا؟ (ولعمري إن هؤلاء أحسن حالا ممن ترام اليوم وجاء بعض وصفهم في السؤال) . أفتونا برحمة الله .

فقال في الجواب : هذه الأشياء كلها بطلالة وجهالة وضلالة ، وما الاسلام إلا كتاب الله وسنة رسول الله . وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذهم عجلاً جسداً له خوار ، فقاموا برفصون حوالبه ويتواجدون ، فهو دين الكفار وعباد العجل . وأما القضيب فأول من اتخذ الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى ، وإنما كانت مجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوفا .

ولعل من الفائدة الكبرى في هذا المقام أن ننقل لك عبارة الإمام الكبير ابن قدامة جواباً عن مثل هذا السؤال ، قال رحمه الله : إن فاعل هذا غلط ساقط المروءة ، والدائم على هذا الفعل مردود الشهادة في الشرع غير مقبول القول ، فإن هذا معصية ولعب ذمه الله تعالى ورسوله ، وكرهه أهل العلم وسموه بدعة ، ونهوه عن فعله ، ولا يتقرب إلى الله سبحانه بمعاصيه ، ولا يطاع بارتكاب مناهيه ، ومن جعل وسيلته إلى الله سبحانه بمعصيته كان حظه الطرد والإبعاد ، ومن اتخذ الله واللعب ديناً كان مكن سعي في الأرض بالفساد ، ومن طلب الوصول إلى الله سبحانه من غير طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته فهو بعيد من الوصول إلى المراد .

وقد كرهه الأئمة كما ترى، ولم ينضم إليه هذه المكروهات من الدفوف والشبايات، فكيف به إذا انضمت إليه واتخذوه ديناً؟ فلا أشبههم بالذين عابهم الله تعالى بقوله: «وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّة» (المكاء الصغير والتصديّة التصفيق). وقال الله سبحانه لنبيه: «وذّر الذين اتّخذوا دينهم لهواً ولهواً وغرّتهم الحياة الدنيا» فأما فعله في المساجد فلا يجوز، فإن المساجد لم تبني لهذا، ويجب صوتها عما هو أدنى منه، فكيف بهذا الشأن الذي هو شعار الفساق ومنبت النفاق؟ وقد روى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: «إنه بلغني عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع الأغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب الماء».

فأبال الواحد من هؤلاء المدعين مذهب التصوف يلتفت عن طريقة رسول الله يمينا وشمالا، ويطلب الوصول إلى الله سبحانه من سواها، ويبتغي رضا فيما عداها؟! وبعد فإننا نرحب بذكر الله في كل زمان ومكان، سرا وجهرا، انفرادا واجتماعا، ولكن بشرط أن يراعوا آداب الذكر وما يجب له، فلا يتخذوا آيات الله هزوا، ولا يلحدوا في أسمائه. أسأل الله أن يقينا شر مضلات الفتن، وأن يهدينا الصراط المستقيم: صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بحمته وكرمه.

يوسف الدجوي

من هيئة كبار العلماء بالأزهر

## وصف الكلمة من الرجال

قال مروان بن أبي حمزة:

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا  
هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السماكين منزل

## فوضى الاخلاق وأزمة الزواج

انقضى فصل الصيف بحاله وما عليه ، انقضى وخلف تلك الذكريات المؤلمة ،  
والمآسى الشديدة المفزعة . انقضى ولم تنقض أحاديثه من الأفواه ، ولم تخفت نأوهاته  
من قلوب مكلومة ، ونفوس مألومة ، من هول ما شاهدت ، وقبح ما عاينت ، فما بال  
من اكتوى بناره ، واصطلى بحر أواره ، وانقضت عليه مصائبه وأهواله ؟ اللهم  
لطفا بعبادك !

انقضى وانقضت سوقه ، وانتشر نجار الفسوق الذين كانوا فيه ، يحملون  
الى مختلف الأقطار والأمصاير ما حملوا من تجارة خاسرة ، وسلع مشنومة ، بل  
مالوثوا به أنفسهم من جرائم فتناءة ، وميكروبات قاتلة للفضيلة ، ولأخلاق الكريمة .  
فليت لم ينقض ولم ينتشر دعائه في الآفاق ، وليت الشرابات محصورة في دائرة  
ضيقة محدودة !

يتحدث لناس بعضهم الى بعض بعد غيبتهم عن مجتمعهم ، وعودتهم الى مزاولة  
أعمالهم . يتحدثون ولا بد لهم من التساؤل والتحدث :

واعلم بأن الضيف غيبر أهله بمييت ليلته وإن لم يسأل  
فقيم مناجاتهم ، وقيم أحاديثهم ؟ إن أكثر ما يئلب على الناس من الحديث وقد  
تقابلوا بعد هذه الغيبة السنوية هو حديث المصايف ، وبخاصة ما كان منها في مدن  
الشواطئ . وناهيك بالإسكندرية وما حوت ، فشواطئها في أيام الصيف سوق بروج  
فيها الفسوق . وهل ينجر الكلام الى الاصطياف في الاسكندرية ولا تكون تلك  
البقعة الآتمة ، وهى على شاطئ البحر المسماة ( ستانلى باى ) فى طليعة الحديث وبها  
اختتامه ؟ وإن حاد الكلام عنها بنمة أو يسرة قائما هو بمقدار ما تستعرض تلك البقاع  
التي تنافسها فيما جرت على البلد من فسوق وجور .

يا لله للمسلمين : لقد صادفنا غير واحد من معارفنا وأصدقائنا ، ودارت أحاديث عدة فيما قضيت فيه عطلة الصيف أو نزهته ، فكنا نسمع ذلك الحديث مكررا على أنحاء شتى ومشارب مختلفة ، فن متعجب دهش من هذه الطفرة التي طفرتها الأمة ، مبتعدة عن دينها وخلقها ، وآدابها ونخوتها ، وكرامتها ومحاسن عاداتها . لا نقول الطفرة ، بل هي السقطة التي تردت بها في هوة عميقة لا يعلم قرارها إلا الله . ومن باك متحسر يتوجع ويتألم ، ويصب جام غضبه على من كان في مقدوره أن يصيح بالأمة صيحة الإنكار المزعجة ثم هو يسكت عليها ، قائلا : إنا السكوت في الحق كالنطق في الباطل . ومن آخر مأخوذ بذلك الزخرف ، قد عشيت بعصيرته بالبريق واللعمان ، واستوات على لبه بهجة للكان ، واستدرجه الخلان وإخوان الشيطان ، فكان منه ما كان ، مما يغضب الرحمن ، ويشمت إبليس العدو اللدود للإنسان . ولقد يحاول البعض من هذا الفريق ممن تدركه بقية من الحياء أن يظهر لك اشتمزازهم وسخطه ، ولكنك تعرفه في لحن القول ، فتطالع من نبرات صوته ونغم حديثه ، وتلمح من أسارير وجهه ما تعرف به أنه قد وقع في الشرك ، وأنه يستغرق في ذكريات ممتعة لا يداريها ما يتستر به من سخط مصطنع ، واشتمزاز موارب فيه :

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممث تبا كي

لسنا بصدد ما يقولون ، فذا شرح يطول . وحسبك من شر سماعه . وربما كانت تفاصيله مزلفة لقوم مستهامين . وحسبك فيما جره من شرور وأهوال تلك الأنباء اليومية عن جثث أولئك الأطفال تلى بالليل وتلتقط بالتهار ، من ملتويات الأزقة وصناديق الأقدار ، ولسان كل واحد منهم ينادى بقول المعري :

هذا جناه أبى على وما جنيت على أحد

وإنما زيد أن نقول : ما رأى إخواننا دعاة السفور المصلحين المجددين ؟ أفراقهم هذا ؟ أعجبهم هتك لحوم الفتيات العاريات ، أو أطاؤونا لتلك الخنزريات المحزنات ، أم

هم قد استفظموا تلك المنكرات ، وسالت منهم العيبرات ، واستعاذوا بالله من تلك السيئات ؟ لا ندري الكثير من شأنهم ، ولا نعرف ماذا تركت هذه المآسى في نفوسهم وقد يكون منهم هؤلاء ، وهؤلاء ، ومن لا يعنيهم إلا أن يجاروا بالنساء في الهواء ، وم لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء . ولكننا نعرف أن بعضهم قد ضاق ذرعا بذلك الشر الذي لم يكن أمره في الحسبان الى هذا الحد ، فأخذ يعلن سخطه واشتمزازه على صفحات الجرائد السيارة ، ناقا على هذا التدهور الخلقى ، والانهيار فى أعماق الرذيلة والإفراط فى لتقليد الأعمى لسفلة الفريجة فى شر ما يرتكبون ، مع التجرد عن كل ما يتحلى به بعضهم من فضيلة واعتدال .

لقد كان اللباغون فى الدعوة الى الحجاب وزيادة التستر يخشون أن يحرج بعض الشر الى بعض ، ويراعون قوله صلى الله عليه وسلم : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمن كثير من الناس فمن تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع فيها كالأعمى يرمى حول الحى يوشك أن يواقع » وهام أولاء اليوم يقولون :

قد كان ما خفت أن يكونا إنا الى الله راجعونا

وبعد : فليس المقام مقام بكاء وعويل ، أو قال وقيل ، وإنما الواجب التضافر على علاج هذا الداء المستعجم ، وللبلاء الملازم . وإن أفضل ما يصفه الطبيب المعالج إذا هاله أمر المرض أن يعنى بمشئته فيزيله ، وأسبابه فيقتلها ، ليبحث المرض من أصله ، ويقتطعه من أساسه ، ويسد عليه طريق العودة ، وإلا فمعالجة العوارض مع بقاء الأساس لا تفيد أكثر من تسكين موقت لا يؤمن معه العودة بنكسة ربما كانت شرا من المرض . وإنا نعلم أن هذا المرض الخلقى والاجتماعى ما أصاب الأمة فى أحشائها حتى فتك بأدائها وانتك حرمة أعراضها إلا بإعراضها عن هدى ربها ، ونبذها لتعاليم شريعتها . فما الذى جاءت به الشريعة الغراء فى هذا الباب ؟ هذا ما نريد أن نجلوه الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هدام الله وأولئك هم أولو الألباب :

يقول الله تعالى : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوه عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لى ضلال مبين » .

ولقد جاءت الشرائع السماوية كلها بتشريع حكم الزواج وسن ضوابطه التى تكفل دوامه وتحفظ المصلحة المقصودة منه ، وتقف هذه الرابطة الشريفة عند حدود الاعتدال ، إلا أن تلك الأحكام كانت تختلف فى الأديان تبعاً لاختلاف أحوال الأمم وظروفها وملابساتها ، فتجىء كل شريعة مطابقة لما يناسب وقتها ، حتى بلغ النوع الإنسانى درجة الكمال ، ولاق به التشريع المناسب لجميع الأحوال ، فمن الله على العباد بهذه الشريعة الغراء التى تصلح لكل زمان ومكان ، ولجميع الأحوال والأطوار . والإنسان كما يبتأ فى موضوع آخر محتاج الى التربية النوعية فى مجموعه كاحتياجه الى التربية الشخصية فى مفردة ، فلقد جاءت شريعة موسى عليه السلام لأمة تحكّم فيها قوم مرهقون متعنقون ساموم سوء العذاب ، فقتلوا أبناءهم ، واستحيوا نساءهم ، حتى استحكمت حلقات الضيق الاجتماعى فيهم ، وقل عدد الرجال وكثر عدد النساء ، فاختلف توازن الأمة اختلافاً ينفك فكان من حكمة العليم الحكيم أن يشرع لهذه الأمة فى باب النكاح إباحة التعدد فى الزوجات بلا وقوف عند حد . فلما تأصلت تلك العادة واستقرت فى النفوس ، وكان من شأنها أن تنجر على الأسرة من عوامل الفقر والعيلة ما ينوء به الكاهل ، وتتلأشى أمامه قوة الأقوياء ، كانت الحكمة قاضية باستئصالها جملة واحدة ، حتى تفر النفوس على تركها ، وتنسى ما كان من أمرها . وهذا ما جاءت به الشريعة العيسوية على ما نقل .

فلما استقر الأمر وطابت النفوس بقبول ما يحكم به العليم الحكيم ، واستعد النوع الإنسانى لقبول الهدى التام والحكمة الكاملة ، جاءت الشريعة المحمدية على الوجه الأكمل المناسب لكل أمة ولكل حال ولكل ظرف . جاءت تبين التعدد الى حد محدود ، وبشروط وقيود تكفل للأسرة السعادة ، والأمة النماء ، وتسوس القوة التى ركبت فى النوع الإنسانى : قوة الميل الجنسى ، سياسة متوسطة معتدلة ، لاهى بالمضيقة

المقيدة، ولا هي بالفرطة في السعة. وقد يكون في تشديد القيد إعنات شديد، أو انقلاط الى بيداء الإباحة، كما يكون في الإباحة المطلقة تضرية لقوى طبيعها الجروح، فأفاض المولى علينا هذه النعمة ساذغة، وامتن علينا بقوله عز من قائل: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» فإذا شئت أن تجتلي محاسنها في هذا الباب، فاستمع لما يتلى عليك، واتبع ما يلقي اليك، والله يتولى هداانا أجمعين: لقد ميز الله جلّت حكمته كلا من النوعين الذكر والأنثى بميزة تلاءم ما هي له من العمل الحيوى في سبيل عمران هذا الكون، فلما كانت الأنثى قد أعدت لتكون حراً ومغرساً، ووعاء ومهداً، كان من أنسب ما يكملها في خلقها ويعتبر فيها جمالا وعوناً لها على أداء مهمتها، أن تكون من الرونة واللين والركة بحيث تصلح لأداء هذه المهمة العظيمة، وكان حقاً لها أن ترفه في حياتها بعض الترفيه، وتوفر لها راحتها، حتى يتيسر لها إبتاء ثمرتها، والوصول الى غايتها؛ وكان من المتعين ليكمل الأزواج المنتج أن يناط ما يجب لها في تقويم أودها في هذه الحياة بقرين لها يساعدها حلو الحياة ومرها، ويشاطرها شقاءها وسعادتها. يرى راحتها في راحتها، وتعبه في تعبها، إذ كانت حياتهما واحدة، والثمرّة الناتجة من بينهما واحدة، وهى الأولاد؛ وكانت منتسبة إليهما على درجة واحدة، يسيران بها معاً، ويكدان في سبيلها معاً، ويقوم كل منهما لما يتما يضمن كمالها. فكان من ذلك حتماً أن يسكن كل منهما الى صاحبه، وتنمو بينهما المودة والرحمة، كما قال جل شأنه: «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» وكما كان كمال الأنثى في لينها ورقتها، ودعتها ورفاهيتها، يكون كمال الرجل في نشاطه وقوته، ومتانتها وصلابته، فهو العضو العامل في مشاق الحياة، وهى العضو الحافظ المرّبي لأنفس ما تتعلق به النفس، وأعز ما تقع عليه العين.

من كل هذا ترى حكمة الحكيم العليم في أن جعل أحد الزوجين للعمل والقوة،



وجعل الزوج الثاني للحفظ والدعة والسكينة . أفيتعاضى على عقل عاقل بعد هذا فهم الحكمة في أن يجعل أمر القوامة والهيمنة والزعامة مسندة للعامل الأقوى ، للطرف المكلف بنفسه وغيره في أداء المهمات ؟ ومعلوم أن الأزواج والانضمام يقتضى بطبيعته أن يكون أحد المتضامين هو صاحب التدبير والنفوذ على الآخر حتى يكمل ويدوم النضمام بينهما ، فلو أن كلا منهما كان يصدر عن فكرة مستقلة وإرادة مطلقة ، لتذرت بينهما الأهواء ، فتعرضت حياتهما للمنافرة والمباعدة .

من هنا يتضح لنا جلياً سر قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » يتلو ذلك قوله تعالى : « قالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتى تخافون نشوزهن فمظوهن وهجرهون فى المضاجع واضربوهن ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً » . فى هذا سن القانون الكافل لمصلحة هذا الأزواج ، وقد حددت فيه السلطة ، وبين الاختصاص فى حكومة الدولة المنزلية ، وكان قانوناً حكيماً أعطى كل فريق ما يليق به ، بحسب ما هي له ، وبحسب ما نيط به .

ناشدتك الله لا يملكك الضجر ، ولا تسأم لطول الطريق قائلاً : لقد ائتمدتنا من المقصود ونسينا الأصل : لا ، لا ، فالغاية نفيسة ، والسر دقيق ، فلا تبخل بأناة تصل بنا إن شاء الله الى كمال الطمانينة القلبية فيما تشعبت فيه الآراء واتبعت فيه الأهواء .

وضع لنا من هذا أن المرأة حرث والرجل غارس ، وأن ذلك يستتبع أن يكون الرجل كاداً والمرأة وادعة . وهذا يستتبع أن من الرجال من يقدر على أن يكون غارساً فى أكثر من حرث واحد ، وقد يستطيع أن يسوس أكثر من دولة واحدة ، وقد يمكنه أن يقوم على أكثر من أسرة واحدة ، وعملك أن يهيمن على ما استطاع أن يقوم بأعبائه . وإن هذا لو تم له واستطاعه يكون فيه من نماء النسل وتكاثر الأمة ما تستحق معه أن يباهى بها ، وتملك معه أن تتبوأ المكان العلى . دعك من قول ضعفاء العقول

والنفوس: إذا كثرت الأمم ضاقت بها الأرض . فهو قول شاهد بالسخافة على عقل صاحبه ، فقد عودنا الله أن يهبنا الرزق على حسب كدحنا في العمل . وما رأينا أمة كانت كثرتها سادة لطرق الرزق في أبنائها ، بل بالعكس : نشاهد أن كثرة الأمم تدفع أفرادها للنشاط والعمل والسعي ، فقد ينتقلون الى أمم تجاوزهم ، فيكونون أساتذة لهم في نشاطهم ، فيفتحون لهم أبوابا من الرزق كانت مسدودة بالكسل النشئ عن القلة ، المستلزمة للدلة ، فتكاثر الأمم مقصد نبيل ينبغي أن يعمل له كل عاقل غيور على مصلحة أمته . والقلة إذا طردت أدت الى الفناء لا محالة ، ومن يرضى لأمته بالسير في التضائل المؤدى الى الفناء ، وقد قال القائل :

وما تنقص الأيام والدمر ينفد

وإذا قد عرفنا أن الرجل اكتسب هذا الحق : حق الهيمنة والقوامة على المرأة ، بما آتاه الله من قوة وفضل يناسبه ، فلنعرف أن ذلك يستتبع واجبا لا مناص له عنه ، ولا مفر له منه ، وأى حق لا يقابله واجب ؟ فكان متعينا على من يزوج بنفسه في هذا المعمان الحيوى أن يوازن بين ما سيناله من رغد ونعيم في إمتاع نفسه ونمو أسرته ، وبسط هيمنته وكثرة نسله ، وبين ما سيلحقه من جراء ذلك من كثرة كلفه ، وشدة متاعبه ، وتضاعف واجباته . فمن أنس من نفسه الكفاية للاضطلاع بهذه المهام فلا حرج عليه أن ينتهز لها ويضطلع بها ، ومن رأى في نفسه العجز فجدير به أن يلتزم حده ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه . ولكن ليس الأمر فرطا الى حد السير مع الخيال لا الى نهاية ، والابتعاد عن سنن الاعتدال دون الرقوف عند غاية ، لا ، بل لذلك كله حدود بينة ، ومعالم واضحة ، تحول بين المرء وبين أن يلعب به شيطانه ، ويعوره خياله ، ذلك هو ما بين لنا في قوله جل شأنه : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » فقد أعطى للرجل الحق في أن يوسع أسرته ، وينمي دولته المنزلية ، متى استطاع أن يقوم بحقها بمدالة ، وأن يوفىها ما يجب عليه لها

بلا ظلم ولا حيف . فمن لم يأنس من نفسه العدالة في القيام بالأود ، وأداء ما يجب من الحقوق ، فليس له أن يتطلع الى منصب اختص الله به من آناه قوة العدل والفضل . بل لو علم أن أصل الزواج سيوقعه في إضرار من اقترن بها ، ولم تكن به ضرورة دينية تدعو الى هذه المضارة ، كان إقدامه على الزواج ولو واحدة دخولا في الظلم والإضرار لنفسه ولغيره ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » .

لو أن هذا القانون السماوى قد ساد يمتنا على ماوضع له من هذه التحفظات الشرعية : ما بين منها في هذه الآية السابقة ، وما بين في غيرها من معالم الشريعة ، فهل كنا نشهد هذه المآسى المدمية للقلوب ، القابضة للنفوس ، المهيئة بتنايلها وكثرة التماذى فيها لكل شعور حى وضمير حساس ؟ لا ، لا وحقك ! بل كانت الأمة تشعر بهناء الحياة المنزلية ، وكان الرجل أقصى ما يتمناه أن يقول ما حكاه الله عن المؤمنين في قوله عز وجل : « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما » نعم ، وكانت تلك الآنسات العانست ، والنساء المترملات ، وجدن أمامهن أبواب الحياة السعيدة مفتحة ، وإذا لأ وصدت مغاليق الشر في وجوه الشياطين : شياطين الانس وشياطين الجن ، ودرفت على الأمة ألوية السعادة والطأ نينة ، وتجلت بحلل المجد والنضار ، والشرف والصون والعفاف . فوحقك ما أوقع النساء في هذه المهاوى الساحقة إلا إعراض الرجل عن ابتناء صروح السعادة المنزلية ، وخوفهم من ثقل الأعباء في التكاليف المعيشية ، فيسرح الرجل ويمرح ، ويتاهى ويتسلى ، بل يتسكع في الطرقات والمجتمعات حتى يبدوله خيال امرأة تروقه فيتبعه النظرة فالحسرة ، فتحس تلك أن هذه بوادر الغرام والهيام ، فتسلكها هي عسى أن تنصيد ، وتبدأ بينهما متاورات الخداع المتبادل من الطرفين ، كل يحاول أن يعيث بصاحبه ، وأن يكون هو الصائد للبه :

ولكم من يروم يصطاد فاصط يد ولم يلق غير خفى حنين

وما هي إلا همسة حرف ، أولحة طرف ، حتى يشتبك في معركة حامية إلا أنها باردة ،  
ودامية إلا أنها لذيدة ، ثم يتفاصلان متساخطين متلاعنين ، والشيطان من بينهما يضحك  
عليهما ، وقد بلغ منهما مراده ، وأدرك منهما ثأره ، وشقى شيئا من غيظه الذي أصابه  
من لعنة الله له لعدم سجوده لأبيهما آدم من قبل . ثم هل تقتصر شرور هذه المعركة  
وخسائرها عليهما ؟ لا ، بل تترك بين الجنسين غارات لا تنتهي ، والسلاح في كل موقعة  
واحد : سلاح الخديعة والتغريب ، والمواربة والتدليس ، حتى تستحكم حلقات الشر بين  
الطرفين ، ويسىء كل منهما الظن بل الاعتقاد في صاحبه ، فلم يبق إلا رضا كل منهما  
بأن يلبس صاحبه على علته ، وكل منهما عالم بما في نفسه ونفس غيره ، والله بصير بالعباد .  
نعوذ بالله نعوذ بالله ! نالله إنا لنخال المرأة وهي الجانب الضعيف في هذه المعركة  
وإن كان كثير يظنونها أصل البلاء — تخالها ما انحدرت الى هذا الدرك إلا مضطرة  
مقسورة ، وإنها مهما بلغت بها الرذيلة لتأسف وتحزن على نكد طالعها وحرمانها  
من حياة سعيدة مضمونة العواقب ، مستقرة راسخة ، في الشباب والشيخوخة ،  
في الصحة والمرض ، في الجمال والتشويه ، حياة راسية على قواعد ثابتة .

لا نعلم امرأة تشذ عن ذلك إلا في ندرة لا تكاد يعتد بها ، وما انزلت المرأة الى  
تلك الهاوى إلا في طريق بحثها عن تلك الحياة السعيدة ، وما بحثت عنها ولا سمت اليها إلا  
بعد أن أعيها الانتظار الطويل ، لتكون هي المطلوبة المخطوبة كما هو المتبع في محاسن  
العادات . وما أعيها الانتظار إلا لأعراض الرجال عن الحياة الزوجية ، وجبنهم أمام  
تكاليفها ، وتصورهم لها بصورة غول مفزع فظيع . ولو أن الناس عقلوا الحياة على وجهها ،  
وتصوروا ما تحتويه المنازل السعيدة من استمتاع بالذرية ، وقرة عين بالأهل ، وفرح  
قلب بحبة حقيقية مؤنسة ، شعارها الإخلاص المتبادل ، وقوامها ارتباط سعادة كل  
من الطرفين بسعادة صاحبه ، إذأ لقالوا جميعا : ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة  
أعين واجعلنا لمتقين إماما ، وإذا لذاقوا حلاوة السكينة والمودة والرحمة المشار اليها

في قوله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » . وإذا تفرقت النفوس في جوارحها ، واطمأنت الفتيات في خدورها ، واستشعرت قلوب الرجال لذة الثقة والطمأنينة لمن تعاشره وتعاشرها ، ودخل جمهور المسلمين تحت لواء قوله تعالى : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » . يأبى المساهون : لم يقفل الباب ، ولم يزل الشر محصورا في طبقات قليلة . ونحن إذا هالنا أمره واستنفطنا خطبه ، فإنما هو لأن القليل من المرض ينسى الكثير من الصحة . فتناشدكم دينكم وركبكم ، ونحونكم وشرفكم ، إلا ما تدركنم الأمر قبل استفحاله ، وعالجتم الداء قبل استحكام وباله ! والله ولي التوفيق ، وهو الهادي إلى أقوم طريق .

ابراهيم الجبالي

## كلمات بليغة مأثورة

مدح خالد بن صفوان رجلا فقال : قريع المنطق ، جذل الألفاظ ، عربي اللسان ، قليل الحركات ، حسن الاشارات ، حلو الشئائل ، كثير الطلاوة ، صموت قول ، لم يكن بالبرم في مروءته ، ولا بالهذر في منطقته ، متبوع غير تابع ، كأنه علم في رأسه نار .

ودخل سهل بن هرون على الرشيد فوجده يضاحك ابته المأمون فقال : اللهم زده من الخيرات ، وابسط له في البركات ، حتى يكون كل يوم من أيامه موفيا على أمسه ، مقصرا عن غده .

فقال له الرشيد : يسهل من روى من الشعر أحسنه وأجوده ، ومن الحديث أصحبه وأبلغه ، ومن البيان أفصحبه وأوضحه ، إذا رام أن يقول لم يعجزه .

فقال سهل : يا أمير المؤمنين ما ظننت أحدا تقدمني إلى هذا المعنى .

فقال هرون : بل أعشى همدان حيث يقول :

وجدتك أمس خير بني لؤي      وأنت اليوم خير منك أمس  
وأنت غدا تزيد الخير ضعفا      كذلك تزيد سادة عبد شمس

## بَابُ الْأَشْئِلَةِ وَالْفُتَاوِيِّ

### حديث (لا يبيع حاضر لباد)

ورد الى إدارة المجلة من حضرة صاحب التوقيع السؤال الآتي :

جاء في مجلة نور الاسلام في العدد الخامس من المجلد الرابع صفحة ٢٤٥ في بعض فتاويكم في البيع بالزيادة الفاحشة حديث استدلتكم به ، وهو : « لا يبيع حاضر لباد ، دعوا الناس في غفلاتهم يرزق الله بعضهم من بعض » . وزيد أن نعرف من خرج هذا الحديث ، وهل هو صحيح أم لا ؟ ثم إن الجملة الأولى في الحديث تفيد النهي عن بيع الحاضر للباد ، والجملة التي تليها وهي : « دعوا الناس في غفلاتهم يرزق الله بعضهم من بعض » تفيد عدم النهي عن البيع .

فظاهر الحديث يفيد التناقض ، وكذا يفيد عدم النصح للناس بعضهم لبعض . فترجو من فضيلتكم تحقيق الموضوع ، وإثبات أيهما أصح ، وأيهما يوافق الشريعة الغراء . والسلام عليكم ورحمة الله .

احمد ابراهيم محمود - بقنا

### الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .  
الحديث صحيح لا شك فيه ، وقد أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما كما ستعرف ، غير أن لفظة ( في غفلاتهم ) مدرجة من بعض لرواة ، وهو هكذا في كتب الفقه بهذا الإدراج ، والفقهاء كثيرا ما يكون فيما يذكرونه مثل هذا الإدراج ، وكثيرا ما يروون الحديث بالمعنى ، وهو جائز على الأصح عند المحدثين للعالم العارف بالمعنى المقصود .

أما قولك : إن فيه تناقضاً بين قوله : « لا يبيع حاضر لباد » وقوله : « دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض » فغير واضح ، لأن المعنى أن الحاضر العارف بأثمان السوق لا يكون سمساراً للبادى الذى يجهلها ، فلندع من جاء من البادية يبيع باجتهاده ، ويأخذ منه المشتري باجتهاده .

والبيع والشراء مبنيان على المغالبة والاجتهاد من كل من البائع والمشتري . فالجمله الثانية وهى قوله : « دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض » مؤكدة لما يستفاد من الأولى وهى قوله : « لا يبيع حاضر لباد » لا مناقضة لها كما تقول .

وأما قولك : إن فى ذلك عدم النصح فغير واضح أيضاً ، لأننا لم نعمل عملاً يسمى غشاً ، ولا قلنا قولاً يخالف الحقيقة أو يعد كذباً ، وليس فى المسألة إلا ترك البائع يبيع كما يشاء ، والمشتري يشتري كما يشاء . وسنة البيع والشراء مبنية على أن الصفقة تكون رابحة للمشتري مرة وللبائع أخرى ، ولا شئ فى ذلك ما لم يوجد غش أو كذب أو تلبيس ، وكل ذلك منفي فى موضوعنا هذا . وأظن أن الأمر صار واضحاً لا شبهة فيه .

أما الحديث المذكور فهو صحيح ، رواه كثير من المحدثين تارة باللفظ وتارة بالمعنى : فمن جابر رضى الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبيع حاضر لباد ، ودعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض » أخرجه مسلم فى صحيحه ، وأبو داود فى سننه ، والترمذى فى جامعه ، والنسائى فى صحيحه .

وفى أخرى للبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن أنس « نهى عن بيع حاضر لباد وإن كان أخاه لأبيه وأمه » . وفى أخرى لأبى داود والنسائى « وإن كان أخاه أو أياه » ، الى غير ذلك ، والله أعلم .

## الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

بعد المغرب

وورد أيضا من حضرة صاحب التوقيع هذا السؤال :

مولاي كثير من الناس يصلي على النبي بعد السلام من صلاة المغرب بصيغة « اللهم صل عليه » مائة مرة ، فهذا جعلني غير مستريح الخاطر من جهة هذه الصلاة ، فلذا اضطررت لكتابة الى فضيلتكم في هذا الصدد ، راجيا التكرم بالرد على صفحات مجلة نور الاسلام حتى يتميز الحق من الباطل . وأتهدى الى الله تعالى بالدعاء أن يعلى شأنكم ويطيل عمركم .

وتفضلوا بقبول فائق احترامي .  
عبد المجيد أبو بكر سعيد  
مدرس بمدرسة الحوطة الغربية الازلامية

## الجواب

الاستنفار ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والدعاء عقب كل صلاة مفروضة مندوب مرغوب فيه . وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما « إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » . ولا فرق بين كون ذلك من واحد أو من جماعة ، غير أن رفع الصوت إذا أدى الى التشويش على المتبسين بمعبدة أخرى من صلاة أو تفكير ونحو ذلك ، منع ، لمعارض التشويش . وعيبك بالاعتدال ، وإياك والإفراط في كل ما تأتى وتذر .

وأما الصيغة التي يصلي بها على النبي صلى الله عليه وسلم فهو خير فيها ، وكذلك العدد الذي يشاؤه ، وكلما أكثر ازداد من الخير . غير أنه يطلب منه ألا يقتصر على الصلاة ، بل يضم إليها السلام ، ويذكر الأكل أيضا ، فهذا هو الأكل والافضل . وربما أفضنا في بيان فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في فرصة أخرى إن شاء الله .



## الرضاع

ورده أيضا من حفرة صاحب الترويق السؤال الآتى :

يوجد ببلدة الحامولى التابعة لمركز إيشواى بمديرية الفيوم رجل عالم تلقى العلم بمعهد طنطا من زمن ، يفتى لأهل بلده وضوحيا بأن الداية التى تولد النساء وترضع البنين والبنات بمجرد وضع الحمل لمدة يومين وثلاثة حتى ينزل اللبن بشدى المرأة التى وضعت حمها لا يحرم زواج بعضهم لبعض . وكذا الغزيرة التى ترضع أطفال البلد لذكور والإناث ، فإنهن كمنفعة عامة ، فهن لا يحرم من أحدا على أحد . ومثلهن المستأجرة التى ترضع ابن هذا وبنت ذاك . ثم قال : إن لجارة إذا أرضعت أولاد الغير لا يحرم بعضهم على بعض ، والحرمة لا تكون إلا للرضعة نفسها ولأصولها وفروعها فقط ، لمن أرضعته ، سواء أكانت غزيرة أو داية أو جارة أو مستأجرة .

فأتمس من مكارم فضيلتكم الإجابة الشافية عن هذا الموضوع ، جعلكم الله نورا وهدى للناس فى الدارين .  
 الفغيعى إبراهيم عوض  
 رئيس مدرسة الحامولى الانزامية - فيوم

## الجواب

كل من أرضعتهم القابلة من أطفال النساء بعد الولادة يصيرون إخوة من الرضاع لا يجوز بعضهم لبعض . وكذلك جميع من أرضعته المرأة المستأجرة من أولاد الناس يصيرون إخوة بالرضاع : لا يجوز نكاح الذكور منهم للإناث . وأيضا جميع من أرضعته المرأة المغنية المشهورة بالغزيرة من أطفال الناس عند جوبها البلاد إخوة من الرضاع لا يجوز نكاح بعضهم لبعض .

قال الله تعالى فى بيان المحرمات : « وأخوانكم من الرضاعة » .

وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » وقد حكى بعضهم الإجماع على أن الرضاع يحرم كالنسب ، إلا فى مسائل ليست هذه منها .

## النشوق في رمضان — الزنا

وورد من حضرة صاحب التوقيع السؤالان الاتيان :

قال السائل بعد الديباجة :

- ١ — هل النشوق مباح في رمضان أم لا ؟ أرجو شرح حكمه بالبيان الشافي .
- ٢ — زنى رجل بامرأة فهل يجوز له أن يتزوج بنتها ؟ أرجو أن تفتونا في ذلك بحكم الشرع الشريف حتى يتبين الرشد من الفی . جزاكم الله عنا خير الجزاء .

محمد محمد عمر شاهين

مدرس بمدرسة بركة الرطلى الازلامية

## الجواب

- ١ — يمنع النشوق وشرب الدخان . ومتى وصل النشوق أو الدخان للحلق أدى الى الفطر ووجب القضاء . ويكره مضغ شيء كاللادن أو التمر بمضغ لا طعام صبي مثلاً ، فإن تحلل منه شيء ووصل الى الحلق أفطر الصائم ووجب عليه القضاء ، وإلا فلا .
- ٢ — الأرجح من مذهب مالك أن من زنى بامرأة جازله أن يتزوج ابنتها التي لم تتخلق من مائه ، لأن الزنا لا قيمة له في نظر الشارع في مثل هذا ، والمعدوم شرعا كالمعدوم حساً ، فلا ينشر الحرمة ، والمقابل يقول بالتحريم . أما بنت الزنا التي تحلقت من مائه فلا يجوز له الزواج بها ، خلافاً للشافعية ، وبواقعهم ابن الماسجون من المالكية . وقد قال في أقرب المسالك : « ولا يحرم الزنا على الأرجح » . قال الشارح : « فن زنى بامرأة جازله أن يتزوج بأصولها وفروعها ، وجازت هي لأصوله وفروعه » وقال في الرسالة : « ولا يحرم بالزنا حلال » .

وقال في متن الدردير أيضاً : « وحرم الأصل والفرع وإن من زنا » . أى يحرم

على الشخص نكاح أصله كأمه وجدته ، كما يحرم عليه نكاح فرعه ، سواء أنشأ عن نكاح أم عن سفاح كالبنات التي تخلقت من مائه ، والله أعلم ؟

## الصلاة خلف المخالف

وورد أيضا من حضرة صاحب التوقيع ما يأتي :

- ١ - رجل مالكي المذهب صلى الظهر خلف إمام شافعي ، وبعد تمامها أعاد الإمام صلاته مع جماعة أخرى ، فهل صلاة المالكي صحيحة أم لا ؟
  - ٢ - رجل مالكي المذهب صلى إماما لشافعية ، وبعد الصلاة أعادوا صلاتهم خلف غيره ، فإذا يكون الحكم : هل صلاته صحيحة أم لا ؟
- زيدان سعد راجب الطحاوي

## الجواب

صلاة المالكي في الصورتين صحيحة . أما في الأولى فلائها فرض خلف فرض ، وإعادة الشافعي لها لا يؤدي الى كون صلاته الأولى وقعت نافلة حتى تبطل صلاة المالكي خلفه . فهذا هو الذي ينبغي التمسك عليه ولا يلتفت لخلافه .  
وأما في الثانية فلا لأن الإمام المالكي أدى صلاته مستوفية لشروطها وأركانها ، فلا يؤثر فيها إعادة المأموم الشافعي بعد الفراغ ولو تكررت مرارا ، والله أعلم ؟

## الإيمان غير المعتبرة

وورد من حضرة صاحب التوقيع السؤال الآتي :

إمام مسجد تقوه بالفاظ يجعله في عداد الفقراء غير الصابرين ، فسمع هذا القول رجل يحقد على الإمام فقال : « أكون على غير دين الاسلام إن صليت خلف هذا

الامام . ومن هذا اليوم ترك الصلاة خلف الامام حتى قريضة الجمعة ، فهل يعتبر ذلك عيماً يجب التكفير عنه ؟ أرجو الايضاح ولفضيلتكم أجل الشكر .

استبيان ابراهيم منصور مساعد

## الجواب

من قال : هو يهودى أو نصرانى إن فعل كذا ، لا يلزمه غير الاستغفار ، ولو فعل المحلوف عليه . قال الشيخ المدوى فى حاشية أبى الحسن بعد كلام : « ولو قال إن فعل كذا يكون مرئداً أو على غير ملة الاسلام فكذلك » يريد لا شئ ، عليه غير الاستغفار ، لأن هذه الألفاظ لا تنمقدها يمين . واليمين إنما تكون بالحلف بالله

بوسف الدمجوى المالكي  
من هيئة كبار العلماء

أو صفة من صفاته ، والله أعلم

### سجود التلوة — الاذانه والاقامة عند قضاء الفرائض

سؤال الموءودة بأى ذنب قتلت — فضل صلوة الجمعة

وورد الى المجلة من حشرة صاحب التوقيع هذه الأسئلة :

١ — ما حكم قارئ القرآن إذا مرّ على سجدة ولم يكن بحل يصلح السجود فيه : هل يفوتها ويقرأ ما بعدها أو وجب عليه السجود بمجرد نظره إياها ؟ فإذا كان كذلك فما العمل فى السجود ؟

٢ — معلوم فى الصلاة أن القضاء أفضل من التفل ، فهل يجب على المصلى إقامة الصلاة للقضاء ، أم يكفى الأذان الشرعى ، أو أذان قيام الصلاة إذا كان بعد صلاة الفرض ؟

٣ — ما المقصود بقوله تعالى فى سورة التكاوير : « وإذا الموءودة سئلت بأى

ذنب قتلت « فلماذا لم تكن هي التي تسأله تعالى عن سبب قتلها؟ وكيف يكون الخالق يسأل المخلوق؟

٤ — لماذا فضلت صلاة الجماعة صلاة الفذ يبضع وعشرين مرة مع أنها لم تذكري القرآن الكريم والمقصد من الصلاة كلها طاعة الله وتنفيذ أوامره الكريمة؟ وما حكم من كان محله بعيداً عن المسجد ولكنه يسمع الأذان بصعوبة وأحياناً بسهولة؟

٥ — ما الحكم في التاجر إذا أخذ منه أحد المشترين شيئاً وقيده عليه بالصف ولم يقيد الثمن تاركاً تقدير الثمن عند الدفع ويتسلم منه بحسب طول المدة، فهل في ذلك تحريم؟

٦ — هل إذا شاء الله ودخلنا الجنة نكون بشبه أجسامنا وحالتنا هذه التي نحن عليها في الدنيا؟ وهل يعرف القريب قريبه والصاحب صاحبه؟ وهل نذكر ما كنا نعمله في الدنيا من خير وشر ونحوه؟ وهل في الجنة ليل ونهار؟ وهل نرى ربنا عياناً ونبيننا صلى الله عليه وسلم وجميع الأنبياء والملائكة المقربين؟

محمد حمدان الأهم — تاجر بالعرش

## الجواب

١ — نص علماء الحنفية على أنه يكره للقارئ ترك آية السجدة وقراءة باقي السورة، لأن فيه قطع نظم القرآن، وتغيير تأليفه، واتباع النظم والتأليف مأموره. وعلل الامام محمد بن الحسن الكراهة في الجامع الصغير بأن في ترك قراءة آية السجدة هجر شيء من القرآن، وذلك ليس من أعمال المسلمين، وبأنه فرار من السجدة، وذلك ليس من أخلاق المؤمنين.

ونصوا كذلك على أنه يستحسن للقارئ إخفاء آية السجدة عن السامعين إذا علم أنهم على حال لا يتمكنون معها من السجود، لأنه لو جهر بها لأوجب عليهم شيئاً ربما

يشكاسلون عن أدائه فيما بعد، فيقومون في الممصية . ثم سجود التلاوة إنما يجب على التالى بالتلاوة، وعلى السامع بالسماع . وأما مجرد النظر الى آية السجدة فى مصحف أو غيره فلا يوجب السجود .

مما تقدم يعلم أنه يكره للقارئ إذ وصل الى آية السجدة أن يتركها ويقرأ ما بعدها، وأنه إذا علم أن سامعيه ليسوا متهيئين للسجود كان الأحسن له تلاوتها سرا حتى لا يعرضهم للوقوع فى الممصية . أما إن علم أنهم متهيئون للسجود جهر بها، إلا إذا علم أنه يشق عليهم أداء السجدة، فإن لم يكن له علم بحالهم فالأحسن إخفاؤها .

٢ — الأذان والإقامة سنتان مؤكدتان عند أداء الفرائض الخمس فى أوقاتها، أما إذا خرج وقتها فإن كان عليه فائضة واحدة أذن لها وأقام فى غير المسجد، وإن كان عليه فوائت مجتمعة وأراد قضاءها فى وقت واحد فى مجلس واحد، فإنه يؤذن ويقم للأولى منها، ويخير بين الأذان والإقامة والاقتصار على الإقامة فى الباقى . ويسن فى تأديته للقوائت أن يرفع صوته لو كان يقضيها فى جماعة أو صحراء لا فى المسجد، وأما إذا كان يقضيها منفردا فى بيته فلا يبالغ فى رفع صوته، وإن كان يقضيها فى المسجد ترك الأذان رأسا دون الإقامة، لأن فيه تلييسا على الناس .

٣ — كانت عادة وأد البنات فاشية عند العرب فى الجاهلية، وهى عادة مردولة مستهجنة تنفر منها الطباع وتنكرها الشرائع، لما فيها من قتل النفس بغير حق . ولقد نعى القرآن عليهم هذه العادة وأنكرها، قال تعالى فى سورة النحل : « وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب، ألا ساء ما يحكمون » .

ولقد صور الله جريمة الوأد فى سورة التكويد تصويرا ينفر الناس منها ويتنعم من وقوعها، فقال تعالى : « وإذ ألهموادة سئلت بأى ذنب قتلت » فجعل الموءودة مسئلة ومن حقها أن تكون سائلة عن قتلها بغير ذنب، تحقيراً لشأن الوأد، وأنه لعظم ما ارتكب

من الإثم ساقط عن درجة الاعتبار، فلا يصح أن يوجه إليه الخطاب. ثم هذا سؤال في يوم تجتمع فيه الخلائق ويرى كل ما اقترف من الإثم، تسأل فيه المورودة فتظهر بريئة لا ذنب لها، وأن الجريمة التي وقعت عليها لا شيء يبررها، وفي ذلك من الإيلاء والتوبيخ لمن فعل هذا ما لا يدرك كنهه، وفيه من التعريض بالجاني ما لا يخفى.

٤ - صلاة الجماعة سنة من سنن الهدى لا يرخص في التخلف عنها إلا لعذر، بل لقد قيل إنها واجبة، وقد وفق السكّال في فتح القدير بين القولين بأن مراد من قال بالوجوب وجوب الحضور لها أحياناً، ومن قال بالسنية سنية المواظبة عليها.

وقد طلبها الشارع وشدد في طلبها وتوعد على تركها. وقد قال صاحب البدائع: ثبت وجوبها بالكتاب والسنة وتوارث الأئمة: أما الكتاب فقوله تعالى: «واركعوا مع الرّاكعين» وذلك يكون في حال المشاركة في الركوع، فكان أمرًا بإقامة الصلاة في جماعة، ومطلق الأمر لوجوب العمل. وأما السنة فما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس فأنصرف إلى أقوام تخلفوا عن الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم». ومثل هذا لو عيد لا يكون إلا على ترك واجب. وأما توارث الأئمة فلأن الأئمة من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا واظلت عليها، وعلى التنكير على تاركها، والمواظبة على هذا الوجه دليل الوجوب.

وقد روى ابن ماجه عنه صلى الله عليه وسلم: «من سمع النداء فلم يأتها فلا صلاة له إلا من عذر». قال الحاكم: إنه على شرط البخاري ومسلم. وروى أبو داود وأحمد والحاكم عن ابن أم مكتوم: «أنه قال: يا رسول الله إني ضرير (كفيف البصر) شامع الدار، ولى قائد لا يلائني، فهل تجد لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال: نسمع النداء؟ قال: نعم. قال: ما أجدر لك رخصة»

من هذا يعلم أن صلاة الجماعة سنة مؤكدة إن لم تكن واجبة، وأن بعد الدار عن مسجد الجماعة لا يرخص في التخلف عنها مادام الأذان مسموعاً.

ولما في صلاة الجماعة من المزايا التي أهمها ارتباط قلوب المؤمنين واجتماع كلمتهم وبت روح التألف بينهم ، فضلت صلاة الرجل في الجماعة صلاته في بيته أو سوقه بسبع وعشرين درجة ، كما جاء في الحديث الصحيح .

هذا وأما السؤالان الخامس والسادس ، فقد سبقت الإجابة عنهما في المجلة مرارا ، فلا داعي لتكرار الإجابة عنهما ، والله الهادي الى سواء السبيل .

حسين اليبوي الحنفي ، عبد السلام العسكري الحنفي  
بكلية الشريعة الاسلامية

### الظهار — الامانة — الزنا

وورد أيضا من حضرة صاحب التوقيع الاسئلة الآتية :

١ — شاب لم يتزوج قال هذه الجملة عدة مرات : « إذا لم أتزوج بفلانة بنت فلان فالنساء على كظهر أمي » وقد تزوجت المقصودة بغير الشاب الذي كان يردد الجملة السابقة ، فهل يقع اليمين ؟ وفي أي مذهب ؟ وما الذي يفعله هذا الشاب إذا أراد الزواج ؟ وما العمل إذا كان اليمين واقعا ؟ وعلى أي مذهب يكون عقد زواجه ؟ وهل لهذه ليمين كفارة ؟

٢ — رجل أعطى آخر مقدارا من المال ليحفظه له كأمانة ، ولما أخذ الرجل المال تاجر به من غير إذن صاحبه ، ولما طلبه منه قال له : إن المال ليس معي الآن ، وكتب له به إيصالا لأجل معلوم ، وهذا الإيصال ينص على فائدة قدرها تسعة في المائة ، فهل يجوز لصاحب المال أن يشكو المدين ويأخذ منه فائدة تسعة في المائة بحجة أن هذه الفائدة من أرباح التجارة التي استعملت فيها نقوده ؟ وهل إذا أخذها تعد ربا ، مع العلم بأن هذه النقود مستعملة في التجارة الى وقت أجلها والمدين ليس في احتياج إليها ، بل لم يعطها لصاحبها لوجودها عند أناس أخذوا بها أشياء تجارية للأجل للمعلوم ؟



- ٣ — تاجر يبيع صنفا من التجارة آجلا بمبلغ يزيد على العاجل ، مثال ذلك أنه يبيع الأردب من القمح بمبلغ جنيه مصرى عاجلا ، ويخنيه ونصف آجلا ، فهل الزيادة تعد ربا ؟
- ٤ — رجل زنى باسرة فأنت منه بنت ، فهل هذه البنت تحل زوجة لابنه الشرعى ؟ وما تفصيل ذلك على المذاهب الأربعة ؟

حسن عبد الله محمد سويلم  
مدرس بمدرسة الحبيلات الشرقية

## الجواب

- ١ — نص الحنفية على أن الظهار تشبيه المنكوحة بمحرمة عليه على التأييد ، وعلى أنه يكون منجزا كقوله لامرأته : أنت على كظهر أمى ، ومضافا الى سبب الملك كقوله لأجنبية : إن تزوجتك فأنت على كظهر أمى . أما غير ذلك فلا يكون ظهارا . فاللذكور بالاستفتاء ( إن لم أتزوج فلانة فالنساء على كظهر أمى ) لا يكون ظهارا ، لأن النساء اللاتي جعلن عليه كظهر أمه لم يكن فى ملكه وقت صدور القول منه ، ولم يصف الظهار منهن الى ملكهن ، فكان ماصدر منه لغوا لا يترتب عليه كفارة ، وله أن يتزوج بمن يشاء من النساء من غير توقف على شيء يلزمه .
- ٢ — من كان عنده أمانة لغيره لا يحل له أن يتصرف فيها بتجارة ولا بغيرها ، وإذا تصرف فيها كان ضامنا ، وليس لصاحب الأمانة أن يأخذ زيادة على ما كان له كائنه ما كانت الزيادة ، لأنها ربا ، ولا عبرة بكون الزيادة من ربح اتجار الأمين بالأمانة .
- ٣ — سبقت الإجابة عليه فى عدد ربيع الآخر من هذه السنة .
- ٤ — نص الحنفية على أن من زنى باسرة فأنت منه بنت ، حرمت هذه البنت عليه وعلى أصوله وفروعه ، فلا يحل لابنه الشرعى أن يتزوجها ، والله الهادى الى سواء

السبيل  
حسين البيومى ، عيد اسلام العسكرى الحنفى  
بكلية الشريعة الاسلامية

## الكراء

—\*~\*

وورد من حضرة صاحب التوقيع سؤال قال فيه بمد الديباجة :

إن إنسانا اكترى حانوتا من آخر بخمسة وسبعين فرنكا في كل شهر، فاذا انقضى الشهر أعطى صاحب الحانوت ما ذكر، ولا زالا على ذلك مدة تنوف عن سنتين ثم إن المكري قال للمكترى: عجل لي كراء ثلاثة أشهر وأكرها لك بستين فرنكا، وعقدة الكراء الأول لا زالت على حالها بحيث إذا تمت الثلاثة لأشهر رجعا للكراء الأول، وهو خمسة وسبعون فرنكا. فهل هذه المسألة تجوز أم لا تجوز؟ فذهب الفقير وهو كاتب الحروف لتفضيلتكم الى الجواز، لأن مسألة منع وتعجل النصوص عليها بالمنع عند الفقهاء لا تنجى هنا لعدم الدين بالكلية في ذمة المكترى. وذهب الغير من حذاق بلدنا الى المنع متمسكا بتلك القاعدة، لأنه إذا انقضى الأجل يقبض من نفسه لنفسه تلك الزيادة وهي خمسة عشر فرنكا، وقد قرروا أن من عجل ما أجل عد مسلفا، فيكون سلنا جر تقضا، فقلت له: إنما يظهر ذلك لو كان المكترى ذمته عامرة بالدين، وحيث إنه لا دين عليه بالكلية فأى شيء يضعه حتى يحكم على هذه الصورة بالمنع، وتكون حينئذ من مشمولات منع وتعجل؟ فصمم على المنع.

ومن أجل هذا الاضطراب كاتبت فضيلتكم قاصدا تبين ما هو الحق في المسألة:

أهو الجواز أم المنع؟ ابن فقرون احمد بن الحاج القربى السالكي

## الجواب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه.

وبعد: فجوابنا عما سألت عنه هو أن صورة الحل التي لا شك فيها هي ألا يكون المكري والمكترى متمسكين بالعقد الأول، ولا متفقين على ما فيه. ولهما بعد

الأشهر الثلاثة أن يرجع اليه إن شاء ، وأما مادام الاتفاق بينهما على أن العقد الأول باق كما فى نص السؤال ، فالحيلة واضحة ، ونقص الأجرة إنما هو للتعجيل . فإن العقد الأول لم يفسخ ، وسيرجعان للعمل به بعد تلك المدة بناء على ما بينهما من الاتفاق ، وهنا ظاهر جدا فى أنه لم يبطل أثره ، وأن النقص إنما هو للتعجيل ، والعقد على ما هو عليه . وقد يكون هذا فى أثناء الشهر .

والعمل على أن الشهر متى حل لزمته الأجرة المكترى ، بل تسليم المفاتيح وتمكينه من الانتفاع يعد قبولا والتزاما لأجرة الشهر فى العرف .

وبهذا الاتفاق القولى أو العرفى الجارى مجرى المعاوضة فى البيع صارت ذمته مشغولة بأجرة هذا الشهر على مقتضى العقد الأول ، فإذا عجل له ستين فرنكا عد مسلفا وقد انتفع بالخمس عشرة الباقية . ولا مناص من ذلك فى الشهر الأول الذى حصل فيه الاتفاق على النقص والتعجيل . على أن ذلك إن كان فى آخر الشهر وقبل حلول الشهر الذى يليه فلا يجدى أيضا ، لاتفاقهما على بقاء العقد الأول كما هو مصرح به فى نص السؤال .

هذا هو مقتضى قواعد مذهب مالك الذى مبناه على منع الخيل وسد الذرائع . فالخلص ألا يكون بينهما اتفاق أصلا ، وأن يخرجنا من الاتفاق الأول الذى كان فى العقد الأول الى اتفاق جديد ساكتين عما وراء ذلك . ولهما بعد انقضاء المدة أن يرجعا للعقد الأول إن شاء . أما الاتفاق على بقاء العقد كما هو صريح السؤال فلا ينبغى أن يفعله من يستبرى لدينه وعرضه . وملاك الدين الورع .

ولا يسهل على وأنا مالكي عمرى أن أفنى بنير هذا ، والله يتولى هداانا جيما بمنه وكرمه

برسيف البربرى

من هيئة كبار العلماء بالأزهر

## العناية بالصحة في الاسلام

شرع الاسلام ليكون ديناً عملياً لا خيالياً ، ولذلك لم يترك صغيرة ولا كبيرة مما يتصل بالحياة المادية والروحية للانسان إلا أتى عليها ، ووضع لها من القواعد ما يناسبها ، ومن أم ما عني به الاسلام الصحة البدنية ، ومن أوليات هذه الصحة النظافة ، وقد ندب الله اليها بوجه عام فقال تعالى : « إن الله يحب المتطهرين »

فرض الاسلام على الرجال والنساء الاستحمام من الجنابة ، وخص النساء بوجوب الاستحمام من الطمث أيضاً . وندب الى الاغتسال أيام الجمع وأكد فيه ، حتى عده بعض العلماء واجباً . وشرط لصحة الصلاة الوضوء . ولما كانت الصلوات خمساً كان على كل مسلم ومسلمة أن يتوضأ في كل يوم مرات . والوضوء من أجمع وسائل النظافة ، وأعودها على صحة الأيدان بالفوائد الجليلة . فقد ثبت أن الأتربة التي تتصاعد في الجو تحنوى على كثير من جراثيم الأمراض ، فتثبت في حوافي الجفنين ، فتصيب العينين بالأوماد المنوعة ، وتسرّب الى الأنف والحنق فتكون سبباً في أمراضهما المختلفة ، وتندس الى الأذن فتحدث فيها آفات السمع . وتتخلل بقايا الأطعمة ثانياً الفم فتتولد فيه جراثيم مرضية من ضروب شتى . فالوضوء بقى المسلمين والمسلمات من هذه العوارض كلها ، فإنه يبدأ بنفس اليدين ، والمضمضة ، وتطهير الأنف باستنشاق الماء ونثره ، وبغسل الوجه وفيه العينان ، وبلى ذلك غسل الذراعين الى المرفقين ، وهو أقصى ما يحتمل أن تصل اليه الأوساخ من الخارج ، ويجئ بعده مسح الرأس والأذنين من الداخل والخارج ، ومسح العنق ، وغسل الرجلين ، فيتم بذلك للانسان القيام بعمل مسمى أصبح العلم العصرى يندب إليه الناس ، مكافئة للأمراض الثقيلة التي تعترى

هذه الأعضاء وتتصل منها بالأعضاء الرئيسية فتصيبها بأفدح الأدواء .  
وقد شدد الاسلام في وجوب طهارة الماء الذي يستعمل في الاستحمام والوضوء ،  
وجعل هذا النظام في النظافة مقرونا بمعمل عبادي لتطهير الروح على أساس لا يمكن  
أن يتصوراً ككل منه للوصول الى درجة الطهر حسا ومعنى .

لم يكتف الاسلام فيما يتعلق بصحة أهله بما فرضه من الاستحمام والوضوء ،  
ولكنه سن سنة الاعتدال في كل شئ : الاعتدال في التغذى « كالأواثرهوا  
ولا تسرفوا » ، الاعتدال في الانفاق « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان  
بين ذلك قواما » ، الاعتدال حتى في الدين « إياكم والغلو في الدين ، فإنما هلك من كان  
قبلكم بالغلو في الدين » .

وعلى هذا الأصل المسكين بنى الرخص في العبادات ، فقصر الصلوات في الأسفار ،  
وقدر أنه يجزئ الناس من أعمال الصلاة ما يستطيعون عمله مراعاة لحالهم ، فقبل أن  
يصلوا جلوسا ، فإن لم يستطيعوا فضطجعين ، فإن لم يستطيعوا فبالإيماء على أى وضع  
كانوا ، فإن عجزوا عن قراءة آية من القرآن سقطت عنهم مراعاة للتيسير عليهم ، مصداقا  
لقوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

ورخص لمرضى والمسافرين أن يفطروا في شهر رمضان ، على أن يقضوا في زمن  
صحتهم الايام التي أفطروا فيها

وحرم التغذى بالدم ، والميتة ، ولحم الخنزير ، وما ذبح لغير الله ، والخمر ، واستثنى  
من ذلك من يدفعه الاضطرار الى تناول شئ منه محافظة على حياته ، فقال تعالى : « فمن  
اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » .

وأباح للذى يهدد بالقتل من أجل دينه أن يتظاهر بالكفر صيانة لنفسه ، فقال  
تعالى : « إلا من كفر وقلبه مطمئن بالإيمان » .

ومن شدة عنايته بصحة أهله حظره عليهم أن يأبوا العمل بهذه الرخص ، فإن

من الناس من يؤانسون من أنفسهم القوة ، فيحملهم حب الدين على العمل بالعزائم في مواطن الرخص ، فهناهم الاسلام عن ذلك وعده غلوا منهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » . وزاد هذا الأمر تأكيده فقال : « من لم يقبل رخصنا فليس منا » .

وجرى الاسلام على هذا الأصل في كل ما يخالف الاعتدال ، وبشبه الغلو لدى تهى عنه . من ذلك ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا طاعنا في السن يمشى وهو يتهادى بين ولديه ، فسأل عنه فقيل له إنه نذر أن ينجح ماشيا على قدميه . فقال : « إن الله غنى عن تعذيب هذا نفسه » احموه » فحموه على بعير .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم استدعى عبد الله بن عمرو بن العاص وكان ورعا كثير العبادة ، وقال له : « ألم يبلغني أنك تقوم الليل وتصوم النهار ؟ قال : بلى يا رسول الله وإني على ذلك لقادر . فقال : كلا ، بل نم وقم ، وأفطر وصم ، إن لبدنك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا ، وإن لزورك ( أى لزأربك ) عليك حقا » الحديث . فتأمل في قوله إن لبدنك عليك حقا ، تعرف مبلغ ما يعنى به الاسلام من أمر الصحة البدنية ، حتى ولو كان الإنسان يبذلها في العبادة ، لأن هذا الدين إنما شرع لسعادة الحياتين لا لسعادة إحداها دون الأخرى ، وقد أرشد الله عباده أن يتوجهوا اليه بالدعاء . ويطلبوا منه أن يرزقهم السعادين جميعا ، فقال تعالى : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة » وأمرهم أمرا صريحا بأن لا يهملوا أمر دنياهم فقال : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك » .

على هذا الوجه فهم المسلمون الأولون الاسلام ، وقد حكى الله عنهم ذلك فقال : « وقيل للذين اتقوا ما أنزل ربكم ، قالوا خيرا ، للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ، ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين » .

من الناس من يتركون الاحتياط لصحتهم قائلين توكلنا على الله ، ظانين أن التوكل

عليه تعالى ينافى الاحتياط ، وهو خطأ كبير ، فإن التوكل على الله لم يطلبه الاسلام بهذا المعنى ، ولكنه بمعنى الاعتماد عليه تعالى بعد استيفاء كل وسائل التحوط التي يدرها العقل ، وتدخل في حيز القدرة البشرية ، قال الله تعالى : « فإذا عزمنا فتوكل على الله » أى فإذا عزمنا على أمر ، ورأيت أنه أولى بالمضى فيه بمدإ عمل الروية في تدير وسائله ، فامض فيه مستعيناً عليه بمعوة الله . ويدل على هذا دلالة صريحة أن رجلاً قال يا رسول الله : أترك ناقتي بلا عقل وأتوكل على الله ؟ فقال : كلا ، اعقلها وتوكل . أى اتخذ كل الأسباب التي تمنعها الإفلات ثم توكل على الله . وإلا فإذا يكون معنى قوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ؟ أليس الانسان مأموراً بهذا النص الكريم أن لا يتعرض للهلاك مادام يعتقد أن ما يأتيه مجازفة بنفسه ؟

ومما يناسب هذا المقام قوله صلى الله عليه وسلم : « تَقَفَّ وَتَوَقَّ » ، أى تنظف وتطهر واحذر ما يضرك . فاحذر لا ينافى التوكل ، بل المسلم مأمور به ، وإلا فيكون من الذين يلقون بأنفسهم في التهلكة ، وهو عصيان صارخ للأوامر الإلهية . وزاد النبي صلى الله عليه وسلم هذا المقام تجلية فقال : « المؤمن كيس فطن حذر » فجعل من صفات المؤمن التعقل والفتنة والحذر ، وكلها حوافظ للذات لا تستقيم الحياة إلا بها . فإن الذى لا يتعقل ما هو بصدده نعم عليه وجوه النجح فيه ، ومن كان غيباً لا يقدر العقبات ، ولا يتخيل القواطع ، يوشك أن يترطم فيما لا قبل له به فيفوته مطلوبه ، ومن لم يكن حذراً أقدم على المهالك بلا روية ولا احتراس ، فلا يبعد أن يحتاجه ولا كرامة ، وليس هذا من شأن المسلم الذى وعد أن تكون له سعادة الحياتين .

وكما كان الناس قبل اكتشاف الميكروبات يجولون حكمة وجوب الوضوء ، كذلك كانوا يجولون حكمة الاسلام في صد الناس عن البول والنغوط في المياه حتى مياه الأنهار الجارية ، فكانوا يظنون أن اندفاع المياه بقوة إلى البحر يحرف كل ما يلقي فيه من قدر وقذى ، ويبعد أذاه عن الناس أجمعين . ولكن لما اكتشف مرض البلهارسيا

أدرك الناس حكمة الدين ورأوا في ذلك معجزة علمية للإسلام تضاف الى سائر معجزاته الأخرى .

ونحن وقد تأدى بنا الكلام الى ذكر البلهارسيا نرى من واجبنا أن ندلى بكلمة فيه ، فإنه الداء الذى يزرع تحت كلا كلة أكثر من نصف المصريين :

داء البلهارسيا هو البول الدموى الذى يصيب القرويين لا فرق بين الرجال والنساء والأطفال ، ويكون مصحوبا بضعف في البنية ، وشحوب في اللون ، ونحول في الجسم وخفقان في القلب ، وهو منتشر في القرى انتشارا عظيما حتى إن عدد المصابين به في بعضها يبلغ ٨٣ في المائة من أهلها ، وهذا أمر لا يمكن السكوت عليه ، لذلك عُنيت الحكومة المصرية بمكافحته ، وبذلت في ذلك السبيل أموالا جمة ، حتى وفقت الى معرفة أسبابه ، وطرق الوقاية منه ، وكيفية علاجه ، ومن الغريب أن استئصاله يتوقف على الاهتمام بأمر الدين في عدم البول والتبرز في الجداول والترع والنيل .

كان مرض البول الدموى معروفا لنفرا عنة الأقدمين وقد وجدت له وصفات طبية في متخلقاتهم ، ولكنها لا تشفيه .

فلما تولى مصر رأس الأسرة الملكية ، وفتح المدارس لنشر العلم ، كان من بين مدرسى مدرسة الطب الدكتور ( بلهارس ) ، فهاله ما رأى من انتشار البول الدموى في القرى المصرية ، فأكتب على دراسة سببه حتى اهتدى اليه ، فوجد أنه مسبب من ديدان صغيرة دقيقة ثلوية في كليتي المصاب به ومثاته ، فإذا بال في الماء نزل عدد منها مع بوله وسبغت في الماء ، فإذا استحم فيها إنسان أو شرب منها علقته به واخترقته ، وسبغت في دمه حتى تصل الى كليتيه ومثاته ، فتتشب فيها وتدميها وتصيب صاحبها بالأعراض التى ذكرناها آنفا .

وقد اجتهد كثير من الأطباء في درس كيفية نشوء هذه الديدان ونشوبها في جسم الانسان ، قرأوا أن هذه الديدان مثواها الأول كلية لانسان ، وأنها تنفر زمته مع البول



هي وبويضاتها. ومتى وصلت البويضات للماء فلا تلبث إلا دقائق معدودة حتى تفقس ، فتخرج الديدان الى الماء ، فإذا أصابت جسم إنسان اخترقته حتى تصل الى كليتيه ومثاته ، وإذا لم تصادف إنسانا آوت الى بعض لقواقع وعاشت فيها .

فالوسيلة الوحيدة لحماية الناس من شر هذه الديدان هو الامتناع البات عن البول في المياه كما نذب اليه الاسلام .

وهناك ديدان أخرى يقال لها الانكليستوما تتسرب بويضاتها الى الأمعاء فتفقس فيها ، وتكبر حتى تبلغ الى شبر فأكثر ، وبعضها يصل الى نحو أربعين مترا وتسمى باللدودة الوحيدة . وأعراض هذا المرض كأعراض البلهارسيا ما عدا البول الدموى . وقد درس الأطباء سبب الإصابة به فوجدوه في نفوط المصابين به في المياه ، وهو ما نهى عنه الاسلام أيضا .

وقد أسست الحكومة المصرية مستشفيات لمعالجة هذين المرضين ، وحثت الأهلى على تقديم أنفسهم لها ليخلصوا من أعراضها الثقيلة ، وقد نجحت في ذلك نجاحا مآ ، ولكن متى أخذ الناس بتعاليم الاسلام في النهى عن البول والتفوط في المياه الرا كدة والجارية ، أمكن ملاشاة هذين المرضين وتخليص المصريين مما يسببانه من الآلام بقاءا . لم يترك الاسلام شيئا مما يتعلق بصحة الانسان إلا أتى عليه حتى الأسنان ، فإنه جعل من سننه الاستيأك ، ولو درى الناس ما في الاستيأك من الفوائد الصحية لأخذوا به ولم يهملوه يوما واحدا ، فقد ثبت أن بقايا الطعام تثبت في خلال الأسنان وفي قواعدها ، فتتعفن هناك ، ومعنى التعفن في عرف الطب حدوث ميكروبات ضارة فيها تتسرب الى المعدة فالدم بسبب علوقها بالغذاء الذى يمضغه الانسان ، فتكثر هناك وتصيب الجئان بأعراض مختلفة .

والطامة الكبرى أن يستشرى ضررها فتصيب الأسنان بالتهاب سحاقى يتسبب عنه تقيح في اللثة ، وتكون آ كياس صديدية في جذور الأسنان ، فاذا مضغ الانسان

الأغذية الثالث بالقبيح الذي يتحلب منها ، والقبيح مرتع لأخبث الميكروبات ، فتنزل الى المعدة وتسرّب منها الى الدم فتصيب الانسان بأفدح الأمراض .

ولكن الانسان لو أخذ بأوامر الشرع من استعمال السواك أو ما يقوم مقامه من فرشاة ، زالت هذه البقايا الغذائية من بين أسنانه وجدرانها أولاً فأولاً ، فلا تتكون فيها ميكروبات ، ولا يتعرض الانسان لما تحذره من السيئات .

وفي ترك الاستيائك رذيلة أخرى وهو إصابة الانسان بالبخر ، وهونتن ربح الفم ، فلو لم يكن في إهمال الاستيائك إلا هذه الآفة لكان فيها أكبر باعث على استعماله .

فالإسلام كما ترى يمزج المنافع الروحية بالمنافع الجسدية ليتأهل الآخذ به لسعادة روحه وسعادة بدنه . وقد ظهر أثر ذلك في حال المسلمين الأولين ومن جرى على سنتهم ، فكانوا أصنى الأسم أرواحاً وأقواها أجساداً .

هذه المزية في الاسلام لا توجد في أى دين من الأديان المعروفة لنا الآن ، بل فيها عكس ما قدمنا ، فإنها تفرض على ذويها مختلف الرياضات الجسدية للحصول على سلطان الروح بإضعاف الجسم ، فكان أثر ذلك أن تمكن منها أعداؤها وصرفوها عن الفضيلتين معا .

واليوم وقد اعتبرت تقوية الأجسام من موجبات تقوية العقل ، حتى قالوا : العقل السليم في الجسم السليم ، فسيجد الناس في الاسلام أكبر منشط لهم في تزوعم هذا ، وفي هذا دليل جديد على أن الاسلام يماشى الميول الانسانية الحقة من كل وجهه ما محمد فريبر ومبرى

## الاجوبة السديدة للمسئلة

قيل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : كم بين المشرق والمغرب ؟ فقال : مسيرة يوم للشمس . قيل له : فكم بين السماء والأرض ؟ قال : مسيرة ساعة لدعوة مستجابة .

## حول كزية الارض

ورد الى المجلة من الفاضل محمد فتح الباب بمناسبة ما جاء في العدد الرابع من المجلد الخامس من مجلة نور الاسلام خاصا بكزية الأرض :

١ - السؤال عما إذا كان في قوله تعالى : « والأرض بعد ذلك دحاها » ما يدل على أنها كرة ، كما يفهم من سياق كلام ابن الرومي أن دحا بمعنى دوّر وجعلها كالكرة في قوله :

إن أنس لا أنس خبازا مررت به يدحو الرقاقة وشك النمح بالبصر  
ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها فوراء كالقمر  
إلا بمقدار ما تنداح دائرة في لجة الماء ترمى فيه بالحجر

٢ - وهل يفهم أن الأرض تدور دائما من قوله تعالى : « وترى الجبال نحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » لأنه إذا كانت الجبال وهي أوتاد الأرض تسير وتجرى فن باب أولى الأرض نفسها لا شك أنها تدور ، أم أن الغرض فقط هو من الجبال يوم النفخة ؟

ونحن نشكر لحضرة كما نشكر لكل مسلم مذكر عنايته بالتأمل في آي الكتاب العزيز وتدبر معانيه والنظر في ملكوت السموات والأرض ، ونقول : إن الآيتين ليس فيهما على ما ترى هذه الدلالة التي يشير إليها .

أما الآية الأولى فلأن معنى « دحا » فيها بسط ووسع . هكذا قال علماء اللغة ، وهكذا قال المفسرون ، وهكذا هي في كلام ابن الرومي ، فإنه يعجب من سرعة بسط ذلك الخباز لرفاقته لا من سرعة تكويرها . وسرعة بسطها هو محل العجب ، أما سرعة تكويرها فلا عجب فيه ، ولذلك شرح ما يريد في البيتين التاليين في قوله :

ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر  
إلا بمقدار ما تمدح دائرة في لجة الماء يلقي فيه بالحجر  
فما كانت دائرة الماء يلقي فيه بالحجر مكورة، وإنما هي مستديرة تتسع وتنبسط  
بأسرع ما ينتظر، وفرق بين التكوير وبين بسط المستدير وتوسعته . ولا شك أن  
الاعتبار وشهادة عظمة خالق الخالق ثم الامتنان إنما هو في بسطها وتوسعتها، وكلا الفرضين  
قد أشارت إليه الآية الكريمة .

فأما شهادة عظمة قدرته فيتجلى في صدر الآية في قوله عز من قائل : « أأنتم أشد  
خلقا أم السماء ، بناها . رفع سمكها فسواها » إلى أن يقول : « والأرض بعد ذلك  
دحاها » أي وسعها وبسطها حتى تتسع لكل من يفرشها . فعظمة قدرته تجلت في خلقها  
كما تجلت في السماء ، بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليها وأخرج ضحاها . ومعنى  
أغطش ليها : أظلمه وجعله مظلماً . وأخرج ضحاها : أبرزه وأظهره . وإضافة الليل  
والضحى إلى السماء لأنها ظاهرات ترجع إلى سبب في السماء وهو الشمس ظهوراً واختفاءً .  
وأما الامتنان فهو ما جاء في بقية الآية الكريمة إذ يقول : « أخرج منها ماءها  
ومرعها ، والجبال أرساها ، متاعاً لكم ولأنعامكم » . والخلاصة أن دحا بمعنى بسط ووسع  
في الآية الكريمة كما قاله المفسرون ، وكما ذكره أئمة اللغة ، وكذلك هي في كلام ابن الرومي  
بمعنى بسط ووسع . وهذا لا ينقض ما تقدم في الجزء الرابع من المجلة من أن كرية  
الأرض كانت معلومة للأزهريين من قرون مديدة مضت ، كما استدلل عليه بكلام  
المفسرين وعلماء الفقه وعلماء التوحيد من نحو ثمانية قرون أو يزيد . وعدم دلالة هذه  
الآية على ذلك لا يمنع دلالة غيرها . هذا في الآية الأولى .

وأما الآية الثانية فهي وإن قال فيها بعض مشايخنا بما يقوله السائل أخذنا من قوله  
تعالى في بقينها : « صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَى كُلَّ شَيْءٍ » إذ قالوا : إن هذا إنما يأتي في عالم  
الصنع والإتيان وأما ما بعد النفخ فهو عالم إهلاك وتدمير ، فإننا لا نرى ما قالوه فيها

وجبها ، فالآية مسوقة بعد قوله تعالى : « ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أنه داخرين » يقول الله تعالى عقبها : « ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » فهذا كله في بيان هول الآخرة وما يتجلى الله به على هذا العالم من آثار القهر والجبروت .

وأما قوله تعالى : « صنع الله الذي أتقن كل شيء » فلا يعطى ما يقولون ، فإنه حقيقة صنع الله ، وهو صنع متقن موافق للحكمة الباهرة ، والاتقان هو موافقة العمل لمقتضى الحكمة . فالمعنى : لا يتوهم متوهم أن النفخ في الصور ونشر الأجزاء الأرضية وما يترتب عليها من جعل الجبال كالصنم المنفوش كل ذلك من باب الإفساد والإخلال بالنظام ونقض الغزل بعد إحكامه حتى يعترض على هذا الصنع الحكيم ، وإنما هو على جاري سنن الله في خلقه ، وأن لكل شيء حكمته التي تجعله تمام النظام وإكمال الاتقان ، فهو صنع الله الذي أتقن كل شيء ، فيجب الإذعان إلى أنه أيضا إتقان وإن كان في ظاهره من باب الإفساد والنقض . وكيف يكون إفسادا وهو تجلي العظمة والقدرة الباهرة والقوة القاهرة على هذه الكائنات التي كان يظن لها من قوة التماسك ما تتعاضى به على من يريد هدمها ، وإذا بها صارت كأن لم تكن شيئا مذكورا ؟ ثم كيف يكون ذلك إفسادا وهو مظهر تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وهو المستتبع لأجل الآيات ، وهو جزاء العباد بأعمالهم ، ومثوبتهم على طاعاتهم ، وعقابهم على معاصيهم ؟ ومتى علموا ذلك من طريق خير النبوة الصادق خشعوا لله وأخلصوا عبادتهم له ، وتمت الحكمة التي أشير إليها في قوله تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » . فبذلك يتجلى لكم أنه صنع حكيم عليم ، وأنه متقن ، كما أن كل شيء خلقه متقن ، فلا تحسبوا ذلك عبثا ولعبا ، ولا تظنوه إفسادا وإخلالا . وبذلك يظهر أن قوله : « صنع الله الذي أتقن كل شيء » من باب ما يسميه البلاغيون احتراسا ، ويسميه النظريون بدفع توهم المتوهم .

## الاخلاق

اختلف الناظرون قديما وحديثا فيما تناولوه من مباحث ومسائل ؛ واتسعت شقة  
 اختلاف بينهم فيها نفيًا وإثباتًا، ووجوبًا وجوازًا، وإطلاقًا وتقييدًا ، إلا في الأخلاق ،  
 فقد اتفقت كتبهم على وجوبها للفرد لصالح نفسه وللمجتمع في مجملته ، لا باعتبار أنها  
 حلية أدبية ، ولكن باعتبار أنها ضرورة حيوية لا تستقيم حياة فردية ولا اجتماعية  
 إلا بها . فكما أن الفرد يضره ويفسد من أعماله أن يكون كاذبًا مرثيًا حسودًا شريرًا  
 ما كرا ، كذلك تضر المجتمعات شيوع هذه الصفات في أحادها ، لأن هذه الصفات  
 المفكرة كما تصد هؤلاء الآحاد عن النجاح في معاملاتهم ، تحول بينهم وبين التماسك  
 فيما بينهم لتأليف اجتماع قوى مترابط الأجزاء لا تنسرب إليه المحللات العارضة .  
 لهذا السبب كان أول ما توجهت إليه عناية الفلاسفة والمشرعين والعاملين على  
 إنهاض الجماعات البشرية ، الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، باذلين في سبيل دعمها ، وتقوية  
 أسسها أقصى جهودهم ، لأنها هي القوى الأدبية التي تربط الآحاد ، وتجعل منهم  
 مجموعًا متجانسًا يصلح للحياة بين الجماعات المماثلة له ، ويقوى على منازعتها الحياة كما  
 تنازعه هي إياها بقوى متعادلة ، فلم يبالغ الفيلسوف ( شاتوبريان ) حين قال :  
 « الأخلاق أساس كل مجتمع » .

أما الاسلام فقد جعل للأخلاق المكان الأرفع من عنايته لكل الاعتبارات  
 المتقدمة ، ولا اعتبار آخر أعلى منها قدرًا ، وأعم أثرًا ، وهو إعداد النفس البشرية لقبول  
 الإشرافات العلوية ، وتكليفها لتستطيع الاضطلاع بالمهمة التي ناطها الاسلام بكل مسلم  
 في قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون  
 الرسول عليكم شهيدًا » أى شهداء على الناس في غلوهم أو تقصيرهم ، في تعقلهم

أو تقليدهم ، في استقامتهم أو انحرافهم ، ويكون الرسول عليكم شهيدا ، أى في قيامكم على الصراط السوى ، وفي التخلق بأخلاق الله ، والعمل بمحابه ، وتجنب مكارهه ، وفي دعوة الناس الى المعروف ونهيبهم عن المنكر .

وضع الاسلام الأخلاق في مستوى لم تضعها فيه أية فلسفة في الأرض على شدة عنايتها بها ، وتباريها في الإشادة بذكرها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » والمفهوم من هذا الحصر يدها النظر أن الاسلام يعتبر مكارم الأخلاق غاية للدين الحق ، وثمره لوسائله المختلفة ، ولا يعقل أنه يمكن وضع مكارم الأخلاق في مكانة أسمى من هذه المكانة .

وقد بنى الاسلام كل ما ندب اليه من الآداب على هذا الأصل . قال الفضيل : « قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل ، وهى سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها ، قال : « لا خير فيها هى من أهل النار » .

لم يكتف الاسلام بمجرد الدعوة الى حسن الخلق ، فعمد الى وسيلتين فعاليتين من وسائل حياة أهله من فساد الأخلاق فجعلهما من أم أصوله : (أولهما) تحريمه الربا الثلاث للشرور ، وهى الخمر والميسر والزنا ، تحريما لا هوادة فيه . و (ثانيهما) إيجابه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إيجابا لا هوادة فيه .

فأما الخمر فإنها بسلبها عقل شاربها تدفعه لكل ضروب المنكرات ، الى حد أنه قد يقتل نفسه أو يقتل غيره ، ونهيته بالإيمان عليها لكل ضروب الاستهانة بالفضائل النفسية ، فتحريمها على الناس يدفع عنهم كل ما يأتى من قبلها ، ويحفظ عليهم أترانهم العقل الذى يفرقون به بين الحسن والقبيح ، وبين الفضيلة والرذيلة ، وأثر ذلك في تقويم أخلاقهم لا يقف عند حد .

وأما الميسر فهو فضلا عن أنه رذيلة من أكبر الرذائل لابتنائها على سلب مال الغير بغير حق ، يفضى الى التخلق بالغش والتدليس والمهارة وغرس الغد والحقد

والبغضاء في النفوس ، حتى ليفضى بعض هذا الى إراقة الدماء ، وكل ذلك يقدح في السكال الذي أمر المسلم يجعله نصب عينيه ، وبالاتجاه في كل محاولاته اليه .

وأما الزنا فهو ذريعة للالتفات بأخلاق السفلة الرعاع من العدوان على الأعراض والأنسب ، والتذرع بسفاسف الصفات من التحايل والتخفي وإفساد النفوس بالمغريات من المال أو الوعود الكاذبة ، وجميع هذه الوسائل تحقق المروءة ، وتدس بصاحبها في حماة الخسران .

وأما الوسيلة الثانية وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد شدد فيها الإسلام كل التشديد فقال : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . وقال في حق أمة هالكة : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » جعل عدم تناهيهم عن المنكرات التي يقتربها شرارهم سببا لهلاكهم ، وزاد على ذلك تشجيعا على إهمالهم هذا الأصل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم فتننا كقطع الليل المظلم تدع الحليم حيرانا » .

وزاد الاسلام على هذا الأصل الكريم نظاما تكافليا فجعل آحاد الأمة قواما بعضهم على بعض ، فقرر أنه لا يحل لمسلم أن يرى منكرا فيمزكته ويغضى في سبيله ، ولكنه أمر أن يبذل قصارى جهده في معالجته ، فقال صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وهذا أضعف الإيمان » . وقال : « الدين النصيحة . فقيل : لمن يارسول الله ؟ قال : لله ورسوله ولعامة المسلمين وخاصتهم » . فالنصيحة لله بالقيام بما أمر به ، والانتهاء عما نهى عنه ، والنصيحة لرسوله باتباع سنته ، وتأيد شريعته ، والنصيحة لعامة المسلمين وخاصتهم بتنبيههم الى محاب الله ومكارهه ، والإيهاب بهم الى سبيله .

هذا النظام التكافلي الذي انفرد به الاسلام من أكفل النظم لحماية الأخلاق في الأمم ، وأعملها في تطهير نفوسها من الرذائل .



هنا قد يعترض علينا بعض الناس بأن هذا النظام يتنافى الحرية الشخصية ، وزد عليه بأن الحرية الشخصية لا يصح أن يكون لها احترام إلا في الأمور المباحة التي لا يعود منها ضرر على المجتمع ، والاسلام قد أباح لكل إنسان أن يستعمل حقه الطبيعي في كل ما لا يتنافى القانون العام ، وما لا يجافي ناموس الأخلاق ، أما فيما عدا ذلك مما تحرمه الشريعة ، وينكره العقل ، ويفسد الآداب العامة ، ويضر بكيان المجتمع فإن الاسلام يحظره حظرا لا هوادة فيه ، ويجعل لكل فرد من أفراد حق إنكاره وإزالته بكل وسيلة يراها أصح للقيام بواجبه حياله . فإن استطاع أن يزيله بنفسه فعل ، وإلا رفع أمره الى ولاية الأمور ليتولوا أمر إزالته بما لديهم من وسائل القمع . فهل من الحرية الشخصية الموافقة لمصلحة المجتمع أن يفتح أحد الناس ماخورا يحشر اليه النسوة الساقطات ، ويسهل على الفساق ارتكاب الفحشاء ؟ وهل منها أف يتخذ حائوتا لبيع الخمر وأن يسقى الناس منها على مرأى من الناس لا زهاق عقول المولعين باحتسائها ؟ وهل منها أن يؤسس بعض أهل البطالة محلا للمقامرة لاستنزاف ثروة الناس ، أو للإتيان على ما في أيديهم في سبيل اللعب ؟

إن قال المعارض : نعم ، لم نكلف أنفسنا الرد عليه ؛ وإن قال : لا ، قلنا : أفلا يكون من مصلحة الأمة إزالة هذه المنكرات لاتقاء ما تجر اليه من البليات والويلات ؟ وغير هذه المنكرات أمور تنافي الآداب ، ونجرح الأخلاق ، يتخيلها الإباحيون من الصغار وهي تجر الى أكبر الكبائر ، وأفدح المخطورات ، كعكاسة الغاديات والرائحات من النساء ، والرقص الخليع على مرأى من الناس الخ ، فآية حرية شخصية تبيح هذه الموبقات ولها من النتائج ما تنقرز منه النفوس السليمة ؟ فالنظام التكافلي الذي اختص به الاسلام ينفى جميع هذه المفاسد دون أن تحتاج الحكومة الى شرطة وجلاوزة لمراقبته ، وكف أهل البطالة عنه . وعمل الاسلام هذا فضلا عن أنه لا يتناق نظم الحكومة الرشيدة يوافق ما هدى اليه علم الاجتماع ، ودلت عليه أطوار المجتمعات .

قرر علم الاجتماع أن مجموع الأمة كالجسد الحى ، وأن آحادها فيه كخلايا المكونة لمجموعه ، وأن بين الآحاد ترابطا طبيعيا يشبه ترابط تلك الخلايا بعضها ببعض ، وأن فساد بعضها أو مرضه يؤثر في مجموعها بنسبة ذلك الفساد أو المرض ، فإذا كان هذا علما مقورا فكيف يصح للأحاد وهم الخلايا المترابطة بمتكافئة في بنية الاجتماع أن يغفوا ، وهم عفلاء مدركون ، عما يصيب شركاءهم في ذلك الاجتماع وهم مرتبطون بهم أدق ارتباط ، وأثر تركهم وشأنهم تقع ويلاته عليهم أجمعين ، ولا تخص جماعة منهم دون آخرين ؟

أليس المنطق الاجتماعى يقضى بأن تحرص خلايا الاجتماع على صحتها وقوتها حتى لا يكون فساد بعضها وضعفه سببا في اختلال كيانها العم ، وإصابته من جراء ذلك بالأمراض التى يعجز عنها نطس الأساة كما هو الشأن في المجتمعات الراهنة حتى الأخذ منها بأوفر حظ من المدنية والثقافة ؟

أليس ما تشكو منه الأمم اليوم من اضطراب الأحوال وتفاقم العلل ، والتواء أمرها على القادة والهداة ، كل ذلك من أسباب تركهم خلايا الفاسدة تعمل في بنية مجموعهم ، ويستشرى مرضها فيها ؟

كل هذه الأسرار التى كشفها علم الاجتماع ، قد أوجزها الكتاب الكريم في آية يجب أن تكتب بحروف من نور على صفحة الوجود ، وهى قوله تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » . فإذا كان عبث العابثين بمبادئ الأخلاق لا تقتصر مضاره عليهم بل سيصيبني منها شئ ، فكيف أغضى الطرف عنهم ، وأدعهم وشأنهم يأتون ضروب المنكرات ، ولا أحاول أن أصرفهم عنها بكل الوسائل الممكنة ؟

فهل إذا جد الجدد وحلت الفتن بالمجتمع ، وأصبح الناس حيارى لا يعرفون وجه الخلاص منها ، ودفعتهم الكوارث لمواجهة أخطر الانقلابات ، نقول : إن حدث ذلك

أيشفع لنا وللبريئين من أمثالنا أن نقول إننا لم نقترف من هذا شيئاً وإنما تركنا غيرنا يعمل ما يشاء احتراماً لمبدأ الحرية الشخصية ؟

أية حرية مشثومة هذه التي تدفع بالآحاد والجماعات في تيهور الفتن للتأججة ، ومحاط العابثون بها بحماية النظم الموضوعية ، فلا يملك أحد أن يقفهم عند حد من تهورهم ؟ فعلى الذين يدافعون عن مبدأ الحرية الشخصية بمعنى الإباحة العامة أن يثبتوا لنا أن عدوان الأفراد على الأخلاق والآداب والتقاليد المقررة لا يؤثر على بنية الاجتماع خلافا لما نعت عليه العلوم الاجتماعية ، فإن عجزوا فليدلو لنا يعلم يدلنا على أن ذلك العدوان أجدى على الجماعات من منعه ، فإن أعيروا فعلهم تبعه ما يحنون على أنفسهم وعلى مجتمعاتهم والله من وراءهم محيط .

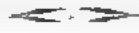
أما نحن ففي أيدينا الدليل العلمى القاطع على أن ما قرره الاسلام وانفرده به من هذا النظام التكافلى العام ، هو خير ما تصان به المجتمعات من النصب ، وأنه سيكون فى يوم من الأيام معاذاً لجميع الحكومات من شرور الآثام التي يرتكبها الأفراد ، ويكون ذلك مصداقاً لما قاله الفيلسوف (برناردشو) الانجليزى : إنه لا يشقى أوروبا من علها غير الأخذ بالاسلام .

فعلى المسلمين فى جميع بقاع الأرض أن يستنوا سنة الاسلام فى مكافئة ما اعترى جماعاتهم من الأدواء القاتلة ، وليس لهم أن يقلدوا الغربيين فيما لا يسمح به منطق ، ولا يستقيم عليه حال ، فإن دينهم يحثهم على الأخذ بالأحسن ، لا على الأخذ عن غيرهم بدون علم ولا هدى ولا كتاب منير .

إن هذا القرآن الذى بين أيدينا يكفل لنا سعادة الحياتين ، فيؤايتنا بالأصول ويسندها بالدلائل القاطعة ، ويدعونا للتطرق فيها وتعقلها والأخذ بها على بصيرة ، فيقول تعالى : « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن تبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » ويقول : « إن هذا القرآن يهدى للقى هى أقوم » وأى قول أصدق من هذا وقد أيده العلم والمنطق السليم ؟

محمد فريد ومبرى

## مآثر العرب في علم التاريخ<sup>(١)</sup>



من أم ما امتاز به الأدب العربي في فجر الاسلام مادونه مؤرخوهم في سيرة رجالهم وعشائرهم ، وفي تاريخ مدنهم ووقائعهم . ولقد ظهر هذا الضرب من الأدب العربي في أول عهده قبل الاسلام في قالب قصصى راويا الأيام التي كانت بين قبائلهم . وكانوا يادى ذى بدء لا يتوخون إيراد الحقائق ، بل كان جمل همهم الوصف الشعري وإشباع الخيال حتى بلغ بهم شغفهم بالمحسنات الشعرية الى إضاعة الحقيقة التاريخية أو تواريتها ، وكان نصيبها ضئيلا في مؤلفاتهم .

فلما جاء الاسلام واستضاءت بنوره الأذهان ، نشطت الحياة العقلية واتجهت اتجاهها قويا ، وأخذ الاهتمام بسير الأبطال وأعمالهم يتزايد يوما بعد يوم خصوصا ما كان له علاقة بحياة رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) وصحبه المخلصين وخلفائهم من بعدهم ، وكان سرد تاريخ النبي ( صلى الله عليه وسلم ) وصحبه في أول الأمر من الأمور الدينية التابعة لعلم الحديث ، فأصبح بفضل تلك النهضة القوية من الدراسات التاريخية الثابتة .

كانت هذه البداية هي الأساس الذي قام عليه بناء تاريخ الدولة العربية والشعوب التي سبقها . وقد استعان مؤرخو العرب في فجر الاسلام على وضع تاريخ الأمة العربية القديمة بمصادرها الأساسية أى بدراسة الأشعار القديمة ، فتأدوا من ذلك الى وجوب دراسة اللغة نفسها ، ولم يستطع التخلص من ذلك والتجرد للروح التاريخية البحتة سوى محمد الكلبي وابنه هشام . وأولهما - مع ما عني به من وضع تفسير للقرآن - جعل

(١) مترجمة من الألمانية نقلا عن كتاب ( تاريخ الأدب العربي ) للمستشرق الالماني الكبير

الاستاذ الدكتور بروكلمان .

كل هم جمع الأنساب العربية وأخبار القبائل المختلفة، وتوفي سنة ١٤٦ هـ، واقتنى أثره ابنه الذي ولد بالكوفة، وتوفي في بغداد عام ٢٠٤ هـ، واليه يرجع الفضل في إبراز ما جمعه والده في صورة علمية سهلة. وأتم أعماله كتاب ضخيم في الأنساب العربية لم يصل إلى أيدينا بكل أسف على صورته الأصلية بل بعد تعديل أدخل عليه، وإلى هذا الكتاب ترجع كل معلوماتنا عن قبائل العرب. ومن مؤلفاته القيمة كتبه عن هدم الأصنام، وهذا الكتاب لم يصلنا منه غير جزء ظهر ضمن قاموسه الجغرافي الكبير. واشتهر من مؤرخي الإسلام غير العرب سهل بن هارون، وكان مديراً للمكتبة الخليفة المأمون، وعلان بن الحسن وهو من معاصري سهل بن هارون، وكان ناسخاً في المكتبة المذكورة.

وأقدم الكتب المعروفة عن تاريخ حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) هو كتاب محمد بن إسحاق من أهل المدينة المنورة، واضطر إلى الرحيل عنها إلى مصر ثم إلى العراق لإكمال أبحاثه ودراساته التاريخية. وفي مدينة بغداد لقي من الخليفة المنصور رعاية وافرة ساعدته على إتمام عمله، وتوفي هناك في عام ١٥١ هـ بعد أن أتم كتابه المذكور، وإنا لنأسف على أن لم يصل إلينا هذا الكتاب بصورته الأصلية، فقد قام بنشره وتعديله عبد الملك ابن هشام، كما اقتبس منه الطبري جزءاً غير يسير في تاريخه العام.

وكذلك تمكن محمد بن عمر الواقدي في ظل رعاية الأمراء العباسيين من وضع كتابه عن محمد (صلى الله عليه وسلم) وجهاده في سبيل الدعوة للدين، ولذا جعل بدايته تاريخ هجرة النبي إلى المدينة، ثم أعقب ذلك بغزوات المسلمين وفتوحاتهم، ولم يبق لهذا الكتاب من أثر إلى عصرنا هذا، اللهم إلا بعض الأجزاء التي أعيد نشرها في زمن الحروب الصليبية بقصد شحذ الهمم للجهاد والدفاع عن الإسلام، كما جاء ذكر بعض نصوصه في كتاب الطبري. ووضع من بعده تلميذه محمد بن سعد الذي ولد في بغداد عام ٢٣٠ هـ كتابه المشهور عن النبي (صلى الله عليه وسلم) والصحابة. ويمتاز هذا

الكتاب عما سبقه بالإيضاح والتفصيل ، وقد بقي لى اليسوم دون تغيير أو تبديس يذكر . وقسم محمد بن سعد فى كتابه هذا الصحابة الى أقسام مراعىا فى ذلك تورينهم . جاء بعد تاريخ النبى فى القيمة تاريخ موطنه مكة المكرمة ، فى أول القرن الثالث من الهجرة بدأ أحمد الأزرق يجمع الأخبار لتاريخية والفصصية عن مكة ، ونولى حفيده أبو الوليد محمد الأزرق صياغتها صياغة علمية ، وأخيرا وضعها الفاسى ابن محمد إسحاق وابن أخيه محمد فى الصورة التى هى عليها الآن ، وقد زيدت وأدخلت عليها بعض التعديلات فى كتب التاريخ المتأخرة . وفى غضون القرن الثالث والرابع من الهجرة بدأ اهتمام لأدباء بتاريخ البلاد والمراكز الإسلامية الهامة ، فوضع أحمد بن أبى طاهر كتابا فى تاريخ بغداد لم يصلنا منه سوى جزء واحد . وهناك كتب أخرى يرجع عهداها الى القرن الرابع من الهجرة فى تاريخ تونس وضواحيها ، وفى تاريخ بخارى ببلاد الفرس .

والحق لما كتبه مؤرخو العرب فى سيرة الصحابة وضعت كتب عدة عن الحوادث الهامة فى التاريخ الإسلامى ، مثل ما دونه سيف بن عمر المتوفى فى صدر الدولة العباسية عن حالة العرب بعد وفاة الرسول ، وعن فتوحاتهم العظيمة ، وما كتبه عن الفتن التى نارت على أثر قتل عثمان ، وقد جاء ذكر هذا كله فى كتاب الطبرى فى التاريخ العام ، ولو أن ابن إسحاق والواقدي كانا أكثر منه دقة وحرصا على الحقيقة . وامتاز كذلك على المدائنى المتوفى سنة ٢٢٥ هـ عن سيف يدقته وتوخيه الحقائق فى كل مؤلفاته التاريخية ولو أنه لم يلق نجاحا مثله ، وقد كتب كثيرا جدا فى التاريخ الإسلامى مما لم يصل الى أيدينا مباشرة ، بل عن طريق ما اقتبس منه المؤرخون المتأخرون عنه مما يستدل منه على أنه من موالى قريش ، وأنه أحنى فى تتبع أخبار الحجاز . واقتنى أثره الزبير ابن بكار أحد أعضاء أسرة الزبير الشهيرة بقريش ، وكان يعيش أولا فى المدينة ، ثم ولى قاضيا فى مكة ، وكثيرا ما كان يتردد على بغداد ليحاضر فى مؤلفاته ، ونوفى عام ٢٥٦ هـ بالنا من العمر ٨٤ سنة . وأكثر مؤلفاته فى تاريخ لأدب ، ولم يبق مما وضعه

سوى كتابه في أنساب قراش ، وجزء يسير من كتابه المطالعة في التاريخ الذي وضعه خصيصا للأمر الموفق ابن الخليفة المتوكل ، وسماه باسمه .

كانت المؤلفات التاريخية في القرنين الثالث والرابع من الهجرة تعتمد على المخطوطات القديمة دون التعرض الى نقدها أو التعليق عليها ، بل اكتفى معظم المؤرخين بترتيبها حسب الزمان أو المكان . وربما كان أحمد البلاذري — وهو فارسي المولد — أول من أخرج الكتب التاريخية بعد ترتيبها ترتيبا جغرافيا . وأحمد هذا كان يعيش ندما في بطانة كل من الخليفة المتوكل والمستعين . وعهد اليه تربية الأمير الشاعر ابن المعتز ، وتوفي سنة ٢٧٩ هـ وكتابته في نسب الأشراف كان يحتوي على معلومات وافرة وقيمة ، ولكننا نأسف على أن لم يصل الى أيدينا من هذا الكتاب سوى جزءين فقط .

بدأ المؤرخون في القرن الثالث بفضل النهضة الأدبية الجديدة يهتمون أيضا بتاريخ الشعوب الأجنبية ، بعد أن كانت جهودهم تكاد تكون مقصورة على تدوين تاريخ العرب والاسلام ورجاله ، فاتسعت بذلك دائرة دراسة التاريخ العام ، ووضع أحمد اليعقوبي كتابا في التاريخ متضمنا رحلاته وتنقلاته من أرمينيا الى خراسان والى الهند ثم الى مصر وبلاد المغرب حيث أتم تأليف كتابه الذي لم يبق منه — وهو أمر نأسف منه جدا — سوى الجزء الخاص ببلاد المغرب ، كما وضع سفرا آخر في التاريخ العام أسماه تاريخ العباسيين ، ويعتبر هذا الكتاب بحق من أهم ما خلفه العرب ، ولكن يؤسفنا أنه قد ضاعت مقدمته ، يبدأ هذا الكتاب يبحث رائع في نظرية الخلق وتبع ذلك دراسة وافية في تاريخ جميع الشعوب المعروفة في ذلك الحين من بلاد الصين من ناحية ، الى بلاد النوبة والبربر من ناحية أخرى ، جاءلا الأمة العربية أساس بحثه ومبدأ حديثه ، وجاء في الجزء الثاني من هذا السفر بحث واف لتاريخ الاسلاى حتى عام ٢٥٩ هـ ، ويعتبر كل من الجزءين كما أسلفنا من أهم المؤلفات العربية القيمة ، لاحتوائهما على تفصيلات هامة لاسيما والتؤلّف ينتهي الى أسرة شيعية وكتابته هو الوحيد المعروف الذي يعبر عن وجهة نظر الشيعة .

وأكبر مؤرخي ذلك العصر هو بلا شك محمد بن جرير الطبري الذي جمع كل أعمال من سبقه من المؤرخين في كتابه في التاريخ العام ، والطبري ينحدر من أسرة فارسية وولد في طبرستان عام ٢٢٤ هـ واستقر في بغداد عام ٣١٠ هـ بعد أن أتم دراساته الطويلة في جميع أنحاء آسيا الصغرى ومصر ، وكان أهم ما اشتغل به في التدريس هو أصول الدين ، وأسس له مدرسة فكرية تمعش طويلا ، وكانت سببا في نزاع بعيد المدى بينه وبين السنين ، ثم اهتم بالتأليف فظهر نبوغه وتفوقه ، ولو أنه لم يكن في ذلك مبتكرا ، ولكن كانت جل جهوده منصرفة في تكميل وتعديل المؤلفات السابقة ، وقد يكون أهم مؤلفاته هو السفر الجليل الذي وضعه في تاريخ العالم الذي اهتم بجمعه ونشره بعض العلماء المستشرقين ، وعلى رأسهم العالم الهولندي « ده جويه » فكان غر الكتب العربية التي ظهرت في القرن التاسع عشر ، ويبتدئ هذا الكتاب بنظرية الخلق أيضا وينتهي بتاريخ ما قبل وفاته ، وعنى بترتيب الحوادث التاريخية من بعد الهجرة ترتيبا زمنيا ، ولقد أظهر المؤلف أمانة وبراعة فائقة في الاقتباس من الأصول دون أن يخلط بعضها ببعض ، حتى جعله المؤرخون من بعده أساسا لأبحاثهم ونقل الى اللغة الفارسية .

ومن مؤلفاته الدينية ما يستحق الذكر مثل كتاب التفسير الضخم الذي وضعه للقرآن الكريم وجمع فيه كل ما قاله العلماء قبله في تفسير كتاب الله .

ولم يبق الطبري في القيمة وسعة المعارف سوى على المسعودي ولو أنه لم يحاربه في كثرة تأليفه . ولد في بغداد من أسرة عربية تمت بالنسب الى أحد الصحابة ، وبدأ حياته بدراسة الديانة الاسلامية ، وصحت عزيمته على دراسة العلوم الأخرى على أثر النهضة العلمية التي ازدهرت وقتئذ في العراق على أثر ترجمة المؤلفات الإغريقية الهامة وانتشار علم تقويم البلدان من موانئ الخليج الفارسي في جميع أنحاء الدولة الاسلامية ، فقام في شبابه برحلة نحو الشرق عن طريق بلاد الفرس الى الهند وسيلان وعبر البحر الصيني ثم عاد الى زنجبار وعمان ، كما قام برحلة أخرى نحو الشمال حتى سواحل بحر



قزوين، وكان يقيم متنقلًا بين مدن سوريا ومصر، وتوفي في مدينة الفسطاط سنة ٨٣٤٥هـ. ولقد ساعدت هذه الرحلات على اتساع دائرة مدارفه في تاريخ الثقافة الإسلامية والمسيحية والوثنية الهندية، فوضع سفرين عظيمين في تقويم البلدان والتاريخ ضاع أكثرهما، ولم يبق سوى جزء واحد لكل منهما، وهذا أمر يوجب الأسف، ووضع كتابا آخر في مواطن الذهب والأحجار الكريمة، وقبيل وفاته وضع ماخصا لكل مؤلفاته في الأدب والعلوم والتاريخ.

بلغ اهتمام العرب في القرن الرابع بتاريخ الثقافة والأدب ذروة المجد، وبذت مؤلفاتهم في هذا الضرب ما وضع في التاريخ السياسي، فظهرت كتب عديدة في تقسيم الصحابة إلى علماء دينيين ومشرعين ولغويين وشعراء على أثر ظهور السكتب القديمة التي وضعت في تقسيمهم إلى طبقات وسبق التنويه عنها، وأقدم المصادر التي نرجع إليها حتى الآن في تاريخ الأدب العربي لم يكن فن الشعر أساسا لها، بل جمعت الموسيقى في مقدمة أبحاثها.

وفي عصر الأمويين أي في أوائل القرن الثاني من الهجرة وضع المدعو يونس المدني كتابا في الأغاني مع أن شهرته في الشعر كانت لا تقل عن معرفته بالألحان والنوقيعات الموسيقية، واقتفى أثره كثيرون من بعده، إلى أن جاء أبو الفرج الأصفهاني ووضع كتابه المشهور في الأغاني فبذل جميع من تقدمه من كتاب هذا النوع، وكان في أول أمره يطلب العلم في بغداد، وزاول الأدب في بلاط سيف الدولة وفي بطانة وزراء الفرس، وتوفي سنة ٣٥٦هـ. وفي مجموعة الأغاني التي ضمنها كتابه عنى بوضع تفسيرات لها من الوجهة الموسيقية، بل كان أكثر من ذلك بعلق عليها معلومات وافية عن ملحنها وناظمها بكل أمانة، وكثيرا ما كان يذكر أسبابها التاريخية، ولا ننال إذا قلنا إن معظم الأخبار وأوثقها التي نرجع إليها اليوم ونعتمد عليها في أخبار الشعراء بل وفي تاريخ الثقافة في فجر الإسلام إنما يرجع الفضل في جمعها إلى نشاط أبي الفرج الأصفهاني.

وجاء عمل محمد بن سحوق النديم متمما لعمل أبي الفرج حيث قام في سنة ٣٧٧ هـ بوضع قائمة وافية شملت جميع أسماء الكتب العربية والمنقولة المعروفة الى ذلك الحين، وأطلق على كتابه اسم « فهرس »، واستعمله بتمهيد عن موضوعات الكتب المختلفة والكتب السماوية والدينية، ثم انتقل الى ضروب الأدب المتنوعة والى الحديث عن القرآن الكريم والكتب التي وضعت في تفسيره، وأخيرا عالج الكتب الموضوعية في العلوم غير الدينية، وكان يذكر في كل نبذة أسماء الكتاب بترتيب تاريخي مع سرد كل ما يعرفه عن تاريخ حياتهم الأدبية، ولا تزال حتى اليوم ندين لهذا المؤلف بجليل الشكر لما احتواه كتابه من معلومات هامة لا في تاريخ الأدب العربي فحسب، ولكن في تاريخ الثقافة العامة في الشرق الأدنى على العموم.

أما في الولايات الإسلامية الغربية مثل مصر والأندلس فافتقرت كتابات المؤرخين في ذلك الحين على الأخبار المحلية، بينما وسعت مؤلفات العرب في مركز الحضارة لاسلامية جميع أخبار الدولة الاسلامية بل والعالم المعروف، ففي مصر وضع مسيحي - وكان بطريقا لمدينة الاسكندرية اسمه سعيد بن البطريق، وتوفي سنة ٣٢٨ هـ - كتابا في تاريخ العرب أشار فيه الى العباسيين والفاطميين والى أخبار بيزنطة وآسيا الصغرى، وقام بتكملة هذا السفر يحيى بن سعيد في عام ٤٠٣ هـ.

وأما في تاريخ اسبانيا فلم يصلنا من هذا العصر سوى كتاب العالم لاغوى الكبير محمد بن القوطية، وهو من نسل الأميرة سارا الأسبانية ابنة ملك القوط، وكانت قدمت الى بلاط الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في دمشق لرفع شكوى ضد عمها، فتزوجها أعرابي اسمه عيسى عاش معها فيما بعد بمدينة اشبيلية، وولد محمد بن القوطية في قرطبة عام ٣٦٧ هـ، وجمع في كتابه تاريخ الأندلس منذ فتح العرب حتى سنة ٢٨٠ هـ.

« يتبع »

## من عيون الحكم

قال علي بن أبي طالب أمير المؤمنين :

« من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ، ومن رضى برزق الله لم يحزن على ما فاتة ، ومن سل سيف البنى قتل به ، ومن كابد الأُمور عطب ، ومن اقتحم الحجج غرق ، ومن دخل مداخل السوء اتهم . ومن كثر كلامه كثر خطؤه ، ومن مات قلبه دخل قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار . ومن نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضىها لنفسه ، فذاك الأحمق بعينه . ومن أكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير . ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه . »

هذه جمهرة من عيون الحكم رويت عن الامام منتظمة في سلك واحد ، فلا أقول كأنها الجمان المنضد ، ولكني أقول كأنها جداول من معين الحياة الفاضلة ، صدرت من ينبوع النبوة المحمدية ، واتصلت بالامام من بحرها الزاخر ، فأفاضها على الناس تحيي موات قلوبهم ، وتشفى علل نفوسهم .

يقول الامام : من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره . نعم : فإن من يرى الفساد يتغلغل في نفسه شغله إصلاحه عن النظر في فساد غيره ، ولكنه لو أهمل النظر في نفسه ، وقصر همه على النظر في أحوال الناس ، غفل عن حال نفسه وهي أولى بعنايته من سواها ، فبقي على ما هو عليه حتى يرد موارد الهلكة . فإذا كان المشتغل بعيوب الناس صادقا في حبه لخلاصهم منها ، فلا يعقل أنه يعنى بغيره ولا يعنى بنفسه .

ويقول : من رضى برزق الله لم يحزن على ما فاتة . نعم : إذ كيف يحزن على فوت ما ليس من حظه ؟ إما لأن الله صرفه عنه إصلاحا لنفسه ، وإما لأن مواهبه لم تصلح لتحصيله ، فيكون محزوناً على ما لا يستطيع أن يناله بكدحه .

ويقول : من سل سيف البغي قتل به . كيف لا والباغي يحارب الله بعدوانه على خلقه ، فهل يعقل أن يسلم من بطشه ؟

ويقول : من كابد الأمور عطب ، أى من عاجلها بغير الوسائل الموصلة إليها لم يزل يرتطم بالعقبات التى تصادفه ، ويصطدم بالحوائل التى تقوم فى وجهه حتى يدركه العطب ، ولكنته لو اتخذ لسكل أمر عدته ، وتذرع له بوسائله المؤدية إليه ، كان جارياً على سنة الله فوصل الى ما قدر له منه .

ويقول : من اقتحم النجج غرق . وكيف لا يغرق ولا بد من أن يدركه الوفى وهو فى وسطها تنقذه أو ذبحها ، فلا هو يواجد ساحلاً ينحاز إليه ، ولا بملاق سنداً يعتمد عليه ، والعاقل لا يفعل ذلك . والمراد هنا بالنجج كل ما يفوق الطاقة من الأمور والمطالب .

ويقول : من دخل مداخل السوء اتهم . فن روى الى حاة ، أو جلس حيث يكثُر ضرور النساء ، أو ما شئ من اشتهر بالمعاصى ، اتهمه الناس ولو كان بريئاً ، فالكيس يحذر من كل ذلك ولا يعرض نفسه لقالة السوء .

ويقول : من كثر كلامه كثرت خطؤه ، ومن كثرت خطؤه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار . تقول : إن هذه من الحكم النساب حقاً ، وهى تتناول خصلة شائعة فى الناس عجز الآباء والمربون عن تخليص النفوس من شرها وهى كثرة الكلام ، وقد قرنها الامام هنا بما تؤدى اليه من ذمائم الخصال نادية منطقية ، فكان كلامه عنها من أجمع الوسائل للخلاص منها .

نعم : إن من كثر كلامه كثرت خطؤه ، لأن الثرثار متفحم بطبعه ، ياتمس القول من جميع مظانه صواباً وخطأً ، ويضطر للمباينة والإطلاق ، ويتصيد الذئب والسمين . وكل هذا يعرف عنه ، لأن السامعين يدركون كل ما يتسلخ فيه ، وهو يعرف كل ما لاحظوه عليه ، فلا يبالى به فيقل حياؤه . فإذا وصل الى هذه الدركة قل ورعه ، لأن الورع ينافى الخبط والخلط ، والتكلم بغير علم . ومن قل ورعه مات قلبه ، لأن كثرة

الانعام التي يرتكها بشرته ترين عليه ونحبيه عن النور الذي هو غذاؤه فيموت . ومن مات قلبه استوجب النار لا محالة . وهل الانسان إلا قلبه ؟ قال الله تعالى : « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » فشرط النجاة يوم الحساب سلامة القلب ، وأين هذه السلامة في وسط هذه الزوبعة الدائمة من الخبط والخلط والتعرض للآثام ؟ .

ويقول : ومن نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه ، فذاك الأحمق بعينه . نقول : والله لو كان فوق الحق دركة من الغباوة لاستحقق من كان هذا شأنه . أفلا يكون من أخط درجات الحق أن يرى الإنسان النار تشتعل في داره فيتركها طمعة لها ويشغل بالكلام عن النار التي تشتعل في دار جاره ؟ ولكن الناس قد أغرموا بالتحدث عن نقائص غيرهم مع التيامم بها وبأشد منها ، حتى يكاد لا يخلو منها مجلس ، فإذا كانت هذه النقائص مذمومة في نظرهم فلم يأتونها ؟ فهل يحلون لأنفسهم ما يحرمونه على غيرهم ، أم هم يفاضتهم في عيوب سواهم يريدون أن يوهمو السامعين بأنهم براء منها ؟ فله ما قاله زهير بن أبي سلمى :

ومهما يكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم  
قال الإمام : ومن أكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير . هذا حق ولكن المنهومين يجمع حطام الدنيا لا يذكرون الموت قط . وليس المقصود من هذا الكلام أنه يجب أن يكثر الإنسان من ذكر الموت حتى يرضى من حطامها باليسير ، فيعيش الناس كلهم فقراء ، ولكن المراد به زجر المستهترين في طلب الدنيا على غير أساس من الأخلاق ، ولا أصل من الدين ، ولا فضيلة من الآمال في الطلب ، فتراهم يتكالبون على جمع الدرهم والدينار من كل سبيل ، لا يبالون بين مشروع منه وغير مشروع ، لا هم لهم إلا جمع المال في خزائهم ، وحبسه عن التداول بين الناس ، متجردين لطلبه لا يعنيه شيء آخر . فأمثال هؤلاء الناس قد أجمع على القدح في طريقهم كل الذين عنوا بالبحث في الأمور الاقتصادية حتى الذين يرون أن لا إثم في ضروري لبناء

الاجتماعات، لأنهم يرون أن للإثراء أصولاً لا تجب مراعاتها، وعلى من وصل اليه واجبات يطالب بها. وهذا ما يقصده الإمام فيما أرى. قال الله تعالى: « وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » فلم يذم الغنى ولكنه قرر أن فيه حقاً للفقراء يجب أدائه. ويؤكد هذا الفهم قوله صلى الله عليه وسلم: « ما أدبت زكاته فليس بكثرة » أى لا يعتبر من كنز المال الذى ذمه الله تعالى بقوله: « والذين يكتزون الذهب والنفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فيبشروهم بعذاب أليم ».

قال الامام: ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه. تقول: هذا البيان أفضل فى علاج الثثرة من كل ما ذمها به الشعراء والكتاب شعرا ونثرا. فإن الانسان خاق حريصا على نفسه، يكره أن يوردها موارد الملكة لأغراض واهية، فإذا ذكر نفسه بأن كلامه من عمله وهو محسوب عليه، قصر كلامه على ما يعنيه، ولم يتجاوز به الى ما بعده، خشية أن يحجره الكلام الى ما ليس بحق فيأثم، أو الى ما يضره فيندم، إلا الذين لا يباليون بشئ.

إن أكثر ما يقوله الناس اقول لا فائدة فيه، وقد يحملهم حب النغو الى تعطيل الكلام فينطق أحدهم على تأدية الفكرة التى لا يعوزها أكثر من عشر كلمات مائة كلمة أو أكثر، ويضطر السامع بذلك الى الإصغاء اليه، فيتبرم من محادثته أو يهجره لهذا السبب. ولسريان هذا العيب فى دهماء الناس تجدهم فى المجلس الواحد ينتقسمون الى جماعات كل جماعة يتولاهما واحد بالكلام، وإذا حى الوطيس ألفتهم كلهم يتكلمون فلا تصادف فيهم سامعا واحدا، ويجهد كل منهم أن يعلو بصوته ليفوز بالإلقاء، فيحدث فى المجلس ضجيج لا يصح أن يكون بين عقلاء موقرين.

لذلك عد الصمت من سمات كبار العقول، ونذب اليه الشرع، فقال عليه الصلاة والسلام: « تكلم بخير وإلا فاسكت » وقال الحكماء: إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب.

their ideal to the standard of Islam in order to achieve peace and salvation in this world and the hereafter.

I am convinced that in the end, they will come to Islam's ideal voluntarily or otherwise, for man is a rational being and is endowed with understanding to distinguish between good and evil and to appreciate the beauty of eternal truth. It behoves him not to remain in such a psychological state which lowers him to the same level of animals by devoting his higher faculties to such worthless and mean ends.

There will be no other alternative before him—with the growing consciousness of the evils of this state—except to shake off the yoke of that state of ignorance and to strive, free from the shackles of materialism, for God's favour alone, thus taking the rightful place for which he was created and leading a life compatible with his faculties as a human being.

«إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخْفَوْا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ»

ترجمة تفسير هذه الآية لقلاعن البيضاء

"Verily those who say "Our Lord is Allah" and work righteousness, the Angels shall descend upon them and shall say:

"Fear ye not, neither be ye grieved, but rejoice in the hope of Paradise which hath been promised unto you".

( *Baidawy's Commentary* ).

---

nations and is tantamount to a challenge to carry rivalry to its bitter end and will only lead to further increase of armaments and preparations for destructive wars.

Yes! The Holy Book has described the Moslem nation as the greatest of all, but this greatness is accounted for by the noble human tasks which it has set itself to accomplish, tasks of enjoining good, forbidding evil and inculcating faith in God. This greatness, as you may see, was not accounted for by any superiority of caste or nationality, nor by astuteness in the battle field or conquest of other countries, for thus saith The Lord :

« كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ »

ترجمة تفسير هذه الآية تقلا عن الألوسي

"Ye are the greatest people ever raised for the benefit of mankind:  
Ye enjoin the good, forbid the evil and believe in Allah"

(*Alucy's Commentary*).

Should nations vie with one another to merit this greatness described above, the outcome of such an endeavour will be nothing short than peace and prosperity to mankind. Friendly and amiable relations will be established and benevolence and righteousness will reign supreme, for rivalry in this field will lead to better understanding and co-operation and not to dissension and animosity as in the former case.

But here someone may remark : You are asking something beyond the power of men, for where are you to find the great souls which will rise above the material trivialities of life to strive only for God's favour ? Could such a change be effected when men are so completely and hopelessly taken up with the glitter of our present-day civilisation ? Will the material demands which fill the hearts of men leave room for such high and divine ideals ?

In reply to this, we should say that there are only two ways open before them : Either to remain as they are in this state of dissension, jealousy and animosity, or put an end to it once for all by raising



suffered from other leaders, or such other trivial causes which only left disgrace and destruction in their trial.

It was then that The Lord deemed fit to send down a new dispensation to deliver the world from the crying abuses which prevailed, and had it not been for the Moslem people striving under the guidance of their great ideal of courting God's favour and not seeking to exalt themselves on earth by spurious victories, humanity would have come to a most disastrous end.

The Lord saith:

« تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُتُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا  
فَسَادًا، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البضاوي

\* As to that future abode of Paradise, We will give it unto them who seek not to exalt themselves on earth, or to do wrong; for a happy ending shall attend the pious'

( *Baidawy's Commentary* ).

To-day the world is in a terrible state of disorder and unrest, and disaster looms large in the horizon of international affairs. Nations are undergoing severe trials of economic crises, unemployment, international differences, party strife and communistic tendencies. They are all seeking a way out of their ordeals but all their efforts are in vain and their science, industries and civilisation have all failed to avert the imminent catastrophe. They are on the horns of a perfect dilemma and they are already realising, to their detriment, the futility of their efforts to come to a peaceful settlement through diplomatic negotiations or political conferences.

Is there any remedy for this sad state of things? Could there be no solution for the problems of the world to-day to bring her a much-needed peace and security?

Yes! The world must adopt a much higher ideal than has hitherto been adopted if a permanent settlement is to be hoped for. It is a sign from Providence that the ideals and standards inspired by material ends have utterly failed to achieve peace. The ideal of "Our nation above all", which is the guiding spirit of the great countries to-day is nothing short than a declaration of hostility on other

« كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ »

ترجمة تفسير هذه الآية لقلا عن الأنوسى

“Ye are the greatest people ever raised for the benefit of mankind; ye enjoin the good, forbid the evil and ye believe in Allah”

(Alucy's Commentary).

The Lord has described the Moslems in such glowing terms for they have merited the description and were well worthy of it. Indeed, there could be no stronger evidence to justify this description than the unanimous verdict of foreign historians that the Arabs have revived the world from the death-like condition which gripped the people, that they unearthed, developped and created many branches of science and arts and spread them among them, that they planned cities and contributed to the development of architecture as a work of art which survives until this very day, that they encouraged trade and agriculture and developped arts and industry, that they filled the cities with schools and libraries to spread culture and enlightenment among all people without distinction between Moslem or non-Moslem so much so that European countries used to send missions to different parts of the Moslem Empire in quest of knowledge and in order to imbibe it from its true sources. Father Sylvester was among those students and he obtained much of his knowledge from the learned men of Andalusia. He succeeded later to the Papacy in Rome.

The Moslems were charitable and benevolent to all people irrespective of their religions or creeds. Great men of Europe used to go to Moslem countries when they were taken ill to be treated by their clever and famous doctors. They were received with welcome and were looked after and treated by the most proficient doctors until they were completely recovered to go back to their own countries in safety.

The world at the time of the mission of Mohammed (on whom be peace), was in a most chaotic condition. Wars were raging everywhere, leaders used to drive the people to the battle fields for the most trifling of reasons, just as a cheap victory with which to perpetuate their memory or a desire to avenge a slight or a snub which they have

the purpose of marrying a certain woman hence the nickname.

A man asked ' Said Ibn Al-Mussaib, a follower of the Prophet ( on whom be peace )

"When one of us doth good, he expecteth to be praised and recompensed thereon".

"Wouldst thou like to be hated ? " asked Said.

"No" replied the man.

"Then if thou wouldst do a thing then do it purely for Allah's favour" said he.

By this Islam has meant to render the ideal of mankind the highest possible and there could be no higher or nobler ideal indeed than loyalty and faithfulness to God, and man is well worthy of that ideal. In fact no other ideal is more suited to him, for he is endowed with such mental faculties and moral aptitudes of which no other creature on earth is possessed.

Should one imagine a nation which adopts this principle and strives in all its actions for God's favour he will not wonder at the perfect union that binds its individuals together, for do they not strive only for God's favour ? Nor will he wonder at their spread on the surface of earth and their intermingling with other nations, for do they not seek to establish the kingdom of truth, spread virtue and extirpate evil from earth ?

Do they not lend their aid to learning and pave the way for its further development and perfection ? Do they leave a wisdom which they fail to add to their store of knowledge or a good custom or tradition which they do not claim as theirs and with which they augment their wealth of morals ?

The nation which consecrates its actions for The Lord alone will find it easy to follow the path He ordained, the path of truth, faithfulness, mercy, justice, charity and avoidance of all open and concealed sin and wickedness. Such is the virtuous civilisation to which humanity should aspire and attain. All other civilisations are false and are ill-suited to the talents and faculties of man. They are below his dignity as the only rational being on earth.

Th's ideal has rendered the Moslem people the greatest of nations and their influence the most benign on earth.

The Lord saith in this connection:

accursed except that which is wholly and solely dedicated to Him, it is incumbent on every follower of this religion to seek the favour of God by his actions:

And since the favour of God could not be courted by wicked actions or evil intentions, this noble principle was for more effective in reforming and perfecting the Moslem character than all the books of ethics which teem with high ideals but fail to induce their readers or even their authors to follow in practice a part of their contents.

Islam has endeavoured to impress this noble principle on the hearts of its followers in the same way as it did to impress monotheism on them as being complementary to it. It regards every action by which God is not meant as rejected, nay even detrimental to the doer. The Prophet (on whom be peace) says:

"Allah be praised shall say unto His Angels: "This man did not mean Me (seek my favour) by his action, assign him to Hades"

He also says:

"When the hosts meet in battle, angels descend to assign men to their grades: So-and-so striveth for the world, so-and-so fighteth for pride and so-and-so fighteth for party or tribe. Will ye not say so-and-so was killed in the cause of Allah? For whosoever striveth to exalt the word of Allah, will be deemed to strive in His cause".

Islam has required its followers to make God's favour their coveted aim, even in the smallest of things so that their actions may be founded on a solid basis of righteousness and integrity. The Prophet (on whom be peace) says:

"Whosoever scenteth himself for Allah (by righteous actions), will come on the Day of Resurrection with a fragrance far better than musk, and whosoever scenteth himself for one besides Allah, will come on the Day of Resurrection with an odour more offensive than carrion flesh."

This principle was so deeply impressed on the hearts of early Moslems that it became the sole motive of their actions, and any action which ran counter to it was regarded by them as a stigma on their reputation. In this connection, Ibn Masoud, a Companion of the Prophet (on whom be peace) says:

"Whosoever immigrateth in quest of something, will his immigration be for that which he sought. So when a man immigrated to marry a woman from us, he was called the immigrant of Um-Qais" i.e. if immigration was not purely in the cause of Allah but was also for

Yet it emerged from those struggles more united and consolidated than before, whereas stronger nations could not survive lesser vicissitudes and had reverted to their previous state of weakness and dissension.

Well may the students of evolution marvel at the rapid development of the Arabs who attained greater dominion and power in one century than the Romans ever did in eight hundred years. This, indeed, is baffling to the mind and could not be accounted for by modern science. It is an immortal phenomenon to be recorded for the last of the Prophets (on whom be peace) and added to the host of other miracles. It should be pointed out here that Moslem dominion was not attended, as in the case of Roman dominion, by the imposition of humiliation on the vanquished people and depriving them of their natural rights to the point of forcing their kings and great men to drag the choriots of the Roman emperors on their victorious entry into their cities. The Moslem dominion, on the contrary, was attended by justice, liberty and equality to all countries ceded to the Moslem Empire, so much so that other countries have voluntarily requested Moslem protection to deliver them from the injustices and abuses to which they were subjected.

Such wonders are unheard of in the history of any other conquering nation. What then is the secret behind this great and unparalleled phenomenon and how is it to be accounted for in the light of modern science?

The secret lies in that Islam has enjoined its followers to seek by their actions the favour of God and not material ends.

In this connection, The Lord saith :

« كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقل عن البيضاوى

"Everything shall perish except Himself "

( *Baidawy's Commentary* )

The Prophet ( on whom be peace ) says :

" Accursed is the world and accursed is everything in it except that which is for Allah "

So long therefore as everything shall perish and nothing shall remain except The Lord and so long as everything in the world is

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

## ISLAM

ITS MISSION IN THE WORLD. (1)

### IX.

STRIVING FOR GOD AND NOT FOR MATERIAL ENDS.

---

Students of evolution of human communities may well be astonished at the rapidity with which the Arabs have changed from a condition of complete disunion into a homogeneous nation of united people. But their astonishment will be doubly increased by the fact that this young nation had resisted and survived all the factors of decline which assailed her in the course of her struggles with older and stronger nations,

---

(1) Translated from Mr Mohammed Farid Wagdy's editorial in "Nour-El-Islam" Review,

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مهمة الدين الاسلامي في العالم

- ١٣ -

دعوته الى الأخذ بالأحسن من كل شيء

إن ناموس الترقى في الجماعات البشرية يركز على غريزة طبيعية في الانسان هي أنه يتخير الحسن من كل شيء، وهذه الغريزة تنشأ مع الانسان وتتمو بنمو عقله ما لم تصطدم بما يموقها عن نموها من تقاليد باطلة وتعاليم فاسدة. فإذا تعهدوا الآباء والمربون بالتربية في نفوس الناشئين، وأبعدوا عنها ما يؤخر تقدمها، شبو اعلوها، وصارت حالهم لا يستطيعون عنها حولاً. ومن أثر تلك الغريزة أن تنشئ في تلك النفوس طموحاً الى ترقية كل ما يقع تحت سلطان قدرتهم، ويكون أثر ذلك في المجموع دوام الانتقال من حسن الى ما هو أحسن منه، الى أن تصل الأمة الى أعلى ما قدره الله للإنسانية من الحياة الراقية، والمدنية الفاضلة.

وعلى العكس من هذا يكون شأن الجماعات التي تضعف فيها هذه الغريزة تحت تأثير تعاليم غير حكيمة، أو تقاليد باطلة موروثه، فإن هذه الجماعات ينحط فيها ذوق الجمال المعنوي الى أدنى درجاته، ولا تزال تنحط من دركة الى دركة حتى يفسد كيانها، وتصبح عاجزة عن متابعة البقاء كأمة.

إن أكمل الوسائل لإحياء هذه الغريزة في أمة هي أن تهيئها من طريق الدين، فإن الدين باستيلائه على أرقى عواطف النفوس يركب هذه الغريزة في الآحاد، ويدفع بتجموعهم في سبيلها، فتتكافل طبقاته في إيصالها الى أرقى ما تكون عليه، فينشأ فيها

ميل عام الانتقال من حال الى حال ، ولضمن سلامتها من الجود لذى قد يحمل بها فيوردها الموارد . فإذا اتفق أن ضعف فيها هذه الغريزة ، وتغلبت عليها عوامل الانحطاط ، فإن منول هذا الأصل في تعاليم دينها يدفعها الى الأخذ بالأحسن ، وإلى مكافحة تلك العوامل التي كانت سببا في انحطاطها وتأخرها ، فتنهض من سباتها محفوزة بوازع من دينها .

الناظر في الاسلام من هذه الناحية يجد أنه قد بلغ الغاية من الدعوة الى الأخذ بالأحسن في الأقوال والأفعال ، وفي كل ماله ارتباط بالإنسانية .

أمر الله بالإحسان أمرا ، وجعله في مرتبة العدل ، ولا يخفى على أحد مكان العدل من حياة الأمم ، فقال تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والنكر والبنى ، يعظكم لعلكم تذكرون » .

هنا يجب علينا أن ننبه أن معنى الإحسان ليس مقصورا على الإحسان الى الفقير بإطعامه والتصدق عليه ومواساته كما يتبادر الى الذهن ، ولكنه يتناول إحسان المرء كل ما يدخل في عمله وتحت سلطانه ، وقد أطلقه الله تعالى في الآية المذكورة أنفالشمل جميع الأفعال الحميدة ، والخلال الرشيدة ، وهذا اللفظ أشمل الألفظ لجميع خصال الخير كما ترى ، لذلك كرر الله مادته في الكتاب الكريم نحو مائة وثمانين مرة .

ولهذه الميزة قرنه بالدين نفسه مكتفيا به عن سواه من محامد الصفات ، لأنه يشملها جميعا ، فقال تعالى : « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » فإسلام الوجه لله هو الإخلاص له والاستسلام اليه ، والإحسان هو الإتيان بكل حسن من الأقوال والأفعال ، ومتى اجتمع هذان الوصفان في إنسان استكمل جميع وسائل الحياة الطيبة في الدنيا ، والسعادة الأبدية في الآخرة .

ونوه الله في آيات كثيرة أخرى بأنه يحب المحسمين ، ويقول لام بانأ بيد والتسكيل ، فقال تعالى : « إن الله يحب المحسنين » وقال : « إن رحمة الله قريب من المحسنين » وقال : « وبشر المحسنين » وقال - « وبشرى للمحسنين » .



وربط سبحانه كبريات المنح الإلهية بالإحسان ، وقرر أنها متوقفة عليه ، فقال تعالى في سورة يوسف عليه السلام : « ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين » وقال : « سلام على إبراهيم . كذلك نجزي المحسنين » وقال : « سلام على إيل ياسين . إنا كذلك نجزي المحسنين » وأنت خير بأن هؤلاء المرسلين قد أمدوا من عون الله وتأيدته ، ومن العلم والحكمة ، بما جعلهم أئمة للناس أجمعين . يقول الله : إن كل ذلك كان جزاء لهم على إحسانهم ، وفي هذا من الإشادة بالإحسان ما فيه ، وأي إشادة أكبر من أن يطلقه على جميع السمكالات النبوية ، والآداب العلووية ؟

وقد وعد الله المحسنين بدوام الارتقاء في معارج الكمال ، واستمرار التقدم في باحات الجلال ، فقال تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلَنَا وإن الله مع المحسنين » ومعناه : أن الذين يحسنون القيام بما أمروا به من إعلاء كلمتنا والقيام على صراطنا ، نهدينهم إلى سبل الوصول إلينا ، وسبل الوصول إلى الله تؤدي إلى ما لا يخطر على بال إنسان من كرامة الحياتين ، وصميم السعادين ، وليس بعد هذا مرمى لطالب الكمال الصوري والمعنوي . وهذا هو الارتقاء الذي ينشده الإنسان بأخص معانيه ، ومحاول الوصول إليه بكل العوامل التي ركبت فيه .

فتخيل شعبا يأخذ بهذا الدين فيتحرى وجوه الإحسان في كل قول وعمل ، وفي كل حركة وسكون ، ثم قل لي كيف لا يصل إلى أبعاد الغايات في كل ما يتصدى لبلوغه من أغراض الحياة الدنيوية ، ومرامى الحياة الروحية ؟

إن شعبا يطالب بالأخذ بالأحسن حتى في رد التحية : « وإذا مُحِيتُمْ بتحية غيِّبُوا بأحسن منها أو ردوها » ، لجدير بأن يصبح فيه تطلب الأحسن حالا لا يستطيع عنها تحولا . وقد فتح الله في وجهه جميع منال الخير ، فأمره أن يفتح قلبه لكل علم وكل حكمة ، وأن يأخذ بأحسن ما يسمعه منهما ، فقال تعالى : « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب » .

إن أمة تستعد لتلقى الحكمة على هذ النحو، غير متأثرة عن أخذها ولو عن مخالفيها في الدين، خليقة بأن تجمع في ذاتها كل فضائل الأمم، وأن تتوجه نحو الكمال بخطى واسعة لم توفق الى مثلها أمة قبلها. ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت»، وفي حديث آخر: «خذ الحكمة ولو من مشرك». ولا غرو فإن طالب الأحسن من كل شيء لا يأنف أن يتصيد من جميع مظانه، كطالب الذهب لا تنقرز نفسه أن يبحث عنه في خلال الطبقات الأرضية مخلوطا بغيره من المعادن الخسيسة، ويجهد في استخلاصه منها، وإبرازه إبرزا خالصا لا تشويه شائبة. يفعل ذلك لأنه يعلم أن الذهب ذهب حيث كان، فلا يضع من قيمته أنه مخلوط بغيره، ولا يجوز إهماله لهذا السبب. كذلك الحكمة قد تختلط عند الأمم المختلفة بشوائب من الأهواء والأوهام، فلا يجوز إهمالها لهذا السبب، ولكن يجب تخايضها مما شابهها من تلك الوسوس، والاستفادة منها نقية خالصة.

من أقوى ما وقفنا عليه من ضروب الخوض على طلب الحكمة قوله صلى الله عليه وسلم: «الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أتى وجدها». فالضالة لغة هي الشيء الذي يكون للانسان فيفقد، فيظل يبحث عنه حتى يجده، فهذا المجاز أبلغ ما عرف من نوعه في بيان ضرورة الحكمة للانسان، وأبدع ما أثر عن البلاغة من عبارات الحث على تطلبها. فإذا كانت الحكمة ضالة كل مؤمن فكيف ينقل عن البحث عنها في جميع مظانها من بطون الكتب، أو من أساطير الأولين، أو على ألسنة الناس كافة، فإذا وجدها وجب عليه أن يأخذها دون تردد؟

وإن الحكمة في ذاتها لجديرة بكل هذا التحضيض، لأنها قيس من نور الله أفيض على النفوس المستعدة له، فأفضت به الى الناس لتدبهم على هدى، أو لتحميهم من ردى، أو لتفتح لهم بابا الى الخير موصدا، وخليق بأمة تؤتي الحكمة أن تقوم من جميع أمورها على أرسن الأصول، وأعدل السبل، فكيف لا يجعلها الاسلام

من أم ما يوصى أهله بتحصيله، وهو دين الكمال المطلق، وسبيل الخير المحض؟ لذلك عظم الله من شأن الحكمة، ونوه بفضلها، فقال تعالى: «يؤتى الحكمة من يشاء، ومن يئوت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا، وما يذكروا إلا أولو الأبواب».

فإذا كان قد غمضت على بعضهم أسباب انتقال العرب من همجيتهم الأولى التي كانوا عليها قبل الاسلام الى أرقى ما وصلت اليه الأمم من المدنية الفاضلة بهذه السرعة التي تشبه الطفرة، فإن ما ذكرناه في هذا الفصل هو بعض تلك الأسباب.

نظر الأجانب عن هذا الدين في الاسلام من نواحيه العامة، فتأدوا من ذلك الى ما أوجب عليهم إكباره من الأسس التي قام عليها، وهي توحيد الله وتنزيهه، وأمره بالعدل ونهيه عن الظلم، ودعوته الى مكارم الأخلاق، ولكنهم لم يتعمقوا في دراسته ولم يقفوا على العوامل الأخرى التي بنى فيها جميع ما أمر بالقيام به من مطالبة المؤمنين بالإحسان في كل أقوالهم وأفعالهم، وأخذهم بقول الحق والصدق، الى غير ذلك من الصفات الفاضلة. وقد رأيت فيما درسناه من هذه العوامل هنا أنها تستند الى أصول طبيعية نائية في غرائز النفوس، إذا غذيت بما يبعثها من سكوتها أنتجت أكبر الآثار الاجتماعية، وأعظم الانقلابات الأدبية. فالذي يدرس الاسلام تحت ضوء هذه الحقيقة، يدرك من عظمته وبلغ أسلوبه في إحياء النفوس من مواتها، وبث غرائزها من سباتها، ما يملؤه دهشا وإكبارا، ويجعله يدرك الأسباب الحقيقية لسرعة رقى المسلمين، واستحقاقهم لخلافة الله في الأرض.

وكل ما ننصح به الباحثين في الاسلام أن لا يجعلوا المصطلحات العلمية الجديدة أسبابا تحول بينهم وبين معرفة ما انطبع عليه لاسلام. مثال ذلك أن الفلسفة الحديثة تعلق كل ارتقاء ببلوغ الأمم في شؤونها المدنية والأدبية على إدراكها للجمال المعنوي، وتقول إنه بقدر ارتقاء شعور الأمة بهذا الجمال يكون ارتقاؤها في عالم المدنية والفنون. والاسلام لم يتقيد بهذه التسمية، ولكنه حث ذويه على العب من المعين الذي يوجد لهم

الشعور بالجمال، المعنوي، فأمرهم بالنظر في مصنوعات الله، وبالتفكير في بدائع الخلق، وعالق على ذلك ووصلهم الى أبعد غايات العلم، وأقصى درجات الزلف من الله، فقال تعالى في صفة المؤمنين: «الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار» وبكت الذين يبرون بآيات الله فلا يعيرونها التفاتا، فقال: «وكأين من آية في السموات والأرض يبرون عليها وهم عنها معرضون». وحض أهله على تربية قلوبهم بكل وسيلة مستطاعة حتى السياحة في الأرض، فقال تعالى: «أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها، أو آذان يسمعون بها، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور». ودعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى التفكير في مصنوعات الله وجميع شئونه في خلقه حتى فضله على العبادة، فقال: «فكر ساعة خير من عبادة سنة» فأنت خير أن الاسلام إذا كان لم يسم إدراك الجمال المعنوي بالاسم الذي اصطلح عليه الفلاسفة المعاصرون، فقد أمر ذويه بالقيام على السمت المؤدى اليه من أقرب الطرق وأقومها.

وما نحن بصدد من الدعوة الى الاحسان في كل شئ، يفتح الباب لنا موس الترقى على مصراعيه، فإن أمة يدعوها دينها الى تحرى الحسن في كل قول وعمل، لا شك أن غريزة التكامل تتنبه فيها وتبلغ بحكم التطور الى أقصى حد، فتندفع في سبيل الترقى محفوزة بموامل ذاتية غير متكلفة، ويكون قلبها في أطوار الارتقاء نتيجة طبيعية لحالتها النفسية. هذه النتيجة ظهرت على أشد ما تكون عليه وضوحا في الأمة الاسلامية منذ أخذها بهذا الدين، فإنها لصدق إيمانها به، عملت بكل ما جاء فيه، فكانت ثمرة عملها به ارتقاءها حسا ومعنى، وتدرجها في معارج السمو بسرعة مدهشة، خلطو الطريق أمام ناموس الترقى من الموائير، فإن الاسلام بأوامره ونواهيه المختلفة كان قد نبه جميع عو مل التكامل في النفوس، وأعد غرائزها لقبول كل ما هو حق وجليل،

وأبطل جميع عوامل الفساد فيها ، فلم يستعص قيادها على أي ناموس مكمل ، ولم تلفظ بنيتها أي خير تأدت اليه في حياتها النشطة القوية . انظر الى قوله تعالى : « وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا خيرا ، الذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ، ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين »

محمد فريد وجدي

## تربية الولد

روى أن عتبة بن أبي سفيان أوصى مؤدب ولده فقال :

« ليكن أول إصلاحك بني إصلاحك لنفسك ، فإن عيوبهم معقودة بعيبك ، فالحسن عندهم ما فعلت ، والقبيح ما تركت . وعلمهم كتاب الله ، ولا تملهم فيتركوا ، ولا تدعهم منه فيهجروا . وروم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر أغفه . ولا تخرجهم من علم الى علم حتى يحكوه ، فإن ازدحام الكلام في السمع ، مضلة للفهم . وهددم في . وأدبهم دوني . وكن لهم كالطبيب الرفيق الذي لا يمجّل بالدواء حتى يعرف الداء . وامنعهم من محادثة النساء ، واشغلهم بسير الحكماء . واستزدني بأدبهم أزدك . ولا تشككن على عذر مني فقد اشككت على كفاية منك . وقال أعرابي لولده وقد سمعه يكذب :

يا بني عجبت من الكذاب المشيد بكذبه . وإنما يدل على عيبه ، ويتعرض للعقاب من ربه ؛ فالأسماء له عادة ، والأخبار عنه متضادة ، إن قال حقاً لم يصدق ، وإن أراد خيراً لم يوفق . فهو الجاني على نفسه بفعاله ، والدال على قضيضته بمقاله . فما صح من صدقه نسب الى غيره ، وما صح من كذبه غيره نسب اليه ، فهو كما قال الشاعر .

حسب الكذوب من المأثمة بعض ما يحكي عليه  
فاذا سمعت بكذبة من غيره نسبت اليه

# النفسي

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

قد جاءت هذه الآية بعد قوله عز من قائل: «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين» فما أعظم وقعها في موقعها، وما أشد تمكنها في مسكنها؛ أما إنها لآية جمعت من بيان للخير والشر مع الترغيب في الأول والتنفير من الثاني ما لا تراه قد اجتمع في غيرها، حتى روى فيها البيهقي في شعب الإيمان والبخاري في الأدب عن ابن مسعود رضي الله عنه أنها أجمع آية للخير والشر، وروى أبو نعيم أن أكرم ابن صبيح لما بلغه بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أرسل رجلين إليه صلى الله عليه وسلم يتعرفان حاله، فسألاه عما جاء به فتلا عليهما هذه الآية، فرجعا إلى أكرم، فقال: إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن مذامها، فكونوا في هذا الأمر رؤساء ولا تكونوا أذناناً. ولا عجب فإن هذه الآية على جازتها قد بينت كل شئ يحتاج إليه الناس في تربيتهم وتهذيبهم، وألارت طريق الهدى لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد؛ وقد جمعت من صنوف الرحمة للفرد العامل بها والمجتمع المحيط به ما لم يجتمع في غيرها، إذ وجهت العامل إلى ما فيه سعادته، ووقت المجتمع من بطش بعضه ببعض، ومكنت الناس من أن ينتفع بعضهم ببعض، حتى يكونوا جميعاً رسل رحمة ووداد، ويسودهم الصفاء، فيكونوا كأعضاء الجسد الواحد، وكفى بذلك رحمة بينهم.

ثم هي تبشير صادق لمن عمل بها أن ينال من الله النعيم المقيم، وينجو من العذاب الأليم؛ فإحسن موقعها بعد قوله عز وجل: «ونزلنا عليك الكتاب تبينا لكل شيء، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين»؛ ولعلك بهذا تلمح أن قوله تعالى: «للمسلمين» في الآية السابقة راجع لقوله: «وبشرى» وأن الهدى والرحمة فيها عامان للمسلمين وغير المسلمين، فطلوع الشمس هاد للجميع حتى من غمض عينيه وحرم نفسه الانتفاع بضوئها، وطلوع الشمس رحمة حتى لمن هرب من التعرض لشعاعها وزاغ عن ضوئها. لقد أمر الله تعالى في هذه الآية التي نحن بصدد تفسيرها بثلاثة أشياء، وهي العدل، والإحسان، وإيتاء ذى القربى؛ ونهى عن ثلاثة أشياء: الفحشاء، والمنكر، والبغى.

أما الثلاثة المأمور بها فأولها العدل وهو رأسها، بل هو الصراط المستقيم، وهو يجمع الخير كله، فإما من فضيلة اعتقادية أو عممية أو خلقية؛ ولا تبحد العدل أساسها ومالك زمامها. والعدل أصله ضد الميل والجور، ومنه طريق معتدل، وقد اشتهر فيما يقابل الظلم لأن الظالم مال عن طريق الحق، فرجع لعدل التوسط في الأمر، ولنضرب لذلك أمثلة في الاعتقادات والعبادات والمعاملات والأخلاق: تبحد الناس في الاعتقاد بوجود الإله ثلاثة أصناف: دهرية ينقون الإله الصانع ويقولون: إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر وقد وجد العالم بطبيعته؛ ومشركون قالوا يتعدد الإله كالثنوية أو الماتوية القائلين بالوهمية إلهين: النور والظلمة؛ والثنية عباد الأوثان والكواكب والحيوانات والأنهار وأمثالها؛ فالأولى فرطت في وجود الإله، والثانية أفرطت بتأليه ما ليس بإله وتعدد الآلهة. والعدل هو الاعتقاد بوجود إله واحد لا شريك له ولا ند ولا مثيل، وتبحد في القائلين بوجود الإله فرقاً كذلك، فمنهم من يقول: إنه وحدة محضة لا تعدد فيها ولا صفة لها ولا ولا وإنما هو مبدأ واحد صدر عنه شيء، واحد بطريق الزوم لا إرادة له فيه، ثم صدر عن الواحد آخر، وكانت الأفلak وحركاتها حتى جاء منها ما يسمونه بالعقل الفياض فأفاض على هذا العالم ما استمد له بدون مدخيلة

الاله الأعظم بشئ، أكثر من أنه عنه نشأت تلك القوى بلا إرادته ولا علم له بجزئياتها ولا إرادة له في كون شئ منها أو فسادها، وهؤلاء معطلة. وآخرون يقولون: إنه جسم وذو أعضاء وأجزاء، ويتنقل من مكان الى مكان وهم جبراء، وهؤلاء مشبهة تشبيها محضاً. والدين الصحيح أنه هو الفاعل المختار، خالق كل شئ، لا يعزب عن علمه شئ، وهو المعلم الحكيم، وأنه منزّه عن الجسمية ولو احقها، وعن الأجزاء والتركيب، ليس كمثل شئ، وهو السميع البصير.

ومن العدل في الاعتقادات ما يتعلق بأسر المعاد، فمن الناس من يزعم أن المعاصي لا مؤاخذه عليها مهما عظمت متى آمن المرء بالخلص الذي افتدى البشر بصليبه وصلب من أجلهم، فمن آمن به فله أن يفعل ما يشاء من ظلم وبغى وفاحشة ومنكر، فإن خطاياه قد حملها عنه المصلوب، فالأمر بإباحة لا حد لها ولا قيد، ومنهم من زعم أنه لا يفعل عبد معصية إلا ويخلد من أجلها في النار مهما امتلأ قلبه بالإيمان وامتلاء عمره بالإحسان، فعصية واحدة كافية في هدم ذلك البنيان ولاشفاعة ولا غفران. والعدل أن من عمل صالحاً من ذكر وأنثى فله أجره عند ربه، ومن اقترف سيئة وهو مؤمن بربه فأمره الى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه بها ثم أدخله الجنة جزاء لإيمانه، فالإيمان خير ولا كلام، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره. ومن العدل في الاعتقادات ما يتعلق بأفعال العباد، فمنهم من يسلب عن المرء اختياره ويجمله كالريشة في مهب الريح لا تملك من أمرها شيئاً، ومنهم من يقول هو المهيمن التام على ما صُرف فيه ودخل تحت قدرته ليس لأحد ولا لله مدخل في توجيه إرادته ولا خلق أفعاله، بل هو الكامل الاستقلال. والعدل أن له قدرة وإرادة وهبهما الله إياه، بهما يتصرف فيما أقدره الله عليه، وإن كان اختياره وإرادته لا تتمدى ما علمه الله وأراده، فمن يهdy من أضل الله؟ ومن يضل الله فلا هادي له، ثم ما يصدر عنه من الأفعال وإن كان منسوباً اليه ومكسباً له وناسخاً عن إرادته وقدرته، هو بخلق الله



وإيجاده، فهو كما يخلق الله الماء ويخلق الرى بعد شربه ناشئا عنه ، وكما يخلق النار ويخلق الاحتراق عقب مساسها ، فالكل منه واليه ، وهو خالق كل شئ .

ومما يتصل بذلك وإن كان متعلقا بالأعمال أن قوما يتقون التكليف بتاتا ويقولون : ليس لله حاجة في طاعة ولا ضرر من معصية ، فليس له أمر ولا نهى أصلا ؛ ومن الناس من أخذوا أنفسهم بالعتت والإرهاق وضروب التعذيب واليعد عن الطيبات من مأكل وملبس وغيرهما ، أو يترهبون ويعطلون المعنى الذى وهبهم الله إياه وناط به عمران العالم . والعدل هو ما أشار اليه قوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » وقوله : « أنخسيتم أنما خلقناكم عبداً وأنكم إلينا لا ترجعون » وقوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وقوله عز وجل : « إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن » . وعلى الجلالة فالعدل هو ما جاء في هذه الشريعة الغراء للأمة التى شرفها سبحانه وتعالى بقوله : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » . هذا فى الاعتقادات .

وأما الأعمال فإنك إذا نظرت الى العبادات التى هى أركان الإسلام تجد العدل واضحاً فيها متجلياً فى كل منها : فالصلاة وفرائضها المعلومة ، والزكاة ومقاديرها المحدودة ، والصوم وأيامه المحدودة ، والحج ووجوبه فى العمر مرة ، كلها ناطقة بأن الله لطف بنا لطفاً عظيماً ، ورحمنا رحمة واسعة ، وفى الصلاة لم يتركنا سدى بدون عبادة تتكرر يومياً لتذكر القلوب من غفلتها وتوقظها من سئتها ، ولم يرهنه بها فيجعلها خسين فى اليوم والليلة ؛ وفى الزكاة لم يحرم فقيرنا من فضل غنينا ، ولم يرهنه فيجعل الأمر شيوعاً يحرم العامل من ثمرة كده وجده ؛ وفى الصيام لم يرسلنا على اللذائذ إرسالا حتى يكون الناس كالأنعام أو أضل سبيلا ، ولم يحرم علينا الطيبات من الرزق ، وإنما أمرنا أن نكف عن المأكّل بياض النهار شهراً فى السنة ، نتعرف بذلك مقدار نعمة الله ، ويعطف به بعضنا على بعض ، وننتق أبداننا من أوصار الانهماك فى الطعام . وكذلك لم يخرجنا فى الحج أن نجتمع كل سنة أو كل شهر ، أو أن يجتمع الجميع فى وقت معين

في بقعة معينة، كما لم يتركنا فرطاً لايلوي منا أحد على أحد . فكان العدل في العبادات وأركان الاسلام ما نرى .

أريد أن نستقصى في الأمر فتنظر الى مثل قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى صنفك ولا تبسطها كل البسط » وقوله عز وجل ثناء على المؤمنين : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » ؟ وانتقل بنظرك إن شئت الى ما شرع الله من أحكام بين الناس في معاملتهم بعضهم مع بعض سواء أكان ذلك في الدائرة الضيقة : الحياة المنزلية : سياسة الأسرة ، أم في الدائرة الواسعة من معاملات وحدود جنائيات ، أم في الدائرة الأوسع نطاقاً في عهود المسلمين مع غيرهم من الطوائف ، فإنك واجد في كل ذلك مظهر العدل الأكمل ، والإنصاف الذي لا تؤخذ عليه شائبة .

أست ترى في باب الزواج مثلاً أنه لم يطلق للشهوات العنان ، ولم يبح حيازة ما يزيد على ما يكفي ويغني كل طبيعة ، ويسد حاجة الرجل مهما أوتى من قدرة ، كما لم يضيق السبيل في وجه من وثق من نفسه بالقدرة على الإيواء وإيتاء ما وجب عليه مع الثقة من نفسه بالعدل بين من وكل إليه أمرهم ، فتوسط في أمر العدد فلم يقف به عند حد زوجة واحدة ، فربما كان في قوته أن يعمل أكثر من واحدة ، وأنه يحتاج في تمام عفافه الى أكثر من واحدة ، والشرع يُعَيِّ بصون العفاف أكبر عناية ، والرجل هو المتوط به الكلف والنفقات ، وهو بصير على نفسه فلا يحمل إلا ما يطيق ، ولكن ليس مطلقاً بدون تحديد ، بل أباح له عدداً يمكنه معه أن يأمن على إقامة أعدائه ، وبذلك لم يضيق بالإرهاق والاقتصار على الواحدة ، ولم يوسع بإباحة ما لا نهاية له ، وقد كان كلا الأمرين محتتملاً ، وربما جاء كل من الأمرين في شريعة ، أو اختاره قوم .

وكذلك في أمر الطلاق : لم يضيق على الناس ويلزمهم إفناء حياتهم وتضيحية سماتهم وهناءتهم طول عمرهم في عشرة من لا تطيب معها أو معه العشرة ، ولم يجعل الأمر مباحاً بواجبه ويتردد عليه كلما شاء له الهوى ، فأباح الطلاق وجعله مع إباحته أبغض المباحات

الى الله، حتى لا يقدم عليه امرؤ إلا وهو جد معذور، ثم مكنه من تقضه والرجوع فيه مرة ومرة، فإذا جاءت الثالثة فلا رجعة له إلا إن تجددت عصمتها وعشرتها لغيره ثم انفصلت منه، فوسع للناس في حدود معقولة، وهياً لهم أسباب الهداة في طريقة معتدلة.

وكذلك أمر النفقات: لم يغفل أو اصر القربى ويجعلها نسيا منسيا، ولم يجعل القرايات شركات لها الحق المطلق، ولكن قرر على الموسر من الأقرباء نفقة المعسر بالمعروف. فإذا نظرت الى المعاملات وجدت قانون العدل محكاً وطريق الإنصاف محمياً في كل باب من بيع وشراء وإجارة ورهن وضمان وقصاص في الجنايات. أفأقول لك: إنه عدل حتى في العدل؟ وكيف ذلك؟ نعم لقد عدل حتى في العدل: فإنه لم يحتم على صاحب الحق أن يأخذ بالعدل، كما لم يجرمه حقه في العدل، وإنما قال له: لك الحق في أن تستوفي حقتك بالعدل، ومع ذلك فإني أرغبك في الإحسان والفضل. فما أشبه الإتيان بالإحسان بعد العدل أن يكون اعتدالا في تقرير العدل: لقد كان في بعض الشرائع تحميم الاستيفاء للحقوق والاستقصاء في العدالة، وأنه ليس لصاحب الحق التنازل عن حقه، وذلك في الشريعة الموسوية على ما يذكر، حيث كانت النفوس ألفت الدلة والخضوع والمسكنة، وكانت الحكمة في أن ينفخ فيهم روح الألفة والحمة والشم، فتمروا أن يتساهلوا في حقوقهم، وأن يتجاوزوا عن شيء مما لهم، حتى إذا مرز من اقتلعت فيه منهم روح الاستخذاء والتضعع، وتمكنت فيهم روح المقاصة والمشاحة، جاءت اشريعة العيسوية ترغب في التفضل ونأبي المقاصة، وتدعو الى التسامح، قائلة أو قائلاً من يقول بلسانها: من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر. فجاءت الشريعة المحمدية على الوجه الوسط المعتدل في العدل، فلم تحتمه البتة كما كان في شريعة موسى، ولم تهمله رأساً كما جاء في شريعة عيسى، وإنما قررتة حقاً، ودعت الى التسامح فيه فضلاً، ولا يكون الإحسان إحساناً حتى يحسب عن طيبة خاطر، ولا يكون كذلك

إلا إذا عرف المحسن أنه إذا تمسك بحقه كان له حق استيفائه، حينئذ تطيب نفسه بالفضل، ويسمح به عن طيبة خاطر.

هذا هو العدل في العدل، وهذا هو الإحسان حقاً. ولقد جاء رحمة من الله بالناس حين استعد له الإنسان وتقلبت عليه صروف الزمان فكمل استعداده لأكل صروب الإحسان، وبذلك جاءت شريعة كاملة صالحة لكل زمان ومكان، فكانت هدى ورحمة وبشرى للمسلمين. وإنه لولا خوف الإطالة لبيدنا جريان الإحسان في كل باب كما بيدنا ذلك في العدل، ولكن هذا لا يمنعنا من الإلمام بالمأخذاً خفيفاً. فتأشدتلك الله والعدل والإحسان لا نسأم ولا يملسك الملل، فإننا سنوجز القول في ذلك بإيجازاً:

أصل الإحسان الإتيان بالعمل على الوجه الحسن الجميل، ومنه «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة» وقد تعورف في الإلنعام والتفضل، ولكنه يتسع معناه لأكثر من ذلك، ويمكن حمل الآية على المعنى الأوسع كما سنبينه لك:

ففي باب الاعتقاد تجد العدل هو ما سبق بيانه من الإيمان بوجود إله عالم قادر متصرف في هذا العالم، لا يشذ عن قدرته شيء، ولا يعزب عن علمه شيء، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، وما من حبة في ظلمات البر والبحر إلا وهو عالم بها. هذا هو العدل. والإحسان أن يرقب المرء ذلك ويطيل النظر فيه حتى يكون ذلك دائماً ماثلاً أمام عقله، حاضر الحسه مشهوداً له كأنه يبصره ويشاهده، فيدعوه ذلك إلى دوام الحياء والخوف والرجاء عن شهود دائم ونظر قائم.

الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تستطع ذلك فباستحضار أنه مطلع على سرّك وعلايتك، يعلم لحظة بصرك وتموجات لحظك، وجولان خاطرك، وخطرات نفسك، وهو أعلم بك من نفسك، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. هذا مثال من الإحسان في باب الإيمان.

وأما الإحسان في باب الأعمال فغير خاف على من درس الشريعة وعرف فرائضها ونوافلها . فالعدل أداء الفرائض ، والإحسان التطوع بالتوافل ، وهذا في باب الكمية أمره ظاهر ؛ وأما في الكيفيات فما أدق باب الإخلاص والصدق في أداء المبادات ، فمن أدى فرضه مستوفيا شروطه الشرعية فالعدل أن تبرأ ذمته ويرتفع الطلب عنه ، ولكن أليس الإحسان في عبادة الله تعظيما لجناحه وشكرا لنعمة ، مع استحضار أنه يناجيه في الصلاة بكلامه القديم ، مستحضرا عظمته في قيامه وركوعه وسجوده ، متلذذا بتوفيقه إياه ليؤدي له ما يرضيه ، مقتبطا بشرف المشول بين يديه وإطلاعه عليه ؟ المح إن شئت قوله عليه الصلاة والسلام : « جعلت قرعة عيني في الصلاة » وهذا باب لا يعرفه تمام المعرفة إلا من ذاقه ، وليس طيابه على الراغب فيه ببعيد .

وفي الزكاة تجدد الإكثار من الصدقات من أوسع أبواب الإحسان ، فإذا ضم إليه الفسول المعروف ، والبعد عن المن والأذى ، وإخفاء الصدقة حتى لا تعرف شماله ما تنفق يمينه ، وإذا استطاع أن يخفى نفسه عن تصدق عليه حتى لا يكلفه منة الشكر ، كان ذلك أدخل في باب الإحسان .

وهل ترى من الإحسان في الصوم أن يصون لسانه عن لغو الكلام ، به ما حرم الله من غيبة ونعيمة ، ويكف بصره وسمعه عن الوقوع فيما لا يرضى ربه « من لم يكف لسانه وسمعه وبصره عما حرم الله فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » .

وأما باب المعاملات والجنايات فالإحسان فيها أوضح من أن ينبه عليه ؛ وحسبك منه أن قد جعل التسامح في البيع والشراء من باب الصدقات ؛ ونأهيك بإظهار المعسر والبعد عن الغرر والنش وأمثالها . والقصاص : هل يخفى عليك قوله تعالى : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » أو قوله تعالى : « فن عفوا وأصلح فأجره على الله » أو قوله تعالى : « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » ؟

أما بعد : فهل تريد أن أقول لك : إنه يطلب الإحسان حتى في الإحسان ؟ نعم :

وانظر إن شئت الى قوله عليه السلام: «ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك وإنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك»؛ وليس معنى الحديث أن إحسان المرء الى من أحسن اليه إساءة وليس بإحسان، حاشا أن يفهم ذلك، وإنما معناه أن هذا الإحسان أشبه شيء بأداء الديون لم يكن ينتظر منه غير ذلك، فالفضل فيه فضل نازل عن الفضل في الاحسان ابتداء، لاعلى وجه المكافأة، أو على وجه مقابلة السيئة بالحسنة، فذلك هو الفضل العظيم. فإذا كان لاحسان بدءا وتفضيلاً أكمل في النظر الصحيح من الاحسان في مقابلة الاحسان فلا شك في أن الاحسان في مقابلة الإساءة أكمل وأفضل، وأجل ثواباً وأعظم عند الله أجراً. ولكن لا يفوتك أن محل كون ذلك إحساناً وفضلاً إنما هو إذا تمكن من أن يستوفي حقه قصاصاً وعدلاً، وأما إذا أرغم على هذا فإنه يكون استخذاءً وذلاً. وبذلك ترى أنه لا يتحقق الاحسان إلا حيث يملك المرء زمام التصرف فيستوفي إن شاء ويسامح إن شاء.

وإن من أعظم أبواب الاحسان أجراً وأشدّها على النفس أداء، الاحسان على من يزعم أنه صاحب حق في حين أنه ليس له ذلك الحق، فإن النفوس في هذه الحالة تشمّر أن يصور تطوعها بصورة الحق المطلوب التقرر. وهذا أكثر ما يكون في الاحسان الى ذوى القربى، فإن القريب دائماً متطلع الى ما في يد قريبه، يراه حقيقة أن يشاركه في خيره ويسره، ويزاحمه فيما أنعم الله عليه به. أليس من تبعة واحدة؟ أليس يجمعهما أب واحد أو جد واحد؟ فلماذا يستأثر على بما أوتي؟ أليس كان من الجائز أن يكون ما في حوزته في حوزتي؟ وهلم جرا مما يخدع به نفسه حتى يدوم تطلعه؛ ويلح الآخر منه هذا فتشع نفسه عليه بينما هي سائحة لآخر غيره.

من أجل هذا اختص الله تبارك وتعالى إيتاء ذى القربى بالذكر من بين ضروب الاحسان، حثاً عليه وتأكيده لشأنه، وتخصيصاً لأحسن أنواع الاحسان، حتى لا يدعه المحسن مطوعة لداعية نفسه، وإجابة لنفرة طبيعته من أقاربه، واكتفاء بشكر الأبعد الذين لا شبهة لهم في ادعاء الحق في هذه النعم التي وصلت اليهم من ناحية البعيد عنهم.

أرأيت كيف كان إيتاء ذى القربى محتاجاً للتنصيب عليه بعد ذكر الاحسان مع أنه داخل فيه؟ نعم: إن الانسان لينتظر الشكر من أحسن عليه، وما هو بواجده غالباً عند أقاربه، بل ربما يرى أنه مهما أعطاهم فهو غير مرضيهم، ويرى تطالعهم الى أكثر مما وصلت اليه أيديهم، فينفرد من إعطائهم، ويبعث عن طريق إحسان هو أحب الى نفسه، ولكنه ليس أحب الى الله. كيف وهذا الذي يلح به الأقارب الفقراء في قريهم الغنى له حظ من النظر يجب أن يراعيه القريب الغنى ولا يغضى عنه عينه، فلو شاء الله لعكس القضية وجعل غنى الأسرة فقيراً وفقيرها غنياً، فيجب أن يكون مظهر الشكر هو ما يظهر فيه الاعتراف بالنعمة وتقديرها بمقدارها اللائق بها. ثم انظر الى ما يترتب على ذلك من صلة الرحم وجمع القلوب التي إذا تفرقت أبت إلا الاتقياد للشرور، ومطابقة الشيطان في وساوسه، فتحرشت بغنيها حسداً وحقداً، وقابلته على حرمانه عداوة وبغضا، وإذا استطاعت قايضته منه أذى وقتكا. وقد بما قال الأول:

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند  
فإيتاء ذى القربى إحسان في الإحسان يجمعه في الموضع اللائق به الكثير  
التطلع له، وهو إحسان الى النفس بعطف نفوس الأقربين عليها وإصفاء محبتهم لها،  
وإحسان الى الغير بالترفيه عنهم، وإزالة أدواء الحقد والحسد والبغض من نفوسهم،  
واستبدالهم بها حياً ووداً وصداقة.

وأما الثلاثة المنهى عنها فقد قال تعالى في شأنها: « وينهى عن الفحشاء والمنكر  
والبنى » ومعلوم أن المنهيات في الشرع أمور كثيرة، ولكن هل يقبى عنك أنها  
ترجع الى أصول ثلاثة كما قرره علماء الأخلاق وأصحاب علم النفس؟ لقد قرر العلماء  
قديماً وحديثاً أن في النفس الانسانية قوى ثلاثاً هي منشأ ما يصدر عنه من آثار خيرية  
أو شرية، تلك هي القوة الشهوية، والقوة الغضبية، والقوة المفكرة. فالأولى جلب  
النافع، والثانية لدفع الضرر، والثالثة للتمييز. وأطالوا في بيان اعتدال كل قوة واعوجاجها

بميلها الى جانب التفريط أو الإفراط، وردوا كل أثر يظهر من الانسان أو خلق يوسع في نفسه الى إحدى هذه الثلاث أو الى اجتماع بعضها ببعض ، وحصل استيفاء ذلك التفصيل وما فيه من تشعبات ، فن الأخلق أو علم النفس . وإنما الذي يعنيننا من ذلك هو أن هذه المنهيات الثلاث المذكورة في الآية السكرية قد استوفت آثار إفراط تلك القوى واستغرقت حالات طغيانها ، وذلك أعظم ما يعنى به المرئ المؤدب . أما حالات خودها فهي وإن كانت مذمومة يتناولها النهى إلا أن العناية بعلاج طغيانها وإفراطها أحق بالقصد .

فالفحشاء والمنكر وإن كان كل منهما يطلق على سبيل التوسع على كل جريمة فاحشة ينكرها الشرع والعقل ، إلا أن لفظ الفحشاء أكثر ما يتبادر منه طغيان القوة الشهوية وبخاصة جريمة الزنا ، وهي من باب إفراط تلك القوة . ويلتحق بها في الفحش السرقة والشره وأمثالهما مما يكون ارتكابه موجبا للخزى ، ويستفحش ، ويحتقر فاعله ويستحي صاحبه أن ينسب اليه .

وأما المنكر فأكثر ما يطلق على مظهر الإفراط في القوة الغضبية ، كالقتل والإيذاء والتعدييات على الغير استنادا الى جانب القوة ، وذلك ما يسمى بالقوة السبعية كما يسمى الأول قوة بهيمية .

فكلمتا الفحشاء والمنكر تتناولان كل الجرائم الخلة بالعفة ، وهي اعتدال القوة الشهوية ، والخلة بالشجاعة وهي اعتدال القوة الغضبية . وإذا كانت الكلمتان أظهر في النهى عن الجرائم التي تعتبر من باب الطغيان في هاتين القوتين أى الميل الى جانب الإفراط فيهما ، فذلك لأن الطغيان والإفراط أحق بالزجر من الضعف والتقصير والتفريط ، وربما كان منشأ ذلك عجز المرء عن معنى الدفاع ، أو جلب ماله به انتفاع .

فتراهما كلمتين وجيزتين قد استغرقتا المنكرات المنهى عنها من باب الأعمال ، ولم يكد يشذ عنهما إلا القليل النادر . وإن شئت ضربت لك بعض الأمثلة بالجرائم



التي ترجع اليها عند التأمل . واعتبر جرائم اللسان مثلاً كالكذب وشهادة الزور والغيبة والنميمة : فهل يحصل الكذب غالباً إلا للتوصل لمنفعة أو دفع ما يظن فيه الضرر ؟ وهل تقع شهادة الزور إلا لتحليل حق الغير مستحقه ، أو حرمان ذي حق من حقه ؟ وهل يقدم عليها صاحبها إلا انتظاراً لجلب منفعة من المشهود له ، أو لإيقاع أذى بالمشهود عليه ؟ وهل ترى النميمة إلا محاولة لإيذاء الأئمنين أو إيقاع الخصومات والعداوات بينهم حتى يصل أذى كل منهم لصاحبه فيشتفي النام بما جلبه عليهما من ضرر وأذى ؟ والمعتاب : هل يسعى إلا لا تنقص منزلة من يفتابه وجلب الحقارة إليه ، وفي ذلك من الإضرار به ما فيه ؟ وهكذا إذا تأملت في معظم الجرائم العملية وجبتها بسبب متين من طغيان القوة الشهوية البهيمية ، أو الغضبية السبعية . وكلمة الشهوية تريد بها ما يتناول طموح النفس إلى كل ما تشتهي من مأكل وملبس ومركب وإحراز مال وما يماثلها . وكذلك الغضبية تريد بها كل ما يرجع إلى الاستطالة بالقوة والجبروت ، وإيصال الأذى من أي نوع كان .

وأما البغى وهو الخصلة الثالثة المنهى عنها فترجمه إلى طغيان القوة المفكرة أو النفس الانسانية ، أو الشيطانية كما هو اسمها إذا طغت وأفرط فيها صاحبها . وترجع إلى الجرائم الخلقية والغرائز النفسية ، كالكبر ، والزهو ، والعجب ، والخيلاء ، واحتقار الناس والاعتزاز بالنعم ، والاعتزاز بالمقوت . هذه جرثومة تخرج إليها النفس الشريرة الشيطانية لا من باب جلب نفع أو دفع ضرر ، وإن كانت كثيراً ما تلبس ذلك ، ولكنها ترجع إلى ما في الطبيعة النفسية من الميل إلى العلو وحب العظمة ؛ وهذا المعنى إذا ما اعتدل عند صاحبه كان عزة وشماً ، وصيانة وحتشاماً ، فإذا ما زاد عن حده أصبح صلفاً وتهاً واستطالة وكبرياء . وأصل البغى الطلأ ، ولكنه غلب في طلب ما ليس بحق استناداً على القوة واعتزازاً بالعزة واستعلاء على الغير ، كما في قوله تعالى : « إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم » . وعلى هذا تجد كلمة البغى في الآية الكريمة قد أتت على القبايح

النفسية والجرائم الخلقية . حتى لا يشذ عن تلك المنهيات شيء لا عمل ولا خلق . وقانا الله كل شر ، ووقفنا للعمل بما يرضيه .

وبعد : فلعل السر في ترتيب المنهيات على هذا الوجه أن أخس الجرائم ما يرجع إلى القوة البهيمية ، ولذلك يحزى منه من نسب إليه ، ولا يكاد يقترفه إلا خلسة وخفية . ويليه ما يرجع إلى القوة الغضبية السبعية ، فترى بعض المجرمين يباهى بارتكابه ولا يردعه عن المجاهرة إلا خوف العقوبة . أما ما يرجع إلى القوة الشيطانية من التطاول والترفع على الناس ، والصلف والتميه والكبرياء ، فتجد صاحبه نفورا به مباحيا مزهوا . فكأنه بدى في الآية بالتنزيه عن أخس الصفات ، ثم بالتطهير مما قد يرتكبه البعض جهارا ، ثم باستئصال كل ما لا يليق التصاقه بنفس العبد المؤمن الخاضع لربه ، القائم بحق عبوديته .

قال تعالى : « يعظكم لعلكم تذكرون » الوعظ التنبيه لما ينفع . والفرق بين التنبيه والتعليم أن التعليم تحصيل العلم بما لم يسبق شعوره به ، وأما التنبيه فهو لفت نظر النفس إلى ما هو كامن عندها أو ما هو بمنال منها بحيث تمرزه عند الالتفات إليه . وكأن اختيار لفظ يعظكم في هذا المقام للدلالة على أن هذه الأمور وهذه المنهيات هي الباب الذي يصل بنفوسكم إلى ما هيئت له من رقى إلى مناسبة العالم الملوكي ، وهو المخلص مما يتهددكم من تدهور وانحطاط إلى العالم الشيطاني أو البهيمي ، وأنه قد فطر في نفوسكم من غريزة العقل وقوة التمييز ما إذا أحسنتم استعماله أو صلحتم إلى طريق هذا الخير ، فما أمركم إلا بما فيه رشادكم ، وما نهاكم إلا عما فيه فسادكم ، ومن حقكم لو أحسنتم التأمل أن تعرفوا ذلك من أنفسكم .

أفلا تذكر ما قدمناه لك في أول هذه الكلمة عن أكرم بن صيني من أنه أمر قومه أن يكونوا في هذا الأمر رأسا ولا يكونوا فيه ذنبا ؟ أفيشك أحد في أن منشأ ذلك أنه أمرهم بما تروح إليه العقول السليمة ، ونهاهم عما تنفر منه النفوس الكريهة ؟ من هذا كان المقام مقام التمييز بكلمة يعظكم أي ينهكم إلى ما حقكم أن تعلموه « لعلكم

تذكرون» أى لعل هذا التنبيه يدعوكم الى أن تعودوا الى نفوسكم فتذكروا ما بنفعكم وما يضركم، وتطبقوا ذلك على ما يلقي اليكم من ربكم، فتعلموا أنه الحق، وأنه قول رسول أمين، ما أرسله الله إلا رحمة للعالمين.

ولعظيم خطر هذه الآية الكريمة اختار عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أن يختم بها الخطبة الثانية من يوم الجمعة يدل ما كان يضمه خلفاء بنى أمية وأتباعهم من ختم خطبتهم بسبب على كرم الله وجهه، وما زال متبعا للآن. وكذلك روى أنه كان يتلو قوله تعالى: «ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم». والله أعلم.

ابراهيم الحبالى

### من لطائف عمر رضى الله عنه

قصد عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى الحج في سنة من السنين وهو أمير للمؤمنين، فلما كان بمكان يقال له ضجنان قال: لا اله إلا الله العلى لعظيم، المعطى من شاء ما شاء، كنت بهذا الوادى في مدرعة صوف أرعى إبل الخطاب، وكان فظا يتعبنى إذا حملت، ويضربنى إذا قصرت، وقد أمسيت الليلة ليس بينى وبين الله أحد (أى أنه بلغ أرق الرتب في الحكم) ثم تمثل بقول الشاعر:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته	يبقى الاله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه	والخلد قد حاولت طادفا خلدها
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له	والجن والأنس فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت توافلها	من كل أوب إليها واقده يند
حوض هنالك مورود بلا كذب	لا بد من ورده يوما كما وردوا

وكان عمر رضى عنه يستعذب الشعر الفحل ويستشهد به، وقد أوصى بالاعتداد به فقال:

«رووا أولادكم الشعر تهذب طباعهم، وترق ألسنتهم».

وفى هذا ما فيه من تشجيع الأدب البرى

وكان له نظر فى الشعراء، فقد قال يوما لبعض جلسائه من أشعر الناس: «فرد كل منهم بما رآه. فقال: أشعرهم من يقول: من ومن، يبنى زهير بن أبى سلمى».

## ما يقوم المدنيات وما يفسدها

من أخص مباحث علم الاجتماع ، الأصول التي تقوم المدنيات وتحفظها ، والعلل التي تفسد كياناتها وتدهورها . وقد ذكر القرآن الكريم هذه الأصول وتلك العلل قبل أن تدور بخلد الحسباء بقرون كثيرة .

الأسس الأولية لعلم الاجتماع هي ما كشفه النظر من أن الأمم كائنات حية ، وأنها تولد وتموت ، وأن لارتقائها وانحطاطها سندا طبيعية مقررة ، وأن أعمال آحادها وحالتهم النفسية ، تؤثر في حيوية الاجتماع قوة وضعفا . وأن العلل الاجتماعية تقبل لعلاج ، وقد تستعصى عليه إذا اشتدت ، وتكون سببا في هلاك الأمة .

هذه الأسس يعدها مؤرخو العلم من فتوحاته في القرن التاسع عشر ، وهي في الواقع من فتوحات القرآن الكريم منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا ، ولسنا في هذا الحكم بظانين ، فسيمر بك في صلب هذا الموضوع من وجوه البسط والتطبيق ، بين أصول علم الاجتماع وآى الكتاب ، ما لا يدع لك شكاً في أن الوحي قد سبق العلم الى تقريرها ، وزاد عليه ما عجز مجرد النظر عن الوصول إليه .

قامت في الأمم مدنيات كثيرة يرجع تاريخها الى نحو ستة آلاف سنة ، أشهرها للمدنيات المصرية والهندية ، يزعم الصينيون أن مدنياتهم أبعد منهما عهدا ، وأنها تبلغ من السن أربعين ألف سنة ، ولكن العلم لم يحقق هذا الادعاء بعد .

كل هذه المدنيات تبدأ بنهضة فكرية ، وحركة أدبية ، تسوق الأمة الى تجديد مآرث من أوضاعها القومية ، وما يلي من مقوماتها الاجتماعية ، فتندفع الى الأمام بقوة لم تكن لها من قبل ، ويكون أمرها في هذا الاندفع كما لو حلت بها روح جديدة .

هذا الدور الذى يسمى بدور الانتقال هو أكثر الأدوار تأثيرا في مصيرها ،

لأنها تكثر فيه من الهدم والبناء ، فقد يتفق أن تهتم ما حقه البقاء ، وأن تبني ما حقه الزوال ، وتسرب الى الأمة في هذا الدور أخلاق جديدة تخيلها ضرورية ، وهي في حقيقتها جرائم أمراض قتالة يتفاهم شرها ، ونشستد أفاعيلها ، فتظهر أعراضها فيما ينتابها من علل اجتماعية ، كذبوع الإباحة ، وشيوع الفحشاء ، وانتشار العزوبة ، وتبرج النساء ، وفساد أخلاق الشبان ، وكثرة البطالة ، ونضوب معين الثروة ، فلا تلبث الأمة أن ينسخ وجودها ، وتزول كوحدة من وحدات الاجتماع العام .

وقد والى الله تعالى إرسال الرسل الى البشر لتتولى الأمم في أدوار تدهورها بالهداية والإرشاد ، لتتلافى وجودها من الانحلال ، وتندرك بناءها من التدهار ، فمنها من استفادت من هذه العناية الإلهية بها ، فأبّت صدوعها ، ولأمت جراحها ، وتابعت البقاء الى حين ؛ ومنها من هزئت بالقائم بالدعوة وأنكرت رسالته ، ودأبت ما أتى به ، فتحيققتها العلل ، وما زالت بها حتى ألحقها بالغابرين . والى هذا يشير الكتاب الكريم في قوله تعالى : « ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن ، مكناهم في الأرض ما لم نمكن لهم ، وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ، وجعلنا الأنهار تجري من تحته ، فأهلكهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين » وقوله تعالى : « ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا ، وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا ، كذلك نجزي القوم المجرمين » .

فالإسلام يقرر أن سبب هلاك الأمم الذنوب التي يرتكبها آحادها ، وعلم الاجتماع يقول إن علته هي تدهور الأخلاق ، ونضوب معين الفضائل ، ومؤدى العبارتين واحد ، وهو أن الصفات الأدبية للأفراد تؤثر في كيان الأمم فتركبها أو تحللها ، وتصحبها أو تسقمها ، والمدار في هذا كله على نفسية الأمم ، فهي العامل الأول في إعداد الأمم لقبول الصفات التي يقوم عليها بناء الاجتماع كله . وقد أنفق علماء النفس والباحثون مدادا كثيرا في تحليل هذا الموضوع وتعميقه ، حتى شاعت كلمة النفسية شيوعا لا حد لسريانه ، وأصبح كل كاتب ومتكلم يلوكها باعتبار أنها من الأطروقات

الفلسفية الجديدة ، ولم يعلموا أنها من فيض القرآن . قال تعالى : « إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . فانظر كيف أوجز الحق ناموسا اجتماعيا خطيرا في كلمات معدودة تقوم مقام المقالات المستفيضة ، وتفعل في النفس عمل البداهات العقلية ، والمسلمات العلمية ؟

وقد أصبحت تربية النفوس الشغل الشاغل لعلماء الاجتماع ، فقد ثبت أن العلم وحده يعجز عن تقويم النفسية ، بل ربما كان سببا في تغلغلها في الشر ، بما يفتحه على الانسان من وسائل العمل ، وأساليب السبك والحيل ، وهذا يوافق ما صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ؟ » .

فرجعت المسألة الى النظر في المسوى وما يجره على الانسان من مضار وكيف يمكن إسقاطه والتخلص منه ، ولا سبيل الى ذلك إلا بتربية القلب ، فهو الذي يستطيع أن يخلص الشخصية الأدبية للانسان من تسويلاته وإغوائاته ، وانحصر جهد الفلاسفة اليوم في ذلك ، وهو ما نطق به القرآن الكريم في قوله تعالى في وجوب تربية القلوب : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » ، وقوله تعالى : « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعي البصائر ، ولكن تعي القلوب التي في الصدور » . ثم زاد هذا الأمر تشديدا فعلق النجاة على سلامة القلب من الآفات ، فقال تعالى : « يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم » .

الخطأ الكبير الذي وقعت فيه هذه المدنية الحديثة عدم اعتدادها بالدين ، واعتبارها العلم كافيا في توفير وسائل الحياة المادية ، وتطهير القلوب من آفاتها الأدبية . فلما تبين لزعماء هذه المدنية تصدع هذا البناء خلوا النفوس من العقائد ، قام جهور من فلاسفة أوروبا ووضعوا دينا أسموه بالدين الطبيعي ، جعلوا أساسه الاعتقاد بالله وتنزهه ، والإيمان

بحياة روحية بعد هذه الحياة، ينعم فيها الانسان بشرات أعماله في حياته الدنيا، وقرروا وجوب التخلق بالأخلاق الفاضلة، والآداب العالية، ولكنهم خابوا في مسعاهم هذا، لأنهم لم يدعوا الناس الى هذه المبادئ باعتبار أنها وحى من عند الله جاء على لسان رسوله، وإنما باعتبار أنها قد أدى إليها نظرم، فهي من أوضاعهم العلمية والعقلية، فكانت نتيجة ذلك إهمالها كل الإهمال. وجرى الناس على ما هم عليه من اتباع الشهوات، والجرى وراء اللذات، وراجت فيهم أصول الفلسفة المادية، فعبد الهوى، وذاعت الغواية، وركب كل إنسان رأسه في تطلب الماديات، لا يلوى على شيء، حتى إذا جد الجد، وأصبحت نتائج هذه الانحرافات عللا مستعصية على العلاج، وامتدت أفاعيلها الى جميع مقومات الاجتماع، التفت الناس فإذا بهم حيال معضلات تهدد الحياة المادية التي قنعوا بها وجعلوها غرضهم من الوجود، فأدركوا أن الحياة المادية نفسها لا تستقيم إلا بالقيام على الفضائل، فتطلبوها، ولكن أنى لهم الوصول إليها، وهي تقتضى قمع الشهوة وكبت الهوى، والشهوة والهوى هما الغرضان اللذان جعلوها مطمح أنظارهم، ووقفوا عليهما جميع جهودهم؟ فالمدنية اليوم على مفترق طريقين: فإما متابعة السير فيما كانت عليه، وفيه الهلاك المحقق، وإما اقتفاء أثر الأنبياء والمرسلين، وهو شديد على نفوس لم تدع لها الأهواء قوة على الرجم الى الطريق القويم.

لأنجب أن ندع هذه الناحية من البحث حتى نلقت القارئ الى أن علم الاجتماع يعترف بأن الذى يدك صروح المدينيات هو الفساد الذى يتطرق الى الأخلاق، والأهواء التى تتسلط على النفوس، فتدفعها الى سبل التمرد والعصيان، فقوله تعالى: «فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين»، حقيقة علمية فى مستوى البدايات العقلية، لا يمارى فيها إلا جاهل أو متمنت. فالمدنية لا تقتضى الإباحة الخلقية، ولا الحرية الحيوانية، ولا وقف النفس على الأهواء واللهيات، ولكنها على عكس هذا كله تقتضى أن يحسب أهلها لكل شيء حسابا، فإن لكل صغيرة وكبيرة نتائج تصيب المجتمع

كله على نسب مقررة لا تخفى . فإذا استخفت مدينة بهذه الأصول العلمية ، وخاضت غمرات الحياة على غير هدى ، فلامت في أنها تحاسب على ما جنته حسابا عسيرا ، وتجذ جزء أعمالها فتنا كقطع الليل المظلم . الى هذا الناموس الثابت يشير الكتاب بقوله تعالى : « وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله ، فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا » .

إن هذه الأمم التي تفرط في جنب الأخلاق ، استهانة بها أو شكا في تأثيرها ، تتورط في نتائج أعمالها ، وعواقب تفریطها ، فتؤول الى أسوأ منقلب ، وتصبح كأن لم تغن بالأمس ، قال الله تعالى : « أظلم الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض ، أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون . أو يأخذهم في قبليهم فاهم بمعجزين » . « أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ؟ ساء ما يحكمون » . « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذها ألم شديدا » « فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة ، فهي خاوية على عروشها ، وبئر معطلة وقصر مشيد » . « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » .

وقد قرر علم الاجتماع أن شئون الأمم تجري على سنن طبيعية ثابتة لا تتغير بتغير الأزمنة ولا الأمكنة ، وأن ما تلقاه أمة من نتائج أعمال آحادها ، هو ما تلقاه وما لقيته جميع الأمم ، وأن ما تدخل فيه من الأطوار هي نفسها الأطوار التي دخلت فيها من تقدمتها ، وأن الحزم كل الحزم هو أن تدرك الجماعات هذه الحقائق فتأخذ لنفسها الحيلة قبل أن تتورط فيما تورطت فيه من سبقها ، وأن سبيل ذلك أن تتعرف أحوال الذين استعمروا الأرض قبلها بالاطلاع على تواريخهم ، وما وجدوه من عنات الحياة في دورهم ، ليكون لها من وراء ذلك عقل يرشدها الى ما يجب أن تأخذه من التعاليم الحكيمة ، والأخلاق القويمة .

هذا ما قرره العلم في القرن التاسع عشر ، وقد سبقه الوحي الإلهي اليه بنحو



اثنى عشر قرنا ، فقرر القرآن الكريم هذا كله بأفصح عبارة ، وأوضح إشارة ، فقال تعالى : « سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » . وفي آية أخرى : « فهل ينظرون إلا سنة الأولين فان تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » . وفي آية أخرى : « قد خلت من قبلكم سنن ، فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » .

من هنا يرى قارئونا أن الوحي الإلهي قد سبق العلم إلى بيان أصول العلم الاجتماعي وأسرار حياة الأمم ، وما يصلح المدنيات وما يفسدها . فإذا كان من الناس من يخيّل اليهم أن المدنية من لوازمها تجاوز حدود الأخلاق ، والوقوع في الإباحة ، وأن ما فيها من فنون وصنائع وذرائع تستطيع أن تحفظها من نتائج هذه الصفات السافلة ، فقد متوا أنفسهم بالتحال . ولما كان هذا الأمر يهيم الهيئته الاجتماعية حكامها ومحكومياتها على السواء ، فقد وجب عليهم أن يتعاونوا على درء كل فساد خلق يسبب للمجتمع علة تصيب نازها الجميع : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب » . فالقرآن الكريم كما ترى هو موجد علم الاجتماع بأخص معانيه ، وليس موجد ابن خلدون في القرن الثالث عشر ، ولا أوجست كومت في القرن التاسع عشر : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » « ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا » .

محمد فريد وهدي

## تأثير الشعور في النفوس

كان بنو أنف الناقة يكرهون أن يدعوا بهذه النسبة حتى مدحهم الخطيئة بها ، فانقلب كراهم لها إلى افتخار بها . أما قول الخطيئة فهو :

سيرى أمام فان الأكثرين حصي	والأطيبين إذا ما يلبسون أبا
قوم إذا عقدوا عقدا جارم	شدوا العناج وشدوا فوقه الكريا
قوم هم الأنف والأذنان غيرهم	ومن يسوى بأنف الناقة الدنيا

## ما السر في أن الإنسان يدعو فلا يستجاب له

وما فائدة الدعاء

جاءنا هذا السؤال وفيه تلك الآيات :

ما قولكم فيمن دعا	ودعا الكريم تضرعا
وبكى بدمع هائل	عاما وزاد أربعا
يدعو المحيب بحرقه	متوسلا متطلعا
حفظ الدعا وشروطه	ودعا بخير طامعا
ومضى يمى نفسه	ورجا عطاء واسعا
فإذا بنحس جاءه	والياس كاث اللاذعا
وإذا بيؤس هاله	والعسر زاد وروعا
فتحيرت نفس الفتى	يدعو فيعكس مادعا
وتوجعت وتساءلت	في أمر ربي بالدعا
حزن الفتى مثألما	يبكى ويندب طالما
يشكو الحياة وظلها	يشكو زمانا روعا
وتأثرت من جرحه	نفس الفتى فتزعزعا
هل بالدعاء زيادة	تأتي وتبقى مرثعا
أو بالسكوت شقاوة؟	نرجو جوابا مقنعا
كل الشواهد أيدت	لا سمح الله يأتي بالدعا
لكن ذا متعارض	يدليل ادعوا تضرعا
أقدار ربي قدرت	قبل الخلائق أجمعا

عبد الظاهر العمري

بساقلته مركز أحميم مديرية جرجا

## الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وأصحابه . « ولا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

يظهر أنك يا أستاذ متشبع بأن الدعاء لا فائدة فيه ، وهو غلط محض من وجوه عديدة :

أما أولاً ، فلأن الإجابة لها شروط كثيرة وموانع عديدة ، والأمر المطلق في قوله تعالى : « أدعوني أستجب لكم » مقيد بما فهم من الكتاب والسنة ، مثل الحديث الصحيح الذي فيه : « إن الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأني يستجاب له » : وقوله صلى الله عليه وسلم : « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم تيرانكم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » ؛ ومثل قوله تعالى : « أمن يجيب المضطر إذا دعاه » ؛ ومثل ما بين من أوقات الإجابة وأسبابها ؛ ومثل ما ورد من أن الداعي يستجاب له ما لم يستعجل : يقول : دعوت الله فلم يستجب لي . فهذا كله يفيدنا أن قوله تعالى : « أدعوني أستجب لكم » ليس على ما تفهم من العموم الذي يتفدح في نفسك .

وأما ثانياً ، فلا بد في الحكمة الإلهية من أن تكون مستعداً لما دعوت به ، وقد فسر بذلك قوله تعالى : « إنه لا يحب المعتدين » . ويقول بعضهم في قوله : « أدعوني أستجب لكم » أي ادعوني بلسان الحال لا بلسان المقال . وسر ذلك أن الإمداد على قدر الاستعداد . ويقول سفيان الثوري وهو من كبار أئمة السلف وشيوخ الحديث : « إن الدعاء هو ترك الذنوب » .

وأما ثالثاً ، فالداعي إما أن يحاج بعين ما طلب ، وإما أن يحاج بغيره . ثم هو بعد ذلك إما أن يعجل له في الدنيا وإما أن يؤخر إلى الآخرة ( والآخرة خير وأبقى ) .

فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يفيد أن الداعي لا بد أن ينال خيرا بدعائه، فإما أن يعجل له ما دعاه في الدنيا، وإما أن يدخر له في الآخرة، وإما أن يكفر من ذنوبه بقدر ما دعا، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل . قالوا يا رسول الله : وكيف يستعجل ؟ قال : « يقول دعوت ربى فلم يستجب لى » .

ولكنك لا تريد من إجابة الدعاء إلا حصول مطلوبك أيا كان، مقدسا علمك، متحكما على ربك ، وليس هذا شأن المؤمنين الذين يعتقدون أن الله أحكم الحاكمين . فإن لم تعرف الحكمة فقلد من يعرف الحكمة :

يا حاكمي وحكيي أفعالك الكل حكمة

وأما رابعاً، فقد أتيت في صريح كلامك بما يمنع إجابة الدعاء، فقد سمعت في الحديث أنه يجاب للداعي ما لم يستعجل : يقول دعوت الله فلم يستجب لى . وأنت تقول ذلك وتقرره وتكرره ، وعندك مانع آخر : فإن على الانسان أن يدعو وهو موقن بالإجابة . فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادعوا لله وأنتم موفنون بالإجابة ، واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه » أخرجه الترمذى . وأما أنت فيظهر أنك لا تدعو إلا وأنت شاك مضطرب كأنك تجرب ربك :

وأما خامساً ، فالدعاء موانع كثيرة وآداب عديدة . ومن أكبر موانعه أكل الحرام الذى لم يدع ابتاً إلا دخله ، ولا جوف إلا أصاب من صريحه أو مشتبهه . ومن شروط النماء الإخلاص ، وأن لا يدعو وقلبه مشغول بغير الدعاء ، وأن يكون المطلوب بالدعاء شيئاً لا يتعارض هو والمصلحة الخاصة أو العامة فى حكمة الله تعالى ، وأن لا يكون فيه قطيعة رحم ، الى غير ذلك .

وأما سادساً ، فالأمر كلها موكله لمشئته الله تعالى ، الذى هو أعلم بمصالح خلقه ، والذى لا يجانى أحداً فى باب المصلحة التى يقتضها العدل والنظام .

ولو فرضنا أن حكومة من الحكومات سادت مع أهواء الناس فأعطت كل ما يطلبه من غير مراعاة الحكمة لاختل أمرها، وانتقض بناؤها، وفشت ضروب الفوضى فيها. وقد أشار إلى ذلك القرآن بقوله: «ولو اتبع الحق أهواءهم ففسدت السموات والأرض ومن فيهن».

سابعاً، أما تشبثك بالتقدير الأزلي فليس فيه غناء، ولا في دفعه عنه، فإن الأسباب مقدره كالمسببات، والعالم كله مبني على الحكمة، ولذلك كانت الأسباب مشروعة أو واجبة. وهل إذا قلنا إن فلاناً قدر له أن يلد ولداً: فهل يكون؟ في ذلك أنه يلد بغير زوج وبلا سبب؟ أو أن فلاناً قدر له أن يكون من الأغنياء: فهل معنى ذلك أن غناه يتم له بلا تجارة ولا زراعة ولا صناعة؟ إلى غير ذلك من الأسباب التي قام عليها نظام الكون؟ لا يا أستاذ! إن معنى ذلك أن كل شيء جعله الله في هذا الوجود على قدر مخصوص وبكيفية مخصوصة وسبب معين ووقت محدود الخ وهو يعلم ذلك أزلاً. فالأشياء محطة بتلك الحدود التي يعلمها الله تعالى لا يمكن أن تتخطاها. وليس معنى ذلك أن الأسباب غير مفيدة أو غير مشروعة، فإن الأسباب من المقدر أيضاً كما قلنا.

وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن سألته عن الرقي هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: «هي من قدر الله» أخرجه أبو داود والحاكم. ونحوه قول عمر لأبي عبيدة: «نفر من قدر الله إلى قدر الله» يشير إلى أن الأسباب مقدره، وتوصيلها إلى مسبباتها هو من قدر الله، كما أن الأسباب مقدره بأسبابها.

وصفة القول أنك لا تخرج عن القدر في جميع تصرفاتك، فإن الله يعلم ما ستفعله بعد وجودك، وما تستعمله من الأسباب التي جعلها طريقاً لمسبباتها ومنها الدعاء. فالكل مقدر معلوم، ولا تعارض بينه وبين الاختيار، ولا ما تسلكه من شئ الأسباب، فأى منافاة بين القدر واستعمال الأسباب يا حضرة الأستاذ؟

هذا وعليك أن تعرف أن لله قوانين كثيرة لا يحيط بها عيط : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » . فاتهم عقلك ، ولا تهم ربك ولا نبيك ؛ واعلم أن السعادة كلها والعلم كله والحق كله إنما هو فيما جاء به الأنبياء . وقد ساءني جدا قولك :

كل الشواهد آيدت لا سعد يأتي بالدعا  
ولو أنصفت لقلت :

نحن ندعو الإله في كل كرب ثم ننساه عند كشف الكروب  
كيف نرجو إجابة الدعاء قد سدونا طريقها بالذنوب

وماذا تصنع يا أستاذ في قول القرآن : « وأيوب إذا نادى ربه أتى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم » ، وفي حق يونس : « فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك تنجي المؤمنين . وزكريا إذا نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين . فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ، إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » ، وفي حق نوح : « فدعا ربه أتى مغلوب فاتصر . ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر . وجفونا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر » الى غير ذلك وهو كثير ؟

وماذا تصنع في قوله صلى الله عليه وسلم : « من فتح باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة ، وإن الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل فعليك بالدعاء » أخرجه الترمذى . وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى في حاجة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع يأثم أو قطيعة رحم » أخرجه الترمذى . وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله : أى الدعاء أسمع ؟ قال : « جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات المكتوبة » أخرجه الترمذى . وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « ما من دعوة أسرع إجابة من دعوة غائب لغائب » . أخرجه أبو داود والترمذي . وعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك : ولك مثله » أخرجه مسلم وأبو داود . فإذا تقول في ذلك كله ؟

وبعد : فإن الله يسوق السحاب من لا قطار البعيدة بركة دعاء المسلمين في الاستسقاء عند انحباس المطر . ولئن كنت جربت عدم إجابة الدعاء (والمانع منك) فقد جرب غيرك إجابة الدعاء فيما لا يحصى من الوقائع . فارجع الى نفسك باللوم ، واقرأ قوله تعالى : « وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ، وقوله : « إن رحمة الله قريب من المحسنين » « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » « قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم » « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » اللهم اجعلنا ممن سمع فوعى ، وعلم فعمل ، ثم راقب فأخلص ، وأزل قساوة قلوبنا ، وأنزل علينا سكينته من عندك ، حتى نطمئن لوعدك ، ولا نفرط في عهدك .

هذا وقد قال على كرم الله وجهه : « لو أن الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم ، فزعوا الى ربهم بصدق من نياتهم وولّاه من قلوبهم ، لود عليهم كل شارد ، وأصلح لهم كل فاسد » ويقول : « إن من الإيمان ما يكون ثابتا مستقرا في القلوب ، ومنه ما يكون عوارى بين القلوب والصدور الى أجل معلوم . ويقول الله تعالى : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون » ويقول : « ونبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » ، ويقول : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » ، ويقول : « ونبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » ويقول : « لتبوين في أموالكم وأنفسكم » ،

ثم يقول في آخر الآية : « وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » الى غير ذلك وهو كثير .

وبما له اتصال بهذا المقام قوله تعالى : « أيجيبون أنما نهدم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات ؟ بل لا يشعرون » ويقول : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » . ويقول : « سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملى لهم إن كيدى متين » ويقول : « ولا يحسبن الذين كفروا أنما تأخلف لهم خير لا أنفسهم إنما تأخلف لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين » . فما أجدرنا أن نقول لك :

أيها الانسان صبرا إن بعد العسر يسرا  
اشرب الصبر وإن كما ن من الصبر أمرا  
أو تقول :

إذا أعطى فقد أَرْضَى ولكن إذا أخذ الذى أعطى أنابا  
فأى النعمتين أحق شكرا وأحمد عند منقلب إيابا  
أنعمته التى أهدت سرورا أم الأخرى التى أهدت ثوابا  
أو تقول :

إن الأمور إذ التوت وتمقدت نزل القضاء من السماء فخلها  
فاصبر لها فلعلها ولعلها ولعل من عقد الأمور يحلها  
ولكن :

كم قد سمعنا من الآثار والحكم همتا بوادى المعاصى آتسين به  
لكن بأذن عن الإنذار فى صمم فالتعب من ظلمة الوادى الوخيم عمى  
إنا لنعرف ما نسمو به عظما لكن أنفسنا تأبى من العظم  
أدلة الحق كالأعلام ظاهرة لكن غفلتنا تعمى عن العلم



يا نفس وقتك سيف فى يدى أمل إن كنت نائمة فالموت لم ينف  
جدى وكونى على الخيرات عاكفة وخالفى مراتع العصيان والظلم  
وما أكثر ما يفتح الله به للمستعد من الفيض الإلهى الذى يورث النور  
ويزيل الغرور !

نسأل الله أن يعرفنا قصور عقولنا ، وضيق علمنا ، وكبير ضعفنا ، وعظيم جهلنا  
بمنه وكرمه !  
يوسف الدهوى  
من هيئة كبار العلماء

## ان من البيان لسحرا

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال :  
وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الزرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ، فقال الزرقان :  
يا رسول الله أنا سيد تميم ، والمطاع فيهم ، والمجاب منهم ، آخذ لهم بحقوقهم ، وأمنعهم من الظلم ،  
وهذا يعلم ذلك ، يعنى عمرو بن الأهتم .  
فقال عمرو : أجل يا رسول الله : إنه مانع لحوزته ، مطاع فى عشيرته ، شديد العارضة فيهم .  
فقال الزرقان : أما إنه والله قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسد فى شرفى .  
فقال عمرو : أما لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق العطن ، ومن المروءة ، أحق الأعب ،  
لثيم الخال ، حديث الغنى . فرأى الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله .  
فقال عمرو : يا رسول الله : رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت ،  
وما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الثانية .  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحرا ، وإن من أشعر لحكمة .

عمرو بن الأهتم هذا كان يلقب بالمسكحل لجماله ، وبنو الأهتم أهل بيت بلاغة فى الجاهلية  
والاسلام . وعبد الله ابنه هو جد خالد بن صفوان وشبيب بن شبة المشهورين بالخطابة .

# السيرة

## الحث على العمل وقوة العزيمة

### سُبْحَانَكَ يَا خَيْرَ الْخَيْرِ

عن أنى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍّ خير . أحرص على ما ينفعك ، واستمع بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » . أخرجه مسلم .

نعم : علو الهمة من الإيمان ، والكدح في العمل مع الاستمانة بالله من أيعن نعم الرحمن على الانسان . لقد ترى قوما يزعمون أن معنى التوكل على الله الجنوح الى الكسل والرضا بالقعود في الزوايا ، منصرفه قلوبهم الى الأمانى ، عاجزة همهم عن الأعمال ، ولكن أجسامهم قادرة على نقل الجبال . فهؤلاء قد سلك الشيطان من نفوسهم مسلكا جعلهم منقادين له مطيعين لأوامره ، وهو يوسوس لابن آدم من الشر بما يرى أنه ناجح معه فيه ، موافق لرغباته في الاستماع اليه ، فإذا أتى واحدا من ناحية تزيين الشهوات ، جاء آخر من قبل تحييد التعدى والاستطالة ، وصورة الفخر كل الفخر في الإيذاء ، وجعل له ذلك مصدر الملاء . ويحيى ثالث فيصور له السعادة في التكالب على الدنيا وإحرازها من أى طريق : حل أو حرم ، عدل أو ظلم . ويحيى رابع فيزهد فيها وينفره عنها ، ويرضيه أن يكون عالة على أبنائها يعولونه وهو قادر ، ويطعمونه

وهو أهل لأن يطعم لعشرات لو أراد وعمل . ومضى رأى إبليس اللعين انقياد الانسان اليه بأى أسلوب ، بادر الى تزيينه وتصويره له بصورة الخير ، وذلك أخطر ما يدخل به على الناس .

لقد يقتحم ابن آدم شيئاً من أعمال الشر عالمًا أنه شر ، ولكنه ينقاد في ذلك لحركة شهوية أو ثورة غضبية ، فيستغفر الله من ذنبه وقتاً ويتوب الى رشده ، فيكون ممن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم . ولكن الويل كل الويل لمن عميت بصيرتهم ، واستحكمت شقاوتهم ، فزعموا الشر خيراً والخير شراً ، والنفع ضرراً والضرر نفعاً ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

نعم : قد وردت أحاديث كثيرة ، وآثار شهيرة ، ترغب في الزهد والقناعة ، وتنفر من التكالب في الدنيا ، ولكن ليس معنى ذلك أن يكف المرء عن العمل المفيد المنتج الموسع لدائرة العمران ، واستخراج ما بث الله في هذا الكون من خيرات وثمرات ، بطريق الزراعة والصناعة وما أشبههما ، وإنما معناه أن يكون مقتصدًا في الطلب ، فلا يضيع دينه في تحصيل دنياه ، ولا يجلب دنياه من حيث حرم الله ، ولا يكون في سعيه وكده ظالمًا باغيًا ، ولا جبارًا طاغيًا ، وأن يكون في استمتاعه بما أنعم الله عليه معتدلاً : فلا يكون مقترفاً للحرام ، ولا مسرفاً في تناول الحلال . هذا هو المذموم في أمر الدنيا . أما السعى لتحصيلها من وجوه حلها وأداء ما فرض الله على عباده الذين أنعم عليهم بنعمها ، والاستمتاع بالطيبات من رزقها ، فلم يقل بدمه ولا تحريمه أحد : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

ترى اعجز النكس ، الضعيف النفس ، قدر ركن الى القعود والكسل ، ورضى بمسامرة الأمانى وغرور الأمل . امتلاً قلبه من حب الدنيا والتطلع لملاذها ، وذابت نفسه حسرات على إحراز القليل والكثير من خيراتها ، ولكنه ضعفت همته وصغرت نفسه ، فجعل نفسه عالة على غيره ، يتطلع لما في الأيدي ، ويتردد على الأبواب ،

ويقعد على الأعتاب، ويتمرغ في التراب. عمد الى التجول للتسول، وأصبح وأمسى يذرع الأرض شرقا وغربا، يقاطع المارة فيعطلهم عن مقاصدهم، ويزعج بصيحائه المنكرة أولئك الوادعين ليستريحوا بعد أداء أعمالهم، لا يسكل ولا يمل، ولو صرف بعض هذا الجهد في عمل نافع لدرّ عليه ما يصون ماء وجهه. ولقد يبتكر أحدهم من ضروب الخيل والتغريز ما يحتاج الى فضل ذكاه لو صرفه في النافع لأفاد واستفاد. فهم يصرفون من الجهد العقلي والبدني ما لو وفقوا في صرفه لكان خيرا لهم وللأمة جميعا. ولكنهم رضوا بهذه الصناعة المقنونة وانخدع لهم ذور القلوب السليمة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

إن للعبادة حدودا، لا بل إن من العبادة السمي في تحصيل الرزق من الوجه الحلال. وقد جاء «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهمة بطلب المعيشة». وقد ورد عن عمر رضي الله عنه أن جماعة أئمنوا في مجلسه على رجل بأنه مستغرق كل أوقاته في العبادة، وقالوا: إنه خير منا كلنا، فقال لهم: فمن يعمله؟ فقالوا: كلنا نعموله، فقال: كلكم خير منه. وروى أيضا أنه قال: «لا يقعدن أحدكم في بيته ويقول: اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، ولكن أعمالوا» وانظر إن شئت الى قوله تعالى: «فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله» وقوله جل وعلا: «هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه» وقوله تعالى: «وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله».

وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أحاديث ترغب في الكسب والتعفف عن مسألة الناس — منها قوله صلى الله عليه وسلم: «اليد العليا خير من اليد السفلى». ومنها أحاديث يقوى بعضها بعضا، مثل «التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء» حسنه الترمذي. «أحل ما أكل العبد كسب الصانع إذا نصح» حديث حسن. «من طالب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله، وتمطفا على جاره، لقي الله

ووجهه كالقمر ليلة البدر . « إن الله يحب المؤمن المحترف » . وهذان الحديثان وإن ضعف إسنادهما فإن في غيرهما ما يشهد لهما ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه » حديث صحيح . وقوله صلى الله عليه وسلم : « من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر » رواه الترمذي بالمعنى وقال : حسن صحيح .

كل هذا وما في معناه يدلنا على أن روح الدين روح عمل لا روح كسل ، وروح إعطاء للمحتاج العاجز لا روح استعطاء من القوى الكسول . ولا تحسبن من هؤلاء القعدة طائفة الهداة والمرشدين الذين نصبوا أنفسهم إلى إرشاد العباد لما فيه مصلحة المعاش والمعاد ، وأخذوا على عهدتهم معالجة النفوس والأرواح ، وتنقية القلوب من أدران الفجور والشور ، فهؤلاء مهمتهم في إسماع البشر من أشق المهمات وأحقها بعظيم التقدير . ولقد رخص للعاجز الضعيف أن يأخذ من آتاه الله من فضله حسب حاجته لا بمقدار ما يجمع ثروة ويعيش في بلهنية ، ومع هذا الترخيص ، ومع أن الضعف أمر قهرى غالباً ، جاء هذا الحديث الذي معنا يبين فضل المؤمن القوى على المؤمن الضعيف مع جبر خاطره بقوله صلى الله عليه وسلم : « وفي كل خير » فلا حيلة له فيما أصابه من ضعف . وكيف لا يكون فيه خير وقد تحلى بحلية الإيمان الذي هو أساس كل خير ؟ وقد أرشد صلى الله عليه وسلم في بقية الحديث إلى أنه ينبغي للمؤمن أن يحتال ويعمل ما في وسعه ويبدل كل جهده ، مستعيناً بالله وقوته على الوصول لما يريد ، فإنه ليس معنى القوى أنه قوى العضلات متين البنية فحسب ، لا بل هذا وإن دخل في القوة دخولاً ما فإن أساس القوة قوة الرأى ، قوة العزيمة ، قوة الهمة ، قوة تصريف الأمور . هذه معادن القوة في الإنسان . أما قوة العضلات ومثانة البنية ، فهي قوة حيوانية محضة ، فالقوى هو من يعمل رأيه الصائب بفكرة صحيحة ، ثم يصمم

عزمته على إنفاذ ما يريد ، ثم بحرك همته بنشاط حتى يصل الى ما يبتغي ، فاذا اعترضه ما ليس له في حساب تصرف في أموره تصرفا حكيما حتى يزول ما يعترضه من عقبات . هذا هو الحرص الذي أوحى اليه صلى الله عليه وسلم بقوله : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » . فكلمة « احرص » حث على الدأب في العمل ، وحفز الهمة ، وصدق النية . وليس هذا هو الحرص المنهى عنه ، فذلك هو التكالب ونسيان النفس ما يجب عليها في سبيل لوصول الى بغيتها ، وفرق ما بين الأمرين . وبعد : فهل قوة الأمانة تكون إلا بقوة أفرادها ؟

وقوله : « واستعن بالله » هذا إرشاد الى معنى التوكل على الله ، وأنه يكون مع السعي والعمل ، لا مع التواني والكسل . روى عن عمر أنه مر على جماعة قعود فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن المتوكلون . قال : « بل أنتم المتأكلون ، إنما المتوكل رجل أتى حبه في بطن الأرض ونوكل على ربه عز وجل » ! ولقد صدق عمر رضى الله عنه ، فإن المرء أكثر ما يملك من استنبات الحب أن يحرق أرضه ويلقى حبه ويتمهد ذلك بالتنظيف والري وما أشبههما ، أما أن ذلك الحب ينبت أولا ينبت ، فأمره موكل الى الله . وهنا يحىء التوكل فيما لا يد للإنسان في تحصيله ولا قدرة له على إيجاده ، بل هو من محض آثار القادر المختار ، أما قرأت قوله تعالى : « أفرأيتم ما تحرون . أن أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجمعناهم حظا ما فظلم تفكهمون . إنا لمغرمون بل نحن محرمون » ؟ هذا هو السر في قوله صلى الله عليه وسلم : « واستعن بالله » بعد قوله : « احرص على ما ينفعك » .

ولا يفوتك التنبه الى أن الحرص على النافع يتناول كلا من أعمال الدنيا وأعمال الآخرة ، وأن الاستعانة بالله متناولة كذلك لكليهما ، فليس كل عمل بمؤثر ثمره ما لم يصحبه للمعونة والتوفيق الإلهيان ، فكم من عمل في الدنيا خاله التوفيق فأصبح وبالاً على صاحبه ، وعاد عليه بخسران لم يكن في حسابه . ومن هذا جاء قولهم : أول ما يبنى

على المرء اجتهاده . وكم من عمل من أعمال الآخرة لحقه الخذلان فكان موجبا للخسران . وآفات النفس ومسالك الشيطان لا يكاد يسلم منهما إنسان ، إلا من عصمه الرحمن . وهل يشك أحد في أن الشيطان قد يجيئ المرء من تصوير الشر بصورة الخير حتى يستدرجه الى ما لم يخطر له على بال ؟

وأما قوله : « ولا تعجز » فهو النهى عما يلحق المرء أثناء عمله إذا صادقه بعض العقبات فيقف مبهوتا مكتوف اليدين خائر العزيمة ، وقد آتاه الله من قوة العمل وسعة الحيلة ما يستطيع به أن يفتق لنفسه مسلكا مما أصابه من انسداد الأبواب . وقد قالوا : الكريم بحتال والثلثم عيال . وما منح الله العبد عقلا إلا ليؤدى به حملا ، ولو شاء لجعل الأمر سهلا ، ولكن ليبتليكم فيما آتاكم ،

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل » فإنه إرشاد الى أمرين عظيمين على جانب كبير من الأهمية في شئون الحياة : (الأول) الإبعاد عن الندم على ما فات . و(الثاني) الطمانينة لما قدر الله والرضا به مع استقبال الكثير الغزير من نعمه . فأما الندم والتلفت للماضى بالحسرة تتبعها الحسرة ، فهو مميت اللهم محمد للعزائم ، كاسر للنفس ، مضيع لحركة العقل في جلب النافع ودفع الضار . نجد النادم المنهزم قد قعد كاسف البال خامد القوة مضعضع الحواس مقتما ، بينما ترى الراضى بالقدر متقد العزيمة مشعرا عن ساعد الجهد مهتما .

وهنا لا نرى بأسا من أن نشرح ما قالوه في التفرقة بين النعم والههم : فالأول أن تنزل على النفس غمة تكبسها وتضعضها وتقدها الحركة وتجعلها مستكينة ضعيفة خائرة ، فهو من الغمة . وأما الثاني فهو من هم بالشئ ، تحركت نفسه له . فهما وإن كانا كلاهما يحصل عن نازلة ومصيبة ، ولكن النعم يسكن النفس عن الحركة ويسكتها عن التفكير ويجعلها تياس من كل فوز . أما الههم فهو محرك للهمة ، مشعل للعزيمة ، محرك للنفس . ولذلك

قالوا: الغم يقتل والهم لا يقتل، وفرق بعيد بين المغم والمهم، فقوله عليه السلام: « وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا » نهى عن الاستكانة والتضعف وقصر النفس على التلقت للوراء واليأس عن انقراج الكرب بحيلة من الحيل . وأما الطائفة لما قدر الله فهي في قوله عقبه : ولكن قل قدر الله وما شاء فعل . ففي ذلك ترضية للنفس بما قدر الله ، وهو يستتبع الموازنة بين ما فقدته من هذا الذي كان ينتظره ، وما هو غارق فيه من نعم الله الكثير ، فيرى أن ما فاتته ليس بشيء بالنسبة للنعم التي يتمتع بها ، فتنشط نفسه لى استقبال نعمه عز وجل ، قائلا لنفسه :

لا تياسن ولا تخف ودع التفكير والأسف  
الله عودك الجيـد ————— ل فقس على ما قد سلف

وهذا مثار للنفس لتحرك فيما ينفعها ، وتسدرتق ما فتح عليها من أبواب الشر ، وتفتق ما أغلق دونها من أبواب الخير . أما لو ولو ولو... فهي لا تفيد إلا التحسر على الماضي ، والتدم على القاتت ، والنوم عن اجتناء الخير المستقبل ، فضلا عما تحويه من السخط على قضاء الله وقدره ، وما يتبعه من الاعتراض على فعله وعادل قسمه ، وما يصحب ذلك غالبا من الحسد لمن أنعم الله عليه بنعمه ، أو نجاح مما أصاب هذا الندام من كرب وغمه . وكفى بالحسد مهلكة وبالحد مدمية . فهل رأيت كيف كانت لو تفتح باب الشيطان ؟ وهل وراء الحد والحسد ، والتسخط على القضاء والقدر ، من خسران للانسان ، وكسب للشيطان ، وإغارة على حى الايمان ؟

ومما جاء في معنى قوله عليه السلام : « قدر الله وما شاء فعل » قوله عز وجل : « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا » وقوله صلى الله عليه وسلم : « واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك » وقوله : « واعلم أنه لو اجتمع الإنس والجن على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك » .



نسأل المولى جلّت قدرته أن يكسبنا الرضا بقضائه وقدره ، ويقوى نفوسنا على فتح أبواب خيره ، ويجعلنا مقتدين بالسنة الحسنة ، ومن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، إنه سميع مجيب ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم  
ابراهيم الجبالي

= =

## البيان ووصف القرآن

قال عبد الله بن المعتز من خلفاء العباسيين :

البيان ترجمان القلوب ، وصيقل العقول ، ومجلى الشبهة ، وموجب الحجة ، والحاكم عند اختصام الظنون ، والمفرق بين الشك واليقين ، وهو من سلطان الرسل الذي انقاد به المستصعب ، واستقام الأصيل ، وبهت الكافر ، وسلم الممتنع ، حتى أشب الحق بأنصاره ، وخلا ريع الباطل من صمارة .

وخير البيان ما كان مصراعاً عن المعنى ، ليسرع الى الفهم تلقية ، وموجزاً ، ليخفف على اللفظ تعاطيه ، وفضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول ، وظاهر غير خفي ، يشهد بذلك عجز المتعاطين ، ووهن المتكلفين ، وتحير الكذابين . وهو المبلغ الذي لا يقل ، والجديد الذي لا يخلق ، والحق الصادع ، والنور الساطع ، والمأخى لظلم الضلال ، ولسان الصدق الناقى للكذب ، ونذير قدمته الرحمة قبل الهلاك ، وناعى الدنيا المنقولة ، وبشير الآخرة المخلدة ، ومفتاح الخيرة ، ودليل الجنة ، إن أوجز كان كافياً ، وإن أكثر كان مذكراً ، وإن أوماً كان مقنعاً ، وإن أطال كان مفهماً ، وإن أمر فناصحاً ، وإن حكم فعادلاً ، وإن أخبر فصادقاً ، وإن بين فشافياً ، سهل على الفهم ، صعب على المتعاطي ، قريب المأخذ ، بعيد المرام ، سراج تستضيء به قلوب ، حلو إذا تذوقته العقول ، بحر العلوم ودنوان الحكم ، وجوهر الكلم ، وزهرة المتوسمين ، وروح قلوب المؤمنين ، نزل به الروح الأمين ، على محمد خاتم النبيين ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ، تفصم الباطل ، وصدع بالحق ، وتألف من النفرة ، وأنفذ من الهلكة ، فوصل الله له النصر ، وأضرع به خد الكفر .

## كلمات عن بدائع العالم غير المنظور

قال الله تعالى : « فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ، إنه لقول رسول كريم »  
 فدل بذلك على أنه توجد عوالم لا نبصرها بأعيننا ، وعلى أن فيها من آياته مثل ما في العالم  
 المنظور ، وفي الآية تحذير ضمني عن الوقوف عند الحدود التي تحدها حواسنا الخمس ،  
 وعن الزعم بأن كل ما لا اتصل به حواسنا غير موجود . وقد تأيد هذا بما كشفه  
 العلم للناس .

إنما تحت هذا العنوان نريد أن نكشف حياة عالم من أبدع مخلوقات الله ، كشفه  
 العلم منذ نحو قرن من الزمان ، فلبث كل تلك الأجيال غير منظور ، وهو ميثوث  
 في كل مكان ، في الهواء الذي نستنشقه ، وفي الماء الذي نشربه ، وفي كثير من الأغذية  
 التي نتناولها ، وله على صحتنا تأثير أي تأثير . ذلك عالم الميكروبات وإن شأنها  
 جلد خطير .

قال الأستاذ الكبير ( كاميل فلامريون ) :

« إن ظواهر هذه الخليقة تدهشنا أيا إدهاش ، سواء إذا رفعنا أبصارنا للنظر  
 في خلق السموات ، أو خفضناها لدراسة أحقر الكائنات ، فالعظمة الإلهية تتجلى  
 لنا في كل منها على السواء . وإن هذه العظمة لتتكشف لنا في القبة الزرقاء التي يزينها  
 عدد لا يحصى من النجوم ، وفي الذرة الحية التي تخفى عن أعيننا ما اشتمل عليه جثمانها  
 من الإبداع » .

أول من فحص عن عالم الحيوانات غير الرئية هو العالم الألماني ( اهرنبرج )  
 فقد درس أجسادها وطبائنها ، وقسمها الى طوائف وفصائل وأنواع . وكان أول  
 من أثبت بأن هذه الحيوانات على دقة جسومها لها تركيب باطنى شديد التركيب

الى درجة يذهل منها العقل . وقد نشر هذا العالم مباحثه هذه في سنة ( ١٨٣٠ ) . ونحن نستخلص من هذه المباحث ما نود أن نقضى به للقراء في هذا الموضوع الجليل ، فنقول : كشف لنا الميكروسكوب أن أجساد هذه الحيوانات الدقيقة كأجساد الحيوانات الكبيرة ، ذات أشكال محدودة ثابتة ، إلا أجناسا منها تستطيع أن تغير أشكالها أمام نظر من يراقبها ، فلا يمكنه أن يميز بعضها عن بعض في دقائق معدودة ، فتارة تظهر كروية ، وطورا مثلثة ، وآونة على هيئة النجوم .

لا يوجد ما هو أدعى للدهش والخيرة من تركيب هذه الكائنات غير المرئية ، ولولا أن عم هذا أمر يمكن تحقيقه بالمشاهدة لعد القارئ ما يقوله العلماء عنها من الموضوعات الخيالية أو من الأكاذيب . فقد ظهر أن تركيب أجهزتها الحيوية يفوق في بعضها تركيب أجهزة الحيوانات الكبيرة بل والانسان نفسه . فقد شوهد أن منها ماله أكثر من مائة وعشرين معدة ، وبعضها نظام جفائي يعتبر غاية في الغرابة ، فإن لبعض هذه المعد أسنانا دقيقة جدا ترى وهي تمضغ في باطن هذا الكائن . ويشاهد أن الجهاز الدوري في بعضها قوى الى حد أنه يمكن القول بأن قلوبها بالنسبة لأجسادها أضخم وأقدر من قلوب أقوى الحيوانات كالثور والحصان .

ورغمنا من تناهى هذه الحيوانات في الصغر فإن الله سبحانه وتعالى قد حاطها بحفظ واخر من العناية ، فحى أجساد بعضها بدروع من الكلس ، وجعل لبعضها أغشية من السليس الذي لا يقبل التحطيم .

وكما أن هذه الحيوانات الدقيقة قد تحلت بتركيب يفوق كل تقدير ، فإنها قد وهبت نشاطا لا يقف عند حد ، ذلك أنه لا يمتريها ما يعترى جميع الحيوانات من النوم ، أو هي تنام ثواني معدودة لا يدركها من يراقب حركاتها . فإن العلماء راقبوها في كل وقت فلم يروا لها وقتا ترتاح فيه .

وقد ظهر أن الميكروبات تعيش في كل مكان ، وتحت أى مناخ ، حتى المواطن التي لا يقوى على العيش فيها أى كائن له روح ، فقد شوهدت في ثلوج القطبين ، وفي أعلى

ما وصل اليه الانسان من طبقات الهواء ، وأسفل ما انتهى اليه من طبقات البحار . فقد شاهد الطبيعي ( جيمس روس ) أكثر من خمسين نوعا من الميكروبات على سطوح الثلوج الطافية في البحار القطبية . في الدرجة الثامنة والسبعين من خطوط العرض . ومن المحير للعقل أن هذه الحيوانات صودفت على عمق ثلاثة آلاف متر من سطح البحر ، متحملة ضغطا مائيا يقدر بثلاثمائة وخمسة وسبعين جوا . وهذا الثقل لا يحتمله مدفع من مدافع الميدان .

وقد أراد العلماء اختبار مقدار ما تحتمله هذه الكائنات من البرد ، فأوجدوها في جو أسقطوا حرارته الى ٢٠٠ درجة تحت الصفر ، فاحتفظت بحيويتها ونشاطها في هذا الزمهرير الرهيب .

وقد شوهد أن هذه الحيوانات الدقيقة توجد حتى في مياه الشرب ، وأن في كل قطرة من الماء ألوف مؤلفة منها ، ولو أحصيت عدد ما يدخل منها في جوف الانسان في كل شربة ماء ، لوجدتها تبلغ ألوف كثيرة من الملايين .

ليست المياه هي البيئة الوحيدة للميكروبات ، بل أكثر ما توجد في الأراضي الرطبة ، وهي تتكاثر فيها تكاثرا يفوق كل تقدير . ومن أنواعها ما لا يبلغ طوله جزءا من ألف وخمسة أجزاء من المليمتر ، وهي تؤلف في بعض الأراضي الرطبة طبقات حية يبلغ سمك بعضها أمتارا كثيرة . فقد اكتشف من هذه الطبقات في أمريكا ما بلغ سمكه ستة أمتار ، ووجد في لوندبرج من بروسيا طبقة مؤلفة من ميكروبات يبلغ سمكها أكثر من أربعين مترا ..

هذه معلومات تكاد توضع في خوارق العادات ، ولكنها حقائق طبيعية مؤكدة . وقد ظهر أن أعضاءنا صرع خصب لكثير من أنواع الميكروبات ، فهي تنوى في أعيننا وأفواهنا وأنوفنا وأذاننا ، وتؤلف فيها مستعمرات حقيقية ، ولا شك أن الضوء الذي فرضه الاسلام والذي يتكرر يوميا من خير الوسائل للنجاة من شرورها .

ومنها أنواع تتخذ أمعاءنا ومعدائنا مرتبها لها ، فتتكاثر فيها تكاثراً يحير العقل ، وتصيبنا بأقبح الأمراض ، ولا شك أن الإسراف في الطعام والشراب يعمق الجهاز الهضمي عن القيام بوظيفته على النظام الطبيعي الذي يثبت في الجسم قوة ونمو ، ويكون من نتائج التهم والجشع أن تضعف البنية عن مقاومة الميكروب ، فيشتد ويتكاثر حتى يورد الإنسان موارد التهلكة ، وهنا تظهر حكمة الاسلام الذي أمر للمسلم أن يكون معتدلاً في طعامه وشرابه . ولقد جاء في الحديث الشريف « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع » .

وهذا الهواء الذي نستنشقه ويحيل إلينا أنه خال من كل الشوائب ، مشحون بهذه العوالم الحيوانية الى حدود لا يتصورها العقل . والهواء بتياراته الكثيرة يحملها أحياء وأمواتا الى بقاع الأرض كافة .

ليس فينا من لم ير في أشعة الشمس الداخلة الى حجرة مظلمة ، ذرات لماعة تروح وتجيء في خلالها كأنها هباء من نور . فهذه الذرات جماعات من الميكروبات السابحة في الهواء ، وإن كانت في الجو المطلق لا تدركها العيون .

مما يجب أن نلاحظه هنا أن العوالم الميكروسكوبية ، أكثر انتشاراً على سطح الأرض من العوالم التي نرى بالعين المجردة ، ولو أردنا تقدير النسبة بينهما لعجزنا ، فإن الأولى لا توجد لها أرقام تحصرها ، ومن الغريب أن الناس لبثوا آلافاً من السنين على هذه الأرض لا يحملون بوجودها . ولما اكتشفت شرع بعض العلماء في التشكيك في أمرها ، ثم اضطرتهم المشاهدات المتتالية الى الاعتراف بانحطاطاً في نفسها .

إن اكتشاف الميكروبات كان فاتحة خير كبير للإنسان ، فقد تسنى للعلماء دراسة ميكروبات كل مرض من الأمراض ، ومعرفة مبيداتها من المطهرات . وعلى هذا الأساس اكتشفت الأمصال الكثيرة لعلاج الزهري والدفتريا والحمى التيفودية والجذري ، فكان ذلك سبباً لنجاة ملايين من الناس في كل عام .

وعرفت كذلك ميكروبات الأمراض الوبائية من طاعون وكوليرا، فأمكن اتقاؤها أو تخفيف ويلاتهما بالمطهرات . وكانت هذه الأوباء تحل ببعض الأصناف فتحتاج منها الملايين في أيام معدودة حتى كان يعجز الأحياء عن دفن المتوفين . وقد حل الطاعون بأوروبا منذ عدة قرون ، فأهلك منها خمسة وعشرين مليوناً من الأنفس في أيام معدودة ، حتى إنه كان يلتقي بجمرانه في المدينة العاسرة فلا يدع فيها نسمة واحدة . ولكن لما اكتشفت الميكروبات أمكن دراسة ميكروبات هذا الوباء وعرفت وسائل مكافحته بالتعميم ، ومن ذلك العهد قل خطر الأمراض الوبائية وأصبح التوقي منها في حيز الإمكان .

وكانت الأعمال الجراحية قبل اكتشاف الميكروبات من أخطر الأشياء ، فكان الأطباء إذا اضطروا لبتز بعض الأعضاء ، أو لفتح البطن لمعالجة بعض الآفات الحشوية ، حارروا في لأم الجراح التي أحدثوها ، لأن الميكروبات التي تكثر في الهواء تتسارع إليها فلا تدعها تندمل في أكثر الحالات ، فلما عرفت الميكروبات وعرفت وسائل تطهير الجراح منها ، صارت الأعمال الجراحية قليلة الخطر سهلة الإجراء .

هذا عالم كان الناس لا يبصرونه ، وهو من أمس العوالم بحياتهم ، أفلا ترى بعد هذا أن فيما لا نبصره ما هو جدير بأن يقسم به الله سبحانه للنفوس على العمل على كشفه والاستفادة منه ؟

وليس لنا أن ننتهي من هذا المقال حتى ننبه أن الميكروبات ليست كلها ضارة ، فإن منها ما لا ضرر فيه أصلاً ، ومنها ما هو ضروري لحياة الإنسان ، بل منها ما هو علاج لكثير من علاله العضال . فالميكروبات المائية لا ضرر فيها على صحتنا إلا إذا تسربت إليها جراثيم بعض الأمراض . ولولا الميكروبات لبطل التحلل والتخمير في المواد ، ولولاها لما أمكنت الحياة .

وأما الميكروبات النافعة فكميكروبات اللبن الخاثر ، وقد ثبت أنها عدوة

للميكروبات المعوية ، فإذا تناوله الانسان شبت بين ميكروباته وميكروبات الأمعاء ، حرب شعواء ، فتفتى الثانية أو يقل عددها ، ولذلك نصح الأستاذ البكتريولوجى متشنيكوف بأكل اللبن الخاثر ، وخاصة إذا كان الانسان طاعنا فى السن وصارت أمماؤه مزدهجا لصنوف المكاريب .

والأطباء يحقنون للمصابين ببعض الأمراض ببعض الميكروبات المعاكسة لميكروبات تلك الأمراض لتقاناتها وتقنيها ، فيكون الشفاء ثمرة هذه الحرب الضروس .  
ليس فى هذا كله آيات بينات يتأدى التأمل فيها الى زيادة الايمان بقدرة الله ، وبأن إبداعه فى مخلوقاته أجل من أن يحيط به علم ، أو يصل إليه خيال ، فإذا كانت هذه جلالة ما استطاعت حواسنا القاصرة أن تدركه ، فماذا تكون جلالة ما تعجز هذه الحواس عن إدراكه ، من العوالم المحجوبة عنا فى عالم الملك والروح ؟ بل ماذا تكون جلالة ما لا يسمح لبشر أن يصل إليه من عالم الحقائق العلوية ، والإشراقات القدسية ؟  
« إنما يخشى الله من عباده العلماء » صدق الله العظيم ﷻ محمد فرير ومبرى

## كليات حكيمة عن عمر

كتب عمر بن الخطاب أمير المؤمنين لابنه عبد الله : أما بعد فإن من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن أقرضه جزاه ، فأجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فإنه لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا حسبة له ، ولا جديد لمن لا خلق له .  
ودخل عدى بن حاتم الطائى على عمر ، فسلم وعمر مشغول ، فقال يا أمير المؤمنين أنا عدى ابن حاتم . فقال ما أعرفنى بك ! آمنت إذ كفرنا ، ووفيت إذ غدرنا ، وعرفت إذ أنكرنا ، وأقبلت إذ أدبرنا .

وقال رجل لعمر : من السيد ؟ قال الجواد حين يسأل ، الحليم حين يستجبل ، الكريم المجالسة لمن جالسه ، الحسن الخلق لمن جاوره .

وقال رضى الله عنه : ما كانت الدنيا هم وجل قط إلا لزم قلبه أربع خصال : فقر لا يدرك غناه ، وهم لا ينقضى مداه ، وشغل لا ينفد أولاه ، وأمل لا يبلغ منتهاه .

## بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتْوَى

حكم إزالة النجاسة — الحصى المتنجس

ورود الى المسئلة الآتية :

- ١ — ما حكم إزالة النجاسة عن ثوب المصلي وبدنه ومكانه ؟ وما قولكم دام فضلكم في شخص صلى بالنجاسة عامدا أو ساهيا ؟ .
- ٢ — حصى تنجس بيول حيوان غير مأكول اللحم ، مع العلم بأن الحصى موجود في حجرة بها نوافذ عدة من كل الجهات ، ثم مضى على ذلك الحصى أيام عديدة وبعضى هذا لزم من على الحصى لم يبق أثر للنجاسة فهل هذا الحصى طاهر أم نجس ؟

الجواب على مذهب الامام الشافعى

- ١ — يشترط لصحة الصلاة طهارة البدن من الحدث والنجس ، وطهارة الثوب والمكان من النجس ، فمن صلى بالنجاسة عامدا حرم عليه لتلبسه بعبادة فاسدة ، ووجب عليه إعادة الصلاة بالطهارة ، ومن صلى بالنجاسة ساهيا أعاد إذا تذكر .
- ٢ — لا يطرأ الحصى المتنجس بالجفاف ، سواء جف بالهواء أو بمرضه على النار .

يوسف الرصنى ، الحسينى سلطان  
بكلية الشريعة الاسلامية

زكاة الاوراق المالية — صدقة الوتر

قضاء الفائتة — نعالى التبغ

وورد ايضا المسئلة الآتية :

- ١ — ما الحكم فيما إذا كان عندى من الاوراق المالية ما يبلغ نصابا وزيادة لو فرض ذهباً أو فضة وحال عليها الحول ، فهل على زكاة الذهب أو الفضة فيها ؟



- ٢ — هل يصح أن يؤخر نفل العشاء الراتب عن الوتر ثم يفعل بعد الوتر؟ وهل إذا تركت راتبة العشاء وصليت الوتر فقط هل يكون في ذلك شيء؟
- ٣ — نعلم من مذهب الشافعي أن من فاتته الصلاة بلا عذر وجب عليه القضاء فوراً، ويحرم النفل حتى لو كان راتبا حتى يقضى ما عليه من الفروض، فهل له إذا جاء رمضان وهو لم ينته بعد من قضاء ما عليه وهو ممنوع من التنفل حينئذ أن يصلي التراويح نظراً لأنها لا تصلى إلا في كل عام مرة طول شهر رمضان لا غير، أم يمتنع من فعلها ويستعمل بالقضاء وتستوى مع غيرها من النفل؟
- ٤ — هل إذا أعطيت الدخان المعروف لمعتاده الفقير الذي لا يصبر على عدم تعاطيه يعتبر صدقة؟

## الجواب

- ١ — يجب الزكاة في الذهب والفضة، سواء كانا نقدين أم لا كالسبائك، ولا يجب فيما يتعامل به من غير النقدين كالنحاس، ويجب في الدين سواء كان على شخص أم على جهة معينة كجهة الوقف، ثم إن كان حالا وتيسر أخذه بأن كان على مقر موسر وجب إخراج زكاته وإن لم يقبض، وإن لم يتيسر أخذه في الحال لجمد أو إفسار أو كان مؤجلاً، وجب إخراج زكاته بعد قبضه، وحينئذ يزكى لكل حول مضى مع تحقق النصاب. هذا هو المعتقد في مذهب الشافعي.

وعلى ذلك نقول: الأوراق المالية (البنكنوت) ليست عملة بذاتها، بل هي مستندات بدين على جهة البنك، كما يدل على ذلك النص المرقوم عليها، فإن التعامل بقيمتها من الذهب والفضة ودفع الورق حال التعامل بمنزلة حوالة بالعوض على البنك، فتزكى الأوراق المالية زكاة الديون، فمن عنده أوراق مالية وبلغت قيمتها نصاباً، وجب عليه إخراج زكاتها في الحال، لا مكان أخذ قيمتها حالا، والله الموفق للصواب.

٢ — صلاة الترسنة مؤكدة ، ولا يصح فعلها قبل فعل فرض العشاء ؛ والأفضل تأخيرها عن راتبة العشاء وعن جميع النوافل عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : « اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراه » فإذا قدمها المصلي على نفل العشاء صح وإن كان خلاف الأولى ، ولو اقتصر على النور وترك نفل العشاء صح ولا شيء عليه ، غايته أنه ترك سنة فيحرم من ثوابها ، والله أعلم .

٣ — قال الفقهاء : من فاتته فريضة بلا عذر وجب عليه المبادرة بفعلها ، وقصروا المبادرة بأن يشغل جميع الزمن بفعل الفرائض إلا ما يضطر اليه لنحو نوم أو مؤونة أو فعل واجب مضيق يخشى فوته ، وصرحوا بأنه يحرم عليه التطوع ما دامت في ذمته ، وظاهر كلامهم أنه لا فرق بين التراخي وغيرها .

٤ — تعاطى الدخان المعروف مكروه عند الشافعية للتأذى برائحته الكريهة ، وقد ورد النهى عن تعاطى ذى الرائحة الكريهة ، روى البخارى عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أكل بصلاً أو ثوماً أو كرأفاً فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم » قال جابر ما أراه يعنى إلا نيئته . وألحق الفقهاء بالمذكورات في الحديث نحو الدخان مع ما في تعاطيه من إضاعة المال بدون فائدة ظاهرة ، بل يحرم تعاطيه على من يضره أو يحتاج لثمنه في النفقة الواجبة عليه . وإذا كان تعاطيه مكروهاً فالتصدق به إعانة على مكروه فيكون مكروهاً فلا ثواب فيه ولو لم لا يصبر على تركه ، كما أن التصديق بالمكروه كالخمر حرام ولو لم لا يصبر على تركها ، فإن الصبر على ترك المحرمات والمكروهات مطلوب ، فينبغى للإنسان أن يعالج نفسه حتى يعودها الصبر على ترك ما يطلب تركه ، والله الموفق للصواب . يوسف المرصني ، الحسيني سلطان بكلية الشريعة الإسلامية

## زكاة الفطر

وورد أيضاً هذا السؤال :

عقد شخص على امرأة قبل دخول شوال ولكنه لم يدخل عليها إلا

بعد دخوله ، فعلى من تجب فطرتها والحال لم يكن هناك التمكن إن قلنا إنها تجب على الزوج ؟

## الجواب

تجب زكاة الفطر على من تجب عليه نفقة الشخص ، ونفقة الزوجة تجب على الزوج بالتمكين لا بالعقد على المعتمد من مذهب الشافعى ، فالزوجة المدخول بها بعد شوال فطرتها على نفسها إن كان لها مال أو على ولها ، لا على الزوج لعدم تمكينها وقت الوجوب .

يوسف الموصى ، الحسينى سلطان

بكلية الشريعة الاسلامية

## الطلاق المعلق على شرط

وورد أيضا للسؤال الآتى :

رجل كان عنده قطعة أرض بجانب أولاد أخيه ، ولكن أولاد أخيه احتاجوا الى بناء قطعة الأرض التى تخصهم وتخص هذا الرجل وهو عقيم ، فاتفقوا معه سرا على أن يأخذوا منه هذه القطعة ويعطوه بدلها فى جهة أخرى .

ولما تم هذا مع الرجل وأولاد أخيه سرا شرع أولاد أخيه فى بنائها ، وبينما هم فى حالة البناء إذ جاء ابن هذا الرجل وقال لوالده : لماذا هؤلاء يبنون قطعة الأرض التى تخصنا ؟ ثم كرر هذا السؤال على والده على أنه يستفهم منه عن السبب لبنائهم فى ملكهم فامتنع والده من تفهيمه ، فقال له ابنه : « إذا لم تكن هذه القطعة ربحه تبني لنا مش قاعد معك فى عيشة » ثم حلف وقال : « على الطلاق ثلاثة شافعى وملك وأبى حنيفة إذا لم تكن هذه القطعة ربحه تبني لنا لم أقعد معك فى عيشة أبدا طول حياتى » ولكنه فى حالة الحلف أخذ نفسه مقدار نصف دقيقة . ولكنها بنيت لهذه الأشخاص

ولم ينفذ قوله . فهل إذا قعد مع والده في عيشة يقع طلاقه ؟ وإذا وقع الطلاق فإذا يفعل الخالف ؟ وما وجه هذا الحل تفصيلا ؟

## الجواب

مذهب الحنفية أن الطلاق المعلق على شرط يقع عند حصول الشرط ، وأن التعليق يكون صريحا كقوله : « إن فعات كذا فامرأتى طالق » ويكون باعتبار المعنى كالعبارة التي جرى العرف باستعمالها في الطلاق « على الطلاق لأفعلن كذا » .

وعلى هذا فالمدكور في الاستفتاء ( على الطلاق ثلاثة شافعي ومالك وأبي حنيفة إذ لم تكن هذه القطعة ربحه تنبئ لنا لم أقعد معك في عيشة أبدا طول حياتي ) . تعليق للطلاق على شرط هو قعوده معه في معيشة إذا لم تبين هذه القطعة لهم ، وحيث إن الشرط قد وجد وهو بناء القطعة لغيرهم فإذا قعد مع أيه بعد ذلك فقد حصل المعلق عليه ، فيقع الطلاق ثلاثا ، ضرورة أن المعلق بالشرط كالنجز عند وجود الشرط ، ولا تحمل له امرأته حتى تنكح زوجا غيره ، ولا عبرة بانقطاع نفسه نصف دقيقة لأن ذلك لا يمنع من انعقاد اليقين . وهذا هو المعمول به الآن في المحاكم .

عبد السلام المسكري الحنفي ، حسين البيومي الحنفي  
بكلية الشريعة الإسلامية

## متى يؤثر الكلام

قال مامر بن عبد قيس : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان .

وقال الحسن البصري ( وقد سمع منكما يعظ فلم تقع موعظته من قلبه ولم يرق لها ) : يا هذا إن بقلبك لشرأ أو بقلبي .

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : حدث الناس ما حدثوك بأسماعهم ، ولخطوك بأبصارهم ، فإن رأيت منهم فتورا فامسك .

## في كلية أصول الدين

كان موعد افتتاح العام الدراسي بكلية أصول الدين من كليات الأزهر الشريف يوم السبت ٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٣ الموافق ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٣٤ . وقد اجتمع العلماء والطلاب بدار الكلية للاحتفال بذلك ، وبعد تلاوة آي الذكر الحكيم قام بينهم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد المجيد البنان شيخ الكلية وألقى الخطبة الآتية التي تعد دستوراً في التزكية والتعليم ، ودرساً نافعاً في الأخلاق والآداب ، ومنهاجاً للعمل الصالح والنظام الدراسي .

وبعد الفراغ منها طلب من الحاضرين أن يرفعوا أكتفهم بالضراعة إلى الله تعالى طالبين منه جل شانه أن يسبغ ثوب العافية على حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم ، وأن يدعنه ذخراً لبلادهم ، وملاذاً للدين ورجاله ، فدعوا وأمنوا . وهذا نص الخطبة المشار إليها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ، ونصلي ونسلم على نبيه الطاهر الأمين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أبرأ الدعوات :

نحن اليوم في مكاننا هذا على عادتنا السنوية عند افتتاح العام الدراسي الجديد : نتبادل التحية ، ونستحضر الماضي لتبيين خيره من شره ، فنصلح الشر ونسير في عملنا على ضوء الخير كما هي سنة رواد المصلحة من الذين يبدعهم زمام الأعمال ، وهي من قواعد الدين الحنيف ، أروشدنا إليها القرآن الكريم ، حيث أمرنا بالنظر في أنفسنا ، وقص علينا سير المتقدمين ، وطلب منا التأمل في أحوالهم .

قد اتفينا بفضل الله من دور التعليم العالي على النظام الحديث ، فكانت لنا وعلينا

منه أمور سرّاً بكم تفصيلها ضمن ما وجه اليكم من التعليقات في هذه المدة التي كشف لنا العمل منها عن هنات في النظام كان لزاماً علينا أن نصلحها .

وإني لفتبط أن أصارحكم بأن بعض الفضل في ذلك راجع للملاحظات أبدتوها في تقاريركم التي رفعت إلينا . وهذه المناسبة نطلب منكم دوام استخلاص قواعد الثقافة النافعة ، وأن تزودونا بما توفقون إليه بخدمكم .

فأنتم مرابطات التي نبصر بها صبور الحق ، وعليكم واجب المهمة التي وضعت على عاتقنا فأصبحت أمانة في ذممتنا جميعاً .

وإذا ذكرت لجد ، فأنبهكم إلى أن الاجتهاد هو الدعامة التي يرتكز عليها رقي الفرد والجماعة إذا كانت مقرونا بالاعتماد على النفس ، لأن الاعتماد عليها بولد في صاحبه الاستقلال الشخصي ، ويجعله صادق المزيمة قوى الإرادة في تفكيره ، صريحاً في كل أمره . أما الاعتماد على الغير فهو على عكس هذا : يمت العزم ، ويضعف الإرادة ، ويذهب بالنشاط .

فأدعوكم إلى أن تكونوا في اجتهادكم معتمدين على أنفسكم بالروية والتمسك بالأداب القومية ، والتزام حدود الدين في تفكيركم ، حتى لا تخرجوا على أزهريةكم .

وإذا قلت الأزهرية ، فإنما أذكر بلسان الفخار أحسن طريقة للتربية الصحيحة المنتجة ، التي تطيع النفوس على التخلق بالدين ، وتغرس فيها الاستقلال والاستقامة ، وتثمر النبوغ والحصافة ، وتعد صاحبها لأن يكون على حد المؤمن الصادق : إقاماً لوفاً ، سهلاً سمحاً ، يئمه وبين القلوب صلة ونسب ، يمت بهما إلى الحياة النافعة ، ويحمل دواء الحكمة إلى مرضى القلوب فيبرئ سقمها .

هذه حقيقة التربية الأزهرية فأستنهض همكم للتمسك بها حتى لا تميؤوا أقول من يريد أن يربطها بالعلم لمعنى في نفسه .

نحن لا نبالي بصاحب الحفيظة ، وإنما نخشى أن يقوم من بيننا نحن رجال التعليم

من يصور له الوهم صحة هذا الخيال فيفعل ضد ما يمتقد . وإنا لندعو الله تعالى أن يديم خلو الأذهان من هذا النوع الذي إنمى آ كبر من نفعه .

نحن لا ننهاكم عن العمل بالجديد ، وإنما نكره منكم معاداة القديم بغير وجه ، ونأمل أن تتخذوا منهما ما ينشأ صالحاً يأوى إليه الرغبون في معرفة دينهم على وجه يلائم حال العصر . وفي النظام الحديث ما يحقق هذا الغرض إذا وجد دقة في التنفيذ .

إن المعاهد الدينية في طورها الحالي كالمناصر الكيميائية في معامل الإنتاج : تتفاعل بروح القانون وسر النهوض ، لتخرج هوية كاملة نافعة صالحة للدوام . ولا يعزب عنكم أن تلك الهوية لا تخرج في ثوبها القشيب ، ولا تكون في صورة حسنة مقبولة إلا بالاتحاد العاملين وإخلاصهم .

فأطلب إليكم أن تكونوا مخلصين في عملكم بعد إخلاصكم لدينكم وأنفسكم ، سواء منكم المعلم والمتعلم . أما المعلم فيأن يعمل على إيجاد الاتحاد لتكون بينه وبين طلابه صلة قلبية إذا ضمت لحسن تعليمه أوجدت في نفوسهم صفات علمية تجعل المتصف بها حاذقاً قادراً على استنباط العلوم وفهم أسرارها ، مع فصاحة المنطق وقوة البرهان في المحاورات ، وذلك شأن العالم الحقيقي ، فليس العالم هو الذي يجعل همه مقصوراً على الاستظهار ويهمل التفكير فيصير قاصر النظر ضعيف الفكر والبيان . وأرشدكم إلى ما يكون طلابكم على هذا الخلق ، وإنه لشيثان :

( الأول ) أن يحضر الأستاذ درسه تحضيراً يجعله قادراً على تكييف الموضوعات العلمية تكييفاً صحيحاً . و ( الثاني ) أن يتوسم طلبته بفراصة قوية يتعرف بها طاقاتهم ، ثم يسير بهم في طريق تربيته على حسبها ، فيسترخ وينفهم ، ويقوى نشاطهم في البحث والمناظرة .

وأما المتعلم فواجبه الإخلاص لله في السر والعلانية . ومن ذلك أن يشعر بحق أستاذه ، فيكون معه ابناً باراً يستمع إلى ما يلقيه ويفيده ، ويفهمه ويحرص عليه ، ثم يكون كذلك حريصاً على تحضير درسه قبل الذهاب إلى تلقيه كما هي سنة الأولين ، فيلزم

المكتبة لاستخلاص دقائق الفنون من أسفارها بمقياس البحث والنظر الصحيح ، ومن واجب الطالب أيضا أن يكون سلساً يمتثل للأوامر ويؤدي الواجب ، وأصاركم بأنني أريد أن أخرجكم رجالا ذوي رأي وخطر في التفكير ، أحرارا كبار النفوس ، أعزاءها ، قادرين على القيام بما تكلفونه من جلائل الأعمال مع الشعور بالمسؤولية لدينكم ودنياكم أمام الله والناس .

وعلى مبدئي هذا سترونني على الدوام أراقب أحوالكم نفسية وعلمية وعملية ، فإن وجدت منكم خيرا شكرتكم عليه ، وإن زل أحدكم في شيء منها بترته من سلك الطلاب وأقصيته ، حتى لا تصل عدواه الى سليم فيضره . هذا ما أقوله راجيا لكم التوفيق .

وقد شرعنا بحمد الله في إنشاء قسم التخصص الجديد في هذه الكلية على أن يسير بالتدرج حتى يعم جميع الأقسام . واعلموا أن الغرض من التخصص هو إيجاد علماء مرشدين متمسكين بالدين ، يدافعون عنه ، ويعملون لرفعته ، ويقومون بنشر تعاليمه . وقد أعدت لكم المشيخة الجليلة من الوسائل ما يكفل تحقيق هذا الغرض . وهذه ميزة يجب أن يقدرها الطلاب والأساتذة الذين أنيح لهم أن ينتظموا في سلك هذا القسم ، ليضاعفوا جهودهم في البحث العلمي بالدرجة التي تناسب مرتبة التعليم فيه . وستكون مكتبة الكلية مفتحة الأبواب لمن يريد البحث والتنقيب . وأملى كبير في أن تبرهنوا كما برهنتم من قبل على أنكم عنصر صالح ، ومثل حي للتربية الحقة والأخلاق الكاملة .

وبهذا نحيا آمال الأمة فيكم ، ونحقق رغبة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك للمعظم في إعلاء شأن الدين وشأنكم ، ونثالون عطفه السامي عليكم .

نسأل الله تعالى أن يديم ملكه ، وأن يحفظ عرشه ، مؤيدا بالنصر والاعزاز ، ببقاء ذاته الكريمة ممتعة بالصحة والعافية ، وأن يقر عينه بحضرة صاحب السمو الملكي أمير الصعيد ( الأمير فاروق ) إنه سميع الدعاء .

عبد المجيد البنا



## اثبات وجود الروح

صرحت الكتب السماوية بأن للإنسان روحاً مستقلة عن الجسد تخلد بعد الموت وبحسب صاحبها على ما قدم من عمل فيثاب أو يعاقب عليه جزاءً وفاقاً، وجاءت الفلاسفة فأثبتت ذلك بأدلة لا تقبل النقض، وجرى الناس على ذلك قروناً وأجيالاً حتى جاء دور السوفسطائية في القرن الثالث قبل المسيح، فأنكروا الروح وشككوا الناس فيما يكون لها من المبادئ الخلقية، فزعموا أن الفضائل والردائل أمور اعتبارية، وحاولوا أن يدفعوا بالناس في هذا التيهور الخطر على كياناتهم المعنوية، ولكن جمهورهم لم يرفع بهذه التعاليم رأساً ولا أقام لها وزناً، واستمر الناس محتفظين بمعتقدهم حتى ولدت الفلسفة المادية في القرن السادس عشر، فاتخذت مظهرًا خطراً من الاعتقاد بالعلم الطبيعي، فافتتن بها قصار النظر، وما زالت تؤثر في أمثالهم في القرنين التاليين حتى كثرت أشيائهم في الغرب، وصارت لهم فيها دولة، فتدارك الله الناس بما وجه عقولهم إليه من مكتشفات علمية في المباحث النفسية، أثبتت لهم من طريق الأسلوب العلمي أن هؤلاء الماديين على ضلال مبين، وأن الروح الإنسانية حقيقة ثابتة لا يمكن المراء فيها. وكان من بين العلماء الممتازين الذين اشتركوا في تطهير العقول من تلك التعاليم الضالة العالم الفلكي الفرنسي كاميل فلاسريون فوضع نحو عشرة مؤلفات في هذا الموضوع كان لها أثر عميق في إحداث هذه الضلالات وقد رأينا أن تتحف قراء نور الإسلام يبحث من بحوثه القيمة في هذا الموضوع، ليروا مذهب العلم في مكافحة خصوم الروح.

بدأ الأستاذ كاميل فلاسريون بمناقشة الماديين في نظرياتهم التي جعلوها أساساً لمبادئهم حتى إذا هدمها بمحاول العلم الصحيح عقد فصلاً عنوانه: «ما هو الإنسان؟ هل الروح موجودة؟» جاء فيه قوله:

« رأينا أن النظريات المادية لا يقوم على صحتها دليل ، وليست قائمة على أساس من الثبوت في الدرجة التي كان يتوهمها بعض الناس ؛ فإن فيها جهات فراغ كثيرة ، وقد تجاهلت وجود أشياء لم يهتد العقل إلى تعليلها ، فهي بعيدة عن أن تُشبه بالنظريات العلمية أو باليقينيات الرياضية . فالمسألة والحالة هذه معروضة برمتها أمامنا لنبحثها بحثاً حراً . »

« يعتقد الماديون بأنه لا يوجد في العالم إلا حقيقة واحدة لا يجوز النزاع فيها ، وهي الأشياء الخارجية أو المادة ، أي الشيء الذي يرى ويلبس ويخضع لتقدير الحواس ، وكل ما عدا هذا عندهم فأمور تجريدية وأوهام ، أي عدم محض . »

« فأقول هنا كما قال صديق المأسوف عليه ( دوران دوجرو ) العالم الطبيعي : العلم الطبيعي نفسه يقرر لنا أن شهادة الظواهر ، حتى في الحين الذي تظهر فيه حاصلة على درجة الوضوح التام ، يجب أن ينظر إليها مقرونة بالشك والريب ، وأن تمحص تمحيصاً دقيقاً . »

« نعم ، فأى شيء أوضح من دوران الشمس ؟ إن هذا الشعور وهذا الإدراك يدلان على أن دورانها حق ، وأن السماء وجميع كواكبها فوق رؤسنا . أما شهدت هذا الوضوح أعين الناس أجمعين في كل زمان ومكان ؟ وهل لهذا الوضوح مثيل في العظم والجلالة ؟ لا ، وهو مع ذلك وهم محض كما أثبتته علم الفلك بالدليل القاطع . »

« فما أشد ما يظهر أشياء المذاهب سطحيين كلما اعتمدوا على محض المشاهدات الظاهرية في تقديم المعلومات الفلسفية ! »

« الشمس سطح لماع يدور فوق رؤسنا من الشرق إلى الغرب في شروقه وغروبه . هذه حقيقة شهودية قد أيدتها شهادة الناس بالإجماع ألوفا من السنين ، فكيف يتجاسر العلم نفسه مع ذلك على أن يؤكد لنا بأن هذه الحقيقة المقررة بالمشاهدة من الضلالات التي لا نزاع فيها ؟ وكيف اتفق العالم كله اليوم على التحقق من أنها ضلالة في الواقع ؟ فإن هذا السطح اللامع ليس إلا مظهر كاذب ، فالشمس في شكلها الحقيقي كرة لا سطح مستو . »

« مما لا فائدة فيه إلا كثار من الأمثلة في هذا الباب . فيجب علينا أن نعلم على د.وس الأَشهاد أن العالم الخارجى ليس فى الواقع على ما يعطيه ظاهره .

« إن بعض الفلاسفة من شيعة (بركلى) فى القرن السابع عشر، و (هنرى بوانكاريه) فى القرن العشرين، ذهبوا الى أن الموجود بحق هو الفكر وحده، وأما الشئ، المشعور به أى العالم الخارجى فيمكن أن لا يكون موجودا فى الواقع، ولكن هذا غلو يقابل غلو الماديين، وكلا المذهبين يستويان فى الضلال .

« فالحق الذى لا يمكن رده هو أننا نعلم بأننا نفكر، وأننا نجهل حقيقة الواقع وأصول الأشياء التى لا تصلنا حواسنا إلا بظواهرها فقط .

« أما الزعم بأننا ندرك حقيقة الواقع فليس من العلم فى شئ، لأننا متحققون أن مشاعرنا لا تكشف لنا إلا جزءا منه، وهى لا تكشف هذا الجزء إلا مناسبا لمشاعرنا . فلو كانت كرتنا الأرضية محاطة بالسحب دائما لكنا جهلنا وجود الشمس والقمر والكواكب، وكان المجموع العالمى يبقى مجهولا عندنا الى حد كان معه العلم الانسانى يستحيل الى جهالات لا علاج لها .

« إذا تقرر هذا فالذى نعلمه ليس بشئ، فى جانب ما نجهله، فلا نخدع بالظاهر هو القاعدة الواهية لأفكارنا وشعورنا . وأول مظهر من مظاهر هذا الانخداع الحسى هو شعورنا بسكون الأرض، فيتخيل الانسان بأنه قائم فى مركز العالم ويبنى على ذلك خيالات عن طريق الاستنتاج . فالانسانية تعيش فى جهالة بعيدة الغور، وهى لا تدري أن تركيبنا الجثمانى الطبيعى لا يعرفنا بحقيقة الواقع، فحواسنا كما رأيت نخدعنا فى كل شئ، ولكن التحليل العلمى وحده هو الذى يأتى عقولنا ببصيص من النور .

« كيف يتجرأ المتجرى، على الزعم بأن تحديد الكائن الانسانى يمكن أن ينحصر فى هذه الكلمات التى يعرفها الماديون، وهى : أنه نسيج من اللحم يحيط بهيكل من العظام . أو فى هذه الكلمات الأخرى، وهى : أنه تركيب من ذوات الأوكسيجين

والايدروجين والكربون والأزوت . أو في هذه العبارة ، وهي : أن الانسان هو ٦ كيلو غرامات من العظام ، و ٥ من المواد الزلالية والليفية ، و ٥٠ من الماء .  
أو في قولهم : إن الانسان رزمة من الأعصاب ؟  
« ولكن الأفضل من هذا كله تحديد ( بونالد ) للانسان ، فقد قال : « الانسان عقل نخدمه أعضاء » .

« ونحن نعلن هنا أن الإنسان في أصله عقل سواء أعلم ذلك أم جهله . أما يحمل كل منا في نفسه عاطفة العدل ؟ أما يشعر الطفل الذي يعاقب بعدل أنه قد استحق العقوبة ؟ والذي يعاقب بظلم أما تجده نائراً على المظنة ؟ فنأين أنه هذا الشعور الأولى ؟ أنه من عالم العقل ، ولا يوجد قياس مشترك بين هذا العالم العقلي الروحاني الأدنى ، وبين الظواهر الطبيعية الكيميائية للمادة الحية .

« والإرادة كما لا يخفى قوة من القوى العقلية . فلنضرب لها مثلاً واحداً من ألف : أراد نابليون أن يفتح الأرض كلها ، وضحي كل شيء في هذا المطمع ، فامتحن أعماله كلها حتى أصفر عمل منها ، من أول وقعة في مصر الى معركة (وترلو) التي أسرفها ، فتأمل ترأه لا الفيزيولوجيا ولا الكيمياء . ولا علم الطبيعة ولا الميكانيكا تستطيع أن تعلم قيام شخصيته ، ولا استمرار أفكاره ، ولا ثباته وإصراره ، فهل كانت هذه الصفات كلها جذبات مخية كما يدعيه الماديون في أمثالها ؟ ليس هذا التعليل بكاف ، ولا بد من أن يكون هناك كائن مفكر ، ليس هذا المخ إلا آلة له . فليست العين هي التي ترى ، ولا المخ هو الذي يفكر .

« إن دراسة كوكب من الكواكب بالتلسكوب لا يمكن أن تعزى الى الآلة ، ولا الى العين ، ولا الى المخ ، ولكن الى عقل الفلكي الذي يبحث ويجد .

« والإرادة الانسانية وحدها تكفي لإثبات وجود العالم الروحاني ، العالم المفكر ، بخلاف العالم المادي المنظور المحسوس .

« إن تأثير الإرادة يظهر في كل شيء ، ويمكن أن نلاحظ ذلك بغاية السهولة فيما يلي :

« أنا الآن جالس على كرسي ، ويداي موضوعتان على ركبتيّ ، فقد ألعب بأصابع يدي اليسرى فأرفع واحداً بعد آخر بيدي اليمنى ، فتسقط بعد رفعها ، ولكنني لو أردت أن لا تسقط بقيت مرتفعة . فما هو ذلك الشيء الذي يؤثر على عضلاتها ؟

الجواب حين : هو إرادتي . فتوجد إذاً قوة عقلية تؤثر على المادة ، وهذه القوة متعلقة بمخى ، هذا مما لا مشاحة فيه ، ولكن هذه الإرادة آخر ما يقال عنها أنها فكرة ، وهذه الفكرة تؤثر على المادة ، وسببها الأول ليس في المخ ، لأن جذباته ليست إلا معلولات لا عللاً . فلننظر الآن إلى قوة الإنسان المفكرة على الخصوص ، فإنها الدليل المستمر على وجود الروح . فالفكر هو أثمن ما بملكه الإنسان ، وهو أشد الأشياء تميزاً بشخصيته ، واستقلالاً عن غيره ، فحرية لا يمكن العدوان عليها . فأنك تستطيع أن تعذب الجسد ، وأن تحبسه ، وأن تقتاده ، ولكنك لا تستطيع أن تعمل شيئاً ضد القوة الفكرية ، فكل ما تفعله أو تقوله لا يؤثر عليها ، فهي نهزأ بكل شيء ، وتحتقر كل شيء ، فإذا لعبت دوراً هزلياً ، أو حملها النفاق على الكذب ، أو ألبسها الطمع وجهاً مستعاراً خداعاً ، بقيت هي على ما كانت عليها ملزمة بما تريد . أليس هذا شهادة واقعية على وجود الكائن النفساني مستقلاً عن المخ ؟

« فليست للمادة وليست مجموعة الذرات الجسدية هي التي تفكر ، والقول بأن المخ يحس ويفكر يعتبر الآن من هذيانات الطفولة ، وهو يكون بمنزلة نسبة رسالة تلغرافية إلى الآلة المولدة لها لا إلى مرسلها .

« فالعقل والفكر والاتجاه النفسى ليس من المادة ولا من القوة في شيء ، فالفكرة الأرضية التي تدور حول الشمس ، والحجر الذي يسقط ، والماء الذي يجري ، والحرارة التي تمتد أو تقصر المسافات بين ذرات الأجسام ، هذه كلها تمثل لنا المادة ، ولكن

التفكر والتأمل والانتباه وراء مقصد معين كل ذلك شيء آخر، وفيه دلالة على وجود أصل مخالف لغيره كل المخالفة.

« البراهين على استقلال الشخصية الإنسانية عن الجسم لا يحصى لها عدد، ونحتاج في سردّها إلى كتاب خاص، وقد قدرها قدرها كل مناصرات عديدة.

« هذه البراهين ماثلة أمام أعيننا كل يوم، فاحتقار الشدائد، والقدرة على التخلص من أياب الحاجة الملحة، والإخلاص للأغراض الشريفة، وتضحية الحياة في سبيل سلامة الوطن، وإرادة التغلب والفهر، والتجرد للدعوة العلمية أو الدينية، وتحمل آلام التعذيب لنصرة ما يعتقدّه الإنسان حقاً، أليست هذه الصفات كلها مظاهر لوجود الروح، فإن مفرزات مادية، شبيهة كما يزعمون بمفرزات الكلى، لا يعقل أن تولد شخصيات عقلية على ما ترى؟

« وقد أقام منذ زمان طويل (سنة ١٨٦٨) عالم مشهور اسمه السيوي (رامون دولا سارجا) العضو في المجمع العلمي برهاناً جديداً على وجود الروح بدرس تأثير الكلوروفورم والكورار على البنية الحيوانية. قال العالم المذكور:

« إن استنشاق أبخرة الأثير والكلوروفورم يبطل الحس العام بحيث يمكن أن يخضع الأشخاص الذين يقومون في تلك الحالة الفيزيولوجية لتحمل الأعمال الجراحية خطيرة دون أن يشعروا بها. والأشخاص الواقعون تحت تأثير الأثير والكلوروفورم لا تقتصر حالتهم على عدم الشعور بألم بينما تمزق الآلات أنسجة أجسادهم، ولا على بقاءهم غير شاعرين بجراحهم وقروحهم التي لو حدثت لهم في حالة يقظة لحلتهم على الصباح من الألم والذعر؛ بل يحدث غالباً أنهم وهم تحت تأثير الكلوروفورم يشعرون بتأثرات لطيفة ولذيذة بواسطة أرواحهم وهم في هذه الحالة من النوم العميق.»

« رامون دولا سارجا هذا قدم هذه الظاهرة معتبراً إياها دليلاً علمياً على وجود الروح، لأنه يتضح منها أن الروح والجسد ليسا شيئاً واحداً، وقد رأينا أن الروح

تستمر على التفكير بينما الجسد تحت تأثير الأثير أو الكلوروفورم خاضع لفعل الآلات الحديدية . فهذان العنصران من المجموع الانساني قد ظهرا هنا متميزين بفعل العامل المبطل للحس .

« وقد دهش هذا العالم الأسباني مما حدث لامرأته وهي تحت تأثير الكلوروفورم لأنها حفظت فكرها سليما وبقيا كانت متخدرة ، وأثبتت له أن عقلها لم يصب بأقل تأثير في ذلك الحين ، فكانت تتكلم بهدوء وسكينة مع الجراح بينما كان يشق لحمها وأعصابها بمشرطه ، وقالت لزوجها وهي في تلك الحالة إن أفكارها كانت لذبة » انتهى .

وقد رأيت أن تلم في المقالات التالية بالبراهين العقلية على وجود الروح وبطلان الشبه التي يدلى بها الماديون في سبيل نفيها

محمد فريد وهري

## أسرار سحر البيان

قال أبو العباس بن المعتز وهو من أعلم خلفاء العباسيين :  
« القلب أسرع خطرة من لحظة العين وأبعد مجالا ، وهي الغائصة في أعماق أودية الفكر ، والمتأمل لوجوه العواقب ، والجامعة بين ما غاب وحضر ، والميزان الشاهد على ما تقع وضر . القلب كالملمى للكلام على اللسان إذا نطق ، واليد إذا كتبت . والعقل يكسو المعاني وشى الكلام في قلبه ثم يبديها بألفاظ كواس في أحسن زينة ، والجاهل يستعجل بإظهار المعاني قبل العناية بتزيين معارضها ، واستكمال محاسنها » .

وقيل لجعفر بن يحيى البرمكي : ما البيان ؟ فقال :

« أن يكون الاسم يحيط بمصاك ، ويكشف عن مغزأك ، ويخرجه من الشركة ، ولا يستعان عليه بالفكرة ، ويكون سليما من التكلف ، بعيدا من الصنعة ، بريئا من التعقيد ، غنيا عن التاويل .

وكان أبو داود يقول : « تخليص المعاني رفق ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشديق في الاعراب تقص ، والنظر في عيون الناس عي ، ومس اللحية هلك ، والخروج عما بنى عليه الكلام إسهاب » .

## سيرة أبي عبيدة بن الجراح

إن ديننا كالأسلام في سمو أصوله ، وحكمة مبادئه ، وعالمية أغراضه ، لا يمكن أن يتحصر في بقعة واحدة من الأرض ، وإن حوصر فيها وأحيط بالموانع من كل جانب كسر كل الحوائل وامتد حتى يعم الأرض شرقا وغربا ، وكذلك كان ، فإنه بعد أن انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، وقد كمل الدين وتمت نعمة الله على الناس ، دفعت عوامل الحياة الاجتماعية للمسلمين الأولين إلى الانسياب في الأرض ، فعهد أبو بكر أمير المؤمنين إلى خالد بن الوليد أن يفتح الشام على الرومانيين ، وناهيك بالرومانيين : أمة عركت لحداث ، وبلغت من المدنية أقصى ما قدر للناس في ذلك العهد ، ولها في الفروسة والبطولة آيات أي آيات .

صدع خالد بن الوليد بالأمر ، وما هي إلا مناوشات بين المسلمين والرومانيين حتى فوجئ الناس بموت أبي بكر وانتخاب عمر الفاروق للخلافة ، فعزل خالد عن قيادة الجيش وسلمها أبا عبيدة بن الجراح ، فاعتبر أبو عبيدة فاتحا للشام لأنه تولى جميع وقائعها . فإذا قلنا إن أبا عبيدة فتح الشام ، فعنى ذلك أنه تولى أول خطوة خطتها الأسلام في سبيل تحقيق مبادئه العالمية ، فكان حقا علينا أن نأتي على ترجمة حياة ذلك القائد الذي فتح الله به للأسلام باب الانتشار في الأرض :

### نسب أبي عبيدة بن الجراح ونشأته واسمه :

كان أبو عبيدة أحد كبار الصحابة وأعلام المسلمين الأولين ، وهو واحد من العشرة الذين بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . اسمه عامر بن عبد الله ابن الجراح بن هلال بن أهيب بن منبه بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة . اشتهر بكنيته ونسبه إلى جده .

وأمه أميمة بنت غنم بن جابر بن عبد العزى بن عامر بن عميرة . وأمهاعد بنت هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر . أدركت أمه لأسلام وأسلمت .



كان أبو عبيدة في الجاهلية محترماً في قومه، معروفًا بأصالته لرأى وسداده فيهم، موصوفًا بالدهاء والتدبير، فكان يقال: داهيتا قریش أبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح. أسلم أبو عبيدة في أول ظهور الإسلام. روى ابن عساکر في تاريخه عن يزيد ابن رومان قال: انطلق عثمان بن مظعون وعبيدة بن الجراح بن الخطاب، وعبد الرحمن ابن عوف وأبو سليمة بن عبد الأسد وأبو عبيدة بن الجراح حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرض عليهم الإسلام وأنبأهم بشرائعه، فأسلموا في ساعة واحدة، وذلك قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وقيل أن يدعو فيها سرا، وكان إسلامهم في بعض الروايات بدعوة أبي بكر، رضى الله عنهم أجمعين.

كان أبو عبيدة قوياً للإسلام، صادقاً في حب نبيه، حتى سماه صلى الله عليه وسلم أمين هذه الأمة. روى عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لكل أمة أمين وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح ».

وأخرج ابن عساکر عن حذيفة قال: جاء أهل نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ابعت لنا رجلاً أميناً، فقال: « لا بعتن إليكم أميناً حق أمين ». فاستشرف لها الناس (أي تطلعوا للرجل الذي يصفه النبي بهذا الوصف) فبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أباً عبيدة بن الجراح.

شهد أبو عبيدة المشاهد الكبرى كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ممن ثبت معه يوم أحد، ونزع الخيلتين اللتين دخلتا في وجه رسول الله من المنفر يومئذ، فأنزعت ثنيتهما فحسنتا فاه وصار أهتم، فرائى قط أحسن منه هما.

روى ابن عساکر عن عمر بن الخطاب أنه قال، وهو يجود بنفسه من الجرح الذي أصابه: لو أدركت أباً عبيدة بن الجراح لاستخففته وما شاورت، فإن سئلت عنه قات: استخلفت أمين الله وأمين رسوله.

تولية أبي بكر لأبي عبيدة قيادة الجيوش ضد الرومانيين:

لما تولى أبو بكر الصديق الخلافة سلم أباً عبيدة قيادة جيش من الجيوش التي

أرسلها إلى الشام، وأمره أن يقصد حمص ليفتحها. ولما تولى عمر بعد أبي بكر جعل له القيادة العامة على جيوش الشام، ففتح أبو عبيدة دمشق بعد أن حاصرها سبعين ليلة، وكان وهو على دمشق يسرح الجنود وعليها الأمراء، لكي يشغلوا جيش الرومان عن إمداد دمشق، حتى تيسر له فتحها بعد عناء شديد. ولما فتحها استخلف عليها يزيد بن أبي سفيان، ثم سار هو إلى فيحل من أرض الأردن وهزم هناك جيوش الرومان، وأتى بيسان وطبرية وحاصرها فصالحاه على صلح دمشق، ثم بعد أن وجه يزيد بن أبي سفيان إلى سواحل دمشق قصد هو إلى حمص عن طريق بعلبك، وقدم إليه السمط بن الأسود الكندي، وقدم خالد إلى البقاع، ونزل أهل بعلبك إلى أبي عبيدة فصالحوه، فكتب لهم بذلك عهداً. ثم ذهب إلى حمص، فافتتحها أيضاً. ثم رجع من هناك إلى اليرموك أو أجنادين لنجدة عمرو بن العاص. ثم سار إلى حماة فصالحه أهلها. ثم توجه إلى حلب وقدم خالد إلى قنسرين، وعبادة بن الصامت إلى اللاذقية.

فاضطر أبو عبيدة إلى حصار حلب، وسار إلى حاضرها فافتتحها، ثم قصد أنطاكية وجيوشه تحاصر حلباً، فكتب إليه عمر بالجوع إلى حلب وإتمام فتحها فعاد وفتحها صامحاً. ثم سير جيوشه تجوس خلال الشمال والشرق حتى أتمت فتح سورية وبلغت نهر الفرات شرقاً وآسيا الصغرى شمالاً، وجعل أبو عبيدة على كل كورة فتحها عاملاً من قواده، ورتب فيها المرابطين والجنود، ونظم شئون البلاد، وبسط على أهلها جناح الرأفة والعدل، وعاملهم بما اشتهر عنه من اللين والأناة والرفق، حتى صار سلطان المسلمين أحب إليهم من سلطان الرومان. ولم يضرب عليهم من الضرائب ما يهظمهم، فأسقط مما كانوا يدفعون للرومانيين شيئاً كثيراً.

#### صفات أبي عبيدة وأهملاقه :

كان أبو عبيدة متواضعاً، زاهداً تقياً، رزيناً لين الجانب، عالماً بالشرع، ماهراً في فنون الحرب.

روى ابن عساكر في تاريخه عن عمر بن الخطاب أنه قال يوماً لجلسائه: تمناؤا، فتعنى كل رجل منهم ما في نفسه، فقال عمر بن الخطاب: لكنني أتمنى بيتنا بمتلثا رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح. فقال له رجل: ما ألوت الاسلام يا أمير المؤمنين (أي ما تقصته حقه). فقال عمر: ذلك الذي أردت.

وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن عمر أنه قال: ثلاثة من قريش أصبح الناس وجوهاً، وأحسنهم أخلاقاً، وأثبتهم جناهاً، إن حدثوك لم يكذبوك: أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة بن الجراح.

أخرج الجزري في (أسد الغابة)، وابن عساكر في تاريخه عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قدم عمر بن الخطاب الشام فتلقاه أمراء الأجناد، وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: من هو؟ قال: أبو عبيدة. قالوا: يأتيك الآن. قال: فجاء على ناقة مخطومة مجبل، فسلم عليه وسأله، ثم قال للناس: انصرفوا عنا. فسار عمر معه حتى أتى إلى منزله، فنزل عليه فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه. فقال عمر: لو اتخذت متاعاً، أو قال: شيئاً، فأجابه أبو عبيدة قائلاً: يا أمير المؤمنين إن هذا يبلغنا القليل.

وروى ابن عساكر عن هذه المقاتلة رواية أوسع من تلك عزاها إلى ابن عمر فقال: إن عمر لما قدم الشام قال لأبي عبيدة: ذهب بنا إلى منزلك، قال: وما تصنع عندي؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك عليّ! قال فدخل منزله فلم ير شيئاً. قال: أين متاعك فإني لا أرى إلا لبداً وصفحة وشناً وأنت أمير، أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى جونة أي سلة، فأخذ منها كسيرات. فبكى عمر. فقال له أبو عبيدة: قد قلت لك إنك ستعصر عينيك عليّ يا أمير المؤمنين، يكفيك ما بلكم القليل. قال عمر: غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة.

وروى ابن عساكر أيضاً عن قتادة قال: قال أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير على الشام:

« يا أيها الناس إني امرؤ من فريش ، وما منكم من أحد أحمر ولا أسود يفضلني بشقوى إلا وددت أني في مسلاخه ( أي جلده ) » .

وروى ابن عساكر عن موسى بن عقبة أن عمرو بن العاص لما كان في غزوة ذات السلاسل بمشارف الشام على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخاف من جانبه الذي هو به بعث إلى رسول الله يستمده ، فندب رسول الله رجالا من المهاجرين والأنصار ، منهم أبو بكر وعمر وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح ، وأمد بهم عمرو بن العاص ، فلما قدموا على عمرو قال لهم : أنا أميركم وأنا أرسلت إلى رسول الله أستمده بكم . فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك ، وأبو عبيدة أمير المهاجرين . فقال عمرو : إنما أنتم مدد أمددت بكم .

فلما رأى ذلك أبو عبيدة ، وكان رجلا حسن الخلق ، لين الشيمة ، متبعا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده قال : تعلم أن آخر ما عهد إلى رسول الله أنه قال : إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ، وإنك إن عصيتني لأطعنك . فسلم أبو عبيدة الايمارة لعمرو بن العاص .

وأخرج ابن عساكر عن أبي البحتري قال : قال عمر لأبي عبيدة ( أي يوم انتخاب أول خليفة لرسول الله ) : هلم أبايعك ، فإني سمعت رسول الله يقول : إنك أمين هذه الأمة . فقال أبو عبيدة : كيف أصلي بين يدي رجل أمره رسول الله أن يؤمنا حتى قبض . يعني بذلك الرجل أبا بكر الصديق إذ أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي بالناس مكانه مدة مرضه .

وأخرج ابن عساكر عن جابر قال :

كنت في الجيش الذي مع خالد بن الوليد أمد به أبا عبيدة بن الجراح وهو محاصر أهل دمشق . قال أبو عبيدة لخالد : صل بالناس فأنت أحق ، أتيتني تمدني . قال : ما كنت لأصلي قدام رجل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه : لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح .

وروى ابن عساكر عن أبي الحسن عمران أن أبا عبيدة بن الجراح كان يسير في العسكر فيقول : ألاب مبيض ثيابه ، مسود لدينه ، ألاب مكرام لنفسه وهو لها عدو مهين . ادروا السيئات القديمة بالחסنات الحديثات ، فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء ، ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تقهرها .

### وفاة أبي عبيدة بالتسمم :

لما اشتد فتك الطاعون في الشام خاف عمر على أبي عبيدة فاستدعاه إليه . فكتب إليه أبو عبيدة : إني في جند من المسلمين ولن أرغب بنفسى عنهم ، وإني قد علمت حاجة أمير المؤمنين التي عرضت له ، وإنك تستبقي من ليس بياق . فإذا أتاك كتابي هذا فخلني من عزمك ، وأذن لي في الجلوس .

انتشر الطاعون بالشام وكان أبو عبيدة مع ستة وثلاثين ألفاً من المسلمين فلم يبق منهم إلا ستة آلاف رجل ، ومات كثير من أقطابهم ، منهم أبو عبيدة ومعاذ بن جبل ، ويزيد بن أبي سفيان . وقد اختلف في مكان وفاة أبي عبيدة : فمن قائل إنه ميسان ، ومن قائل إنه عمواس ، ومن قائل إنه في الأردن ، ولم يمكن ترجيح إحدى الروايات على الأخرى .

وجاء في (أسد الغاية) عن عروة بن رويم : أن أبا عبيدة انطلق يريد الصلاة ببيت المقدس فأدركه أجله بفعل فتوفي فيها .

وعن سعيد المقبري قال : لما طعن أبو عبيدة بن الجراح بالأردن وبها قبره دعا من حضره من المسلمين فقال :

« إني موصيكم بوصية إن قبلتموها لم تزالوا بخير : أقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وصوموا شهر رمضان ، وحجوا واعتمرُوا ، وتواصوا وانصحوا لأمرائكم ولا تغشوم ، ولا تلهكم الدنيا ، فإن امرأ لو عمر ألف حول ما كان له بد من أن يصير إلى مصرعي هذا لذي ترون الله كتب الموت على بني آدم فهم ميتون ، وأكيسهم أطوعهم له ،

وأعمالهم ليوم مصاده . والسلام عليكم ورحمة الله ، يا معاذ بن جبل : صل بالناس ، ومات رحمه الله .

فقام معاذ بن جبل في الناس فقال : « يا أيها الناس توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحا ، فإن عبدا لا يلقي الله ثأبيا من ذنبه إلا كان حقا على الله أن يغفر له . من كان عليه دين فليقضه ، فإن العبد مرتبط بدينه ، ومن أصبح منكم مهاجرا أخاه فليقلقه فليصلحه ، ولا ينبغي لمسلم أن يهجر أخاه أكثر من ثلاث . والله إنكم أيها المسلمون فجعتم برجل ما أزعج أني رأيت عبدا أبر صدرا ولا أبعد من الغائلة ، ولا أشد حبا للعامة ، ولا أنصح للعامة منه ، فترحموا عليه رحمه الله ، واحضروا الصلاة عليه » . كانت وفاته رضي الله عنه سنة ( ١٨ ) للهجرة .

هذا الرجل هو أول من وكل إليه فتح الباب العالمي في وجه المسلمين . كان جامعا في شخصه بين ورع النساك المتبتلين ، وخبرة القادة المحنكين ، فلم يكن يخرج أذبال السندس ولا يستبرق ، ويركب الجياد ذات السرج المحلاة بالمسجد ، ويمول مختالا بين الصفوف تحتف به السكاة وترفع على رأسه المظال الحريرية ، ولكنه كان كواحد من جنوده يلبس الأسمال ، ويأوى إلى كوخ ، ويركب على حصان سرجه من ليف ، لم ير أنه يصدد حرب يرجو من وراثتها بعد الصيد وخلود الذكر ، فيسرف في القتل ، ويحرق المدائن ، وينسف الدساكر ، ويؤيم النساء ، ويقيم الولدان ، ويبعث الرعب في القلوب حتى تصطاك الأسنان عند ذكر اسمه ، وترتعد الفرائص من تخيل شبحه . لم يكن أبو عبيدة كذلك ، ولكن كان هينا لينادعا ، يسرف في نفسه الرحمة والعدل بالمقهورين ، ويضمر العفو والصفح عن قاداتهم المستسلمين .

فهذه السيرة جعلت من الشام وطنا ثانيا للإسلام ، حتى إن معاوية وبنيه اتخذوها مقرا للخلافة ، فأصبحت بيئة للزيادة عن حماها ، ومعششا للذابين عن بيضتها عشرات من السنين

محمد فريد وجدي

by the rising tide of sensual life and dissipation and have become so rebellious against the established laws of society that it seems well-nigh impossible to effect any reform or to bring them back to the fold of law-abiding individuals. The seriousness of this could not be overestimated, for it spells complete disintegration of our already effete civilisation.

But the remedy is not far to seek. Islam offers the panacea for all the world's complaints. It has proved itself equal to a similar emergency in the past when the world was plunged in the abysmal depths of chaos and disorder, and there is every indication that it will meet with the same success in its present struggle against the forces of evil which pervade the world to-day.

Bernard Shaw has rightly weighed those indications when he predicted that the world shall come to Islam before the close of the century. And in this connection, The Lord's saying is significant:

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ »

ترجمة تفسير هذه الآية تقلا عن البيضاوى

"Verily, herein is a warning to him who hath an understanding heart or him who hearkenth unto it and is present with an attention mind"

( *Baidawy's Commentary* )

---

other nations have failed to achieve in several centuries. Would it not be astounding to say that their dominion in the reign of Soliman Ibn Abdul-Malek in the year 96 of the H<sup>g</sup>ra attained greater dimensions than that of the Romans in full eight centuries? Indeed, this surprising rapidity has baffled investigators who continued to seek its causes up to the present day and tried to account for it by different lines of thought and arguments. The truth, however, is that the early Moslems did not set out to achieve their ends with the hearts and intentions of ordinary conquerors, otherwise, they would have come across the same obstacles which other conquerors met before them. But they pursued their ends with hearts which sought not to exalt themselves on earth or to act corruptly therein. Their spirits were in communion with the very heart of truth and thus through divine support they have attained the might and dominion that was theirs.

This is the only reasonable theory which could account for the ascendancy and dominion of the Arabs in less than one tenth of the time that other nations took to establish their power yet failed to achieve their ends. One may add to this the great difference of the principle by which their conquests were inspired. For while the conquests of other nations were inspired by greed and aggrandisement, those of the Moslems were motivated by a spirit of good will to spread culture and true enlightenment over the rest of the world.

Islam is still the eternal Religion which calls individuals and communities to reform themselves through the purgation of their hearts of evil tendencies and sensual desires. Once this principle is established, the dark clouds of disaster hanging heavily over the world will lift up and new horizons will appear holding out fresh hopes of a much-needed peace.

But if the reform of human character is essential for nations to curb the tendency to moral and social abuses, it is more incumbent to-day than ever before. For the tide of evil is at its highest to-day, and individuals and communities have been carried away



« وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى  
اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ »

ترجمة تفسیر هذه الآية نقلها عن البيضاوی

" And put me not to shame on the day when mankind shall be raised, the day when neither riches nor children shall avail except to him who shall come unto Allah with a sound heart "

( *Baidawy's Commentary* ) .

The Prophet ( on whom be peace ) says of those who hardened their hearts in life :

" A woman was chastised in hell fire on account of a cat which she fed not, nor did she leave to eat of the insects of the earth "

In the light of these teachings the early Moslems had vigorously sought the education of both mind and heart; minds to distinguish between truth and falsehood, and hearts with which to get rid of animal tendencies and purge themselves of the taints of sensual desires.

Thus through the combination of the influence of both heart and mind, the Arab people attained to the highest pinnacle of glory. They combined strength and asceticism. Their bodies presented the picture of power and animation while their hearts were fountains of charity and kindness. By their concerted efforts, they succeeded to demolish the edifice of falsehood and to establish the kingdom of truth and in a few numbered years, they became truly the viceregents of God on earth !

In a short time, those people had accomplished great tasks which

“ They have hearts by which they understand not the truth, they have eyes by which they behold not the creation of God and they have ears by which they hearken not to the signs and warning of Allah ”

( *Buidawy's Commentary* ).

And :

« فَأَمَّا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

“ Verily, it is not their eyes that are blind, but it is their hearts in their breasts that are blind to see the truth ”

( *Buidawy's Commentary* ).

The Lord be praised belittled the bodily infirmities as compared with those of the heart. He declares that the soundness of the heart is all in all and that the soundness of the body is nothing to compare with it. Indeed, no greater honour could be ascribed to the education of the heart and the attention given to its purification of all moral diseases.

Nor was that all. The function of the heart was further extended to another sphere. The deliverance on the Last Day from punishment is made dependant upon the soundness of heart from all moral diseases, and in this connection the Koran says :

the active support of the heart. Were this not so, no one on earth would have committed a sin, for the least enlightened of men understands the evils involved in sin but lacks the power of heart to dissuade him therefrom.

The Lord be praised, has pointed out that hearts suffering from moral disease are incapable of discharging their noble mission in the life of man. In this connection the Lord saith :

« فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

“Diseased are their hearts with ignorance and disbelief”

( *Baldawy's Commentary* ).

By the preceeding verse, The Lord has accounted for the refusal of the unbelievers to admit the truth. For if their hearts were sound, nothing would have deterred them from admitting it. In this connection, the Prophet ( on whom be peace ) says :

“Yea, verily, there is a small part of the body, if it is sound the whole body is rendered sound, and if it is diseased, the whole body is rendered diseased; this part is the heart”.

The influence of the heart was further emphasised by the Lord in the following verses:

« كَانَتْ قُلُوبُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ إِنَّمَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَذَانٌ لَا  
يَسْمَعُونَ بِهَا »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

neglected the education of heart, offer the proof to bear out our assertion. They suffer much from the moral laxity which has prevailed despite the herculean efforts in the direction of mind education. We can find no stronger or clearer evidence to prove that the influence of mind alone is not enough to reform human character and that the influence of heart is most essential for the attainment of the desired perfection.

It is with that end in view, that Islam has given the same attention to the education of the heart as it has given to the mind. For, as mind was endowed with influence to distinguish between truth and falsehood, so was the heart endowed with influence to guide man to noble sentiments and to cleave for him an opening into the spirit world from which he may receive a breath to fortify himself against the passionate inclinations of the body.

The Lord be praised saith :

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ »

ترجمة تفسیر هذه الآية نقلا عن البیضاوی

"Verily, herein is a warning to him who hath an understanding heart "

( *Baidawy's Commentary* ).

In the preceeding verse The Lord hath said "to him who hath a heart" and not "to him who hath a mind", indicating thereby the influence of the heart as regards admonition and the insufficiency of the mind in that respect. For man could appreciate by his mind the evil consequences of sin but he could not desist from it except with

feeling and noble sentiments are the requisites of heart whose function is to appreciate the beauty in everything and to set perfection as the highest ideal to be attained in life. With these two spiritual phases, man is required to establish himself in such a way as to enable him to derive the utmost benefit from both and obviate all possible friction that might arise between them in order that he may attain to the highest status of social and intellectual development.

Investigation of conditions of different human societies has shown that unless these two spiritual phases are held in equilibrium, the life of a nation will be in jeopardy. For if the influence of one of them overwhelms the the other, disorder will set in, to the same extent, in the nation's affairs and will render her open to disaster. It will be either overcome by a rival nation or succumb to the forces of disintegration which are let loose by the internal factors of disorder.

Here some one may ask: Is it not sufficient, when mind is imbued with learning and has come to consider matters in the light of facts, to set it as the sole arbiter of truth? And does it not follow that all that you attribute to the heart, including feeling, noble sentiment, appreciation of beauty and seeking the ideal of perfection, should come as a natural consequence to the functions of mind?

No, indeed; for this is exactly the same fallacy in which the exponents of the modern school of education have fallen. They confined education to the mind only and neglected the heart, with the result that the essential equilibrium between mind and heart was lost.

The condition of the present generation brought up in this way is perhaps the best argument against that doctrine. The present day generation is growing more and more heedless of moral codes. In fact there are individuals who hold absolute moral freedom for a code and publicly advocate it in equivocal terms, aiming thereby to glorify sensual gratification and assign to it the highest place in the hearts of men. Literature which is published in millions to-day contains nothing other than the glorification of sensual desires and gratification, and people seem to breathe in an atmosphere heavily charged with excitement and desires. Civilised nations which

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

## I S L A M

ITS MISSION IN THE WORLD. (1)

X.

---

CALL TO PURGATION OF HEARTS.

Man is endowed with reason and heart, and though they are two phases of his guiding spirit, yet they may be regarded as independent on account of their different functions in his moral life. Each of them demands certain requisites and exercises certain influence. Learning is the requisite of mind whose function is the consideration and examination of things to get to the truth. While on the other hand

---

(1) Translated from Mr. Mohammed Farid Wagdy's editorial in "Nour-El-Islam" Review.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مهمة الدين الاسلامي في العالم

- ١٤ -

دعوته الى قرن العلم بالعمل وحثه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لا نعرف علة أهلكت الناس قديما وحديثا ، وأشد فتكا من إهمالهم العمل بما يعلمون . فهذه العلة كما دنست حياة الأفراد ، ورائت على نفوسهم وقلوبهم ، فحالت بينهم وبين بلوغ أقصى درجات الكمال ، وجعلت علمهم شرا عليهم من الجهل ، كذلك فعلت بالجماعات فأفسدت كياناتها ، وفككت أوصالها ، وقذفت بها في أحضان الجاهلية ، رغما من بلوغ العلم فيها الى درجة كان يصلح معها أن يوجد لها مدنية فاضلة ، خالصة من جميع رعونات الحيوانية .

خلق الله النفس البشرية وحلاها بعلم ضروري ، من إدراك الحسن والقيبح ، والصالح والفاسد ، وكان هذا العلم الفطري وحده يكفي لو عملت به أن يقيمها على جادة التكميل ، ويفتح لها بابا الى الرقي المطرد ، ولكن التعاليم الفاسدة التي تحيط بها تدفعها للتهاون في العمل بما تعلم ، فتحيق بها آثار أعمالها السيئة ، قال الله تعالى : « فأصابهم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزءون » وقال : « فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » .

وقد صرح علم الاجتماع بهذه الحقيقة فقرر أن للحوادث منطقا لا يختل قسطاسه ، وأن كل عمل تتركه ثمرة حسنة أو ثمرة سيئة ، مناسبة له ومقدرة به تقديرا دقيقا .  
لهذه الاعتبارات جاء الإسلام مشددا في وجوب قرن العلم بالعمل ، فقال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » وقال : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » .

وزاد الاسلام الإنسان معرفة بأثر العمل في حياته الدنيوية ، فكشف له سرا خطيرا من أسرار العلم ، وهو أن الفساد الذي يشكوه منه الإنسان في نُظْمه الاجتماعية ، وضروب الشر الشائعة في شتونه للمعيشية ، وصنوف الويلات التي تصيبه في نفسه وعرضه وماله ، كل ذلك نتائج لمقدمات وضعها الإنسان بنفسه ، وثمرات لبذور من الفتن غرسها بيده ، فإذا كان بعد ذلك شاكيا من شيء فليشكون حقه ، ولا يلومن إلا نفسه ، فقال تعالى : « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون » . فإذا كان الأمر جاريا على هذه السنة فكيف لا يسارع الإنسان إلى العزوف عن الموبقات ، والإقبال على الأعمال التي تعود عليه وعلى قومه بالخير والفلاح ؟ وقد زاد الله هذا الموضوع بياناً فقل تعالى : « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون » .

وقال تعالى : « ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ، ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا » .

وقال تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » . وقال تعالى : « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » .

ثم أولى الله هذا الموضوع عناية خاصة هو جدير بها ، إذ أبان أنه يشهد كل ما جل وحقر من أعمال الإنسان ، وهذا موقف لو تصورده الإنسان حق تصوره وهو يأتي المتكر ، لما أقدم عليه ، ولكن هم منصرفا إلى الإتيان بالصالحات ، يشهد الله منه على ما يوجب له الزلفى عنده ، وهي غاية غايات السعادة ، فقال تعالى : « وما تكون في شأن ، وما تتلو منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ،



وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين .

وقال تعالى : « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد » . هذا أسلوب بليغ في تحبيب العمل الصالح الى الانسان ، فلا عجب أن ظهرت الأمة الاسلامية تحت سلطانه أمة اتخذت الفضائل روحا لوجودها ، وأساسا لأعمالها ، وهذا ما لم يوجد له شبيه في تاريخ البشرية . فإن الذي يراه المتأمل في شئون المجتمعات المختلفة أن الفضائل كانت تعتبر في نظر الشعوب حُلًى يتحلى بها بعض الأفراد النابهين ، والفلاسفة المقدمين ، أما الدهماء من الشعوب فكانت تُترك لأهوائها وميولها ، تخوض من غمراتها ما تخوض ، من غير رقيب ولا حسيب .

أما الاسلام فإنه لم يكتف بمجرد لدعوة الى الآداب الكريمة والخصال الشريفة والفضائل العلمية والعملية ، ولكنه نصب من المسلمين على أنفسهم رقيباً منهم يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، ويرقبون أعمالهم ، فإذا آتسوا منكراً عمدوا الى منعه ومجازاة مرتكبه ، فكان هذا النظام حافظاً للمجتمع الاسلامي من أن تشيع فيه التكررات وتنتشر الموبقات .

الخلاصة أن المسلمين مكلفون بالعمل بما يعلمون تكليفا لا هوادة فيه . فإن أطاعوا وعدهم الله بأن يبارك لهم في أعمالهم ، ويوفقهم في محاولاتهم ، ويفتح عليهم علومها جديدة لم يكونوا يحملون بها ، قال صلى الله عليه وسلم : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » ، وإن عصوا واكتفوا من العلم بتحصيله دون العمل به ، أو عدهم الله بفتح باب الفتن عليهم ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون .

ومما يجب أن يلاحظه القارئ أنه ما من آية ذكر الله فيها (الذين آمنوا) إلا أضاف اليهم (وعملوا الصالحات) ، إشارة منه تعالى أن الإيمان يجب أن يكون مقرونا بالعمل ، فهو مظهره في عالم الشهادة ، وغمرته في مهلة الحياة ، وما لا مظهر له فوهوم ، وما لا ثمرة له فمقيم .

وكما امتاز المسلمون بقرن العلم بالعمل في الناحية الروحية ، كذلك امتازوا بتطبيق النظريات الكونية على التجارب العمالية وكانت هذه الخصلة القويمة فيهم نفحة من نفحات دينهم الذي يأمرهم بالنظر والتفكير في ملكوت السموات والأرض ، وتخير الأحسن من كل شيء ، واستصلاح معيشتهم بكل ما يستطيعون من الوسائل المشروعة ، وأشرب نفوسهم الاعتقاد بأنه ما من كمال إلا وعند الله أ كمل منه ، فتيقظت في نفوسهم غريزة التكميل في كل شيء . لذلك ما كادوا يتصلون بالأأم ذات اللدنيات القديمة ويأخذون عنها اعارف الطبيعية حتى أ كبروا على العمل بها ، والاستفادة منها ، فلم يحض عليهم ربح من الزمن حتى أصبحوا أئمة العلم والعمل في الأرض ، وكانوا سببا مباشرا في إحياء العلوم التي تركها الأولون ، وأهملها أعقابهم من بعدهم ، فبعثوها من مرفدها وتمهدها بوسائل الحياة ، فتمت ازدادات مادتها ، وأدتهم الى اكتشاف علوم جديدة ، والوقوف على مسانير كان لا يتخيل أحدها وجودا قبلهم . وقد شهد لهم كبار المؤرخين لأجانب بهذه المكانة الأدبية في العالم ، فقال العلامة الفرنسي (جوستاف لوبون) في كتابه تمدن العرب : « العرب مع ولوعهم بالأبحاث النظرية لم يهملوا تطبيقها على الصنائع ، فقد أ كسبت علومهم صنائعهم جودة عظيمة جدا . وإنما وإن كنا لم نزل نجعل أ كثر الطرائق التي سلكوها لذلك ، فإننا نعترف نتائجها وآثارها ، فنعرف مثلا أنهم احتفروا المناجم واستخرجوا منها الكبريت والنفاس والزئبق والحديد ولذهب ، وأنهم برعوا جدا في الصباغة ، ومهروا في صقل الفولاذ مهارة بعيدة المدى ، وأنهم في كثير من فنون الصنائع قد برعوا براعة لم يلحق لهم شأ وفيها للآن ( نأمل ) » .

فالأستاذ جوستاف لوبون يشهد بأف العرب طبقوا العلوم التي اقتبسوها على العمل ، فباغروا في الصنائع شأوا لم يصل اليه من تقدمهم ، ويعترف بأن العلم الغربي لم يزل يجمل الطرائق التي سلكوها لذلك ، وأنهم برعوا في بعضها براعة لم يلحق لهم شأ وفيها الى اليوم .

وقد اعترف الأستاذ (دراير) المدرس بجامعة نيويورك في كتابه (المنازعة بين العلم والدين) بأن المسلمين في إبان نهضتهم كانوا آخذين بالأسلوب العملي ، وذلك كما يقول : « لأنهم تحقّقوا أن الأسلوب العقلي النظري لا يؤدي إلى التقدم ، وأن الأمل في وجدان الحقيقة معقود بمشاهدة الحوادث ذاتها . من هنا كان شعارهم في أبحاثهم الأسلوب التجريبي والستور العملي الحسي » .

ولا يزال الاسلام الى يومنا هذا يدعو الأمم قاطبة الى قرن لعلم بالعمل ، والى أن يكون منهم رقباء على أنفسهم وغيرهم يأصرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فيدفعون الناس الى الخير والفلاح ، ويحنبونهم مزالق الشرور ومهاوى اللوقات ، فلو عمل الناس بهذه الدعوة وحدها ، لانتظمت عن الأرض شرور تأخذ اليوم بمخفها ولا تجد منها مخلصا ، بل أقول إن العالم قد أصبح في مأزق من الفتن لا محيص له منها إلا باقتفاءهم هذا الأصل الذي نحن بسبيله .

فهذا العلم المادى البحت يقرر أن الخمر أم الخبائث ، وأنها علة لأمراض عقام ، وجرائم لا تحصى كثرة .

والعلم المادى ينص على ضرر الزنى ، وعلى أنه أكبر موجب لفساد الأخلاق ، وانحطاط الآداب ، ومورث لأقتل الأمراض ، ومروج للعزوبة واتخاذ الخدينات ، ومن هنا كان أقوى باعث على الترف والسرف والعبارة .

والعلم المادى يحرم القامرة ويعدها مضیعة للأموال ، ومجلبة لانحلال البيونات ، وتأثيرها في الدماء أشد من تأثيرها في أصحاب الثروات ، مامنى بها شعب إلاحت به النكبات المالية فلم يجد لها مصرفا . فإلى الذى يخلص الأمم من أوضاع هذه الشرور وينتشلها من حمأة هذا الداء الوبيل ؟

أست ترى معنا أن ليس لذلك كله من علاج سوى مادعا ليه الاسلام من قرن العلم بالعمل ، وإقامة الناس رقباء على بعضهم بمعونتهم أن يقتربوا من حافة الهلاك وبؤرة العار .

« إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » . محمد رفيع بربرى

# النفس

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ( وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَاهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ آيْمَانَ نَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ . وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) .

لقد رأيت في المقال السابق في تفسير قوله تعالى : «إن الله يأمر بالعدل والإحسان» أن هذه الآية قد جمعت كل المأمورات والنهيات على سبيل الإجمال ، وكانت ذلك في التكاليف المبتدأ بها من قبل الحكيم العليم . وفي هذه الآية تفصيل لبعض تلك الأحكام بذكر نوع منها قد يتسرب لبعض النفوس التساهل في أدائه والوفاء به ، وذلك في الشئون التي لم يوجبها جل شأنه ابتداءً ، وإنما أوجبها بالالتزام للراء بها من قبل نفسه ، وذلك هو ما يكون من العهود التي تتداول بين الناس ، ومنها الوعود والعقود والأيمان والندور ، فكلها عهود أوجب الله تعالى الوفاء بها ، ورتب إيجابها على ماصدر عن المكلف من التزامها ، فهي من باب قوتهم : ما يلزم بالالتزام .

وبدأ سبحانه وتعالى بأجلها قدراً وأعظمها خطراً ، وهو ما صحب التعهد فيه الحلف بالله ، وجعل العهد بين طرفين كأنه عهد مع الله ، فلذا عبر عنه بقوله : «وأوفوا بعهد الله» .

ومن أجل هذا التعبير الذى يراد به تأكيد الوجوب وتقوية الداعية للامتثال ، حمل بعض المفسرين العهد هنا على عهد البيعة التى جرت بين المسلمين وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، وفوى ذلك بأنها نزلت فى البيعة . وزعم بعض آخر أنها نزلت فيما كان بين الجاهلية من تعاهد على نصرة المظلوم ، وإيصال الحقوق الى ذويها ، وغير ذلك من أعمال البر .

ولكن سواء أكان سبب نزولها هذا أو ذاك فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فالأمر فى الآية شامل للوفاء بكل عهد التزمه صاحبه . ومن الواضح البين أن من أم ذلك عهد البيعة والاسلام ، فهو واجب كل الوجوب ، بل هو واجب مطلوب وإن لم يلتزمه صاحبه ؛ فهو من الواجبات ابتداء ؛ ويكون دخوله فى هذا القسم للحث على الوفاء ، وتربية داعية الامتثال . ولا مانع من أن يدخل الحكم الواحد تحت أوامر متعددة حسبما يوجد فيه من جهة تدعو للعناية به وتأكيده لزومه . فهو هنا مأثور به لأنه التزمه المبائع وعاهد الله عليه ؛ وفيما سبق مأمور به لأنه هو أصل الهدى والرحمة التى أنزل بها الكتاب العزيز .

واعلم أن معنا أشياء متقاربة فى أصل المعنى والحكم ، متفاوتة فى مراتبها ، فمنها العهد ، ومنها الوعد ، ومنها اليمين ، ومنها النذر . فالعهد : هو ما يجرى بين طرفين من التزام متبادل بأن يقوم كل منهما لصاحبه بعمل نظير قيام الآخر بما يقابله . وهما غالباً يتواثقان كل منهما من الآخر على وجه يربى الطمانينة فى نفوسهما . وأكثر ما يجرى ذلك مصحوباً باليمين بالله ، أو إشهد الله على ما يصنعون ، أو إضافة العهد لله بقولهم : هذا عهد الله ، وأمثال ذلك ، توكيده وتوثيقاً . وهذا القسم هو التبادر فى هذه الآية الكريمة ، إذ يعبر بعهد الله ثم بقوله إذا عاهدتم مما يدل على أنه مما لزم بالالتزام لا بأصل التكليف ، ثم بقوله فيما يليه : « ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً » الخ . والثانى الوعد وهو : ما يجرى بين الأفراد فى مخالطاتهم ومعاشراتهم ، فيمد المرء صاحبه بأن يعود إليه

أو يقضى له مصلحة أو يحل له مشكلة وعد تبرع في أصله، ولكنه يلزمه بمقتضى إيمانه، وبمقتضى ما وضع فيه صاحبه من ثقة وطأ نينة. وهذا يلتحق بالأول. ويمكن جعل الآية شاملة له باعتبار أن هذه الثقة التي اكتسبها الواعد في نفس السوعد مستقاة من التربية الدينية والأحكام الشرعية التي أنعم الله بها على عباده. فإتق هذا بذاك إلا لا اعتقاده أن له من دينه ما يمضيه عن الخلف، فهي ثقة مرجعها كفالة الله له، فكان بذلك هذا الوعد البسيط مكتسبا قوة عهد الله إذ قد أمر الله بالوفاء به. وثالثها اليمين: وهو حلف المرء بالله على فعل من الأفعال ليقوم به أو ليجتنبه. ورجوع هذا إلى معنى عهد الله أمر ظاهر، فإنه قد لزمه بإلزام نفسه إياه بقسمه عليه بعظمة الله، فكأنه قد صار مطالبا أمام هذه العظمة التي أقسم بها، فإذا أخل بالوفاء فقد أخل بما عظمه. ومثل ذلك النذر: وهو التزام طاعة غير واجبة بأصلها، ولكنها قرينة مرغوب فيها شرعا، فيوجبها على نفسه تبرعا لا في مقابل، أو معلقا على حصول مرغوب فيه أو نجاة من مكروه، أو مثل ذلك. وهذا أيضا إيجاب على النفس لله، وتعمد أن يؤدي حتما ما ألزمه من القربات النافلة.

فتراها كلها يمكن أن تتناولها الآية الكريمة، لأنها كلها أصبحت عهد الله في عنق ذلك المتعهد وإن كان أقربها للتناول كما قلنا هو القسم الأول.

ولوفاء بالعهد من أجل آيات الإيمان، ومثله الوفاء بالوعد. كما أن الغدر بالعهد والخلف في الوعد من أشنع آيات النفاق. قال صلى الله عليه وسلم: «أربع من كنّ فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر». وقال عليه السلام: «ثلاث من كنّ فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان». وحسبك بثناء الله عز وجل على إسماعيل عليه السلام بقوله تعالى: «واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا» وكأن تقديم صدق

الوعد على الرسالة والنبوة لأنه لا يمكن أن ينال الرسالة والنبوة من لم يتحل بهذه الصفة العظمى وهي صدق الوعد، فهي كالمقدمة لهما .

ومع عناية الشارع الحكيم بالأمر بالوفاء والحث عليه تجذبه من الآثار الاجتماعية ومعاملة الناس بعضهم بعضاً ما يجعله مدار الثقة ومناط التعاون الصحيح، فإن الفرد الذي يعرف بالوفاء بما تعهد به تجذب كل مصالحه ميسرة، لا يكاد يدخل في معاملة إلا ويتسابق الناس إلى ترجيحه وتفضيله، ولا يكاد يحتاج إلى أمر إلا وقد نجح له من غير ما واحد، ولا يكاد يقع في ورطة إلا وقد انتشل من حيث لا يحتسب . وبعبارة أخرى عرف بالخلف في الوعد، والنكث للعهد، والعدو والفجور في التزامه . تجده وقد أجذب من كل ثقة، وتوقفت مصالحه أيما توقف، فهما صادقه من شديد كرب أو عظيم خطب ولجأ إلى أقرب الناس إليه، فإنه لا يجد منه إلا محاولة التملص واختلاق المآذير ليتخلص من الاشتباك معه، وقد يحلف الأيمان ويقم أقوى برهان على شدة اضطرابه ويكرر التعهد على نفسه بالوفاء فلا يجد إلا أذانا صماً وقلوباً غلفاً، وكأنه ما سمع أحد منه شكوى ولا درى له سرا ولا نجوى . فكيف حاله إذا تزامت به النوائب ولا أحد في الدنيا يسلم من قلب الصروف؟ وكيف به وقد أحاطت به النوازل واشتد به الكرب وألجأته الضرورة القاسية الشديدة ولا يجد من سميع ولا بصير؟ هنا لا يجد إلا المهالك والخسران الشديد للنفس والمال وضياع الاعتبار .

وكذلك حال الأمم التي تعرف بتفشي الغدر فيها ونكث اليهود، تجدها ضائعة المصالح كاسدة التجارة عديعة للمعاونة، ولا بد للناس من الناس .

يحكى أن ملكاً من الملوك آمن خارجاً عليه إذا هو ألقى قياد الطاعة، فوثق به الخارج وألقى إليه زمامه، ففتك به بعد ما آمنه، ثم قال لأحد خاصته: كيف رأيت، قد استرحنا منه! فقال له وقد كان نصوحاً: «إن ما خسرناه بضياع الثقة بكلماتنا أعظم مما كسبناه بالاستراحة من شره، فهو فرد واحد، ولكن ضياع الثقة يشمل الجميع»؛

ولعظم أهمية هذا الوصف اشتملت الآية الكريمة على عدة أنواع من التأكيد عليه، وهي (١) قوله: «بعهد الله» حيث أضاف العهد الى ذاته الكريمة تنويها بشأنه وتعظيما لخطره. (٢) وقوله: «إذا عاهدتم» حيث أرجعه الى عملهم لإلهابا لنخوتهم واستفزازا لحيثهم وإشارة الى أنهم ينبغي أن يصونوا كرامة أنفسهم ويربوا بها عن الإيغال والضياع. (٣ و ٤) وقوله: «ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها» حيث نبههم الى ما يصدر منهم غالبا في هذه الحال من الخلف والقسم المصمم المؤكد، وللقسم قيمته ولتصميمه وتوكيده بالعمد اليه عن طلب وانتظار بمن عاهدوه قيمة أعظم. (٥) وقوله: «وقد جعلتم الله عليكم كفيلا» فإنه يلفت نظرم الى من التجؤا اليه ودخلوا في كفالاته وضمانته ليكتسبوا به الثقة، وأنه من القدرة عليهم بحيث لا يعجزه إهلاكهم وإسلامهم للدمار كما يسلم الكفيل مكفوله إذا دعا الحال لإسلامه، وكما هو الشأن في الكفالة. (٦) أما قوله تعالى: «إن الله يعلم ما تفعلون» فترية الرهبة فيها أوضح من أن يشرح، فقد تضمنت الوعد والوعيد وتربية الحياء من عظيم جلاله، وأنه لا يخفى عليه شئ، منهم، وأن كل عمل مجزى به إن خيرا خيرا وإن شرا فشر. ولو لم يكن في ذلك سوى علمه بمخازيهم واطلاعه على فعالهم لكفى ذلك رادعا لهم عن أن يقع ذلك منهم.

ترى مما سبق أن الآية كلها للحث على الوفاء بالعهد، أولها للأمر وباقيها لتقريره وتوكيده. وهذا لا يمنع أن يكون قوله تعالى: «ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها» مقيدا معنى جديدا أزيد من الوفاء بالعهد، وهو الأمر بالير في اليمين وإنجاز المحلوف عليه ولو كان الأمر في خاصة نفسه ولم يتعلق بعهد أو وعد، وهو حكم جديد، إلا أنه مخصوص بما إذا لم ير الخالف أن غير المحلوف عليه خير من التمادي في الخلف، فقد ورد قوله صلى الله عليه وسلم: «من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه» أو «فيسكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير» روايتان.

والأيمان جمع يمين، وهو الخلف بالله أو باسم من أسمائه. وقوله تعالى: «بعد



توكيدها ، أى بمد عقدها والتصميم عليها ، وذلك ليخرج لغو اليمين المشار اليه في قوله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » وهو ما يجرى على ألسنة الناس بدون قصد الى الخلف من قولهم : لا والله ، وإى والله ، وأمثال ذلك ، فليس مما يجرى فيه هذا النهى وإن كان اللائق الابتعاد عن ذلك عملاً بقوله عز وجل : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم » . واستيفاء الكلام فى الأيمان محله كتب الفقه ، فليرجع اليه من أراد .

« ولا تكونوا كالتى نقصت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون » :

النقص : الخلل . والغزل أصله مصدر غزل . والمراد به هنا ما يغزل . والأُنكاث جمع نكت بكسر النون وهو ما يحصل من نقص الغزل ، وهو أن تعمد الى الصوف أو الشعر وتبرمه وتحكم نسجه ثم تعود اليه فتقطعه وتحل ما أبرمته من خيوطه ، فهذا الذى حالته يسمى نكتاً . ولدخل كالدغل : الغش وما تدخله خبواً من الأمر الفاسد وسط الأمر الصالح . قال أهل اللغة : كل ما دخله عيب فهو مدخول وفيه دخل . وأربى : أزيد فى العدد أو فى القوة أو الشرف . ويبلوكم : يختبركم .

جاءت هذه الآية الكريمة لتصوير ما كان يقع من بعضهم بأشنع صورة منفرة لا تصدر إلا عن حق النساء ، حتى تشمئز نفوسهم منها ويتعلموا عنها ، ويحتقروا من يقع فيها . والتى نقصت غزلها قيل هي امرأة من فريش كانت تسمى ربيعة وكانت حمقاء . فغزل الغزل هي وجواربها فإذا أبرمته أمرتهن فنقصن ما غزلن ، فضرب بها المثل فى الحق وشناعة الفعل ، وشبه بها من يعود على فعله الذى كدفيه فيتلفه . وقيل ليس المراد بها امرأة معينة ، وإنما المراد الوصف فى ذاته بقطع النظر عن قام به ، وذلك أن المراد التشنيع بإراز عملهم فى مثل هذه الصورة . والتثليل لا يستدعى أن يكون المثل به حاصلاً واقماً ، بل يكفي إرازه على الصورة الموافقة بالمقصود . ولذلك تصرّب العرب الأمثال بكلام تجريه على ألسنة الحيوانات وأمثالها .

والمقصود في الآية النهي عن أن يعودوا الى ما سبق منهم من تعهد ووعود وأيمان فيتقضوها لأنهم بدا لهم ما هو أحظ مما تعهدوا به . وهل يقصد بالتعهد إلا التغلب على ما عساه يطرأ على المتعهد مما ليس له فيه حظ ؟ أما إذا كانت الأحوال المستجدة موافقة للحالة التي جرى عليها التعهد فهي كافية في بقاء التصميم لدى بني عليه العهد . وتثيل نقض العهد بثقوض الغزل من الحقاء بعمد ما تعبت فيه ، واف بتقييح العمل والتنفير منه . ففيه التعب المضاعف ، وضياح الفائدة ، وذهاب الثقة ، وتقطع الأوصال ، وحرمان الناس من أن يبنوا أعمالهم بعضهم على بعض مما لا بد في الأعمال الكبرى من اللجأ إليه . وتجد في قوله : « من بعد قوة » ما يدل على متانة العمل السابق في ذاته ، وكثرة الجهد في تحصيله ، ثم التعب في نقضه .

واختيار التي بدل الذي مثلاً — على أن المراد الوصف لا الذات المعينة — لتربية مزيد النفرة ، فإن الرجل يتفر من التشبه بالنساء مطلقاً ، فكيف بمحققهن ؟ وكلمة أنكأنا زيادة في التصوير بإبراز ما نشأ عن ذلك العمل بصورة ما حل بعد غزله فأصبح لا هو بالمغزول الذي يتمتع به ولا هو بالمستعمل لما يجري عليه لبقائه على فطرته . وهل ترى الصوف أو القطن أو نحوهما وقد حل بعد غزله مثل ما يكون على أول حالته ؟

وإن هذه الآية ترينا صورة المتردد الرأي الواهي لإرادة القلب في فكره فلا يستقر على حال ، وأنه يعمل كثيراً ولا ينتج لقليل ولا كثيراً ، فهو كما يقولون : لحجر المتدحرج لا ينبت عليه الزرع . أو كما يقول بعض الناس : كالساعة تدور ولا عقارب لها . فالحزم الصحيح لا يكون إلا مع العزم الصادق . وانظر إن شئت الى ما وقع منه صلى الله عليه وسلم وقد استشار أصحابه في غزاة فأشار بعضهم بالمضاء فيها وبعضهم بالكف ، ثم كان الأكثر مشيراً بالمضاء ، فما لبس صلى الله عليه وسلم لأمتة<sup>(١)</sup> تراجع بعض من أشار بها فقال عليه السلام : « ما كان لنبي لبس لأمتة أن يخلعها حتى يقضى الله بينه

(١) اللأمة : الدرع أو السلاح كلها من رمح ومغفر وميف ونيل .

وبين عدوه . فهذا هو العزم الصادق بعد الحزم الصحيح . وفي مثل ذلك يقول  
القائل :

إذا هم ألقى بين عينيه همه ونكب عن ذكر العواقب جانبا  
فكيف إذ هو دبر الأمر وذكر العواقب قبل أن يعقد عزيمته كما هو الشأن  
فيمن يعطي عهدا ؟ وإعرب أنكنا إما مفعول ثانٍ لنقضت لتضمينه معنى جعلته أنكنا ،  
وإما مفعول مطلق كقولهم قطعه قطعا ويكون مصدرا مييلا للنوع . وقيل هو حال  
من غزها .

وقوله تعالى : « تتخذون أيمانكم دخلا بينكم » زيادة في تقرير ذلك النهي ، فقد جاء  
لليمين وهي أوثق ما يستوثق الناس به بينهم فجعلها في عملهم دخلا ودخلا وغشا ، فإذا  
كانت اليمين وهي المؤكدة للثقة المربية للطمانينة تتخذ دخلا وغشا فإذا بقي بعدها  
ليأمن الناس به بعضهم جانب بعض . وقد جعل بعضهم هذه الجملة حالا من الضمير  
في تكونوا ، وبعضهم جعلها جملة مستقلة على معنى الاستفهام الإنكارى ، كأنه قيل :  
أنتخذون أيمانكم دخلا بينكم ؟ أى إنكار أن ذلك ينبغى منهم ويليق بهم .

وقوله : « أن تكون أمة هي أربى من أمة » مسوق للتعليل ، أى لا تتخذوا  
أيمانكم دخلا وغشا وتغريرا من أجل أنه بدا لكم أن أمة أقوى عدة وعددا من الأمة  
التي حالفتموها وعقدتم العهد معها ، فربما غلبت الأمة الأقل عددا من هم أكبر قوة  
وأكثر عددا . ولقد جعل الله ذلك ابتلاء لكم ليتبين من يحترم عهده ويصر على التزامه  
حتى يكون أهلا للثقة ومخلا للطمانينة إليه ، وجدوا بالاعتماد عليه ، وبأن يؤمن جانبه  
ويوثق بكلمته ، ممن هو كالريشة في مهب الريح لا يستقر على حال ولا يركن إلى ما قال ،  
ولا يوثق بما أعطى من عهد أو وعد . وهل يكون الامتحان لصدق الكلمة والثبات  
على العهد إلا إذا رجحت الكفة في الجانب الذى لم تحالفه ؟ أما إذا بقي الرجحان  
في جانب من حالف فذلك كاف في استمساكك بالارتباط به ولو لم تكن أعطيته عهدا .

وإخلاصة أن هذه الآية تبحث على الثبات في العهد والاستمسك بالكلمة واحترام الإنسان ما صدر منه من وعد، وتبين أن المتعهد ما دخل في العهد إلا وهو مرتكن على أنه موثوق بعهدته بظمن إليه من عاهدته يفرض فيه عدم التزلزل والتقلب، وعلى هذه الصفات تم العهد بينهما، فإذا هو أخل بما يوجب هذا العهد أزال عن نفسه الثقة على الدوام، وعسى أن يكون أحوج إلى هذه الثقة منه إلى الطعام والشراب.

هذا كله في معاملة الدنيا. وأما آثار ذلك في الآخرة فهو أعظم هولاً وأكبر خطراً. ولذلك أجمله تعالى بصورة التهويل والتخويف والإيذار الشديد مقسماً عليه للتأكيد حيث يقول عز وجل: «وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون» أجل: إنه ما أخل قوم بعهدهم وكانوا كلهم مجمعين على الإخلال به، بل لا بد أن يكون من بينهم من يخالفهم ويحاول رشدهم ويدعوهم إلى الاستمسك بكلمتهم واحترام وعدهم وعهدهم وإن خفت صوته وكثر المخالفون له، ولا بد أن يكون منهم من ينظر إلى ما يلوح من عاجل مصالحة، ومنهم من يدقق النظر ويحيل الفكر حتى يستخلص صائب الرأي فيرى أن الصواب في الوفاء وأن الخطأ كل الخطأ في الفجور والغدر. يعطى هذا كله التعبير بقوله عز وجل: «تختلفون» دون تملون ونحوه. وفي التعبير يبين شرح لما يصحب هذا التكتك غالباً من اشتباه المعالم واضطراب الأفكار، وأنهم لو اتبعوا ما أنزل عليهم من ربهم لتلمسكوا وتماضدوا وفازوا بخيرى الدنيا والآخرة.

واعلم أن هذا الوصف من أعظم ثمار الإيمان الصحيح، فقد جاء: «لا إيمان لمن لا أمانة له» وليس أحق بسلب الأمانة ممن يخون عهده. وإن من استباح أن يخون ما بينه وبين الناس وقد أكد الله تخليق أن يخون ما بينه وبين الله، ففيما بينه وبين الناس يعصى الله ويتعرض لاحتقار الناس وتفوت عليه بذلك مصالحه التي هو حريص عليها، وفيما بينه وبين الله ربما اعتمد على عفوه وسعة رحمته. ولقد قيل: حقوق الله مبنية على المسامحة وحقوق العباد مبنية على المشاحة. ولا تفهم أن معنى المسامحة في حقوق الله الاجترار، على معصيته، فن فعل ذلك فقد أودى بنفسه وخسر الدنيا والآخرة.

فلا عجب ، وقد علمت من عظم هذا الوصف ما علمت ، أن جاء التنويه به والحث على مداومته ، والتشجيع على من خالفه ونأى عنه .

قال الله تعالى : « ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن يوم القيامة عما كنتم تعملون » :

اتصال هذه الآية بسابقتها واضح ، فهي تشير الى أن الهدى والرشد مهمما وضع أمره واستبين طريقه فهو ملاق البتة من يند عنه ويخالف فيه ويخرج عن حكمه ، وأنه بعد ما بين لكم ما في هذا الوصف وفاء العهد من الكرامة في الدنيا والثوبة في الآخرة ، وما في مخالفته من ضياع الاعتبار في الدنيا وعذاب النار في الآخرة ، فلا بد أن سيوجد من تغلبه شقوته ويستولى عليه سوء رأيه ، فيخرج عليه كما خرج على غيره من أحكام الهدى والرشاد كثير من الفاسقين . وإن هذا مقتضى الحكمة الإلهية ، فهو الذي أراد أن يكون في الناس تصديق وتكذيب ، وهدى وضلال ، وغى ورشاد ، وسعادة وشقاوة ، ولو شاء لجعل الناس كلهم أمة واحدة في ميولهم وإرادتهم وأفكارهم فكانوا يتجهون كلهم الى محض الخير وإذا لكانوا نوعا آخر كالملائكة ، أو الى محض الشر وإذا لكانوا نوعا آخر كالشياطين ، ولكنه قد اقتضت أن يكونوا نوعا مغايرا للتوعين مستعدا للحالين « وهديناهم للتجدين » « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » فكون الله تعالى هذا النوع الانساني على وجه يحوى الخير والشرير ، والقوى والرشيد ، والمحبة للعاجلة والمتمسك بالآجلة ، فكل يعمل على ما كلفه ، وكل يسير حسب مشيئته : إن خيرا نغير وإن شرا فشر ، وما نشاءون إلا أن يشاء الله ، فشيئة العبد تابعة في الحقيقة لما شاء الله منه أزلا ، ولكنها ما صدرت عنه إلا تبعا لميوله ورغباته ، ولا يشعر بدافع آخر غير ما هو في نفسه ، ولا يعلم إن كان الله أراد به الخير أو أراد به الشر ، إنما هي إرادته المنبثقة من بين جوانبه تدفع قدرته الى ما وهبها الله من تدخل في العمل ، فيخلق الله تعالى الفعل متسببا عن ذلك . فهو الخلق وهو المدير في الأزل ، ولا يعلم العبد ما أراد الله به إلا بعد صدوره « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .

والموضوع بسط في كتب الكلام، وهذا غاية ما يتسع له هذا المقام. وعلى هذا يكون معنى «أمة واحدة» على الإسلام، أو على الهدى، أو الضلال، بقرينة قوله بعده: «ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء». ثم قوله بعده: «ولتسألن يوم القيامة عما كنتم تعملون» شاهد صدق على أن للمرء عملاً مستولاً عنه، ولا يكون ذلك إلا وله مدخلة فيه، فقول بعض الناس إنه كالريشة في الهواء لا تقوى على دفع شيء ولا جلب شيء، مخالف لنصوص الكتاب الكريم والسنة الصحيحة، بل لبديهة العقل التي يعرفها الأطفال البعيدون عن النظر. ألا ترى الطفل الصغير يفعل ما تكرهه وتريد أن تؤدبه عليه فتارة يقول لك: (حصل غصياً عني) ومعناه فلا تؤاخذني أو لا أستحق المؤاخذة، وتارة يقول لك: (نبت) أو (حرمت) أو ما شا كل ذلك، ومعناه أني أستحق ما تريد أن توقعه علي من التأديب لأن العمل حصل مني بقصد واختيار ولكني ألتبس العفو والصفح وقد عزمت على ألا أعود لمثله. فهل يأتي هذا من الطفل الضعيف الإدراك إلا لأنه يميز بين ما له دخل فيه وما لا دخل له فيه، وأنه يستحق الجزاء على الأول ولا يستحقه على الثاني؟ وهل أحق بالاطلاق مما يخالف ببديهة العقل التي لا تخفى ولا على الصبيان؟ نسأل الله أن يجعلنا ممن شاء له الهداية وأوجب له السعادة، إنه سميع الدعاء عجيب النداء.

ابراهيم الجبالي

## كلمات بليغة في حمد الله

قال أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله أحد خلفاء العباسيين:

«إِنَّ اللَّهَ جَلُّ ثَنَائِهِ لَا يَمُتُّ بِنَظِيرٍ، وَلَا يَغْلِبُ بِظَهِيرٍ، جَلُّ عَنْ مَوْقِعِ مُحْصِيلِ أَدْوَاتِ الْبَشَرِ، وَلَطْفٌ عَنْ الْحَاطِظِ خَطَرَاتِ الْفَكْرِ، لَا يَحْمَدُ إِلَّا بِتَوْفِيقٍ مِنْهُ يَقْتَضِي هَذَا، فَتَنِي تَحْصِي نِعَمَائِهِ، وَكَافَأَ إِيَّاهُ؟ عَجَزَ أَقْصَى الشُّكْرِ عَنْ أَدَاءِ نِعْمَتِهِ، وَتَضَاعَلْ مَا خَلَقَ فِي سَعَةِ قُدْرَتِهِ، قَدَّرَ فَقَدَّرَ، وَحَكَّمَ فَأَحْكَمَ، وَجَعَلَ الدِّينَ جَامِعاً لَشَمْلِ عِبَادِهِ، وَالشَّرَائِعَ مَنْاراً عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِهِ، يَتَّبِعُهَا أَهْلُ الْيَقِينِ، وَيُحِيدُ عَنْهَا أَهْلُ الشَّكِّ فِيهِ.»

## تنزيه الله عن المكان والجهة

جاءنا خطاب من حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ محمد خراشي قال فيه :  
 كنت بمركز ملوى فالتصل بي أن بعض المتزيين بزى أهل العلم من المرتزة  
 الذين يجوبون البلاد يشنع على علماء الأزهر ويدكرهم بكل سوء ، وهو ينادى بإثبات  
 الجهة الحسية لله جل عن ذلك ، ويقول : إن الله يشار إليه بالإشارة الحسية ، وله من  
 الجهات الست جهة الفوق فقط . فترجو من فضيلتكم الإفاضة في هذا الموضوع على  
 صفحات مجلة نور الاسلام حرصا على العقائد ودفعاً لسموم تلك الطائفة التي ليس لها  
 هم إلا إثارة الشغب وتشويش الأفكار .

### الجواب

كان يجب ألا نقيم لتلك الطائفة وزنا ، ولكنتنا مضطرون لتفنيد آرائهم الزائفة  
 وأقوالهم الباطلة ، لنحفظ عقائد العامة وأشياء العامة الذين يتبعون كل ناعق ويتأثرون  
 بكل ما يسمعون ، خصوصا عند ما يتلون عليهم الآيات الكثيرة والأحاديث العديدة  
 التي وردت في هذا الموضوع . وذكر تلك الآيات والأحاديث مجتمعة بدون تعقيب  
 عليها يؤثر في نفوس العامة أثرا لا يكاد يحصى . وقد شنع النزالي على من يفعل ذلك غاية  
 التشنيع في كتابه ( إجماع العوام عن علم الكلام ) .

وإنما يختصر الطريق معهم فنقول على الإنصاف والوضوح : إن كانوا يأخذون آيات  
 المتشابهات وأحاديث الصفات على ظاهرها ويثبتون معانيها التي وضعت لها في لغة  
 العرب ، فذلك كفر صراح ، لأنه يستلزم الجسمية والتجزؤ ، والتركيب . ولا يعقل غير

هذا ، فإن الظرفية مثلا إذا أخذت بمعناها الحقيقي في مثل قوله تعالى : « أأمنتم من في السماء » تستلزم أن يكون له مكان محيط به هو أكبر منه بالضرورة وذلك يستلزم صفات الحوادث لا محالة . وقل مثل ذلك في الاستواء والنزول واليد والوجه الخ .

وإن قالوا : إن ذلك ليس كاستقرارنا ولا ظرفيتنا الخ فليس له لوازم الظرفية ولا الاستواء المعروفين ، قلنا لهم : فالذى فهمتموه من تلك الظرفية إذا كنتم تجردونها عن معناها ولوازمها ؟ وما هو المعنى الحقيقي الذى تقولون إنه مراد من الاستواء مثلا ؟ وبعد تسليم هذا فأنتم موافقون لنا ، وأصبح قولكم إن آيات التشابه على حقيقتها لغوا من القول ، فإنه لا فرق بيننا وبينكم فى المعنى حيثئذ ، فما هذه الطنطنة التى أصمت الأذان وهوشت الأذهان ( أسمع جمجمة ولا أرى طحنا ) :

قال بعض أئمتكم المتقدمين على ما به من علم وفلسفة ما معناه « إن القول بأن الله لاجبة له ، وإنه ليس فوقا ولا تحما الخ قول بأن الله غير موجود ، فإن هذه صفات المعدوم لا الوجود » . وغاب عنه أن هذا قياس الغائب على الشاهد ، والحق لمنزه بالمادى والخالق بالخلق ، فإن المادى هو الذى لا بد أن يتصف بشيء من تلك الصفات ، أما غير المادى فترفع عنه هذه الصفات كلها ، بل كونه غير مادى مانع من قبوله لها . وإذا كنا لا نعرف حقيقة الذات ، ويستحيل أن نعرفها ، فكيف نتكلم فى حقائق لصفات أو نقيسها على ما عرفنا من أحوال المحسوسات وأحكام الماديات ؟ وكيف نجرؤ على أن نقول : إن النزول على حقيقته وإنه استوى على عرشه بذاته حقيقة كما تقولون ؟ :

ولتقرب ذلك بعض التقريب فنقول : إن الانسان مثلا لا يتصور فيه إلا أن يكون جاهلا أو عالما ؛ ولا يتصور ارتفاع الجهل والعلم عنه . ولكن الحجر لا يتصف بكونه عالما ولا جاهلا فهما منتفيان عنه بل ممتنعان عليه لعدم القابلية . وكيف يثبتون الجهة والاستواء الحقيقى ثم ينفون ما يلزمهما ؟ وهل هناك عاقل يقول بثبوت اللزوم حقيقة مع نفي اللازم ؟



وليت شعري بعد ذلك كله ما هذه الحقيقة التي أنبتوها؟ فإن كانوا لا يدرون منها شيئاً فإذا أنبتوا؟ وهل هناك حقائق للأشياء عندنا غير ما وضعت له ألقاؤها في اللغة العربية مما عرفناه وحكمنا بأنها إذا استعملت في غيره كان مجازاً يحتاج إلى علاقة وقرينة؟ فهذه هي الحقيقة في عرف العلماء. ولكن هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً.

على أنهم لو كانوا مستندين إلى ظواهر النصوص ولم يكونوا على هذا الاستعداد الغريب ما كان ينبغي أن يحمّدوا على أن الله فوق عرشه حقيقة، فإنه كما يقول مثلاً: «أأنتم من في السماء» يقول: «وهو الله في السموات وفي الأرض». إلى غير ذلك وهو كثير. والبرهان العقلي قائم على فساد ما يقولون ونقيض ما يعتقدون.

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا

ثم تقول لهم بعد ذلك (ولعلها من الفكاهات العلمية): كيف تقولون إن نزوله تعالى كل ليلة كما ورد في الحديث على حقيقته، والليل مختلف في البلاد باختلاف المطالع والمغرب (يعلم ذلك من بحث عنه). فإذا كانت ينزل لأهل كل أفق من الآفاق في ليّلمهم بمقتضى ما ورد في الحديث فتى يستوى على عرشه، والأرض في كل وقت من الأوقات بها ليل كما هو معروف، ولا تخلو ساعة من الساعات من ذلك، فما هو الوقت الذي يكون مستوياً فيه على عرشه بذاته حقيقة كما تقولون؟ وليت شعري بعد ذلك كله ما الحامل لهم على إثارة تلك الموضوعات بين العامة وإلقاء الشكوك في عقائدهم وأصول دينهم، ولعلهم لا يعرفون من ذلك إلا ما ألقوه فيما بينهم! (ولكن أحق الناس من أعطى قلباً منطبقاً، ولساناً منفتحاً، فإن أراد أن يسكت لم يستطع السكوت، وإن أراد أن يتكلم لم يحسن الكلام).

وإن هؤلاء وحقق لا يستحقون المناظرة، وكيف يناظر من يتناقض ولا يدري، أو من لا يفرق بين الجائزات والمستحيلات: ولقد رأيتهم ينقلون ما لا يفهمون، وكثيراً ما أغنونا بذلك عن المراجعة ولكن لا نزال نكرر أننا نخاف على العامة الذين ابتلوا

بهم واعتقدوا فيهم . والأمر والله واضح لمن نور الله بصيرته وأراد هدايته « من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » .

ومن عيب أمر هؤلاء قولهم : إن هذا هو مذهب السلف . فإن السلف منزهون لا مشبهون . وهل قال السلف : إن الاستواء على حقيقته ، والنزول على حقيقته ، أو أنه استوى بذاته كما قالوا ذلك ؟ اللهم لا ، وحاشاكم أن يقولوا ذلك !

وقد قال العلماء : إنه لا خلاف في وجوب التأويل عند تعين شبهة لا ترتفع إلا به . وقال كثير من العلماء ( وسننقل نصوصهم بعد ) : إن السلف والخلف متفقون على التأويل . وهذا غير ما اشتهر من أن السلف لا يؤولون .

والتحقيق في ذلك أننا إذا أردنا بالتأويل صرف المتشابه عن الظاهر ، فالسلف والخلف متفقون عليه بهذا المعنى ، وإن قلنا إن التأويل تعيين للمعنى المراد الذي هو غير ما وضع له اللفظ من مجاز أو كناية ، كان السلف غير مؤولين بهذا المعنى . أما أخذ الآيات والأحاديث على ظاهرها والقول بأنها باقية على حقيقتها فلا ينبغي أن يكون قولاً لأحد من المسلمين ، وإنما هو قول بعض الملل والمشبهة . وهل حقائق اليد والعين والنزول والاستواء شيء غير ما نعرفه في الماديات ونعنده في المحسوسات ؟ فامعنى بقائها على ظاهرها وإرادة حقائقها كما يقولون ؟ اللهم إن ذلك مجاف للعقل والمنطق قبل أن يكون مجافاً للدين الذي جاءت به الرسل !

ولكن ما الحيلة وقد ابتلينا بقوم لا يفقهون ولا يسكتون ، وينقلون من النصوص ما يرد عليهم ولا يشعرون !

## الخلاصة

والخلاصة المختصرة المتواضعة أننا نقول لهم : إن كنتم قائلين بالتنزيه فنحن معكم ، فإننا لا نريد من كل ما نكتب إلا إثبات التنزيه . وإن قلتم : إنها صفات للبارى عز وجل

ولم تقولوا إنها باقية على حقيقتها وهي راجعة الى كمال الله تعالى ، فنحن قائلون بأعلى صوت : إن كل كمال يجب لله تعالى وإن كماله لا تتناهى . وقد جاء في الحديث الصحيح : « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك » .

ثم نقول لكم بعد هذا : إن إثبات هذه الأشياء على ظواهرها ليس من الكمال فى شىء ، وإنما هو النقص بعينه والمحال بذاته . فإن كنتم لا تعقلون إلا الاستواء الحسى والنزول الحسى كما يدل على ذلك قولكم : إن المراد من الاستواء حقيقته ( ولا حقيقة له عندنا إلا الحسى المادى ) فصرحوا بما انطوت عليه قلوبكم ليعرفكم الناس ، وأريحونا من هذه المداورة التى يناقض آخرها أولها وظاهرها باطنها .

أظن أن القارئ الكريم قد تبين له غاية البيان أنهم إذا نقوا عنه تعالى صفات المحدثات وأحكام الماديات فنحن معهم . ولكن ليعلموا أنهم لم يعرفوا لها بعد ذلك معنى . فلينتهوا عن قولهم : إنه فوق عرشه بذاته حقيقة وإن له جهة فوق الخ ، وإلا كانوا متخبطين متناقضين .

ولو أنصفوا لركوا الآيات والأخبار على ما جاءت من غير أن يقولوا فيها شيئا أو يزيدوا عليها كلمة ، ثم يكلون علم ذلك الى الله تعالى كما فعل السلف . وحينئذ يصح قولهم إنهم سلفيون وإن هذا هو مذهب السلف . أما أن يقولوا إنه استوى على عرشه بذاته حقيقة ويشنعوا على من لا يقول بذلك ، كما فعل ابن القيم فى نونيته وابن تيمية فى كثير من كتبه ، وكما يصرحون به الآن فى كتاباتهم ودروسهم ، فغير مقبول ولا معقول .

ولنسق لك بعض التصوص استثناسا واسترواحا : قال المفانى : أجمع الخلف — ويمبر عنهم بالمؤولة ، والسلف ويمبر عنهم بالمفوضة — على تنزيه تعالى عن المعنى المحال الذى دل عليه الظاهر ؛ وعلى تأويله وإخراجه عن ظاهره المحال ؛ وعلى الايمان بأنه

من عند الله تعالى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإنما اختلفوا في آيتين يحمل له وعدم تعيينه بناء على أن الوقف على قوله تعالى : « والراسخون في العلم » أو على قوله سبحانه : « إلا الله » . ويقال لتأويل السنف : إجمالى ، ولتأويل الخلف : تفصيلي . وقال بعضهم : إن ما عليه القائلون بالظواهر مع نفي اللوازم هو تأويل أيضا لما فيه من القول بعدم اللوازم ، مع أن ظواهر الألفاظ أنفسها تقتضيها ، ففيه إخراج اللفظ عما يقتضيه الظاهر ، وإخراج اللفظ عن ذلك لدليل هو عين التأويل .

### الكلمة الختامية

والكلمة الختامية أن من أثبت ما ورد في آيات الصفات وأحاديث الصفات ما ترك من التشبيه شيئا . وربما عرفت بعض ذلك من مقالة هذا .

ومن التناقض البين الذى حملهم عليه خوف العامة قولهم : إنها على حقيقتها وليست على ما نعرف ، فكأنهم يقولون : إن النزول ليس نزولا ، والاستواء ليس استواء ، والضحك ليس ضحكا . وهو بعد باق على حقيقته ( فكأنهم أطفال أو يكلمون الأطفال ) ! ولكنك ستسمع منهم كلاما مختلطا يرضون به العوام ، وكلم لهم من تلاعب وتناقض . وليت شعري أى فرق بينهم وبين أصحاب الملل في الاغترار بالظواهر ؟

وهؤلاء يقولون : إن هذه النصوص على ظواهرها وحقيقتها ، وما ظاهر القدم في قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه » الحديث — إلا الجارحة ، ولا الاستواء إلا الجبوس ، ولا النزول إلا الحركة المخصوصة .

ولا شك أن من قال استوى بذاته فقد أجراه مجرى الحسيات ، وأنزل النصوص على ما يعرف من صفات المخلوقات . ولو قالوا إننا نقرأ الآيات والأحاديث ثم نسكت لما أنكر أحد عليهم ، ولكنهم يقولون إننا نعلمها على ظواهرها . ولا ظاهر لها عندنا

إلا ما نعرفه في مخاطباتنا ومألفاتنا ، وإذا ضايقناهم قالوا إنها على حقيقتها ، وهي غير معروفة لنا ولا تشبه شيئا من صفاتنا .

فواغيبا كيف تكون محمولة على ظاهرها وغير معروفة لنا : أليس ذلك تحيطا شديما ؟ ثم نقول لهم بعد ذلك : هل تثبتون لله يدا واحدة بمقتضى قوله : « يد الله فوق أيديهم » أم يدين بمقتضى قوله : « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي » أم أيديا كثيرة بمقتضى قوله : « مما عملت أيدينا » . وهل تثبتون له عينا واحدة بمقتضى قوله : « ولتصنع على عيني » أم أعينا كثيرة بمقتضى قوله : « تجري بأعيننا » الى غير ذلك . ثم نقول : إذا أثبتوا كونه على العرش بمقتضى قوله : « استوى على لعرش فلماذا لا يقولون إنه في الأرض بمقتضى قوله : « وهو الله في السموات وفي الأرض » وقوله : « وهو معكم أينما كنتم » وقوله : « فأينما تولوا فثم وجه الله » الخ ؟

صاق الكلام بنا من عظم ما اتسعا

ولا زال نكرر أن من أخذ بهذه الظواهر لم يدع من التشبيه شيئا .

هذا وقد ورد في السنة أنه تعالى خمر طينة آدم بيده ، فإذا يقولون في هذا ؟ وهل يقدمونه على قوله : « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » أم يصرون على بقاء النص على ظاهره ؟ وأمر الله لو تكلم بمثل هذا عاى جلف لاستفطناه منه ؟ فكيف به ممن يدعى العلم والمعرفة ؟ ولكن الانسان يجمع العجائب والغرائب ، وقد نقل الإمام ابن الجوزي عن ابن حامد الحنبلي أنه قال : الاستواء مماسة وصفة لذاته والمراد به القعود .

قال : « وقد ذهبت طائفة من أصحابنا الى أن الله تعالى على عرشه ما ملأه ، وأنه يقعد نبيه معه على العرش . فواغيبا من قلة العقول ويا أسفا من الخطأ في فهم المنقول ! وأما قولهم : إنه استواء لا كما نعرف بعد أن قالوا إنه على ظاهره وأنه باق على حقيقته فهو بمنزلة من يقول : قام فلان وما هو بقائم وقعد وما هو بقاعد » اهـ .

كلمة للشيخ الغزالي وأخرى للشيخ محمد عبده

ولنختم هذا المقال بعبارتين جليلتين أولاهما لحجة الاسلام الغزالي والثانية للأستاذ الشيخ محمد عبده :

قال حجة الاسلام الغزالي في قوله صلى الله عليه وسلم : ( إن الله ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا ) : « نقول للمتشبه بظواهر الألفاظ : إن كان نزوله من السماء الدنيا ليسمعنا نداءه ، فما أسمعنا نداءه ، فأى فائدة في نزوله ؟ ولقد كان يمكنه أن يتادينا كذلك وهو على العرش أو على السماء العليا ، فلا بد أن يكون ظاهر النزول غير مراد ، وأن المراد به شيء آخر غير ظاهره . وهل هذا إلا مثل من يريد وهو بالشرق إسماع شخص في المغرب ، فتقدم الى المغرب بخطوات معدودة وأخذ يناديه وهو يعلم أنه لا يسمع نداءه ، فيكون نقله الأقدام عملاً باطلاً ، وسعيه نحو المغرب عبثاً صرفاً لا فائدة فيه . وكيف يستقر مثل هذا في قلب عاقل ؟ » .

وقال الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده في حاشيته على العقائد المضدية : « فإن قلت إن كلام الله وكلام النبي صلى الله عليه وسلم مؤلف من الألفاظ العربية ومدلولاتها معلومة لدى أهل اللغة فيجب الأخذ بمدلول اللفظ كائناً ما كان ، قلت حينئذ : لا يكون ناجياً إلا طائفة المجسمة الظاهرون القائلون بوجوب الأخذ بجميع النصوص وترك طريق الاستدلال رأساً ، مع أنه لا يخفى ما في آراء هذه الطائفة من الضلال والاضلال ، مع سلوكهم طريقاً ليس يفيد اليقين بوجه ، فإن للتخاطبات مناسبات ترد بعبابقتها ، فلا سبيل إلا الاستدلال العقلي وتأويل ما يفيد بظاهره نقصاً الى ما يفيد الكمال . وإذا صح التأويل للبرهان في شيء صح في بقية الأشياء حيث لا فرق بين برهان وبرهان ولا لفظ ولفظ . وقال في قوله تعالى : « ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات » إن الوحي من الله للنبي صلى الله عليه وسلم يسعى تنزيلاً وإنزالاً ونزولاً لبيان علو مرتبة الربوبية ، لا أن هناك نزولاً حسياً من مكان مرتفع الى مكان منخفض . ومن الغريب أنهم

يقولون في الرد على هذا إن علو الله على خلقه حقيقة أثبتتها لنفسه في كتابه لا حاجة لتأويله بملو مرتبة الروبية . وليت شعري إذا لم يؤوله بملو مرتبة الألوهية فاذا نريد منه ؟ وهل بقي بعد ذلك شيء غير العلو الحسي الذي يستلزم الجهة والتعيز ولا يمكن نفي ذلك اللازم عنه متى أردنا به العلو الحسي ، فإن نفي التعيز عن العلو الحسي غير معقول ، ولا معنى للاستلزام إلا هذا . أما مـ فينفون اللوازم . ولا أدري كيف تنفي اللوازم مع فرضها لوازم ؟ هذا خلف . ولكن القوم ليسوا أهل منطق ، والمتبع كلامهم يجد فيه العبارات الصريحة في إثبات الجهة لله تعالى ، وقد كفر المراق وغيره مثبت الجهة لله تعالى . وهو واضح ، لأن معتقد الجهة لا يمكنه إلا أن يعتقد التعيز والجسمية . ولا يتأتى غير هذا . فإن سمعت منهم سوى ذلك فهو قول متناقض وكلام لا معنى له .

آيات تناسب المقام :

ولا بأس أن تفكحك ببعض آيات اقتبسناها من قصيدة طويلة لابن الجوزي وجهه الله في حق هؤلاء — قال :

لعمري لقد أدركت منهم مشايخا وأكثر من أدركته ماله عقل  
إذا ناظروا قاموا مقام مقاتل فواعجبا والقوم كلهم عزل  
موائدهم لا يلحق الخلل بقلها وإن شئت لا خل عليها ولا بقل  
ولنقهر القلم على ترك الجولان في هذا الميدان ، نسأل الله أن يجعلنا من اتقاه  
فجعل له فرقا ١ .

يوسف الدموي  
من هيئة كبار العلماء

## أحسن ما قيل في توارث المكارم

قال زهير بن أبي سلمى :

وما يك من خير أتوه فانما توارثه آباء آبائهم قبل  
وهل يثبت الخطي إلا وشيجه وتفرس إلا في منابتها النخل

## المبررات العلمية

لمبدأ تعدد الزوجات في الاسلام



صدرت كتابات كثيرة في أوروبا من جانب المستشرقين والاجتماعيين في مسألة تعدد الزوجات في الاسلام ، كلها ترمي الى استهجان هذه العادة ، وتنصح المسلمين بضرورة الإقلاع عنها ، بل منهم من علق ارتقاء المسلمين من الناحية الاجتماعية على إلغائها . وقد أثرت هذه الكتابات في كثير من المسلمين فأصبحوا يتطلبون وجه التخلص منها ، وانقسموا هنا الى طائفتين : طائفة ، وهي قلة لا وزن لها ، ترمي الى حذفها من الشرع الاسلامي بصرف النظر عن تبعات هذا الحذف من الناحية الدينية . والطائفة الأخرى تعمل على إبطالها بالاستناد الى تأويل بعض النصوص .

يقول هؤلاء : قال الله تعالى : « فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً » ثم قال : « وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ » فتكون النتيجة المنطقية لهذين النصين في نظرهم ، دعوة صريحة للاكتفاء بواحدة . وعلى هذه القاعدة يمكن إبطال تعدد الزوجات من طريق إسلامي بحث لا قدرة لأحد على الاعتراض عليه ، كما يقولون .

وقد سرى هذا الضرب من الاستنتاج حتى الى غالب الذين يلمون بمسألة تعدد الزوجات ، ولم يفتن أحد منهم الى أنه مبنى على الاقتضاب المريب . ولو كلف الكاتبون أنفسهم إتمام قراءة الآية ، لأدركوا أنهم بالاستشهاد بها في هذا الموطن بعيدون عن الصواب كل البعد . أما النص الكامل للآية فهو : « وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ، فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالمَلْعَقَةِ ، وَإِنْ تَصْلَحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا » ومعناها أنكم أيها الناس لا تستطيعون أن تراعوا



العدل المطلق بين نساءكم ولو حرصتم على ذلك كل الحرص ، فعليكم أن تعاشروهن بما تستطيعون من عدل ، فلا تملوا لإحداهن كل الليل وتذروا الأخرى كالمعلقة ، أى التى لا زوج لها ، بتركها مهملّة من العطف والمحبة .

فالاسلام كما نرى ، يبيح تعدد الزوجات ، ولكنه يحيطه بأوامر مشددة في وجوب العدل فيه ، فلا يقبل أن تكون المرأة بسببه في موقف مزر بكرامتها ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط » .  
بقى علينا أن ننظر في مسألة تعدد الزوجات من وجهة اجتماعية لئلا نرى هل الاسلام رى منها ، كعادته في جميع مباحاته ، الى غاية بعيدة ، إن كانت تخفى على قصار النظر فلا تنم على بعدائه ؟

#### الاسلام أول محرر للنساء :

لقد عهد الناس الاسلام شديد العناية بالنساء الى حد أن خوّلن من الحقوق ما لم تبلغه المرأة العربية الى اليوم .  
فأما من الوجهة الروحية فقد سوّى بينهن وبين الرجال ، فلم يوصد في وجوههن سبيلا الى مرتبة ، ولم يضع هن الى السمو حدا ، فقال تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

وأما من الوجهة العلمية ، فقد أباح هن أن يتناولن ما يروق هن من العلوم حتى يبلغن أرفع الدرجات ، وسمح للرجال أن يتلقوا عنهن العلم ، وأن يتقوا بروايتهن وكفائتهن .  
وأما من جهة الحقوق المدنية ، فإن الاسلام وضع المرأة في المستوى الذى فيه الرجل ، فقرر أن ترث وأن تكون ذات مال تنصرف فيه بجميع وجوه التصرفات ، مستقلة عن أيها وزوجها ، وأن يسمع قولها في الأمور العامة للمجتمع ، حتى إنه ليسمح

لها أن تلى القضاء والإفتاء، واعتبرها في بيتها سيدة حاصلة على جميع موجبات الكرامة، فلم يكلفها أن تخدم زوجها، بل ولا أن تخدم نفسها إن كان زوجها موسرا. وهي بالدخول في أعماق الزواج لا تقع تحت أسر زوجها، ولكن في حياة مشتركة بينها وبينه. وقد أباح الاسلام تحقيقا لهذا المبدأ أن تشتط في العقد أن تكون عصمتها بيدها، فتفصم عرا الزوجية في أى وقت أرادت.

هذه حقوق منحها الاسلام للمرأة قبل أن تظن هي المطالبة بها، وقبل أن يقطع رجل لطلبها لها بأكثر من ألف سنة، وليس لنساء أرق الأم مثل هذه الحقوق الى اليوم. فلذى قام بتحرير المرأة تحريرا لا مرمى بعده إنما هو لاسلام، لا العلم ولا المدنية الحديثة.

فهل الاسلام الذى هذا شأنه في حماية المرأة، ورعاية حقوقها الطبيعية، يعود فيجعل من تعدد الزوجات ما يحط من كرامتها أو ينقض حقها من حقوقها؟  
السألة تحتاج لنظر، لا لأنت وجه الصواب فيها يدق عن الفهم، ولكن لأن ما أحيطت به من الأهواء، وسحر التقليد الأعمى للأقوياء، يحمل الكلام فيها في حاجة الى مقدمتين لا يحصى عنهما:

المقدمة الأولى — جبل كثير من الرجال على أن لا يكتفوا بزوجة واحدة، فإذا اضطروا للاكتفاء بواحدة سعى بعضهم الى إشباع ميولهم من طريق غير مشروع، فيذبح الزنى وما يتعلق به من الإغراءات والتسويلات، وهتك الأعراض، ولست في حاجة الى لفت الأنظار للأضرار التى يحدثها هذا النوع من العدوان على الآداب وبناء الاجتماع.

المقدمة الثانية — إن الجماعات البشرية لا تزل ملتانة ببقايا من الحيوانية، فخير وسيلة لترقيتها أن يعترف لها بهذا الضعف، وأن توفى مقتضياته في دائرة شرعية تناسبه، وأن يكتبني بالإشارة الى المثل العليا لتفسير نحوها تدريجيا محفوزة بالارتقاء.

الذي تبلغ اليه تحت نور العلم والحكمة . أما مطالبتهما بالمثل العليا وهي في هذا الدور ، فيفضى الى أنها تتخذ من عاداتها وأهوائها شريعة عملية تجرى عليها ، فتحرم بذلك من رقابة الوازع الأدبي ، وتخبط في مطالبها الجسدانية على غير هدى ، ويستشرى أمرها فيها فلا يستطيع ردها عنها .

على هذين الأساسين الحكيمين بنيت الشريعة الاسلامية ، فإنها اعترفت بضعف لانسان أولا ، قال تعالى : « وخلق الانسان ضعيفا » ، وجرت في تكليفه على مقتضى هذا الضعف ، فقال تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » ، واكتفى بالإشارة الى المثل العليا ، وحض الانسان على بلوغها بقدر ما يصل اليه جهده ، غير متغال ولا مندفع ، فقال تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إياكم والغلو في الدين » ، وقال : « الاسلام متين فأوغل فيه برفق » .

وغرضه من هذا الأسلوب الحكيم أن لا يجاوز بالانسان طاقته ، فيضع له ما لا يستطيع القيام عليه ، وأن يتمكن من ضبط مقتضيات هذا الضعف البشري ، فلا بدعه يشتد بالإهمال ، حتى يصل الى درجة الإعصال ، فيسوق الجماعات الى الإسفاف في ميولها البهيمية ، حتى تتجاوزها الى ما لا يناسب كرامة لانسانية ، ولا يتفق وتنسبها نحو المثل العليا .

فالاسلام أقر مبدأ تعدد الزوجات لا ايسار الشهوات الخسيسة في الانسان ، ولكن ليحصر ميوله الجنسية في دائرة لا تتعدها ، ليستطيع أن يتعهد بها بالتفويم حتى لا يتفاهم شر هذه الميول فتهوى بالانسان الى درجة لا يمكن رفعه منها .

فتأمل الآن تحت هذا الضوء في الشرائع الوضعية التي لم تأخذ بتعدد الزوجات ، تجدها اضطرت الى قبول ما هو شر منه ، لا عليها فقط باعتبار أنها شرائع ، ولكن على المحكومين بها أيضا ، إذ فتحت باب التدهور الأدبي في وجوههم على مصراعيه . فاضطرت أولا الى إباحة العلاقات الآثمة بين الجنسين ، بل بين آحاد الجنس

الواحد ، إن كانت عن تراض ، وإلى مشروعية الوساطة في هذه العلاقات ، فأنحط الذوق الأدبي في هذه المجتمعات حتى قبلت تحت ستار الفنون الجميلة ضروب من التبرج والعري كلها ذات آثار خطيرة على المقومات الاجتماعية ، والآداب النفسية . ثم انتهى أمر هذه الشرع بقبول مبدأ تعدد الزوجات نفسه تحت ستار المخادنة ، فالمخادنة علاقة غير شرعية يقصد منها أن يوفى الإنسان حاجاته البهيمية دون أن يتقيد حيال المرأة بأى حق . فالنبن الذى يقع على المرأة من ناحية هذا الارتباط العرفى لا يقف عند حد ، لأنها تكون عرضة فى أى وقت للطرد هى وأولادها دون أن يكون لها أى حق عند الرجل الذى عاش معها السنين الطوال .

ولكن الإسلام بإقراره مبدأ تعدد الزوجات ، سمح لهذه الميول الجنسية البشرية أن تجد حاجتها ، وفى مقابل ذلك استطاع أن يحصر هذه الميول فى دائرته ، فحرم الزنى وجميع ما يتصل به ويشترق منه ، وأبطل كل المحاولات التى يموها الإنسان ليصل منها إلى إشباع اندفاعاته المنحطة ، وفى الوقت نفسه حى الإسلام المرأة من عدوان لرجل ، فلم يقبل أن تكون فى علاقاتها الجنسية معه إلا على حالة زوجة لها ولأولادها حقوق مقرررة لا يستطيع الرجل التفصى منها .

فالذين يريدون إلغاء مبدأ تعدد الزوجات فى الإسلام ، ويظنون أنهم بذلك يخدمون مجتمعاتهم ، عليهم أن يتذكروا أن إلغاء هذا المبدأ يودى إلى حلول للمخادنة محله ، وينشر الزنى ، ويفسد العلاقات بين الجنسين ، ويحفز إلى تدهور الأخلاق ، وسقوط الآداب .

فإن قيل إن كل هذا حاصل الآن ، ويزيد عليه مبدأ تعدد الزوجات . فنقول : وما ذنب الإسلام فى هذا ؟ إنه شرع شرعا يصل بالإنسان إلى أرفع درجات الكمال ، وقد برهن على صلاحيته لذلك ، فأنا الذين عملوا به خلافة الله فى الأرض ، وتوعد الذين يحيدون عنه بسوء المنقلب ، فكان ذلك مصداقا لقوله تعالى : « وعد الله الذين

آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ،  
وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني  
لا يشركون بي شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » أي الخارجون  
عن دائرة .

فإن كنا لا نعمل بالاسلام فالتبعة تقع علينا لا عليه .

وإنما في هذا الموطن نرى أن نستنزل عجب القارئ من هذا الأمر وهو : إن  
الذين يدعوننا الى تقليد الغربيين يتظاهرون بأنهم أنصار المرأة ، والمدافعون عن  
حقوقها ، فما بهم يدعون قومهم الى إبطال مبدأ تعدد الزوجات ، والنتيجة المحتمة  
لإبطاله قيام مبدأ المخادنة مقامه ؟ فهل من الانتصار للمرأة أن يوقعوها في هذا الخضيض  
لتصبح زوجة مجردة من الحقوق للرجل أن يستغل طبيعتها ، حتى إذا لاح له أن يتخلص  
منها طردها هي وذريتها منه ، لتذهب بهم حيث شاءت تتكفف الناس ؟

إن كانوا يرون أن هذا من الانتصار للمرأة ، فإن الاسلام لا يرى ذلك ، فهو  
لا يقبل أن تنحط المرأة الى هذه الدركة السحيقة ، ولا يجب أن يراها إلا زوجة ذات  
حقوق مقررة على الرجل ، تاجاً في الحصول عليها الى الشريعة فتتصفها ممن يريد  
التملص منها .

فعلى الذين تفتنهم هذه المدنية على علاقتها ، أن يروها على ما هي عليه ، لا على  
ما تصورها لهم أو هامهم ، فإن فعلوا ذلك تبين لهم منها ما يجب أخذه ، وما ينبغي تركه ،  
ولاحظ لهم جهات قوتها وجهات ضعفها ، فإن اتدبوا لنصح قومهم بعد ذلك كانوا  
حكما في كتاباتهم ، منطقيين في أحكامهم .

#### سمر التقلب الاعمى للقوياء :

لا أنكر أننا ونحن في دور الضعف الذي نحن فيه نقع تحت سلطان قاهر من  
الاستهواء نرى معه كل ما عليه الأقوياء حسنا ، وندفع لتجديدهم عليه ، وتقليدهم فيه ،

ونحسب كل ما نخالفهم فيه أثراً من آثار الوحشية الأولى ، ومعطلا من معطلات التقدم والارتقاء ، ولا نعدم ونحن تحت سلطان هذا الاستهواء أن نجد شبهات سوقنا إلى الاعتقاد بفساد ما نحن عليه ، وننسى كل الثلم والثغرات في الشكل الذي افترضناه ، بل ننسى ماضيه الذي أوجب عليه ما هو فيه وما هو بسبيله من المحو والإثبات ، والتغيير والتبديل في أوضاعه ، ليصل إلى حالة يمكنه الاستقرار عليها .

كانت المدنية الراهنة بالأمس تستنكر الطلاق وتعدده هادماً للأسرة ، ومدنسا لرابطة الزواج المقدسة ، ثم عادت فأباحت منذ نصف قرن ، واستهتر الناس فيه حتى صار يطلب لأتفه الأمور .

وكان أنصار المرأة يعدون عملها خارج بيتها من التجديدات التي يجب أن تشجع بإفراح المكان لها في كل مجال حتى الجنسية وضرب النار . فلما جرى العمل على هذا الأصل رأى مصلحونهم أن البيوت قد أفقرت ، والأسر قد آذنت بالانحلال ، وحل محلها شكل مستنكر من أشكال الحياة ، والأعمال قد ضاقت في وجوه الرجال لأنها لا تكفي الجنسيتين معا ، فشرع زعماءهم يعالجون هذه الحالة برد المرأة إلى البيت ، والعمل على ترويح الزوج الذي منى بأزمة قاضية من جرء هذا الانقلاب .

ونحن ، معشر الضعفاء ، مضطرون بحكم سلطان التقليد للأقوياء ، أن نقبل معهم في جميع هذه الأدوار غير مفكرين في أن لنا نظاماً مدنياً معطلاً هو المثل الأعلى لأمثاله ، فلا نعيده نظراً لأننا لم ندرسه على ضوء العلم .

نحن الآن في دور انتقال الأمر لم يخرج من يدنا بعد ، فلسنا حيال أمر واقع من أمور هذه المدنية ثبت ضرره نتلس له اللطافات ، فالواجب الاجتماعي يقضى علينا بأن نتخير من النظم ما يكون نفعه أكثر من ضرره ، لأن النافع الذي لا تشوبه شائبة ليس بموجود في هذه الحياة .

فأمامنا فيما يتعلق بالحياة الجنسية نظامان : أحدهما يبيح تعدد الزوجات ، ويحرم

كل ما وراءه من العلاقات الآثمة بين الجنسين، ويضرب بيد من حديد على أيدي المتلاعبين بالأعراض، الخائضين في ضروب الفحشاء ولا آخر يحرم تعدد الزوجات ويبيح المخادنة والعلاقات الآثمة بين الجنسين، ولا يضرب على أية يد تمتد الى تناول أى محظور في هذا المجال .

هذان النظامان يبيح كلاهما تعدد الزوجات، ولكن الأول يعتمد فيه بحقوق المرأة وأولادها، ويعنى بأمر الفحشاء فلا يدعها تفسد النفوس، وتحط الآداب . وأما الثاني فانه لا يعتمد بحقوق المرأة ولا بحقوق أولادها، ولا يبالى بالفحشاء ما دامت عن تراض . فان كان لابد من إباحة التعدد كما ترى فليس في الأرض نفس كريهة ترضى أن يكون حظ النساء منه حظ البهائم المعجاء، وإن كان لابد في كلتا الحالتين من أولاد فلا يوجد من يسمح بأن يكون عبوهم كله ملقى على عاتق الأمهات . فن كان لم يسمع بما جرت اليه هذه المسألة من المشاكل الاجتماعية في أوروبا، فليطلع على محاضرات المؤتمرات التي تقيمها جمعيات الاتحاد النسوى في العالم، فهي مما تدى له لأفئدة، وتذوب النفوس حشرات .

#### التحوط لدرء بعض الاعتراضات :

قد يقال : إن الرجل الذي يعقب أولادا من زوجتين يعتبر آثما لأنه يخلق أعداء طبيعيين بين النساء والأولاد .

فهل معنى هذا أن الرجل الذي يعقب أولادا من امرأتين إحداها شرعية والأخرى غير شرعية لا يعتبر آثما، لأنه لم يخلق أعداء طبيعيين بين النساء والأولاد؟ هل هذا صحيح؟ وهل يقوى على النقد؟

ولكن الاسلام قد احتاط لما قد يولده تعدد الزوجات من عداوة بين النساء أو حقد بين أولادهن، إذ أمر الزوج بإقامة العدل بين أولاده جميعا، وأمره أن يسوى

بينهم في التربية والتعليم والنفقة من مطعم ومسكن وكسوة، كما أمره أن يجعل زوجته على قدم المساواة في ذلك كله، وحذره أن يخص إحدى زوجاته أو أحد أولاده بأى شيء مما قد يتجم عنه بذر بذور الصغينة والبغضاء بين أفراد أسرته، ففي هذا الجو من العدل والمساواة لا تجد العداوة مجالاً للتولد والنماء والذي يتتبع الحوادث المتعلقة بتعدد الزوجات يجد أسبابها ترجع الى عصيان أوامر الشريعة في هذا الشأن .

وقد يقال : لو سألنا أية امرأة عن تعدد الزوجات والمخادعة ، لفضلت أن يخاذن زوجها ألف امرأة على أن يتزوج عليها واحدة زواجا شرعيا ، لأنه بعد خاتمة المطاف يعود إليها ، ويعطف عليها .

نقول : هذا كلام ليس له أساس من الواقع ولا من التجارب اليومية ، فإن المرأة التي يتخذ زوجها عيها خديشات تكون أسوأ حالا من التي يتخذ عليها زوجات شرعيات ، لأن الأخير يكون معتدا بأمر الزوجية ، وقابلا ما يلتقى عليها من حقوق وواجبات ، ولكن الأول يكون عادة خالعا العذار ، يجرى في أعقب شهوانه راكبا رأسه لا يلوى على شيء ، فينفق أكثر دخله على اللاتي خلبن عقله من بنات الهوى ، ويقتر على زوجته الشرعية تفتيرا يوقعها في الإغور . نعم إنه يعود في النهاية الى زوجته الأولى ، ولكن بعد أن يكون قد نضبت ثروته ، وتمسحت زهرته ، وفسد ما بينه وبينها من العلاقات .

وقد يقال : لا يتصور أن تخلص امرأة لرجل متزوج بغيرها ، فهي تعلم أنه يشها ، وأنه ذو وجهين ولسانين الخ .

ولكن الواقع أن المرأة إذا رأت زوجها يعدل بينها وبين زوجته الأخرى ويسوى بينهما في جميع حاجيات الحياة ولا يرضن عليها بما يجب عليه أدائه لها ، لا شك أنها تطمئن اليه وتخلص له وتعيش معه في هناء وصفاء .

وبعد : فإن الذين ينمضون أعينهم عن العيوب التي تنطوى عليها حضارتهم يخيل



اليهم أن ما هم فيه هو ما تدعو اليه المدينة فلا يطلبون عنه حولا ، ولكن التاريخ دلتنا على أن الأمم إذا أوغلوا في الإباحة معرضين عن الخلق الكريم ومبادئ الفضيلة فلا بد أن تعصف بهم العواصف ، وتزل بهم قدم بعد ثبوتها ، وربما تأدوا من ذلك إلى الغلو والإغراق في نقيض ما كانوا فيه من إباحة عامة .

إن المرأة في المدينة الرومانية كانت قد بلغت إلى حد من الإباحة بحيث كانت تظهر عارية على المسارح العامة ، ونالت من السلطان على النفوس بحيث كانت تملي إرادتها على رجال الحكم ، فلما انقض صرح تلك المدينة بسبب هذه الإباحة نفسها ، سلبت المرأة حريتها هذه ، وجردت حتى من حقوقها الطبيعية ، وعاشت أكثر من ألف سنة في أوروبا مقصورة على البيت ، ومزودة إلى حد أن حرم عليها الضحك وأكل اللحم ، ووضع على فمها قفل حديدى بمنعها الكلام .

عود إلى القضية التي نحمد بصورها :

المشكلة التي نحن بصدد حلها تنحصر في مسألة واحدة وهي : هل الأجدى على المجتمع أن يباح فيه تعدد الزوجات لصيانة حقوق النساء كافة ، لا المتزوجات منهن فحسب ، وقطع ذرائع العلاقات الخائنة التي تعدو على حواظ الاجتماع فتسبب لكيانه الفساد ؟ أم أن يحرم التعدد مع ترك الباب مفتوحا لكل ضروب العلاقات الآثمة ، وما تجر إليه من فساد لأخلاق ، وتدهور الآداب ؟

لا أظن أن عافلا غيورا على حياة مجتمعه يختار الحيلة الثانية ، لأنه لا يرى فائدة من تحريم التعدد شرعا وإباحته عرفا ، وترك نتائج السيئة لتعيب بالنفوس والآداب ، حتى تكون سببا في العودة إلى بربرية لا مفر منها ، كما حدث لأكبر أمبراطورية في الأرض وهي الأمبراطورية الرومانية .

وقد يقول قائل : نمنع التعدد الشرعى والعرفى معا ، ونعمل على منع ذبوع العلاقات الآثمة بين الجنسين حتى لا نصبح خطرا على كيان الاجتماع .

نقول : هيئات هيئات ، فإن الميل للتوسع في العلاقات الجنسية لدى كثير من الناس أمر لا يستطيع تداركه بغير الاعتراف به ، والا احتياط اقتناجه بوسائط مشروعة ، توسلا لتضييق دائرته الى أقصى حد ممكن . فإن أهمل أمره وترك طليقا من كل تقييد باسم القانون ، كسر كل سد يوضع أمامه ، وطفى حتى لا يمكن حصره في حدود معقولة ، ولا دليل بعد الواقع المحسوس .

هذا هو الذى قصده الاسلام بإباحته التعدد شرعا ، ليمكن من قطع الطريق عليه عرفا ، ومن السيطرة على كل ما تجر اليه فوضى الشهوات ، وطفيان الميول البهيمية .  
أظننى قد وفيت الموضوع حقه من البياض ، فلا أكتف بما قدمت ، والله  
ولى الهداية  
محمد قمبر وجهدى

## البلاغة في الطلب

دخل الأحنف بن قيس على معاوية واقفا عن أهل البصرة ، ودخل معه النمر من قطبة ، وعلى النمر عباءة فطوانية ، وعلى الأحنف مدرعة صوف وشعة . فلما مثلا بين يدي معاوية افتحمتها عينه ، فقال النمر : يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها . فأومأ اليه نجاس ، ثم أقبل على الأحنف فقال : ثم مه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أهل البصرة عدد يسير ، وعظم كسير ، مع تتابع من المحول ، واتصال عن الذحول ، فالكسر فيها قيد أطرق ، والمقل قد أملق ، وبلغ منه المخق ، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعر الفقير ، ويجبر الكسير ، ويسمن العسير ، ويصفح عن الذحول ، ويداوى المحول ، ويأمر بالعطاء ، ليكشف البلاء ، ويزين اللاواء . وإن السيد من يعم ولا يخص ، ومن يدعو الجفلى ولا يدعو النقرى ، إن أحسن اليه شكر ، وإن أسئ اليه غفر ، ثم يكون من وراء ذلك لرعيته عمادا يرفع عنهم الملمات ، ويكشف عنهم المضلات .

فقال له معاوية : ها هنا يا أبا بجر ، ثم تلا قوله تعالى : « ولتعرفهم في لحن القول » .  
نقول : « قوله المحول جمع محل وهو الجذب . والذحول الضغائن . واللاواء الشدة . والجفلى الدعوة العامة للطعام . والنقرى الدعوة الخاصة ، وكلاهما بثلاث فتحات . ولحن القول فحواه وإشاراته » .

# اللسنة

## لِسَانُ الذِّمِّيِّ الْجَزَلِ الْخَبِيرِ

روى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه ؛ وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم يلقاه » .

حقيقة إن اللسان صغير حرمه عظيم جُرمه ؛ فكم من كلمة داوت كُلمًا ؛ وكم من كلمة أوجبت أُلماً .

وإنك إذا خضت الانسان وأعضائه ، وتبعت آثاره ، لا تجد فيه عضوا يبلغ من الخطر وعظم الأثر ما يبلغ اللسان . نعم إن للقلب على جميع الجوارح السلطان ، ولكن آثاره إنما تبدو على غيره من بقية الأعضاء ، أما هذا العضو فهو المفصل ، بل هو المفصل يقطع ويصل ، ويفيد ويبيد ، فله من كبير الآثار وعظيم الأخطار وجليل المنافع والمضار ما يقضى بالسهر على تقويته وتهذيبه ، ولقد كثر في السنة ما جاء في بيان خطره وشديد نفعه وضرره ، قال صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » . وقال عليه الصلاة والسلام : « من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة » رواهما البخارى . وما بين اللحيين هو اللسان . وروى البخارى أيضا في معنى هذا الحديث الذى نحن بصددده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن العبد يتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات ،

وإن العبد يتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقي لها بالاً يهوى بها في جهنم». وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: فيما روى «من علم أن كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه». وقوله عليه السلام: «وهل يكذب الناس في نار جهنم على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»؟ والمثل الأعلى في هذا الباب قوله عز وجل: «ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء». فقد ضرب عز وجل للكلمة الطيبة مثلاً كشجرة اجتمع فيها أربع صفات:

١ - أنها طيبة، وذلك يجمع طيب منظرها وطيب أريجها وطيب ثمرها، وهكذا الكلمة الطيبة تجمع بين حسن موقعها وحسن مسممها وحسن أثرها ونضرة وجه قائلها.

٢ - أن أصلها ثابت ليست عرضة للزلزلة والافتلاع مما صر بها من العواصف والزواج، وكذلك الكلمة الطيبة لا يتراجع قائلها ولا يحيد عن التمسك بها ولا يعدل عنها، حتى لو أنها قيلت على خلاف الواقع وكانت يريد بها إصلاح ذات البين وإزالة الشر بين اثنين لكان لقائلها أن يظهر بها ولا يستحي من قولها، بخلاف الكلمة الخبيثة، فإنها قد تكون حقاً ولكن قائلها يتوارى من سوء أثرها، ويتنصل لو استطاع مبيلاً من نسبتها إليه، فإن ضاقت به سبل الخلاص ودلوا أن الأرض ابتلته ولم يكن قد فاه بها، وقد يود أن يكون لسانه قطع قبل أن يفوه بها ولا يرضيه اقتطاعها وحدها واقتلاعها من جذورها. فهل بعد هذا مرتبة في أنها كلمة لا ثبات لها وإن كانت الحقيقة تسندها والصدق يؤيدها، نعم ولكن خبثها يجتثها.

٣ - أن فرعها في السماء، فهي شجرة نامية زاكية، وكذلك الكلمة الطيبة تجد صاحبها مرفوع الرأس بها، والمعجب بها ينقلها مباهاها بها، والمربي ينقلها لينصّبها قدوة لمن يريه، وهكذا لا تزال تنمو وتزايّد، ولا يزال شأنها يعلو ويتصاعد.

٤ - أن ثمرها متجدد متكرر، وذلك في قوله تعالى : « تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها » وكذلك الكلمة الطيبة تجدها تثمر في المقام الذي قيلت فيه ، وتثمر في المقام الذي يناسبه ، وتثمر بالجوع اليها كلما تحركت العوامل التي أنارتها .

وبعد : أليس من الكلمة الطيبة بل رأس الكلام الطيب كلمة الإيمان ؟ فكيف لها من آثار حسان ، أليست طيبة اللفظ ، طيبة المعنى ، نحدث عن أشرف ما يقوله قائل ؟ أليست نحدث عن وحدة الله واستحقاقه وحده أن يعيد بلا شريك ولا ند ، وتحدث عن رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ وكل لها من آثار في سعادتي الدنيا والآخرة ؟ وهل هناك سعادة إلا وهي أصلها ومنشؤها ؟ فهذا طيب . وأما ثبات أصلها فحسبك منه قيام البراهين العقلية والنقلية على صدقها . وأما فرعها فهو عظم شرفها ، وانتشار مدلولها ، وذووع معناها ، وعدم قيام أحد لمصادرتها بحق ، بل كل من ناوأها فقد باء بذل الخيبة وظهور الكذب والضلال . وأما إتناؤها ثمرها كل حين فذلك أوضح من أن يشرح . وهل تتمتع العبد الصالح بالرضوان وحسن الجزاء إلا ثمرة من ثمراتها ، وهل لهذه الثمرة من انقطاع ؟ هذه كلمة طيبة ، بل هي أصل الكلام لطيب جميعه ، بل قال بعضهم : إنها هي المقصودة في الآية الكريمة ، وإن كان العموم فيما أرى أكثر فائدة ، بشأن الكلمة الطيبة دائماً هو أن يكون مظهرها طيباً ونخبها طيباً ، وأن يكون أصلها ثابتاً وفرعها في السماء ، وأن تكون ثمارها متجددة متكررة كما شرحناه لك ، وإن كان لا كلمة تضاهي كلمة الإيمان في منزلتها . وقد شبهت الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار . ويعرف معاني تلك الصفات بمعرفة أضدادها السابقة في صفة الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة ، فخبثها خبث منظرها ونخبها وأثرها ، ويكني في خبثها تواري صاحبها من نسبتها إليه وتبرئة نفسه منها لو استطاع ، وفي هذا محاولة لقطعها وإماتتها ؛ وقد يكون موجدتها أحرص الناس على إذهابها ؛ وكفى هذا في أنها اجتثت من فوق الأرض .

والتعبير بكلمة « من فوق الأرض » في مقابلة « أصلها ثابت » لبيان أنها لا ثبات لها

ولا مفر، حتى ولو كانت صدقا كما قدمنا. وقوله: « ما لها من قرار » زيادة في تقرير ذلك. والسكوت عن نمو فرعها وتجدد ثمرها أبلغ من نفيمها؛ فكأنه أشير بهذا السكوت الى أنه لا يتوهم فيها بقاء، فضلا عن النمو، وليس لها من أصلها وجود حتى يكون لها ثمر متكرر، فاكتمت بذهاب أصلها عن بيان قصر فرعها. وكيف يكون لها فرع ولا أصل لها؟

قد يقال: كيف هذا وربما كان لها من سيء الأثر وعظيم الخطر ما لا يستهان به من الشر والضرر؟ نقول: نعم ولكن هل يسمى هذا بالثمر؟ وهل يستحق أن يعبر عنه ببقاء الأثر؟ وهل هذا إلا الوباء الذي يجاهد كل امرئ ليلحق به الفناء ويجعله كالمهيباء؟ إن سكوت الآية الكريمة عن بيان أثره يشبه أن يكون من باب جملة في حيز ما لا يستحق الوجود ولا بالتحدث عنه، فهو كقولهم في باب البلاغة: من باب صون اللسان عن ذكره أو صون السمع عن التأذى به. وأصل كلمة الاجتناب إذهاب الجثة. فهو بمعنى الاقتطاع.

أما قوله تعالى: « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » فهو من ثمار الكلمة الطيبة، فإنها موجبة لطأ نينة النفس وثبات اليقين، وزوال الحيرة والضلالة. وهذا ثمرها في الحياة الدنيا. وكذلك تثبتهم على ثوابه في الحياة الآخرة وخلوده بلا انقضاء ولا انقطاع. وفسرها بعضهم بالثبات عند سؤال القبر. ووجه أنهم لما أكثر استحضارهم لكلمة الايمان في الدنيا أثمرت ثباتها عند سؤال الملوك بعد الموت. وأما قوله: « ويضل الله الظالمين » فهو من آثار تلك الكلمة الخبيثة التي تصدر عن ظلموا أنفسهم بها، فهم حقيقون أن يضلوا بما اكتسبوا. والله هو المهيمن على العباد، فهو يفعل ما يشاء، ويحكم ما أراد، لا دافع لحكمه ولا راد.

نسأله تعالى أن يقضى لنا في الحياة الدنيا بالهدى والرشاد، وفي الآخرة بالإسماع

وبلوغ المراد، إنه سميع مجيب

إبراهيم الجبالي

## تعليم القرآن

جاءنا هذا السؤال من أحد تجار الفردقة :

عندنا رجل كلما ذكر بمجلسه تعليم القرآن يقول : هذا الزمن ليس زمن القرآن ، وليس في تعليم القرآن فائدة ، إنما الفائدة كلها في تعليم المدارس . وكلما اجتمع بمن له ابن في المكتب الذى يعلم القرآن يقول له : هذا خطأ منك لأن القرآن ليس فيه فائدة ، والاشتغال به تضيق زمن على الأولاد . فارجو أن تبينوا ماذا عليه شرعا في النهى عن تعليم القرآن .

حسن مدنى أحمد  
التاجر بالفردقة

## الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وأصحابه .

هذا الرجل الذى ينهى عن تعليم القرآن ويذم من يتعلمه قد ارتكب إثما عظيما واقترب ذنبا كبيرا هو من أكبر الكبائر ، وفي الوقت نفسه هو غاش للأمة غير ناصح لها حتى في دنياها ، فإن الأمة ما تدهورت هذا التدهور الأدبي والمادى إلا بالتفريط في دينها وتضييع العمل بكتابها وسنة نبيها ، والقضاء عليه بفضيل تلك التعاليم الإلهادية . وأما قوله إن الفائدة كلها في المدارس فقول باطل ورأى جهل . فإن الدين يغرس في قلبك الصدق في القول والعمل ، والاستقامة والإخلاص ، ومراقبة الله عز وجل في كل شئ . وغير خاف عليك ما يترتب على ذلك من تقدم التاجر في تجارته ، والوارع في زراعته والصانع في صناعته ، وتعلم القرآن يحث على تعلم العلوم النافعة ، وعلى الأخذ بكل مفيد صالح من الصنائع والفنون ؛ فالدين هو إكسير الحياة الطيبة ، ومنبع القوة الروحية ، والبهجة النفسية . وقد قال تعالى : « من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو

مؤمن فلنحييته حياة طيبة». ولم يدع مفهوم ذلك من سوء الحياة ومصرارة العيش لمن لم يكن كذلك، بل صرح به في سورة أخرى فقال: «ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا» وأتى بمن التي هي من صيغ العموم تنبئها على أنه لا سبيل إلى الراحة، ولا وسيلة للسعادة غير الدين. فإن السعادة الحقيقية ليست إلا في النفوس، ولا يصلح النفوس وينقها من أوضارها التي تشقيها وتتعها غير الدين.

ولنسق لك بعض ما جاء في السنة مما يناسب هذا الموضوع :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » رواه الترمذي والحاكم . وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أصغر البيوت بيت ليس فيه شيء من كتاب الله » رواه الحاكم موقوفاً وقال رفعه بعضهم .

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه . وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » الحديث . رواه مسلم . وعن سهل ابن معاذ عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه تاجاً يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا فاطنكم بالذي عمل به » رواه أبو داود والحاكم . وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى إليه ، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجحد مع من وجد ولا يجهل مع من جهل وفي جوفه كلام الله » رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله أهليين من الناس . قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : أهل القرآن هم أهله وخاصته » رواه النسائي



وابن ماجه وحاكم . وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر لأن تعدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة ، ولأن تعدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به خير من أن تصلى مائة ركعة » . رواه ابن ماجه بإسناد حسن .

وعن علي رضى الله عنه قال : « أما إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أما إنها ستكون فتنة . قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله تعالى فيه نيا ما قبلكم وخبر ما بكم وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله تعالى ؛ ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله تعالى ؛ وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم ؛ وهو الصراط المستقيم ؛ وهو الذى لا ترغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ولا تشيع منه العلماء . ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ؛ وهو الذى لم تغه الجن إذ سمعته حتى قالوا : « إنا سمعنا قرآنا عجيبا يهذى إلى الرشيد فآمنّا به » من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » . أخرجه الترمذى .

أسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم ، ويحفظنا من مضلات الفتن بمنه وكرمه !

يوسف الدهوى

من هيئة كبار العلماء

## عداوة اللئام

قال شاعر فأحسن :

عداوة غير ذى حسب ودين	بلاء ليس يشبهه بلاء
ويرتفع منك فى عرض مصون	يبسحك منه عرضا لم يصنه

## سيرة سعد بن أبي وقاص

فاتح بلاد الفرس

أتينا في العدد الماضي على سيرة أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه باعتبار أنه أول من حاولوا فتح أبواب السيادة العالمية في وجه الإسلام ، فأراد الله أن يكون ثاقى هؤلاء الفاتحين الأولين سعد بن أبي وقاص . فقد تولى الأول فتح أول باب الى غرب آسيا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، حيث مضطرب الحركات العالمية ، وصلة الاتصال بالشعوب ذات المذنيات التاريخية ، وتولى الثاني فتح باب آخر الى قلب تلك القارة في الهضبة الإيرانية التي تعيش عليها أم عريقة في المجد ، وتقوم حفاقيها أخلاف شعوب ذات مذنيات متغلغلة في أقدم العصور ، كالميديين والليديين والبابليين والكلدانيين والسريانيين والصينيين والهنديين الخ . فإذا كان الباب الأول قد وصل بين الإسلام وبين الممالك الآرية التي تمتاز بأصالتها ومذنيها الحية ، فقد وصل الباب الثاني بينه وبين الدول السامية التي تفخر بقدمتها التاريخية ، وعراقها الاجتماعية ، فتم بذلك اتصال الإسلام بالأمم الحديثة والقديمة في وقت واحد ، ولم يقف من ذلك عند حد ، ولكنه واصل سيره في ذينك العالمين حتى بلغ الى أسوار الصين من شرق آسيا ، والى ثلثي فرنسا من غرب أوروبا ، والى المحيط الأطلسي من مصر الى غرب إفريقيا ، فأصبح له في أقل من قرن ملك لا تغرب عنه الشمس . ثم تابع سيره بعد ذلك على يد لفاتحين الإسلاميين حتى بلغ من شرق أوروبا الى ممالكها الوسطى بعد أن اكتسح جميع دولها الواقعة في قسم الشرق .

فلنبدا في إيراد سيرة البطل الثاني من فاتحي الأبواب العالمية في وجه الإسلام

سعد بن أبي وقاص ، فنقول :

نسب ونشأته واسمه ومنقبه :

هو سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي . وأمه حمزة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس . أسلم بعد أربع سنين من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وعمره سبع عشرة سنة . فهو من السابقين الأولين . وإن في إسلامه وهو في هذه السن لدليلا على نجابته ، وسمو عقله . وقد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع المشاهد ، وحضر جميع أدوار الدعوة الإسلامية .

وهو أحد العشرة من سادات الصحابة الذين بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وهي منزلة استحقوها بإخلاصهم للإسلام ، وتقائهم في نصرته ، ووقوفهم أموالهم وأنفسهم لإعلاء كلمته .

ثم هو أحد الستة الرجال الذين أشار عمر بن الخطاب وهو يجود بنفسه أن ينتخب للخلافة واحد منهم ، قائلا : إنهم الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم . ناهيك بمن يكون أحدثه في أمة برمتها يكثرفيها الأبطال المغاوير ، والأبرار الميامين . فالذي يراه مثل الفاروق أنه يصلح لقيادة مثل هذه الأمة يكون قد بلغ الأوج الأعلى من أصالة الرأي ، وسداد الفكر ، ومضاء العزيمة .

حدثت عائشة بنت سعد بن أبي وقاص أن أباهما قال لها : رأيت في المنام قبل أن أسلم كائني في ظلمة لا أبصر شيئا ، إذ أضاء لي قر قاتبعته ، فكأني أنظر الى من سبقني الى ذلك القمر ، فأنظر الى زيد بن حارثة ، وإلى علي بن أبي طالب ، وإلى أبي بكر ، وكأني أسألهم : متى انتهيتم الى ها هنا ؟ قالوا : الساعة . وبلغني بعد ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام مستخفيا ، فلهيته في شعب أجياد وقد صلى العصر ، فأسلمت فما تقدمني أحد إلا هم .

وقد عرف عنه أنه أول من أراق دما في سبيل الله ، وذلك أن سعدا رضى الله عنه كان مع بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصاون مستخفين في بعض

الشعاب بمكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين، فذاكروهم وعابوا عليهم دينهم حتى قاتلوهم، فاقتلوا فضرب سعد رجلا من المشركين بلحى جل (أى بفك جل) فشججه، فكان أول دم أهرى في الاسلام.

روى جابر قال: أقبل سعد على رسول الله يوم ما فقال صلى الله عليه وسلم حين رآه: هذا خالى فليرنى امرؤ خاله. وإنما قال هذا لأن سعداً زهرى وأم رسول الله زهرية وهو ابن عمها، فإنها بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، يجتمعان فى عبد مناف، وأهل الأم أحوال.

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أباه وأمه لأحد إلا لسعد بن أبى وقاص، فقد قال له يوم وقعة أحد: إرم فداك أبى وأمى، إرم أيها الغلام الحزور (الحزور الغلام إذا اشتد) قال الزهرى: روى سعد يوم أحد ألف سهم.

روى أبو عثمان النهدي أن سعد بن أبى وقاص قال: نزلت هذه الآية فى، وهى «ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك فى ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلى مرجعكم فأنتكم بما كنتم تعملون». قال سعد: كنت رجلاً براً بأبى، فلما أسلمت قالت: يا سعد ما هذا الدين الذى أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أولاً آكل ولا أشرب حتى أموت، فتعيرى. فقلت: لا تفعل يا أمه، فإنى لا أدع دينى. قال: فكنت يوماً ليلة لا تأكل، فأصبحت وقد جهدت. فقلت لها: يا أمه! والله لو كانت لك ألف نفس نفرجت نفساً نفساً ما تركت دينى هذا لشيء. فلما رأت ذلك أكلت وشربت، فأنزله الله هذه الآية.

وروى أبو المنهال قال: سأل عمر بن الخطاب عمرو بن معدى كرب عن سعد بن أبى وقاص باعتبار أن عمرا كان فى جيش تحت إمرة سعد، فقال: «إنه يأمر المؤمنين

متواضع في خبائه <sup>(١)</sup> عربى في تيمّره <sup>(٢)</sup> أسد في ناموره <sup>(٣)</sup> يعدل في القضية ، ويقسم بالسوية ، ويبعد في السرية <sup>(٤)</sup> ويمطف علينا عطف الأم البرة <sup>(٥)</sup> وينقل إلينا حقاً نقل الذرة .

كان سعد بن أبي وقاص يحب الأنصار - وهم أهل المدينة - ويكرهم ، فقال عاصر ابنه يوماً : يا أبت بنى أراك تصنع بهذا الحى من الأنصار شيئاً لا تصنعه بغيرهم . فقال له : أى بنى : هل تجد في نفسك من ذلك شيئاً ؟ قال : لا ولكنى أعجب من صنيعك . قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق » .

قال سعد بن أبي وقاص : « لما جال الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الجولة يوم وقعة أحد قلت : أذود عن نفسى فلما أن استشهد وإما أن ألحق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينما أنا كذلك إذا برجل تحمر وجهه (ملثمه) ما أدرى من هو ، فأقبل عليه المشركون حتى قلت قد ركبوه ، فلا يده من الحصى ثم رى به وجوههم ، فتنكبوا على أعقابهم القهقري حتى أتوا الجبل ، ففعل ذلك مراراً ولا أدرى من هو ويبنى وبينه المقداد بن الأسود ، فبينما أنا أريد أن أسأل المقداد عنه ، إذ قال المقداد : يا سعد : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك ، فقلت : وأين هو ؟ فأشار إليه ، فقممت وكأنه لم يصبنى شيء من الأذى ، وأجلستنى أمامه ، فجعلت أرى وأقول : اللهم سهمك فارم به عدوك ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم استجب لسعد وسدد رميته ، وأجب دعوته . قال سعد : حتى إذا فرغ النبيل من كثناننى نثر صلى الله عليه وسلم لى ما فى كثنانته . فأنكشف الناس عنه » .

(١) الحياء : بيت من وبر أو صوف . (٢) التمرة : هى البردة تعمل من الصوف . (٣) النامور : الدم . (٤) السرية : هى الكتيبة من الجنود ترسل للقيام ببعض الأغراض الحربية . (٥) البرة أى الباردة من البر .

### تربية قيادة الجيوش لفتح فارس :

كانت بلاد الفرس عند ظهور الاسلام متفرقة الكلمة ، مفككة الأوصال ، يتنازع السلطان فيها زعماء كثيرون ، فكان في كل إقليم متغلب يستبد بشئونه ، ويستأثر بخواجه لا تجمعهم وسائر لزعماء جامعة ، على نحو الحالة التي كانت عليها أوروبا أيام الحكومات الإقطاعية في القرون الوسطى . فلما ظهر الاسلام وفتح الفاروق العراق بعد أن هزمت جنوده جيوش الفرس التي تحتلها ، رأى عقلاؤهم أنهم لا يستطيعون درء خطر المسلمين عنهم إلا بتوحيد كلمتهم ، ولم متفرقهم ، فلولوا عليهم يزيد جرد بن شهر يان من آل كسرى أنوشروان ، فالتفت القلوب حوله ، وتيارت في طاعته .

فأدرك المسلمون من ناحيتهم أن توحيد كلمة الفرس تزيد بلادهم مناعة على مناعتها وقد تؤديهم الى استرداد العراق ، وتشديد الرقابة على المسلمين في عقر دارهم ، فاستنفر عمر الناس لقتال الفرس ، وخرج هو فمسكر على ماء بقرب المدينة والناس معه لا يعلمون الى من تستند القيادة العليا ، ثم أخبرهم بأنه سيتولى القيادة بنفسه ، وطلب اليهم رأيهم في هذا الأمر ، فأجمعوا على أن الأولى أن يبعث رجلا من قواده المشهورين وأن يبقى هو بعاصمة الدولة لا يهدده .

فقبل عمر هذا الرأي ، ولكنه حار في انتخاب قائد لهذه المهمة الخطيرة . وبينما هو يشاور أصحابه في ذلك إذ ورد عليه كتاب من سعد بن أبي وقاص ، وكان عاملا له على صدقات هوازن .

فقال بعض الحاضرين لعمر : لقد وجدته . فقال أمير المؤمنين : فمن ؟ قالوا : الأسد عادي . قال الفاروق : من هو ؟ قالوا : سعد بن أبي وقاص .

فشرح الله صدر عمر لتقليده القيادة ، فاستقدمه وقال له :

« يا سعد ، سعد بنى وهيب : لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ، وصاحب رسول الله ، فإن الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء . ولكنه يمحو السيء

بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته . فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعاقبة ، ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت عليه النبي صلى الله عليه وسلم منذ بعث الى أن فارقتا فالزمه ، فإنه الأمر . هذه عظمى ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين .

ثم لما أراد أن يسرحه قال له :

« إني قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتي ، فإنك تقدم على أمر شديد كرهه لا يخلص منه إلا الحق ، فموّد نفسك ومن معك الخير ، واستفتح به ، واعلم أن لكل أمر عتادا وعتاد الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نأبك تجتمع لك خشية الله . واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين : في طاعته واجتناب معصيته ، وإنما أطاعه من أطاعه بينض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة . وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء ، منها السر ومنها العلانية ، فأما العلانية فإن يكون حامده وذامه في الحق سواء ، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، ومعجزة الناس له . فلا ترهّد في التعجب فإن النبيين قد سألوا عبيتهم ، وإن الله إذا أحب عبدا حبيه ، وإذا أبغض عبدا بغضه ، فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك في أمرك » .

سار سعد بن أبي وقاص قاصدا ميدان الحرب ، وتلاحقت به الجنود من كل مكان ، فما وصل القادسية إلا وكان معه ثلاثون ألف مقاتل . فخرج اليه قائد الفرسان المشهور رستم في مائة ألف وعسكر بسايط .

فراى سعد أن يرسل الى خصمه بسفراء ليعرضوا عليه ما حداهم الى ما هم بسبيله ، فتكلم النعمان بن مقرن عن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن الأغراض التي يتوخونها من نشر دعوته في الأرض ، وختم كلامه بقوله :

« فنحن ندعوكم الى ديننا ، وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله ، فإن أيتّم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه : الجزية ، فإن أيتّم فالمناجزة » .

فلما ترجم هذا الكلام ليزدجرد امتلاً غضباً ، وأظهر احتقاره للعرب ، وتعجبه من انتحالهم هذه المهمة وهم أفقر شعوب الأرض وأبعدها عن النظام .

فأجابه عضو آخر من السفراء وهو المفيرة بن زرارة بأن ما وصف به حالة العرب من الاختلال ، وسوء الحال ، قد كان صحيحاً قبل الاسلام ، وأما بعده فقد صارت الحال غير الحال ، ثم دعاه الى مآدعاه اليه الخطيب الأول .

فازداد غضب عاهل الفرس وأمر بوفر من تراب فوضعه على ظهر رئيسهم ، وأشار بتسريحه على هذه الصورة الى ممسكه .

فلم يجد سعد بداً من مناوأة القتال ، فأخذ يبت السرايا على الأطراف . وتقدم قائد الفرس رستم للملاقة عدوه ، فجعل على طليعته قائداً اسمه الجالينوس ، معه أربعمون ألف مقاتل ، وتبعه قائد الفرس الأكبر رستم في ستين ألفاً جاء على ميمته الهرمزان وعلى ميسرته مهران ، وكلاهما من كبار القواد المحنكين .

فبدأ رستم بالزحف ، فلقى خيالة المسلمين من قبيلة الفرس عتناً كبيراً ، إذ كانت الخيول تفر منها مذعورة الى كل وجه ، فصمدت لها فرقة من مشاة المسلمين وأخذت تضربها بالسيوف على خراطيمها وتحمل أحزمتها ، ليسقط قياداتها من فوقها ، ودام الجيشان يقتتلان قتالاً مرّاً الى الليل دون أن يبدو على أحدهما ضعف . ثم عاد القتال من الغد واستمر الى المساء ، فلم يتغير موقف أحد الفريقين . ثم عادت الحرب في اليوم الثالث وانتهت على ما كانت عليه الحال في اليومين السابقين ، ولكن المسلمين لم يذوقوا في ليلتهم نوماً ، إذ استمروا يشاغلون الفرس ليتعبوهم ، فلما أصبحوا صاح أحد قوادهم وهو القعقاع بن عمرو قائلاً : أيها الجنود إن الدائرة بعد ساعة لمن بدأ فابتوا ساعة ثم احملا فإن النصر مع الصبر .



فاجتمع اليه جماعة من أولى النجدة وحملوا على جنود الفرس ، فثبت هؤلاء الى ما بعد انتصاف النهار ، ثم بدا على ميمنتهم وميسرتهم ضعف من هجمات المسلمين المتكررة ، فتأخروا الى الوراء ثم ثبتا ، ولكن هذه القهقري منهم عرضت القلب للمهاجرين ، فازالوا يشقون لهم طريقا فيه حتى وصل القعقاع ومن معه الى سرير رستم ، فأسرع اليه هلال ابن عقبة بضربة سيف فقتله . فلما رأى الفرس ما حل بقائدهم وبالفروق التي كانت تحيط به انهزموا شر هزيمة . فكانت هذه الواقعة من أكبر الوقائع التاريخية ، بيعت فيها الأرواح بيع السباح ، ولا عجب فقد كان الأمر نزاعا بين أمتين إحداهما تدافع عن بيضتها وتحامي عن حوزتها ، والثانية تصدر عن مبدأ سام استوعب شعورها وهو نشر كلمة الله في الأرض .

وقد أحصى قتلى المسلمين قبلغوا سبعة آلاف وخمسمائة ، وبلغ قتلى الفرس أكثر من ذلك .

بعد هذا الانتصار الباهر رأى سعد بن أبي وقاص أن يريح جيوشه استجماما لقواها ، فلبث شهرين ثم سار قاصدا عاصمة الفرس نفسها ، وكان ذلك في شوال سنة ( ١٩ ) هـ ، وقدم أمامه طليعة فالتقت بطليعة الفرس فقاتلتها وهزمتها . ثم وصل الجيش كله الى بابل التي كان اتخذها فلول الفرس مركزا لهم ، فقاتلهم سعد وهزمهم ، ثم تابع طريقه فلقية جيش فارس في كوني حاول أن يصد تدفق المسلمين ، فلم يثبت أمامهم فليلا وولى الأدهار لا يلوى على شيء ، وتقدم سعد زاحفا حتى وصل الى بهرشير وهي المدائن الغربية ، فلاح إيوان كسرى ، فقال ضرار بن الخطاب : لله أكبر : ها هو إيوان كسرى ، هذا ما وعد الله ورسوله . وكبر الناس معه . وكانت كلما وصلت منهم فرقة قرأت الإيوان كبرت سرورا بما تحقق لهم من إنباء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأقام سعد أياما في بهرشير يدبر خطة للعبور بها الى العاصمة ، فلم يرو وسيلة أنجح

من اجتياز نهر الدجلة سباحة على الخيول ، فقابل الفرس خيلهم بخيل مثلاً في النهر ، فأخذوا يتطاعنون ويتدافعون حتى لم يجد الفرس بدا من القهقري ، فتركهم يهبرون النهر وولوا مديري .

فلما انتهت جنود المسلمين الى الشاطئ ، شرعوا يحتلون المدينة فلم يجدوا فيها إلا حرس القصر ، فسلموا بلا قتال ، وكان كسرى يزدرج دق دق الى حلوان ، تاركاً في القصر من التحف والذخائر لا واني مالا يحصى ولا يقدر بثمن . ودخل سعد إيوان كسرى وهو يتلو قوله تعالى : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم » وكان أول عمل عمله فيه أن أقام الصلاة ، فصلى واثم به جنوده ولم يأبها بما يحيط بهم من النصب والتماثيل .

أقام سعد بعاصمة الفرس وأخذ يرسل قواده لفتح الأقاليم ، فأرسل زهرة ابن الحيوية الى التبرستان ، وسلم له أهلها وما يحيط بها من النواحي وعاهدوه على دفع الجزية . وأرسل سعد بن عبد الله بن التميمي الى الجزيرة ففتح تكريت والموصل . وأرسل هاشم ابن عتبة الى حلوان حيث يقيم يزدرج فاحتلها ، ثم هاجم الحراء ففتحها . أما يزدرج فماتت تدافعه البلاد حتى انتهى به المطاف الى فُغفور الصين<sup>(١)</sup> ، فلجأ اليه وعاش في بلاده حتى توفي .

فتم للمسلمين فتح مملكة من أعرق الممالك في العلم والمدنية ، لم يتسن فتحها لمن سبقهم ممن دخلوا معها في حرب ، فقد أغار عليها الاسكندر المقدوني في القرن الرابع قبل الميلاد فانتقص من أطرافها ولكنه خشي أن يتوغل فيها فيصيب جيوشه الأعداء ويضيع ما حصل عليه من ثمرات الانتصار . ووقعت بين الفرس والرومانيين حروب كثيرة انتصر الآخرون في بعضها ولكنهم عجزوا عن احتلال عاصمتها والتوغل في بلادها الى هذا الحد . فاتم الله على يد سعد بن أبي وقاص ما لم يتم على يد الاسكندر

(١) فغفور الصين لقب ملوكها كالميكادو لقب ملوك اليابان .

وهو في نظر الأوربيين أكبر قادة الجيوش في العالم ، وتم على يديه أيضا ما لم يتم على أيدي الرومانيين وكانت دولتهم تشمل جميع ما عرف من أقطار الأرض .  
فنحن حيال هذا الفتح العظيم لا يسعنا إلا أن نفعل كما فعل ضرار بن الخطاب حين رأى إيوان كسرى ، فنكبر إعجابه ، وإنه لجدير بذلك في كل عصر .  
بهذا الفتح انفتح في وجه الاسلام باب الى قلب آسيا فلم تبق ناحية فيها إلا ووصلت إليها كلمة الله العليا ، ووجدت ملين متحمسين لها من جميع الطبقات . فأينما حللت من آسيا وجدت أعلاما للاسلام منصوبة ، وألفت الأفراد والجماعات تتسارع للدخول فيه ، حتى إنك لتحكم لأول وهلة أن هذا الدين سوف يعم جميع هذه الشعوب فلا يبقى فيهم للوثنية أثر . ولولا أن الأمية شائعة في تلك الأقطار لكان الاسلام قد عمها جميعا منذ قرون مضت ، ولكن ما بطأ به القصور يتداركه الزمن . وما دامت الوثنية محكوما بزوالها ، فلا سبيل لأهلها غير الاسلام دينا ، كما يرى من عجز جميع الأديان عن مجاراة الاسلام في الانتشار في تلك الأصقاع . محمد فريد وجدي



## موعظة بليغة

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : رحم الله عبدا مع فوعي ، ودعى الى الرشاد قدنا ، وأخذ بحجزة هاد فنحا ، وراقب ربه ، وخاف ذنبه ، وقدم خالصا وعمل صالحا ، واكتسب منخورا ، واجتنب محدورا ، ورعى عرضا ، وأصاب عوضا ، وكابر هواه ، وكذب مناه ، وحذر أجلا ، وأدب عملا ، وجعل الصبر رغبة حياته ، والتقى عدة وفاته ، يظهر دون ما يكتف ، ويكتفى بأقل مما يعلم ، لزِم الطريقة الغراء ، والمحجة البيضاء ، واغتنم المهل ، وبادر الأجل ، وتزود من العمل !

## دائرة المعارف الإسلامية

والخلط في التاريخ والحقائق العلمية

اطلعت على الجزء السابع من المجلد الأول من دائرة المعارف الإسلامية التي تترجم الآن بمصر الى اللغة العربية فوجدت فيه بعض ما أخذ تحتاج الى البيان والافصاح عن الحق فيها . ونحن ذا كرون بعضا منها فيما يلي :

( ١ )

جاء في صفحة ٤٤٥ من الممدد المذكور ما نصه :

« وقد ذهب سنوك هرجرونيه Snouck Hurgronje : Die Mekkanische Feste

ص ٨٦ وما بعدها الى أن محرمات الاحرام قد غدت قاسية في نظر النبي ، لذلك نجده أثناء مكثه في مكة قبل الحج يتحلل من هذه المحرمات ، فلما نظر إليه صحابته نظرة عتاب واستفهام زلت الآية : « وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَأَمَلُ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ »

( البقرة الآية ١٩٦ ) . وعلى ذلك فإن ما تراهي للنبي ومعاصره أنه إهمال يستوجب التفكير قد غدا في نظر الأجيال اللاحقة أمراً مباحاً ، والحجاج الذين يصلون مكة قبل الحج بوقت طويل يتخلصون مما حرم عليهم بالتمتع ، فهم يخلعون ملابس الاحرام عقب الانتهاء من العمرة ، ولكنهم يعودون فيريدونها عند اقتراب موعد

الحج ، والتمتع محرم على الذين عندهم هدى للندبة (البقرة الآية ١٩٦) . وكانت العمرة في الأصل تحدث في شهر رجب . وتذكر بعض الروايات أن العمرة إبان الحج لم تكن معروفة في الجاهلية ، اهـ .

وفهم هذا الكلام يحتاج الى مقدمة ، وهي أنه كان في زمن الجاهلية لا يجوز أن يؤتى بالعمرة في أشهر الحج ، فإذا أحرم الحرم في أشهر الحج كان عليه ألا يتحلل من محرمات الإحرام إلا بعد انقضاء حجه .

فلما جاء الاسلام أجاز للمتعة في أشهر الحج ، فللقادم الى مكة مثلاً أن يحرم بعمرة ، فإذا دخل مكة وطاف وسعى وتحلل من عمرته وجاهز له أن يفعل كل ما كان محرماً عليه بالإحرام ، فإذا قرب يوم عرفة أحرم بالحج وأتم حجه ، ويسمى ذلك تمتعاً ، وعليه لذلك هدى ، وقد وقع ذلك في زمن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث سنذكره .

فجاء سنوك هرجورنيه وصور الواقعة على غير حقيقتها التاريخية ، فزعم أن سبب هذا التشريع الذي يبيح التحلل من محرمات الإحرام في أشهر الحج هو أن محرمات الإحرام قد غدت قاسية في نظر النبي صلى الله عليه وسلم فتحلل من هذه المحرمات أثناء مكته في مكة قبل الحج ، فنظر إليه أصحابه نظرة عتب واستفهم ، فنزلت آية البقرة التي تجيز التمتع الذي يستتبع التحلل من هذه المحرمات في زمن الحج .

والمسألة على هذا الوجه تخالف التاريخ والروايات الصحيحة ، فالروايات تنبئنا أنه صلى الله عليه وسلم في حجته تلك بقي على إحرامه لم يتحلل منه ، وقد أمر أصحابه بالتحلل ، وأبدى لهم الوجه في عدم تحلله فقال : إني لبئت رأسي وقلدت هدي فلا أحل حتى أتحر . فهو يخبر أنه يحرم عليه التحلل لأنه ساق الهدى ، ولا يجوز له أن يتحلل حتى ينحر هديه لقوله تعالى : « ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله » أما من لم يسق الهدى فجائرله أن يتحلل من عمرته ثم يحرم بالحج .

ولاشك أن القارى يرى معنا أن ذلك ليس فيه أقل مغم في النبي صلى الله عليه

وسلم ولا في الشريعة الاسلامية . ومن الغريب أن الروايات فيما نعلم تكاد تكون مجمعة على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتحلل ، وإنما أمر أصحابه بالتحلل ، ويثبت أنه لا يجوز له التحلل لأنه ساق الهدى . فالأستاذ سنوك هرجرونيه قائل هذه المقالة على هذا يكون قد ترك ما جاءت به الروايات وما نطق به التاريخ ، واخترع سببا من عند نفسه لهذه المسألة . وهذا ما يجعلنا نرى أن صاحب هذا البحث يسىء إلى الشريعة وإلى صاحبها صلى الله عليه وسلم بسوء نية ، لأنه لو كان حسن النية لما تجاهل هذه الروايات الصحيحة ، ولما اختلق سببا من عند نفسه يوقع في النفس الريبة والشك . وسندكر من الروايات تفصيلا يعلم منه فساد ما زعمه هرجرونيه ، وما يناقضه مناقضة واضحة :

أخرج ابن جرير في تفسيره بسنده عن السدي - قوله : « فن تمتع بالعمرة إلى الحج فاستيسر من الهدى » : أما المتعة فالرجل يحرم بحجة ثم يهدمها بعمرة ، وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين حاجا حتى إذا أتوا مكة قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحب منكم أن يحل فليحل . قالوا : فإنا يا رسول الله ؟ قال : أنا معي هدى .

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت : يا رسول الله ما شأن الناس حلوا بعمرة ولم تحلل أنت من عمرتك ؟ قال : إني لبدت رأسي وقلدت هدي فلا أحل حتى أبحر .

وأخرج البخاري أيضا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه حج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ساق البدن معه وقد أهلوا بالحج مفردا ، فقال لهم : أحلوا من إحرامكم بطواف البيت وبين الصفا والمروة وقصروا ثم أقيموا حللا حتى إذا كان يوم التروية فأهلوا بالحج واجعلوا التي قدمتم بها متعة . فقالوا : كيف نجعلها متعة وقد سمينا الحج ؟ فقال : افعلوا ما أمرتكم فلو لا أني سقت الهدى لفعلت مثل الذي أمرتكم ولكن لا يحل مني حرام حتى يبلغ الهدى محله . ففعلوا .

فالتقارء يرى أن هذه الروايات مجمعة على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتحلل بل بقي على إحرامه . فذا ذكره أصحاب الدائرة من أن النبي صلى الله عليه وسلم تحلل استثغالا لمحرمت الإحرام بخالف هذه الروايات .

والمتنبع لكلام أصحاب دائرة المعارف في هذا الموضوع بتبين له جليا الغرض الذى يرمون اليه ، وذلك أنهم ساقوا في بيان الحاج الحديث الذى رواه ابن ماجة من أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الحاج من هو قال : إنه «الأشعث الثفل» واقتصروا على هذا الحديث ولم يضموا اليه ما يبين الغرض من الحج ، ليوقعوا في نفس السامع أن الحج ليس هو إلا شعثا وتغيير رأس وتقسفا ، مع أن في القرآن ما يبين بوضوح أن الحج طهارة معنوية تهذب النفس وتركيبها ، وتروضها على الطاعة والابتعاد عن المعاصى ، والرفث والفسوق والمساخنة .

قال تعالى : « الحج أشهر معلومات ، فمن فرَضَ فيهن الحج فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب » .

والشرعية الإسلامية لم تطلب من الحاج أن يخرج عن حالته الاعتيادية إلا ليتوفر على الجانب المعنوى ، وعلى تهذيب النفس ورياضتها .

ولعل القارئ بعد ما أطلعناه على مقدار خطئهم وعدم نحرهم للتاريخ والروايات المنقولة في هذه المسألة واختراعهم أسبابا لم يأت بها التاريخ ، يقع في نفسه الارتباب في معلوماتهم ، والشك فيما يأتون به ، فيقف أمام ما يقولون موقف الحذر ، ولا يأخذه إلا بعد التثبت والتثبت بالرجوع الى المصادر الإسلامية .

## ( ٢ )

قالت دائرة المعارف الإسلامية في صفحة ٤٣٨ و ٤٣٩ في مادة إجماع من العدد المذكور :

(إجماع) : أحد الأصول الأربعة التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية ، ويعرف بأنه اتفاق المجتهدين ( هم الذين لهم الحق بفضل ما أوتوا من العلم أن يقرروا حكما برأيهم — انظر مادة اجتهاد ) من لأمة بمد وفاة الرسول في كل عصر وفي كل أمر ديني ...

وإذا لم يكن الإجماع في أول أمره إلا وسيلة لتقرير المسائل التي لم تقررها الأصول الأخرى ، فإنه قد أخذ كذلك على مر الزمان يطبع المسائل التي قررتها هذه الأصول بطابع الجزم والتوكيد ، ويرجع هذا الشأن الذي للإجماع إلى العصمة عن الوقوع في الخطأ ، وهي ميزة خص الله بها المسلمين ...

والحديث النبوي الذي يعتبر أساس الإجماع هو : « إن أمتي لا تجتمع على ضلالة » يضاف إليه الآية ( ١١٥ ) من سورة النساء التي يتوعد فيها الله من يتبع غير سبيل المؤمنين ، والآية ( ١٤٣ ) من سورة البقرة « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » . ( انظر شرح البيضاوي ) .

ثم قالت أيضا :

وعلى هذا فإنه يكون في مقدور الناس أن يخلقوا بطريقة تفكيرهم وأعمالهم عقائد وسنن لا أن يسلّموا بما تلقوه عن طريق آخر فحسب . وقد أصبح بفضل الإجماع ما كان في أول أمره بدعة ( أي فعلة مخالفة للسنة ، وبذلك تكون ضلالة ) أمرا مقبولا نسخ السنة الأولى ، فالتوسل بالأولياء مثلا صار عمليا جزءا من السنة . وأعجب من هذا أن الاعتقاد بعصمة النبي قد جعل الإجماع ينحرف عن نصوص واضحة في القرآن ، فلم يقتصر الإجماع هنا على تقرير أمور لم تكن مقررة من قبل فحسب ، بل غير عقائد ثابتة وهامة جدا تغييرا تاما ، وعلى هذا فهو يمتثل اليوم عند الكثيرين — مسلمين وغير مسلمين — وسيلة فعالة للإصلاح ، فهم يقولون إن المسلمين يستطيعون أن يجعلوا



من الاسلام ما شاء، و على شريطة أن يكونوا مجمعين . على أن الآراء غير متفقة فيما يمكن أن ينتظر للإجماع . فـ Goldziher ص ٩٦ الذي درس تاريخ الإجماع يعتقد أنه يمكن أن يكون له شأن كبير ، على خلاف سنوك هرجرونيه الذي يرى أن الفقه قد جمد ولذلك فلا رجاء في الإجماع . اهـ بنصه .

هذا هو الإجماع عند المسلمين في نظر أصحاب دائرة المعارف ، وهو صورة مشوهة للإجماع لا حقيقة الإجماع ، وهذه الصورة المشوهة تجعل الشريعة متناقضة ، فهي تقرر أصولاً ينقض بعضها بعضاً ، فأصل للإجماع قد ينقض الكتاب والسنة ، فقد يجمع المسلمون على خلاف ما ورد في الكتاب والسنة ، ويقول أصحاب الدائرة : إن ذلك قد وقع ، فالإجماع قد انحرف عن نصوص واضحة في القرآن ، فلم يقتصر الإجماع هنا على تقرير أمور لم تكن مقررة من قبل حسب ، بل غير عقائد ثابتة وهامة جداً تغييراً تاماً . وهم يرون أن المسلمين يستطيعون أن يجعلوا من دينهم ما شاءوا بشرط أن يكونوا مجمعين ، أي فالإجماع قادر على أن يغير في العقيدة فيجعل من التوحيد تثلثياً مثلاً ، ويبدل في الفرائض فيزيل ما يشاء ويبقي ما يشاء ، فله أن يبطل فرض الحج والصلاة ، وبذلك يكون عندهم وسيلة فعالة للإصلاح ، فما شرع على نحو معين يمكن الأجيال أن تغيره بإجماعها .

ولا شك في أن هذه الصورة للإجماع تجعل الشريعة متناقضة كما قلنا ، وتجعل المسلمين غفلاً أغراراً يقبلون المتناقضات ؛ فهم مع إيمانهم بعصمة الرسول يقبلون الإجماع الذي قد يبطل قول الرسول والكتاب ؛ وتجعل الرسول بالموضع الذي يقرر مبدأً ينقض قوله وقول الكتاب معاً .

وأخيراً تجعل الشريعة الإسلامية سوفسطائية ترى اعتقاد كذا حقاً وديننا في عصر ونقيضه حقاً وديننا في عصر آخر إذا رأى المسلمون أن يبدلوا الاعتقاد الأول ويحلوا محله نقيضه . ومن غريب الأمر أنهم زعموا أن ذلك قد وقع :

ونحن سنبين هنا حقيقة الإجماع، ونوضح أن هذه الصورة مشوهة، ونردها إلى الصورة الحقيقية التي يعلمها المسلمون وقررها علماءهم في كتبهم. وإذا علمت هذه الصورة وحسنت آثارها في الإسلام لم يرفها هذه اللوازم الفاسدة، ولم يوجد لها هذه الآثار التي يزعمها هؤلاء المستشرقون.

فأولاً — أن أصحاب الدائرة قالوا: الإجماع أحد الأصول الأربعة التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية وهذا خطأ وخطب بين ما ينبغي عليه الأحكام الفرعية العملية وما ينبغي عليه الأحكام الأصلية الاعتقادية، فالأصول الأربعة: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، لم يذكرها علماء الأصول على أنها أصول للعقائد، وإنما ذكروها أصولاً للأحكام الفرعية العملية، ولذلك لم يقل أحد إن القياس يثبت به عقيدة أصلية، وإنما قالوا: القياس يثبت به الأحكام الفرعية العملية.

ثانياً — أن أصحاب الدائرة عرفوا المجتهدين بأنهم هم الذين لهم الحق بفضل ما أوتوا من علم أن يقرروا حكماً برأيهم وهذا تعريف واسع، لأن الرأي قد يكون عن دليل من القياس على ما ثبت بالكتاب والسنة، وقد يكون عن غير دليل من ذلك. ولا شك أن المجتهد هو الذي له الحق بفضل ما أوتي من علم أن يقرر حكماً بجتهاده بالقياس على ما ثبت بالكتاب أو السنة. وليس له أن يقرر حكماً برأيه مجرداً عما يدل عليه من أحد الأدلة الأربعة آنفة الذكر، وهذا التوسع في معنى المجتهدين قصد إليه أصحاب الدائرة ليتأتى لهم ما بنوه عليه من أنه يكون في مقدور الناس أن يخلقوا بطريقة تفكيرهم وأعمالهم عقائد وسنناً.

ثالثاً — أنهم يرون أن الإجماع لم يكن في أول أمره إلا وسيلة لتقرير المسائل التي لم تقررها الأصول الأخرى. هذا الرأي الذي اختاروه ليس مختاراً عند الأصوليين، إذ المختار عندهم أن الإجماع لا يكون إلا عن مستند من الأصول الثلاثة الأخرى. واستدلوا على ذلك بأن الإجماع عن غير مستند يستلزم الخطأ فتجتمع الأمة على الخطأ،

وهو مخالف لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تجتمع أمتي على ضلالة» وبأن اتفاق الكل لا لداع من مستند يستحيل عادة كالاتحاد على أكل طعام واحد .  
 وإذا كان لا إجماع لا يكون إلا عن مستند من الكتاب أو السنة أو القياس ،  
 بطل زعمهم أن في مقدور الناس أن يخلقوا بطريقة تفكيرهم وأعمالهم عقائد وسنن ، كما  
 بطل قولهم : قد أصبح بفضل الإجماع ما كان في أول أمره بدعة أمراً مقبولاً نسخ  
 السنة الأولى .

على أننا سنجاريهم ونسلم جدلاً تلك الصورة المشوهة للإجماع ، ونقول : إنه مع  
 هذا التسليم لا يلزم ما ذكره من أن في مقدور المسلمين أن يخلقوا بطريقة تفكيرهم  
 وأعمالهم عقائد وسنن ، وأن المسلمين يستطيعون أن يجعلوا من الإسلام ما شاءوا على  
 شريطة أن يكونوا مجتمعين ، وذلك لأنهم قالوا في صفحة ٤٣٩ : « وكان اجتماع الصحابة  
 بطبيعة الحال أمراً مأخوذاً به عند الأجيال اللاحقة بصفة قطعية » . وهذا يشير إلى  
 ما قاله الأصوليون من أن إجماع أهل عصر على حكم ملزم للعصور اللاحقة لا يجوز لهم أن  
 يخالفوه . وإذا كان ذلك كذلك بطل ما قالوه من أن للمسلمين أن يجعلوا من الإسلام  
 ما شاءوا بشرط أن يكونوا مجتمعين ، ومن أن الإجماع قد جعلهم يتصرفون عن نصوص  
 واضحة في القرآن ، وإنما بطل ذلك لأن العقائد الإسلامية قد تقرر وأجمع عليها  
 في العصور السابقة ، وإجماع العصور السابقة ملزم للعصور اللاحقة ، فلا يجوز أن يجمعوا  
 على خلافها .

على أن هذا اللازم الذي ذكره وهو أنه يمكن أن يجعل المسلمون من دينهم ما شاءوا  
 بشرط أن يكونوا مجتمعين إنما يتصور إذا فرض أن هؤلاء المجتمعين غير مسلمين ، فهم  
 يقررون من العقائد والأحكام ما شاءوا ولو ناقضت الكتاب والسنة . ولكننا إذا  
 راعينا شروط المجتمعين وهي أن يكونوا مسلمين عارفين بالكتاب والسنة والقياس  
 لم يتصور منهم ما ذكره ، لأنه لا يتصور من مسلم أن يناقض الكتاب والسنة

برأيه فضلاً أن يجمع عليه المجتهدون . وزعمهم أن الإجماع انحرف عن نصوص واضحة في القرآن وغير عقائد ثابتة وهامة جداً تغييراً تاماً، زعم لا دليل عليه ، وهم مطالبون بذلك مثل واحد من ذلك لمناقشهم فيه .

وأما زعمهم أن التوسل بالأولياء بفضل الإجماع صار عملياً جزءاً من السنة فزعم غير صحيح ، لأن مسألة التوسل بالأولياء لا تزال مسألة خلافية لم يحصل فيها إجماع ، ولم يستدل أحد المخالفين بالإجماع فيها ، بل مناط الاستدلال بين الفريقين ظواهر من الكتاب والسنة .

ومن المفيد جداً أن نذكر هنا المعلومات الآتية :

قد علم الله تعالى ما يفعل ، ومن وتطاول العهد بالعقائد والأديان من تغيير وتبديل ، وما تفعله الأهواء والأغراض بها من نسخ وتحوير ، قوضع من الأصول والقواعد في الشريعة لاسلامية ما يمنع وقوع مثل هذا في قواعدها وأصولها ، فيبين أن أصول الدين واحدة في جميع الأديان « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » ، وحذر من الابتداع ومخالفة السنة ، وإحداث شيء في دين الله لم يكن فيه ، وكتمان شيء منه ، وتغيير أو تبديل أصوله . وقد نطق الكتاب الكريم بذلك في غير ما آية والسنة النبوية طخفة بمثله ، قال تعالى : « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » وروى عن أبي وائل عن عبد الله قال : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطاً طويلاً فقال : هذا سبيل الله . ثم خط لنا خطوطاً عن يمينه ويساره وقال : هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه . ثم تلا هذه الآية « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

وقال تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ، إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » .

وروى ابن وهب أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بكتاب في كتف فقال : كفى بقوم حقاً - أو قال : ضلالاً - أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى غير نبيهم ، أو كتاب إلى غير كتابهم ، فنزلت « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » الآية . وقال صلى الله عليه وسلم : « من رغب عن سنتي فليس مني » ثم تلا هذه الآية « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » . وورد في الصحيح من حديث عائشة رضى الله عنها « من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد » وخرّج مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته : « أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » وروى الترمذى وصححه وأبو داود وغيرهما عن العرياض بن سارية قال : « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها التسلوب ، فقال قائل : يا رسول الله : كأن هذه موعظة مودع ، فإذا تعهد إلينا » فقال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة لولاة الأمر وإن كان عبداً حبشياً ، فإن من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » .

وعن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أحببت ألا توفق على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدث في دين الله حدثاً برأيتك » .

وقال : « من اقتدى بي فهو مني ، ومن رغب عن سنتي فليس مني » .

وقدر سخط هذه الأصول والقواعد عند الأئمة والمجاهدين ، فنطقتوا بها في أقوالهم ، وآثروها في أعمالهم ، قال ابن الساجشون : سمعت مالكا يقول : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ، لأن الله يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم » فلم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً .

وكان إبراهيم التيمي يقول : « اللهم اعصمني بدينك وبسنة نبيك من الاختلاف في الحق ، ومن اتباع الهوى ، ومن سبيل الضلالة ، ومن شبهات الأمور ، ومن الزينج في الخصومات » :

ولما بايع الناس عمر بن عبد العزيز صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :  
« أيها الناس ! إنه ليس بعد نبيكم نبي ، ولا بعد كتابكم كتاب ، ولا بعد سنتكم سنة ، ولا بعد أمتكم أمة . ألا وإن الحلال ما أحل الله في كتابه على لسان نبيه حلال الى يوم القيامة ، ألا وإن الحرام ما حرمه الله في كتابه على لسان نبيه حرام الى يوم القيامة ، ألا وإنى لست بمبتدع ولكنى متبع ، ألا وإنى لست بقاض ولكنى منفذ ، ألا وإنى لست بخازن ولكنى أضع حيث أمرت ، ألا وإنى لست بخيركم ولكنى أهلكم حملا ، ألا ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

هذا قليل من كثير ، ونغيض من فيض ، فالأمة التي حذرت من أن تحدث في دين الله شيئا وقال الله لها : « اليوم اكملت لكم دينكم » وأشربت ذلك في قلوبها ، واختلط بلحمها ودمها ، لا يعقل أن يجتمع مجتهدوها على أن يهدموا عقائدهم ، وأن يتدعوا عقائد جديدة في دين الله ، وأن يحملوا من دينهم ما شاءوا بشرط أن يكونوا مجمعين .

لعل القارئ يرى من هذا أن الإجماع الذي صورته أصحاب دائرة المعارف ليس هو إلا صورة خيالية مشوهة لا يتفق مطلقا مع ما قرره الشريعة السمحة ولا مع آراء علماء الأصول ، فجميع اللوازم والفروع التي بنوها على هذه الصورة ليس لها أى ظل من الحقيقة .

أما الإجماع على حقيقته عند المسلمين فلا يلزمه أى شئ من تلك اللوازم الباطلة وليس فيه أدنى خطر ولا أقل عيب .

وسأوفى القراء بما وجدته من مأخذ أخرى ، والله المعين . محمد عرفة  
وكيل كلية الشريعة الإسلامية

## مآثر العرب في علم الجغرافيا<sup>(١)</sup>

نشأ علم الجغرافيا بين العلوم العربية منذ بداية ظهور الاسلام ، وقد ساعد على تقدمه عوامل عديدة أصبح بفضلها في القرن الثالث والرابع من الهجرة علما واسعا شمل كثيرا من المعلومات القيمة مثل الأبحاث والتحريات عن شكل الأرض ، وعن الجزء المغمور بالماء والجزء اليابس على سطحها ، وتقسيم المناخ الى مناطق ، وقياس خطوط الطول والعرض ؛ وكان ذلك كسائر العلوم وفقا على علماء الاغريق من قبل ، وانتهى بما وصل اليه بطليموس في هذا الصدد من أبحاث نقلت فيما بعد الى العربية بناء على رغبة الفيلسوف الكندي الذي وضع فيما بعد رسالته عن حدود المناطق للمعمورة من العالم . ولم تصل الترجمة العربية لكتاب بطليموس الى أيدينا ، إلا أنه جاء ذكرها في ملخص الجغرافيا الذي وضعه محمد الخوارزمي عام ٤٢٨ هـ أثناء الكلام عن بطليموس .

لم يقل اهتمام المؤلفين العرب بتعرف الحقائق العلمية البحتة عن شغفهم باستطلاع غرائب الشعوب الأجنبية ، كما ظهر ذلك بأجلى وضوح في كتاب الجاحظ عن البلدان . ولقد كانت كذلك حاجتهم الى تيسير طرق المواصلات ورغبتهم في وضع سياسة رشيدة في تحصيل الضرائب من أهم العوامل التي حفزتهم على ارتياد مجاهل الأرض والبحث في أحوال السكان وثرواتهم .

وأقدم الكتب التي بقيت حتى اليوم كتاب الجغرافيا الذي وضعه عبيد الله ابن خرداذبة في عام ٢٣٠ هـ عن الطرق والدول ، ويحتوى هذا الكتاب على معلومات غاية في الأهمية من الوجهة العملية حيث ذكر فيه جميع محطات البريد وأبعادها ، ومبالغ الضرائب التي تؤديها كل ولاية . ولهذا الكتاب قيمة علمية كبيرة ، ويعتبر من أهم

(١) مترجمة من الألمانية نقلها عن كتاب « تاريخ الادب العربي » للمستشرق الألماني الكبير الاستاذ

الدكتور « بروكلمان » .

المراجع وأقوى المصادر لا اعتداله وشدة تعلق مؤلفه بالحقائق ، ولو أنه لم يكن له أثر يذكر بين معاصريه ومن جاء بعده مباشرة لحكمهم عليه بما كتبه أول عهده بمدينة بغداد في الأدب والموسيقى . وجاء في رواية المسعودي أنه وضع كتاباً قيماً في تاريخ الشعوب قبل الإسلام ، وأن أحد المتأخرين أدخل عليه جزءاً خاصاً بالتاريخ العام مملوءاً بوقائع بعيدة كل البعد عن الحقيقة ونسبه إليه ، وربما كان ذلك سبباً في أن المؤرخ الكبير أبا الفرج الأصفهاني كان لا يثق به كثيراً .

واقفنى قدامة المتوفى سنة ٣١٠ هـ عبيد الله خرداذبة من بعده ، فألف بضعة كتب في الأدبيات والعلوم ، ثم وضع كتاباً قيماً في ضريبة الأراضي ندين له حتى اليوم بمعلومات هامة في المالية العامة والإدارة وطرق المواصلات البريدية . وذيل كتابه هذا بوصف دقيق للبلدان والشعوب الأجنبية ، ونقل عن أحمد البلاذري المؤرخ الفارسي المعروف كتابه في تاريخ الفتوحات بخدافيره .

وفي عام ٢٩٠ هـ وضع أبو بكر بن الفقيه الهمداني كتاب البلدان ناهجاً فيه طريقة الجحظ ، فكان أم محتوياته وصفاً دقيقاً للشعوب الأجنبية وتقاليدهم الغربية . وبدأ كتابه هذا يبحث غير مستفيض في تكوين الأرض ونشأة البحار ، أعقبه بمقارنة وافية بين الصينيين والهنود ، حتى إذا ما أتمها جال حول العالم المعروف وقشند جولة انتهى منها بوصف العراق .

ووضع محمد بن رسته في أصفهان دائرة للمعارف حوالى هذا التاريخ أيضاً ، أتى الدهر عليها جميعها إلا الجزء السابع منها الخاص بعلم تقويم البلدان ، وقد امتاز بصيغته العلمية البحتة وأبحاثه الفنية القيمة . وبه بحث مستفيض في الجغرافيا الفلكية والرياضية ، وآخر في وصف البحار والمناخ ، ثم انتقل الى تقويم البلدان مبتدئاً بمركزى الإسلام المقدسين مكة والمدينة المنورة .

وفي عام ٣٠٩ هـ قام أبو زيد البلخي أحد تلامذة الفيلسوف الكندي بوضع



كتاب آخر عني فيه بوجه خاص بالخرائط ، وقام بتنقيحه من بعده ابراهيم الاصطخرى في عام ٣٤٠ هـ وأضاف اليه معلومات كثيرة في الوصف ، وأخرجه في صورته الأخيرة ابن حوقل سنة ٣٦٧ هـ .

وفي نهاية القرن الرابع من الهجرة ظهر كتاب محمد المقدسى ، فكان خاتمة المؤلفات العربية في علم الجغرافيا لهذا العصر من تاريخ الأدب العربى . ولد محمد المقدسى في القدس ، ودرس كل من سبقه من الكتاب ، وأولع بالسفر والارتياد ، فأتسعت معلوماته وزادت معارفه ، بعد أن جاب معظم البلاد الاسلامية حتى وصل الى السند وسجستان شرقا ، وبلاد الأندلس غربا . وامتاز كتابه بالوصف الدقيق الذى شمل جميع أنواع الحياة الاقتصادية ، إلا أن أسلوبه كان متأثرا بمض التاثر بالحسنات اللفظية التى دخلت على فن النثر وأدت الى وضع مؤلفات وأسفار عديدة فيه في القرن الخامس من الهجرة ، ولكنه على كل حال لم يخرج عن حد الاعتدال ولم يضح كثيره من لتأخرين بالموضوع في سبيل الأسلوب الشكلى . وظهر كتابه في عام ٣٧٣ هـ إلا أنه عدل فيه تعديلا واسع النطاق عقب رحلة أخرى طويلة ، وأخرجه بعد ذلك التاريخ بثلاث سنوات على صورته الأخيرة المعروفة .

وفي غضون القرن الرابع ظهرت عدة مؤلفات حوت تقارير في وصف رحلاتهم اشتملت على معلومات هامة ندين لها بكثير من معارفنا عن الشعوب الأجنبية . ومن أمثلة ذلك التقرير الذى وضعه أحمد بن فضلان وكان سفيرا للخليفة المقتدر عند ملك البلغار المستوطنين حوض نهر الفولجا سنة ٣٠٩ هـ ، فلما عاد بعد ذلك بعام واحد الى موطنه وضع ذلك التقرير الذى جاء فيه معلومات قيمة جدا ، نقلها ياقوت بأكملها في معجمه الجغرافى .

ووضع أبو دلف مسعر بن مهلب تقرير لرحلة يدعى أنه قام بها مع أفراد بعثة لبعض أمراء الهند كانت قدمت إلى بخارى سنة ٣٣١ هـ وهى عائدة الى مقر حكم ذلك

الأثير مخترفة بلاد التبت ، وأنه عاد من هذه الرحلة بطريق ملبار وكرمندل وكشمير فسكابل ثم سبجستان . وأبو دلف هذا كان شاعرا مجيدا يعيش في بطانة السامانيين بمدينة بخارى ، وجاء في رواية لبعض التجار لرحالة أن تقريره المذكور حوى معلومات شتى غاية في الأهمية عن البلدان التي ذكرها .

وروى كذلك بعض التجار ورواد البحار أن كلا من زيد حسن بن يزيد ووزج ابن شهر يار الراهب رمزي وضع كتابا : الأول حوالى عام ٣٠٣ هـ والآخر حوالى عام ٣٤٢ هـ متضمنا كل منهما معلومات قيمة في وصف البحار والشواطئ الهندية والصينية .

ووضع ابراهيم بن يعقوب أحد كبار التجار المعروفين في ذلك العصر تقريرا هاما نوخى فيه الحقائق الى أبعد حد عن رحلاته في أواسط أوروبا وألمانيا وفي البلاد السلافية ، وكان قد قدم إليها من إفريقية في بعثة خاصة الى الإمبراطور أوتو الأكبر ، قام بعدها برحلة تجارية في الممالك المذكورة ، ورفع تقريره هذا الى الخليفة في قرطبة ، ولم ينشر في ذلك الحين ، الى أن اقتبسه البكري ضمن كتابه المشهور في العلوم الجغرافية .

وأما محمد الهمداني المتوفى في صتماء عام ٣٣٤ هـ فكانت تغيب على مؤلفاته روح الوطنية والعصبية والفضر والتحمس لموطنه ومسقط رأسه ، فجاءت بعيدة عن حب الاستطلاع لعجائب البلدان الأجنبية والوقوف على أحوال سكانها . ولما كانت اليمن غنية بتاريخها المجيد وحضارتها الأثيلة ، فإن سكان هذا الإقليم كانوا يشعرون بتفوقهم على حكامهم من عرب الشمال من حيث الحضارة والعمارة ، وبهذه الروح الوطنية المتقدمة وضع محمد الهمداني كتابه الكبير المسمى (الإكليل) لم يبق منه سوى الجزء الثاني وهو في قصور اليمن ومدافنها ، ووضع كتابا آخر في وصف شبه جزيرة العرب وبه معلومات قيمة للغاية ، ويعتبر حتى اليوم من أهم المراجع وأوثقها في نواح شتى .

بقيت المؤلفات العربية في علوم الجغرافيا وتقويم البلدان خلال المرحلة الثانية من تاريخ الأدب العربي محتفظة بمكانتها الأولى من الأهمية ، فأثبت المؤلفون في هذا

العصر أبحاثاً علمية قيمة، ووضعوا تقارير هامة تفيض بوصف رحلاتهم الى البلاد النائية .  
وأول من ظهر من مؤلفي هذا العصر هو محمد البيروني ، وهو من كبار علماء المسلمين ، اشتهر أيضاً بمؤلفاته التاريخية والعلمية البحتة ، ولد محمد البيروني في خوارزم عام ٣٦٢ هـ من أبوين إيرانيين ، وأولع بالعلوم الطبيعية ، فانكب على دراسة الرياضيات والفلك واهتم بتطبيقهما عملياً ، فأثرت جهوده في علم التوقيت ثم في التاريخ . وله في هذا المضمار سفر جليل في تاريخ الشعوب القديمة ، ووضع في بدء حياته العلمية عدة رسائل في الفلك ، ثم وضع كتاباً عاماً توج به أبحاثه الفلكية وأهداه الى السلطان مسعود بن محمود ابن سبكتجين في عام ٤٢١ هـ وسافر الى الهند حيث أقام بها بضع سنين محترفاً مهمة التدريس في العلوم الإغريقية ، ودرس عن الهندوس علومهم ، وواصل البحث والتنقيب لتعرف طبيعة البلاد وأحوال سكانها ، وأخيراً وضع مؤلفاً نفيساً في وصف الهند بعد دراسة وافية وبمحت عميق ، ويعتبر هذا الكتاب بحق مفخرة الجهود الإسلامية في هذا المضمار . وتوفي هذا العالم الجليل في غزة في ٣ رجب سنة ٤٣٠ هـ .

واقفى أثره من علماء هذا العصر الطبيب البغدادي والعالم الطبيعي الكبير عبد اللطيف المتوفى سنة ٦٢٩ هـ فوضع كتاباً في وصف مصر ناهماً نهج البيروني في كتابه في وصف الهند ، ولو أنه لم يوفق توفيقه .

ولقد ساعدت رحلات المسلمين الى مكة لأداء فريضة الحج في كثير من الأحيان على تنشيط الإنتاج في المؤلفات الجغرافية وتعددها ، حيث كان يقصد المسلمون بيت الله من جهات مختلفة نائية ، ويضعون مؤلفات قيمة في وصف البلاد التي اخترقوها في طريقهم الى الحج لمساعدة إخوانهم في المستقبل ، بل كثيراً ما كانت مؤلفاتهم تتمدى هذه الغاية الى أغراض علمية عامة . ولعل أقدم الكتب المعروفة وأعما فائدة في هذه الناحية كتاب الحج الذي وضعه ابن جبير المولود في فلنسية عام ٥٤٠ هـ ، وتوفي بالاسكندرية سنة ٦١٤ هـ .

وفي نهاية هذا العصر بدأت عوامل جديدة تنطرق الى هذا الضرب من التأليف كانت سببا في ضياع كثير من معالمه وفقدان مميزاته العلمية الخاصة ، فأهمل معظم الكتاب الوصف الجغرافي ، وعمدوا الى ملء كتب رحلاتهم بتقارير ضافية عن معاصريهم من العلماء الذين تصادف أن التقوا بهم في سياحاتهم ، فجاءت بذلك موضوعات مؤلفاتهم أقرب الى تاريخ الأدب منها الى العلوم الجغرافية الوصفية ، وأول ما ظهر هذا التطور في كتاب محمد العبدري الذي وضعه في وصف سياحاته بمدينة فلنسية عام ٦٨٨ هـ .

وأما في علم تقويم البلدان فإن اسم محمد الإدريسي هو أظهر من اهتم به من مؤلفي العرب في هذا العصر ، ولد محمد الإدريسي من أبوين علويين بمدينة سبته من أعمال المغرب الأقصى عام ٤٩٣ هـ وطلب العلم في قرطبة ، فانقطع لدراسة الجغرافيا وما تستلزمه من العلوم الطبيعية الأخرى ، وقام برحلة طويلة لزيادة الاطلاع والاستكشاف حتى وصل في سياحته الى جزيرة صقلية ، وأقام في بلاط « روجر الثاني » ملك النورماندين لما عرف فيه من رعاية وتعظيم للعلوم والآداب العربية ، واليه أهدى كتابه في علم الجغرافيا وتقويم البلدان عام ٥٤٨ هـ .

بقي كتاب الإدريسي حجة هذا العصر الى أن جاء ياقوت ووضع سفره ضخما جمع فيه كل ما وصلت اليه العلوم الجغرافية حتى ذلك الحين ، وعنى بترتيب معجمه هذا حسب الحروف الهجائية ، وولد ياقوت من أبوين إغريقين بأسيما الصغرى عام ٥٧٤ هـ . واستولى عليه تجار الرقيق ، الى أن دخل في خدمة أحد تجار بغداد ، فأحسن تربيته ، وعنى بتعليمه عناية كبيرة ، وقام برحلات تجارية عديدة . ولما توفي ولي أمره سنة ٥٩٧ هـ أسس له عملا مستقلا في تجارة الكتب ، ولم يلبث أن اشتغل بالتأليف ، وقام بعد ذلك برحلات طويلة للبحث والاطلاع ، وبدأ في وضع معجمه المعروف بمدينة نيسابور سنة ٦١٥ هـ حيث وجد في دور كتبها الهامة أكبر مساعد له على إتمام عمله العظيم ، ولما قدم الى خوارزم سنة ٦١٧ هـ وبلغه خبر استيلاء التتر على أغلب نواحي هذه المنطقة

فر هاربا الى الموصل حيث واصل جمع مواد معجمه هذا ، وفرغ من عمله هذا العظيم في ٢٠ صفر سنة ٦٢١ ، ثم رحل الى الاسكندرية لزيارة مكاتبها الشهيرة ، وبدأ بوضع الصورة الأخيرة لمعجمه بمدينة حلب في ٢١ المحرم سنة ٦٢٥ ، ولكنه لم يتمكن من إتمام عمله إذ وافته المنية قبل الانتهاء من نقله في ٢٠ رمضان سنة ٦٢٦ ، ويعتبر معجمه في تقويم البلدان في مقدمة المؤلفات العربية في ذلك العصر .

واهتم زكريا الفزويني كذلك بوضع كتاب جمع فيه كل معارف الشعوب الاسلامية عن العالم في نواحيه الطبيعية والفلكية والجغرافية الوصفية ، وقد لا في كتابه هذا نجاحا كبيرا وذيوعا واسعا ، ونقل الى اللغات الفارسية والتركتانية والعثمانية .

## مفتاح كنوز السنة

هو فهرس كبير وضع للاستهداء به الى مواطن الأحاديث من أربعة عشر كتابا من كتب السنة والسير . وضعه بالانجليزية الدكتور ( فنسك ) ونقله الى العربية الأستاذ الفاضل محمد افندي فؤاد عبد الباقي . فهذا الفهرس يسمح لطالب أي حديث أن يجده بدون عناء . وقد عني حضرة مترجمه الفاضل بتصديره بجداول رقم فيها أبواب الكتب لتوافق الأرقام الموضوعات لها في الطبقات التي اشتغل عليها المؤلف . فجاء هذا الفهرس معينا كبير القيمة للمشتغلين بالحديث . فنشكر لمؤلفه هذه الخدمة ، ونشكر لمترجمه ما عانى في نقله الى العربية من متاعب وما أنفق في طبعه من مال .

## الفتح الرباني

ترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني

مسند الامام أحمد يحوى على نحو خمسة وأربعين ألف حديث . فهو أشمل كتاب للأحاديث النبوية . طبع بمصر ولكنه كان يعوزه الترتيب والتبويب ، فكان الذى يريد أن يقف منه على نص حديث لا يستطيع أن يجده مهما أجهده نفسه فى هذا السبيل ، فشرح الله صدر حضرة الأستاذ المفضل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الساعى للتصدي لترتيبه ، فأنفق من عمره اثنتى عشرة سنة فى هذا الغرض النبيل ، فأصبح يسهل على من يريد منه حديثاً فى أى موضوع أن يجده فى الباب الخاص به . وهذا عمل عظيم خدّم الأستاذ به السنة أجل خدمة . وقد شرع فى طبعه وإصداره أجزاء شهرية تسهلاً للراغبين فيه . وبما زاد هذا العمل فائدة ما قرنه به من كتابه ( بلوغ الأماني ) وفيه بيان لغامضه ، وشرح لألفاظه ، وتجلية لأمراره ، خاء عملاً مشكوراً يستحق الإعجاب والتقدير .

عنوان مؤلفه بحارة الروم بالقورية بالقاهرة .

## وجهة الاسلام

هو كتاب وضعه بالانجليزية ثلاثة مستشرقين : الأستاذان ( جب ) و ( ماسينيون ) العضوان بالجمع اللغوى الملكى المصرى ، والفتانث كولوئيل ( فرار ) . موضوعه نظرة فى الحركات الحديثة فى العالم الاسلامى ، فدرس واضعوه حالة الاسلام فى أفريقية طامة ومصر خاصة ، ثم فى آسيا الغربية والهند وأندونيسيا ، فالمو بالكتير من الشنوف الاسلامية فى هذه البلاد فى لهجة ممتدة يشكرون عليها .

وقد ترجمه الى العربية حضرة الأملعى الفاضل محمد افندى عبد الهادى أبو ريدة المنخرج فى الفلسفة من الجامعة المصرية ، خاءت ترجمة حسنة الأسلوب ، جميلة السبك . فنشكر له ماتوخاه من خدمة للاسلام ، ونرجو له زيادة التوفيق .

## تصحيح خطأ

جاء فى العدد السابع من المجلد الخامس فى ذيل فتوى الطلاق المعلق صفحة ٤٨٤ سطر ١٣ العبارة الآتية : ( وهذا هو المعمول به الآن فى المحاكم ) وصوابه : ( وهذا غير المعمول به الآن فى المحاكم ) .

due weight to individual and communal interest, but it means that Islam puts 'right' above 'interest', and if 'interest' agrees with what is right, then it becomes, a 'right' to be maintained and defended. But if it does n't, then it is a falsehood to be combated and destroyed.

The Lord be praised, saith :

« كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوُ لَوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البضاوى

"Observe ye justice and give ye evidence as Allah's witnesses, though it be against yourselves, your parents or your kindred"

( *Baidawy's Commentary* ).

In such circumstances as given in the verse, it is in one's interest not to observe justice and to refrain from giving evidence against himself, his parents or his kindred. But Islam forbids that and insists that 'truth' should be respected and upheld by its followers even against self, parents or kindred.

Nay, Islam has gone still further and ordained to observe truth even in times of trouble and stress, for thus saith The Lord:

« وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْكُلُونَ كُنُفَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البضاوى

"Fight to exalt the Religion of Allah with those who fight with you, but do not transgress; verily Allah loveth not the transgressors"

( *Baidawy's Commentary* ).

Islam has considered as transgression the slaying of the wounded, the pursuit of the defeated and the killing of the non-combatants in the service of armies. These principles were not known before the advent of Islam and are still unobserved in this age of material civilisation. Some may imagine that 'interest' demands the annihilation of the enemy, but Islam teaches that true interest lies in preferring truth to all other considerations and the truth or right is to fight only him who raises a weapon against you.

(Father of Hassan)" Aly showed signs of annoyance and Omar noticing that said: "Art thou annoyed Ali because I have treated thee on an equality with the Jew?"

"No" said Ali "But I was annoyed because thou hast favoured me with a nickname while you did not nickname the Jew!"

There, we have a man who resents being favoured to his plaintiff by being called by his nickname, a practice which was prevalent at the time, but Ali was a staunch supporter of truth in himself as well as in others, even though it be against himself.

A sprinkling of such individuals who set themselves to guard the divine principles are well worthy of being made the conquerors and reformers of the world. They proved their worthiness and the world was astounded at the rapidity with which they attained ascendancy. Thinkers differ widely in accounting for this. The truth, however, is simply that they have set themselves by the urge of their religion, to be the guardians of the higher ideals hitherto unknown to the world.

Yes: I say hitherto because the final word between nations and individuals had always been and still is, for 'interest' and not for 'right'. They overlook truth in favour of their interest, and the most tactful and diplomatic of men in their estimation is he who employs all means of coercion to maintain his interest unmindful of whether he has followed what is right or not. The most diplomatic and praiseworthy of nations in their estimation, is the one which maintains its own interests by steel and fire regardless of any right. It is for this reason that people, even in the one nation, have become contending and unsympathetic and heedless of the harm they inflict on others. Nations lie in wait to get other nations at a disadvantage and this feeling of insecurity has led to an incredible increase of armaments and resulted in the worst economic crises hitherto experienced by the world. We have already heard of the 'Hunger Marches' of unemployed workmen who invade the great cities in their tens of thousands demanding work and a decent livelihood. The history of mankind in its earlier and less advanced stages, had never known such a phenomenon.

Could such a state of things then, be justified in this advanced mechanised civilisation and amidst the flourish of social and economic sciences?

This is all the result of striving for 'interest' to the exclusion of 'right'. Is not the world then, in dire need of the high teachings of Islam to establish 'right' and 'truth' and find a way out of its present troubles?

It does not follow from the preceeding that Islam does not give



"Nay, We will cause truth to overcome falsehood and it shall destroy it, and lo! it is confuted"

( *Baidawy's Commentary* ).

And

« قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيهِ الْبَاطِلُ وَمَا يَعْبُدُ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

"Say: Truth (Islam) is come, and falsehood is destroyed for overmore"

( *Baidawy's Commentary* )

And :

« وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

"And say: Truth (Islam) is come, and falsehood is destroyed. Verily falsehood is weak and destructible"

( *Baidawy's Commentary* )

The Lord has further explained the reality of truth by establishing that all else is false and untrue, thus saith The Lord:

« فَمَا ذَا بَدَأَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

"And what remaineth after truth, except error ?

( *Baidawy's Commentary* )

There, are two pictures of truth and falsehood the like of which no old or modern philosophy could produce. They were clearly depicted in the Holy Koran from all standpoints so that no human soul could remain unaffected thereby and had to take notice thereof in both its material and moral affairs. The ultimate goal of the social reformer is to direct people, by the urge of their own nature, to strike the happy medium in their endeavours and to avoid the mistakes which lead to the reverse of their purpose.

No reformer, though he may be the greatest philanthropist on earth, could assign a guardian to every man to restrain him from falsehood and direct him to truth. But he would like this supervision to be exercised by one's self. This self supervision has been established by Islam in the most perfect manner, and early Moslems have fully demonstrated its efficacy and have become the champions of truth not only in themselves but also in others. It is related that a Jew complained Ali to Omar Ibn Al-Khattab and when Ali presented himself before Omar, the latter said to him " Sit down Abul-Hassan

"In truth have We sent down the Koran, And with truth it was revealed unto the Prophet"

( *Baidawy's Commentary* ).

And:

« إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا »  
ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوي

"Verily We have sent thee with truth, a bearer of good tidings and a warner unto men"

( *Baidawy's Commentary* ).

And :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ »  
ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوي

"O men! The Apostle hath come unto you with truth from your Lord; believe ye therefore, it is better for you"

( *Baidawy's Commentary* ).

And :

« لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ »  
ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوي

"We have revealed the truth unto you, but most of you are averse to truth"

( *Baidawy's Commentary* ).

The Lord has proclaimed that He upholds the truth and renders it victorious over falsehood, thus He saith :

« وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّطَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ . لِيُخَيِّطَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ »  
ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوي

"But Allah purposed to establish the truth by His revealed words and to exterminate the unbelievers, that He might exalt the truth and confute falsehood, though the wicked were averse to it"

( *Baidawy's Commentary* ).

« بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ، فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ »  
ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوي

useless but the water and metals remain to be made use of by men.

So much indeed has The Lord exalted truth that He made it one of His names :

« فَذَرِكُمْ اللَّهَ رَبَّكُمْ الْحَقَّ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

“This is therefore your Lord, The Truth, that is worthy of worship”

( *Baidawy's Commentary* ) .

And :

« فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

“Exalted therefore be Allah, the Almighty King, The Truth”

( *Baidawy's Commentary* ) .

And :

« ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

“This is because Allah is The Truth”

( *Baidawy's Commentary* ),

The Lord has so highly estimated Islam, that He called it “The Religion of Truth” :

« هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

“It is He who hath sent His Apostle with guidance and The Religion of Truth that He may exalt it above every religion”

( *Baidawy's Commentary* ) ,

The Lord described Islam and its teachings as truth, thus He saith :

« وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

The act of creation was made a clear sign to the believers as saith The Lord:

« خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

"Allah hath created the heavens and the earth for no other end but truth, Verily herein is a sign to those who believe"

( *Baldawy's Commentary* ).

The Lord has set a parable of truth and falsehood which presents them to the mind in such a way as to show clearly their respective distinctive qualities, The Lord saith:

« أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ، فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَايًا ،  
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهَا ، كَذَلِكَ  
يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ  
النَّاسَ فَيَمْسِكُ فِي الْأَرْضِ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوى

"He causeth rain to descend from heaven, wherefore streams flow in due measure and the flood carrieth forth a swelling foam like unto the scum which ariseth from the metals that people melt in fire to secure ornaments and utensils for their own use. Thus Allah setteth forth parables of truth and falsehood. As to the scum, it is cast off, and as to that which is useful to men, it remaineth on earth. Thus doth Allah set forth parables unto men"

( *Baldawy's Commentary* ).

The Lord, be praised, has depicted falsehood as the foam caused by the inrush of waters flowing in the rivers and as the scum that floats on top of metals when they are melted to obtain utensils and ornaments therefrom. He depicted truth as the water which gives life to earth and men, and as the pure metals which remain after clearing them of impurities. The foam and scum are cast off being

Truth is the fundamental element underlying all existence and falsehood is a transitory form of evil which crosses its path. I would not say that they come into conflict and contend power and authority once they meet, but I here maintain that truth confutes falsehood and completely destroys it, and no matter how long it takes sometimes, truth always prevails in the end. The adherents of falsehood will either realise their folly and come back to truth, or they will be annihilated and made an example to other human communities.

We can find nothing in the sayings of old sages and modern philosophers to approach the teachings of Islam in upholding and exalting truth. Islam establishes truth as the fundamental element of the whole existence, for thus saith The Lord :

« وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفِرِ الصُّبْحَ أَجْمِيلَ »

ترجمة تفسیر هذه الآية نقلا عن البضاوی

"We have not created the heavens and the earth and whatever lieth between them but to establish the truth. Verily the hour of judgment is surely coming. Wherefore seek thou not to punish the unbelievers and forgive them with gracious forgiveness"

( *Baidawy's Commentary* ) .

Truth was then given the status of tangible objects, its influence being shown in al. great and small things:

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ »

ترجمة تفسیر هذه الآية نقلا عن البضاوی

"Hast thou not seen that in wisdom and truth hath Allah created the heavens and the earth. If He please, He could destroy you and raise another creation in your stead. Nor will this be difficult for Him to accomplish"

( *Baidawy's Commentary* ) .

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

## I S L A M

### ITS MISSION IN THE WORLD. (1)

#### XI.

---

#### ESTABLISHMENT OF THE KINGDOM OF TRUTH ON EARTH

Truth is the antithesis of falsehood. It is the essence of justice, the spirit of all systems and the basis of all goodness. Pure intellects are attracted to truth and hearts and conscience find peace and satisfaction in it.

Falsehood is the transient evil and gross wickedness, cause of all troubles and unrest. Minds are averse to it and it flourishes only where ignorance and passion prevail.

---

(1) Translated from Mr. Mohammed Farid Wagdy's editorial in "Nour-El-Islam" Review.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مهمة الدين الاسلامي في العالم

- ١٥ -

التوفيق بين مطالب الروح ومطالب العقل

خلق الله الانسان وجعله عالما مشتركا بين طبيعتين مختلفتين ، إحداهما روحانية والأخرى مادية ، فالأولى تنزع به الى الترفع عن عالم المادة ، والتنزه عن التورط في تبعاتها ، والعروج بالذات المجردة الى عالمها ، والتبجر في المعارف الخاصة بها ، والثانية تدفعه للتبسط في شهواتها ، والتوسع في توفية حاجاتها ، والاشتغال بالماديات لاكتناه مكنوناتها ، واستخراج خيراتها ، والتوفر على العلوم الطبيعية لاستخدام وسائلها ، في تيسير الحياة وتخفيف متاعها . فهاتان الغريزتان تساعدان على بقاء الشخصية الانسانية وتكميلها وإعدادها لخلافة الله في الأرض . فالأرض ليست بعالم روحاني محض حتى يمكن أن يعاش عليها بعبول روحانية محضة ، والانسان ليس بروح مجردة عن المادة حتى يمكنه أن يقاطع المادة بدافع من طبيعته ، ولكنه مضطر لأن يصيب من تلك المادة لحفظ وجوده في هذا العالم . ولو ترك الانسان على سجيته لما تغلبت إحدى الغريزتين على الأخرى ، بل كانتا تتفقان وتعاونان على أداء حياتهما المشتركة ، ولكن القادة الذين يتنازعون السلطان عليه كثيرا ما استغلوا حاجته الروحانية لإخضاعه الى إرادتهم ، فبالعوا في صرفه عن العمل لديناه ومحبيب الزهد الى نفسه ، فأنجحوا في تسخير مئات الملايين من الناس لتعاليمهم ، فبقوا في حالة نمحورقروناطويلة . فهذه أوروبا التي تفتننا اليوم بعلومها وفنونها وصنائعها ، بقيت أكثر من ألف سنة تحت سلطان

الآخذين بعقبتهم، من هذه الناحية، تخوض في ظلام حالك، ولم تنجب طوال تلك المدة عالم واحدا، حتى بعث الله المسلمين فأسوا خلال ديارها، فكان اختلاطهم بهم سببا في شعورهم بتأخرهم، فهبوا يطلبون الخلاص مما هم فيه، واجاهدوا له قرونا متوالية حتى وصلوا الى غايتهم بعد بذل تضحيات هائلة.

وهذه مئات الملايين من النفوس تفص بهم ممالك قد لبثت ألوفاً من السنين مقيدة العقول والنفوس، لا يسمح لها أن ترى أو تسمع إلا بما يأذن به قادتهم المتسلطون عليهم، فلم تبح هذه الملايين مكانها الذي أوجدتها الظروف فيه، حتى إذا حول اليهم المستعمرون وجوههم، لم يصادفوا هناك إلا هياكل بشرية لا تفنى عن أنفسها شيئا.

وفي آسيا مهد الحضارة أم عاشت ألوفاً من السنين ترسف في قيود تعاليم يدعي أنها روحانية الى ما بعد منتصف القرن التاسع عشر، حتى أيقظتها القوارع العالمية وقد بلغ من عسف المسيطرين عليها من الناحية الروحية أن إحدى الحكومات لما مدت خطاً حديدياً في بلادها تقريباً ما بين أطراف مملكتها لشاسعة، نار عليها حفظة التعاليم الروحانية، وطلبوا إليها خلع تلك القضبان الحديدية بحجة أن سير القطر عليها يزعج أرواح الموتى المدفونين بالقرب من طريقها، فاضطرت الحكومة لخلعها مشايعة للمتحمكين في عقول وعيها.

وكان من لوازم هذه القوامة الروحية المزعومة، السيطرة على ثمرات العقول، ومقررات العلوم، فكان لا يسمح لمفكر أو فيلسوف أن يرى رأياً، أو يضع نظرية تخالف ما يدين به أولئك القامة، مما ورثوه عن قدمائهم، أو استحدثوه بأرائهم، فإن اجتراً مجترئاً على عدم الاعتداد بهذا الحشو الرث من بضائعهم، فأتى بما يناقضه صراحة أو من طريق اللزوم، حاسبوه عليه حساباً عسيراً، وحكموا عليه بمقوبة أقلها السجن المؤبد أو النفي، وكثيراً ما كانت تنتهي المحاكمة بالحكم عليه بالقتل أو بالإحراق،



أو يربط أطرافه الأربعة في عددها من خيول الفارحة ، ثم إلهابها بالسياط لتذهب هائمة الى كل وجه ، فتمزقه تمزيقا مريعا .

هذا الطغيان المصطنع بصيغة روحانية زائفة كان ديدن المتحكمين في أديان البشر عشرات من القرون ، وكان من آثاره أن حبس النظر والتفكير في دائرة ضيقة لا يتعداها وهي الهياكل والمعابد ، فكان من نتيجة ذلك أن صيغت ثمرات النظر والتفكير في فوالب دينية محاطة بغلف من الأساطير ، وتركت العامة في دياجير الجهل والعمية ، يقلدون ساداتهم تقليدا ساجدا كأنهم لم يخلقوا لأنفسهم ، ولكنهم خلقوا للآخذين بإكظامهم ، والمستولين على إراداتهم .

من هنا تولد شعور عن هذه الأمم بأن الدين عدو العقل ، وأصوله مناقضة لمقررات العلم ، وكان كلما اشتد مقتضبو السلطان الروحي في عنتهم ، ازداد هذا الشعور قوة حتى صار عقيدة راسخة ، وأكسبها رسوخا ما كان يصبه أولئك القادة على العلوم والعلماء من اللعنات ، في كل مناسبة من المناسبات .

جاء الاسلام والعالم كله يقاسى من هول هذا الدور ما يقاسيه القاصر ، من عسف قيمه القاهر ، فكان يحكم بأمره على العقل والنظر والفكر ، وابتناؤه على عدم التقليد ، وحنه على التقاط الحكمة حيث كانت ، ومن أى وعاء خرجت ، وإطلاقه الحرية للاستنباط والاستبصار للمتأهلين لهذه المنزلة ، كان يحكم هذا كله كاشفا لهذه الغمة النائرة سدفا على الأمم ، فتآخت مطالب الروح ومطالب العقل لأول مرة في تاريخ البشر ، وجاءت تعاليم الاسلام كلها مطبوعة بطابع هذا التأخر حتى في أقصى مراتب الرفعة الروحانية ، وأبعد غايات الاشتغالات المادية . فكان الزاهد في متع الحياة الدنيا ، للتفرغ لنيل الدرجات الروحية العليا ، يحد الجاد في العلوم الطبيعية ، والعامل على الترقيات الصورية ، أخا يعمل من ناحيته في سبيل الله ، فيدعوه بالتأيد والتوفيق ، ولعملة بالثمن والذبحوع .

إن الجمع بين هذين الطرفين يظهر محيرا للعقل ، عند من لا يعرف الحكمة التي بنى عليها هذا الدين ، والأصول العالية التي يقوم عليها .

فالاسلام لم يحصر الرقي الروحاني في أعمال العبادة ، ولكنه عممه في جميع الأعمال المعنوية والصورية ، بل رفع الأعمال التي يتعدى نفعها الى المجتمع ، فوق الأعمال التي تقتصر فوائدها على العامل وحده ، فالذي يعمل لاحقاق الحق وإزهاق الباطل ، وللتبجير في علم يستفيد منه ويفيد غيره ، ولابتكار وسائل يدفع بها عن الناس وبيلات الحاجة ، أو يسهل لهم بها وجوه التوق من الأمراض الفتاكة ، أو ييسر بها عليهم طيِّلب العلوم النافعة لمعاشهم ومعادهم ، أو يكشف لهم أسرار علم يعينهم على الاضطلاع بخلافة الله في الأرض الخ ، إن الذي يعمل لشيء من هذا كان يعتبر في شرعة الاسلام مجاهدا في الله حق جهاده ، ومقتريا الى حضرته بأفضل ضروب العبادة .

على هذا الوجه فهم المسلمون الأولون مراعى الاسلام ، فإنهم بعد أن تم تبليغ هذا الدين ، وانتقل النبي صلى الله عليه وسلم الى حظيرة القدس ، عكف بعضهم على تدارس كتاب الله ، وبعضهم على نشر سنة رسوله ، وآخرون على جمع اللغة ، ورجال على تعميق الدعوة الاسلامية في الأرض ، ونفر على النظر في علوم الأوائل وترجمة كتبها ، وجماعة على التخصص في بعض فروع العلوم ، وأفراد على السياحة لضبط تخطيط البلدان وتواريخ الأمم الخ ، فكان أثر ذلك كله قيام دولة تمثل مدينة فاضلة آخت بين الدين والعقل ، ووحدت بين النزعات المختلفة لمصلحة الفرد والجماعة ، فدت رواق سلطانتها على العالم ، وأصبح لها ملك لا تغرب عنه الشمس .

حدث كل ذلك بسائق من الاسلام نفسه ، فإنه كما قرر الأصول الأولية لدين الفطرة الانسانية ، كسر الأغلال التي كانت على العقول والعواطف ، وسن للانسانية طرائق لبلوغ السكال المنتظر بمجموعة من التعاليم متكافلة تكافلا حكيما في تنبيه جميع قوى النفس ، وإيقاظ كل مواهبها السكرية ، وملكانها السامية ، بحيث تبعث

في الشخصية الانسانية نزوعا قويا الى الارتقاء والتكامل ، مما لم يعهد مثله في التعاليم الفلسفية حتى العصرية منها ، فإنها مجتمعةً ليس لها مثل قدرة الاسلام في توجيه النفس هذا التوجيه لبلوغ هذه الغاية . أما رأيت أن المسلمين الأولين بلغوا في سنين معدودة الى أوج من الارتقاء الصوري والمعنوي لم تبلغه الأمم في قرون كثيرة ؟

وقد توسعنا في بيان طائفة كبيرة من تعاليم الاسلام في فصولنا السابقة مما له هذا الأثر الفخم في إنهاض الأمم ، فلا نعود إليها في هذه العجالة .

فقليل على الاسلام أن تقول إنه آخى بين مطالب الروح ومطالب العقل ، والأجدر أن تقول إنه وحد بينهما باعتبار أنهما مظهران للطيفة الربانية التي أودعها الله في صدر الانسان ، واستحق بها أن يشرفه بخلافته في الأرض .

فاذا أراد المسلمون أن يدهشوا البشر بسرعة نهوضهم ، واسترداد سالف عظمته ، فعليهم بالعمل بما أمرهم به الاسلام جملة ، يبلغوا شأواً آبائهم الأولين ، ويصبحوا مثلاً للآخرين ، فالاسلام لا يزال يدعوهم الى حظيرته ، ويبهب بهم الى موارده .

وإذا أراد العالم كله أن يتووب إليه هذوؤه ، ويسلم له ما حصله من علم ومدنية ، وأن تتقلم أظفار الفتن التي تهدد وجوده ، فعليه أن يجيب داعي الله ، فقد أسمع من كانت له أذنان : « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبيناً ، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به ، فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ، ويهديهم الى صراط مستقيماً » .

محمد فريد وجدي

## صفة العلماء العاملين

مثل خالد بن صفوان عن الحسن البصري رضى الله عنه فقال : كان أشبه الناس علانية بسرية ، وسريّة علانية ، وأخذ الناس لنفسه بما يأمر به غيره . واستغنى عما في أيدي الناس من دنياهم ، واحتاجوا الى ما في يديه من دينهم .

# التفسير

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ( وَلَا تَخْذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسُوءَ عِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ عَمَّا قَلِيلًا إِنَّ مَاعِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ، وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَسَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) .

تقدم في الآية السابقة الأمر بالوفاء بالعهد ، والنهي عن نقض الأيمان بعد توكيدها ، وأردف ذلك بتشبيهه بحال من غزلت غزلا وتمت فيه ثم عادت عليه بالنقض فتعبت تعباً ثانياً أضاع عليها ثمرة نعيمها الأول ، وكانت نتيجة العملين فساد المسادة التي تولتها بالغزل ثم النقض ، وعدم صلاحيتها لما كانت تصلح له من قبل ، فكان منها عملان ينقض أحدهما الآخر ولم تستفد من كليهما فائدة ، بل عاد العملان عليها بالضرر والإفساد لما كان صالحاً . وكذلك شأن من يعاهد ويحلف ثم ينقض عهده ويمينه ، فقد عمل عملين أضاع أحدهما الآخر ، وكانت فائدة من ذلك ضياع الثقة بدمته والاطمئنان إلى معاملته ؛ وضياع الثقة بالذمة وذهاب الطمأنينة بالمرء أكبر نكبة عليه في حياته الاجتماعية ، وأسوأ ما يصيبه في شرفه وكرامته ؛ والمرء بلا شرف

ولا كرامة أهون من المتاع المتداول ، فالمتاع ثمرة أنك تستخدمه في بعض مهامك وقد تحافظ عليه ادخارا لمهمة أخرى ، وأما هذا فقد أسقطته من الاعتبار له والاعتداد به ، بل نكره أن تراه وأن يقع نظرك عليه كراهيتك للزور والغش والخديعة والتغريب . ولقد عاد الى هذا الموضوع ثانيا بالنص على النهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً بعد أن اندرج النهي عن ذلك ضمناً في قوله : « ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكثا تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم » فإنه متضمن للنهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً أى غشا وخديعة ودغلاً وتغريراً . وأعاد النهي على هذه الصورة لأن النهي الصريح المنصوص بالمنصب على ذات الجريمة والمفسدة أقوى في تحصيل المقصود وهو التنفير منها ؛ وكان في الآية الأولى داخلاً في طي ذلك المثل ليفيد فيح صورته وبشاعة منظره ، فتستعد النفوس للابتعاد عنه ، فيجىء هذا النهي الصريح ساداً في وجه تلك الجريمة الشنيعة طريق الوجود . وهكذا الشأن في التنفير من الجريمة التى تتوافر أسباب لتعلق بها وتكثر دواعيها فتتغلغل في النفوس ويسر اقتلاعها منها : تجب من الحكمة أن تنوع طرق التنفير منها والإبعاد عنها ، وليس أفضل من تقبيح صورها ونبشيع مناظرها حتى تكرهها النفوس وتتصورها بما ينبغي لها ويليق بها من قبح ، فينصب النهي الجازم عليها فيقتلعها من جذورها .

إذا تأملت هذا وجدت أن لا مانع من حمل النهي في الموقعين على التعميم لكل حال فيها اتخاذ الأيمان وسيلة للخديعة والتغريب ، سواء أكان ذلك في العهود العامة التى تعقد بين الفئات الكبرى ، وهو ما يتبادر في الآية الأولى من قوله تعالى : « أن تكون أمة هي أذى من أمة » أم كان فيما يجرى بين الأفراد من المعاملات ، كما يتبادر من قوله تعالى في هذه الآية : « ولا تشتروا بعهده الله ثمناً قليلاً » فإن الغالب أن الناكث في عيمته الخائن لمن حلف له إنما يفعل ذلك ابتغاء فائدة سيجنيها من وراء تلك الخيانة وذلك النكث .

وإنما اخترنا العموم في الموضعين لأنه أعم فائدة ، وأعظم أثرا ، وكلما كان الحمل على معنى أعظم فائدة كان أليق بمقام القرآن الكريم ، ولا سيما في الأمور العظيمة الشأن الكبيرة الخطر ، التي من أهمها تربية الثقة بين أفراد الأمة التي تتعاون وتتساند ، ولا يتم ذلك لها إلا إذا توطدت الثقة بين أفرادها . أما كون هذه الآية أو تلك نزلت في قوم يابِعُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإيمان فلا يوجب التخصيص ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . نعم صورة السبب داخلة جزما ، وهذا ما لا شك فيه . وبعض المفسرين حمل ما تقدم على النهي عن اتخاذ الإيمان دخلا على الإطلاق ، وجعل ما هنا للنهي عن اتخاذ الإيمان دخلا في البيعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مستدلا بما رتبته عليه من قوله : « فَنَزَلَ قَدَمُهُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا » . قال : لأن هذا التشنيع الشديد لا يليق إلا بنبكث اليمين المعقودة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا ضعيف ، فإن من عُرِفَ عنه نكث اليمين فقد سقط سقوطا لا يستطيع تداركه ، فهو كمن زلت به القدم . وبعضهم حمل الأول على نقض اليهود التي تجرى بين الأمم ، والثاني على ما يجري بين الأفراد ، استنادا إلى قوله في الآية الأولى : « أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ » ، وفي الثانية : « وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا » . وهو أيضا ضعيف ، فإن ترتيب ثمرة واحدة على نهى عام لا يقصره على موضعها ، فكثيرا ما يكون للنهي والأمر فوائد عدة يقتصر على بعضها . وأضعف من هذين حمل الأول على أنه خبر لأنه لم تتسلط عليه أداة النهي وإنما سلطت على ما قيد به وهو قوله : « وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَاهَا » الخ . ولا يخفى عليك أن تسليط النهي على مقيد بقيد يقتناول كل ما وقع في حيزه ، بل وبما كان القيد هو محط النهي .

كل هذا منهم تفاديا من توهم التكرار غير المفيد . وقد عرفت اندفاع هذا بأن الأمر العظيم الخطر المتغلغل في النفوس يحتاج إلى اقتلاعه بمدة طرق ، أهمها تصويره بالصورة لبشعة ، ويبان بعض أسبابه لتقتلع ، ثم إرداف ذلك بالنهي عنه واقتلاعه

من النفوس من جذوره . وهذا ما حصل هنا ، فإن تربية الثقة بالمرء من أقوى دعائم العمران ، ولا يتحقق بدونها التعاون والتساند بين بني الانسان ، ولا سيما أهل الايمان الذين ينبغي أن يكونوا قبا بينهم كالبنيان ؛ ولأن الدواعي لشكك اليقين كثيرا ما تغلب على ثبات العزيمة فتدخل بها ، بل لا يوجد حلف إلا حيث كان الأمر مما يترقب معه حصول تلك الدواعي القسوية ، وأهمها ميل الانسان بطبيعته الى الاعتزاز بالجانب الأقوى . وهذا ما ذكر في قوله تعالى : « أن تكون أمة هي أربى من أمة » . ويليه في الأهمية ما يتوهمه من إحراز فائدة من عرض الحياة الدنيا ، وهذا ما ذكر في قوله : « ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا » ، والتكرار في هذه المواقع وأمثالها من أوجب الواجبات . يعرف ذلك علماء التريية والناصحون المعالجون لطبائع الناس في معاملاتهم وأخلاقهم .

أما قوله تعالى : « فزل قدم بعد ثبوتها » فن أعظم ما ينفر من هذه الخلقة البغيضة ، فكفى في الزجر عنها أن يصور صاحبها بمن زلت قدمه فسقط على أم رأسه ، فكسر من أعضائه ما كسر ، وتلف من متعلقاته ما تلف . ومن يدري إن كان يستطيع النهوض من هذه السقطة أم هي سقطة لا نهضة لها ؟ وإن زلة القدم لتجمع على صاحبها من الخزي والحجل والفساد والتلف ما يجعله يتوارى من القوم من سوء ما وقع فيه .

هذا وهي قد تكون اضطررية ؛ فكيف إذا كانت منه باختياره وقاده اليها الطامع وارتكبها مصرا عليها عالما بقبحها ؟ إن خزيبها حينئذ لعظيم .

وإفراد لفظ ( قدم ) للإشارة الى أن زلة قدم واحدة كافية في تدهور المرء كله وسقوطه في الهاوية ؛ ولا يفتنى عنه أن قدمه الأخرى لم تزل ، فستسحب القدم الزالة أخها المستقيمة ؛ كذلك ستؤثر سقطته الواحدة على سمعته كلها في جميع معاملاته ؛ أليس يكفي الكذب والخيانة مرة واحدة في ذهاب الثقة بالمرء في كل شئونه ؟ .

وقوله تعالى : « وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله » :

هذا لبيان الأثر الدائم المترتب على تلك السقطة التي حلت به أو حل فيها ؛ ذلك أن السقطة والزلة قد حصلت ، فلو اقتصر الأمر عليها لمكانت واستطاع أن يصبر لها ككل مصيبة من مصائب الحياة ، ولكنها وبأخيلية صاحبها قد لازمه أثرها ولصق به عارها ، فهي معلقة في عنقه ، بارزة في صدره ، سادة كل طرق الخير في وجهه ؛ فهل بعد هذا ذوق للسوء ؟ وأي سوء أكبر من الشؤم الملازم والبؤس الدائم ؟

وقوله تعالى : « بما صدقتم عن سبيل الله » : صدق : يستعمل لازما ومتعديا ؛ يقال صد عنه الشيء صدودا أعرض ، وصددت الشخص عن كذا صددا منعه . وهو هنا يصح حمله على كل من المعنيين ، فقد أعرضوا عن سبيل الله وصدوا صدودا ، وقد حالوا بين الناس وبين السير في سبيل الله ومنعوه وصدوهم صددا بما نصبوا من أنفسهم من القدوة السيئة ، فعليهم وزر من اقتدى بهم . والمراد بالسوء الذي يذوقونه عذاب الحياة الدنيا من خزي وعار وسقوط اعتبار ، ومن قتل وسبي فيما إذا كان نكثا لعهد الإيمان والبيعة مع رسول الله عليه الصلاة والسلام .

والتعبير بكلمة تذوقوا استعارة باعتبار أن ما حصل لهم من ذلك العذاب تغفل في دخالهم ، وخالط أبدانهم ومشاعرهم ، فكان كالطعام المذوق ، لا أنه لا يسهم مجرد ملائسة خارجية . وسبيل الله هو صراطه المستقيم ، وشرعه الذي شرعه للعالمين ، ليصلوا بسلوكة إلى مرضاته ، والوفاء إليه ، ويفوزوا بجنات النعيم . وقوله تعالى : « ولكم عذاب عظيم » هو الوعيد الأعظم بالعذاب الأخرى الدائم ، بعد توعدهم بذوق سوء العذاب الدنيوي . وتنكيره مع وصفه بالعظم تهويل أمره وأنه لا يعلم عظمه إلا الله .

قال تعالى : « ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا » :

روى عن كثير من المفسرين أن المراد به نهى الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نقض بيعته ، وجعلوا هذا تأكيذا للتحذير السابق في قوله : « ولا



تتخذوا أيمانكم ». وقد علمت أن النهى يصح عمومه لذلك ولغيره ، وأن عظم النهى عنه يدعو لتكرير النهى لتقرير الحكم في النفوس فضل تقرير .

وقد ضمن النهى هنا تنبيههم لذلك السبب الواهى الذى يحرم الى تلك المهواة ، وهو إحرازهم بعض ثمرات من متاع الحياة الدنيا ، وأنهم فى ذلك مخدوعون عن مصلحتهم الحقيقية ؛ فقد استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير ؛ ذاك أنهم حرصوا على أن يحرزوا الثمن القليل فأضاعوا ما عند الله مما ذخره للصالحين المتقين ، ولا شك أن ما عند الله خير لهم لو كانوا يعلمون .

وهنا نكتة ينبغى أن نسترعى نظرك إليها ، وذلك أن لفظ اشترى يتعدى بنفسه لثمن ، وهو الأخوذ المرغوب فيه لذاته ، ويتعدى للثمن بالباء ، وهو المدفوع توصلا لمرغوب فيه ، فالعادة أن الرغبة تتعلق بالثمن ، فهو المقصود تحصيله لذاته ، وأما الأثمان فإنها تتعلق بها الرغبات لأنها الوسيلة لتحقيق المقاصد ، وإن كان كل من العوضين يصح فى نظر العقل أن يعتبر ثمنًا ومثمنًا . وقد جاء لفظ لتشتروا فى الآية متعلقًا بالثمن إذ قال : « ولا تشتروا بعهده الله ثمنا قليلا » . والسرى فى ذلك هو النعى عليهم ونسفيه رأيهم فى نصرهم بأنهم قد عمدوا الى ما لا يرغب فيه لذته ولا يستحق القصد إلا لتحصيل غيره ، فاشتروه وجعلوه عطف قصدم ، ومنتهى غرضهم ، فانعكست عليهم الآية ، وأصبحوا لا مطمع لهم إلا إحراز ما حققه أن يرغب عنه ويمدّل لتحصيل المقصود بالذات . ثم التذكير كما يأتى فى كلام العرب للتعظيم على حد ما جاء فى قوله : « عذاب عظيم » قد يأتى للتحقير والتقليل على حد ما جاء هنا فى قوله : « ثمنا قليلا » . وتسمع فى مخاطب الناس بقولون تارة : « إنه رجل » يريدون أنه رجل وأى رجل ، ويقولون : « ها هو رجل » نلمح من الكلام أنه رجل أى رجل كان مما لا قيمة له .

أما قوله تعالى : « إن ما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون » فهو الإرشاد الواضح ، والهداية الى الصواب ، والدلالة على ما حققه أن يلتفت اليه ، وبعض بالتواجد

عليه ، وفي مثله فليتنافس المتنافسون ؛ فقد عبر عنه بأنه عند الله ، وكفى بذلك عظما ، فإنه وإن كان كل شيء من عند الله ، إلا أنه لا ينسب إلى العظيم إلا العظيم ، بل قد يكون الشيء في حد ذاته مما قد يستهان به ، ولكن لصدوره من عظيم يحوز قيمة معنوية عظيمة ، فكيف وهو في ذاته خير عظيم ؟ وقد جاءت الجملة مؤكدة بأن ، وبضمير الفصل ، تقريرا لعظمته . وقوله : « إن كنتم تعلمون » أى إن كنتم من أهل العلم الذين يصح أن ينتظر منهم التأمل لمعرفة قيم الأشياء على حقيقتها ؛ أو إن كنتم تعلمون التفاضل الذى بين البدلين . والتعبير بأن الذى للشك لتصويرهم بأنهم لاحتياجهن إلى هذا النهى الشديد والزجر والوعيد صاروا بحالة من يشك فى أنه من ذوى العلم والمعرفة ، أو هم ممن لا يرجى منه معرفة ولا دراية .

ولقد أقام الدلائل ساطعا والبرهان قاطعا على أن ما عند الله خير بقوله جل شأنه : « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » فلقد استقر فى النفوس أن الدائم وإن قل خير من المنقطع وإن جل ، فكيف إذا كان الدائم أجلا وأكمل ؟ وينفد (بالدال المهملة ) بمعنى يفنى ويذول ، وهى غير ينفذ (بالدال المعجمة) الذى بمعنى يحترق . تقول : نفذ المل ينفذ أى فنى ، ونفذ السهم ينفذ أى اخترق الهدف الذى بمعنى يحترق . والمعنى أن ما ترمون اليه وتخسرون ذممكم ودينكم لتحصيله عرضة للزوال والفناء مهما كثر عدده واتسع مدده وظننتم أنكم متمعون به إلى أقصى مدى ، وأما ما عند الله فهو باق أبدا لا يتقطع ولا ينقضى ، فضلا عن خيريته التى أخبر بها لحق جل وعلا .

وقوله تعالى : « ولنجزيَن الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » يصلح أن يكون جوابا لسؤال المتلفه بمدى سماع وصف هذا الخير العظيم الدائم الذى عند الله ، فيستشرف ليعرف من هو المستحق لهذا الخير العظيم ، فجاء قوله : « ولنجزيَن » جوابا لهذا السؤال ؛ فهو وعد من الكريم المتعال ، جعله جزاء للصابرين وأجرا للعاملين . والصابرون : هم الذين لم ينخدعوا بكون أمة هى أربى من أمة حتى ينفذوا يدهم من

قوم امتلأت أيديهم بأيديهم ، ولم يخذلوا من عول عليهم وربط شئونه بالانضمام اليهم . والصابرون : هم الذين ضبطوا أنفسهم فلم يخذلهم الدنيا وزخرفها ، ولم يميلوا عن دينهم الى اقتناء عرضها ، ولم يشتروا بعهد الله ثمنا قليلا . والصابرون : هم الذين آثروا الآجل الباقي على العاجل الفاني ثقة بما عند الله ، ولا يؤمن المبد حتى يكون بما عند الله أوثق منه بما في يده ، فإنه لا يدري ما في يده أيتبع به أم هو محروم منه وسيحال بينه وبينه . وإن التصريح بالوعد العظيم بعد فهمه ضمنا في قوله : « إنَّ ما عند الله هو خير لكم » لتقرير هذا الحظ العظيم في النفوس لتقبل عليه أيما إقبال ، كما أن الايمان يوصف الصابرين دون أن يقول : ولنجزينكم أجركم ، لبيان ما به استحقوا هذا الجزاء العظيم ، وللتنويه بشأن الصبر لزيادة الترغيب فيه . كما أن في تسمية ذلك جزاءً وأجرًا تطيبها لنفوسهم ونشويها لهذه النعم الهنيئة ، إذ صورها بصورة المستحق لهم ، وإن كانت في الحقيقة فضلا من الله ونعمة .

وقوله عز وجل : « بأحسن ما كانوا يعملون » فيه تنويه بأنه عز وجل سيجزيهم بما صبروا بأحسن أعمالهم ، وسيتجاوز عن سيئاتهم « إن الحسنات يذهبن السيئات » . ومن أولى بذلك من الصابرين والصبر نصف الايمان ، ولا تكاد تجد نوعا من التكاليف إلا وهو بحاجة الى الصبر ؟ فهو روح العمل في أغلب التكاليف ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم أكثر من سبعين مرة .

وذكر المفسرون في قوله : « بأحسن ما كانوا يعملون » وجوها كلها حسن جميل ، فقالوا : إنه يجزيهم على أعمالهم الحسنة بحسب أحسنها ، فلا ينقص جزاء الحسن عما يستحقه الأحسن وإن كان يزيد في الأحسن أضعاافا مضاعفة . وقالوا : إن من أعمالهم ما هو حسن غير قبيح كالمباحات التي لا نهى عنها ، ومنها ما هو أحسن وهي الأعمال المرغوب فيها من واجب ومندوب ، فهو يجزيهم على ما فعلوا من المطلوب شرعا . وقالوا : إن الصابر من شأنه أن يدركه أثناء صبره الذي هو أحسن صفاته بعض الهبات الهينيات

من جزع وسامة ، فالله تعالى يجزيه على صبره خالصا من تلك الهنات ، فقد جازاه على أحسن أعماله وصفح عما شابها . وصيغة ما كانوا يعملون تشعر بأن ذلك كان شأنهم ودينتهم ، وأن الصبر كان يسرى في أعمالهم متكررا ، ولا يكون الصبر صبرا حتى يكون فيه الثبات والاستمرار ، فهي غير أن يقال : « بأحسن ما عملوا » مثلا .

قال تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » :

هذا تعميم في جزاء كل عمل صالح بعد ذكر جزاء الصبر ، وأودعه به ليكون كالتقرير له ، إذ يدخل الصبر في جنس العمل الصالح ، فإنه عمل قلبي . ورأى بعضهم أن يفرق بين الصبر والعمل الصالح فقال : إن المؤمن بعد دخوله في الإيمان مطالب بأمرين : ( الأول ) الثبات على إيمانه والتمسك بيقينه ، وألا يدع عقيدته لعبة للأطباع وفي مهب أهوية الأهواء ، وهذا ما ذكر في قوله : « ولنجزين الذين صبروا » . و ( الثاني ) أن يقوم بالعمل الذي كلف أداءه ، وهذا هو المذكور في قوله : « من عمل صالحا » الخ . ولعل ما ذكرناه أظهر ، فإن الصبر ضبط النفس وهو من العمل الصالح بلا جدال . وقصر العمل على العمل بالجوارح لا يسلم ، كيف وتطهير النفس من الأخلاق الذميمة كالخسد والشح من أكبر أنواع العمل الصالح ؟

وقوله تعالى : « من ذكر أو أنثى » نصريح بالتعميم المستفاد من لفظ « من » لإدخال السرو على كل من يترقب الاندراج في هذه القاعدة من ذكر أو أنثى ، وهو شأن عدة الكريم : تجدها في التنصيص فيها على التعميم .

وقوله : « وهو مؤمن » أي مصدق بالله وشرائعه ورسله وجزائه ، فهو يعمل ابتغاء رضوان الله وامتنالا لأمره . أما العامل مبهمة وريا ، مع كفره بربه وعدم اعترافه بأمره ونهييه ، فلا يكون له أجر من ربه .

وربما قيل : كيف توفق بين هذا الشرط « وهو مؤمن » وبين الإطلاق في قوله

تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » ؟ والجواب أن المترتب هنا على العمل الصالح المشروط بالإيمان هو أن يحياه الله حياة طيبة ، وأن يجزيه أجره بأحسن ما كان يعمل ، وهذه مرتبة لا ينالها إلا من عمل وهو مؤمن ، وذلك لا ينشأ أن من عمل خيرا من غير المؤمنين يلقى جزاءه المطلق الذي لا يصل الى هذه المرتبة ، وذلك كتخفيف العذاب عنه في الآخرة ، وتسهيل بعض شئونه في الدنيا . وقد قالوا : إن أعمال الخير التي تصدر من الكافر إن كانت مما يتوقف على نية كالصلاة والصوم فإنها ذاهبة عليه ، لأن نية العبادة شرطها للإيمان ، وهذا يحمل قوله تعالى : « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » ، وإن لم تكن متوقفة على نية كالإحسان الى الناس ومواساة الضعفاء والعطف على اليتيم وإرشاد الضال والصدق والاستقامة في الأعمال ، فهي داخلة في عموم قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » ورؤيته جزاءه بتخفيف عقاب الذنوب الصادرة منه غير الكفر ، أو بتسهيل شئون حياته في الدنيا ، أو ما أشبه ذلك ، فلا تمارض بين الآيتين . وقد ورد أن أبا طالب يكون من أخف أهل النار عذابا بما كان منه من محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحمايته من أعدائه مشركي قريش . وبعد فلا شك أن الإيمان أساس العمل الصالح ، وكل بناء على غير أساس فهو منهيار ، وهو أصل السعادة ، وكل مالا أصل له لا وجود له .

قال تعالى : « فلنحيينه حياة طيبة » : قيل في الدنيا ، وقيل في القبر ، وقيل في الدار الآخرة . وأولى من كل واحد من هذه أن تكون الحياة شاملة لكلها ، فإن المؤمن الذي يعمل العمل الصالح تطيب حياته في الدنيا مهما تراكت عليه مصاعبها ومصائبها ، ذلك أنه بإيمانه يتيقن أن كل ذلك بقضاء من ربه ، وأنه لا يفعل إلا لحكمة ، وكل ما صدر عن الحكيم العليم فهو جميل مقبول تطيب النفس به ، فبذلك يخف عليه وقع المصيبة ، بل ربما شاهد فيها جمالا ، وربما وجد فيها خيرا له ، إذ يرى في ذلك تكفيرا لسيئاته

في الدنيا ، وتعريضاً للبصير الذي وعد الله عليه أحسن الجزاء . وقد كان بعض الصالحين يقول : المصيبة موسم خير فاعتنموه بالصبر . وكثير منهم من يفرح لمصيبة لم يرجو من وراءها من الخير أكثر مما يفرح بنيله ما يبتغى ، إذ يرى فيه تعجيلاً لبعض الثواب في الدنيا وهو يرجو أن يدخر له في الآخرة . ولا شك أن الكافر محروم من هذه الحياة الطيبة .

وأيضاً تجد المؤمن وقد أثقن أن الدنيا دار زوال لا ثبات فيها لحال ، إذا صادفته المصيبة أثقن بزوالها ، فيهنون عليه أمرها ، وإذا صادفته النعمة علم أنها ظل زائل ، فلا تعلق نفسه بها تعلق من تذهب نفسه حسرات على فقدها ، فإذا فقدها فإنه فقد أمراً مستعداً لفراقه فيهنون عليه ، وهذا بدون شك من ثمرات الإيمان .

وأيضاً شأن المؤمن القناعة والزهد في لذات الدنيا ، فمما جاء منها تمتع به لا على لهفة وشرة ، فكان هنيئاً هادئاً ، وما فاتة منها لم يأبه به ولم يكثر له ، وأي طيب في هذه الحياة يوزى هذا الطيب ؟ إن المرء مهما عظم ما في حوزته من المال وحطام الدنيا إذا لم يرزق القناعة والرضا بما أوتي فإنه منغمص العيش دائماً ، فهو ينظر إلى ما حرم منه ولا ينظر إلى ما أحرز ، فهو دائماً في عناء ، ولا يترك له الشره فرصة يهنأ فيها بما أوتي . وتأمل في قوله صلى الله عليه وسلم : « وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » . وقد كان بعض الناس يقول : إن من سلب الناس إيمانهم فقد سلبهم نعيم الدنيا قبل سلبهم نعيم الآخرة .

وبعد : فإن قلب المؤمن ممتلئ بالألوان الربانية ، مستغرق في تمجيد الإله ومشاهدة عظمته ، فهو غير مشغول بمطالعة زخارف هذه الحياة الدنيا ، وهو هادئ البال من ناحيتها ، ف جاء عفواً تقبله ، وما فات منها لا تعلق به نفسه ولا يشغل به قلبه ، وهذه منزلة الخواص ، ولكنها غير متعاضية على صحيح الإيمان .

هذا وليس معنى كلامنا الدعوة إلى الكسل ومجافاة العمل ، وأن يعيش المرء كلاً

وعالة على الناس ، فإنا نعلم في الشرع ما يعطى هذه الحياة الرائدة التي يعيشها بعض من لا خلاق لهم ، يعيشون عالة على الناس وهم أصحاب قادرون على العمل ، وباب العمل مفتوح أمامهم يناديهم ، ولا يقدمون للمجتمع شيئاً نظير ما يقوم لهم به من تسهيل سبيل الرزق . نعم : الهداة المرشدون والوعاظ الناصحون قد قدموا لإخوانهم أئمن ما يقدم لإنسان لإسنان ، فثلمهم لا يقال فيهم إن حياتهم حياة كسل ، بل تراهم يكدحون في سبيل إصلاح المجتمع وتقويمه كدحاً لا يعرفه إلا من عاناه . وقد روى في الحياة الطيبة أنها الرزق الحلال . ووجهه أن كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به . وروى أنها الرزق الكفاف . ووجهه أن الوفرة الكثير من شأنه أن يكسب النفس الطغيان ، كما قال تعالى : « كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكُفٍّ أَنْ رَأَى اسْتَفْزَى » وهذه كلها أمثلة من الحياة الطيبة ، وطيب الحياة ليس محصوراً في واحد منها . والغلط كل الغلط أن يتوهم أن الحياة الطيبة هي جمع المال والثرات ، فقد أرتنا المشاهدات الكثيرة أن المال كثيراً ما جلب على أهله الشقاء . والله القائل :

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد

وأما طيب الحياة في القبر فقد ورد ما يدل عليه . « القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » . وأما طيب الحياة في الآخرة فأظهر من أن يشرح ، وأبين من أن يوضح ، بل الحياة الآخرة هي الحياة الحقيقية ، كما قال عز وجل : « وإن الدار الآخرة لهى اكثير وان لو كانوا يعلمون » .

وقوله تعالى : « ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » فيه وعد بالجزاء الأوفى وإغداق النعيم عليهم . وكأن في طيب الحياة إشارة إلى خلوها من الأم المنقص لها على ما سبق شرحه ، وفي الجزاء إشارة إلى النعيم المغدق ، فكان الأول من باب التغلية من المنقصات والنقم ، والثاني من باب التغلية بالنعم .

هذا وليس يبعد أن يدخل في العمل الصالح المصحوب بالإيمان الوفاء بالعهد ، والبر

في الإيمان، والثبات على الكلمة الصادرة من الإنسان، فكل هذا من العمل الصالح ولا جدال؛ وأن يدخل في الحياة الطيبة المتمتع بالثقة والاحترام، والمسارة إلى نلبية الطلب، وتصديق القول، والاثمان على الكثير والقليل والحفير والجليل، ويكون أخذ هذا بخصوصه من إرشاد صدر الآية الأولى إليه، ومع يعلم بالمقابلة لقوله: «وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله» على ما قررناه لك في معنى السوء. وكثيرا ما يستفاد معنى اللفظ من النظر فيما يقابله.

والخلاصة أن الحياة الطيبة متسعة المناحي متعددة الجهات، وكلما بدا ألم في الحياة التمسعة شرح لنا ناحية من الحياة الطيبة (والضد يظهر عنده الضد).

وتكرار القسم في «ولنجزيهم» بعد القسم في «لنحيينه» لتقرير كل منهما تقريرا مستقلا وتثبيتته على حياله. ثم الأفراد في ضمير «لنحيينه» نظرا للفظ «من»، والجمع في ضمير «لنجزيهم» نظرا المعناه، فإنه جمع في المعنى. ووجه الحسن في ذلك أن لكل فرد حياته الخاصة به يتذوق لذة طيبها وصفوها من المكدرات فيما بينه وبين نفسه. أما النعم الإيجابية فالنفس تتلذذ حينما ترها قد عمّت كل من له بالنفس اتصال وثيق بحبة ومودة، وذلك شأن أهل الجنة في الجنة.

واعتبر بما تراه بين الأسر والأفراد المتحابية إذا صادف أحدهم نعمة وحرم من مثلها من محبه، تجدد في ذلك بابا من تنقيص تلك النعمة عليه؛ وأما إذا جاءت عامة وجمعهم كلهم فإن لذتها تتضاعف عند كل منهم: فرح بنعمته وفرح بنعمة من يحبه. وهذا سر الجمع في ضميرهم عند إيقاع الجزاء الحسن عليهم، حتى يفرحوا بنعمهم ونعم من يحبون. نسأل الله تعالى أن ينعم علينا وعلى من نحب بالجزاء الدائم بأحسن ما عملنا، وأن يتجاوز عن سيئاتنا ويعافينا ويعفو عنا، إنه سميع النداء مجيب الدعاء.

ابراهيم الجبالي



## الإسراء والمعراج

حضرة صاحب الفضيلة أستاذنا الكبير الشيخ الدجوى .  
السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فعندنا فريق من أساتذة المدارس ينكرون المعراج  
ويقولون : إن ذلك غير ممكن . والمتدين منهم الأقرب الى الاعتدال يقول : إن  
الإسراء بالروح دون الجسد .

فترجو من فضيلتكم تحقيق الموضوع بالبراهين المفنعة حتى ينقطع الجدل والمراء .  
وها نحن أولاء في انتظار ما يديجيه براعتك البليغ وبيانك الواسع ، كما هي عادتك .  
واقبل فائق احترامى وإجلالى اشخصك المحيوب مآ عبد الرحمن محمد  
أستاذ بمدرسة شبين

## الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .  
إن الناس اليوم يقدسون عقولهم ، ويسرون وراء ما يمليه عليهم علمهم القاصر  
ونظرم الضعيف ، وكل من سار وراء عقله ووزن كل ما جاء عن الرسول يميزان فكره  
فقلماً يؤمن إيماناً صحيحاً . وإذا راقك منه ما يشقشق به في بعض الأحياء لم تلبث  
أن يسوءك منه ما يهذى به في وقت آخر ، ولا غرو فالجبل حليف الانسان ، والضعف  
لازم من لوازم البشرية ، وقصور العلم من صفاتها الذاتية وأعراضها اللازمة . وكل  
من لم يصدق إلا بما وصل إليه عقله وبلغته حدود علمه ، فليس مؤمناً بالرسول على  
الحقيقة ، وإنما هو مؤمن بعقله ( لا بالرسول ) .

وما جاءت الرسل إلا لتخبرنا عما وراء الطبيعة مما لم تصل إليه العقول التي لا تستمد  
معلوماتها إلا من المحسوسات ، وما تنتزعه منها من العقولات الثانية مما هو راجع

إليها ومتوقف عليها، ومقدورات الله لا نهاية لها، وعوالمه لا حدها؛ ولكل عالم ناموس يخصه.

ومن الغلط اليقين الحكيم على عالم من العوالم بأحكام عالم آخر. وإذا كنا نرى من بعض أنواع الحيوان ما لا يعيش إلا في الماء، ومن بعضها ما لومكت في البحار، ومن بعضها ما يقتله الكربون كالإنسان، ومنها ما يقتله الأكسجين ككثير من الحيوانات الدنيا (ولعلنا كنا لا نصدق بذلك قياساً على أنفسنا لو لا مشاهدتنا إياه) فكيف بمالم تقف له على عين ولا أثر من العوالم الأخرى التي تحس والتي لا تحس؟ وإن لم أعجب لهم كيف يتبجحون هذا التبجح ويحكمون في كل شيء بالأحكام الجازمة اعتماداً على بضع نواميس وصلوا إلى ظواهرها من نواميس هذا الكون التي لا يحصيها إلا الله ولا يدري كنهها غير مبدعها الذي لا حد لقدرة ولا نهاية لعلمه؛ وليت شعري بعد ذلك كله أي عقل نحكمه فيما ورد عن الشارع: أهو عقل الأفراد أو عقل الجماعات؟ وما هو الضابط إذا اختلفت العقول، وليس هناك نوع من الأنواع وقع التفاوت فيما بين أفرادها مثل نوع الإنسان الذي هو مظهر التناقضات وجمع العجائب والغرائب؟ وقد خاطب الله الخلق جميعاً بقوله: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً». ويقول في حق الإنسان: «إِنَّهُ كَانَتْ ظُلُومًا جَهْلًا». ولقد نرى في تخبطه وتناقضه وارتباك في أحواله واضطرابه في أعماله الدليل الساطع على أنه مخلوق من الطيش والجهالة والعجز والقصور. فعلام تلك الكبرياء وهو من الضعف بحيث يرتئي له ويشفق عليه؟

### الموضوع:

لا يستند هؤلاء المنكرون إلا إلى الاستبعاد العقلي، وقياس الشاهد على الغائب، وإرجاع مالم يعلموا إلى ما علموا؛ والجاهل لا يعرف قدر نفسه ولا قدر العلم؛ ويعتقد أن كل ما خرج عن دائرة علمه فهو في دائرة الغمض «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله».

ومن الغريب الذي يؤسف له أنهم إذا سمعوا أن بعض الأوربيين يريد الوصول إلى القمر ويفكر في إعداد العدة لذلك لم يتحرك منهم ساكن ؛ بل ربما اتصروا لما سمعوا وقالوا : إن العلم يلد العجائب ولا اكتشاف يأتي بالفرائب . ولكن إذا سمعوا أن الرسول عرج به إلى السماء قامت قيامتهم ، وهدرت شقاشقهم ، وظهر كل ما في نفوسهم الضعيفة من خبث وإلحاد . وسنتكلم معهم بما يخضعون له إذا سمعوه عن ساداتهم الأوربيين ( الذين لم يعلموا علمهم ولا أحسنوا تقليدهم ) :

أما الكلام في الموضوع من الجهة العقلية فأظن أنه لا يعنهم كثيرا ، ولا يقنعهم لا كثيرا ولا قليلا . ومع هذا فنقول فيه كلمة موجزة من أجل الفريق الثاني الذي يناسب للعلم ولا يمكنه الخروج عن الكتاب والسنة ، ولكنه يؤول ويحرف اغترادا ببعض الروايات ، إجابة لنزعة عنده وعقيدة لديه لا تبعد كثيرا عن عقيدة الماديين ، وإن كان مذبذبا بين ذلك لا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء ، فنقول :

إن من قال : إن الاسراء بالروح تمسك ببعض روايات مطعون فيها ، كالرواية عن عائشة التي ردها الحفاظ وقالوا إنها غير صحيحة من وجوه عديدة لا نطيل بها ؛ وكرواية شريك بن أبي نمر التي طعن فيها الحفاظ بما يطول شرحه . وليس الغرض إلا أن نشير إلى ذلك إشارة خفيفة يعرفها ذلك الفريق من إخواننا المتفهمين من الشيوخ . والعالم كل العالم من لا يتأثر بكل ما رآه أو يتشوش بكل ما رواه ، بل العالم كل العالم من يعرف المقبول والمردود ، والضعيف والصحيح ، ومن يجمع بين الروايات المختلفة إذا أمكن الجمع ، أو يرجح الراجح ويسقط المرجوح إذا تعذر التوفيق .

وما أدرى كيف يقبل الذوق السليم أن الاسراء كان بالروح بعد ما يقول الله تعالى : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » ؛ فها أنت ذا ترى الآية الكريمة قد افتتحت « بسبحان » المشعر باستعظام ما كان من الأمر والتعجب منه لجلالته ؛ وهو

لا يصح موقعه ولا يتناسب وبلاغة القرآن الحكيم إلا إذا كان ذلك أمرا غير مبهود ولا مقدور لأحد من البشر .

ولو كان هذا الإسرائاء بالروح فقط لم يكن نعمة ما يقتضى هذا الاستعظام وذلك التعجيب، إذ لاخطورة في إراءة النبي صلى الله عليه وسلم آيات ربه في منامه، فإن هذا أمر عادى يجوز أن يقع لكل أحد، بل قد يرى الانسان في منامه رب العزة الذى هو أكبر من كل شىء، وإنما يظهر وجه الاستعظام والتعجيب لوقلنا: إن ذلك الإسرائاء كان بالجسد والروح، كما هو ظاهر لكل ذى فطرة طاهرة وعقل سليم .

ثم تراه يقول: «أسرى» وهو لا يقال فى النوم كما قال الفاضى عياض، لأن ما يقع فى النوم إنما هو تخييل وضرب مثل لا غير، ولا يحسن أن يعبر عن ذلك بأنه أسرى به، وإنما يحسن ذلك إذا أسرى به ليلا سيرا حسيا على ما هو للمبهود المعروف .

ثم يقول: «بعيده» وهو نص قاطع فى الموضوع، لأن العبد لا يطلق فيما تعرفه العرب إلا على الشخص بجملة المكون من الروح والجسد، ولم يعهد فى لغة العرب إطلاقه على الروح فقط؛ فهم لا يعرفون من العبد إلا الشخص المحسوس المنظور، كما فى قوله تعالى: «أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى» وقوله: «وأنه لما قام عبد الله يدعوه» الى غير ذلك .

ثم يقول: «لنريه من آياتنا» ويقول فى سورة النجم: «أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى .» .

ولا شك عند من له ذوق سليم أن هذه الآيات الكريمة تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم أسرى به الى بيت المقدس، وأنه عرج به الى السموات العلا يحسمه وروحه، وأنه رأى جبريل عند سدرة المنتهى، وأنه رأى من آيات ربه الكبرى .

وإني أستحلفك بملك وذوقك وإنصافك أن تنظر معى لقوله: «أفتمارونه على

ما يرى » ثم قل لى بعد ذلك ماذا ترى : أفيسهل عليك أن تسلم أن المرء والجدال كاتا في رؤية منامية ؟ وهل يكون في رؤية الروح وحدها في المنام جحود ومجادلة ؟ وهل لذلك وقع عند القائل أو السامع حتى تذكر فيه تلك الآيات ، وتحصل به تلك الحركات والمجادلات ، وينوه بشأنه في القرآن هذا التنويه العظيم ؟ وهل عهد مثل ذلك في الرؤى المنامية ؟ وهل ينكرون على أنفسهم ذلك حتى ينكروه عليه صلى الله عليه وسلم ؟

لا شك أن مناكرتهم ومجادلتهم ما كانت إلا لعلمهم أنه يدعى أن ذلك كان يقظة لا مناما ؛ فهذا هو محل الاستبعاد والاستنكار ، فإنه غير معهود لديهم ، ولا من متناول قدرتهم .

أما منامات الأرواح فيجوز أن تقع لكل أحد حتى للمشركين أنفسهم . وهل يشكر الله عليهم إنكارهم بقوله : « أفتأرونه على ما يرى » ويقرعونهم على مجادلتهم بالباطل ، ويقسم على أن صاحبهم ما ضل وما غوى ، ويقول : إنه رأى ولا يليق أن تماروه فيما رآه ، هل يكون كل ذلك لرؤيا منامية ؟ وهل يقول : « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى » وينوه بأمر هذه الرؤية ويقول إنها عند سدرة المنتهى ويجعلها مرة أخرى لرؤيا منام ؟ وهل يقول المنكر : إن رؤية جبريل في المرة الأولى التي جاءت في الحديث الصحيح حين رآه صلى الله عليه وسلم بحراء على صورته التي خلقه الله عليها قد سد الأفق ، هل يقولون إن ذلك كان مناما أيضا ، أم يفرقون بينهما والقرآن لم يفرق وجعل الرؤية في المرة الأخرى عند سدرة المنتهى كالرؤية الأولى في الأرض بلا فرق ؟

فهل يقال ذلك إذا كانت إحدى الرؤيتين في المنام والأخرى في اليقظة ؟ وهل يحسن أن تجعل الضمير في قوله تعالى : « ولقد رآه نزلة أخرى » روح النبي دون جسده وتغابر بينه وبين ما قبله وما بعده من الضمائر العائدة على شخصه صلى الله عليه وسلم لا على روحه فقط ؟ وهل يسهل عليك أن تقول : إنها رؤيا منامية مع قوله تعالى : « ما زاغ البصر وما طغى » ؟ وهل يقال ذلك في أحلام النائم ؟ اللهم إن ذلك لا يقال إلا في أوهام الوهيم .

وهل يقال في الرؤيا المنامية: « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس »؟ ومتى كانت رؤيا المنام فتنة لأحد؟ فإن كل إنسان يرى بروحه من الكون ما شاء الله أن يرى، فما وجه الافتتان وما معناه؟

وأما التشبث بلفظ الرؤيا دون الرؤية فقد رده أهل اللغة واستشهدوا عليه:

ورؤياك أحلى في الجفون من الغمض

على أنه جاء في القصة ما هو قاطع في الموضوع: فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم بذلك هاج هائجهم وقامت قياضهم، فنهض الواضع يده على رأسه تعجباً، ومنهم المصفق، ومنهم القائل له: لقد كان أمرك أعمى (أي قريبا) قبل هذا. حتى ورد أنه ارتد بعض من دخل في الاسلام. فهل ترى - أيك الله - أن ذلك كله كان من أجل رؤيا منامية؟

بل في لقصة ما هو أكثر من هذا، وهو أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن غيرهم لى كان فيها نجاحاتهم، فأجابهم صلى الله عليه وسلم بأنه مر بها، وقد نذ منها بعير فانكسر، وأنه مر بعير أخرى قد ضلوا ناقة لهم، وكان معهم قدح من الماء فشربه صلى الله عليه وسلم. وقد سألوهم عند ما قدموا مكة فصدقوا ذلك كله. وفي القصة أكثر من هذا. فهل ترى أن الروح شربت الماء من القدح؟ وهل يمكننا أن نقبل أنهم يسألونه عن غيرهم وعن بيت المقدس وأبوابه وكل ما يتعلق به إذا كانت الرؤيا منامية؟ وأي علاقة بين رؤيا المنام وبين غيرهم التي تجيء من الشام، وقد رأى لهم عدة فوافل من تجارهم وأخبارهم عنها؟

ولا تزال نقول: أى معنى لقصة قدح الماء إذا كانت الرؤيا منامية؟ وأظن أن هذا القدر كاف المنصف. ولو شئنا لأطلنا.

الفريق الأول الذي يحمك بالشبه العقلي:

يقول هذا الفريق: إنه يستحيل العروج الى السماء لأن بيننا وبينها كرة نارية كما قرره الفلاسفة الأقدمون. ونقول له: إن ذلك خيال لم يقم عليه برهان؛ والفلاسفة

العصريون يتفوت ذلك بتاتا . فهذا كاف في إسقاط ذلك الزعم . وستسمع عن ذلك جوابا آخر مشتركا دافعا للشبه كلها .

ويقول المصريون في استحالة ذلك : إن الهواء يرتفع عن الأرض مقدار بضعة آلاف من الأمتار ، فإذا وصل الانسان الى ذلك الحد لم يمكنه أن يعيش ، لأنه لا يجد من الهواء ما يتنفس به ، فلا بد أن يموت ، وقد وصلوا بطياراتهم الى ما يقرب من ذلك فخرج الدم منهم بهيئة منكورة لفقد الضغط الجوى

ونقول في دفع هذه الشبهة : إن ذلك مسلم ولا نمارى فيه ؛ ولكن هناك قوانين أخرى لا يعرفها الماديون ، ومحال أن يصل إليها الطبيعيون : ذلك أن الأرواح الانسانية من عالم آخر لا تسرى عليه قوانين هذا العالم ؛ فإذا غلبت على الانسان روحانيته كان الحكم للروح لا للجسد ، فكان السائد عليه هو النواميس الروحانية لا الجسمانية ؛ ومتى ساد سلطان الروح سلطان البدن كان الحكم للروح لا للبدن ، فيمكنه أن يطوى المسافات البعيدة في لحظة قصيرة ، ويمكنه أن يرى المغيبات على حد محدود ، ويمكنه أن يحترق الجدران ويقتحم الممالك من غير أن يحصل له ضرر أو يلحقه ألم . ومن هنا جاءت كرامات الأولياء . وإذا كنا نصدق بذلك في الجن ، وأرواح النوح الانسانية أعظم لطافة وأقوى نفوذا وأشد قربا من الملائكة الأعلى ، فلماذا نستبعد ذلك في خواص البشر الذين غلبت عليهم الروحانية حتى صاروا كأنهم من الملائكة الأعلى ، وبذلك تنخرق لهم العادات ولا تحكم عليهم نواميس المادة ؟

براهين عصرية على ذلك

وما لئنا ذكر كرامات الأولياء أو معجزات الأنبياء ، وبعض العصريين لا يقتنعون بذلك ، ولعلمهم يعدونه من الخرافات والترهات ؟ فلنسق لك ما هو أقرب الى إقناعهم وأليق باستمدادهم ، فنقول :

قد ثبت ثبوتا لا شك فيه أن المنوم تنوينا مغناطيسيا يُسأل عما في البلاد البعيدة فيجيب عنها بأجوبة صحيحة ، فهل يمكن تعليل ذلك بالتعاليل المادية ؟

وقد قالوا : إن المنوّم ( بصيغة اسم الفاعل ) إذا أمر المنوّم ( بصيغة اسم المفعول ) أن يخوض النار وأفهمه أنها ليست نارا ، خاضها ولم تؤثر فيه ، لأنه تحت سلطان الروح فله حكمها ، والأرواح لا تؤثر فيها النيران ولا تحكم عليها هذه النواميس ( ولسطان الروح فوق سلطان المادة ) .

وقد قالو : إنهم جاءوا للمنوّم بالنوشادر المركز الذي إذا شمه أحد مات لوقته فلم يؤثر فيه أدنى تأثير ، فقام بعض الأطباء وقال : إن ذلك غش وخداع . فأخذ النوشادر المركز وشمه غرّميّا . وأعاجيب التنويم المغناطيسى أصبحت لمس ليد وراى العين . وسرها ما ذكرنا من أن سلطان الروح فوق سلطان المادة .

وإذا ثبت هذا فلتعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم عند العروج كان على غاية ما يكون من الروحانية ، بل كانت روحانيته إذ ذاك فوق روحانية جبريل عليه السلام ، ولذلك ورد أن جبريل تأخر عنه بعد سدرة المنتهى وقال له : لو تقدمت أنملة لاحترقت .

فاذا وصل النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك الحد الذي يتخلخل فيه الهواء أو ينقطع بالكلية ، وقد غلبت عليه الروحانية من كل جهاته ، لم يكن لذلك تأثير فيه ولا ضرر عليه لما قرناه .

ويمكننا أن نستشهد على ذلك بما أصبح معروفا لا ينكر ، وهو أن بعض الهنود يوضع في صندوق باختياره أو يدفن في موضع من الأرض عشرين يوما وثلاثين يوما وأكثر من ذلك ، ثم يخرج ويعمل له ما يرجعه الى حسه ولا تفارقه الحياة مع أنه كان لا يتنفس أصلا في تلك المدة . فكيف ينكر مثل ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد الروحانيين وأفضل الخلق أجمعين ؟

وهذا تنزل يقتضيه الحال وقوانين الجدال ، وإلا فلست أدري كيف يقيسون عالم الملكوت على عالم الملك ، وأحكام الأرواح على أحكام الأشباح ، مع أنهم لم يتقنوا علومهم المادية ، وكثيرا ما تخطئوا فيها فتقضوا ما أبرموا . وهو شأن هذا النوع



الضعيف منذ خلقه الله الى أن تقوم الساعة ؛

ولقد أقام العالم ثمانية عشر قرناً يدين بنظرية (بطليموس) صاحب كتاب (المجسطي) في الأرض والشمس ودورها ، وغير ذلك من النظريات الفلكية ، حتى جاء دور الانقلاب العلمي في القرن السادس عشر ونادى العلمانيان ( كوبرنيك ) و ( كبلر ) الألمانيان والبحانة ( غاليلي ) الايطالي بعكس نظرية السابقين ، وأثبتوا فرضاً مخالفاً لفرعهم ؛ ثم جاء أينشتاين في عصرنا هذا فرد عليهم وقلب نظرياتهم رأساً على عقب . ولا ندري ماذا يجي به الغد . وقد بين ذلك رئيس وزراء إنجلترا الميسو بلفور منذ زمان بعيد حين رأس مجمع ترقى العلوم البريطانية بمدرسة كبرج في شهر أغسطس سنة ١٩٠٤ وأطال في ذلك حتى قضى به على معرفة كنه المادة ، وأن منتهى علمها مبتدأ جهلها ، كما يقول الشاعر العربي :

كأن الحب دائرة بقلبي فحيت الإبهاء الإتهاء

الخمسة :

واختلاصة أن الاسراء لو كان مناماً لما كانت فيه آية ولا معجزة ، ولا استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ، ولا ارتد به ضعفاء من أسلم واقتنوا به ، إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر .

ويؤكد ذلك محيي جبريل له بالبراق ، وخبر المعراج ، واستفتاح السماء فيقال : ومن معك ؟ فيقول : محمد ؛ ولقاء الأنبياء فيها وترحيبهم به ، وخطبهم في بيت المقدس ورده عليهم ، وصلاتهم وراءه ، وتعيين محل كل واحد منهم والإخبار عنه بخبر خاص ؛ وحديث فرض الصلاة ومرجعة موسى في ذلك ، وقوله : « ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام » وأنه وصل الى سدرة المنتهى . الى غير ذلك مما جاء في القصة .

وهل عهد مثل ذلك في رؤيا المنام ؟ وهل يقال في رؤي المنام : « ما زاح البصر

وما طغى « أوبنوه بشأنها هذا التنويه كله ؟ وهل يحسن أن يكون فرض الصلاة وهي عمود الاسلام في الذم على حين أن غيرها كان في اليقظة ؟ :  
ولست أفهم إلا أن هذا إنكار لقدرة الله ، وإذا فُتِش عن إيمان ذلك المنكر وجد ضعيفاً به خلل وفيه دخل . وما أدري ماذا يصنع في مثل قوله تعالى : « قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به ( أى عرش بلقيس ) قبل أن يرتد إليك طرفك » وقوله : « فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته لعلمكم تعقلون » وقوله : « نخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيًا » الى غير ذلك من الآيات والمعجزات ؟ : وإن الإيمان بذلك كله سهل لدى من يعتقد أن الله على كل شيء قدير ، وأننا ما أوتينا من العلم إلا قليلاً .

ولنرجع للموضوع فنقول باختصار :

لو كان مناماً لم يكن فيه آية ، مع أن الله يقول : « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » ، ولو كان المعراج في النوم عند عائشة رضى الله عنها كما يزعمه بعضهم لما أنكرت رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه . فهي لم تنكرها إلا لفهمها أن ذلك كان يقظة لا مناماً ، لأن رؤية المنام لا تنكر من عائشة ولا من غيرها .

وبعد : فقد عرج به صلى الله عليه وسلم ليستبين بذلك العروج أن مقامه فوق مقامات الأنبياء ، حيث ارتفع عليهم جميعاً حتى سمع صريف الأقاليم ، وكانت مناجاته فوق السموات العلا على غير ميعاد ولا رياضة سابقة لجمال استعداده صلى الله عليه وسلم ، ليعلم ما بينه وبين غيره من الفرق في التقريب والاصطفاء .

وكان العلو الحسى مستتبع للعلو المعنوى ، فكما ارتقى في درجات السموات وما فوقها كان يرتقى في درجات الروحانية والاستغراق في جلال الله وعظمته . ولا غرو فالأماكن لها خصائص ومميزات . وانظر الى الكعبة وما اختصت به من الرفعة والتعظيم ونزول الرحمات والبركات حتى استحققت أن تسمى بيت الله وحرم الله .

ولتعلم أن قصة الاسراء والمعراج قد وردت عن كثير من الصحابة ، عد منهم في المواهب اللدنية ستة وعشرين . ولنقهر القلم على الوقوف عند هذا الحد فقيه مقنع وكفاية لمن أراد الله هدايته .

أسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم : صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، بمنه وكرمه .

برسيف البربري  
من هيئة كبار العلماء

## بعد الهمة وشرف النفس

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « علو الهمة من الايمان » . ذلك لأن علو الهمة يدل على كمال الثقة بالله ، ويدفع بصاحبه الى المواقف المشرفة ، وتحقيق الأغراض البعيدة .

ومما يؤثر في هذا الباب من الكلم النوايف ما قاله عمرو بن سعيد لمعاوية بن أبي سفيان حين سأل : من أوصى بك أبوك ؟ فأجابه عمرو قائلا : إن أبي أوصى الى ولم يوصني . فقال معاوية وبم أوصى إليك ؟ قال عمرو : أن لا يفتقد إخوانه منه إلا وجهه .

وقال مالك بن مسعم لعبيد الله بن ظبيان : ما في كنانتي سهم أنا به أوثق مني بك . قال عبيد الله : وإني اني كنانتك ، أما والله لئن كنت فيها قاعاً لأطولنها ( أى لأفوقها طولاً ) ، ولئن كنت فيها قاعداً لأخرقتها . فقال له مالك : أ كثر الله مثلك في العشرة . قال عبيد الله : لقد سألت الله شططا . أى لقد سألت الله أمراً بعيداً ، لأن مثله لا يمكن أن يكون كثيراً .

وقال يزيد بن المهلب : ما رأيت أشرف نفسا من الفرزدق : هجائي ملكا ، ومدحني سوقة . أى أنه هجاه لما كان وزيرا ، ولما عزل عن الوزارة مدحه ، وهذا يدل على بعد همة الفرزدق .

# الْبَيْسُوتَةُ

## الصوم

### نَسَبُ الذِّكْرِ الْحَرَامِ الْخَبِيرِ

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة ؛ وإذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إلى امرؤ صائم ؛ والذي نفس محمد بيده خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح ، وإذا لقي ربه فرح بصومه . »

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل رمضان فتحت أبوابُ السماء ، وتُغلق أبوابُ جهنم ، وتُيسرُ المسالك للصلوة ، وتُيسرُ المسالك للصدقة . »

وعنه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه . » . روى لأحاديث الثلاثة البخاري وغيره .

الصيام والصوم في اللغة معناه الامساك عن أى شئ ؛ ومنه قوله تعالى : « إني نذرت للرحمن صوما » أى إمساكا عن الكلام ؛ ويقولون : خيل صائمة أى ممسكة عن الحركة ، وريح صائغة أى راكدة ، وصامت الشمس أى استوت في السماء ، إذ يخيل للرائي أنها أمسكت عن الحركة ومعناه في الشرع : لا إمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية . والمفطرات معروفة مفصلة في كتب الفقه . والجنة بضم الجيم :

الستر، ومنه المجنّ لأن المقاتل يستتر به عن خصمه، والجَن لا ستنارها عن الأعين، والجنة لأن أشجارها تسر أرضها. وجنّ الليل: أى سر ما أحاط به. والرقت: خش القول، أو ما يكون منه في مداعبة النساء. والصخب: شدة رفع الصوت حال الغضب ونحوه. وسابه أو قائله: أى استفزه للسباب والمقاتلة بما يوجه نحوه من دواعي ذلك. والخلوف: تغير رائحة لثم من هجر الطعام والشراب. والمسك: الطيب المعروف. والفرح: السرور وابتهاج النفس وغبطتها.

النوع الإنسانى هو أفضل ما نشاهده من أنواع العالم. قال تعالى: «ولقد كرّمنا نبي آدم». ويكفيه شرفاً أن كان منه أفضل الخلق على الإطلاق محمد صلى الله عليه وسلم. وما كان فضله وامتنازه على غيره بكبر حجمه وضخامة مادته، وإلا فالجبل أكبر منه وأضخم؛ ولا بقوة جسمه ومتانة عضلاته، وإلا فالبهائم والسباع أقوى منه وأمتن. وإما فضله بما أودعه الله فيه من تلك اللطيفة الربانية، تلك الروح الملكية، تلك الماهية الإنسانية، ذات القوة العاقلة، والنفس المفكرة. بها كان أفضل تلك الأنواع، بها مبزه الله على جميع الكائنات، بها وبما ضم إليها من هذا البدن الذى خلقه الله فسواه، وما أودع فيه من جوارح وحواس، جعله الله فى الأرض خليفة؛ وهى منزلة لا يطعم مخلوق من خالقه فى أعظم منها. وحسبك فيها أنها منزلة تشوقت إليها نفوس الملائكة.

وإذ كان الإنسان مفضلاً على غيره بهذه الميزة، كان كل ما يعود عليها بالتمو والتربية والترقية له دخل عظيم فى تقوية إنسانيته وترسيخ فضيلته. وقد جبلت طبيعته فى الغالب على خدمة قواه الجسمية والاهتمام بتنميتها، لأن فائدتها أقرب إلى حسه وأسرع إلى إدراكه؛ فكان بذلك عرضة للإخلال بالاعتدال اللائق به، ومبعداً عن تجلّي المظاهر الملكية التى أودعها الله فيه، ولا سبيلاً إلى هذا إلا بتعهد تلك الشهوات الجسمية واللذائذ البهيمية بما يوقفها عند حدها، وينعطفها على الروح الطاهرة التى يجب أن يكون لها السلطان الأقوى والمهيمنة التامة على جوارحه. ومن ذا يشك فى أن سبيل ذلك إنما هو الصيام؟

إنا جميعا نعرف أن طغيان التهمة والإفراط في الملاذ والمشتريات على القوة العاقلة وتعطيلها عن أداء ما يرجى منها هو سبب الخيبة والدمار، والهزيمة في ميادين الأعمال التي يمتاز بها الإنسان من حيث هو إنسان؛ وأن الأخلاق الكريمة الملهمة بعيدة عن جعل نفسه أسير الشهوتين الممقوتتين، شهوى بطنه وفرجه؛ وأن العقل النير والتفكير السليم والإدراك الصحيح لا يتفق والانغماس في تلك الشهوات السافلة، فما بالك بتقوى الله العظيم ومراقبة جلاله، واستحضار قوته وبطشه، وملاحظة علمه وإطلاعه، حتى يستحى المرء من ربه في خلوته وجلوته، وحتى يحسن معاملته للناس وتربيته لنفسه؟ هل تظن ذلك يقاد لمن ملكته التهمة وملأته الكظة؟ وهل الأنوار الربانية والإلهامات القدسية يصيب شعاعها نفسا انغمست في شهواتها واستهترت في لذتها؟ وهل تأديب المرء لنفسه وانقيادها بالطوع له وامتنال جوارحه لأحكام الصواب المصادرة من دينه وعقله يرجى ممن جعل أكبر همه ملء بطنه؟ اللهم إني الأمر واضح جد الوضوح.

لقد قال تعالى: «يأيتها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا» وقال جل شأنه: «قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق» فأباح لنا أن نتال مما وهب لنا ما نقيم به أودنا. ولكن لما كان ذلك يقويه ما ركب في أصل خلقتنا من شهوة الغناء الحافظة لوجود الشخص ومما يحفظ وجود النوع، كان ذلك مظنة لطغيانها، فجاء التشريع الإلهي والهداية الربانية لكبح جماحها على الإطلاق بقوله تعالى: «كلوا واشربوا ولا تسرفوا»، ثم بتنظيمها تنظيما يكسر من حدتها ويخفف على النفس العاقلة بطشها، فشرع الصيام لذي قال الله تعالى في شأنه في كتابه العزيز: «يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون».

فانظر إلى ترتيب التقوى على الصيام بقوله «لعلكم تتقون» تجسده ناطقا بما قررناه لك. وهل يمنع المرء من التحلي بحلمية التقوى إلا ازدياد قوته البهيمية وطغيانها

على قوته العاقلة؟ وهل يحرم الانسان من النور الالهي إلا لانطماس بصيرته بغلبة بهيميته على إنسانيته؟ وأين للمحروم من نعمة النور الرباني أن يحظى بالتقوى التي مرجعها الأ عظم ضبط النفس ويثاقفها عند حدها، امثالاً لأمر مالك ناصيتها، والعالم بخفاياها، والقادر على مجازاتها على ما قدمت من خير أو شر؟ فظهر بذلك ترتيب التقوى في عمومها على الصيام.

ولعله ظهر لك أيضاً فبس من معنى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به»، ذلك أن الصيام مع كونه تركاً لشيء أو أشياء، أو بعبارة. مع كونه عدماً ونفياً، ليس له في نفسه صورة تقدر بذاتها، فلا يعلم علمها إلا هو وحده، فهو المجازي عليه بدون تقدير.

أقول: إن الصيام مع هذا نجده مشرقاً للنور الالهي، ومنبعا للفيض الرباني، وباباً عظيماً للتوفيق، فيترتب عليه من الفوائد الجليلة ما يخرج عن التقدير «فهو لي وأنا أجزي به» فيكون اختصاصه تعالى بالصوم مع أنه هو المعبود بكل العبادات وحده لا شريك له، وإخراجه عن التقدير لأمرين: أنه ليس له صورة ظاهرة يترقب العبد تقديرها بعشر أمثالها أو سبعائة ضعف أو أكثر، وإنما هو إمساك وكف وترك. والثاني: أن له من الآثار المترتبة في نورانية قلب العباد وضبط جوارحهم وحواسهم وإحرازهم بذلك التقوى ما لا يقدر أحد على تقديره إلا عالم السر وأخفى، المحيط بكل شيء، والعليم بكل أمر من وجودي وعدى من أصل وفرع. يضاف الى ذلك أن ما يعرض للصائم من مشاق ومتاعب، وكبح شهوات، وردع النفس عن غوايات، أمور لا يستطيع ضبطها وحصرها وتقدير قيمتها إلا المطلع على السرائر، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. بل ربما كان من صرت عليه هذه الشئون عاجزاً هو نفسه عن حصرها وإحصائها، فضلاً عن تقديرها.

فترى بهذا تنويعها عظيماً بفضيلة الصيام. وما أشبهه بأن يستأجر عظيم أجيرا

على عمل معروف بأجر خاص يعده بالزيادة فيه إذا هو أتقن صممه ثم يقول له : « واعمل هذا العمل وهو خارج عن حدود الإجارة ودع لي أنا تقديره فإنني أنا الذي أعرف قيمته لا أنت ولا غيرك » . فكم يكون بهاج الأجير وإقباله على ذلك العمل برغبة صادقة لاسيما حين يعلم سعة كرم وعطاء مؤجره وحن تقديره وتعام علمه ، وأنه أدري بما سيتطلبه هذا العمل من العامل نفسه ؟ إنه ليخيل للمرء أن هذا الوعد أنعم أو من أعظم ما وجهه الله تعالى من صنوف الوعد ، فما أشبهه في عظمته بعظم الهول الذي يتجلى في الوعيد الوارد في قوله تعالى : « سنفرغ لكم أيها الثقلان » . وما كان ربك من يشغله شأن عن شأن ، وإنما هو إبراز العظمة والقدره والغضب والانتقام في أعظم صورة من الهول والروعة .

قال صلى الله عليه وسلم : « والصيام جنة » :

نعم : الصيام جنة من المعاصي بما رفع الصائم عن نفسه من قوة جند الشيطان ، وهل للشيطان جند أعظم من امتلاء البطن بالطعام والشراب ، فتقوى عوامل الشر ، ويسترسل في اقتناء المشتبهات واقتراف المنهيات ؟ « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه » وهو بذلك جنة وسائر من النار والعذاب الأليم ؛ وهو كذلك جنة من الشيطان وتساعده على النفس . وهذا معنى قوله عليه السلام : « وسلسلت الشياطين » .

قال عليه السلام : « فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو خاصمه فليقل إني امرؤ صائم » :

هذا من تفصيل الهدى وإيضاح طريق الامتثال بسهولة . وذلك أن الصائم بما حبس نفسه عن مشتبهاتها وقيد حريتها التي ألفتها سيئسرها يخرج في نفسه وضيق في صدره ، وميل إلى التنفيس عن نفسه ، حتى يعوضها ما حرمت منه ، فهو يتلمس جالب التسلية لها وما يسرى به عنها ، فلا يسعفه إلا التحدث في المشتبهات ، والترنم بذكر ما تصبو إليه النفس ، وترداد الخواطر السيئة بفتق الذهن لها وتعلق النفوس بها ، فقد يجره ذلك إلى



ما لم يكن له في حسيان، وخواطر السيئة أول درجات العصيان. فجاء النهي سدا لهذا الباب، ومن جهة أخرى: تنزيها للصيام، وتطهيرا لنفس الصائم عن علائق الشهوات، وذكريات اللذات ولو على سبيل المجون والتسلي:

فالحب أول ما يكون مجابة فإذا تمكن صار شغلا شاغلا

هذا سر قوله: « فلا يرفث » وأما قوله: « ولا يصخب » فوجهه كذلك أن النفس بهذا السكبح تكون ضعيفة الاحتمال ضائعة المصدر سرية الانفعال والتهيج، فلا أقل السبب ثور تأثرتها ويستحكم غضبها، فينطلق الصوت بالصخب، وتتجلى مظاهر الغضب، فتتساق كؤسا متبادلة، ويحجل بينهما الشيطان بخطى متعادلة، فلا يلبث أن يشتبك، وإذا ما كان بابا لهدايتهما ووسيلة لعلاجهما قد تطرقا منه لى حيث لا ينبغى لهما واستعملا العلاج على وجه يضرهما ولا ينفعهما، فجاء التحذير عن ذلك بقوله عليه السلام: « ولا يصخب » أى احفظ نفسك من تلك الصيحة التى تملك من أمرها قبل انطلاقتها من حنجرتك أكثر مما تملكه منها وقد أفلت زمامها من يدك، فربما تلا ذلك الصخب ما لا قيل لك بدفعه، ولأنك ما صمت إلا تهذيب نفسك ورد غوايتها، فلا تقلب الدواء داء، فالغرض من الصوم كسر شريرة النفس لا إلباسها حلة الطغيان.

وقد توسع في التفصيل واستوفى أنواع العلاج بوصف ما ينبغى أن يلجأ إليه إذا طوأ ما يستفزه لذلك بأن يسابه أحد أو يقاتله، فقال: « فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إلى امرؤ صائم »، يقولها لنفسه ليمك زمامها في طاعة ربها، ويقولها لخصمه ليذكره إن كان ممن يتذكر، أو ليقطع عليه طريق الطماعة في استفزازه إن كان من الطاغين، فإن المساب والمسام لا يلبث أن يهدأ إذا لم يجد من يجاريه في طريقه. والمشاهدة أعظم شاهد. ناشدتك الله ألا ترى هاتين الكلمتين على وجازتهما شارحتين العلاج الشافى لم تره مستحكما في نفوس الصائمين في كل حين. من الليل إلى التلهي، والتسلي بأنواع التسلية بحجة الصيام، ومن استعذاب المجون وأحاديث اللهو بقصد التسلية، ومن الغضب والصخب، حتى يقال عادة لمن احتد: « أنت صائم ».

يا لله : كأن ما شرع لتهذيب النفوس وكبح جماحها وإضعاف فوق الشهوة والغضب عن محاربتها صار بالحياة عن التعليم الإلهي والإرشاد النبوي بابا لتطرق ذلك إليها . فالحمد لله على ما علمنا وهذا أنا إلى صراطه المستقيم .

وقد ورد في بعض الروايات : « فليقل إني صائم إني صائم » . وفائدة التكرار الاستعانة على كبح النفس ورد الخضم ، أو يقولها مرة لنفسه في قلبه ومرة لخصمه بلسانه كما ذكره بعض شراح الحديث .

ويقولنا في شرح كلمتي سابه وقائله : معناه استغفره بسبه إلى أن يسبه ، يندفع ما توهم من أن المسابة والمقاتلة مفاعلة لا تتحقق إلا من الجانبين فيقتضى أن يكون كل منهما قد سب الآخر . ووجه لدفع أن المفاعلة وإن كان أصلها كذلك إلا أنهم نصوا على أنها تسند لبادئها نسبة المفاعلة ، لأنه لما تسبب فيها كان كأنه هو القائم بنصيب الطرفين منها . فالسب هنا باستفرازه للمسبوب كأنه أوجد المسابة أي نصيبه منها وهو فتح بابها ، وإن كان لا آخر قد أفسد عليه قصده وسد عليه طريقه . وبعد : ففي هذا الجواب عند المسابة ما يذكر الصائم بفائدة صومه ، وينبهه على ثمرتها ليجنبها وينتفع بها .

قال صلى الله عليه وسلم : « والذي نفس محمد بيده خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » :

أعظم وجه تقع عليه العبادة أن يقبل عليها صاحبها مقتبط بها شاكرًا نعمة ربه بهدايته إليها وتوقيفه لها ، ولا يخشى على العبادة من شيء أكبر من تأذى صاحبها منها وتبرمه بها . ولما كان ترك الطعام والشراب مما يؤدي غالبًا إلى تغيير رائحة الفم ، فيشم لمرء ذلك من نفسه ، ويعلم أن غيره قد يشمه منه فيتأثر ويتبرم ، أزال المولى تبارك وتعالى عنه هذا الشعور ، شعور السأم والكراهية ، بهذا المثل الذي هو في غاية الحسن . ومعنى أنه أطيب عند الله من ريح المسك مع أنه جل شأنه متعال عن أن يلتذ برائحة طيبة أو يتألم لرائحة كريهة : أن ذلك يقع منه موقع الرضا والقبول ، ويقرب صاحبه إلى

مرضاته، كما يكون من أحدم تقريب المسك من أنفه لطيب رُحته . فهو من باب التمثيل والسكناية عن الرضا . وقيل إن ذلك يكون في الآخرة : تكون أفواه المؤمنين الصائمين ذات رُحة ذكية عطرة طيبة أطيب من ريح المسك . وقيل إن هذا بالتسبية لاستطابة الملائكة . واستشهد القائلون بأنه في الآخرة بقوله : عند الله ، فقد عُرِفَتْ هذه الكلمة في بيان أحوال الآخرة كقوله تعالى : « وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدّون » ، فإن معناه في الآخرة . واستشهد القائلون بأن ذلك في الدنيا بقوله في بعض الروايات : « حين يمسي » ولعمري لم لا يكون كل ذلك مشمولاً بمعنى الحديث ؟ فهذا الخلو ف مرضى عند الله في الدنيا مثاب عليه بتطيب أفواه أصحابه في الآخرة ، تحبه للملائكة وتثني على صاحبه . وفضل الله وسع فلا يحجر .

قال صلى الله عليه وسلم : « للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح ، وإذا لقي ربه فرح بصومه » :

هذا من تصيير النفس على ما لعلمها تنكره منه . وقد قرن الفرحتين على بُعد ما بينهما في القدر لينبه بمشاهدة الأولى في العاجل على تحقق الثانية في الآجل . ولكن ما عند الله خير وأبقى .

نسأله تعالى أن يوفقنا لطاعته ، وأن يرزقنا حسن مثوبته ، فالكل منه وإليه ، ولا اعتماد لنا إلا عليه . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأُمّى وعلى آله وصحبه وسلم

ابراهيم الجبالي

## العمل بالعمل

قال مالك بن دينار : العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلب كما يزل الماء عن الصفا ( الصفا هو الحجر الأملس ) .

وقال حكيم : لولا العمل لم يطلب العلم ، ولولا العلم لم يطلب العمل .

وقال الصائغ :

ولم يحمدا من عالم غير عامل ولم يحمدا من حامل غير عالم

## عمرو بن العاص رضى الله عنه

أتينا في العديدين السالفين من هذه المجلة على تاريخ القاندين الكيبرين أبى عبيدة ابن الجراح وسعد بن أبى وقاص اللذين فتحا بابين عالميين فى وجه الدعوة الاسلامية ، فانتشر الاسلام بعملهما فى أمم كان لا يعرفها العرب فى جاهيتهم ، ولم تمت إليهم بصلة ، وما فتى ، ينتشر بعد ذلك حتى بلغ المحيط الهادى فى أقصى بلاد الصين . وفى هذه العجالة نريد أن نلم بسيرة عمرو بن العاص فاتح مصر ، إذ أنه لم يوطد قدمه فى مصر حتى شاع الاسلام فى أفريقيا شيوع النور فى البيداء الظلماء ، فأصبحت بفضلہ معقلا من معاقل الاسلام المنيرة .

### نسب عمرو بن العاص واسمه ومناقبه :

هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم القرشى السهمى . وأمه التابعة بنت حرملة من بنى جلال بن عتيك ، سبيت أيام الجاهلية فى وقعة حربية فبيعت بعكاظ ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة ، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ، ثم صارت الى العاص بن وائل ، فولدت له عمرا . فنشأ من صميم قريش وأصبح رجلا من رجالها ، حتى إنه لما هاجر المسلمون الألوان الى الحبشة هربا من اضطهاد قومهم لهم ، ندبته قريش رسولا منهم الى النجاشى ملك الحبشة لينأوضه فيمن لجأ اليه من المسلمين وهم جمعهم بن أبى طالب ومن معه ، فلم يقبل عاھل الحبشة أن يردهم . ثم انبرى لعمرو بن العاص فقال له : كيف يغرب عنك أمر ابن عمك يا عمرو ، فوالله إنه لرسول الله حقا ، فقال عمرو : وإنك لتعتقد ذلك أبها الملك ؟ قال : إى والله فأطعنى . فقال عمرو : فأنا أبايعك له . فبايعه له على الاسلام من ساعته .

ثم قدم مكة ولبت فيها ثمانى سنين ، ثم هاجر الى النبى صلى الله عليه وسلم قبل فتح

مكة بستة أشهر ، وكان معه في هجرته خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة العبدري ، فتقدم خالد وأسلم وبايع ، ثم تلاه عمرو فأسلم وبايع على أن يغفر له ما كان قبله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الاسلام يحب ما قبله » أي يزيله ويلاشيه .  
وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في عمرو بن العاص قوله : « ابننا العاص مؤمنان : عمرو ، وهشام » .

صحب عمرو رسول الله صلى الله عليه وسلم حصة مخلصه ، وكان محببا اليه ، حتى إنه قال : ما عدل بي رسول الله وبخالد بن الوليد أحدا من أصحابه في حربه منذ أسلمت .  
فكان أول ما خدم به الاسلام أن جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم أميرا على سرية الى ناحية يقال لها ذات السلاسل من أرض بني يلى وعذرة ، ليدعوا أعرابها الى الاسلام .

ثم ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمان ، فلم يزل واليا عليها حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
ثم أرسله أبو بكر مع أبي عبيدة لفتح الشام ، فكان أحد قواده العظام ، شهد جميع معاركها .

وولاه عمر فلسطين ، ثم كلفه فتح مصر ، فلما تم له النصر فيها جعله واليا عليها ، فبقي حتى توفي عمر ، وليث فيها أيضا أربع سنين من خلافة عثمان . فلما عزل عنها أقام بفلسطين ، وكان يتردد على المدينة .

فلما تولى الخلافة معاوية بن أبي سفيان بعد مقتل عثمان وعلى رضي الله عنهما ، ولي عمرو بن العاص مصر ، فليث فيها واليا عليها حتى مات سنة ٤٣ هـ فصلى عليه ابنه عبد الله ودفن بالمقطم .

لعمرو بن العاص شعر حسن ؛ فنه ما قاله يخاطب به عمارة بن الوليد عند النجاشي وكان بينهما جفاء :

إذا المرء لم يترك طعاما بحبه ولم يته غاويا حيث يما  
قضى وطرا منه وغادر سبة إذا ذكرت أمثالها تملأ الفها  
فتح عمرو بن العاص مصر :

لما أتم المسلمون فتح الشام على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، خلا عمرو بأمر المؤمنين وحسن له فتح مصر ، وجب ذلك الى نفسه ، وهون عليه أمرها . فتردد الخليفة أولا بسبب تفرق جيوشه في سورية والعراق وبلاد الفرس ، ولكن عمرو ابن العاص لم يزل بالفاروق حتى أذن له في السير الى مصر على رأس أربعة آلاف رجل كلهم من بني عك . فسار بهم عمرو قاصدا مصر سنة ( ١٨ ) للهجرة الموافقة لسنة ( ٦٣٩ ) للميلاد . فلما وصل مدينة الفرم ، وكانت على حدود مصر ، وجد بها جنودا رومانيين فقاتلهم شهرين متتابعين حتى هزمهم . ثم تابع زحفه حتى وصل الى البقاع التي تقوم عليها الآن القناطر والقصاصين والتل الكبير ، فدافعت عنها كتائب رومانية ، ولكنها لم تثبت أمام هجمات المسلمين ، فولت مدبرة ، فانفتح الطريق أمام عمرو الى بلبس وكانت بها حامية قوية من الرومانيين ، فحاصرها المسلمون شهرا ثم اقتحموا المدينة وقاتلوا من بها قتالا عنيفا ، فم لهم فتحها . وفيها انضم الى المسلمين كثير من البدو ، وهم بقية العرب الذين كانوا فتحوا مصر وحكموها خمسة قرون الى القرن ( الثامن عشر ) قبل الميلاد .

ثم زحف بمن معه الى أم دُنين وكانت في مكان القاهرة اليوم ، فحدث بينه وبين الجيوش الرومانية وقائع انتهت بفتحها .

فلم يبق أمام عمرو إلا ضرب الجيوش الرومانية مجتمعة ضربة قاضية في معركة فاصلة ، ولكنه خشي الغلبة لقلّة جيوشه ، فكتب الى أمير المؤمنين يستعده ، وشعر قائد الرومانيين بذلك ، فصمم على سحق العرب قبل أن يأتيهم المدد ، فزحف على قاعدة جيشهم في عين شمس بعشرين ألفا ، والمسلمون لا يبلغون أربعة آلاف مقاتل هنا

ظهرت مواهب عمرو في وضع الخطط الحربية ، ونجحت رباطة جأشه وشجاعة من معه ظهورا رائعا . فوضع عمرو كميننا من جنوده في موضع بالقرب من الجبل الأحمر شرق العباسية ، ووضع كميننا آخر من الجنود قريبا من قرية أم دنين مكان القاهرة اليوم ، وصمد هو الى الجيش الروماني بالجزء الأكبر من جنوده ، فلما استبحر القتال أثار عمرو الكمينين على جناحي الجيش الروماني وساقته ، فأبليا بلاء حسنا ، ولم يكن يحسب الرومانيون لهذه المداورة حسابا ، فختلت تعبئة جيشهم ، واعتل نظامه ، وأخذ يزل مواقفه ولا يستطيع الى ذلك سبيلا ، وأثخن المسلمون فيهم أيما إثخان .

بعد هذه المعركة لبث العرب مكانهم ينتظرون مدد أمير المؤمنين حتى وصل اليهم ومعه كتاب من الفاروق هذا نصه :

« إني أمددك بأربعة آلاف رجل منهم أربعة كل منهم يعد بألف : الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبيدة بن الصامت ومسلمة بن غنم ، واعلم أنه صار معك اثنا عشر ألفا ولا يقلب اثنا عشر ألفا من قلة » .

لما تلقى عمرو هذا المدد زحف يمحشه على حصن بابليون وعليه القائد (سيروس) ، وهو الذي سماه العرب بالمقوقس ، وتحت إمرته جميع الجنود الرومانية .

وحصن بابليون هذا كان قائما على الجزيرة المعروفة اليوم بجزيرة الروضة ، وهي محاطة بالماء من كل جانب . ولما زحف عليها عمرو بن العاص كان النيل عاليا ، فانتظر حتى جاء شهر أكتوبر ، وهبط منسوب النيل وأزمع مهاجمة القلعة ، فرأى المقوقس أن رد العرب عن البلاد غير متوقع ، فحاول أن يتفق معهم ، فلم يقبلوا منه غير الاسلام أو الجزية . فقبل ضرب الجزية على مصر ، وكتبت على ذلك معاهدة بينه وبينهم ، أرسل بصورتها الى الإمبراطور هيرقل بالقسطنطينية . فدهش عاهل الرومانيين من خنوع هذا العدد الضخم من الجنود الرومانية التي كانت بمصر لجيش مهاجم لا يباغ عشرين ، فاستدعى اليه المقوقس ليفاوضه في الأمر ، وبقي العرب محاصرين للحصن ،

فعيل صبرهم من طول الوقت ، فاقترح الزبير بن العوام على عمرو أن يحاول فتح الحصن بعمل جرىء يقدم عليه ، فقبل منه ، فوضع سلما الى جانب الحصن وصعد عليه حتى انتهى الى أعلاه ، وكبر ، فتسارع اليه رجال من أهل النجدة والجراءة أعدهم لموافاته حيث هو ، فلما تم صعودهم كبروا ، فأجابهم المسلمون جميعا قلم يشك الذين هم داخل الحصن أن المسلمين قد فاجأوهم من كل مكان ، فتخاذلوا عن ردهم ، حتى تمكن الزبير ومن معه من فتح الأبواب ، فافتحمه المسلمون ، فواسع الجنود الرومانيين المحصورين في الحصن غير التسليم ، فأسرم الفاتحون .

في هذه الفترة كان قد رجع المقوقس من القسطنطينية لتولى منصبه الاصلى وهو البطريركية القبطية ، فرأى أن الأسلم لقومه وللرومانيين الاتفاق مع العرب ، فمقد مهمم معاهدة تتلخص فيما يلي :

- (١) أن تدفع مصر الجزية للدولة الاسلامية .
  - (٢) وأن تجلو الجيوش الرومانية من الاسكندرية .
  - (٣) وأن لا يضطهد الفاتحون المسيحيين وأن يعاملوهم برفق .
  - (٤) وأن يسمح لليهود بالإقامة في الاسكندرية .
- لما أعلنت هذه المعاهدة هاج الإسكندريون وهاج جنود الدولة الرومانية ، ولكن المقوقس صرح لهم بأن ما فعله هو خير لهم من جميع الوجوه .
- فلما كتب المقوقس الى قيصر الرومان بما فعله ، قبض فعله ورماه بالجبن ، وأمره أن يقاوم العرب معتمدا على الرومانيين وحدهم إن تخلف عنه القبط ، فرد عليه المقوقس بأن ما فعله هو الصواب حقنا للدماء ، ومراعاة لمصلحة البلاد ، وأنه لا يسعه تقض ما أمره .

وصرح لعمر بن العاص بأن الصلح قد تم بين القبط والمسلمين ، وأنه لا يسأل عن موقف الرومانيين حياله ، فقبل عمرو هذا الصلح ، وأخذ يتعقب الرومانيين



ليتعم إجلالهم عن مصر . فزحف على الاسكندرية ، وكان الرومانيون قد تجمعوا بها وواقف فيها من الخارج عدد عظيم من الجنود ، تخرجوا للملاقاة عمرو ، فالتقى الجيشان في قرية سلطيس فانهزم الرومانيون الى الكريون ، فدحرم عمرو فيها أيضا ، فاجأوا الى حصون الاسكندرية وكانت من المناعة بكان عظيم ، واعتزم القيصر نفسه أن يوافي المدافعين عنها ليشجعهم على الثبات ، فاتفق أن قتله خارج عليه قبل حضوره ، فقتل ذلك في عضد الرومانيين وكسر من شرتهم ، ففر منهم عدد كبير ، وأصر المسلمون على أخذ المدينة عنوة بعد أن حاصروها أربعة عشر شهر ، فدخلوها ظافرين ، وفر بعض الرومانيين من ناحية البر وبعضهم من ناحية البحر ، فرأى عمرو أن يتعقب المهزمين را ، كيلا يقطعوا عليه خط الرجعة أو يحدثوا حدثا آخر ، فانهز الذين ركبوا البحر هذه الفرصة وعادوا فاحتلوا الاسكندرية وأوغلوا في حاميتها الاسلامية قتلا ، فاضطر عمرو الى الرجوع اليها وإعادة فتحها .

فلما أتم الله عليه نعمة هذا النصر العظيم كتب الى أمير المؤمنين الفروق يشره به ، ويستأذنه في أن يجعل الاسكندرية عاصمة للمملكة المصرية ، كما كانت منذ أسسها الاسكندر الأكبر . فلم يوافق عمر على هذا الرأي ، فتحول الى ممسكوه عند ما كان محاصرا الحصن بابليون ، وبني في مكان قسطاطه ( أى سراقته ) مدينة دعيت بالقسطاط لهذه المناسبة .

كان ذلك سنة ٢١ للهجرة الموافقة لسنة ( ٦٤١ ) للميلاد .

لم تقف همة عمرو بن العاص عند فتح مصر ، ولكنه زحف غربا لفتح بركة ، وكان ذلك سنة ( ٢٢ ) هـ فصالحه أهلها على الجزية ، ثم سار قاصدا طرابلس فحاصرها شهرا لم يظفر منها بشيء ، فاحتال بضمة رجال من جنوده على اقتحام أسوارها ، فلما كبروا خيل لحمتها من الرومانيين أن المسلمين قد توصلوا لكسر أبوابها ، فقد داخلهم الذعر وألقوا بأنفسهم الى السفن ، وفي هذه الأثناء تسربت جنود المسلمين الى المدينة

وأعملوا السيف فيمن بقى من حامتها حتى سلموا . وكتب عمرو الى أمير المؤمنين يبشره بالفتح الجديد ويستأذنه في المسير الى تونس ، فورد إليه جوابه بالاكتماء بما حصله من الفتح . فجعل على برقة حكومة إسلامية وعاد هو الى مصر لينظم إدارتها ، ويصلح أحوالها بما عهد فيه من حسن السياسة ، وعظيم الكياسة .

فبقى عمرو واليا على مصر كما قدمنا مدة حياة عمر بن الخطاب ، ولما تولى عثمان أبقاء فيها أربع سنين أخرى ، ولما تولى معاوية ولأه عليها فبقى واليا عليها حتى توفى رضى الله عنه سنة ( ٤٣ ) هـ .

مكتم عمرو ونفواه ووفاته :

كان عمرو بن العاص مع علمه بفنون الحرب وسياسة الشعوب حكيما أريبا . من آثاره في الحكمة ما قاله لابنه يوما :

« يا بني : إمام عادل ، خير من مطر وابل ، وأسد حطوم ( أى شديد التحطيم ) ، خير من إمام ظلوم ، وإمام ظلوم ، خير من فتنة تدوم . يا بني : مزحة الأحمق ، خير من مصالحته . يا بني : زلة الرجل عظم يجر ، وزلة اللسان لا تبقى ولا تذر . يا بني . استراح من لا عقل له » .

وقال : « ليس العاقل الذى يعرف الخير من الشر ، ولكنه الذى يعرف خير الشرين » .

وقال معاوية لعمر بن العاص يوما :

« من أبلغ الناس » ؟ قال : « من كان عقله رادا لهواه » ، قال : « فن أسخى الناس » ؟ قال : « من بذل ديناه فى إصلاح دينه » ، قال : « فن أشجع الناس » ؟ قال : « من رده لجهل بحلمه » .

ومن أخباره فى الورع وتقوى الله ، أنه وقع بينه وبين المغيرة بن شعبه نزاع ، فسبه المغيرة . فقال عمرو بن العاص وقد أخذ منه الغضب : يال هصيص ، يسبني المغيرة :

وكان ابنه عبد الله حاضرا فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أدعوة القبائل وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ؟

فندم عمرو على ما قال وكفر عن كليته هذه بثلاثين رقية أعتقها الله تعالى .  
ويروى عن قبيصة بن ذؤيب أنه قال :

صحبت عمر بن الخطاب فإ رأيت رجلا أقرأ لكتاب الله منه .

وصحبت طلحة بن عبيد الله فإ رأيت أعطى للجزيل من غير مسألة منه .

وصحبت معاوية بن أبي سفيان فإ رأيت رجلا أثقل حلما منه .

وصحبت عمرو بن العاص فإ رأيت رجلا أئين طريقا ، ولا أكرم جلساء ، ولا أشبه سريرة بعلائية منه .

وصحبت المغيرة بن شعبه فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بالكر ، يخرج من أبوابها كلها .

وروى عن ربيعة بن ربيعة بن لقيط قال : سمعت عمرو بن العاص يصلى بالليل وهو يبكى ويقول : اللهم آتيت عمرا مالا ، فإن كان أحب إليك أن تسلب عمرا ماله ولا تعذبه بالنار ، فاسلبه ماله . وإنك آتيت عمرا أولاد ، فإن كان أحب إليك أن تشكل عمرا ولده ولا تعذبه بالنار ، فأهلكه ولده . وإنك آتيت عمرا سلطانا ، فإن كان أحب إليك أن تنزع عنه سلطانه ولا تعذبه بالنار ، فانزع منه سلطانه .

روى عن عبد الرحمن بن شماس قال : « لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى ، فقال له ابنه عبد الله : يا أبت لم تبكى ، أجزعا من الموت ؟ قال : لا والله ولكن لما بعد الموت . فقال له : يا أبت إنك كنت على خير . وجعل يذكر صحبتته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن بلائه في الشام ومصر . فقال له عمرو : لقد تركت أفضل من ذلك : شهادة أن لا إله إلا الله ، إني كنت على أطباق ( أى حالات ) ثلاث : كنت أول شيء كافرا ، فكنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلومت حينئذ وجهت لى

النار ، فلما بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كنت أشد الناس حياء منه ، فو مت  
لقال الناس هنيئاً لعمرى ، أسلم وكان على خير ومات فترجى له الجنة ، ثم تلبست بالسلطان  
وأشياء ، فلا أدري أعلى أم لى ، فإذا مت فلا تبكين على باكية ، ولا تتبعنى نائحة ولا نار ،  
وشدوا على إزادى فإنى مخاصم ، وشنوا على الترب فإن جنبي الأيمن ليس بأحق  
بالتراب من جنبي الأيسر ، ولا تجعلن فى قبرى خشبة ولا حجراً ، وإذا وارىتمونى  
فاقمعدوا عندى قدر نحر جزور وتقطيعه ، أستأنس بكم ، وأنظر ماذا أوامر رسل ربى .  
ولما قرب أن تفارق روحه جسده قال : « اللهم إنك أمرتني فلم أأمره وزجرتني  
فلم أزدجر ، ثم وضع يده على موضع الغسل ( أى قيد اليد ) وقال : « اللهم لا قوى  
فأنتصر ، ولا بوى ، فأعتذر ، ولا مستكبر بل مستغفر ، لا إله إلا أنت » ، فلم يزل يرددّها  
حتى مات رضى الله عنه .

هذه سيرة فاتح باب القارة الإفريقية فى وجه الدعوة الإسلامية ، وإنه لمن آيات  
البطولة ، أن ينتدب جيش لا يزيد عدده على ثمانية آلاف رجل لفتح مملكة كانت  
أثمن درة فى تاج الإمبراطورية الرومانية ، وكان بها من الحماة والمقاتلة ما يعد بعشرات  
الألوف ، غير ماورد اليهم أثناء الحرب ، وغير ما كانوا عليه من كثرة السلاح وتوفر  
الوسائل ، وقرب المسافة بينهم وبين قاعدة ملكهم .

وإن كانت هذه من آيات البطولة لجيش فى مثل هذا العدد من معجزات القيادة  
أن يدفع بهذا الجيش من نصر الى نصر ، وأن يحتفظ به بعيداً عن النكبات والمفاجآت  
فى وسط بلاد ليس بينها وبينه أصرة من دين ولا جنس ولا لغة .

هذه حوادث اعتاد الناس أن يقرءوها فى تاريخ المسلمين معجبين بها تحسب ،  
ولكنها تستدعى فوق الإعجاب أن ينظر اليها كأثر حتى لما تستطيع أن تقوم به العقيدة  
النفسية ، والابمان الراسخ من الأعمال التى لا تعلق بالأسباب الظاهرية .

وإذا كان نابليون يفتخر بأنه افتتح مصر بخمسة وعشرين ألفاً من الجنود على

شراذم من المماليك ، فإن عمرا قد فتحها بثلاث هذا العدد ضد أمبراطورية كانت لها السلطان المطلق في الأرض .

وإذا كان العالم يعتبر مصر اليوم أمن درة في عقد الممالك الإسلامية ، فإن الفضل في ذلك يرجع الى عمرو بن العاص وبضعة الآلاف من الأبطال الذين باعوا أنفسهم في سبيلها ، فسلام عليه وعليهم في الفاتحين ، والحمد لله رب العالمين

محمد فريد جري

## ما قيل في العلم والعلماء

قال الحسن البصري رضى الله عنه :

قد يكون الرجل عالما ولا يكون عابدا ، ويكون عابدا ولا يكون عاقلا .  
وقد تحقق قول الحسن هذا في مسلم بن يسار ، فقد كان عالما عابدا عاقلا .  
وقد قيل : ما قرن شيء الى شيء أفضل من حلم الى علم ، ومن عفو الى قدرة .  
وقالوا : من تمام آلة العلم أن يكون شديد الهيبة ، رزين المجلس ، وقورا صموتا ، بطيء  
الانفتاح ، قليل الاشارات ، ساكن الحركات ، لا يصخب ولا يغضب ، ولا يهتم في كلامه ،  
ولا يسبح عنونه عند كلامه في كل حين ، فان هذه كلها من علامات العي .  
ومدح العلامة عبد الله بن المبارك مالك بن أنس فقال :

يأبى الجواب فما راجع هيبة      فالسائلون نواكس الاذقان  
هدى الوقاو وعز سلطان النقي      فهو المهيب وليس ذا سلطان  
وقال فيه أيضا :

صمت إذا ما الصمت زين أهله      وفتاق أبكار الكلام المختم  
وعى ما وعى القرآن من كل حكمة      وسيطت له الآداب بالحم والدم

## حكمة الصيام في الاسلام

الصيام عند الأمم القديمة :

المتتبع لتاريخ الأمم من الناحية الدينية يجد أن تلك الأمم قاطبة اعتبرت الصيام ركنا من أركان عباداتها . فنصت شريعة ( مانو ) في الهند على ضرورة عادة إياه من خير الأعمال العبادية ، وقد عمل البراهمة بهذه الشريعة من أقدم عهودهم . والمعروف أن البراهمة من أشد الأمم مراعاة للصيام ، حتى إنهم لا يعفون منه الشيوخ ولا المرضى .

والطائفة المعروفة عندهم باليوغيين وهم المنقطعون للعبادة يصومون من عشرة أيام إلى خمسة عشر يوما لا يذوقون طعاما غير صيبات من الماء .

أما بوذيو التبت فلم نوعات من الصيام ، أحدهما مدته أربع وعشرون ساعة لا يذوقون فيها شيئا حتى ولا يجوز لهم ابتلاع ريقهم ، وقد يمد بعضهم هذا الصيام إلى ثلاثة أيام لا يفطر في كل يوم إلا على قدح من الشاي .

والنوع الثاني مدته أربع وعشرون ساعة كالنوع الأول ، غير أن الصائم فيه له أن يفطر على ما يشتهي من الأطعمة دون أن يكون مقيدا بالإفطار بالشاي .

وعرف الصينيون الصيام من أقدم عصورهم ، فكانوا يقومون به تعبدا ، ويوجبونه على أنفسهم في أوقات الفتن .

وكان المصريون القدماء يصومون في جميع أعيادهم الدينية . وكان فساوستهم يصومون من سبعة أيام إلى ستة أسابيع .

وكان الألوزينيون والتسموفوريون من قدماء اليونانيين يكفون نساءهم بالصيام فيجلسن على الأرض في حالة اكتئاب وكند قياما بآدابه عندهم .

وكان اللاسيديمونيون من القبائل ليونانية القدينة يصومون أياما متوالية قبل  
شروعهم في حرب .

وكان قسيسو جزيرة كريد في ذلك العهد لا يأكلون طول حياتهم لحما ولا سمكا  
ولا طعاما مطبوخا .

أما الرومانيون فقد عرف عنهم أنهم كانوا يصومون ، وكانت جميع شعوب إيطاليا  
يصومون كذلك ، حتى لقد روى أن الثاراتيين لما حاصروهم الرومانيون صاموا عشرة  
أيام استنزالا للنصر .

أما لدى اليهود فقد ورد في كتابهم إشادة بذكر الصيام ، وكان قدماؤهم  
لا يكتفون منه بمجرد الامتناع عن الطعام من النساء الى النساء ، ولكنهم كانوا يمتصون  
الصيام مضطجعين على الحصى والتراب ، ومستشعرين حزنا عميقا على ما أصابهم من الفتن ،  
حتى إنهم ما كانوا يمشون في أثناؤه زواجا .

واليهود المعاصرون لا يصومون في السنة أكثر من ستة أيام ، أما أتقيائهم  
فيصومون شهرا كاملا ، ويفطرون كل أربع وعشرين ساعة مرة واحدة عند  
ظهور النجوم .

ويصوم اليهود اليوم التاسع من شهر آب في كل سنة ، ذكرى لخراب  
هيكل أورشليم ، وكانوا يستعدون للصيام قبل حلوله ، فكانوا يقتصرون قبله على تناول  
لبن واحد . ويزيد أتقيائهم على هذا أكلهم الخبز مأدوما بالتراب ، ونومهم ليلتهم على  
الأحجار ، وم في حالة عويل ونواح على ما أصابهم من تلك الكارثة العظيمة .

والنصارى يصومون في كل سنة أربعين يوما مقتدين بديسى عليه السلام . وكان  
الأصل في صيامهم الامتناع عن الأكل بتاتا ، والإفطار في كل أربع وعشرين ساعة  
مرة ، ثم قصره على الامتناع عن أكل كل ذى روح وما ينتج منه من اللبن  
والزبد والجبن .

ولدى النصارى أيضا صيام الفصول الأربعة، وهو صيام ثلاثة أيام في كل منها .  
ولديهم أيضا صيام الأربعاء والجمعة تطوعا لا فرضا .

### الصيام في الإسلام :

فرض الله على المسلمين أن يصوموا شهر رمضان ، فقال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ ، فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ، فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ، مَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ، يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ، وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .  
والصيام عند المسلمين آداب لا بد من مراعاتها ، منها غرض البصر عن كل مذموم ومكروه وما يثير الشهوة ، وحفظ اللسان من الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والخصومة والمرء ، وكف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه ، وكف بقية الجوارح عن الآثام والشهوات ، وأن لا يستكثر من الطعام وقت الإفطار والسحور ، فيكتفي بما يحفظ عليه صحته ولا يوقعه في التخمة ، أو سوء الهضم .

والغرض من هذا أن يتأهل المسلم للاستفادة من مزايا الصيام الروحية والجسدية ، فإن الله لم يفرض الصوم على الناس تعذيبا لهم أو انتقاما منهم ، ولكنه فرضه لمصلحة نفوسهم وجسومهم ، كما قال تعالى : « مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ، وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنِيعَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

### الصوم صير أفعال العوازل للترقي الروحاني :

«لأنسان جسد وروح ألف الخالق بينهما على اختلاف طبيعتهما إلى حين .



فأكثر الناس تنسلط المطالب الجثمانية عليهم فتخرج بهم في حمار الشهوات، فيصيحون خطرا على أنفسهم وذويهم ومجتمعاتهم.

وقد شرع الاسلام ليلبغ الانسان في حدود الاعتدال، ودائرة الإمكان درجة عالية في الرفيق الأعلى، فكافه بآداب وأخلاق، مراعيًا فيها ضعفه، وملاحظًا قابليته، وأوجب عليه عبادات تتكافل كلها في إيتائه بقوة معنوية يتغلب بها على الوسائل التي تدفعه لخلع العذار والمضي خلف الأهواء. فشرع له الصلاة ليستمد منها الخشية من الله ودوام مراعاة أوامره في كل معاملاته لغيره؛ وشرع الصوم ليؤهله للعروج في مدارج الكمال والتجرد بقدر الإمكان من عالم المادة.

نعم، فإن الانسان في حالة الاعتدال تتعادل فيه قوته الروحية والجسدية، فإذا غلب على نفسه صفات البهائم، بطل تعادل قوته واقترب من اعالم الحيوان. أما إذا امتنع الانسان عن الطعام والشراب، وراعى ما ذكرناه من الآداب، فقد تصف بما عيه الملائكة من التجرد عن سلطان المادة فالتحق بهم، وكان وهو في تلك الحالة أهل ما يكون للتجليات الإلهية، والإشراف الروحانية، فيكتسب بذلك قدرة على مغالبة الشهوات، وقوة على مكافحة الأهواء، ويزداد من الله قربا ومن عوامل الشر بعدا.

أما من الناحية العبادية، فإن الصيام الاسلامي بالمكان الأرفع منها، حتى شرفه الله بنسبته الى نفسه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه من حديث فدى: « الصوم لى وأنا أجزى به ». ذلك لأن في كبح النفس عن أحب شهواتها إليها، إيذانًا من الصائم بكمال التسليم لأوامر مبدعه، والتسليم غاية غايات العبودية، بل هو معنى الاسلام وحقيقته، والصوم مع أنه قربة من أكبر القربات في ذاته، يمد النفس البشرية ويؤهلها لجميع الخصال السكرية التي أمر الله عباده بالأخذ بها: كالعطف على المساكين، والحذب على المحرومين، والرحمة بالضعفاء والمصابين، وإغاثة

المملوفين ، والتنفيس عن المكروبين ، والشعور بمحاجات المحتاجين . وهذه الخصال مجتمعة تنبه القلوب لضرورة التكافل بين الأقوياء والضعفاء ، وبين الأثرياء والفقراء . وفي أعقاب هذه الصفات تضام الأحاد وتضافرهم على القيام بعمام الاجتماع كله ، والاضطلاع بأعبائه . وثمرة ذلك ترحم الوجهة ، واجتماع الكلمة ، وقيام دولة الحق في الأرض .

وقد عرف علماء النفس حديثاً أن الصيام يقوى الإرادة الانسانية ، ويمد النفس بوسائل معنوية تغلب بها على المطالب الجسدية ، فيصرف وجوده المادي على ما يقتضيه عقله ، لا على ما تطبعه فيه غرائزه البهيمية .

وعلى هذا الأساس العلمي وضع الأستاذ الألماني ( جيهاردت ) كتاباً في تقوية الإرادة ، جعل أساسه الصوم ، وذهب فيه الى أن الصوم هو الوسيلة الفعالة لتحقيق سلطان الروح على الجسد ، فيعيش الانسان مالكاً زمام نفسه ، لا أسير ميوله المادية ، تقوده الى الهلكات وهو يعلم أنه مقود اليها لا محالة .

فحكمة الصيام لا تقدر من هذه الناحية ، وطريقته في الاسلام أحسن الطرق ، وأكفلها لتحقيق جميع الأغراض المرجوة منه ، كما ستراء هنا .

#### أثر الصوم في صحة الجسم :

قد ثبت علمياً أن مزايا الصوم لا تقتصر على الناحية الروحانية من الانسان ، ولكنها تشمل الناحية المادية منه أيضاً .

تبين للمشتغلين بعلاج الأمراض منذ وجد علم الطب ، أن للأغذية دخلاً عظيماً في إصابة الأجسام بالأدواء المختلفة ، لا من ناحية الإفراط فيها فحسب ، ولكن من ناحية التسمم بالعناصر الداخلة في تركيبها أيضاً .

أما تأثير الإفراط فيها فمعلوم ، ومن آثاره التخم ، وسوء الهضم ، وأمراض المعدة والسمن ، ولترهل ، وخمود الفطنة ، والبول السكري ، وتشحم القلب الخ ، حتى قال

أبو قرط منذ نحو خمسة وعشرين قرناً: « أكل الناس أكل السباع فرفضوا، فغذوناهم بأغذية الطيور فصحوا » .

وقد اتضح للناس كافة أن الحمية رأس الدواء، جرى عليها الأطباء منذ أقدم عهود التاريخ. وقد جاء في ذلك: « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء » .

وأما تأثير الأغذية من ناحية التسمم بها فأمره مقرر معروف، وذلك أن الإنسان باستكثاره من ألوان الطعام يدخل إلى معدته ضرراً شتى من المواد المتعاكسة الطبيعية تتركب في القناة الهضمية تركيباً جديداً، فتولد متحصلات ضارة بالبنية. فقد شوهد أن زيادة تناول المواد الالائية يفرض إلى استحالة ما يزيد منها عن حاجة الجسم إلى بولينا، وهذه بآثارها بقليل من الأكسجين تصير حمضاً بولياً، وهو سم شديد الفعل يصيب البدن بأمراض ثقيلة، ولا يمكن التخلص منه إلا بحمية طويلة وأدوية كثيرة. هذا مصداق لقول النبي صلى الله عليه وسلم: « ماملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه » وقوله: « حسب الإنسان من الطعام لقيات يقمن صلبه » .

فاعتماد على هذا الأساس العلمي يعتمد الأطباء في معالجتهم للأمراض على الحمية، فقد شوهد أنه بالتقليل من الطعام، وتناول الخفيف من الأغذية، تفرغ البنية للتخلص من السموم المنبثة فيها .

وقد ثبت أن للجأ إلى الصوم ينجي الإنسان من أمراض قتالة، أهمها البول السكري، فقد روت المجلة الطبية المصرية أنه عولج به ثلاثمائة شخص دفعة واحدة فشفوا جميعاً. وفي الأثر: « جوعوا تصحوا » .

#### الصوم الاسلامي غير أنواع الصيام:

الصوم في الاسلام عمل عبادي يقصد به مصاحبة الانسان جسدياً وروحياً، لقوله تعالى: « وأن تصوموا خير لكم » وقوله: « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن

يريد ليظهركم وليتم نعمته عليكم» وقد علمت مدى تأثير الصوم في الجسم والنفس معاً، وقد دل تاريخ المسلمين الأولين على مدى ما بلغوه في سنين معدودة من الصحة الجسدية والسمو الروحاني، وهو ما عجزت التربية الحديثة عن تحقيقه منذ وجودها إلى اليوم.

وهنا نريد أن ندلل على أن الصيام في الاسلام هو خير ضروبه على الإطلاق: فقد وضع على أسلوب حكيم بحيث ينتج جميع ما ينتظر منه من فائدة جسدية وروحية، ولا يضر بالبنية كما قد تضرها ضروبه الأخرى.

فالذين يصومون أربعاً وعشرين ساعة متوالية ثم يفطرون على الشاي أو الخبز المغموس في الماء أو الملتاث بالتراب، هؤلاء يضررون أنفسهم ضرراً كثيراً، فقد أثبت الأستاذان الفيزيولوجيان (هنريو) و (ريشيه) أن الجسم يفقد من وزنه بالحرمان من التغذية في أربع وعشرين ساعة مقداراً محسوساً، ويقل طرد حمض الكربون من الدم، وتبطئ تهوية الرئتين فينزل مقدار ما يدخل من الهواء فيهما من ٥٠٠ إلى ٤٠٠ لتر في تلك المدة.

فإذا كان الذي يريد الاقتصاد على أكلة واحدة يعتمد على تناول كل ما يحتاج إليه دفعة واحدة، اضطر إلى ملء معدته مثلاً لا يتفق وسهولة الهضم، فلا يكتسب من وراء صيامه خيراً.

والذين يجعلون صيامهم منحصراً في الانقطاع عن أكل اللحم وما يشتق منه فإن صيامهم لا يعتبر صياماً، ولا ينتج المزايا الجسدية والروحية المنتظرة منه. فإنهم يستعوضون بالقول والزبوت عن اللحم والسمن والخبز، وهي أغذية من تلك ويمكن الاكتفاء بها مدى الحياة، فإن البوذيين لا يأكلون اللحوم بجميع أنواعها وهم عائشون كسائر الناس.

ولكن الصيام في الاسلام يحقق مزاياه من كل وجه، فهو يأمر الانسان أن يتمتع

عن الطعام والشراب من الفجر الى غروب الشمس . وقد سن له أن يجعل الإفطار وأن يتلطف فيه ، وأن يؤخر السحور ما استطاع الى قبيل الفجر ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « دامت أمتي بخير ما أخرت السحور وعجلت الإفطار » .

وكان صيام المسلمين الأولين كما رسمه النبي صلى الله عليه وسلم أن يسكروا عن الطعام والشراب والاتصال الجنسي الى غروب الشمس ، ثم يفتطرون على قليل من الماء أو التمر أو غيره ، ثم يصلون المغرب ثم يعضون هزيما من الليل في الطاعة ، ثم ينامون الى قبيل الفجر فيتناولون طعام السحور وينتظرون الفجر فيصلونه ، ثم ينصرفون الى أعمالهم .

فهذا النظام الحكيم يسمح للبنية أن تفرغ للتخلص من سمومها بإراحة المعدة أكثر من عشر ساعات متوالية ، ولا يدع عوامل التحليل تتسلط على الجسم ، فإذا توالى هذا التطهير الجثائي ثلاثين يوما ، فإن البنية تخلص من جميع سمومها ، فيشمر المؤدى لهذه الفريضة على هذا النحو بصحة كاملة ، وغبطة تامة ، وبارتقاء محسوس في نفسيته ، وقوة في إرادته .

نعم : إن من الناس من يتوسعون في الطعام في شهر رمضان ويضيعون أوقاتهم في السهر الضار بصحتهم ، ويفرطون في السحور ثم ينامون قبل تمام الهضم ، فهؤلاء لا يتبعون النظام الذي وضعه الاسلام للصوم ، وعليهم تبعه أعمالهم . وفيهم يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » .

فارجو الله أن يوفقنا لتفهم أسرار هذا الدين ، وأن يلهمنا العمل به ، فإن فيه خيرى الدنيا والآخرة .

محمد خير محمد

## بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتَاوَى

### طهارة السيدة مريم عليها السلام

ورد من السيد مرشد نور الدين بكندا السؤال عن معنى قوله تعالى : « قالوا يا مريم لقد جنّتِ شيئا فَرِيًّا » : أمر ادم رميها بالفحشاء ، أم يريدون شيئا عظيما لم يعين فنسكت عنه ؟

### الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ، وعلى أتباعهم بإحسان الى يوم الدين .

أما بعد : فإن كل مسلم يدين بالاسلام ، ويصدق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويؤمن بكتاب الله الحكيم ، يؤمن بإيمانا لا شك فيه بأن سيدتنا مريم عليها السلام مبرأة من كل فاحشة تشينها ، طاهرة من كل وصمة تحط من قدرها ، وأنها من أفضل نساء العالمين ، ومن شك في ذلك فهو كافر ، فقد نطق القرآن لكريم ببراءتها ونزاهتها ، وأثنى عليها بأن الله اصطفاها وطهرها ؛ قال تعالى في سورة آل عمران : « وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » فكرر الإخبار باصطفائها مرتين ، وأخبر بطهارتها فن شك في طهارتها فقد شك في صدق كلام رب العالمين .

وقال عز وجل في سورة التحريم : « ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » فإحصانها فرجها وعصمتها من الفاحشة وأن عيسى جاء بلا أب وإنما هو من نفخ الروح ، كل هذا ظاهر صريح لا يشك فيه مسلم . بل لقد أخبر الله عز وجل بكرامتها من أول نشأتها ، وأنها محل

الرعاية الالهية من يوم ولادتها، فقال تعالى في سورة آل عمران حكاية عن أمها : « قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأُنثى وإنى سميتها مريم ورب أعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » وقال عز وجل عقب ذلك : « فتقبَّلها ربُّها بقبولٍ حسنٍ وأُنَبِّئُهَا نَبَأَنَا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » فانظر ما في هذا من التنويه بشأنها، وحياطتها بالكرامة من أول نشأتها . فهل يشك بعد ذلك مسلم في طهارتها ونزاهتها ؟ وقد شنع على اليهود وندد بقبيحتهم في قوله تعالى : « وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً » .

هذا ما يتعلق بالسيدة مريم عليها السلام في ذاتها . وأما ما يتعلق بالآية الكريمة الواردة في السؤال ، وهي قوله تعالى : « فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا » فقد نقل فيه عن أئمة التفسير قولان : ( أحدهما ) أن معنى « فريا » فيه أنه أمر عظيم عجيب لم يسبق له مثيل . وأصله من قولهم : فرى الجلد قطعه ، كأن ذلك الأمر لغرابته قطع المعتاد من الأمور . فعناه أنك جئت شيئا لا عهد لنا به ولا يهدى في مثلك ، فهو من الغرابة والعظمة والخطورة بحيث لا نعرف كيف تقبله . وعلى ذلك يكون مرادهم الاستمظام وإبداء الدهشة ، ولا يكون غرضهم التمييز . وبهذا فسر به مجاهد وقتادة والسدى على ما نقله عنهم إمام المفسرين بن جرير الطبري في تفسيره . و ( ثانيهما ) ونقل عن وهب بن منبه أن معناه : جئت أمرا منكرا ، يريدون به الفاحشة ، وذلك قبل أن يكلمهم عيسى عليه الصلاة والسلام وهو في المهد مظهرا براعتها . ومال الى هذا كثير من متأخري المفسرين استنادا الى قوله تعالى حكاية عنهم : « يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا » فإنه ظاهر في أنهم نسيوها الى المنكر وهالهم ذلك منها ، لأنها نبئت من أصل زك ، والفروع تتبع الأصول . فنفي البغى عن أمها والسوء عن أبيها ظاهر في أنهم كانوا قد تطرق الى أذهانهم رميها بذلك ، ولذلك استغربوا

صدوره ممن نبت منبتها . وتعميرهم بكلمة فريادون التصريح بذكر الفاحشة ، لأن المعتاد في ذكر الأمور القبيحة أن يعبر عنها بطريق الكناية والإجمال . وليس بمستغرب على مثلهم وقد رأوا معها ما حيرهم أن يجرؤوا على رميها بما رموها به حتى يبرئها الله على لسان ابنها وهو في المهد . والأدب مع هذا في الوقوف عند حد ما ذكره القرآن الكريم من الإجمال . والله أعلم ؟

ابراهيم الجبالي

## المعذور بالفطر في رمضان

وورد على إدارة المجلة السؤال الآتي :

سيدة عندها نزلة شمعية وربو (ضيق في التنفس) منذ سبع سنوات ، ونضطردأنا الى ابتلاع دخان (مسحوق الحبشة) بواسطة الفم ليسهل التنفس ، وبخلافه لا تستريح ، ويتمتع عليها التنفس . فما الحكم أثناء صيام رمضان : هل يبطل الصوم ؟ وإذا أبطله فما العمل إذا لم تجد وقتا للصوم ، وإنها فقيرة ليس لها إيرد تتصدق منه ، ولا يمكنها الاستغناء عن الدخان المذكور ؟

عبد الله رضوان

ناظر مدرسة بنات المجلة الكبرى

## الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه . وبعد : فتعاطى هذا المسحوق مبطل للصوم ولا كلام . فكل ما وصل الى الجوف عمدا فقد أبطل الصوم ، وعليها القضاء متى قدرت عليه ، فإن كانت لا يرجى بؤها كان عليها فدية عن كل يوم مد طعام تتصدق به على الفقراء . فإن عجزت عن ذلك استقرت في ذمتها حتى يتيسر لها أدؤها ، فإن استمر عجزها حتى ماتت كانت كبقية الديون تخرج من تركتها بعد موتها ، فإن لم يكن لها تركة فإن الله غفور رحيم ؟ ابراهيم الجبالي الشافعي



## السبوتو

وورد الى إدارة المجلة السؤال الآتى :

ما قول ساداتنا العلماء المفتين بنور الاسلام في الاسبرنو هل هو مسكر كما يشاع ،  
وإذا كان مسكرا فما حكم صلاة المسدهن بالروائح العطرية المزوجة به ؟

عمر وجدى

برواق الأكراد بالأزهر

## الجواب

أجمع الأئمة على بجاسة المسكر المائع كالخمر . والمراد بالمسكر ما غيب العقل ، سواء  
أ كان مع نشاط في الأعضاء أم مع فتور فيها ، فيشمل الخدر .

والمعروف في السبوتو أنه ليس بمسكر ولا مخدر ، بل هو مفسد للبدن ، فيحرم تعاطيه  
للضرر ، وليس بنجس كبقية السموم المهاككة . ويجوز استعماله في الثياب وفي ظواهر البدن .

على أن الأولى الرجوع الى الإخصائيين من المسلمين في مثل هذا حتى يعلم  
بالضبط حقيقة السبوتو أهو مسكر أم لا ؟ الحسينى سلطان ، يوسف المرصفي  
الشافعى الشافعى

## الرضاع

وورد أيضا السؤال الآتى :

حرم الله لزواج من الإخوة في الرضاعة :

أولا - ولد أو شقيقه رضع على بنت أو أحد أخواتها ، فهل هذا يحرم أن يتزوج  
أحد الأولاد الذى لم يرضع على البنت منها ؟ وما الحال إذا تم الزواج في عدم البحث  
في هذه النقطة ورزقا بمولود : فهل يفسخ عقد الزواج أم يبقيان على هذه الحالة معا ؟  
ثانيا - رضع ولد على ثدى امرأة ثم أرضعت هذه المرأة طفلة من واحدة أخرى ،

فهل يصبح الثلاثة إخوة في الرضاعة، ولا يجوز أن يتزوج الطفل الذي لم يرضع من ثدى أم الطفلة من هذه الطفلة ؟

محمد أمين

كاتب بـسكرتارية مجلس بلدية ميت غمر

## الجواب

في هذين السؤالين تمحوض ، ولم نفهم بالتحديد المراد منهما ، لذلك نذكر ما يترتب على رضاع الولد من المرأة الأجنبية عسى أن يجد لسائل فيما نذكر جواباً لسؤاليه :

مذهب الشافعي أن الولد إذا رضع من المرأة لأجنبية رضاعاً محرماً ترتب على هذا الرضاع ما يأتي :

- ١ - أن تصير هذه المرأة أم هذا الولد الذي رضع منها رضاعاً محرماً .
- ٢ - أن يصير صاحب اللبن أباه .
- ٣ - أن يصير إخوة هذه المرأة أخواله ، وأخواتها خالاته ، وأمه جده ، وأبوها جده .
- ٤ - أن يصير أبناءها إخوانه ، وبناتها أخواته ، سواء في ذلك الصغيرة والكبيرة والتي رضعت معه والتي لم ترضع معه ، وسواء في ذلك بناتها من بطنها وبناتها من رضاع : كلهن يصرن أخواته .

ولا تحرم هذه المرأة ولا بناتها على أشقاء هذا الولد . والله الموفق ؟

يوسف المرصفي الشافعي ، الحسيني سلطان الشافعي

## شرط في الذبح

ورود الى إدارة المجلة أيضاً هذا السؤال :

الى فضيلتي الأستاذين المكرمين الشيخ الحسيني سلطان والشيخ يوسف المرصفي . بعد السلام عليهما : وفقت على فتواكما في مجلة نور الاسلام ، وهي :

١ - الذبح يكون بقطع الحلقوم والمرى بشرط أن يبقى شيء من الجوزة نحو الرأس الخ

فأرجو كما إفادني عن الدليل على هذا الشرط ، فإن كتب الفقه ذكرت قطع الحلقوم والمرى فقط وكنت أحفظ هذه المسألة كما أفتيتما حتى سألتني بعض الإخوان عن الدليل فراجعت كتب الفقه التي بيدي فلم أجد الدليل ، فقلت : اعلى سمعت المسألة من بعض الفقهاء على غير مذهب الشافعي ، ولهذا استبشرت بثبوتها كما راجيا الدليل في أي محل ، وأيضا إرشادي عن عدم ذكر لمسألة في معظم كتب فقه الشافعية لأنها مسألة مهمة ، فلماذا لا تذكر في كل كتب الشافعية ؟ والسلام عليكم ؟  
يوسف بن عيسى القناعي

## الجواب

كتب الشيخ النبراوي في حاشيته على الخطيب عند قول المصنف : « والمجزئ منها قطع الحلقوم والمرى » ما نصه : « ثم لا فرق في قطع ما ذكر بين كونه من أسفل العنق أو من أعلاه بشرط أن يبقى من الجوزة المعروفة شيء ، فيما إذا كان القطع من الأعلى وإلا لم يحل » .

والدليل على هذا الاشتراط هو فعل النبي صلى الله عليه وسلم المنقول عنه ، وهو أنه كان يقطع الحلقوم والمرى ، ولا يتحقق قطعهما إلا بهذا الشرط .

يوسف المرصفي ، الحسيني سلطان  
الشافعي الشافعي

ما يجب على العوام من العقائر الربنية - اقتصاص ولي المقتول - الوقراض

وورد أيضا الآتية :

١ - في عوام المسلمين كثير من الرجال والنساء يجهلون عقائد التوحيد ، بحيث لو طولبوا بإقامة الدليل على صفة من صفات الخالق عز وجل كالتفويض بالنفس مثلا ،

أو نوقشوا في البعث أو الحساب أو الكتب السماوية أو ما شا كل ذلك ، اعجزوا عن الاجابة ، فهل هؤلاء يموتون عصاة أم كفارا كما يزعم البعض من الناس ؟ وهل أعمالهم الدينية صحيحة أم فاسدة ؟ وما هو الواجب عليهم معرفته من هذه العقائد ؟

٢ — قُتل رجل ظالما فاقتص ولى المقتول من القاتل بنفسه لعدم وجود الشهود التي تثبت الجناية أمام القضاء ، أو استأجر شاهدين لا علم لهما بالجناية فلنقض ما رآه من الحادثة وشهدا بذلك أمام القضاء : هل على الولى إثم في ذلك ؟

٣ — اقترض رجل جنبا من صديقه ، وبعد زمن رده إليه بزيادة ، وكان الصديق لا ينتظر شيئا من هذه المقارضة سوى ثواب الآخرة : هل تعتبر هذه الزيادة من الربا ؟  
البهى الحلوانى

## الجواب

١ — الواجب على عوام المسلمين الجزم بالعقائد الدينية ولو عن دليل إجمالى إن قدروا عليه ، وإلا فيكفيهم التقليد ، على ما اعتمده أهل السنة . وأما إقامة الأدلة التفصيلية ودفع الشبه عنها فن فروض الكفاية . ومن العقائد الدينية الايمان بالسمعيات كالبعث والحساب والكتب السماوية ، والايمان شرط في صحة العبادات .

٢ — لا يجوز لاستحق لقصاص أن يستوفيه بنفسه إلا بإذن الامام أو نائبه ، فن استوفاه بنفسه بدون إذن الامام عصى واستحق التعزير ، لأن في ذلك افتياتا على الامام . وأما تلقين الشهود الشهادة ليشهدوا على ما لم يروه فغير جائز .

٣ — الإقراض سنة لأن فيه إعانة على كشف كربة . ولو شرط المقرض على المقرض أن يرد ما اقترضه مع زيادة فسد القرض وحرم عليهما . أما لورد المقرض زيادة بلا شرط فحسن ، ولا يكره للمقرض أخذها ، خبر مسلم أنه صلى الله عليه وسلم اقترض بكرا ورد رباعيا وقال : إن خياركم أحسنكم قضاء .

والبكر ، البعير الذى دخل في السنة السادسة ، والرباعى : الذى دخل في السنة السابعة .  
يوسف المرصنى الشافعى ، الحسينى سلطان الشافعى

## أحكام في زكاة التجارة

وورد الى المجلة من حضرة صاحب التوقيع الاستاذ الآتية :

ما حكم الشارع في زكاة التجارة : أخرج الزكاة من النقد أم من غيره ؟ إذا كان لمحل التجارة ديون على موسرين وأخرى على معسرين فهل يزكى عن الدينين أم يزكى عن دين الموسرين فقط ؟ وهل يزكى عما أنفق على نفسه وعياله أثناء الحول ؟ وهل يجزئ عن الزكاة أن يتنازل التاجر لمدينه الفقير عما عنده ؟

نرجو التكرم بإفادتنا هذه الأحكام على مذهب الشافعي رضي الله عنه  
محمد أحمد الاختيار

### الجواب

إذا حال الحول على عروض التجارة وجب تقويمها ، ثم إذا كان في محل التجارة نقود أو له ديون ، ضم ذلك الى قيمة البضاعة ، فإذا بلغ المجموع نصاباً ، وجبت فيه الزكاة وهي ربع عشره .

وتقوم البضاعة بالنقد الذي اشترت به : فإن اشترت بذهب قومت بالذهب ، وإن اشترت بفضة قومت بالفضة . ومعلوم أن أغلب المعاملة بمصر الآن بالورق النقدي ( البنكنوت ) والعمل جار على أن قيمة الورق النقدي معتبرة بالفضة ، فإذا اشترت عروض التجارة بالورق النقدي قومت به أو بقيمته من الفضة .

والمعمول به في مذهب الشافعي أنه لا يجزئ إخراج شيء من البضاعة عن زكاة التجارة ، بل يتعين أن يكون ذلك من النقد .

وإذا كان لمحل التجارة دين على موسر غير مماطل ، وجب إخراج زكاته مع زكاة البضاعة وإن لم يقبضه صاحب المحل ، وإن كان الدين على معسر أو على موسر مماطل فلا يجب إخراج زكاته إلا بعد قبضه .

ولا زكاة على التاجر فيما أنفق على نفسه وعياله أثناء الحول ، لأن حق الفقراء لا يتعلق بمال التجارة إلا آخر الحول .

وإذا كان بعض الفقراء مدينًا بشيء من مال التجارة فلا يجزئ عن الزكاة أن يتنازل له التاجر عما عنده ، بل لا تبرأ ذمة المذكي إلا بالدفع لمستحق الزكاة . والله الموفق  
يوسف الرصني الشافعي ، الحسيني سلطان الشافعي

## الزواج والحج

وورد من حفرة صاحب التوقيع السؤال الآتي :

شاب في السادسة والعشرين من عمره يريد الزواج ويريد الحج ، ومعه الآن مبلغ لا يكفي إلا الزواج أو الحج ، وعلى والده ديون لو قام هو بتسديدها مكث من غير زواج ومن غير حج ثلاثة أعوام ، وهو يخشى لو مكث تلك المدة من غير زواج أن يقع فيما لا يرضاه الشرع . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يريد الحج من سويده قلبه . أرجو من حضرتكم أن ترسم له خطة شرعية يسير على متواليها وإفادتي ذلك . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد النور أحمد

مدرس بمدرسة مشنول القاضي

## الجواب

الزواج مقدم على الحج لأن يخشى الوقوع فيما لا يرضاه الشرع لو لم ينزج ، وكذلك ينبغي لهذا الشخص أن يقدم زواجه على أداء ديون والده . والله أعلم

الحسيني سلطان ، يوسف الرصني

الشافعي

الشافعي

## دائرة المعارف الاسلامية

رأىها في أبي هريرة

للمستشرق جولد سيهر رأى في الصحابي الجليل أبي هريرة  
وضى الله عنه نوره في العدد السابع من المجلد الأول من دائرة  
المعارف الاسلامية .

هذا الرأي لا يستند الى بحث تاريخي ، ولا سند علمي ،  
ونحن نود أن ننقل ما قاله هنا ونعقب عليه بما يبين زيفه ،  
ويظهر دخله .

( ٢ )

قال جولد سيهر في ص ٤١٨ من العدد المذكور ، في شأن أبي هريرة ما نصه :  
« وتظهرنا طريقة روايته للأحاديث التي ضمنها أتفه الأشياء بأسلوب مؤثر على  
ما امتاز به من روح المزاح ؛ الأمر الذي كان سببا في ظهور كثير من القصص  
( ابن قتيبة ، طبعة فستنفلد ص ١٤٢ ) ويظهر أن علمه الواسع بالأحاديث التي كانت  
تحضره دائما ( تشغل الأحاديث التي رواها أبو هريرة أكثر من ٢١٣ صفحة في مسند  
ابن حنبل : ج ٢ ص ٢٢٨ - ٥٤١ ) قد أثار الشك في نفوس الذين أخذوا عنه مباشرة ،  
والذين لم يترددوا في التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر ( انظر أيضا البغاري ،  
فضائل الأصحاب رقم ١١ ) وقد اضطر أحيانا أن يدفع عن نفسه تقول الناس ، كل  
هذه الظروف تجعلنا نقف من أحاديث أبي هريرة موقف الحذر والشك ، وقد وصفه  
شبرنجر ( بأنه المتطرف في الاختلاق ورعا ) ، ويجب أن نلاحظ هنا أن كثيرا من  
الأحاديث التي تنسبها الروايات إليه إنما قد نحت عليه في عصر متأخر « اهـ .

وهذا القول في أبي هريرة يتضمن طعونا عدة ، وكلها تدور حول عدم أمانته في نقل  
الأحاديث ، فقد ذكر جولد سيهر أنه مختلف ومسرف في الاختلاق ، وأنه كان يفعل ذلك

بداعى الورع ، وأن الذين أخذوا عنه مباشرة قد شكوا فيما يقل ، وعبروا عن هذا الشك بأسلوب ساخر ، وأنه كان يضمن أحاديثه أتفه الأشياء ، بأسلوب مؤثر ، وذلك يدل على روح المزاح التي كانت فيه والتي كانت سببا في ظهور كثير من القصص . وصاحب هذه المطاعن يعزو مطاعنه الى كتب إسلامية ليلقي عليها ثوبا خلايا ليوقع في روع الناس أنها صحيحة ، وهذه طريقة فيها كثير من الخداع واللبس والتزوير . وستنميط اللثام عما فيها وبالله التوفيق :

إن أبا هريرة الذي يجرحونه هذا التجريح ويسبئون اليه هذه الإساءة ، هو من جلة الصحابة ومن أوسعهم رواية ، بل هو أوسعهم رواية لا مستثنيا أحدا إلا ابن عمر . وتجرح هذا البحر الذي ملأ علماء وأداه الى من حملوه عنه وأدوه الى من بعدهم حتى وصل اليئنا ، تجرح لهذا العلم الغزير ، ورفع للثقة عن كل صروياته . وفي هذا فساد كبير . ولو كان لهذا الطعن وجه من الصحة لاحتمل ، ولكنه طعن باطل لاحق فيه .

هذا الإمام قدروى عنه ثمانمائة من أهل العلم كما قال البخارى ، وهذا فيه الدلالة على تقمهم به ، لأنهم لو لم يثقوا به لما رووا عنه ، وهو ثبت ثقة عند الصحابة وأهل الحديث . قال ابن عمر : أبو هريرة خير منى وأعلم بما يحدث .

وقال طلحة بن عبيد الله أحد العشرة : ولا شك أن أبا هريرة سمع من رسول الله ما لم نسمع . وروى النسائي أن رجلا جاء الى زيد بن ثابت فسأله عن شئ ، فقال زيد : عليك أبا هريرة ، فإنى بينما أنا وأبو هريرة وقلان في المسجد ذات يوم ندعو الله تعالى ونذكره إذ خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم حتى جلس إلينا فسكتنا ، فقال عودوا للذى كنتم فيه ، قال زيد فدعوت أنا وصاحبي قبل أبى هريرة وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوافق على دعائنا ، ثم دعا أبو هريرة فقال : اللهم إني أسألك ما سألك صاحبى وأسألك علما لا ينسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آمين . فقلنا : يا رسول الله ونحن نسأل الله تعالى علما لا ينسى ، فقال : سيقمكم بها الغلام الدوسى .



وكان كثير الحفظ ، شديد الضبط ، شهد له بذلك أهل العلم والثققات ، قال الشافعي :  
أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره .

وحدث الأعمش عن أبي صالح قال : كان أبو هريرة أحفظ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال أبو الزعزعة كاتب مروان : أرسل مروان الى أبي هريرة فجعل يحدثه وكان أجلسني خلف السرير أكتب ما يحدث به حتى إذا كان في رأس الحول أرسل إليه فسأله وأمرني أن أنظر ، فأغير حرفا عن حرف . الى غير ذلك مما لا نطيل بذكره . فن أرادہ فليطلع على كتب الرجال .

هذه آراء الثقات أصحاب هذا الشأن فيه ، فن عدلوه فهو التبت الذي لا يخرج ، ومن بهرجوه فهو الزائف الذي لا يعمل ، ومن حظى بمثل هذا الثناء من هؤلاء العلماء الأفاضل والجلالة لا مائل فلا يضيره ما يقال بعد ذلك فيه .

إذا رضيت عنى كرام عشيرتى فلا زال غضباناً على لثامها

وكان بحسبنا هذا الإجمال فيه ، ولكن لا بد لنا من أن نعرض لهذه الشبهة التفصيلية التي أثاروها ونقدها :

لقد زعم أصحاب الدائرة أن علمه الواسع بالأحداث أثار الشك في نفوس الذين أخذوا عنه مباشرة فلم يترددوا في التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر . ثم أحالوا القارئ على البخارى في كتاب فضائل الأصحاب رقم ١١ .

وهم يريدون بهذا ما أخرجه البخارى بسنده عن أبي سعيد المقبرى أن أبا هريرة قال : إن الناس كانوا يقولون أكثر أبو هريرة وإنى كنت أؤزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنى حتى لا آكل الخبز ولا ألبس الحبير ، ولا يخدمنى فلان ولا فلانة وكنت ألصق بطنى بالحصباء من الجوع — الى آخر الحديث .

هذا هو الأثر الذى فى البخارى ، والذى أراد أصحاب الدائرة أن يمتطوه للطعن

على أبي هريرة ، والمنصف يرى من هذا الأثر أن بعض الناس قال : أكثر أبو هريرة تمجبا من كثرة حفظه وروايته ، وحق لهم أن يمجبوا ، لأن أبا هريرة صحب النبي صلى الله عليه وسلم نحواً من ثلاث سنين فقط وأكثروا الرواية عنه . والمتعجب من شيء يحتاج إلى بيان السبب ، فإذا ظهر السبب بطل العجب . وقد أظهر لهم السبب في كثرة روايته وحفظه ، وهو أنه كان أئرم الناس لرسول الله ، وأنه ما كان يعنيه الغنى وإنما كان يعنيه الأخذ عن رسول الله ، وكان يلصق بطنه بالحصاباء من الجوع ، وما كان يشغله عن رسول الله تجارة ولا زرع ، فحفظ ما لم يحفظوا ، وسمع ما لم يسمعوا ، فلما بين لهم السبب سكتوا عنه .

ولنسلم ما زعمه أصحاب الدائرة من أن الناس حين قالوا أكثر أبو هريرة كانوا شاكين في روايته لا متعجبين ، ولكن المطلع على تاريخ الواقعة يرى أنهم لما أظهر لهم ما أعانته على الحفظ سكتوا عنه وتركوه يحدث وأخذوا عنه . ولو استمر شكهم لما تركوه يحدث ولما أخذوا عنه . وهذا الأثر يدل على عناية أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بحديث رسول الله ونحريهم فيه ، وما كان يمنعهم في سبيل التحري والضبط مانع ، فإنهم لما استقلوا زمن صحبة أبي هريرة واستكثروا ما يرويه على هذه المدة لم يمنعهم ذلك من أن يجاهرُوا أبا هريرة بما في نفوسهم ، فلما بين لهم سببا معقولا اقتنعوا بما قال ، وتركوه يروى عن رسول الله وأخذوا عنه ولم يمنعوا أحدا من الأخذ عنه ، وكان على رضى الله عنه إذا حدثه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم استحلفه فإن حلف له صدقه .

فإذا كان أصحاب الدائرة أخذوا من هذا الأثر أن الذين أخذوا عن أبي هريرة مباشرة شكوا فيه وعبروا عنه بأسوب ساخر ، أفما كان يجب أن يأخذوا من تركهم إياه يحدث بعد ذلك مدة عمره — وقد عمّر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً من خمسين سنة — أنهم اقتنعوا بتعليقه ، وزالت هذه خلجة من نفوسهم لما بين لهم من السبب

في كثرة حفظه وحسن ضبطه ؟ ونحن نعلم من الوقائع بين أبي هريرة وبين عمر وعثمان وعلى ومائشة أكثر مما يلمه جولد سيهر ، ولكننا نستقرئ روح التاريخ فنعلم أنهم وثقوه إذ لو كانوا يرون في حديثه بأسا لكفوه عن التحديث ولباعدوا بينه وبين الناس ، وهم من نعلم في المحافظة على حديث رسول الله ، وفي الخوف أن يتسع الناس فيه ويدخله الشوب ويقع فيه التدليس والكذب . وأما زعمهم أن روايته ضمنها أئفه الأشياء بأسلوب مؤثر ، وذلك يدل على ما امتاز به من روح المزاح ، الأمر الذي كان سببا في ظهور كثير من القصص ، وعزوم ذلك الى ابن قتيبة ، فليس شيء أوغل في التضليل والايهام من هذا .

نحن لا نعلم ابن قتيبة قد نسب الى أبي هريرة شيئا من ذلك ، ولا نعلمه إلا مدافعا عنه مبينا صدقه وأمانته ، رادا على من انحرف عن سبيل القصد فيه كالنظام .

ولو شئنا لذكرنا ما قام به ابن قتيبة من تشييد بذكر أبي هريرة وثناء عليه وإجلال وإعظام له ، ولكن المقام لا يتسع لذلك . فنحيل القارئ على كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٤٨ وما بعدها .

ولا ندرى ما هي الأحاديث التي ضمنها أئفه الأشياء والتي كانت سببا في ظهور كثير من القصص ، وكان يجب على أصحاب الدائرة أن يبينوها لنا لنناقشهم فيها ، وكان يجب عليهم إذ عزوا الى ابن قتيبة أن يسموا الكتاب الذي لابن قتيبة ، فإن لابن قتيبة مؤلفات كثيرة وقد طبع منها شيء كثير .

فبعزوا الى كتاب معين لرجعنا اليه ، وبقيننا أننا كنا نبين لهم أن ما في ابن قتيبة ليس كما فهموه ؛ إذ لا يعقل أن يثنى ابن قتيبة الثناء المستطاب على أبي هريرة ثم ينسب اليه ما ذكره أصحاب الدائرة .

وأما ما نقلوه من وصف شهرنجر لأبي هريرة بأنه المتطرف في الاختلاق ورعا ، فلستأمن يؤمن بقول شهرنجر وغير شهرنجر من المتطرفين في الاختلاق

على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تضليلاً للمسلمين وتشويشاً على الدين وإيذاء للحقيقة وستراً للواقع ، وكان بحسبنا أن نقول : هذا طعن لا مبرر له ونجرح لا يستند على سند .

والدعوى إن لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أديعاء  
ولكننا سندين هنا طبيعة عقلية أبي هريرة ، وأنه يستحيل عادة أن يكون صاحب  
هذه الطبيعة كذاباً ومختلفاً على الرسول . وهذا بحث نفسي نراه يذفع في مثل هذا الموضوع :  
إن أبا هريرة كان من الدين والورع بمكان عظيم ؛ فقد روى عن أبي عثمان النهدي قال :  
تضيفت أبا هريرة سبعا فكان هو وأسرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثاً ؛ يصلي هذا ،  
ثم يوقظ الآخر فيصلي ، ثم يوقظ الثالث . وروى أنه كان له خيط فيه ألف عقدة لا ينام  
حتى يسبح به .

ومن كان بهذه المسكنة من الدين والورع والایمان لا يجرؤ على أن يرتكب كبيرة  
الكذب على رسول الله ويصر عليها إلى أن يموت ، مع أنه يعلم أن الكذب عليه  
موجب لإفساد الدين وإدخال ما ليس منه فيه .

وقولهم إنه المتطرف في الاختلاق ورعا كلام متهافت ، لأننا لا نعلم الورع إلا مانعاً  
من الاختلاق على الناس فضلاً عن الاختلاق على رسول الله . وكيف يمتثل أبو هريرة  
على رسول الله وهو راوى حديث « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وكان  
يبدأ بهذا الحديث عند ما يريد أن يحدث ؛ فرجل سمع من في رسول الله صلى الله عليه  
وسلم هذا الحديث ووعاه وأداه ، وكان يستذكره ويذكر به ويندبه أمام تحديثه عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مؤمن ورع تقى ، يستحيل في العادة أن يكذب  
على رسول الله ، فضلاً عن أن يتطرف في الكذب عليه ، وأن يرى أن الاختلاق  
والكذب عليه دين وورع .

وأما قولهم إن كثيراً من الأحاديث التي عزيت إلى أبي هريرة انحلت عليه في عصر

متأخر ، فنحن نسلم أن أحاديث كثيرة وضعت وعزيت زورا الى أعظم المحدثين مثل أبي هريرة ، ولكن رجال نقد الحديث قد عنوا ببيان الموضوع منها ، وبهرجوا الزائف ، ولم يخف عليهم بطله ، وأفسدوا على الوضعين طريقهم .

ويظهر أن رجال دائرة المعارف الإسلامية لهم غرض في أن يشوهوا الرجال الذين للمسلمين فيهم اعتقاد حسن ، ويوقعوا الشك والارتياب في نفوسهم منهم ، فقد عرضوا بمعة ( السيد أحمد البدوي ) إذ قال فولرز فيها : « وأنا الآن أميل الى الاعتقاد بأن النضال الذي ذكرناه بين أحمد البدوي وفاطمة بنت برى والذي لم يفسر بعد ، أعمق من أن يكون قاصرا على ترويض امرأة بدوية جامحة » .

وطعنوا في شخصيته وعقله وعلمه فقالوا :

« ويؤخذ من سلوك أحمد البدوي أنه كان من طبقة الدراويش الدنيا الذين هم أشبه نبي بطائفة اليوجا في الهند ، كما كانت شخصيته ضئيلة القدر من الوجهتين العقلية والأدبية » الى آخر ما قاله أصحاب الدائرة .

ومن قرأ تاريخ السيد أحمد البدوي علم أنه كان كثير العبادة ، كثير الصمت ، لا يفصح عما يحول في خاطره إلا بإشارة ، معتزل الناس ، كثير الصيام ، وكان هو وأصحابه يلزمون السطوح لعبادتهم حتى لقبوا بالسطوحية ، وكان دائم الوله بالله .

ومن كان في هذه الحال من التقشف والزهادة تدت عنه سهام المستشرقين خائبة ، وتبت عنه مضاربهم ، وكان معهم كما قال الشاعر :

وإنا وما تلقى لنا إن هجوتنا لكالبحر مهما يلق في البحر يفرق

وبعد فإذا كان أصحاب دائرة المعارف قد ألفوها لغرض أن تكون صورة صحيحة للمعارف الإسلامية ، فما أبعداها عن أن تكون كذلك ، وما أبعدم فيها عن نيل هذا الغرض ، وإذا كانوا قد ألفوها لغرض تقييح حال المسلمين في نظر الغربيين ، وتشويش عقائد المسلمين ، وفتنة الشباب في دينهم ، فهي صالحة لهذا الغرض ، مؤدية له .

وإني لأرتعد فرقا كلما فكرت في أن هذه الدائرة ستنتشر وستصبح مرجعا للشبان المتعلمين تعليما مدرسيا فيما يريدون من معلومات عن الإسلام والمسلمين .  
لو أن أمام الناس دائرة معارف إسلامية حررها رجال يعتمد عليهم في نقل المعارف الإسلامية الصحيحة ، وكانت بلغة في متناول الجمهور ، لكان ضرر نشر هذه الدائرة أقل .

أما وليس أمام الناس مثل هذه الدائرة ، والكتب الإسلامية فيها صعوبة على غير الذين لم يزاووها ، ولم تكتب بالطريقة المصرية السهلة التي توافق روح هذا العصر ، وهي مفرقة غير مجتمعة ، فليس أمام شبان هذا العصر والمصور الآتية مرجع عن المعلومات الإسلامية إلا هذه الدائرة ( وفيها من الأغلاط ما قد ذكرنا بعضه ) .

وقد فكرت كثيرا في ملافاة أو تقليل بعض هذا الضرر فهداني البحث إلى أن خير طريق تكميل الآن — إذا كان لابد من نشر هذه الدائرة — أن يضم عالم أو عالمان إلى مترجمي الدائرة ، فيطلع على الترجمة قبل طبعها ، وكلما رأى فسدا في المعلومات وضع المعلومات الصحيحة في صلب دائرة المعارف معزوة إلى صاحبها ، فنحصل بذلك أمرين : أولهما الأمانة في النقل ، ثانيهما تصحيح المعلومات للأجيال الحاضرة والمستقبلة .

محمد عرفة

وكيل كلية الشريعة الإسلامية

## الحكم البالغة في الشعر

قال موسى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم :

إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما	تكرهت منه طال عني على الدهر
إلى الله كل الأمر في الخلق كلهم	وليس إلى الخلق شيء من الأمر
تعودت من الضر حتى ألفته	وأسلمني طول البلاء إلى الصبر
ووسع صدري للأذى الأتس بالأذى	وإن كان أحيانا يضيق به صدري
وصدري يأمي من الناس راجيا	لسرعة لطف الله من حيث لا أدري

religion which sets reason as an arbiter between truth and falsehood, calls to knowledge in many of its verses and urges to reflection and contemplation of all the Lord's creation, such a religion could not be accused to be inimical to science. The critic who levels such an accusation against Islam does not only contradict logical reasoning but is also completely ignorant of the subject he treats.

Islam calls the whole world to reflection and contemplation on the lines established in its Holy Book, and should mankind follow the teachings given by it they would find a way to put an end to the abuses which threaten to disrupt the social order of the world and render its industrial progress a veritable curse in stead of being a source of peace and tranquility to mankind.

It is significant in this connection that The Koran has made the exaltation of Islam over all other religions, dependent on reflection and contemplation of self and creation and not on any other means of force or territorial aggrandisement. Thus saith The Lord :

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى يَقُولَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّهُ الْحَقُّ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقل عن البيضاوى

“ We will shew the unbelievers our signs in distant climes and in their own selves by showing them the wonders wrought in the creation of man, till it becomes manifest unto them that the Koran is the truth ”

( *Baidawy's Commentary* ),

---

become the standard-bearers of science for many a century.

Nor was Islam content with the contemplation and study of creation. It went still further and urged man to the investigation of the conditions of past nations and the measure of civilisation they had attained as well as their religions and the causes which contributed to their downfall and destruction. In this connection The Lord saith :

« أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ، وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن الفيضاوى

" Have they not journeyed through the earth and seen what hath been the end of those who came before them? They were far mightier and they broke up the earth for water and minerals and tilled the soil for seed and rendered the land more populous and prosperous, and their apostles came to them with evident proofs of their mission. Allah would not wrong them but they wronged themselves"

( *Baidawy's Commentary* ).

A people to whom such revelation was given would not neglect undertaking scientific expeditions to investigate the state of past nations and the measure of civilisation they had attained. Such investigation will naturally lead to the study of history and sociology with all possible questions and problems arising from them.

Thus one may gather from the preceding verses and the like, that Islam urges its followers to consider all The Lord's creation in both heaven and earth as well as man himself and the human communities. Indeed the subjects of different sciences do not go beyond that sphere and so one could say that Islam has embraced all sciences.

The opponents of Islam who say that it contradicts science seem to forget the most essential quality of that Religion. For indeed a



This clearly urges man to the study and consideration of animals, earth, mountains and heaven. In each of these realms there is an infinite field of study, a science which requires investigation and research. It is not surprising, therefore, that Moslems should seek this knowledge with all means in their power. But the wonder is that they should not seek it. The Lord saith.

« أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ  
وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوي

"Do they not (the unbelievers) contemplate the kingdom of heaven and earth and all things that Allah hath created, and consider that peradventure their end may be drawing near. In what other Book will they believe if they reject the Koran?"

( *Baidawy's Commentary* ).

In another verse The Lord saith :

« وَكَآيَاتٍ مِنْ آيَةِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البيضاوي

"And many are the signs of Allah's being and providence in the heavens and the earth which they will pass by and turn aside therefrom"

( *Baidawy's Commentary* ).

There could be no stronger admonition than that contained in the verses above for neglecting the study of those sciences which leads to a clearer and more conclusive understanding of the universe. It is for this reason that Moslems did not content themselves with a mere veneer of knowledge but they sought its very essence and have thus

« فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ : أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا . ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا . فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا . وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا . وَحَدائقَ غُلْبًا . وَفَاكِهَةً وَأَبًّا . مَتَاءً لَكُمْ وَلَا نَعَامِكُمْ »

ترجمة تفسير هذه الآية لقلا عن البيضاوى

"Let man consider his food and how it is provided: We cause rain to pour down in copious measures, then We cleave the earth into clefts, and We cause grain to grow in it, and grapes and clover, and the olive and the palm, and gardens of thick trees, and fruit and herbage for your own use and for your cattle"

(Baidaw's Commentary).

From the preceding verse, one may see that The Lord has required man to know how the food he eats is provided and urged him to reflect on the way it was produced. Would not such a study lead man to the science of Botany and would it not be natural that he would pursue that study and carry out research work to further its development?

Again The Lord saith:

« أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ »

ترجمة تفسير هذه الآية لقلا عن البيضاوى

"Do they not consider the camels, how they are created, and the heaven how it is raised without support, and the mountains how they are fixed, and the earth how it is spread out?"

(Baidaw's Commentary).

"And in the earth there are signs for those who have conviction; and in your own selves, can't ye see?"

(*Baidawy's Commentary*).

And:

« فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ، خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ  
وَالْتَرَائِبِ »

ترجمة تفسير هذه الآية نقلا عن البضاوي

"Let man, therefore, consider of what he was created. He was created of poured-forth fluid, which issueth from the loins of man and breastbones of woman"

(*Baidawy's Commentary*).

In the two preceding verses The Lord urges man to consider and reflect on himself and his origin.

Psychology which comprises the study of the different instincts and tendencies of man, is derived from man's consideration of his soul. It is not surprising, therefore, that Moslems should go deeply into that science so long as the result of such a study will lead them to the truth.

Biology is derived from the consideration and study of the origin of man and contains wonders relating to the growth of the human germ, its development through different stages inside the womb and the changes it undergoes in the process of creation.

Again The Lord saith:

safeguard himself against moral inanition that tends to render him amenable to misguidance and delusion.

It is for this reason that Moslems are the most unwieldy people in regard to conversion and that they hold fast to their religion more than any other people.

Human nature is predisposed to think of the origin from which it come, its own different faculties and the end which it will eventually come to. It is apt to consider and reflect upon whatever lies before it including plants, animals, metals, human communities, plains, valleys and mountains. It even soars above this to inquire into the clouds and heavenly bodies and did not even stop at that but has gone further to inquire into the mysterious powers beyond matter and the other worlds. Thus the human soul follows the path which The Lord has set for it to attain universal knowledge.

If man therefore shuts himself from reasoning and reflection, it is only on account of the casual pernicious teachings which were forced upon him and to which he had to submit, as he did in the middle ages, when ignorance and delusion prevailed and learning and arts were neglected. Humanity was undergoing its most severe ordeal and it was then that The Lord sent Mohammed (on whom be peace) to deliver mankind from the crushing burden of oppression under which they laboured and to lead them unto the straight path which The Lord has set for His creation and has rendered suitable for their nature and consistent with their interest.

It was for this reason that Islam insisted upon the necessity of contemplating the soul and reflecting on creation. It urged its followers to look for the signs and manifestations of The Lord in His creatures and His wonderful creation. The Holy Koran is replete with verses pointing to the beauty and grace of The Lord's creation as well as to its greatness and usefulness and urging at the same time to contemplating and reflecting on them and delving into their secret.

In this connection The Lord saith.

« وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ »

ترجمة تفسیر هذه الآية تقلا عن البيضاوي

made him crave forgiveness. If he dared again to commit the same offence, he was condemned to be burnt alive or confined in dark dungeon for the rest of his life.

In that age of universal oppression the Prophet of Islam (on whom be peace) was sent with the Religion of truth to bring out mankind from darkness into light. Every one was required to use his mind and deduce things as far as his mental powers could carry him, seeking support of the learned ones around him to augment his knowledge and perfect his moral attainments.

By so doing, Islam has sought to realise one of its greatest aims, i.e. to stimulate the faculties of the mind to the proper discharge of their functions and to arouse them to the activity for which they were created so that the human individuality may become in full possession of its essential qualities and many gain a natural immunity against teachings which are inconsistent with science and reason.

The energies of those misleading heads of religions were directed to the restriction and even prohibition of mental speculation. They blocked the way to the freedom of thought and to independent opinion so that they may gain influence over their followers by means of superstitions and delusions. And in this manner people have accepted as true all that was given to them even such beliefs as excited surprise and ridicule. A cursory survey of the conditions of nations in this connection will show the inconceivable extent to which they submitted to such superstitions.

Islam was revealed to disperse the clouds of misguidance which hung so heavily over the minds of men and prevented them from contemplation, reasoning and deduction. The follower of Islam was removed from the darkness of ignorance into a world of light in which he could see the truth and unhesitatingly follow it impelled by his moral faculties.

The learned men of Islam have established what might be considered a logical consequence to that momentous moral reform. They hold that the belief of the imitator is not accepted. For imitation could equally pertain to truth as much as to falsehood and Islam has censured both imitation and imitators and has urged to contemplation and reasoning. It did not impose upon men duties beyond their power and the most ignorant of people will certainly not lack a proof to convince him of the truth of Islam. The idea is that every one should appreciate the responsibility imposed upon him and should use his mental faculties in reasoning and deduction in order to

ENGLISH SUPPLEMENT TO

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR.

---

## ISLAM

### ITS MISSION IN THE WORLD. (1)

#### XII.

---

#### CALL TO REFLECTION AND CONTEMPLATION

At the time when Islam was revealed, the heads of religions had confined reflection and contemplation within such narrow limits prescribed by them that they did not go beyond the affairs of ordinary every-day life. Beyond that, reflection and contemplation of the soul, universe and creation which may have lead to the establishment of a science or the discovery of a new doctrine, was considered as meddling on the part of the people in what did not concern them and was met with criticism by those heads of religion. Should they find in it a departure from the restricted and stereotyped knowledge at their disposal, they brought its author to account and

---

(1) Translated from Mr. Mohammed Farid Wagdy's editorials in "Nour-EI-Islam" Review.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مهمة الدين الاسلامي في العالم

- ١٦ -

دعوته الى الصراط المستقيم

لكل كائن طريق ممدد قويم يصل بالقيام عليه الى ما خاق له من الشئون حتى يبلغ كماله الخالص به . فإن لم يسلك هذا الطريق وعرج ذات اليمين أو ذات الشمال ، تغافقه الطرق المتداخلة ، فضل فيها عن غايته ضلالا بعيدا .

فالجادات والنباتات لحرماتها من الإرادة والاختيار ، قد نذركها الخالق بنواميس حكيمة لا تميل عن طريقها القويم ولا قدر شعرة ، فتراها تتحلل وتتركب ، وتبيع وتتصلب ، ويمتريها كل ما يتصور من ضرور الكون والفساد ، فيتم ذلك كله على نظم مقرر ، وسنن ثابتة لا تتبدل ولا تتحول .

والحيوانات لفضولة القدر الممنوح لها من الإدراك والمعرفة ، وعدم كفايته في هدايتها الى وسائل معيشتها ، جعل الله لكل نوع من أنواعها سرعة كفيلة بتريتها وتكميلها ، وبثها في آحادها ، فهي تقوم بإلهام إلهي على صراط مستقيم في جميع أمورها ، إلا هنات لا مناص منها تناسب القدر الممنوح لها من الاختيار والإرادة .

أما الإنسان فإنه مراعاة للنصيب الكبير الذي أوتي من العقل والعلم والحكمة ، لم يطلعه الله على جيلة مستقيمة لا تعرف العوج كما طبع الحيوانات على العمل بشرائنها ، فوكله لعقله يستهدي به في تصرفاته ، ويتخذ من مدركاته علما يسهل عليه من أسباب العيش ، ويحسن من وسائله ، ومن عليه بشرائع معاوية أوحاها الى المصطفين من خلقه

في كل جيل من أجيال البشرية ، ليستضيء بنورها في قطعه مفاوز حياته ، وسلوكه الى الزلفى من مبدعه .

فالطريق القويم الذى يصل بالانسان الى كماله يكون محاطا والحالة هذه بكثير من المضللات لا يتبينه الانسان من بينها إلا بجهد عظيم ، وقد بذلت الفلسفة والعلوم جهودها كلها في سبيل تمييزه عن الطرق التى تحتوشه ذات اليمين وذات الشمال ، لأن الانسان مطبوع على البحث عن الطريق المستقيم ، والا حقاء في تطلبه ، لا يصرفه عنه إلا هوى متغلب ، أو قصور مستحكم .

عنى الاسلام عناية خاصة ببيان الصراط المستقيم والدعوة إليه ، ونبه الى أنه المقصود بكل ما أمر الله به ونهى عنه في كتابه الكريم ، لأنه الطريق الموصل الى حضرة ، والوصول إليها هي غاية الغايات ، والثمره المقصودة من جميع العبادات ، فقال تعالى : « وهُدُّوا الى الطيب من القول وهُدُّوا الى صراط الحميد » وقال تعالى : « كتاب أنزلناه إليك لنخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد » وقال تعالى : « صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، لا إلى الله تصير الأمور » .

وقد امتن الله على رسله بأنه هداهم الى الصراط المستقيم فقال تعالى فى حق موسى وهرون : « وآتيناهما الكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم » . وقال فى حق خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم : « وإنك لتدعوهم الى صراط مستقيم » .

ولكى يكون المؤمنون على ذكر من صراط الله المستقيم جعله ماثلا فى فاتحة كتابه ، وأوجبها فى الصلاة ، فترى مئات الملايين فى العالم يرددون كلتى الصراط المستقيم فى مشارق الأرض ومغاربها مراراً عديدة فى كل يوم .

ولأن السير على الصراط المستقيم هو الغاية القصوى من الحياة الدنيا جملة الله مكافأة لهم على تقابهم فى العبادة ، وتهالكهم على الزلفى منه ، فقال تعالى : « فأما الدين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما » .



كل أهل الملل والنحل يدعون أن ما هم عليه صُرط موصلة الى السكّال والى الله تعالى . نعم ، إنهم على صُرط ولكن بعضها تحرف أهلها عن الجادة فصرفوا عن صراط الله المستقيم ، وتأدوا الى سبيل تقذف بهم الى متاهات يضل فيها العقل ويحار الدليل . فالوصف للمميز الوحيد لطريق الله هو أنه مستقيم لا عوج فيه ، وليه يشير الله بقوله : « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » ، فوصاة الله تعالى للمؤمنين أن يتحروا صراط الله من بين جميع الصرط التي تدفعهم شئون الحياة لساوئها ، فالخيار لهذا الوصف المميز وهو الاستقامة ، هو طريق الله ، وما عداه فطرق شيطانية لا نوصل الى خير .

ليست استقامة الصرط واعوجاجها من الأمور التي تعمى على الذين ينظرون بعقولهم ، وإلا لما كلف الله بها عباده . ونحن نوجز الكلام في بيان هذا الأمر فنقول : الشرائع لا تخرج عن كونها عقائد وعبادات ومعاملات ، فإذا أردت أن تتبين أيها على الصراط المستقيم ، فتأمل في هذه الأقسام الثلاثة كل على حدة على الأسلوب الذي يشير به العقل الفطرى ، ترأى أنها في باب العقائد قد اختلفت في ذات الله : فمنها ما عدت تعديداً صريحاً ، ومنها ما جسمت ، ومنها ما شبهت ، ومنها ما وحدت المتعدد ، وكل هذا لا يستقيم في العقل ، ولا يتفق والعلم .

ولا أستطيع في هذه العجالة أن أحصى ما دُرس في بعض هذه الأديان عن النبوة والأنبياء ، وعن الملائكة وكتب الله ، وعن اليوم الآخر ، فقد جمعت فيها المتناقضات وحشرت الخرافات .

وأما في قسم العبادات فقد دس فيها الى جانب عبادة الله عبادات أخرى فقد يما عبد الناس أنبياء وملائكة وغيرهم يزعمونهم شركاء لله أو يقربون اليه زلنى تعالى الله عما يتول للباطلون علواً كبيراً .

وفي قسم المعاملات تراها قد فرقت بين الطوائف وبين الأحاد على حسب ثروتهم ،

فأسرفت في منح الامتيازات للأقوياء ، ومنع الانصاف عن الضعفاء ، ولا يصدر مثل هذا الظلم عن حكم عدل ، فكيف عن الله الحق ؟

فالصراط المستقيم لا يوجد في جملة هذه الشرائع التي انحرفت عن الجادة كما تدل عليه بدهة العقل لمن يكون غير متورط فيها بحكم الوراثة ، أو بحكم القومية أو المصلحة المادية .

فإن وجهت نظرك الى الاسلام ونظرت في شريعته لم تمالك نفسك من القول بأن هذا هو صراط الله المستقيم حقيقة ، لأنك تجده يأمرك بعبادة الله مطالبا إياك بالدليل على وجوده من طريق النظر في آثاره ، والتفكير في مصنوعاته ، والتأمل في أعلام الكون وبيئاته ، ثم يحذرك أن تتجاوز هذا الى الطموح لاكتناه ذاته ، والتطاول لتحديد صفاته ، قاطعا بأن المخلوق يعجز أن يكتنه حقيقة الخالق ، ولو توسل لذلك بكل ما يتخيله من الوسائل : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما » « ليس كمثل شيء وهو السميع البصير » . « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » . أما من ناحية العبادة فإن الاسلام يحضها لخالق لا يشرك معه أحدا من خلقه ، ولو كان ملكا مقربا ، أو رسولا مكرما ، أو قديسا متبتلا ، ويمزج فيها بين مطالب الأرواح ومصالح الأجساد بحيث يؤدي العمل بها الى ترقية الطبعيتين ، وتحصيل السعادتين .

أما من ناحية المعاملات فإن الاسلام فرض على أتباعه العدل المطلق والمساواة بين الأقوياء والضعفاء ، وبين الشرفاء والوضعاء ، لا فرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، أو لغة ولغة ، وأمر أن يبني على هذا الأساس كل ما يحدد علاقات الناس بعضهم ببعض ، وكل ما يسن لهم من النظم ، ويوضع من التقادير .

ويرى الناقد البصير أن كل ما في الاسلام مما يتعلق بالأخلاق والآداب الشخصية والاجتماعية مفرغ في أرفع قوالب الحكمة ، ومتمش مع أصوله الأولية من مراعاة العلم والعقل والحق . فهذا الصراط السوي بين تلك الصراط المتوترة للعوجة يظهر واضحا

وضوح الشمس في ضوة النهار ، لا يصرف الانسان عنه إلا جهل مطبق ، أو وراثة متخلية ، أو هوى متسلط .

في الكتاب الكريم تحضيض كبير على النظر في الكون ، والتفكير في مصنوعات الله فيه ، والتأمل في آياته ، ولا مشاحة في أن هذا النظر والتفكير والتأمل يؤدي الى إدراك الكثير من صفات الله كالعدالة التي لا تفلت منها الذرة فما دونها ، والحكمة التي أفيضت عليها ، والإبداع الذي أفرغت في قلبه ، والرحمة التي دعت الى إيجادها ، والنظام الدقيق الذي قامت عليه ، وكل هذه الصفات يُطلب الى الانسان أن يتوخاها في أعماله ومعاملاته ، وقد أمرنا أن نتخلق بأخلاقه تعالى ، وأن نتخذ لأنفسنا مثلاً أعلى من صفاته ، وقد سمي الحق جل وعز ما هو عليه من هذه الكمالات المطلقة بالصراط المستقيم ، فقال تعالى : « إن ربي على صراط مستقيم » .

فالإسلام دعا الخلق الى القيام على الصراط المستقيم طلباً لترقيتهم وتكميلهم لا لتعبيدهم ونسخيرهم ، وقد قلنا إن كل كائن لا يتبع الصراط الخاص به تتخطفه السبل المضللة فتري به الى مكان سحيق ، فيصبح مبعداً عن الغاية التي خلق لبلوغها ، عجوباً عن المثل الأعلى الذي دُعي لاحتذاء شاكلته ، وينتهي أمره بأن يعيش حائراً ، ويموت بائساً ، لا الى غايته وصل ، ولا لطريقه الطويل تزود .

ولا يزال الاسلام يدعو العالم الى الصراط المستقيم ، ولا أشك في أنهم ملبون دعوته ، لأن كل شيء في الوجود يهيب بهم اليه ، فإن تصامموا اليوم عن إجابته ، فستدفعهم المثالات الى تلييته ، « أفخير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإلينا يرجعون » .

محمد فريد وجدي

# التفسير

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ( فَإِذَا فَرَغْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .  
إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى  
الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ) .

لقد رأيت في الآي السابقة أنه تعالى أرشد المؤمنين الى ما يدعوم للاستمسك  
بمهودهم والوفاء بوعودهم ، حيث قال عز من قائل : « ولا تشتروا بعهدي الله ثمنا قليلا  
إِنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . ما عندكم ينفذ وما عند الله باق » . وقد  
أردف ذلك بوعده الكريم إذ قال : « ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا  
يعملون » تثبيتا لهم على الصبر على ما يحجره الاستمسك بالوعد من مجاهدات ومجاهدات  
لما يطرأ أمام المرء من دواعي الخلف والتهاون بالمواعيد ، مشيرا بقوله : « ولنجزين الذين  
صبروا » الى أن المحافظة على الوعد سيصادفها عوامل شديدة تصرف المرء عن احترام وعده  
والتمسك به والمحافظة على الوفاء ، وهي عوامل لا يتغلب عليها المؤمن إلا بالتذرع بالصبر .  
وقد رغب في الصبر بأنه تعالى هو الذي يتولى الجزاء عليه بقوله : « ولنجزين »  
والتنويه بشأن من قام به بقوله : « الذين صبروا » فإن في هذا من إبراز الصبر على  
صورة واضحة عظيمة ما ليس في قولك : الصابرين مثلا ، وتسمية ما ينالهم أجراً تثبيتا  
لاستحقاقه وأنه لن يفوتهم ، وتهنئة لهم بما نالوه وأنه حقهم ، وإن كان حين تدفق

النظر نجد الأمر من أوله الى آخره فضلا ونعمة ، فإنه بتوفيق العزيز العليم ، فالأمر كله منه وإليه ، والفضل جميعه من لديه .

وقد أردف هذا الترغيب العظيم « إن ما عند الله هو خير لكم » « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » وهذا الوعد الكريم « ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » أردفهما بقاعدة عامة في حسن الجزاء ، إذ يقول جل شأنه : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة » وناهيك بقوله : « فلنجزيه حياة طيبة » : « وأي نعيم أهنأ من طيب الحياة » ثم قال : « ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » وقد سبق القول في تسميته هذا أجرا ، كما أنا شرحنا لك في المقال السابق أن كون الجزاء بأحسن ما كانوا يعملون يتضمن العقو عما عسى أن يكون منهم من هنات هيئات « إن الحسنات يذهبن السيئات » . وقد يتألك في ذلك المقال أن هذا مما لا يكاد يخلو امرء منه في أثناء مجاهداته ، إذ يخطر له خواطر وتوارد عليه هواجس هي من لوزم المغالبة والمجاهدة ، فإله تعالى يحزى على الحسنات ويتجاوز عن السيئات فضلا منه ونعمة .

وإذ كانت تلك الخواطر والهواجس مما تترتب غالبا على الوسواس التي يلقيها الشيطان ، كما أن الوصول الى الهدى والتمسك بخير العمل مرجعه الى الاهتداء بهدى القرآن واتباع أوامر الرحمن ، أرشدنا الحكيم العليم الى طريق الخلاص ، والسلامة من شرور ذلك الشيطان الرجيم ، وذلك بالعوذ بالله السميع العليم ، واللجأ اليه ، والاعتصام بهديه ، والتحصن بقدرته ، فقال تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » . فالتعبير بالفاء في قوله : « فإذا » ليرشدنا الى منشأ ما يصيبنا من خواطر السوء حين سلوكلنا طريق الهداية ، وأن مرجع ذلك الى الشيطان ووسوسته وخواطره السيئة التي يلقيها في قلوب المؤمنين ، وبخاصة عند توجههم الى رضا رب العالمين ، وتلاوتهم كتابه المبين .

ومعنى قرأت : أردت القراءة ، على حد قوله تعالى : « إذا قمت إلى الصلاة فأنسلوا وجوهكم » أى إذا أردتم القيام لها ، فتكون الاستعاذة قبل القراءة ، وهو ما عليه الجمهور .

ومن الناس من يجرى الآية على ظاهرها ويرى الاستعاذة بعد القراءة ، لأن القارئ بقرائه قد استحق ثواباً عظيماً ، فربما وقع في قلبه من المباهاة والاعتماد على العمل ما يفتح في قلبه مجارى لوسوسة الشيطان ، فتحسن الاستعاذة حينئذ تحصيلنا لقراءته وثوابها ، وصونا لها عن أن يبطش بها الشيطان بوسوسته فيحبطها .

والجمهور بوجهون رأيهم بأن القارئ داخل في عبادته ، ونفسه مستعدة لأن يتحرش بها الشيطان ، لأنه سيكون مغيباً غيباً عظيماً عنقا ، فهو لا يفتأ بحاوره وبداوره ليصرفه عن هذا المقام الكريم : مقام إقباله على الرحمن الرحيم ، يناجيه بكلامه القديم . فإى مقام هو أغيب للشيطان الرحيم من هذا المقام الكريم ؟ فهو يتحفز حينئذ ويجمع كل جنوده ليصرفه عن الخير الذى استعد له ، فما أجدر المؤمن أن يتحوط ويتحصن ، ويلجأ إلى الله مستعيناً به من وساوسه وشروعه حين يريد القراءة !

وقد جمع بعضهم بين القولين فقال بطلب الجمع بين الاستعاذتين : يستعين في الأول ، ويستعين في الآخر . ولا بأس به . وقد علمت أن الجمهور على الأول .

ومعنى استعذ : اطلب العوذ بالله وقل : أعوذ بالله ، أى ألتجئ إليه وأتحصن به . وأصله من عاذ بكذا أى لصق به ، كأن الخائف يدفعه الخوف إلى أن يلصق بأمّنه ، واللصق الحسى هنا محال بالضرورة . فالعنى : ألتجئ إلى الاستمسك بقدرة الله وحياطته لى ، وأطلب إليه عز وجل أن يهمنى منه ، وأن يحول بينه وبينى حتى لا يتمكن منى فيؤذبنى . وقد قالوا : إن الاستعاذة ترتكن على ثلاثة أسس : (الأول) العلم اليقيني بأن العبد عاجز عن جلب المنافع ودفع المضار دينية كانت أو دنيوية ، وأن القادر الحقيق على جميع ذلك هو الله ، وأن الأمر كله بيد الله واقع بقدرته وتديره ، وأن لا يقع فى الكون

إلا ما يشاء . ( الثاني ) انكسار النفس وذلها أمام عزة الباري جل وعلا ، فتكون صادقة في اللجأ حقيقة . ( الثالث ) الطلب بالقلب وباللسان ، فتتجه النفس بالابتهاال الى الله والرغب إليه ، واستمطار فيوضاته وتوقيفه ، ويجرى ذلك على اللسان فيفيض بما يدور في الجنان . وهذا معنى قولهم : إن الطاعات تنشأ عن علم يورث حالا ثمرة عملا . فالعلم هنا هو استيقان أن الأمر كله بيد الله ؛ والحال هي الذلة التي تشمل النفس أمام عظمة خالقها ؛ والعمل هو الابتهاال بالقلب واللسان . فقدير بمن بنى استعاذته على هذه الأركان أن تكون منه الاستعاذة ثابتة البنيان ؛ وما لم يعرف العبد عزة الربوبية وذلة العبودية لم يصح منه الاستعاذة الحقيقية .

واختير لفظ الجلالة في هذا المقام ، لأنه الاسم الجامع لجميع الصفات الكمالية والتنزيهية ، في حين أن باقي الأسماء تدل على معان خاصة كالواحد والقهار والسميع والعليم والرحمن والرحيم ، فكل اسم من هذه الأسماء يدل على معنى خاص ؛ والاسم الجامع لكل هذه المعاني هو لفظ الجلالة (الله) . فكان المستعيز يجمع قواه ليستحضر كل تلك الكمالات حسب استطاعته ، فيعينه ذلك على اللجأ إليه تعالى لجأ صادقا . وصدق الالتجاء معين على تحقيق الرجاء وإجابة الدعاء .

وقد ورد في بعض أحاديث الاستعاذة « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » . وقد فسروا الكلمات هنا بكلمات التأثير والتكوين ، وهي المشار إليها في قوله تعالى : « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » . ويرى بعضهم أنه يحسن في الاستعاذة أن يقول : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، ملاحظا في ذلك قوله تعالى : « وإما يترغّبك من الشيطان نزع فاستمعه بالله إنه سميع عليم » وفي آية أخرى إنه هو السميع العليم ، ويعمل ذلك بأن الوسوسة كلام خفي يظن معه الوسوس أن لن يطلع عليه غيره وغير من وسوس له ، فاستحضار المستعيز أن الله سميع عليم يعلم السر وأخفى مما يمينه على صدق الاستعاذة به والاستعانة به وقدرته .

والشيطان الرجيم : هو ذلك الشرير اللعين إبليس . وأصل كلمة شيطان مأخوذة من شطن بمعنى بعد ، لأنه بعيد عن رحمة الله ، ومن ذلك قولهم : برشطون ، أى بعيدة اقمر ؛ أو من شاط بمعنى احترق ، ومنه قولهم : استشاط غضبا أى التهب ، كأن الاحتراق شأنه وأغلب صفاته ، إما لأنه مهيباً للاحتراق بنار جهنم ، أو لأن ديدنه إحباط الأعمال وإبطال الثواب ، وذلك شأن الإحراق ، فهو ما بين محرق ومحترق . والرجيم بمعنى المرجوم ، أى المقذوف به لأنه مقذوف مبعده عن رحمة الله ؛ أو لأنه يقذف بعذاب الله وبآثار غضب الله . فالرجيم كاللعين بمعنى المرجوم الملعون . والشياطين هم سردة الجن ، أى فساقهم المتمردون ، وإن زعم بعضهم أن الشياطين نوع آخر غير الجن . ومع مخلوقون من النار كما قال تعالى حكاية عن إبليس : « خلقتني من نار وخلقته من طين » ، وكما قال جل وعلا : « والجان خلقناه من قبل من نار السموم » . وليس معنى أنه مخلوق من نار أن فيه خاصية النار تماماً فمن دنا منه احترق ، كما أنه ليس معنى كون آدم مخلوقاً من طين أن فيه خاصية الطين تماماً حتى إنه ليزوب في الماء ، وإن نظرف في ذلك بعض الشعراء فقال يعتذر عن خوفه من ركوب البحر :

طين أنا وهو ماء والطين في الماء ذائب

وكما قال بعضهم في حسن تعليل بُعد الناس عن صفاء السريرة :

ومن يك أصله ماء وطين بعيد عن جيلته الصفاء

ولقد اعتر إبليس بخلقته وأنه مخلوق من نار فلا ينبغي أن تجرح عزة كبريائه بالسجود لآدم المخلوق من طين ، فقال : « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » متوهماً أن النار أفضل من الطين ، وهو واهم فيما زعم .

ولا بأس أن نفكه القأى ونروح عن نفسه ببعض الطرف ، فنذكر له ما أورده بعض الفضلاء في دحض حجة إبليس هذه — والحديث ذو شجون — قال ما ملخصه : إن هذا الاحتجاج من باب التعمت ، فإن الأمر في الحقيقة هو الله ، والامتثال إنما



هو لا سر الله ، فالمعبود بالطاعة - لو أنه أطاع - هو الله . على أنه غالط في حجته ، واهم في شبهته ، فإن الطين أفضل من النار من جملة وجوه : فالنار طبعها إفساد ما حل فيها وإتلاف ما تنازلته ، والطين طبعه التزكية والتنمية ، فضلاً عن الحفظ والصون : تضع فيه الحية فربما أنبتت سميع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والنار طبعها الخفة والعطش في حين أن طبع التراب الرزانة والسكون ، ولذلك كان إبليس المخلوق من النار عرضة لتلاعب الأهواء ، وكان آدم المخلوق من الطين غالباً على هواء . والدار جافية يئس عنها كل ميمز ، وفي التراب حنان واليه اطمئنان . والنار لا تقوم إلا على أجزاء من النبات أو نحوه مما يتولد من التراب ، فهي بحاجة إليه والأرض مستغنية عن النار ، والنار وإن حصل منها بعض المنافع فإن طبيعة الشر والإفساد كامنة فيها ، فلا بد من ضبطها والتغلب عليها وإلا أهلكت الحرث والنسل ، ولكن التراب مأمون العاقبة ، فهو إن لم ينفع لا يضر . ولقد وصف الله تعالى لأرض بأنه بارك فيها وقدر فيها أقواتها وجعلها مهاداً وبساطاً ، ولم يصف النار بشيء من ذلك ، اللهم إلا في قوله : « نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين » أي تذكر بمذاب النار حتى تخيف الفجار ، ويستمتع بها المقوون أي المسافرين النازلون بالقواء وهي الأرض الخلاء . لم يبق إلا اغتراره بالقوة متوهماً أن لنار أقوى من الطين ، وقد أخطأ في ذلك ، فإن الطين يوضع على النار فيطفأها ، والنار لا تعدم الطين وإن حولته في بعض الأحيان إلى بعض الحالات . فهذه الوجوه مبطللة لحجته كاشفة عن غفلته وخيبته نيته ، لعنه الله :

وترجع الى ما قصدنا له من تفسير كلام رب العالمين ، فنقول :

قد أمرنا بالاستعاذة من الشيطان الرجيم ، أي أن نستدفع شره ونأجأ الى الله لدفع وسوسته ، فما هو الشيطان وما صفته المميزة له ؟ قد أطبق الكل على أن الجن والشياطين ليسوا بأصل فطرهم من الأجسام الكثيفة المرئية تجس ، وتذهب ونشاهد كالناس والبهائم ، وإذا كانت لها قدرة على التشكل بأشكال مختلفة بحيث تصح رؤيتها فإن هذا

لا يمنع أنها لا ترى بحسب أصل خلقها ، قال تعالى : « إنه يراكم هو وقييله من حيث لا ترونهم » ، وإنما اختلفوا فقيل إنها أجسام لطيفة هوائية آناها الله قدرة على التشكل بأشكال ترى ، وأن تبقى على حالتها الهوائية فلا ترى ، كما لم ير الهواء وإن كان جسما موجودا ، وكما لا ترى الأصوات والروائح ، فليس بلازم أن كل موجود يدرك بكل حاسة من الحواس . واللون يرى ولا يسمع ، والصوت يسمع ولا يرى ، فالحواس موزعة على الموجودات ، ومن الموجودات ما يعرف بالعقل أو بالحواس الباطنة ولا يرى ولا يسمع كالسرور والحزن والخوف والألم . فقد طاش سهم من زعم إنكارهم بناء على عدم رؤيته إياهم ؛ وقد صغر عقل أمثال هؤلاء حتى قصروا الموجود على ما وقع عليه بصريهم ؛ ولينهم يتسلط عليهم تيار كهربائي يصعقهم وهم لا يرونه !

وقيل إنها نفوس مجردة عن المادة وأرواح غير متحيزة في مكان ، وعلى كلا القولين فإن لهم علما وإدراكا وقدرة واختيارا ، وليس بلازم في الاختيار والقدرة أن يكون بمزاولة الآلات والجوارح .

واعتبر إن شئت بتأثير عين الحاسد في المحسود ، فإن خفي عليك ذلك أو كنت ممن لا يعترف به فالنظر إلى تأثير المهابة في قلوب الناس حتى تملك عليهم جوارحهم وتملأ جوارحهم ، بل انظر إلى الفأر كيف تضمحل قواه أمام السثور فيلقى نفسه بين يديه قبل أن يستولى عليه . وعلى الجملة فالشواهد متوافرة على أن للنفوس تأثيرا عن غير طريق الجوارح والآلات . ولعل في التنويم المغناطيسي الذي استفاض أمره وتكررت مشاهداته ، وأصبح إنكاره كالكابرة في المحسوسات ، أكبر شاهد على أن النفوس لها تأثير غير متوقف على الجوارح والآلات .

ومن الغياوة والبلادة احتجاج المنكرين لوجود الجن بقولهم : لو كانت أجساما كثيفة لرأيناها ، ولو كانت لطيفة لمزقها الرياح والزواج . فهذا كلام جدير أن تمزقه

الرياح والزوابع ، وإلا فإلم لم نر الهواء ، ولم لم تمزق الرياح الماء ، ولم لا يكون لها على لطاقها قوة على المقاومة والالتواء ، وسرعة الانكماش والتمدد حسبما تشاء ؟

وكذلك قول قائلهم : لو كانوا موجودين بيننا لخالطونا مخالطة صداقة أو عداوة ، ولجلبوا لنا منافع أو مضار ، ولا شيء من ذلك ؛ وما يقال من هذا القليل على ألسنة بعض الأفراد غير موثوق به . وهذا مدفوع بأنه على فرض أن مخالطتهم مستدعية وجوباً شيئاً من هذا ، فقد حصل لبعض الناس ، والشواهد كثيرة على ذلك ، والوقائع المدهشة متكررة ، ومع ذلك فمن ذا الذى يقول إنه لا بد فى وجودهم من أن يتصلوا بنا اتصال عداوة أو صداقة ؟ فما المانع من أن يكون لهم فى شأنهم ما يفنيهم عنا وعن صداقتنا وعداوتنا ؟ وكفى بهم فى عدائنا ما يجلبونه علينا من مضار بالوسوسة وتزيين الشرور والسيئات وحسبك ما حكاه الله عن إبليس بقوله : « فما أغويتنى لأفعلنّ لهم صراطك المستقيم ثم لا تدينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا نجد أكرهم شاكرين » ، وهل لا يعتبر من باب النعمة والمضرة إلا نقل الذهب والفضة ؟ إذا كان يهمنا فهو لا يهمهم ، ولكل امرئ شأن يفتنيه .

وعلى الجملّة فأقل ما فى شأنهم أن العقل لا يحيل وجودهم ، وقد ورد فى صادق المنقول إثبات وجودهم والتحديث عن أحوالهم ، فوجب الاعتراف بوجودهم والابتن بأنهم موجودون ، بل إذا قال قائل إنهم قد يكون لهم بطش ومس بالأذى فى بعض الأشخاص الذين يؤهلهم استعدادهم للتأثر بهم ، ويفقدون المناعة التى يعتصمون بها منهم ، كما يتأثر بعض الأشخاص بالمكروبات ويتغلب عليها البعض الآخر فينجو منها أو بهضمها ويحميها ، لم يكن ذلك بعيداً . وعليه يحمل ظاهر قوله تعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » . ولا موجب لحل ذلك على ما كانت تتوهمه العرب فى خرافاتها كما ظن بعضهم . وغاية الأمر أن الحكمة فى الترية النفسية قد تقتضى صرف نفوس بعض الضعاف فى الأخلاق

عن التعلق بمثل هذه العقيدة التي يتخذون منها باباً للتحايل ليصلوا الى بعض مآربهم الخفية، كما تراه في نساء الزار في زماننا هذا، فيكون من المعقول سد باب هذه المفاصد. ولكن أمر الصرع والمس تتكرر مشاهداته كل حين، ولا يمتنع في نظر العقل أن بعض تلك الأرواح الشريرة تكمن في بعض الأهوية المتعفنة التي تناسبها وتسرب الى أشخاص فيهم استعداد للتأثر بها، فتمس أخلاطهم، فتفسد أمرجتهم، أو تخبل عقولهم الى حين. نقول ذلك على سبيل التجويز لأن يكون ذلك أحد الأسباب، وأنه لا يحيله العقل، وإن كانت التربية الخلقية كما قلنا تدعو الى مقاومته اتقاء لمفاصده، ودفع المفاصد مقدم على جلب المصالح، والجهل بمثل هذا لا يضر في العقيدة، والله أعلم.

أما كيفية الوسوسة فإنها غير معلومة بالضبط والوضوح التامين، وإنما يمكن فهمها على التقريب بما تراه من إجماع بعض الأصدقاء الى بعض بلحظات العيون وإشارات التفاهم الخاصة بهم، بل قد تقرر عند الكثير من الناس أنه قد يتوجه المرء نوحاً تاماً نحو نفس إنسان هو متوجه اليه كذلك، فيلق في فكره ما يفهمه عنه فيما مآ؛ وقد يتكرر ذلك بينهما حتى يتفاد لهما التفاهم عن غير طريق المكاملة الشفوية. وإن في نوارد الخاطرين بين صاحبين وإجاية واحد آخر عما خطر في باله دون أن يسأله عنه لتأييدا أو تقريرا لما ذكرناه.

وبعد : فإذا قلنا إن لهذا النوع من المخلوقات علما وقدرة واختيارا حتى كانوا من أجل ذلك مكلفين، فلم لا يقدم الله على أن يثبوا في نفوس الناس ويغرسوا في قلوبهم المعاني التي يريدون إلقاءها فيزيتوا لهم القبايح ويسولوا لهم أن يفعلوا السيئات، وكلما وجدوا من واحد إصغاء إليهم وانقيادا لنزغاتهم اتهاوا عليه بوسوستهم إذ قد وجدوا من قلبه تربة خصبة لزرع بذورهم. فكان حقا أن يملنا الله كيف نعتصم به منهم، ونعوذ بقدرته من شرهم، ويعمل ذلك بقوله عز وجل : « إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ».

أجل من ملأ الايمان قلبه فعلم أن الله هو القادر القاهر ، وأنه بيده مفاتيح الخير والشر ، وأنه لا ينبغي التوكل إلا عليه ولا التفويض إلا إليه ، فتوكل على الله حق توكله ، واستدفع به كيد لشيطان فردة في نحره ، فهو جدير بأن يعصمه الله من شره ، ويميزه من كيده ، إن كيد الشيطان كان ضعيفا .

وهل يملك الشيطان إلا تحسين السيئات وتزيين الخطايا ، والتغريب بقلوب ضعف إيمانها ، وذهلت عن استحضار يقينها ، فلم ترجع الى ربها ليكفيها شر نفسها وشر شيطانها ؟ « إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون » . سلطان الانقياد للتغريب والتلبيس ، سلطان الانسياق مع الشهوات والأهواء ، سلطان الالتذاذ بالمعاجة والوقوف عندها ، وعدم التفكير في الآجلة التي إنما خلق ليعمل لها ، سلطان التمسك بالحياة الدنيا والإعراض عن الحياة الآخرة ، وإن الدر الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون . وليس المراد بالسلطان هو الإلجاء وسلب القوى والقدرة ، كما هو المراد في السلطان المنق في قوله لا تباعه : « وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم » وإنما هو كوقع الشخص فريسة في يد قرناء السوء من شياطين الإيس ، فإنك تنصمه فيقتنع ، ولكنه مع ذلك يقول لك : إني أصبحت فريسة في أيدي هؤلاء . لا أستطيع التخلص منهم مع اقتناعي بأنهم أفسدوا على مالي وعقلي وعرضي وشرفي ، ومع ذلك ومع أني أمقتهم من كل قلبي فإنني ساعة أسمع دعاءهم أكاد أطير إليهم فرحاً بهم ، بل إذا أبطأوا فلقنت لغيابهم ، وتطلعت إليهم ولعاً بهم :

أحبهم وهلاكى في محبتهم كعابد النار يهواها وتحرفه

هذا هو السلطان ، وهذا هو الخضوع للشيطان ، وهذا أمر مشاهد في أغلب الإخوان ، وبخاصة في هذا الزمان ، فهو خضوع اختياري ، وهو سلطان تمكن من الميمن عليهم باختيارهم ، وبئس الاختيار الذي يهوى بصاحبه الى النار ، وبئس القرار :

فدفع هذا السلطان والقهر عن النفس إنما يكون بالرجاء إلى الله ، والاستعاذة به من الشيطان الرجيم . وليس معنى الاستعاذة مجرد التللفظ بهذه الكلمة ، وإنما العمل عليها باتباع التعاليم والإرشادات التي أرشدها المولى الكريم الرحمن الرحيم إلى اتباعها ، فإن الاختيار ما زال ممنوحاً للعبد « وهديناه النجدين » . وإلا فلو كان الأمر من باب القسر والإجاء ، فما معنى الثواب والعقاب والأجر والجزاء ؟ فله تعالى نبي أن يكون له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، وقصر سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ، فالسلطان في كلا الموضعين سلطان الخضوع والانقياد اختياراً ، وليس سلطان الجبر والقهر والإجاء ، وهو السلطان الذي شرحناه في الخضوع لفرقاء السوء . فباب الخلوص منه إنما هو الإيمان ، ولا يكون الإيمان متمرراً للتخلص من هذا السلطان إلا إذا أثمر العمل الصالح ، وحينئذ يكون التوكل على الله صادقاً ، إذ لا معنى لأن تتوكل على من عصيت أمره ، وارتكبت ما نهاك عنه :

توَجَّوْا إِلَى اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ هَذِهِ سُبُلُ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ سُبُلَ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ  
 فإن آمن بالله وقام بما يوجبه إيمانه من صالح الأعمال ، وعاد بربه والتجأ إليه ، وابتغى الزلفى لديه والقرب منه ، كما يفهم من كلمة أَعُوذُ الَّتِي فِيهَا مَعْنَى الْإِلْتِمَاعِ ، على ما سبق بيانه أول هذه الكلمة ، ثم توكل على الله واستعان بقدرته ، وابتهل إليه بقلبه ولسانه فلا يكون للشيطان عليه سلطان ، إنما سلطانه على الذين ربطوا قلوبهم على طاعته وجعلوه ولياً لهم من دون الله ، يصغون لوسوسته ، وينخدعون بما يفرهم به ، ويقبلون تزيينه لسيئاتهم لأنها وافقت أهواءهم — وهذا من قولهم : توليته أى أطعته ، ضد قولهم : توليت عنه أى أعرضت عنه — ثم هم مع هذا قد انساقوا معه إلى أبعد مدى فقادهم إلى الشرك فأشركوا بربههم ، وللشرك مراتب لا يزال المرء ينزلق من دركة منها إلى دركة حتى يتردى في نهايتها ، والعياذ بالله :

فضمير به عائد على الشيطان الرجيم ، أى أنهم بسببه وقعوا فى الشرك . ويجوز أن يعود الى الله ، أى إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، فيكون على نسق ما تكرر من الآيات فى استعمال مادة أشرك ، حيث تتعدى بالباء الى من هو الأصل فى اعتقاد التأثير ، وبأنفسها الى من هو الطارىء ، فتكون الباء للتعدية .

ثم لا يخفى وجه التعبير بصيغة المضارع فى قوله : « وعلى ربهم يتوكلون » وقوله : « الذين يتولونه » ، وذلك لأن التوكل على الله أمر يتجدد فى كل مناسبة تدعو اليه ؛ وكذلك نولى للمشركين وطاعهم للشيطان الرجيم من الأمور التى تتجدد عند مقتضياتها . وأما الإشرak واعتقاد الشركة فهو من المعانى الثابتة المستمرة ، فلذلك عبر فيها بالجملة الاسمية .

اللهم إني أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون : اللهم باعد بيني وبين كل ما يبعدني عنك ، وقرب بيني وبين كل من يقربني من رضاك ! وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم  
ابراهيم الجبالي

## من آداب التعلم

قال بعض الحكماء : إذا جلست الى عالم فسل تفقها ، ولا تسئل تفنتا .  
وروى الأوزاعي عن عبد الله بن سعد عن الصنابحي عن معاوية قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأغلوطة . قال الأوزاعي : يعنى صعاب المسائل .  
وكان ابن سيرين إذا سئل عن مسألة فيها أغلوطة ، قال للسائل : أمسكها حتى تسأل عنها أخاك إبليس !

وسال عمرو بن قيس مالك بن أنس عن محرم نزع نأبي ثعلب ، فلم يرد عليه شيئا .  
وسئل علي بن أبي طالب رضى الله عنه : أين كان قبل أن يخلق الماء والأرض ؟  
فقال له : أين توجب المكان ، وكان الله عز وجل ولا مكان .

## القاديانية في الهند

القاديانية من النحل الهندية، تقول بنبوة رجل من مدينة قاديان اسمه غلام أحمد، ادعى أن الله كان يوحى إليه بكل الطرق لى كان يوحى بها إلى أنبيائه، وأنه مسيح الأمة الإسلامية كما كان عيسى مسيح الأمة الموسوية، وأن رسالته عامة للناس كافة. ولد غلام أحمد سنة (١٢٥٢ هـ) فتعلم العربية وتلقى النحو والنطق والفلسفة وقرأ القرآن واطلع على العلوم الدينية. ثم تقلد وظيفة في إدارة نائب الملك في بلاده مدة أربع سنين، ثم استقال ولحق بأبيه.

وفي سنة (١٨٧٦) زعم غلام أحمد أنه ينزل عليه الوحي، فأنكر عليه علماء بلاده هذه الدعوى وشددوا عليه التكبير، فرحل إلى لودهيانه وأذاع بياناً ادعى فيه أنه المسيح المنتظر، فأثار سخط العلماء وأخذوا يتعقبون مزاعمه بالرد.

ثم شخص إلى لاهور ودلهي نائراً مذهبه.

ولما عاد إلى بلده بنى بها مسجداً خاصاً بشيعته، ومدرسة لتعليم أبنائهم ومدرسة أخرى لتخرج الدعاة إلى مذهبه. وأسس جريدة سماها (الأديان) لنشر دعوته كان يكتب بعض فصولها بقلمه. ولما كان بـلاهور في سنة (١٣٢٦) أدركته الوفاة بها، فانتخب أتباعه خلافة حكيم نور الدين، ولما توفي سنة (١٩١٤) اختير للرياسة بشير الدين محمود بن غلام أحمد نفسه، وهو القائم بأمر هذه النحلة إلى اليوم.

أخذ بالقاديانية في بعض بلاد الهند جماعة عرفوا بولوعهم الشديد لنشر مذهبهم، فلم يوفقوا في محاولاتهم، لأن علماء الهند وقفوا لهم بالمرصاد، فأبطلوا ما يدلون به إلى الناس بالحجج الدامغة، فلم يقع في حبالهم غير من لا يهتم بهم، ووقفت القاديانية عند حد لا تتمدها، وقد مضى على تأسيسها نحو ستين سنة.



وقد تبين بعض رجالهم أن القاديانية ما دامت تصر على القول بنبوة غلام أحمد فلا تجد لها مساعدا إلى عقول الناس، وينتهي أمرها بالتلاشي لاهالة، قرأوا أن يحذفوا من تعاليمهم أمر هذه النبوة، وأن يقتصروا على القول بأن غلام أحمد كان مصلحا لا نبيا، فانقسمت القاديانية إلى طائفتين: طائفة قاديان بقوا على ما كانوا عليه من إثبات النبوة لغلام أحمد، وطائفة لاهور رفضوا التسليم بهذه النبوة، فكان عملهم هذا دليلا محسوسا على فساد مذهبهم، فإن القاديانية إذا رفعت منها القول بنبوة غلام أحمد لم يبق هناك معنى لأن ينتسب إليها منتسب وهو يرفض القول بالأصل الأول فيها، ففي ذلك تكذيب ضمني لمؤسسها، فإنه دعا إلى الإيمان برسائله في كل كتاب نشره، وماذا يكون جواب المدافع عن هذه الطائفة إذا قال لهم قائل: أي ضرب من المؤمنين أنتم؟ يقول صاحبكم إنه نبي ورسالته عامة، فتقولون أنتم: لا، إنه كان مصلحا فحسب ولم يك نبيا؟

وإذا كانت هذه الطائفة تتظاهر بالقول بأن زعيمها كان مصلحا فحسب هربا من مصادمة العقول، وإعوزا من الدليل للقطع، وكانت مع هذا تبطن العقيدة بنبوته، فلا شك أن ذلك يعتبر من أقوى الأدلة على وهن أساسها، وهو اعتراف ضمني بأن القاديانية على ما دعا إليه مؤسسها لا تصلح أن يصارح بها الناس إلا بعد هدم أساسها، وإيتائهم بها في صورة غير صورتها.

ولما كان غلام أحمد يدعى أنه رسول لله وأن رسالته عامة، فلا بد لنا من ذكر مقتضيات الرسائل الخاصة والرسالة العامة ومميزتهما ليعرف الناس وجوه الضلال في أمثال هذه المزاعم.

#### مقتضيات الرسائل الخاصة والرسالة العامة ومميزتهما:

جرت سنة الله تعالى أن يرسل إلى الناس رسلا لهدايتهم إلى طريق الحق، وإرشادهم إلى أصول الحياة الفاضلة، فصحبت رسالة كل واحد منهم انقلابات اجتماعية

خطيرة ، وحوادث نظورية كبيرة ، تجاوزت بأصداء حركاتها أرجاء الأرض . ولست أصعد بالقارئ الى العهود البعيدة للتاريخ فأكتفى بما يعرفه الناس جميعا منها ، وبما أصبح من المقررات التاريخية التي لا يختلف فيها اثنان ، فأقول :

أرسل الله موسى عليه السلام لا تقاذ بنى إسرائيل من أسر فراعنة مصر ، فقد كانوا استضعفون الى حد أن أرهقوهم في الأعمال الشاقة ، غير مباينين بما يتألم من عنت وهلاك ، ثم زادوهم عسفا فشرعوا يقتلون ذكورهم ويستيقنون إناثهم ، فنظم من جراء ذلك بلاء عظيم . فكان خلاص بنى إسرائيل فاتحة لحياتهم حياة دولية ، فاستعمروا الأرض المقدسة وأنسوا لهم فيها ملكا ومدنية كان لهما شأن كبير . وهذه كلها حوادث وانقلابات تقتضى إرسال رسول من أولى العزم ، ليستطيع بما أوتيته من الآيات ، وما أُيِّد به من الوحي أن يحدث حدثا اجتماعيا خطيرا ما كان ليستطيعه مصلح أو ملك .

وأرسل الله عيسى عليه السلام الى بنى إسرائيل ليدهم على ما بدلوه من دينهم ، وما حرفوه من أصوله ، فكان مجيئه فاتحة عهد جديد ، فقد نهض أنبأه ينشرون أصول دينه في الجماهير ، غير آبهين بما تألم من اضطهاد وتشريد ، وعذاب شديد ، فاهتدى على أيديهم رجال كانوا نواة لانقلاب خطير في الدولة الرومانية إذا انتقلت من وتبئها الأولى الى المسيحية .

وأرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم برسالة عامة الى العالم كافة ، في عهد كانت فيه الأمم في حالة من العبودية للأقوياء ، والطاعة العمياء للأوصياء ، والتدهور الخجل في الأخلاق والآداب ، بحيث كانوا في حاجة الى نور ساطع من السماء يمزق ما تلبد على القلوب من ركسف الظلام ، وما أسدل على العقول من حجب الأوهام .

فكانت الحاجة ماسة الى نزول وحي يرفع الخلاف بين الشعوب ، ويحل كثيرا من القيود التي فرضتها تلك الخلافات على بعضها حيال البعض الآخر ،

وينبها الى أن أديانها كلها أصلها واحد ، وإنما اختلفت فيما بينها بما دسه قادتها إليها مما ليس منها ، وأن الرجوع الى ذلك الأصل لا بد منه لتخليص الدين مما يشوبه من أهواء البشر ، ولأن مصلحة الأمم تقتضى وحدة الوجهة ووحدة الغاية .

فكان ما أراده الله ، وكان من أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأمر الاسلام ما كان مما يعلمه الخالص والعام ، ولا تزال دعوة القرآن تدوى في أرجاء الأرض يسمعها الناس في كل مكان فيليها عشرات الألوف منهم في كل سنة ، حتى قال برنارد شو الفيلسوف الانجليزى المشهور : إنه لن يمضى قرنان حتى يكون الاسلام قد عم أوروبا من شرقها الى غربها . وإذا كان هذا مصير أوروبا وهى في طليعة الأمم علما ومدنية ، فاذا يكون مصير القارات الأربع الباقية ، وهل يحتاج الاسلام فيها الى جهاد قرنين وهو يسرى فيها بسرعة تفوق كل تقدير ؟

فهذه رسالة عامة ، وتلك مميزاتها وآثارها ، فأين منها ما يدعيه غلام أحمد لنفسه من المزاعم الباطلة ؟ وقد مضت على دعوته ستون سنة فلم يلبها إلا أفراد من السذج ، وأمثال هؤلاء كثيرون في كل زمان ومكان ، فإدعى النبوة أحد إلا اتبعه من هؤلاء نفر لبثوا معه حتى مات ، ثم تفرقوا أو بقوا على ضلالهم ، ثم أورثوها ذريتهم جيلا تليها ، وهذا هو علة وجود جميع الأديان الباطلة في الأرض الى اليوم .

#### نزاع القاديانية في ضمام النبوة :

لقد تجشم غلام أحمد جهدا جهيذا لكي يثبت أنه نبي ، فاصطدم بالنص القرآنى الدال على أن النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وأنه لا نبي بعده ، وأتى في هذا الباب بما لا يعقل من ضروب التأويل والتحريف . فزعم أن ما جاء في القرآن الكريم عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه خاتم المرسلين ليس معناه أنه آخرهم ، ولكن معناه أنه حليتهم ، فعنده أن كلمة (خاتم) ليست واردة في الكتاب الكريم بمعنى آخر القوم ولكن بمعنى حلية الأصبع المعروفة ، فيكون في الكلام مجاز . يقول هذا وينقل عن

أن هذا التعبير ساقط يتنزه القرآن عن مثله . ولو قال قائل لأحد الناس بمدحه : أنت خاتم قومك ، مكان أنت حليتهم ، لعد كلامه ساقطاً بل غير مفهوم على الإطلاق ، والكلام الإلهي يتنزه عن مثل هذا السقط .

هذا الى ما ثبت من السنة المتواترة من أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم وقام شاهد العيان على صحة ذلك ، فلم يرسل الله في هذه الأربعة عشر قرناً الماضية رسولا الى قوم من الأقوام ، بلّه رسولا عاما للبشر كافة .

إن غلام محمد حصر كل جهوده في إثبات رسالته وإحاطة نفسه بالنعوت والألقاب الفخمة ، معتقدا أن هذا كاف لا دراكه الغرض الذي رعى اليه في بيئته كميئته ، فإن الجاذب الوحيد للدهماء التي تسارع الى قبول أية دعوة هي هذه الألقاب الفخمة والنعوت المبالغ فيها التي ينتحلها الداعي لنفسه . فكما دخل في روح الاتباع أن صاحبهم متناه في السمو ، وأنه مكين في الملأ الأعلى ، بالغ أتباعه في التحمس له ، وزادوه سموا ومكانة حتى يبلغوا به درجة الألوهية ، غير قاصحين عما جاء به : أهو غث أم نمين .

هذا شأن الدهماء قديما ، وحديثا وأما من افرق ومذاهب لا تعد ولا تحصى لو نقدتها لوجدت أكثرها يعتزى الى أصل غير أصيل ، أو قائما على أوامير اكتسبت بطول الزمن سلطانا على الجماهير . فالقاديانية تبق ما بقيت عقلية الآخذين بها في الحد الذي هي فيه ، فإن تجاوزته الى التبصر والاهتداء بالمنطق والحجة والبرهان ، تركت هذا المذهب وراءها حكيم من أحلام طفولتها ، وألقت به الى عالم الأساطير . محمد فريد وجرى

## صلاح الاب يصلح الولد

قال بعض الحكماء : إذا كان المرء حسن المذهب تأدب بأدبه جميع أهله :

رأيت صلاح المرء يصلح أهله      ويفسد ربه الفساد إذا فسد  
يعظم في الدنيا تفضل صلاحه      ويحفظ بعد الموت في الأهل والولد

## جواز التقليد والرد على من يحرمه

حضرة خادم السنة والاسلام ، وعلامة العلماء الأعلام ، صاحب الفضيلة سيدي الشيخ يوسف المدجوى . أبقاكم الله تعالى في سعادة وأمان ، راغمين أنف كل زائع فتان .

وبعد : فعمدنا طائفة ليس لها شغل إلا بالخط من قدر الأئمة والطمع عليهم ، وذهم مقلديهم بأفح الذنب ، حتى إن بعضهم ألّف رسالة في ذلك ، وهي رسالة إليكم . وهم ينادون بتحريم التقليد وأنه من الكبائر . وبعضهم يجعله كفر مثل كفر لذين اتخذوا أحيارهم ودهبانهم أربابا من دون الله ، ويقولون : إن الواجب على العاى أن يطلب من العالم الذى يستفتيه ذكر الدليل من الكتاب أو السنة ؛ ويجب على العالم أن يذكر له ذلك وينهاه عن تقليده أو تقليد غيره ، فإنه لا يجوز اتباع آراء الرجال ، ويجب الرجوع فى كل شىء الى الكتاب والسنة .

فنسألكم بالله عز وجل أن تفيثونا ببيان الحق ، فإنهم شوشوا على العامة وأذوا الخاصة إيذاء بليغا . وليس لنا إلا الأثر والأثر وعلماءه الذين يرجع إليهم فى المهمات ، ونكشف بهم جميع المعضلات . أبقاكم الله حصنا للدين وملجأ للمسلمين - آمين -  
عبد الله بن رابح بالجزائر

## الجواب

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .  
هذه نزع من شر النزعات التى ابتلى بها المسلمون من أولئك الذين يدعون

الاجتهاد، ويشيرون في الأرض الفساد، ويبذرون بذور الشقاق والانقسام، ويهنون أمر سلفنا الصالح في نفوس العامة (شأن الخوارج الذين هم شر الطوائف) ويزجون بأولئك الجهال فيما لا يحسنونه، فيعرضونهم بذلك لكل خطر وفتنة.

وهي شفتنة نعرفها من إخوانهم عندنا بمصر «إن في صدورهم إلا كبراً ما هم ببالغيه». وكنا نود أن يكونوا من الذين يقولون: «ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا» ولكن أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سيلعن آخر هذه الأمة أولها، وأن ذلك من علامات الساعة، وسيتخذ الناس في آخر الزمان رؤساء جهالاً فيسألونهم فيفتون بغير علم، فيضلون ويضلون. وما كانوا رؤساء إلا لتلك الدعاوى الكاذبة. وقد روى عن علي رضي الله عنه: «إذا عرض الله عن العبد أمره الإنكار على أهل الدين». وروى عنه صلى الله عليه وسلم «أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان».

أما أئمة الاسلام المتقدمون فلا يضرهم ذلك شيئاً، لأن الأمة كلها على توفيرهم وإجلالهم ومعرفة فضلهم، إلا تلك الشرذمة التي لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه:

وسمى إلى بعيد عزة نسوة      جعل المليك خدودهن نعالها

وأما اختلاف الأئمة وما يطنطنون به حوله فهو من الرحمة الكبرى بهذه الأمة. وقد قال عمر بن عبد العزيز: «ما يسرنى أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة». وقد قال يحيى بن سعيد وهو من كبار المحدثين من التابعين: أهل العلم أهل توسعة، وما برح المفتون يختلفون، فلا يريب هذا على هذا. على أن الناس لو أخذوا من القرآن والسنة كما يريد هؤلاء، لما وقف بهم الاختلاف عند حد، ولأصبحت المذاهب أربعة آلاف بدلاً من أربعة، ويومئذ يكون الويل كل الويل للمسلمين. (لا أراه الله فلك اليوم).

وأما دعواهم حرمة التقليد فيردها المفعل والنقل (ومن العجب العاجب أنهم يحرّمون التقليد ولكن يدعون الناس إلى تقليدهم) :

ولولم نسمع تلك الأصوات المنكرة ما صدّقنا أن أحدا في الوجود يحرّم التقليد ويوجب على الناس على اختلاف طبقاتهم وتفاوت استعدادهم أن يأخذوا من الكتاب والسنة . وإنه ليدل على فساد ما قالوا المعقول والمنقول ، فإن العاى مكاف بالأحكام قطعا ، ولا يمكنه أن يأخذ الأحكام من الكتاب والسنة قطعا لما سنبينه .

وأما النقل فقد كان الصحابة والتابعون يفتون السائلين بالحكم ، فتارة يذكرون مأخذه إذا اقتضت الحال ذلك ، وتارة يقتصرون على ذكر الحكم ، وذلك معلوم على القطع من حالهم . ولو كان الأمر على ما زعم هؤلاء لا التزموا ذكر الدليل لأولئك السائلين الذين كان بمكنهم أن يفهموه ولا يضلوا فيه لأنهم من أهل اللغة . وكذلك كانت رسالة صلى الله عليه وسلم إلى البلدان ، كما ذنب جيل وأبي موسى الأشعري : يعلمون الناس الأحكام من غير التزام ذكر الدليل . بل قال معاذ للنبي صلى الله عليه وسلم : إنه إذا لم يجد الحكم في كتاب الله ولا سنة رسول الله اجتهد رأيه ، وأقره صلى الله عليه وسلم على ذلك . وخبر عمر شريحا في أن يجتهد رأيه فيما اشتبه عليه وأن يراجع فيه ، وإن كان ذلك أحب إلى عمر . ويقول الله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » أى عما اشتبه عليكم لا عن دليله . فلم يشترط القرآن غير أن يكون المسئول من أهل الذكر . ولا شك أن الأئمة المسلمين من أهل الذكر الموثوق بأمانتهم وعدالتهم ، ودينهم وعلمهم ؛ وليس يسألهم المستفتى عن آرائهم البحتة بالضرورة ، وإنما يسألهم عن حكم الله المأخوذ من كتاب الله وسنة رسول الله ، لكونهم أعم به منه ( بخلاف الأخبار والرهبان ، فإنهم كانوا يحللون ويحرّمون بأهوائهم ) .

والمدار على أن يحصل للمستفتى ظن قوى بأن هذا هو حكم الله ؛ فإذا حصل له ذلك الظن بموجب ثقته بإمامه الذى اتبعه ، وجب عليه العمل به ولا يجوز له مخالفته بوجه من الوجوه .

وما أدرى كيف يبيعون لكل إنسان أن يأخذ دليل الحكم من الكتاب والسنة ؛ وكيف يأخذ الحكم من الحديث مثلاً وهو لا يمكنه أن يعرف درجة الحديث ولا ماله من معارض ولا ما فيه من تخصيص عام أو تقييد مطلق أو نسخ ناسخ ، ولا ما بينه وبين غيره من ترجيح الخ . فإذا قالوا : إنه يسأل العالم عن ذلك كله فقد هدموا ما بنوا ، ورجعوا إلى التقليد الذي فروا منه . فإن العالم إنما يتكلم في ذلك كله برأيه ، فلم يخرجوا من تقليد آراء الرجال كما يقولون . ولو كانت الشريعة جاءت بهذا الحرج لكلفت الناس شططا ، ولم تكن شريعة سمحة تسع الأمم كلها ، ونصلح للأزمان كلها ، ولم يقل الله في شأنها : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » . فمجيلا لأولئك الذين يعمدون لأكثر ميزة للشريعة الإسلامية فينقمونها عليها .

وإذا تأملت بتور الله في ذلك الموضوع بهرك ما في تلك الشريعة من السعة والرحمة والحكمة . وقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا على التخفيف على أمته غاية الحرص ، وهو بالمؤمنين رهوف رحيم . حتى إنه لما نزل القرآن على حرف ما زال يتشفع حتى نزل على سبعة أحرف . وكان يكره المشددين المفرين ويغلظ القول لهم ، وينكر على من يبحث عن البواطن ، أو يشتد على عباد الله غلوا وتعمقا وجهلا بمقاصد الشريعة ؛ ولذلك اشتد على أسامة حين قتل من قال لا إله إلا الله ؛ مع كون أسامة رضى الله عنه كان متأولا ، ولكن حكمته عليه السلام أعلى وأتم ، فإنه يكتفى من الناس بظواهرهم تأليفا لهم ورحمة بهم ، علما بأن ذلك أليق بضعفهم وجهلهم ، وأقرب إلى إصلاحهم ؛ فهو يتدرج بهم بحكمته الكبرى حتى يوصلهم من الكمال إلى ما قدر لهم عن طيب نفس من حيث يشعرون أو لا يشعرون . ولو أردنا أن نبين آثار رحمته ومزيد حكمته التي اقتضت بقاء شريعته واندراج الكافة في سلك أمته لضاق المجال وطال المقال .

وإني أعجب لهؤلاء . كيف لا يميزون للعامة أن يتدخلوا في دقائق السياسة ، ولا للجاهل بصنعة من الصنائع أن يتولاها بلا تعلم ومزاولة ، ثم يميزون بل يوجبون



عليهم أن يخوضوا في القرآن والسنة بأفهامهم وأوهامهم التي تشبه أوهام الأطفال ولا تركز إلا على الخيال :

ولكنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب وليت شعري هل لهذا الجاهل الذي أباحوا له أخذ الحكم من الكتاب والسنة أن يخالف علماء المسلمين ، ويستظهر على سائر الأحكام التي ثبتت بالقياس في عهد الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين حيث يجد لها دليلا من الكتاب والسنة على زعمه ؟ وما أظن أحدا من ذوى الدين والعلم يستطيع أن يقول ذلك غير تلك الفرقة المجازفة التي تخطت طورها ولم تعرف قدرها ، وهل في الكتاب والسنة ما يدل على جميع الحوادث وأحكامها دلالة وضعية بدون حاجة إلى الاستنباط والقياس المستلزم لمعرفة العلة وشروطها ومسالكها وقوادحها وغير ذلك ، أم يقولون إن العاى يمكنه أن يعرف ذلك ولا يخطئ فيه بدون علم ولا بصيرة ؟

ولعمري إني لا أرى هذا الرأي إلا فتحا لباب الأهواء التي تجعل الكتاب والسنة لعبة لأولئك المنهوسين الذين هم من ذوى الجهل المركب والخيالات الفاسدة . ومما لا شك فيه أن الأهواء تختلف جد الاختلاف ، وأن الجهال إنما يستمدون من العواطف والأوهام ، لا من العقول والأفهام . فإذا يكون الحال إذا سلطناهم على الشريعة يفهمونها بأرائهم ، ويلعبون فيها بأهوائهم ؟

هذا ومعلوم أن المستفتى لا يسأل العالم عن رأيه ولا ما يستحسنه بمحض هواه ، ولكن يسأله عن حكم الله في المسألة ؛ وسؤاله لأهل الذكر عن حكم الواقعة إنما هو ليحييه المستول بما يعلمه من الكتاب والسنة ؛ فسؤاله عن حكم الله لا عن آراء الرجال التي لم تستند إلى كتاب أو سنة كما يتوهمون ثم يشنعون .

وكيف نجى هذه الخيالات أو تروج تلك الترهات فيمن لا يدين إلا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يتقصد حلالا إلا ما أحله الله ورسوله ولا حراما إلا ما حرمه

الله ورسوله ؟ لكن لما لم يكن له علم بما جاء عنه صلى الله عليه وسلم ، ولا بطريق الجمع بين المختلفات من كلامه ، ولا بطريق الاستنباط من دلالة الإشارة مثلا ، سأل عالما راشدا ، معتقدا أنه مصيب فيما يقول ؛ فإن خالف ما يظنه ألقع من ساعته عما أفتاه به . فكيف ينكر هذا أحد ، مع أن الاستفتاء والإفتاء لم يزلالا في المسلمين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ومن الذي يعتقد أن هناك فقيها أوحى الله إليه ؟ إن اقتدينا بواحد منهم فذلك لعلنا بأنه عالم بكتاب الله وسنة رسوله ، ولولا ذلك ما قلد مؤمن مجتهدا .

وعلى كل حال فن ذهب الى هذه النزعة الحمقاء فقد أنكر على كل من فوق البسيطة من جميع المسلمين الذين قلدوا الأئمة وأخذوا بكتب الفروع ؛ وما كتب الفروع إلا شرح للكتاب والسنة ؛ فما الذي يوجب التنفير والتحذير مما مرجعه الى الكتاب والسنة ؟ وهل يمكن العامة أن يفهموا الكتاب والسنة لولا ما كان من أئمة الهدى رضى الله عنهم ، كيف وفيهما المجمع والمبين ، والعام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والناسخ والمنسوخ ، والمنطوق والمفهوم ، وغير ذلك ؟

وقد قال ابن عباس : « إن القرآن ذو شجون وفنون ، وظهور وبطون ، لا تنفصى عجائبه ، ولا تبلغ غايته » . وعرفنا صلى الله عليه وسلم أن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ، (ولكن هؤلاء يريدون أن يطلعوا بغير مطلع ، ويجتهدوا بغير علم ، ويتكلموا بغير عقل) . ولم من سر وحكمة نهت عليهما الإشارة ولم تبيئهما العبارة .

ولعمري إن أكثر من يدعون العلم اليوم لا يفهمون وجه الدلالة ولا مدرك الأئمة ، خصوصا إذا كان الدليل ذا مقدمات يتوقف تقريب الاستدلال بها على أمور قلما يكون لأمثالهم إلمام بها . فما أبعد ما طوحت بهم الطوائف ، وما أعجب ما بلغ بهم الإعجاب ؛

إن الأخذ من القرآن والسنة يحتاج الى علم واسع ونور ساطع يفرق صاحبه به بين الحق والباطل ، فضلا عما يحتاج إليه من لغة ونحو وصرف ، وممان وبيان وأصول الخ .

وقد رأينا المعتزلة يقولون إن القرآن يشهد لمذهبهم ، والخوارج يدعون أن القرآن ناطق بنحلهم ؛ والباطنية يزعمون أن للقرآن معنى آخر غير معناه الظاهر ، والباية يعتقدون أن له معنى غير ما فهمه الجميع ، إلى آخر الفرق الضالة والنحل الزائفة . فهذه الفرق كلها كانت تستمد من القرآن على زعمها ؛ فكيف ندعه بعد ما رأينا ذلك كله لا هواء الجهلاء وآراء الأغبياء ؟ وقد كان كبار المحدثين المخلصين يقلدون الأئمة المجتهدين ، علما منهم بأن رواية الحديث لا تكفي في الاجتهاد . وقد قالوا : إن المحدث بمنزلة الصيدلي والمجتهد بمنزلة الطبيب . ولقد رأينا من الناس من ضل بظواهر التشابهات من القرآن والأحاديث .

### الخلاصة

والخلاصة أن أقوال المجتهدين المأخوذة من الكتاب والسنة ضرب من البيان والتفسير . وقد عرّفوا الاجتهاد بأنه استنفاد الجهد بالنظر في المآخذ الشرعية لتحصيل علم أو ظن بحكم شرعي . أما دعوى وجوب الأخذ من الكتاب والسنة لكل أحد فباطلة بإجماع الصحابة ؛ فإنهم كانوا يفتنون العوام ولا يأصرونهم بنيل درجة الاجتهاد والنظر كما قلنا ؛ وذلك معلوم بالضرورة والتواتر من علمائهم وعوامهم . وأيضا الإجماع منعقد على أن العايم مكلف بالأحكام ؛ وتكليف طلب رتبة الاجتهاد تكليف بالحال ؛ فليس عليه إلا أن يعرف حكم الله بأي طريق على مقتضى ظنه . ( ووجوب العمل بالحكم عند الظن معلوم لا نزاع فيه ) .

ومن المعلوم أن تقليد الأئمة ليس تركا للآيات والأحاديث ، بل هو عين التمسك بهما . فإن الآيات والأحاديث ما وصلت إلينا إلا بواسطة ، مع كونهم أعلم ممن بعدهم بصحتها وحسنها وضعيفها ، وصرفوعها ومرسلها ، ومتواترها ومشهورها ، وأحاديثها وغريبها ، وتأويلها ، وتاريخ التقدم والتأخر منها ، والناسخ والنسوخ ، وأسبابها ولغاتنا ، وسائر علومها ، مع تمام ضبطهم وتحريرهم لها ، وكال

إدراكهم وقوة ديانتهم، واعتنائهم وورعهم ونور بصائرهم، فتنفقوا في القرآن والأحاديث على مقتضى قواعد العلوم التي لا بد منها في ذلك، واستخرجوا أسرار القرآن والأحاديث، واستنبطوا منها قوائد وأحكاما، ويدينوا للناس ما يخفى عليهم على مقتضى المعقول والمنقول، فيتسروا عليهم أمر الدين، وأزالوا المشكلات باستخراج الفروع من الأصول ورد الفروع إليها، فاستقر من الدين لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بسببهم الخير العميم، كما قال إمام الحرمين .

كلمة ثمانية :

إن أمثال هؤلاء التهورين لا يصح أن يكونوا من أئمة الهدى ولا علماء الدين، فإن أخص أوصاف الأئمة والعظماء : الرزاة والأناة، واحترام غيرهم من العلماء، والشفقة على الأمة، ووراة الرسول صاحب النظر الواسع والحكمة البالغة والسماحة المتناهية . وينبغي أن يعرفوا أن كل ما هو محل للنظر وموضع للاجتهاد يجب ألا يتنازع فيه الناس، فالأمر فيه واسع، فكم اختلف الصحابة والتابعون وتابعوهم مع محبة بعضهم لبعض، حتى قاسم الإمام مالك الإمام الشافعي ماله مررا، وقد خالفه في أشياء كثيرة وهو تلميذه . وقد قالوا : إن المنكر لا يجب إنكاره إلا إذا كان مجمعا على إنكاره .

وإلى آخر عجي منهم كيف يلزمون غيرهم باتباعهم وهو ينادى بخطهم ويقم البرهان من الكتاب والسنة والعقل والنقل على ذلك ؛ بل تنزل قليلا ونقول لهم : أفتوجبون علينا تقليدكم وأنتم تحرمون التقليد، أم ماذا ؟

هذا والله غض من شأن الأمة وعلمائها وأئمتها، وهي تلك الأمة التي أدهشت التاريخ وأنظمت أعداء الاسلام بفضل الاسلام، وقد صورتها يا حضرات المتفهبين بصورة الأغنام التي تتبع كل ناعق، وهي من الحكمة والفلسفة بالحل الذي لا ينكره منصف أوربي فضلا عن عالم إسلامي وأما رميكم بإمام بأنهم كانوا يقيمون أئمتهم اتباعا لا منافسة فيه ولا تبصر معه ولا حياة في ذويه فهو غير صحيح، فإنهم كانوا عقلاء حكماء

مخلصين ، على بصيرة من أمرهم ؛ فكان كل يقف عند حده ولا يتخطاه ، فإذا ظهر له الحق اتبعه لا محالة ، فإن المسلمين عموما لا يريدون إلا اتباع الرسول لا غير ؛ وإذا اتبعوا إماما فإنما يتبعونه في أن هذا هو سنة الرسول وشريعته فيما يعتقدون . ولا يصور غير هذا .

أما كونه مخطئا في الواقع أو مصيبا فذلك شيء لم يكافهم الله به ، ولا يخلو منه مجتهد ولا مقلد ؛ والخطأ إلى من يجتهد وليس أهلا للاجتهاد أقرب منه إلى من يقلد لمجتهد الموثوق به للشهود له بالإمامة . وهذا تنزل اقتضاء المقام ، وإلا فاجتهاد من ليس أهلا للاجتهاد من أكبر الكبار وأعظم الجنائيات على الدين وأهله . على أن أتباع الأئمة لم يكونوا من تقليد على ما يزعم هؤلاء ، فإننا نرى أبا يوسف ومحمدا كثيرا ما يخالفان أبا حنيفة ، بل لا نكاد نجد مسألة لا يذكر فيها ذلك الخلاف الذي يبين استقلالهم وشدة حرصهم على اتباع الحق متى ظهر دليله .

وها هو ذا الامام الشافعي يقرر في مذهبه الجديد أن المغرب لا يعتد وقته إلى الشفق . ولكن أصحابه عدلوا عن قوله اتباعا للدليل . وكذلك لا يرى صوم أحد عن الميت ، وخالفه أصحابه تبعا للدليل . وم لا بن عبد البر وأبي بكر بن العربي المالكيين من مخالفات في مذهب مالك ، وكذا غيرهما . إلى آخر ما لا يسعه هذا المقال .

ولكن كانوا يعرفون درجاتهم ، فب يتبين لهم دليله اتبعوه وقالوا به ولو خالف الامام ، وما لم يتبين لهم فيه شيء كانوا فيه على رأي الامام ، علما بأنه أعلم منهم بالسنة وأعرف بروح الشريعة . وهكذا يجب أن يلتزم كل إنسان حده ولا يتعدى درجته . فكان لكبار الأئمة الاستقلال التام ، ولا كبر تابعيهم الاستقلال الجزئي من التضعيف والترجيح ، وللعامة الاتباع ، فإنه لا يصح فيهم غير هذا ، وهو عين الحكمة . ولولا ذلك لصار الدين لعبة بيد الجهال ، وهذا ما نخاف منه ونحاول القضاء عليه . وليس معنى ذلك أننا نقول بعدم جواز الاجتهاد ، أو أنه أغلق بابا كما يقولون ، فإن

أبواب فضل الله لا تفاق . وهل هذا إلا حجر على الله عز وجل ؟ ولكن هناك فرق كبير بين إمكان الشئ ، ووقوعه ، وبين إسناده إلى أهله وإسناده إلى غير أهله . وقد أصبحنا في زمان ضاعت فيه الحدود ، وتمدى كل إنسان طوره ، ولم يعرف قدره ، وهي أكبر مصائبنا وأعظم بلايانا التي نئن منها ولا نعلم منهاها :

ليت شعري عواقب الأمر ماذا وإلى ما بنا المآل يؤول

وإنما نحكم القراء الكرام بيننا وبينهم ، فنبسط وجهة نظرنا ونظرهم ، وطريقتنا وطريقتهم بالاختصار ، عسى أن ينقطع المراء والجدال :

نحن نرى أن الناس على درجات شتى فيما وهبهم الله من الاستعداد الفطري ، وفيما أحاط بهم من ضروب التربية المختلفة والبيئات المتنوعة ، وما قدر لهم من فنون الشواغل ، وما عنوا به مما أقامهم الله فيه . نرى أن كل طبقة لها حكم يخصها ، فمن وصل إلى درجة الاجتهاد وجب عليه الاجتهاد وكان آثما بتركه ؛ ومن وصل إلى درجة الترجيح وجب عليه ذلك ؛ ومن قعد به استعداده أو تربيقه أو بيئته ، أو ما أحاط به من شواغل المعيشة أو الوظيفة ، فعليه أن يقلد من يشق به ويعلم أنه غير جاهل بدين الله ولا غاش فيه . ومتى انقده في ظنه أن هذا هو حكم الله وجب عليه اتباعه ولا يجوز له مخالفته ؛ فهو مثل المجتهد سواء بسواء متى ظن أن هذا هو حكم الله وجب عليه اتباعه ولا يجوز أن يخالف ظنه ، بل ذلك غير معقول ، فانه إذ لم يكن يعتقد أن هذا هو حكم الله فكيف يتبعه ؟ وقد قال العلماء : إن ذلك علم ويقين وإن كان في طريقه ظنون . وهذا هو ما في لومع ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها . وليس من المعقول أن يظن أن حكم الشريعة هو كذا مثلا ثم يعدل عنه إلى غيره .

أما إخواننا ( أصحاب النهضة الحديثة والطفرة غير المعقولة ) فيرون وجوب الأخذ من الكتاب والسنة بلا مراعاة لشروط الاجتهاد ، ولا تفرقة بين ضروب الاستعداد . وهذا مبدأ خطر جدا ، إذا جربنا عليه عمت الفوضى وفسد أمر الدنيا

والآخرة؛ فن المحتم لصالح المجتمع وتنام النظام أن يعرف كل إنسان قدره ولا يتعدى طوره، وأن توزع الأعمال: فهذا للتجارة وهذا للزراعة، وهذا للعلم وذلك للاجتهاد، وغيره للتقليد، وهلم جرا. وعلى هذا بناء الوجود وصالح العالم، والقاعدة واحدة في أمور الدين والدنيا، وقد خلق الإنسان ضعيفا « ولكل وجهة هو موليها » ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه .

ولمى أعجب لهؤلاء، كيف يعملون أمر الاجتهاد أقل من جميع الصنائع التي لا يجتهد صاحبها إلا إذا كان له فيها علم واسع وعمل متكرر، حتى يعرف أسرارها ودقائقها، ويصبح من ذوى التبريز فيها. وكانت مسألة الدين أصبحت من أقل المسائل لدينا وأهونها علينا؛

وقد رأيت لبعضهم ردا يحمل سقوطه في طياته فلم أعياه ولم ألتفت إليه. وما قامت قيامة هذه الطائفة إلا من قولنا لهم: إنه يجب إعطاء المراتب حقها. ثم بالغنا في التصريح ولم نستعمل السياسة ولا المواربة فقلنا لهم: إنكم لا تصلحون للاجتهاد ولا باقتم درجته، واجتهادكم لا يأتى إلا بشر الغايات وأعظم الآفات؛ فاعرفوا قدر أنفسكم واتقوا الله فيها. ثم نقول لمزيد الإيضاح بعد ذلك كله: إن من المقرر أنه لا يجوز خرق الإجماع؛ ومن الذى يستطيع ذلك إلا من عرف أقول العلماء وأحاط بمواقع الخلاف والاتفاق، إلى غير ذلك من المهامه الفيحاء التى تنقطع فيها أعناق المطى ويضل فيها الخريت. وقد ذكرنا أن الرجحات التى توجب تقديم بعض الأحاديث على بعض عند التعارض تزيد على الخمسين، فكيف نلزم الناس بالاجتهاد ونحرم عليهم التقليد بعد ذلك كله؟

أسأل الله أن يرزقنا الإينصاف، ويحبينا الاعتصاف، ويمهلنا من أهل الرحمة والحكمة، بمنه وكرمه؛

يوسف الرجوى  
من هيئة كبار العلماء

## سيرة قتيبة بن مسلم

أتينا في أعداد ماضية على سير القواد الاسلاميين الذين تولوا فتح الأبواب العالمية في وجه الاسلام، واليوم نأتى على سيرة قتيبة بن مسلم فاتح السند والطلقان وسمرقند وغز وكش وكسف والشاش وفرغانة وبخارى وخوارزم وطخارستان وأفغانستان حتى انتهى الى أسوار الصين فضرب عليها الجزية، فكانت فتوحا تزدى بفتوح الاسكندر المقدوني، وترفع من شأن القيادة الاسلامية على القيادة المقدونية اليونانية، وتشهد للجنود الاسلاميين بصلابة العود، وتحمل المشاق، والتفانى للوصول الى الغايات البعيدة. وليس لهذا كله من سبب سوى ما بعثه الدين الاسلامي في قلوب المسلمين من الروح المعنوية، روح الايحاء والتسائد، والعقيدة التي غرسها في نفوسهم من أن من يعمل على جعل كلمة الله هي العليا ويموت في ذلك السبيل يكون شهيدا ليس له جزاء إلا الجنة. ولقد تأصلت هذه العقيدة حتى امتزجت بدمائهم وسرت فيها سريران الماء في العود الأخضر، ولم يكن لواحد منهم ثم ولا غاية من جهاده إلا أحد أمرين: إما أن ينتصر الدين، أو يموت المجاهد في سبيله.

### سيرة قتيبة بن مسلم ونسبه و مناقبه :

هو قتيبة بن أبي صالح مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي. ولد سنة (٤٩) هـ. كان أبوه مسلم كبير القدر مقربا من يزيد بن معاوية. ومسلم هذا هو صاحب الحرون وهو من فحول الخيول ذوات الشهرة، كان يضرب به المثل في الأصالة. وقد نشأ قتيبة في هذه البيئة نشأة صالحة، وظهرت عليه سمات النجابة، وما زال يتقلب في أدوار الحياة حتى بلغ سن الرجولة، فلفت نظر الحجاج بن يوسف وتوقع فيه الكفاية لأعلى



المناصب، فولاه خراسان، وهي ولاية فارسية كان الحجاج مولى عليها هي والعراق من قبل عبد الملك بن مروان .

يلاحظ القارىء أن قتيبة المذكور كان من بنى باهلة، وهذه القبيلة كانت محتقرة في نظر بقية العرب في مستوى بنى غنى وبنى سلول، ولكن الاسلام قد سوى بين الناس وعملهم بالعدل المطلق، فاستطاع مسلم بن عمرو أن يرتفع على من سواه في نظر يزيد بن معاوية، ولم تمنح ابنه قتيبة هذه النسبة من أن يرتفع الى درجة أكبر القواد. وقد روى أن الأشعث بن قيس الكندي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: « أتتكافأ دماؤنا؟ فقال: نعم، ولو قتلت رجلاً من باهلة لقتلتك به ».

وأوجه ما ذكره أئمة الأدب عن سبب تضاع بنى غنى وبنى باهلة ما ذكره حسين ابن بكر الكلابي النسابة فقال: « لقد كان فيهما غناء وشرف ولم يضمهما إلا لإشراف أخويهما فزارة وذيان عليهما بالماكر فسدتوا بالاضافة اليهما » أى أنهما في نفسيهما ليسا بوضيعين كما يشوهه البعض .

لما أخذت أخبار الفتوحات تترى على الحجاج من ناحية قتيبة بن مسلم قال: بعثت قتيبة فتى غرافاً زده ذراعاً إلا زادني باعاً.

ولما تمت لقتيبة هذه الفتوحات العظيمة استدعى اليه نهار بن توسة شاعر المهلب ابن أبي صفرة وقال له: أين قولك في المهلب لما مات:

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى ومات الندى والجود بعد المهلب

أفغزو هذا يانهار؟ قال: لا بل أحسن. ثم قال نهار: وأنا القائل:

وما كان مذكناً ولا كان قبلنا ولا هو فيما بعدنا كابن مسلم

أعم لأهل الشرك قتلاً بسيفه وأكثر فينا مقسماً بعد مقسم

ولاديه على خمراسه وفتوحه البلدانه:

ولى الحجاج بن يوسف قتيبة بن مسلم خراسان سنة ( ٨٩ ) هـ . وهو ابن

سبع وثلاثين سنة . فلما وصل اليها عرض جيوشها ، ونظم شئونها ، ثم شمر للجهاد على رأس جيش جرار ، بعد أن جعل على المهمات الحربية عمرو إياس بن عبد الله بن عمرو من مهرة القواد ، وجعل على الخراج عثمان بن السعدى ، وسار هو ليعبر النهر الى أرمينية وبخارى والتركستان ، فتسامع ملوك تلك الأقطار النائية بهذه الحركة ، فنهزم من أدرك أنه لا قبل لهم بقتال المسلمين فأضرموا التسليم ، ومنهم من عزموا المقاومة والاستبسال دفاعا عن أوطانهم ، وزيادا عن حياضهم . كان من الفريق الأول ملك الصغانيان ، فإنه أقبل على قتيبة بعد اجتيازه النهر مقدما اليه الهدايا والتحف وطالبا اليه أن يحتل بلاده ليتخلص بذلك من غارات مملكتهم آخرون ومملكة سومان عليه (١) . ثم زحف قتيبة على هاتين المملكتين ، وهما من طخارستان ، فصالحه ملكهما على جزية أداها اليه . ثم عاد الى مرو وهى قاعدة معسكره واستخلف على الجند أخاه صالحا ، ففتح هذا كاشان وأورشت من فرغانة ، ثم أخسيكت وهى فرغانة القديمة ، وكان معه القائد المحنك ابن يسار ، فأبليا بلاء حسنا .

لما صالح قتيبة ملك سومان كتب الى البطريق طرخان صاحب باذغيس ليسلم اليه ما عنده من أسرى المسلمين وهدده ، فبعث بهم اليه . ثم كتب الى البطريق يستقدمه على الأمان ، فتناقل خوفا ثم قدم وصالح لأهل باذغيس على أن لا يدخلها قتيبة .

ثم زحف قتيبة على بيكنداد من مدائن بخارى فاستغاث أهلها بالمصدق من شعوب التركستان البواسل ، فخفوا لإغاثتهم فى جموع كثيفة ، وتقصدوا قتيبة ، فحاصروه حصارا محكما ، فانقطعت أخباره عن بلاد المسلمين شهرين متتابعين ، وظن الناس به ويمتوده الظنون . وكان هو فى هذه الآونة يدافع عن نفسه ويقلق العدو بمناوشاته المتوالية ، ثم حمل عليهم حملة صادقة فاخترق صفوفهم وأتخن فيهم ، فطلبوا اليه الصلح فقبله منهم

(١) هذان الاسمان وما يرد فى هذه المقالة من أسماء الممالك كلها كانت قائمة فى الحيز الذى تشغله الآن الهند وبلوخستان وبخارى والتركستان الروسى والتركستان الصينى . وقد تغيرت حدودها مرارا حتى آلت الى ما آلت اليه اليوم .

وجعل عليهم عاملا من قبله ، فما كاد يسير قليلا حتى حسنت لهم أهواؤهم الغدر ، فقتلوا عامله واستولوا ثانية على حكومتهم ، فلما بلغ قتيبة ذلك اشتد غضبه عليهم ، فعاد اليهم وهدم سورهم ودخل المدينة فقتل مقاتلتها كلهم ، وسبي من سبي ، وغنم كل ما فيها من السلاح والأواني الذهبية والفضية ، فكانت غنيمة لم يصيبوا مثلها قط .

وفي سنة ثمان وثمانين زحف على نومكشت فصالحه أهلها على الجزية ، ثم قصد رامسة فصالحه أهلها على شروط صلح نومكشت .

فلما رأت الشعوب التي تقيم في تلك الأصقاع هذه الفتوحات العظيمة أجمعت أمرها على التفاني في الذود عن بيضتها والدفاع عن كرامتها ، فأجمع الترك والصغد وأهل فرغانة على منازلة جيوش المسلمين ، فصمدوا إليها في مائتي ألف رجل تحت قيادة الملك كور بمابور ابن أخت ملك الصين ، فكانت حروب بين الطرفين يشيب لها ولها ولدان ، وتحدث بها الركبان ، ثم تمكن المسلمون من هزيمة أعدائهم بتفانيهم في الدفاع عن أنفسهم وبحسن قيادة أميرهم ، وبعد أن أزال الخطر عن الحاميات الإسلامية الموجودة في تلك البلاد ، وأمن على فتوحاته من شر الانتقاض ، عاد إلى صرو .

وفي سنة ( ٨٩ ) صدر إليه أمر الحجاج بن يوسف الثقفي بغزو بخارى ، فعبه إليها النهر من مدينة زم ، فلقية هنالك الصغد وأهل كش ونسف في مفازة لا ماء فيها ولا قوت ، فدارت بين الفريقين حروب من أشد ما يعرف عن أمثالها ، وانتهت بفوز قتيبة بن مسلم على أعدائه ، فسار قاصدا بخارى فحاصرها ، وهم باقتحامها فالتوى عليه أمرها ، فتركها ورجع ليعاود فتحها بعد حين .

وفي سنة ( ٩٠ ) أمره الحجاج بالعود إلى محاولة فتح بخارى ، فسار إليها فشدد الحصار عليها ، فاستنجد ملكها بمن حوله من الصغد ، والترك ، فلما وصل مددهم خرجوا جميعا إلى المسلمين ، فانهزموا أولا ثم كروا وقتلوا الترك حتى ردوهم على أعقابهم

الى موقفهم الأول ، ثم قذف اليهم قتيبة بفرقة من جنوده فتقدمت حتى خالطت الترك وأزالتهم عنه ، وكان بين بخارى وبين المسلمين نهر فعبروه ، واضطر خاقان بخارى وولى عهده أن يخرجوا في جيوش جرارة ليقاتلوا المسلمين ، فحدثت معارك من أشد ما شهد الناس من أمثالها انتهت بهزيمة البخاريين وضياع مملكتهم .

فلما بلغ هذا الفتوح طرخون ملك الصفد حضر الى معسكر قتيبة طالبا الصلاح ، فنهضه إياه قائد المسلمين ، وكان في معسكر المسلمين الملك نيزك صاحب باذغيس من التركستان بعد أن سلم واحتلوا بلاده ، فهاله ما رأى من حركات قتيبة ونجاحه الباهر ، فاستأذنه في الرجوع الى بلده فأذن له ، فقصده طخارستان يريد التائب على المسلمين ، فبعث قتيبة اليه من يقبض عليه فلم يدركه . أما هو فأظهر العصيان في بلاده وأغرى به الأصبهند ملك بلخ وباذان ملك مرو والروز ملك الطالقان وملك القارابات وملك الجوزجان ، فاجتمعت كلمتهم على صد زحف قتيبة بن مسلم وإرغامه على الرجوع الى بلاده ، فم نثن عزيمة هذا القائد العظيم ، فبعث أخاه عبد الرحمن بن مسلم في اثني عشر ألفا الى البروقان وأمره أن يقيم هنالك حتى ينقضى الشتاء ولا يحدث شيئا ، وقال له : إذا انقضى الشتاء فتقدم الى طخارستان وأنا قريب منك ،

واستقدم قتيبة جنودا من نيسابور وغيرها ، فقدموا فصار بهم نحو الطالقان وهي من الممالك الثائرة ، ففتحها وألحق في أهلها ، ثم استخلف عليها أخاه محمد بن مسلم وسار هو الى القارابات ، فخشى ملكها أن يحل ببلاده ما حل بالطالقان فسلم ، فعين عليها قتيبة واليا من رجاله ، وسار قاصدا الجوزجان فلقية أهلها بالطاعة على الرغم من ملكهم ، فاضطر الى الهرب ، فعين قائد المسلمين عليهم واحدا من قواده وهو عامر بن مالك ، ثم سار الى بلخ فخضع له أهلها وصالحوه على الطاعة .

ثم قصد قتيبة نيزك موجد هذه الفتنة ، فوجده قد جعل مقاتليه على قم الشعب للؤدى الى بلاده ، فأقام المسلمون أياما يقاتلونهم ولا يهتدون الى مكان يقتحمونه منه ،

حتى دهم بعض العجم على طريق يتسرب منه الى حصنهم ، فسلكوه حتى وصلوا الى معسكر العدو ، فحدثت بين الفريقين موقعة عنيفة انتهت بفرار المدافعين . فانتقل نيزك الى وادي فرغانة وبث أثقاله وأمواله الى كابل ( عاصمة أفغانستان اليوم ) ، ومضى الى الكون فتحصن به ، وهو من أمنع المعاقل ، فحاصره قتيبة بن مسلم شهرين متتابعين ثم استولى عليه .

بعد هذا النصر أرسل اليه ملك الجوزجان يستأمنه ، فأمنه على أن يأتي اليه ، فطلب اليه ملك الجوزجان رهناً فأعطاه ، وقدم عليه مقدماً الطاعة ، ثم عاد الى بلاده ، وكان ذلك سنة ( ٩١ ) هـ

ثم سار الى شومان وكان ملكها قد طرد عامل قتيبة ، فأرسل اليه وسولا ينصحه بأن يمدد العامل الى عمله ، فأبى فساق اليه قتيبة الجنود وحاصره وأخذ يضرب حصنه بالمجانيق حتى هدمه ، ففرج الملك ومن معه من المقاتلة ودافعوا عن أنفسهم حتى قتلوا . ولما انتهى من هذه بعث أخاه الى الصفد وملكهم طرخون ، فأعطى ما كان صالح المسلمين عليه من الجزية . وسار قتيبة الى كش ونسف فصالحه أهلها .

وفي سنة ( ٩٢ ) قصد سجستان فصالحه أهلها . وكان ملك خوارزم قد غلبه أخوه الأصغر على أمره وعاث في المملكة فساداً ، فكتب الى قتيبة يستقدمه ليسلمه بلاده على شرط أن يسلمه أخاه والذين يشايمونه ، فقبل منه وسار على رأس جيش موها أنه يقصد الصفد ، فلم يأبه أهل خوارزم لحركته ، ولكنهم ما عتصموا أن رأوا أنه نزل هزارسب وهي قرية من قاعدة ملكهم ، فثاروا الى ملكهم طالبين منه أن يأذن لهم في محاربتة ، فقال لهم : لا طاقة لنا به فلنصالحه كما فعل غيرنا ، فقبلوا منه ذلك وفاوضوا قتيبة في هذا الأمر فقبله ، وسار الى الغيد وضرب عليها الجزية .

وانتقل قتيبة بعد ذلك الى خام جرد ، أحد ملوك تلك الأصقاع ، فقاتله وقتله واستولى على أرضه .

ثم وجه جيوشه صوب بلاد الصغد . وكانت على مسافة عشرة أيام من خوارزم  
فقدم أخاه في الفرسان والرماة وبعث بالأثقال الى مرو ، وخطب جنوده وحشهم على  
الثبات والصبر ، ثم سار قاصدا الحرب فلاحق بأخيه بعد ثلاث ، فحاصر الصغد بسمرقند  
شهرًا ، وكانوا قد أناروا أهل الشاش وأخشاد صادقان وفرغانة ، فانتخبوا أهل النجدة  
من أبناء الملوك والرازية والأساورة ، وهذه رتب عسكرية عندهم ، وولوا عليهم ابن خاقان  
قائدا عاما لصد تيار المسلمين ، فانتخب قتية لقتالهم أنجب رجاله تحت قيادة أخيه صالح  
ابن مسلم ، فقاتلهم حتى هزموهم ولم يفلت منهم إلا القليل ، وكان في القتلى ابن خاقان نفسه .  
ونصب قتية المجانيق على سور سمرقند ، وما زال يضربها بها حتى نلهم سورها ، واشتد  
القتال بين الفريقين ، فطلبوا الصلح فلم يضمن به عليهم ، وحدث الاتفاق على دفع بلاد  
الصغد جزية سنوية ألفي ألف ومائتي ألف متقال من الذهب في كل عام ، وأن يعطوه تلك  
السنة ثلاثين ألف رأس ، وأن يمكنوه من بناء مسجد بسمرقند ، وأن يخلوها حتى يدخلها  
ويصلى فيها فقبلوا ، فدخلها وصلى بمسجدها ، ثم جعل رجلا من قواده عاملا له عليها ، وولى  
المغيرة ابن عبد الله على نيسابور .

وفي سنة ( ٩٤ ) هـ فرض على أهل بخارى وكش ونسف وخوارزم عددا  
من الجنود ، فأرسلوا اليه بعشرين ألفا فيعت بهم الى الشاش ، وسار هو الى خجندة  
فقاتله أهلها مرارا ثم سلموا له ودخلوا في طاعته .

### مرة هذه الفتوح العظيمة :

إن هذه الفتوح لا يبق إلا شادة بها أى تعبير ، فإن المسافة بين الفرس وحدود  
الصين شرقا وبين سيبيريا وحدود الهند جنوبا يكاد يعجز السائح الخفيف عن قطعها والتجوال  
فيها ، فكيف بالجيوش الجرداء وما تستدعيه من أثقال وموئن وفخاير وعلف لاخيول ؟  
وإذا كان مجرد الجولان فيها من الصعوبة بمكان ، فكيف بالقتال فيها ومحاصرة المدن  
والقلاع ؟

وإذا كان هذا كله قد تيسر له ، فكيف يعقل أن يغامر قائد بعدد محصور من الرجال فيبقى بنفسه في وسط أمم كلها حربية شديدة اليأس ، فينتصر عليهم هذه الانتصارات الباهرة ، أو تدرى ما حدث بعد هذه الانتصارات مما بهم حياة الدين الاسلامي ؟ حدث أن هؤلاء الأقوام رأوا من مدنية المسلمين وعطفهم على الضعفاء والمقهورين ، ما لفتهم لدراسة دينهم ، فدخلوا فيه أفواجا أفواجا ، مع أن الجزية التي كانت تؤخذ منهم ما كانت لتبلغ ربع ما كانوا يدفعونه لحكوماتهم الوطنية ، وما مضى عليهم في الاسلام سنون معدودة حتى أصبحوا من أنجب أهله علماء وعملاء ، وقد نبغ منهم أئمة رفعوا علم الاسلام عاليا ، وبنوا له مجدا باذخا ، فن الذي يصدق أن البلد الذي يفتحه قتبية بن مسلم في سنة (٩٢) يُنْجِب بعد هذا التاريخ بنحو خمسين سنة إمام المحدثين ، وشيخ شيوخه أجمعين ، وهو الامام البخاري رضي الله عنه ؟ ولا أذكر لك من يدعي منهم بالنيسابوري والسمرقندي والنسفي والخوانزاري والأربلي والترمذي الخ الخ ، وكلهم من تلك الجهات المباركة التي لا تزال معاقل الاسلام الحصينة . فلقبتبة بن مسلم يد في بناء صرح الاسلام تضعه في مصاف كبار القادة الاسلاميين الذين فتحوا الأبواب العالمية في وجه الاسلام ، وسهلوا له الجولان في الأرض .

قتل في سنة (٩٦) هـ رحمه الله رحمة واسعة م

محمد فريد ومبري

## تحوط القضاة في الاسلام

قال الشعبي : كنت جالسا عند شريح إذ دخلت عليه امرأة تشكى زوجها وهو غائب ، وتبكي بكاء شديدا . فقلت : أصلحك الله ما أراها إلا مظلومة .

قال شريك : وما عليك ؟

قال الشعبي : قلت لبكائها .

فقال شريك : لا تفعل فإن إخوة يوسف جاءوا أيام عشاء يبكون ، وهم ظالمون !

## كيف تخلص العلم من النظريات المادية

أثبتنا هنا في بحوث متنوعة أن المادية قد أنجابت غياهاها عن العلوم الطبيعية في هذا العصر، ونريد اليوم أن نمد هذه البحوث ببراهين جديدة لزيادة مادة هذه الدلائل القاطعة التي لا غنى لكل مشتغل بإصلاح القلوب والعقول عن اللجأ إليها :

تناول الأستاذ (باريت) Barrett مدرس الطبيعة بجامعة أدمبره هذا الموضوع في كتابه (على عتبة العالم الآخر) فقال :

« إن المادى قد حبس نفسه في سجن حواسه الخمس ، ولذلك هو يتوهم أن كل ما لا يدركه بواحدة منها غير موجود ، وتراه يحاول أن يثبت أن الحياة لا تقوم بدون المادة ، وأن الجواهر الفردة لهذه المادة تنطوى على الاستعداد لقبول كل صورة وكل حياة كما يقول الأستاذ (تندل) Tyndall » .

قال الأستاذ باريت : « ولكن كثيراً من علماء الطبيعة يرفضون هذا القول ، فقد كتب لى الأستاذ (بلفور ستوارت) سنة ١٨٨١ يقول : « لقد اتضح وضوحاً تاماً أن اعتراف العلم بوجود العالم الروحاني أمر لا بد منه لتقويم التعليم العقلى للنوع البشرى ، ولا أشك في أننا واصلون الى هذه الغاية » .

« وقد تحققت ثقته برأيه هذا ، لأن علم النفس العصرى يؤيد المباحث الروحية . وأصبح الطبيعيون اليوم لا يعتقدون بوجود الجوهر الفرد المادى الذى افترضه (لوكريس) . وصارت نظرية قيام العالم بمحض القوانين الميكانيكية داحضة بعد أن كانت رائجة في العقلية الألمانية . وجميع المقررات التى كان يلوكها المذهب المادى قد هوجمت مهاجمة عنيفة من الناحية الفلسفية منذ زمان طويل » .

« قال الفيلسوف الانجليزى المشهور (هربرت) :



«إن الافتراض الشائع القائل بأن الوجود المادى والكائنات الحية التى تحيط بنا يمكن أن تحيط بها علما مباشرا لاشك فيه ، وأن هذا العلم يؤلف مجموعة من الحوادث الحقيقية يمكن العقل أن يصدر عليها حكما صحيحا بدون الاستعانة بالايمان ، إن هذا الافتراض ضلال بعيد مؤسس على جهالة مذهشة بحقيقة القصور الطبيعى الخاصة المعرفة الانسانية التى أدركها المفكرون نعم الإدراك حتى فى العصور الأولى للفلسفة . والحقيقة أننا مضطرون لأن نجاوز حدود الطواهر ، وأن تؤمن بوجود قوى وحقائق لا نراها بأعيننا ، وذلك حين ندرس ماضى الخليفة والأشياء البعيدة والوجود المادى والروح الانسانية .»

نقول : يريد الأستاذ (هربرت) من قوله هذا أننا إذا لم نتمد فى تكوين معارفنا على الايمان بضرورة وجود حقائق غير مرئية لنا ، فإننا لا نستطيع أن نكون لأنفسنا فكرة علمية عن الطبيعة وظواهرها .

وإذا اعترض علينا باحث سطحي بقوله إن العلوم الطبيعية مؤسسة على الأمور المحسوسة بواسطة المشاهدات والتجارب فما شأن الايمان بوجود حقائق غير مرئية لنا هنا ، أجبتاه بقول الأستاذ (ا . ج . بلفور) الانجليزى فى كتابه أصول الاعتقاد ، وهو من أعلام العلم الطبيعى ، قال :

«ماذا نقول فى هذه التجارب العلمية ونحن نرى أنها لا تسلم من الخطأ ، بل لم يك فيها قط ما هو صحيح صحة مطلقة ، فإن تسعة أعشار مدركاتنا تأتينا من طريق حاسة البصر ، ويقول العلم إن كل ما يأتينا من طريق هذه الحاسة بلا استثناء خادع لا يصح الوقوف عند ظاهره ؟»

قال الأستاذ (باريت) شارحا هذا القول فى كتابه المتقدم ذكره :

«يعنى الأستاذ (بلفور) بما يقول أن صور الكائنات التى تقع تحت بصرتنا وبريقها ولونها ، ليست هى خصائص لهذه الكائنات ، ولكنها مقتضى شعورات منا

تولدها الأمواج الانبثاعية المنبعثة منها . هذا ما قررته لنا المباحث البصرية . لذلك يمكننا أن نقول مع الأستاذ بلفور بأن مدركاتنا باعتبار أنها مصادر معلوماتنا ليست هي وهمية خسب ، ولكنها مضللة أيضا . مثال ذلك أن كل تأثير للعصب البصري سواء أكان واقعا عليه من النور أو الضغط أو الكهرباء أو أى مؤثر كيميائي فهو يحدث على صورة برق لامع ، وقد اعتدنا أن نسميه بهذا الاسم . أليس في هذا دلالة على أن إبصار العين للأضواء حتى مع تهيج عصبها بالمؤثرات المعتمدة خداع بصري محض لا يعبر عن حقيقة المؤثر فيها ؟ وقس على هذا كل المدركات التي تأتينا من بقية الحواس .

« فما أشد ما يكون الخلاف بين ما ندركه من الوجود الآن وبين ما ندركه منها لو حرمتنا من بعض حواسنا الخمس ؛ وما أكبر ما يكون الفرق بين ما ندركه الآن بمحواسنا هذه وما ندركه لو منحتنا حواس أخرى تزيد اتصالنا بالعالم الخارج عنا ؛ ! ! !

« فجعلنا أو تجاهلنا هذه الحقائق ، وعدم اكترائنا بالفرق العظيم بين مدركاتنا وبين الواقع ، هو السبب في ترددنا والعمالة في وقوع المنازعات القائمة بين العلم والدين .

« إن من أوليات التعاليم في فلسفة التعمق هي أن كل ما نعرفه عن الكائنات وعن الظواهر الخارجية يتألف من شعورات باطنية لنا ، ولكن كنه تلك الكائنات في ذاتها محجوب عنا لا نعلم عنه شيئا على الإطلاق . فكل ما نعلمه يرجع الى حالات وجدانية أو رموز أو علامات تثيرها في عقولنا الحوادث الواقعة في الخارج . أما الوجود المادى الحقيقي فإما لا ندركه على ما هو عليه ولا على ما يشبه أن يكون عليه ، وليس عندنا أقل عم بالشئ الذى نسميه بالمادة » (راجع ما كتبه الدكتور ستونى Stoney في المجلد السابع من محاضر الجمعية العلمية الملكية بدبلين صفحة ٤٧٥ ) .

هذا ما قاله الأستاذ ياريت شرحا لكلام الأستاذ بلفور . ثم زاد هذا الأمر الخطير تجلية بقوله :

« إننا نرى حركات إبرة الآلة التافرافية ، وتتعلم قراءة الرسائل التي تحملها اليها ، ولكن هذه الإبرة المتحركة لا ترىنا الانسان الذى يجعلها تتحرك ، ولا يوجد بينها وبينه

أقل شبه . فإذا كانت العلامات التلغرافية التي ترسمها الإبرة تعطينا رسائل نذكرها بمقولنا ، فذلك لأن عقل المرسل لها هو من نوع عقولنا . إن الموجودات المعقولة التي نذكرها مخاضنا وأعصابنا في العالم المادى الخارجى ليست هي الكائنات الخارجية في ذاتها ولا شيئا يشبهها ، لأن كنه العالم الخارجى محجوب عنا فلا نستطيع إدراكه على حقيقته كما قدمنا ، فإذا كنا نستطيع أن نفهم تلك الموجودات بمقولنا فاذك إلا لأن وراء الوجود الصورى عقلا كلياً يناجينا بوساطتها .

« ولكن الوجود في نظر المادى الفتح قائم بنفسه ، ولا مغزى له إلا ذلك المظهر الذى يؤثر به على حواسنا ، فذلك المظهر في نظره هو الحقيقة التى ليس وراءها شيء . » فإذا كان هذا المادى يبتنى لنفسه مذهبا ميكانيكيا محضا عن الطبيعة ، بمنحه للجواهر الفردة المادية قدرة خفية وضميرا خاصا بها ، فإنه يكون بذلك مانحا إياها خواص يعجز عن تحليلها . فنحن لذلك مضطرون للاعتقاد بوجود تدير إلهى علوى ، كما نحن مضطرون الى أن ننظر الى الوجود باعتبار أنه مظهر لذلك التدير وقائم بإرادته الإلهية . هذا في الواقع هو أبسط وأصدق بيان لحقيقة الطبيعة . »

نقول : لقد ضاق لحصار على الماديين فأصبحوا لا يجدون لهم حيلة في غير التسليم ، وقد ألتى أكثر قادتهم السلاح ، واعترفوا بضلالهم القديم ، وكل يوم يرد الينا من فلولهم العدد العديد .

مما تجب ملاحظته أن انهيار صرح للمادية هذه المرة لم يأت من غلبة الجهل على الناس ، أو طغيان العامة على الشعوب ، فلا تطبق النظر الحر والقول الصريح ، كما كان يدعيه قادة هذا المذهب في كل دور من أدوار الصراع بين المادية والدين ، ولكن أصاب الانهيار صرح للمادية في هذه المرة من ناحية العلم المادى نفسه ، فجاء تدهوره ذاتيا لا يرجى تلافيه بحال من الأحوال ، وبذلك أصبحت العقول بنجوة من تضليل هذا المذهب ، وخلص ما بين النفوس ومراميهما الروحانية ، واتجهت الميول الى وجهة موصلة الى السكالم

المشهود مما يجعلنا نأمل صلاح الأحوال العالمية ، واستقرار الأمن والنظام في الأرض  
وقيام الدنية على أصول أرفع مما هي عليه الآن تقف بها فوضى الأخلاق عند حدها ،  
وتصان لأموال والأعراض والعقول مما يدنسها أو يحط من كرامتها . وهذا هو المهد  
الذهبي المنتظر ، والله غالب على أمره واليه المصير .  
محمد فريد وجدي

## البيان في حضرة أهل السلطان

دخل المامون يوما بيت الديوان ، فرأى غلاما جميلا على أذنه قلم . فقال : من أنت يا غلام ؟  
قال : أنا الناشئ في دولتك ، والمتقلب في نعمتك ، والمؤمل لخدمتك ، الحسن بن رجا .  
قال المامون : بالاحسان في البديهة تفاضلت العقول ، ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته .  
وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة للمامون : لو لم أشكر الله إلا على حسن ما أبلاني في أمير  
المؤمنين : من قصده الى بحديثه ، وإشارته الى بطرقه ، لكان ذلك من أعظم ما توجبه النعمة ،  
وتقرضه الصليحة .

قال المامون : ذلك والله لأن الأمير يجد عندك من حسن الافهام إذا حدثت ، وحسن  
الفهم إذا حدثت ، ما لا يجده عند غيرك .

ودخل رجل على عبد الله بن خالد القسري فقال : أيها الأمير إنك لتبذل ما جل ، وتجبر  
ما اعتل ، وتكثر ما قل ، فضلك يدع ، ورأبك جميع .

وقال رجل للحسن بن سهل : لقد صرت لأستكثر كثيرك ، ولا أستقل قليلك .

قال الحسن : وكيف ذلك ؟

قال الرجل : لأنك أكثر من كثيرك ، وإن قليلك أكثر من كثير غيرك .

وقال خالد بن صفوان لوال دخل عليه : قدمت فأعطيت كلا بقسطه من نظرك ومجلسك  
وصلاتك وعداتك ، حتى كأنك من كل أحد ، وكأنك لست من أحد .

## بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتْوَى

### اغلاق المحال التجارية يوم الأحد

وورد الى إدارة المجلة من أحد قرائها ما يأتي :

العرب في مدينة سريلانكا شرعوا منذ شهر تقريبا يتتابعون في إقفال دكاكينهم يوم الأحد ؛ ولا أبالغ - شهد الله - إذا قلت إن هذه المدينة الكبيرة خالية من عالم يوثق به أو يؤثر في الجمهور كلامه ؛ ونظرا الى تفاهم الخطب وإجماعهم على تعطيل يوم الأحد لم أربدا من اللجوء الى فتوى نور الاسلام الغراء وتبيينها حكم تعطيل يوم الأحد في الشريعة الاسلامية الخفيفة .

### الجواب

قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَادَى لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » . استدل العلماء بهذه الآية الكريمة على تحريم البيع وقت نداء الجمعة ، وألحقوا بالبيع غيره من سائر المعاملات ، فكان واجبا على كل من لزمته الجمعة أن يترك محل تجارته ويسعى لسماع الخطبة وأداء الصلاة . وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم في غسل الجمعة والتطيب وقلم الأظفار والتبكير الى الصلاة . وكان كثير من السلف الصالح يغلزون محال بيعاتهم اشتغالا بهذه السنن المطلوبة قبل الصلاة ، حتى إذا قضوا صلاتهم عادوا الى عملهم ، كما قال تعالى : « فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ » .

أما اتخاذ يوم الجمعة كله يوم عطلة ، فإنه ليس من الدين في شيء . بل هذا العمل بدعة لعلها سرت الى المسلمين من مخاطبيهم من اليهود والنصارى ؛ فلما كان النصراني

يتخذون يوم الأحد عطلة ، واليهود يتخذون يوم السبت عطلة ، رأى بعض المسلمين أن يتخذ يوم الجمعة كله عطلة . وهذا العمل من المسلمين لا يعطى العطلة في يوم الجمعة كله صبغة دينية .

أما إغلاق لمحال يوم الأحد ، فإن كان تشبها بالنصارى فهو حرام ؛ وإن كان لغرض الراحة فقط ولم يقصد به التشبه فهو مكروه أشد الكراهة سدا للذريعة ، لأن في هذا العمل شبهة تعظيم اليوم . والله الموفق .  
الحسيني سلطان ، يوسف المرصني

## هل مرض الزهري يفسخ النكاح

ورود أيضا :

سئلت : هل يجوز فسخ النكاح من طرف الزوج أو الزوجة بالمرض المعروف الآن بالزهري ؟ فبذلت الجهد في مراجعة هذه المسألة فيما وصلت اليه يدي من كتب الشافعية فلم أجد ما يدلني صريحا على ما أردت . وكل ما عرفت أنهم صرحوا بعدم جواز الفسخ بالمرض المبارك . فهل المرض المبارك هو الزهري ؟ وإذا كان هو فهو قبل هاتان اللفظتان عربيتان فصيحتان ؟ ومن أطلقهما عليه ؟ وما اسمه في العربية الفصحى ؟ وأيضا إذا صدق ظننا في عدم تجويز الشريعة السمحة الفسخ بهذا المرض الفتاك ، أرجو أن تبينوا الحكمة فيه ، لأن هذا المرض فيما يقرر الأطباء معد شديد الفتك والضرر بصاحبه ، بل كثيرا ما يمدى ويضر الجيل الأول ، وقد تصل عدواه وضرره الى الجيل الثاني والثالث ، وقد يخفق هذا الداء مدة فيظن المريض أنه قد شفي منه ثم يظهر مرة أخرى ، والشواهد على ضحايا من أعداء هذا الداء الويل كثيرة معروفة .

## الجواب

اقتصرت أصحاب الشافعي في عد العيوب المثبتة للخيار في فسخ النكاح على سبعة وهي : الجنون ، والجذام ، والبرص ، والجلب ، والعمه ، والرتق ، والقرن . واقتصرهم

على ذكر هذه العيوب يقتضى أنه لا خيار فيما عداها. قال فى لروضة : « وهو الصحيح الذى قطع به الجمهور ، فلا خيار بالبخر ، والصنان ، والاستحاضة ، والقروح السيالة ، والعمى ، والزمانة ، والبيلة ، والخصاء ، والإفشاء » اهـ

هذا ما قطع به الجمهور من أصحاب الشافعى . ومقتضاه أنه لا خيار بالزهري والجدرى ونحوهما من الأمراض ولو كانت معدية . ولكننا إذا رجعنا الى عبارة الشافعى فى الأم وجدناها تعلق ثبوت الخيار بالجذام والبرص بأنهما معديان منفردان ، فإنه قال فى الأم : « وأما الجذام والبرص فإنه — أى كلا منهما — يعدى الزوج ويعدى الولد » . وقال فى موضع آخر : « الجذام والبرص مما يزعم أهل العلم بالطب والتجارب أنه يعدى كثيرا ، وهو مانع للجماع لا تكاد نفس أحد تطيب أن يجامع من هو به ، والولد قلما يسلم منه ، فإن سلم أدرك نسله » اهـ

فظاهر هذا التعليل أنه يسوغ إلحاق كل مرض معد مانع للجماع ويتعدى ضرره الى النسل بالجذام والبرص .

ولعل أصحاب الشافعى الذين لم يستعملوا القياس هنا نظروا الى أن الزهري والجدرى والسل وسائر الأمراض المعدية المنفرة — وإن شاركت الجذام والبرص فى العدوى وعدم التمكن من الاستمتاع — يمكن مداواتها والبرص منها فى مدة قريبة ، بخلاف الجذام والبرص فإن مداواتهما نادرة جدا ؛ وإذا أمكنت المداواة على ندرة فإنها تحتاج الى مدة طويلة . لذلك لم يلحقوا شيئا من الأمراض المعدية بالجذام والبرص فى ثبوت الخيار فى فسخ النكاح .

ومع هذا فلحماكم من ناحية السياسة الشرعية أن يحول بين الصحيح والمريض بمرض معد من الزوجين : بعزل المريض أو إخراج الصحيح من مسكنه حتى يتم برؤه إزالة للضرر الذى يلحق الصحيح . والله الموفق .

هذا ، ومرض الزهري لم يكن معروفا عند المتقدمين بهذا الاسم ، ولعلمهم كانوا

يعتبرونه نوعاً من الحصبة أو الجدري . وعامة المصريين يسمون الزهري بالتشويش أو المرض الزفر . وقد اشتهر في لسان المتأخرين من المصريين إطلاق كلمة ( المرض المبارك ) على الجدري ، ومنهم من كان يطلقها على الحصبة .  
 لحسيني سلطان الشافعي ، يوسف المرصني الشافعي  
 بكلية الشريعة الإسلامية

## الذبح

وورد من حضرة الفاضل الشيخ سالم بن عقيل العلوي من مدينة سربايا أن الفقهاء من الشافعية نصوا على أن الذبيحة إذا فصلت رأسها عند الذبح يحل أكلها مع أن المجلة نشرت في باب الفتاوى من الجزء الخامس من المجلد الخامس ما يفيد خلاف ذلك . فواجه الجمع بين النصين في مذهب الشافعي ؟

## الجواب

إن فتوى المجلة كانت في شأن المغلصة وهي التي ذبحت من أعلى العنق فوق الحلقوم والمرى من محل المغلصة . والمغلصة لحم بين الرأس والعنق كما في القاموس . فكل ذبيحة فصلت رأسها من العنق من محل المغلصة تكون ميتة ولا يحل أكلها ، إذ لا يتحقق قطع الحلقوم والمرى . إلا إذا نزل محل الذبح عن المغلصة وأبقى الذابح من الجوزة المعروفة شيئاً . هذا أمر ظاهر عند الشافعية لم يختلف فيه أحد . وإليك بعض نصوصهم :

قال في المجموع « شرح المذهب » ص ٨٧ ج ٩ : « ولو أمر السكين ملتصقا بالحيين فوق الحلقوم والمرى ، وأبان الرأس فليس هو بذبح لأنه لم يقطع الحلقوم والمرى . » اه  
 وقال النبراوي على الخطيب عند قول المصنف : والمجزئ منها قطع الحلقوم



والمرى الخ: «ثم لا فرق في قطع ما ذكر بين كونه من أسفل العنق أو من أعلاه بشرط أن يبقى من الجوزة المعروفة شيء، فيما إذا كان القطع من الأعلى وإلا لم يحل» اهـ  
وأما قول أبي اسحق صاحب المذهب: «ويكره أن يبين الرأس» وقول الشيخ إبراهيم الباجورى: «لو قطع الرأس كله كفى وإن حرم» فعناه أنه لو أبان الذبح الرأس بعد قطع الحلقوم والمرى، كره ذلك أو حرم، لأن قطع الحلقوم والمرى كاف في حل الذبيحة، فإبانة الرأس بعد ذلك تعذيب للحيوان دون غرض شرعى، فيكون حراما أو مكروها. وعبارة البرماوى صريحة في ذلك، وهى: «قوله: «قطع الحلقوم والمرى» ولو مع بقية العنق فيكفى قطع الرأس كله وإن حرم للتعذيب» اهـ.

واختلاصة أن الغلصمة لا تحل باتفاق، لأنها لم يقطع حلقومها ولا مريضها، إذ لا يمكن قطعها إذا ذبحت من الغلصمة، فلا بد من النزول عن الغلصمة وهو المعبر عنه بقولهم: يشترط أن يبقى الذابح شيئا من الجوزة المعروفة نحو الرأس. وأن التى ذبحت من محل الذبح الشرعى فقطع حلقومها ومريضها وبالغ الذابح حتى قطع عنقها أو بلغ نخاعها يحل أكلها وإن كان هذا الفعل محرما أو مكروها للتعذيب دون غرض شرعى. وهذا ظاهر فى المذهب. ونحن نشكر لحضرة الأستاذ عنايته بالأموال الدينية، وحببه للتوفيق بين عبارات الفقهاء. والله الموفق. الحسينى سلطان الشافعى، يوسف المرصنى الشافعى  
بكلية الشريعة الإسلامية

## مجاورة قبور النصارى

ورود أيضا:

جبانة تجمع جبانة مسلمين وجبانة نصارى لا يفصلهما سوى حائط بينهما. أفيدونا من جهة المجاورة من الجهة الشرعية ولكم الثواب  
شبل محمد محمد بنجيت

## الجواب

لا يجوز دفن المسلم في قبور النصارى ولا العكس ، لأن فيه إهانة للمسلم . فالواجب التمييز بين مقابر المسلمين ومقابر غيرهم بأى مميز ، ولا تضر المجاورة ، وإن كان لأفضل في الدفن مجاورة الصالحين . الحسينى سلطان الشافعى ، يوسف المرصنى الشافعى  
بكلية الشريعة الإسلامية

## وقت العشاء

وورد أيضا من حضرة صاحب التوقيع السؤال الآتى :

يوجد فى بعض كتب الشافعية أنه يجوز صلاة العشاء قبل الميقات المنصوص عليه فى النتائج الفلكية بنحو ٢٠ دقيقة ، ويعلمون ذلك بأن الوقت المضروب لصلاة العشاء شرعا هو مغيب الشفق الأحمر ، وأصحاب النتائج يقررون الوقت بعد مغيب الشفق بـ ٢٠ دقيقة ، فينبى على هذا أنه يجوز عند الشافعية صلاة العشاء قبل ميقاتها المنصوص عليه فى النتيجة بعشرين دقيقة كما ذكرت ، وهذا أمر اقتنع به جمهور كبير من المسلمين . فخرجوا إيتافنا على الحقيقة من السادة الشافعية على صفحات المجلة ، فإن هذا الأمر ليس بالصغير لتعلقه بأقدس العبادات ، وأولاهامرعاة الحدود شرعا . وقد كنت من المقتنعين بصحة هذا لولا أنه بنى من أثق أنه رأى نشرة فى الصحف اليومية منذ سنة عن رجل من رجال علم الفلك أن مواقيت النتائج مضبوطة وأن وقت العشاء المقرر فيها هو وقت مغيب الشفق . فعلى هذا تكون صلاة العشاء قبل الوقت المضروب باطلة .

عبد الجليل أبو عزام - بمشال

## الجواب

مذهب الأئمة الثلاثة والصاحبين أن وقت المغرب ينتهى عند مغيب الشفق الأحمر . ومذهب الإمام أبى حنيفة أن وقتها لا يخرج إلا عند مغيب الشفق الأبيض

بعد الأحمر ، وبخروج وقت المغرب يدخل وقت المشاء على المذهبيين . ومعلوم أنه بعد الغروب تتعاقب الحمره والصفره والبياض والسواد . واختلاف إتمامه في وقت الصفره والبياض : فعند الإمام هو من وقت المغرب ، وعند غيره من وقت المشاء . وفي كتاب الفقه على المذاهب الأربعة الذي اعتمدته وزارة الأوقاف ليدرس في المساجد أن الذي عليه العمل في المساجد هو مغيب الشفق الأبيض . وعليه فيجوز للشافعي ومن يوافقه أن يصلي المشاء قبل الوقت المحدود في النتائج متى تحقق مغيب الشفق الأحمر . وإذا صلى المغرب في ذلك الوقت كانت قضاء . ويرجع للفلكيين في مقدار الزمن بين مغيب الأحمر ومغيب الأبيض . وكان الأحسن أن يبين الفلكيون الوقتين في النتائج كما فعلوا ذلك في وقت العصر . والله الموفق والمهادي للصواب .

يوسف المرصني الشافعي ، الحسيني سلطان الشافعي  
بكلية الشريعة الاسلاميه

## التلطف في طلب المعونة

دخل أبو الريان على عبد الملك بن مروان ، وكان عنده ذا منزلة ، فرآه خائر القوى ، فقال له : يا أبا الريان : مالك خائراً ؟  
قال أبو الريان : أشكوا إليك الشرف يا أمير المؤمنين .  
قال عبد الملك : كيف ذلك ؟  
قال أبو الريان : نسأل ما لا تقدر عليه ، ونعتذر فلا نعذر .  
قال عبد الملك : ما أحسن ما استمنحت يا أبا الريان ! أعطوه كذا وكذا .  
نقول : أين هذا التلطف في المسألة مما حدث من قوم من بني أمية وفدوا على عبد الملك هذا فقالوا : يا أمير المؤمنين نحن من تعرف ، وحققنا ما لا تنكر ، وجئناك من بعيد ، ونمت إليك بقريب ، ومهما تمننا فتمن أهل !

## الاسبرتو مسكر

جاءت هذه الكلمة من حقرة الدكتور للفضال نشرها شاكرين له :

ورد بمجلة نور الاسلام الغراء جزء ( ٩ ) مجلد ( ٥ ) بتاريخ رمضان سنة ١٣٥٣ صفحة ٦٣٣ فتوى بشأن ( الاسبرتو ) جاء فيها أن هذه المادة غير مسكرة ، وأحيل فيها السائل على إحصائي مسلم لتوضيح الأمر بشأنها . وبما أن هذه المسألة يتعلق بها أحكام شرعية ومصالح كثيرة رأيت من باب الواجب الديني والمصلحة العامة أن أبين ما يتعلق بالاسبرتو من حيث طبيعة مادته ومنشأ استخراجه ، ولخصرات المفتين بيان الأحكام الشرعية التي تنبئ على ذلك :

الاسبرتو : لفظ محرف عن الافرنجية ، وترجمته الحرفية « الروح » ، واسمه العلمي « الكحول » هو مادة مسكرة قوية ، بل هو العنصر المسكر في كل ما يسمى خمرًا على وجه الإطلاق ، ولذلك يسمون الخمور المشروبات الروحية نسبة إلى الروح أو الاسبرتو . وهو يستخرج من عملية تخمير السكر ، أو أي نبات يحتوي على السكر ، مثل القصب والعنب وغيرهما من الفواكه والحبوب . فهو غير مجهول الأصل كما يعي البعض . وإذا أخذنا أي خمر وعالجناها بالتقطير وانزعنا منها بذلك الاسبرتو ، أصبحت مادة بريئة ليس لها أي تأثير مسكر . وقوة الخمور تقدر بنسبة ما تحتويه من الاسبرتو ، وكلما ارتفعت هذه النسبة قوى المفعول المسكر والعكس بالعكس .

والخمور القوية مثل الوسكي والكونياك والروم والعرق تحتوي على الاسبرتو بنسبة تتراوح ما بين ٣٠ و ٦٠ في المائة . والخمور الخفيفة مثل النبيذ والشمبانيا والبيرة والبطولة تحتوي على الاسبرتو بنسبة تتراوح ما بين ٥ و ٢٠ في المائة .

وكثير من المدمتين يستعملون الاسبرتو العادي مسكرا لأنه أقوى مفعولا

وأرخص ثمنًا من الخمر المحضرة . وقد شهدت شخصيا بعض حالات من المدمنين الفقراء يستعملون لهذا الغرض الاسبرنو الأحمر الذى نستعمله للحريق .  
 وشرب ماء الكلوينا كسكر خفي أمر متداول في أوروبا وأمريكا خاصة بين النساء .  
 والخالصة أن الاسبرنو هو الأصل في جميع المسكرات ، وكل مادة تحتوى عليه بنسبة كافية ، وكانت خالية من السموم العنيفة ، وكان طعمها مقبولا ، أمكن تناولها كمسكر فعال مهما كان الوجه الذى تستعمل فيه عادة . الدكتور أحمد شفيق حماد  
 طبيب أول مستشفى رعاية الطفل ببها



وجاءنا أيضا من حضرة الأستاذ محمد حفظى مفتش إنتاج الكحول سابقا مقالا ضافيا في هذا الصدد باعتبار أنه خبير بأصل هذه المادة ، وقد صدرها بالأحكام الشرعية في المسكرات على اختلاف أصنافها . ونحن طلبنا للإيجاز نكتفي بإيراد الجزء الخاص بالكحول منها :

قال حضرة نقلا عن بعض المؤلفين :

استخرج عرب الأندلس الكحول واستعملوه . والسبب في تسميته بالكحول تشبيه فعله السام بمادة الكحل ( الأتيمون ) التى كانت تستعمل للتسميم . وقد عرف الفرنج هذه المادة عن العرب فأطلقوا عليها اسمها العربى فكتبوها هكذا Alcohol . ثم رأى المجمع العلمى الفرنسى أن يحذف منها حرف H فصارت Alcool .  
 الكحول سائل صاف لالون له ، طيار يلتهب بسهولة ، طعمه كاو ، ورائحته حادة نفاذة ، يستحضر باستقطار المواد المختمرة لبعض المواد السكرية أو النشائية كالشمير والبطاطة والأرز وقصب السكر والعنب ، ومن الخشب أيضا . وزنه النوعى يختلف بحسب مقدار الماء الذى يخالطه . والنقى لا يحتوى على الماء أصلا ، ولكن التجارى يشتمل على نحو ٤٩ منه فى المائة .

الكحول أساس عمل جميع المشروبات المسكرة بإضافة مياه عليه مع تلوينه وتنويع

طعمه ، كالكونياك والروم والوسكى الخ . فأضعفها يكون فيه نحو ثلاثين في المائة من الكحول ، وأقواها يبلغ فيه الى نحو خمسين . أما الكحول الذى يبيعه الباعة المتجولون فإنه مخلوط عادة بعشر حجمه من الماء ، ولكنهم لا يكتفون بذلك فيضيفون اليه ماء كثيرا حتى تصبح درجته ٣٠ بعد أن كانت ٩٠

ولما كانت الحكومة تحصل رسوما عن إنتاج الكحول عشرين قرشا لكل لتر منه ، معفية كحول الحريق ، اضطرت الى مزج هذا الأخير بسائل كرهه الرائحة سام لا يمكن استخلاصه منه ، ومع ذلك يتعاطاه فقراء المدمتين من المصريين .

أما تأثير الكحول من النواحي الفيزيولوجية والبياتولوجية فإن النقي منه إذا وضع على الجلد نبه أوعيته الشعرية تنهيا شديدا وأحدث احمرارا وحرارة . وإذا وضع قليل منه فى الفم يحس فيه بحرق شديدة . وهذا التأثير ينشأ من النقاط الكحول ماء الأنسجة الحية بشرائه . وإذا أدخل الى المعدة منه نحو ثلاثة درام أو ستة أحدث فيها التهابا شديدا واحترقا وتنبها يمتد الى الأعضاء الأخر بسرعة ، وبخاصة المخ والمخيخ . وإذا زاد المقدار عن هذا الحد اشتد الالتهاب وأصبح خطرا . وأما إذا تعوطى الكحول مخلوطا من الماء فإنه يحدث الإسكار .

وقبل الحكم بنجاسة الكحول يجب التأمل فى الأمور الآتية ، وهى :

- ( ١ ) الخمر نجاسة عينية ، ولكن بعد أن تفسد وتتخلل تصير طاهرة .
- ( ٢ ) إن عملية التقطير تعمل بواسطة الحرارة ، فتحلل عناصر الأجسام الداخلة فى تركيب المادة ، ويتبخر العنصر المراد استخلاصه ويتصاعد ، ثم يرد الى السيولة بواسطة البرودة .

- ( ٣ ) الكحول لا يستقطر من سوائل نجسة ، ولكن من عصير نباتى عسلى مختمر يعامل بالحرارة لتحلل عناصره ، ويتبخر الكحول الذى تكون فيه ، فيجنى ويحول الى سائل بواسطة البرودة .

(٤) لقد شاع استعمال الكحول في الدور والمعامل والصيدلات حتى قد لا يخلو منه علاج باطنى ولا مروح ولا مرهم ولا عطر . وهو كثير الاستعمال أيضا في أمور التحوطات الصحية ، وفي الوقاية من عفونات الأمراض .

فدعوا بعد إجابة الروية في كل هذه الاعتبارات افتناءنا بحكم الدين في هذه المادة ،  
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم  
محمد حفظى  
مفتش إنتاج الكحول سابقا

( مجلة نور الإسلام ) يهدى حضرات العلماء مفتى المجلة آراءهم في هذا الموضوع  
في العدد المقبل إن شاء الله .

## المرء بأصغريه قلبه ولسانه

قال محمد بن الغار : دخل رجل على سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين فنكلم عنده بكلام أعجب به سليمان ، فاراد أن يختبره لينظر عقله أهو على قدر كلامه أم لا . فاخبره فوجده مضموفا ، فقال : فضل العقل على المنطق حكمة ، وفضل المنطق على العقل هجنة ( أى عيب ) وخير الأمور ما صدق بعضها بعضا وأنشد :

وما المرء إلا الأصغران : لسانه  
فإن تر منه ما يروق فربما  
وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول زهير :

وكائن ترى من معجب لك صامت  
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده  
زيادته أو نقصه في التكلم  
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

كائن : لغة في كائن بمعنى كم . والمراد : كم ترى من معجب لك ساكت ، وإنما يحكم عليه بالكمال أو النقص من كلامه .

## الحج

### بِسْمِ اللَّهِ الْحَجُّ الْخَيْرُ

قال الله تعالى : ( وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ) . وقال تعالى : ( وَأَتُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ) . وقال تعالى : ( وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من حج لله فسم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » بخارى ، ومسلم بلفظ « من أتى هذا البيت » . وقال صلى الله عليه وسلم : « تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة » ترمذى . وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء » . وقال صلى الله عليه وسلم : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » . رواهما مسلم .

الحج : أحد أركان الاسلام الخمسة الواردة في قوله صلى الله عليه وسلم : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا » . وكذلك هو الوارد في تفسيره صلى الله عليه وسلم للاسلام حين سأله جبريل : ما الاسلام ؟ فقال : أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا .

والحج فرض عين بإجماع المسلمين يجب على كل من قدر عليه ، فإن حج وهو



غير مستطيع ونكلف من المشقة فوق طاقته ، أجزأه ذلك ، وكان له من الثواب ما الله به عليم .

وأصل معنى الحج في اللغة : القصد ، وقيل إنما يستعمل في قصد الأمر العظيم أو الرجل الخطير الشأن . ومعناه في الشرع قصد البيت الحرام للنسك .

والعمرة فرض عين عند الشافعي وأحمد . وكما أوجب الله تعالى الحج أوجب العمرة لقوله تعالى : « وأنموا الحج والعمرة لله » . وهي سنة عند مالك وأبي حنيفة لقوله صلى الله عليه وسلم : « بني لإسلام على خمس » المتقدم ، فقد عد الحج ولم يعد العمرة . وأيضاً لما جاءه السائل يسأله ما الإسلام قال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، فلم يقل : وأن تعتمر . وأجابوا عن استدلال الشافعي بالآية بأن في الآية الأمر بإتمامها ، وهذا شأن العبادة متى شرع فيها .

واستند الشافعي أيضاً في فرضية العمرة الى ما روى من أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » قال : اثنتان : حجة ، وعمرة ، فن قضاها فقد قضى الفريضة . وروى كذلك في بعض طرق رواية سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الجواب : وحج وتعتمر .

وأعمال العمرة هي : الإحرام ، والطواف ، والسعي كالحج ، وليس فيها وقوف بعرفة ، ولا تختص بوقت من السنة بل كل السنة وقت لها .

وللحج شروط صحة ، وشروط وجوب ، وشروط وقوعه عن حجة الإسلام . فشرط صحته هي لإسلام والوقت ، فلا يصبح من غير مسلم ولا في غير وقته . وأما البلوغ والعقل فلا يشترطان في صحة الحج ، بل يصح الحج ولو من مجنون وصبي وإن لم يبلغ درجة التمييز ، ويحرم عنهما وليهما ، فإن كان الصبي ممبزا أحرم بنفسه — ومعنى أحرم أي نوى

الحج - وهذا مذهب الشافعي . وحجته أن امرأة رفعت صبيها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله : ألهذا حج ؟ فقال : نعم ولك أجر . ومنعه بعض الأئمة قياسا من جهة أن أصل العبادات أنها لا تصح إلا من مميز ، فهذا يكون مما تعارض فيه الأثر والقياس . وينبغي ألا يختلف في صحته من الصبي المميز .

وأما شروط وجوبه : فالإسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والحرية ، والاستطاعة ، وأمن الطريق . فلا تجب على صبي ، ولا مجنون ، ولا عبد ، ولا عاجز غير مستطيع . والاستطاعة معناها القدرة على السفر مع وجود الزاد والراحلة زائدا عن نفقة من تلزمه نفقته . ولا يجب عليه الاستدانة لأداء الحج . واختلف الأئمة فيمن يستطيع التكسب في الطريق وليس معه مال : فقال بعضهم : يجب عليه متى وثق بذلك . وقال آخرون : لا يجب . وكذلك إذا كان الطريق غير مأمون بأن كان الغالب على المسافر فيه العطب فلا وجوب . أما مجرد احتمال العطب نادرا فلا يقدح في الاستطاعة ، فإن تعرض للمرء للعطب محتمل في كل زمان وفي كل مكان ؛ فالحلل بالاستطاعة هو غلبة العطب .

ومتى توافرت شروط الوجوب استقر الحج في الذمة ، فقال بعضهم : يجب أدائه على الفور . وقال بعضهم : بل يجب وجوبا موسعا ، فله تأخيرها الى عام قابل . وحجة القائلين بالفورية أن وقته يشبه آخر وقت الصلاة في أنه لو أخره خرج الى وقت لا يمكن فيه العبادة . ولا شك أن تأخير الصلاة عن وقتها حتى يخرج محرم ، فكذلك هذا . وحجة الفريق الثاني أن الحج فرض قبل حجة الوداع بمدة طويلة وأخره صلى الله عليه وسلم الى عام حجة الوداع ، ولو كان التأخير لعذر ليته . وأجابوا عن حجة الأولين بأن الفرق بين وقت الحج ووقت الصلاة أن الصلاة تتكرر بتكرر الأوقات ، فلكل وقت صلاته ، وأما الحج فلا تكرر فيه بتكرر الوقت ، بل هو حج واحد يأتي في زمنه من أي سنة كانت . وعند من يرى وجوبه على التراخي لو استطاع في سنة ولم يحج ثم فقد الاستطاعة حتى مات ، مات عاصيا ، ولذا ينبغي المبادرة به لمن استطاع .

وعليه يحمل ما ورد : حجوا قبل أن لا تحجوا . أى من استطاع فليبادر بالحج قبل أن يفجأه ما ليس له فى حسابان فيمنعه من الحج . وورود تفسير لها بأن يقعد أعرابها على أفواه طرقها ، من باب التمثيل لا من باب الحصر . والله لا يدرى هل يدوم له ما أنعم الله به عليه من نعمة الاستطاعة لأداء هذه الفريضة ؟ فلا ضمان لحال أن يبقى على ما هو عليه .

وتأهيك بما ورد فى شأنه مما سبق لنا ذكره . وقد قال بعض السلف عند تلاوة قوله تعالى : « ليشهدوا منافع لهم » : « غفر لهم ورب الكعبة » ، أى والله فأى منفعة تضاهى منفعة المغفرة ، فإنها هى مجمع المنافع . ولولم يظفر الحاج بمنفعة سوى المغفرة والرجوع الى بيته كيوم ولدت أمه لكفاه مقابلا لما تكبد من مشاق ، فكيف وقد جاء قوله صلى الله عليه وسلم : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » ؟

وإنك لتجد فى الحج من تقوية الروابط بين الأمم الاسلامية فى مشارق الأرض ومناكبها ، واستفادة بعضهم من بعض فى شئونهم الدينية والدنيوية ، وتقوية روح التماسد والتساعد ، ما يشرح لك منافع الحج التى ذكرها الله فى قوله : « ليشهدوا منافع لهم » . وإن أبيت إلا أن تستشهد بما يجرى بين يديك فانظر الى ما ابتكرته الأمم المتمدينة من إنشاء المعارض والمؤتمرات العامة ، يدعى إليها أفراد من جميع الأمم والملل يجتمعون فى صعيد واحد ، تعرض كل أمة منهم أفضل ما امتازت به ، فتستفيد دعاية لنفسها ، ومجيدا لقومها ، ورواجا لمصنوعاتها ، وتنويعا بشرفها ، واحتراما لمساكنها . ثم تستفيد مما عرضه غيرها ، فتضم ما استفادته الى ما أفادته ، وهكذا كل أمة تفيد وتستفيد ، وتعلم وتتعلم ، وتفتخر أو تتألم ، فيكون الجميع عونا للجميع ، ويكمل الإحساس بالأم ، والمساعدة على العمل ، والسعى لبلوغ الأمل . وهنا يكون الجميع كأعضاء الجسد الواحد يحس بالإحساس الواحد . فهل فى هذا زيادة على ما دعا إليه الدين الاسلامى من توحيد القلوب وتوحيد الوجهة وتوحيد الجهود حتى يتعاون الجميع على نفع الجميع ، وحتى يكونوا موحدين خالقهم متحدين فى مصالحهم ؟

انظر الى مشروعية صلاة الجماعة لأهل الحى الواحد فى اليوم خمس مرات ، ثم الى مشروعية الجمعة لأهل البلد الواحد فى الأسبوع مرة ، وقد جعلت الجمعة البلد الواحد واحدة لاتعدد فيها لتكون أعون على اجتماع الكلمة ، واجتماع القلوب ، وتمام التعارف . ثم انظر الى لحج الأعظم يدعى فيه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ليجتمعوا فى السنة مرة فى مكان واحد فى ساعة واحدة ، فانه يجب عليهم فوق وجوبه على كل فرد أن يحيا هذا الاجتماع كل سنة ، وأن يحج من المسلمين جمع يكون فيه إحياء لهذه الشعيرة ، بل لهذه الفريضة المقدسة ، حتى لو قصروا فى ذلك لأنما جميعا ولو سبق لهم حج فريضة الإسلام .

وتأمل فى أن جعل الله مكان الحج واديا غير ذى زرع ، ليكون القصد فيه الى النفسك والعبادة ، ولكيلا يكون محل التكالب على عرض الحياة الدنيا . ثم تأمل جعل شعائره لرجال ثيابا غير مخيطة ، ليدكر الناس بيوم عرضهم على ربهم كأنهم فى ثياب أ كفافهم قد تجردوا عن الدنيا وزخرفها ، ولكيلا ينكسر قلب الفقير إذا بدا ذلك الغنى فى زينته وأبهته ، فقرب بينهم ما أمكن ، حتى يكون اقتراب الزى مدعاة لاقتراب الأرواح والقلوب .

ولنرجع الى ذكر الأحكام الفقهية المتعلقة بالحج وقد ذكرنا شيئا منها أول المقال ، فنقول : وللحج شروط لوقوعه عن حجة الاسلام المفروضة ، وهى : الاسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والحرية . ولا تشترط الاستطاعة ، فمن حج وهو عاجز ولكنه تكبد من المشاق ما لا يلزمه ، أجزأه حجه .

ثم من مات ولم يؤد الحج وكان قد استطاع أدائه ، وجب على ورثته إنابة من يحج عنه من تركته ، ويقدم على نصيب الورثة كأداء الديون . ومثل الميت للمريض الذى لا يرجى له برء ، فإنه يجب عليه أن ينيب من يحج عنه إذا كان قد جاءه وقت كان فيه مستطيعا ولم يحج . ويسمى هذا النوع من الاستطاعة استطاعة بالغير ، وهى إنما توجب

الحج إذا سبق له استقرار في الدمة: بأن استطاع بنفسه ولم يحج . أما إذا كان كل زمنه عاجزا عن السفر فلا يجب عليه وإن كان يمكنه أن يتيب عنه بماله . ومع ذلك فلو مضى وقته كله لا يستطيع السفر بنفسه وهو قادر على أن يتيب غيره عنه ، صح له الإجابة وأجزأت عن حجة الاسلام إذا لم يطرأ له الاقتدار على السفر بنفسه بعد ذلك .

والأصل في الحج عن الغير وهو حي ما رواه الشيخان أن امرأة من خثعم قالت : يا رسول الله : إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال : نعم . وروى الترمذي أن أبا رزين أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن . قال : حج عن أبيك واعتمر .

والأصل في الحج عن الميت أن امرأة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : إن أمي ماتت ولم تحج قط أفأحج عنها ؟ قال : حجي عنها . وروى الشيخان أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : إن أختي نذرت أن تحج وماتت قبل أن تحج أفأحج عنها ؟ فقال : صلى الله عليه وسلم : لو كان على أختك دين أ كنت قاضيه ؟ قال : نعم . قال : فاقضوا حق الله فهو أحق بالقضاء .

فترى من مجموع هذا مبلغ اهتمام الشارع الحكيم بأداء فريضة الحج .

وأما أركانه فهي : الإحرام ، والوقوف بعرفة ، والطواف بالبيت ، والسمي بين الصفا والمروة ، وترتيب معظم الأفعال . وزاد بعضهم حلق الرأس أو تقصير الشعر . وأركان العمرة هي أركان الحج ما عدا الوقوف بعرفة . وللحج واجبات غير الأركان . والفرق بين الركن والواجب في باب الحج أن الركن إذا تركه بطل الحج ، والواجب إذا تركه لا يبطل الحج ، وإنما يجب عليه دم ، على ما فصل في كتب الفقه .

وللحج مع العمرة كيفيات ثلاث : الأفراد ، والتمتع ، والقران . فالأفراد أن يحرم بالحج ، وبعد أدائه يخرج إلى الحل فيحرم بالعمرة ويؤدي أركانها . وذلك أفضل الكيفيات

عند الشافعي . والتمتع أن يحرم بالعمرة ثم يؤدي أعمالها ويتحلل ، ثم يحرم بالحج ويؤدي أعماله : من وقوف بعرفة ، وطواف بعده ، وسعي بين الصفا والمروة ، وحلق أو تقصير . والقرآن أن يحرم بهما معا ، فيطوف ، ويسعى ، ويقف بعرفة . فتتدرج أعمال العمرة في أعمال الحج . والتمتع أفضل من القرآن ، لأن فيه تكرارا للأركان ، وفي القرآن اندراج أحد النسكين في الآخر .

وأما المييت بالمزدلفة وبني وري الجمار ، فن الواجبات لا من الأركان . وعلى ذكر روى الجمار والمييت بهذه الأماكن نشرح لك معنى طلما تحير فيه الكثير من الناس ، وهو أن الحج يحتوي على أفعال تعبدية ، أي لا يظهر لها في بادئ الرأي حكمة مشروعية ، وذلك كرى الجمار ، وتحديد بها بسبع ، وأمثال ذلك .

هذه الأفعال قد أمر بها الشارع فتؤديها كما أمرنا بها ، وكما رأيناها صلى الله عليه وسلم يفعلها وإن لم تصل عقولنا إلى حكمة مشروعتها . وأداء هذه الأفعال وأمثالها هو الذي يظهر به التعبد حقا والامتثال لأمر الشارع لأنه أمر الشارع ، فإن المرء إذا كان لا يمتثل إلا ما فهم وجه الحكمة فيه لم يظهر معنى العبودية الصحيحة ، بل يكون كأنه في كل عبادة غرضا ، فيفعل الزكاة مثلا لأن فيها جبرا للمسكين ، وجما للقلوب حوله بالحبة ، ويفعل الصيام لأن فيه تطهيرا لنفسه ، وتنقية لبدنه من الأدران ، ويفعل الطهارة لأن فيها تطيبا لبدنه ، وتنزيها عن الاتنجاس والأقذار ، ويصلي لأن فيها مناجاة للواحد القهار ، وإحياء للقلوب بهذه المفاجأة ، وإشعارا للنفوس بعزة الوقوف بين يدي العزيز الجبار . فهي أعمال ترى النفس فيها خطأ لها ، فتسارع إلى امتثالها ، لما تعرف من حكمة وفوائدها . ولكن العبودية الحقيقية إنما تظهر في امتثال ما لم يظهر له حكمة سوى امتثال الأمر والخضوع للتشريع ؛ ولذلك جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال في إحرامه : « إنيك بحجة حقا تعبدادورا » إظهار للعبودية الخالصة ، وانقياد المجرد الأمر ، وامتثال له خالصا كما أمر من غير أن يستأنس العقل منه بما يعيل إليه ويبحث عليه . فهو تعبد محض

لا مدخل للحفظ والأغراض فيه . فقصود الشارع فيه الابتلاء بالعمل ، ليظهر العبد رقة وعبوديته ، وكمال خضوعه ، بامتنال ما لا يفهم له معنى .

وإن أردت استيضاح ذلك فانظر الى قول الشاعر :

لا يسألون أخام حين يندبهم للنائبات على ما قال برهانا

والى قول بعضهم فى وصف عظيم : « هذا الذى إذا غضب غضب له ألف سيف لا يسألون فيم غضب » . فالعبودية الحق لا تظهر إلا فى امتثال ما لم يظهر سره للعقول ، وإن كان فى الواقع لا بد له من سر . وهذا لا يتنى أن الحج فى جلته وفى كثير من أفعاله معقول للمعنى . فقد سمعت جملة من حكمة مشروعيته فى جلته . ويزيد على ذلك أن فيه تعظيما للمشاهد التى قدسها الله تعالى ، وجعل التوجه اليها رمزا لوحدة الوجهة عند الأمة الاسلامية ، حتى تتوحد وجهة قلوبهم المعنوية تبعا لاتحاد وجهتهم الحسية ، فليس فى هذا عبادة مكان . ولا اختصاص للحق جل وعلا بجهة ، فقد قال تعالى : ( فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا ) فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ « فقد قال عمر رضى الله عنه حين قبل الحجر الأسود : « والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلتك ما قبلتك » . ولقد قال له قائل : بل يضر وينفع ، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنه يشهد لمن قبله يوم القيامة » .

ولا تعارض بين هذا وبين ما قاله عمر ، فعمر رضى الله عنه يتنى الضر والنفع اللذين كان يعتقدهما الجاهلية فى أوثانهم . والراى يريد النفع الذى ناطه الله بأمره بتعظيم هذا الحجر وتقيله ابتلاء وتعبدا كما سمعت ، وامتنال ما لم يعقل معناه أدل على العبودية الخالصة .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده المخلصين ، وأن يرزقنا التوفيق لما يرضاه رب العالمين . وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

إبراهيم الجبالي

## بدائع الطبيعة

يرى المتأملون في آيات الكتاب الكريم أن عدداً عديداً منها ورد في الحث على النظر في الكون والكائنات ، وفي التفكير فيها ، وفي تعرف وجوه الإبداع منها ، وما ذلك إلا لأنها تلقت النفس إلى مبدعها ، وتسمو بالروح إلى عالمها ، وتغزو العقل والقلب بما أفيض عليها من حكمة الخالق في بناء وجودها ، وتقدير خصائصها ، وتوفيتها بالوسائل الضرورية لحياتها وبقائها واستمرار نوعها .

وفد عني علماء الكون من القدم إلى اليوم بالنظر في أحوال هذه الكائنات وطبائعها وأطوارها ، فهدوا إلى علم غزير من أسرار تركيبها ، وأدوار حياتها ، وعجائب شئونها ، مما لا يرى السالك إلى الحق بدا من الإلمام به إجمالاً ، فإنه من أخص ما يتزود منه من القوى المعنوية التي تميته على ما هو بصده .

وقد قرأنا للعلامة المشهور ( كاميل فلامريون ) فصلاً في هذا الموضوع جليل القائدة ، نرى أن تنقنه للعربية في طليعة ما سنأتي عليه من الإبداعات الإلهية ، فقد قال تحت عنوان حياة الحشرات :

« إذا كان عالم النباتات ، وعالم الحيوانات الميكروسكوبية ، قد أمدنا ميلنا الشديد للاطلاع بكشف نوع من الحياة تخالف حياتنا الخاصة بنا ، فإنه يوجد في العالم الحيواني طبقة من الكائنات العجيبة تؤاتينا بمعارف عنها ليست بأقل إدهاشاً لنا من تلك ، لأنها تمثل لنا شكلاً من الحياة تخالف حياتنا كل المخالفة .

« هذه هي طبقة الحشرات ، تلك الكائنات التي هي بتركيبها الطبيعي وبشكلها الظاهري يمكن وضعها خارج نطاق العالم الحيواني ، والتقرب بها إلى العالم النباتي . فهي كالنباتات تتبع في أدوار حياتها فصول السنة ، وتكايد استعالات ذريعة . أما غذاؤها



في دور البلوغ فتستمد منه من باطن الأزهار التي تعيش هي مصاحبة لها ، وأما مقامها الليلي فهو الهوى ، على مثال الروائح الذكية . ولقد سميت بسبب الألوان المائية في أجفحتها بلزهرات ذات الحياة ، فإذا حرمت فراشة من عينيها رأيت كأن منها بين يديك زهرة ذات حراك . وإذا أمكنك أن تهب زهرة حواس وحركات ، كتبت كأنك قد حولتها إلى فراشة تطير في الهواء .

« إننا نعرض لهذا الموضوع من وجهة خاصة هي وجهة تاريخ هذه الكائنات ، وهي وجهة تربينا ناحية جديدة من نواحي الحياة للفاضة على الأكران .

« فلنسمح لعقلنا أن يتبع طريقة النظر في الكائنات التي هي بين النباتات والإنسان لنعطى بسياحة أدبية في خلال هذا العالم المشحون بالأعاجيب .

« نعم : إن عالم الحشرات مشحون بالأعاجيب ، وكل ما فيه يلفت النظر ويثير الدهش العظيم . وقد جرت سنة الله في الطبيعة أننا كلما أوغلنا في البحث فيها ازدادت في نظرنا اتساعا ، واستعصت على السبر والتقدير . هذا على عكس ما عليه المصنوعات البشرية ، فإن أرق منسوج من الحرير لو خصته بالمنظار المعظم لرأيت من الغاظ بحيث يشبه الأقمشة الخشنة التي تلف فيها البضائع المرسلة إلى مكان بعيد ، ثم لا تحظى بعد التدقيق في تلك المصنوعات البشرية باكتشاف جديد .

« ولكننا لو دققنا النظر في جناح الحشرة المسماة (يومبيكس) أو في عينيها أو قريتها ، اعترانا الدهش من رؤيتنا مظاهر جديدة لها كلما ازدادت قوة المنظار الذي يسלט عليها . ولا حظ أني لا أختار هنا دودة الحرير باعتبار أنها هي الحشرة الثرية المشرفة ، لأن هذه العاملة الجادة النشطة ليست كاسية بغير بذلة العمل المتواضعة السنجابية ، فهي تعيش بعيدة عن كل زينة ، على حين أنها تستخرج من باطنها ما يزهر به الإنسان ويختال من الأنسجة الحريرية .

« ما أكبر الدافع المعنوي الذي يدفعنا لارتداد عالم الحشرات الخافل بالحياة والعظمة ،

الذى يفوق في عدد آحاده جميع آحاد الممالك الحيوانية مجتمعة ! عالم يحير للعقل باستحالته الخفية المدهشة التى ترىنا الكائن لو احد عاشا فى صور متباينة تتلو إحداها الأخرى بعد أن تمر بين كل دورين على حال شبه الموت من كل وجه . ( ألا ترى دودة القطن مثلا بعد أن تمتاز دورا من حياتها تنسج على نفسها بواسطة الخيوط التى تنفرز منها مسكنا مساويا لحجمها ، فتستحيل فيه الى سائل لا صورة له ، فلا يلبث هذا السائل أن يتشكل بصورة أخرى ، فيصير على هيئة فراشة مخالفة فى التركيب للدودة من كل وجه ، فتتنب ذلك المسكن المنسوج الذى يسمونه بالشرقة ونخرج منه طائرة مختلفة بجمال شكلها ، فتتزوج وتبيض على الأوراق الخضراء ، ثم تفارقها الحياة تاوكة الوجود لذرتها ) !

« إن هذه الحشرات التى نحن بصددنا تملأ المياه والجواء ولأرض ، عاملة ناصبة ، محيطة بنا ، أو مقيمة فى أجسادنا ومتسلطة علينا بعددها وبنشاطها .

« إن فى أعمال هذه الكائنات وطبائعها وهجاتها ومجتمعاتها وجمهورياتها وتحابها وتباغضها ، مواضيع للدرس ، وأحيانا عبرا للمفكرين . وإن لديها الجماعات ومدنا وأمماتامة التركيب مقودة بمبادئ حيوية تابعة لقانون واحد ، وإنك لتجد فيه تمايزا بيننا فى الحقوق الاجتماعية كما تجد في نوعنا الإنسانى سواء بسواء . فتأمل فى أحوال النمل وأرقائها وحروبها ومهاجراتها من مدنها تحت الأرض ، وفى لهجاتها التى تؤدبها بواسطة قرونها وفى دقة عقولها ، ثم تأمل فى النحل وصنائعها وعمارتها وهندستها وأغراضها ومبانيها ، وتأمل أيضا فى صبر العنكبوت وصناعته ، وهو الحيوان الذى يظهر أنه خلق لموت جائعا ، وتدير فى الأدوات التى تستخدمها الحشرات ، وفى عواملها الكيميائية ، وفى استحالاتها العجيبة ، تأمل وتدير فى هذا كله ثم قل لى أليس عالم الحشرات يجدير أن يلفت نظرنا اليه بقوة ، وأن يعلل الإلمام به أوقات فراغنا بهجة ، وأن ينبه أفكارنا الى هذه البدايات الحيوانية التى تنتهى فى آخر سلسلتها الى الانسان نفسه ؟

« هذا المظهر الكبير من الحياة يتولاه ناموس ينظم شئونه من رتبة الناموس الذى

ينظم سير الكواكب والشموس ، وإذا كان الموت يحتاج في الساعة الواحدة ألوف الألوف من هذه الكائنات ، فإنه في كل ساعة أيضا يتولد منها ألوف الألوف لتحل محلها وتستيق أحادها وأجناسها ، فهي كزوجة حياة مستمرة ، أو كسلسلة لا آخر لحقاتها .

« أكثر الصناعات الانسانية معروفة كل المعرفة عند العالم الحيواني ، فإنك لتجد من طوائفها البنائين والنجارين وصناع الورق والنساجين ، ويمكن أن يقال وحاكّة الدانتلا أيضا ، وهؤلاء جميعا يشتغلون لمصلحتهم الذاتية أولا ثم لمصلحة ذراتهم من بعدهم . ومنهم حفرة الأرض ، ورفعة القباب ، ومخضبة الأراضي الفحلة ، وموطدة الأعمال المختلفة . ومنهم مقيمة الآكواخ ، أو مشيدة القصور على مقتضى أدق الأصول المهارية . ومنهم أيضا العارفون بجميع أسرار صناعة الورق الرقيق والصفيق وصنوف الأقمشة والدانتلا ، حتى إنك لو قارنت مصنوعاتهم من هذه الأنواع بمصنوعات فنيزيا أو بروكسل ، لا تجد بين الصناعتين فارقا يذكر . ومن الذي لم يعجب بصناعة النحل الدقيقة القائمة على الأصول الفنية ، وبأعمال النحل في بناء مساكنه الأرضية ، وبدقة الشباك التي يقوم بصنعها العنكبوت لا يقارع فرائسه فيها ؟

« إن الدقة التي تشاهد في نسيج بعض هذه الحيوانات تبلغ من الكمال بحيث إذا احتاج الفلكي لحيط دقيق لمصلحة منظاره ، فلا يلجأ الى صناع باريز أو لوندرة ، ولكن الى هذه الفابريقة الحبة الممتلئة في عنكبوت ضعيف . ومعنى احتاج العالم الطبيعي أن يختبر درجة الدقة في ميكروسكوبه أو لقياس قدرته في تجلية الأشياء الدقيقة فإنه لا يعتمد الى المليمتر المقسم الى مائة أو ألف درجة ، ولكنه يعتمد الى قشرة الحشرة المسماة ( دياتومية ) البالغة حدا بعيدا من الصغر والتميز ، بحيث يقتضى أن يوضع ملايين منها بعضها بجانب بعض لتصير مرئية للعين المجردة . هذا وأدق الميكروسكوبات تعجز عن أن تكشف كل تفاصيل الصور التي تزين هذه الأجساد العجيبة . وأقوى

هذه الميكروسكوبات تكاد لا تكفي لمشاهدة النقوش البديعة الدقيقة التي تزين قشور  
الدياتومية المتناهية في الدقة والأناقة .

**النظر في الكائنات يؤدي الى الاعتقاد بالله :**

لما انتهى الأستاذ كاميل فلامبروت من عرض هذه النظرة العامة على عالم  
الحشرات ، أورد هذا السؤال ، وهو :

« من أين نشأت هذه الكائنات التي تعيش على نفقتنا ؟ وما فائدة هذا البرغوث  
الجميل الشكل ، المساح أعجب تسليح ، ولأى غرض هو موجود ؟ »  
ثم قال ما مؤداه :

« يستطيع كل باحث أن يفكر ليصل الى حل هذه المسألة الخطيرة ، وعلى أية  
حال كان الجواب فإنه لا يخلو من أمر يستوقف النظر ، ولكن الانسان إذا رأى المهر  
الحديث الولادة يقفز وراء أمه ليلتقم ضرعها ، والفروج عند ما يخرج من البيضة يبحث  
عن الغذاء في الأرض ، والبطخة عند ما نشم الهواء بعد الفقس تبحث عن ضحاح ماء  
لتسبح فيه ، إذا رأى الانسان كل هذه المحاولات من الحيوانات الحديثة العهد بالحياة  
أيمالك نفسه من عزوها الى الإلهام الذي يتولاها بالعناية والإرشاد ؟ وهل هذا الإلهام  
إلا أثر من آثار رحمة الله بهذه الكائنات الضعيفة ، ودليل محسوس على أنه لا يخلق  
خلقاً ويتركه مجرداً من الإرشاد ؟

« وإذا كان المثال عند ما يعجن الجبس ليصنع منه تمثالاً يصدر في عمله عن تقدير  
لكل ما يستدعيه كمال ذلك التمثال ، فإن الخالق جل وعز قد قدر كل ما أراد أن يبرزه  
الى عالم الشهادة من الكائنات ، ووهب لكل منها حاجته من القوى والذرائع ، وسواء  
برأه في يوم واحد أو في ألف قرن فإنه لم يغفل صغيرة ولا كبيرة مما يحتاج اليه في بقاءه  
وتخليد نوعه ، وأعد له العمل الذي يقوم به في الحياة ، وقد نعم علينا الحكمة في وجوده  
أو في المهمة التي يقوم بها ، ولكن ذلك لا يمنع أنه قد أعد له لمصلحة الخليقة من جميع  
الوجوه . فأفعاله تملأ من العيب ، وتنزه عن الجراف .

« هذا هو الله الحق الذى لا تدرك العقول كنه ذاته ، ولكنها تدرك أنه لا يصدر  
 فى جميع مصنوعاته إلا عن حكمة لا تحد بحد ، وعم لا يبلغ مداه إلا هو » .  
 انتهى ما نقلناه عن الأستاذ ( كاميل فلاسريون ) . وفى تفصيل ما أجمله عجب عجاب .  
 فلا بد لنا من المماثلة به للتمتع باجتلاء صنع الله القدير : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان  
 له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »  
 محمد فرير ومحمد

## رفق الاسلام حتى فى مواطن البأس

كان عمر بن الخطاب يقول عند عقد الألفية : بسم الله وبالله وعلى عون الله ، امضوا بتأييد  
 الله ، وما النصر إلا من عند الله ، والزموا الحق والصبر ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا امرأة  
 ولا وليدا . وتوفوا قتلهم إذا التقى الرحماني وعند شن الغارات .  
 ولما وجه أبو بكر يزيد بن أبي سفيان الى الشام شيعة راجلا . فقال له يزيد : إما أن تركب  
 وإما أن أنزل . فقال : ما أنت بنازل وما أنا براكب ، إني أحسب خطاي هذه فى سبيل الله .  
 ثم قال له :

إني موصيك بعشر : لا تفدر ، ولا تمثل ، ولا تقتل هرما ، ولا امرأة ، ولا وليدا ، ولا  
 تعقرن شاة ، ولا بعيرا إلا ما أكلتم ، ولا تحرقن نخلا ، ولا تحرقن حامرا ، ولا تغل ، ولا تحجن .  
 وكتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص قائده الذى وجهه لفتح فارس :  
 أما بعد ، فإني آمرك ومن معك بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى الله أفضل العدة  
 على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من  
 المعاصي منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيوش أخوف عليهم من عدوهم ، ونما ينصر المسلمون  
 بمصية عدوهم لله ، ولو لا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عدونا ليس كعددهم ، ولا عدتنا  
 كعدتهم ، فان استوينا فى المعصية ، كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإلا تنصر عليهم بفضلنا  
 لم نغلبهم بقوتنا . فاعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تعملون ، فاستحيوا  
 منهم ولا تعملوا بمعاصي الله ، وأنتم فى سبيل الله ، الخ .

## الفتح الرباعي

ترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني

بعد أن قرطنا هذا الكتاب الممتع هنا صدرت منه أربعة أقسام شهرية ، وبذلك انتهى الجزء الأول منه ، وسيليه الجزء الثاني ، وهو لحضرة الأستاذ المفضل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا ، وعنوانه بمصر بحارة الروم بالغورية .

## بحث تحليلي في قضية المرأة

ومكانها الطبيعي من المجتمع

ألف هذا الكتاب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ محمد عبد الحليم الرمالي من علماء الأزهر المفتش بوزارة الأوقاف ، وهو كتاب جليل القدر عني فيه مؤلفه المحقق بدروس المسألة النسوية من جميع الوجوه ، جاء كما سماه بحثاً تحليلياً قائماً على الأسلوب العلمي الصحيح ، ومستوعباً جميع ماله علاقة بهذه المسألة الخطيرة من الشئون الاجتماعية والحياة البيئية ، ولم يقلل حتى الاستشهاد بأقوال علماء القرنجية ، فكان في عمله هذا موقفاً كل التوفيق . ولسنا نملك في أن هذا الكتاب سيكون أثره بالغاً في هذه القضية ، وسيصح مكانه الجدير به في كل مكتبة .

## سلسلة المعارف التاريخية الإسلامية

هذا اسم رسالة متممة وضعها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد حسين النجار المحامي الشرعي بأسبوط وضعها تاريخ أربعين رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معاً بحق بناء الاسلام ووصفهم بأنهم محطمو الوثنية ، ومسقطو عروش الأكاسرة والقيصرة ، ومغيرو وجه التاريخ الخ .

فلا جرم أن يعني بقراءة سير هؤلاء الأبطال كل الذين يهمهم أن يعرفوا آثار الذين عملوا على توطيد أسسه ، وإقامة صرحه .

found they had been closed. So Heraclius seeing their resentment and despairing of their conversion<sup>(1)</sup> to the Faith, ordered them to be brought back before him and said: 'The speech I have just made to you was to test your staunchness to your religion. Now I am convinced of it.' Accordingly they prostrated themselves before him and showed their approval of him.

This is the end of the account of Heraclius."

This tradition was also related by Salih b. Kaisân, Yanus and Ma'mar through Az-Zuhri.

فَإِذْ هِرَقْلٌ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي  
دَسَكْرَةٍ لَهُ بِجَمِصٍ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا  
فَعُلِقَتْ، ثُمَّ أَطْلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ  
هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ أَنْ يَنْتَبِثَ  
مُلْكُكُمْ فَتَبَايَعُوا هَذَا النَّبِيَّ ؟  
فَحَاصُوا حَيْصَةً حُرِّ الْوَحْشِ إِلَى  
الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِقَتْ ،  
فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلٌ نَفَرَتَهُمْ وَأَيْسَ مِنْ  
الْإِيْمَانِ قَالَ : رُدُّوهُمْ عَلَيَّ وَقَالَ :  
« اِنِّي قُلْتُ مَقَالِي آتِئًا أُخْتَبِرُ بِهَا  
شِدَّتْكُمْ عَلَى دِينِكُمْ ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ ،  
فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ .  
فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلٍ .  
رَوَاهُ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ وَيُونُسُ  
وَمَعْمَرُ بْنُ الزُّهْرِيِّ .

[ ALL RIGHTS RESERVED ]

(1) Ibn Hajar's commentary suggests that he despaired not only of bringing them to the Faith, but of his own conversion when he realised that the cost would be the loss of his throne.

circumcision. At this Heraclius said: 'What I saw in the stars has come true. It is this nation<sup>(1)</sup> that hath come to power.'<sup>(2)</sup>

Heraclius then wrote to a friend of his in Rome whose learning was equal to his own, and then proceeded to Emessa.

He did not leave it until he received a letter from his friend agreeing with his opinion on the coming to power of the Prophet (Peace be upon him) and his prophethood.

Thereupon Heraclius summoned the Greek notables to a palace of his at Emessa, and ordering the doors to be closed, he stood in a high place and said: 'O Greek people! Do ye desire prosperity and true guidance?

Do ye desire your empire to be maintained?

Then swear allegiance to this Prophet.'

Upon this they rushed madly like wild asses to the doors, but

مَلِكِ الْغَيْبَانِ قَدْ ظَهَرَ، فَمَنْ يَخْتَارُ  
مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ فَأَلَوْا لَيْسَ يَخْتَارُ  
إِلَّا الْيَهُودَ فَلَا يُهَيْئُكَ شَأْنُهُمْ  
وَأَكْتُبْ إِلَى مَدَائِنِ مَلِكِكَ فَيَقْبَلُوا  
مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ

فَبَيَّنَّا لَهُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أَنَّ هِرَقْلَ  
يُرْجَلُ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكَ غَسَّانَ يُخْبِرُ  
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا  
اسْتَشْبَهَهُ هِرَقْلُ قَالَ: أَذْهَبُوا فَانظُرُوا  
أَمْخُتَتْ هُوَ أَمْ لَا، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ  
فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَنٌ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ  
فَقَالَهُمْ يَخْتَنُونَ فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا  
مَلِكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ.

ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبِ لَهْ بِرُومِيَّةَ  
وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ  
إِلَى خِصِّ، فَلَمْ يَرَمْ خِصَّ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ  
مِنْ صَاحِبِهِ يُؤَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى  
خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَأَنَّهُ نَبِيٌّ.

(1) The Arabs.

(2) Or — It is this Prophet who shall rule over this nation [Heraclius' people], and he shall come to power.



*Az-Zuhri adds:* "Ibn-en-Nâzûr, governor of Iliâ', a friend of Heraclius, and bishop over the Christians of Syria, relating this, said that when Heraclius came to Iliâ', he rose one morning troubled in spirit.

Some of his patriarchs remarked that they were distressed at his change of countenance. Ibn-en-Nâzûr went on to say that Heraclius was a diviner who observed the stars. In answer to their remark he said: 'Last night as I was considering the stars, I saw the king of the circumcised coming to power. Which of the nations practise circumcision?'

'None but the Jews,' replied they, 'let them not trouble thee, write to the cities of thy empire and order them to be slain.' While they were thus engaged, a man was brought before Heraclius sent by the King of Ghassân to bring the news about the Prophet (Peace be upon him). When Heraclius had questioned him, he said to those around him: 'Go and examine this man to see whether he is circumcised or not.' They did so, and reported to him that he was circumcised. *The Emperor* then asked him about the Arabs, and he replied that they practised

وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا  
بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ  
تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ .  
قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ  
وَفَرَّخَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثْرَ عِنْدَهُ  
الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ  
وَأُخْرِجْنَا فَقُلْتُ لَا تَصْحَبِي حِينَ أُخْرِجُنَا  
وَلَقَدْ أَمَرَ أُمُّ بِنْتُ أَبِي كَبْشَةَ ، إِنَّهُ يَخَافُهُ  
مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ ، فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا  
أَنَّهُ سَيُظْهِرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ  
الْإِسْلَامَ

وكان ابن النّاذور صاحب إيلياء  
وهيرقل سقفا على نصارى الشام  
يحدث أن هيرقل حين قدم إيلياء  
أصبح يوما خبيث النفس فقال بعض  
بطارقه قد استنكرنا همتك ، قال  
ابن النّاذور : وكان هيرقل حرا ينتظر  
في النجوم فقال لهم حين سألوهم إنى  
رأيت الليلة حين نظرت في النجوم

O ye people of the Book<sup>(1)</sup> come to the call of a word which is common<sup>(2)</sup> to us and you, namely that we should worship none but Allāh, nor associate aught with Him, that none of us should take others as lords over them beside Allāh. If they turn away from this appeal, say: 'Bear witness that we are Muslims'.<sup>(3)</sup>

Abu Sufiān ( continuing his narrative ) said: "When Heraclius had said this and ended the reading of the letter, there arose in his presence a great tumult, and voices were raised; we were sent out, and as we were going out, I said to my companions: 'Ibn-Abu-Kabshah's<sup>(4)</sup> position has become important, since the king of the sallow-faces<sup>(5)</sup> fears him.' And I remained convinced that Muhammad would come to power, until Allāh brought Islām into my heart."

لَقَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ .  
ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ مَعَ دَحِيَّةَ إِلَى  
عَظِيمِ بَصْرَى فَدَقَّقَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ  
فَاذْفَاهِهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،  
مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى  
هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ  
اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ  
بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْتَ تَسْلَمَ يُؤْتِكَ  
اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ  
عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَدِيسِيِّينَ، وَيَا أَهْلَ  
الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا  
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ

(1) "The people to whom the Scriptures are given". As the term is here applied to Christians, both the Old and New Testaments are implied, thus including both Jews and Christians.

(2) A "word" accepted equally by the Prophets and Scriptures of the three Faiths (Al-Baldāwī) ; or a "word" that puts all men on an equality (Al-Fakhr-er-Rāzī).

(3) Or true believers.

(4) This name can be taken as referring to the Prophet himself Abu Kabshah may have been an ancestor of his, or the husband of his foster-mother. An ancestor of the Prophet of this name worshipped the Dog-star, after renouncing the idols of Mecca, and so the term "Son of Abu Kabshah" may have been contemptuously applied to the Prophet.

(5) The Byzantines. It is said that Rūm b. Aīs, their ancestor, married the daughter of the king of Abyssinia and produced a sallow-faced race.

He then called for the letter of the Prophet of Allāh ( Peace be upon him ) which he had sent by Dihiah<sup>(1)</sup> to the governor of Busrā<sup>(2)</sup> who had forwarded it to Heraclius. When he read it, he saw in it the words: " In the Name of Allāh the All-Loving the Most Merciful. From Muhammad, the Servant and Apostle of Allāh to Heraclius the Ruler<sup>(3)</sup> of the Greeks. Peace be upon him who followeth the Guidance! To proceed — I invite thee to answer the call to Islām. Embrace Islām and thou shalt be saved, and Allāh shall give thee a double<sup>(4)</sup> reward; and if thou turnest away, then the sin of thy subjects<sup>(5)</sup> shall be upon thy head.

وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَعْدِرُ، وَسَاءَ لِمَنْ  
يَمَّا يَأْمُرُكُمْ فَقَدْ كَرِهْتَ أَنَّهُ بِأَمْرِكُمْ  
أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا  
وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ  
وَبِأَمْرِكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ،  
فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ  
مَوْضِعَ قَدَمَيْ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ  
أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ،  
فَلَوْ أَتَى أَعْلَمُ أَتَى أَخْلَصُ إِلَيْهِ  
لَتَجَسَّسْتُ لِقَائَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ

[1] One of the earliest of the "Companions", who was extremely handsome and of high family

[2] Identified with Haurān — which was famous for its citadel, and which was the first town in Syria to fall to the Muslims in 13 A.H.

[3] Ruler or Chief. The Prophet avoided using any of the usual imperial titles, as he considered the Emperor deposed by the law of Islam. His use of the word *ملك* however, shows his readiness to acknowledge his dignity.

Ibn Hajar quotes Al-Bazzār who states in his Musnad on the authority of Dihah that the Emperor's nephew urged him not to read the letter, as it began with "Muhammad", ignoring the Emperor's official titles. But the Emperor insisted on reading the letter

[4] One reward for the conversion, and one for constancy in the faith; or — one for believing in his own Prophet (Jesus), and one for accepting Muhammad; or — one for his own conversion to Islām, and one for being instrumental in that of his followers.

[5] Plural of *أدريس* (farm-labourers) hence "Subjects" — Heraclius' subjects being mostly engaged in agriculture, and peasants remaining "heathen" long after the establishment of Christianity. The passage means that his refusal to embrace Islām would involve his own sin and theirs, as they would naturally follow him. The rendering "publicans" as being typical of sinners is unlikely. Another possibility is "princes" *دعاة* — through Kirāc. The word is possibly of Syriac origin.

increasing. Such is the course of faith until it reacheth its perfection.

I have asked thee whether any one hath renounced his faith out of aversion to it after having adopted it, and thou hast said 'No'. So it is with faith when its joy penetrateth the heart.

I have asked thee whether he betrayeth his trust, and thou hast said 'No'. So it is with the Prophets, who betray not their trust.

I have asked thee what he commandeth you to do, and thou hast replied that he commanded you to worship Allāh and not to associate aught with Him, and forbade you to worship idols, and enjoined upon you prayer, truthfulness and purity; and if what thou sayest is true, he will take possession of the very spot<sup>(1)</sup> beneath these two feet of mine. I have known he was to appear, but I did not think that he would be one of you. If I knew that I should be able to attain to him, I should take the risk<sup>(2)</sup> of meeting<sup>(3)</sup> him, and if I were in his presence, I should wash his feet.

قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ  
قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مَلِكًا أَبِيهِ .  
وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَقْبَلُونَهُ بِالْكَذِبِ  
قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَا فَذَكَرْتَ أَنْ لَا،  
فَقَدْ أَعْرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ  
السَّكْذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَسْكَذِبَ عَلَى  
اللَّهِ . وَسَأَلْتُكَ أَشَرَفَ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ  
أَمْ صُنْعًا وَهُمْ فَذَكَرْتَ أَنْ صُنْعًا هُمْ  
اتَّبَعُوهُ ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ  
وَسَأَلْتُكَ أَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ  
فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ ، وَكَذَلِكَ  
أَمَرَ الْإِيمَانُ حَتَّى يَمِ  
وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخَطًا لِدِينِهِ  
بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا،  
وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ مُخَالَطِ  
بَشَاشَتِهِ الْقُلُوبِ .  
وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَنْدَرُ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا،

[ 1 ] Jerusalem, or perhaps the whole of Syria

[ 2 ] i.e. would have taken the risk of being killed by the Christians (At-Tabarāni)

[ 3 ] I should have become a follower of his. ( Ibn Ishāq )

Heraclius then told the interpreter to say to Abu Sufiān: 'I asked thee about his lineage and thou hast stated that he was of high standing amongst you. So also the Prophets, who were sent, were of high lineage among their people.

And I have asked thee whether any of you hath ever made this claim and thou hast answered 'No'. I replied: If any one had made this claim before him I should have said it was a man following an example that had been set before; and I have asked thee whether any of his forefathers were kings, to which thou hast replied 'No.' I say now that if any of his forefathers had been kings, I should have thought he was a man seeking his father's throne. I have asked thee whether ye had accused him of falsehood before he made this claim and thou hast replied 'No'. I gather from this that he is not a man to abstain from lying to men and then to lie about God. I have also asked thee whether his followers were the mighty or the humble, and thou hast replied the humble, and these are they who are the followers of the Prophets.

I have asked thee whether they are increasing or decreasing, and thou hast replied that they are

قَالَ فَمَهْلَ قَامَتْهُمْ ؟

قُلْتُ نَعَمْ

قَالَ فَكَيْفَ كَانَ قَبَائِلُكُمْ إِيَّاهُ ؟

قُلْتُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سَجَالٌ يَنَالُ

مِنَّا وَنَمَالُ مِنْهُ

قَالَ مَاذَا بَأْمُرُكُمْ ؟

قُلْتُ يَقُولُ أُعْبِدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا

تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَمُرُّكُمْ مَا يَقُولُ

أَبَاؤُكُمْ، وَبَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ

وَالْعَفَافِ وَالصَّلَاةِ

فَقَالَ الْمَرْجُمَانِ قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ

نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُرِّيَّةٌ نَسَبِ،

فَكَذَلِكَ لَوْ سُلِّ تَبَعْتَ فِي نَسَبِ

قَوْمِهَا . وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ

مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنَّ لَا،

فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ

قَبْلَهُ أَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتِسِي يَقُولُ قِيلَ

قَبْلَهُ . وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَتْ مِنْ

أَبَائِهِ مِنْ مَلَكَ فَذَكَرْتَ أَنَّ لَا .

"Are they on the increase or the decrease?"

"Indeed on the increase.

"Hath any of them renounced his faith in abhorrence to it after having embraced it?"

"No".

"Did you ever accuse him of falsehood before he made that claim?"

"No".

"Doth he betray his trust?"

"No; but there is now a truce between us and him, and we know not what he will do in regard to it. (Here Abu Sufián remarks: "I was not able to make any other insinuation against him".)

"Have you fought against him?"

"Yes".

"And how was the issue of your fight with him?"

"The tide of war between us was fluctuating, some times against us and sometimes against him".

"What doth he command you to do?"

"He telleth us to worship Allāh alone and to associate naught else with Him; to abandon our fathers' beliefs, and he enjoyneth upon us prayer, truthfulness, purity and charity to kinsfolk".

قَطُّ قَبْلَهُ ؟

قُلْتُ لَا

قَالَ فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلَكَ ؟

قُلْتُ لَا

قَالَ فَأَشْرَفُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ

ضَعُفَاؤُهُمْ ؟

قُلْتُ بَلَى ضَعُفَاؤُهُمْ

قَالَ أَيْرِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ؟

قُلْتُ بَلَى يَزِيدُونَ

قَالَ فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخَطَةً

لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ؟

قُلْتُ لَا

قَالَ فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّبِعُونَهُ بِالْكَذِبِ

قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟

قُلْتُ لَا

قَالَ فَهَلْ يَتَدَرُّ ؟

قُلْتُ لَا، وَتَحْنُ مِنْهُ فِي مَدَّةٍ لَا تَذَرِي

مَا هُوَ فَأَعْلُ فِيهَا. قَالَ وَلَمْ تَنْكِحِي

كَلِمَةً أَذْخَلَ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ

الْكَلِمَةِ

"Which of you is nearest related to this man who claimeth to be a prophet?" "I", replied Abu Sufiân, "am his nearest relation among those present".

"Bring him nearer to me," said Heraclius, "and likewise his companions. Place them behind him". (1) He then said to his interpreter: "Tell them that I shall ask this man about the supposed prophet, and if he speaketh false to me they must give him the lie".

(Abu-Sufiân remarks in relating this incident: "By Allâh, but for my shame at having mendacity attached to my name, I should have lied about him".)

Then the first question he asked me about him was: "What family standing hath he amongst you?"

"He hath a high family standing amongst us", said I.

"Hath any one of you ever made this claim before him?" asked Heraclius.

"No", replied I.

"Was any of his forefathers a king?"

"No".

"Do the mighty follow him or the humble?"

"Nay, the humble".

الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بَنِي جَمَانِهِ  
فَقَالَ :

أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا هَذَا الرَّجُلِ  
الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؟

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ  
نَسَبًا

فَقَالَ أَذْنُوهُ مِنِّي وَفَرِيضُوا أَصْحَابُهُ  
فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدِي ظَهْرِي  
ثُمَّ قَالَ لِعَرَجْمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَأَلْتُ  
هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي  
فَكُذِّبُوا

فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنِّي أَنْ يَأْتُرُوا  
عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ  
ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَ نِي عَنْهُ أَنْ قَالَ :

كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ ؟  
قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ  
قَالَ فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ

(1) Heraclius placed Abu-Sufiân's party behind him in order that they might not be afraid to contradict him if he spoke falsely.

generous in good works than the wind that is sent in blessing."

مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ .

6 We are informed by Abul-Yamān Al-Hakam b. Nāfi, who had it from Shu'aib, through Az-Zuhri, who received it from 'Uбайдulāh b. 'Abdullāh b. 'Utbah, b. Mas'ūd that he was told by 'Abdullāh b. 'Abbās that Abu Sufiān b. Harb related to him that Heraclius<sup>(1)</sup> sent for him while he was in a caravan of Quraish, who were trading in Syria during the time when the Apostle of Alāh (Peace be upon him) had made a truce<sup>(2)</sup> with Abu Sufiān<sup>(3)</sup> and the unbelievers of the Quraish. So they went to him while they were at Iliā<sup>(4)</sup> and he accordingly summoned them to his court where he was surrounded by Greek notables. He then called them before him, and called upon his interpreter to say:

٦ — حدثنا أبو اليان الحكم بن نافع قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليّ في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشأم في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مآدٍ فيها بئاً سفیان وكفار قريش فأتوه وهم بأبيهم فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء

{ 1 } Heraclius (575-642 A.D.) Emperor of the Eastern Roman Empire proclaimed in the year 610 A.D. In 629 A.D. the Arabs made their first incursion into his domains. In 636 A.D. they won a notable victory on the "Yarmuk" (Hieromax), and in the following year conquered all Syria, Palestine and Egypt.

{ 2 } The truce of Hudaibiyyah in the year 6 A.H.

{ 3 } A cousin of the Prophet's.

{ 4 } Iliā', meaning 'God's House', is probably a Hebrew version of Jerusalem, or an Arabic transcription of Aelia (Capitolina) as it was then called. Ibn Hajar states that Heraclius was on his way from Emessa to Aelia, to which he was going on foot as a gesture of thanksgiving to God for his success in his dealings with the Persians.



part to expound it to thee," Ibn 'Abbās explained them as meaning: "Afterwards it shall be Our part to teach thee the recital thereof". So the Apostle of Allāh ( Peace be upon him ) after that, when Gabriel came to him, listened; and when Gabriel had departed, the Prophet ( Peace be upon him ) recited the Revelation just as the Angel had recited it.

5 — We are informed by Abdān who had it from 'Abdullāh, who received it from Yūnus through Az-Zuhri;<sup>(1)</sup> we are also informed by Bishr b. Muhammad, who had it from Yunus and likewise from Ma'mar through Az-Zuhri, who stated that it was related to him by 'Ubaidullāh b. 'Abdullāh through Ibn 'Abbās, who said: "The Apostle of Allāh ( Peace be upon him ) was the most generous of men, and most of all in Ramadān, when Gabriel used to meet him — which he used to do every night in Ramadān — and recite the Qur'ān together with him.<sup>(2)</sup> Indeed the Apostle of Allāh ( Peace be upon him ) is more

أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ  
جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ  
قَرَأَهُ ثُمَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا  
قَرَأَهُ.

• حَدَّثَنَا عَبْدَانُ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ  
قَالَ أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنْ الزَّهْرِيِّ وَحَدَّثَنَا  
بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ أَخْبَرَنَا عُمَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ  
أَخْبَرَنَا يُونُسُ وَمَعْمَرُ بْنُ الزَّهْرِيِّ مَحْمُودٌ  
قَالَ أَخْبَرَنِي عُمَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ  
عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ  
مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ  
جِبْرِيلُ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ  
رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَبَرِ

(1) letter ح [for-هـ] is here inserted in the text to indicate that a second *isnād* follows

(2) يَدْرُسُهُ The form يَلْقَاهُ suggests participation, the Angel reciting one part & the Prophet another.

4 — We are Informed by Mûsa b. Ismâ'il, who stated that he had it from Abu 'Awânah, who received it from Mûsa b. 'Abu 'A'ishah, to whom it was related by Sa'id b. Jubair through Ibn 'Abbâs, who, commenting on the Qur'anic verse: "O Muhammad! Move not thy tongue during the Revelation, repeating it, in order to hasten its committal to memory", said: "The Apostle of Allâh ( Peace be upon him ) used to suffer sorely from the Revelation, and it was for this reason that he moved his lips."

"I now move my lips for you", said Ibn 'Abbâs, "just as the Apostle of Allâh ( Peace be upon him ) used to do." Sa'id, reporting this tradition, said: "I am moving my lips just as I saw Ibn 'Abbâs do", and moved his lips in that way. So Allâh ( Be he exalted ) sent down the verse "O Muhammad! Move not thy tongue during the Revelation, repeating it, in order to hasten its committal to memory, for the collection and the recital of the Revelation are Our part." Ibn 'Abbâs explained this by saying: "Allâh's collection of the Book shall be in thy heart, and thou shalt recite it". The verse "And when We recite it, follow thou its recitation" be explained as "Hearken to it and give heed." As for the words "Afterwards it shall be Our

٤ - حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا  
أبو عوانة قال حدثنا موسى بن أبي  
عائشة قال حدثنا سعيد بن جبیر  
عن ابن عباس في قوله تعالى « لا  
تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَمْجُلَ بِهِ »  
قال كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ بِعَالِيحٍ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً  
وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، فَقَالَ ابْنُ  
عَبَّاسٍ فَإِنَّا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا  
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
يُحَرِّكُهُمَا وَقَالَ سَعِيدٌ أَنَا أُحَرِّكُهُمَا  
كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا  
فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى  
« لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَمْجُلَ بِهِ،  
إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ » قَالَ جَمْعُهُ  
لَهُ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأُهُ « فَإِذَا قَرَأْنَاهُ  
فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ » قَالَ فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ  
« ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ » ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا

informed me that Jâbir b. 'Abdullâh Al-Ansârî, speaking about the intermission<sup>(1)</sup> of the Revelation, said in his narration: "While I was walking behold! I heard a voice from Heaven. I raised my eyes and lo! the Angel who came to me in Hirâ' was sitting upon a throne between Heaven and Earth.

I was filled with fear and went home saying, "Wrap me up". Then Allâh (Be He exalted) sent down the verse: "O thou that art enfolded, arise and proclaim the warning — as far as the words "Flee the abominations of idolatry". Then the Revelations became more powerful and frequent."

'Abdullâh b. Yûsuf and Abu Sâleh have confirmed Yahya b. Bukair's narration as did Hilâl b. Raddâd through Az-Zuhri, while Yânus and Mâmar used the word

« فؤاده » instead of « بؤاده »

قال وهو يحدث عن فترة الوحي  
فقال في حديثه: بينا أنا أمشي إذ  
سمعت صوتاً من السماء فرفعت  
بصري فإذا الملك الذي جاءني  
بحرآء جالس على كرسي بين  
السماء والأرض فرعيت منه  
فرجعت فقامت زموني فما أنزل  
الله تعالى « يا أيها المدثر قم فأنذر »  
إلى قوله وألحز فأنجز  
فحسب الوحي وتتابع (تابعه عبد الله  
ابن يوسف وأبو صالح وتابعه هلال  
ابن رداد عن الزهري وقال يونس  
ومعمر: بؤادره)

[1] An interruption lasting about 3 years between "اقرأ" and "يا أيها المدثر"

[2] These two sanads (authorities) support the reading of "فؤاده" for "بؤاده" meaning "deltoid muscles or withers". Those who accept this variant will read "his shoulders quivering" for "his heart beating"

"Cousin, hear from thy nephew"<sup>(1)</sup> Waraqah then said: "Nephew, what is it that thou seest?" The Apostle of Allāh (Peace be upon him) gave him an account of what he had seen. Waraqah answered and said: "This is the "Nomos"<sup>(2)</sup> which was sent down by Allāh to Moses.<sup>(3)</sup> O that I were a young man at the call to Islām! O that I might be living when thy people drive thee out!" The Apostle of Allāh (Peace be upon him) answered: "Shall they drive me out?" "Yes", replied Waraqah, "no man hath ever yet brought anything like what thou hast brought but hath made enemies, and if I live to see thy day of trial, I shall succour thee with all my power". It was not long before Waraqah died and the Revelation was delayed for a span.

Ibn Shihāb said, and also Abu Salamah b. Abdur-Rahmān

كَبِيرًا قَدْ مَعِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ  
يَا بَنَ عَمِّ أَسْمَعُ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ  
فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا بَنَ أَخِي مَاذَا  
تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ  
لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي  
نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَلْتَمِثُنِي فِيهِمْ جَدًّا  
لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ  
قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ يُخْرِجَنِي هُمْ؟»  
قَالَ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ  
مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ  
يُذْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْتَصِرَكَ نَصْرًا  
مُؤْذِرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ  
تَوَفَّى وَفَرَّ الْوَحْيُ. وَالْإِسْنَابِيُّ  
وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ

(1) A conventional term.

(2) "Nomos" or confidential Angel of God, first sent to Moses, i.e. Gabriel.

(3) Moses is referred to in preference to Jesus, because the Law was known as the Law of Moses, and both Christians and Jews recognised Moses, while the Jews do not acknowledge Jesus.

with the Revelation, his heart beating with fear, and went home to Khadijah, the daughter of Khuwailid, saying: "Wrap me up! Wrap me up!" They did so until his fear left him. Then he spoke to Khadijah and told her the news saying: "I have been sore afraid for my life." Khadijah said to him: "Nay, by Allāh! Allāh shall never put thee to shame, for truly thou art a man that linkest the ties of kinship, supportest the dependent, givest to the needy<sup>(1)</sup>, showest hospitality to the guest, and assuagest the sorrows of the afflicted."<sup>(2)</sup> Khadijah then went forth with him until she brought him to Waraqah b. Nawfal b. Asad b. 'Abdul-Uzza, Khadijah's paternal cousin. He was a man who had become a Christian during the "Ignorance" and he used to write in the Hebrew tongue, writing in Hebrew as much of the Gospel as it pleased Allāh<sup>(3)</sup> that he should write. He was a very old man who had become blind, so Khadijah said to him,

يَرْجِفُ فَوَادَهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ  
بِثُخُولٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ  
« زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي » فَزَمَّلُوهُ  
حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوَاحُ فَقَالَ  
لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ « لَقَدْ  
خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي » فَأَلَّتْ  
خَدِيجَةُ : كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ  
أَبَدًا إِنَّكَ لِتَصِلَ الرَّحِمَ وَتَحْمِلَ  
الْكُلَّ وَتَكْسِبُ الْمُدْمُومَ  
وَتَقْرَى الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى  
نَوَائِبِ الْحَقِّ » فَانْطَلَقَتْ بِهِ  
خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ  
نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى  
ابْنَ عِمٍّ خَدِيجَةَ وَكَانَ أَمْرًا  
تَنْصَرَفُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ  
الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ  
مِنْ الْأَنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ  
اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا

[1] Or-givest what others refuse; or-art ready to give what is rare.

[2] Either those afflicted in the cause of righteousness; or the righteous.

[3] The Arabic idiom "ما شاء الله" implies here that Waraqah's learning enabled him to write whatever he liked.

return to Khadijah and prepare provisions for a similar spell, until the Truth came to him while he was in the cave of Hirā' (1), when the Angel came to him and said, "Read", and he said "I am in no wise a reader (2)." The Apostle said: "He seized me and clasped me with such force that my strength left me. Then he released me saying, 'Read'. I said, 'I am in no wise a reader.' Again he seized me and clasped me until my strength left me, and then released me saying, 'Read'. Again I said, 'I am in no wise a reader'. He seized me and clasped me a third time and then releasing me he said, 'Read in the Name of Thy Lord, who created *all things*, created man from clotted blood. Read for Thy Lord is most Gracious'." The Apostle of Allāh (Peace be upon him) returned

لَمِنَهِمَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ  
فِي غَارٍ حَرَامٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ  
فَقَالَ « أَقْرَأْ » قَالَ « مَا أَنَا  
بِقَارِئٍ » قَالَ « فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي  
حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي  
فَقَالَ « أَقْرَأْ » قُلْتُ « مَا أَنَا  
بِقَارِئٍ » فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي  
الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ  
أَرْسَلَنِي فَقَالَ « أَقْرَأْ » فَقُلْتُ  
« مَا أَنَا بِقَارِئٍ » فَأَخَذَنِي  
فَغَطَّنِي الثَّلَاثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ  
« أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ  
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. أَقْرَأْ  
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ » فَرَجَعَ بِهِ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(1) A mountain three miles from Mecca.

(2) The words : « مَا أَنَا بِقَارِئٍ » may be diversely rendered on the three occasions :

1st. I am not able to read, 2nd. I am in no wise a reader, 3rd. How (or what) am I to read ?

These three interpretations are suggested by Abu Shāmah confirmed by Abul-Aswad and quoted by Ibn Hajar.

his utterance."

‘Ayishah (Allāh be pleased with her) said, "I have seen the Prophet when the Revelation came down on him on a very cold day, and it hath left him with his brow pouring down with sweat".

- 3 — We are informed by Yahia b. Bukair who had it from Al-Laith through ‘Uqail through Ibn Shihāb through ‘Urwah b. Az-Zubair through ‘Ayishah, the Mother of the Faithful, that she said, "The first sign of Revelation that was shown to the Apostle of Allāh (Peace be upon him) was a true vision in sleep, so that he saw no vision but came like morning light; then he was filled with a desire for seclusion, and used to withdraw to the Cave of Hirā, in which he prayed<sup>(1)</sup> after the manner of Abraham, namely worshipping for many nights before returning to his kinsfolk, taking provisions for this purpose. Then he would

يُنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيَ فِي الْيَوْمِ  
الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَنْقُصُ عَنْهُ وَإِنْ  
جَبِينُهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا

٣- حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا  
الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن  
عروة بن الزبير عن عائشة أم  
المؤمنين أنها قالت : د أول ما  
بدى به رسول الله صلى الله عليه  
وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة  
في النوم فكان لا يرى رؤيا  
إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم  
حبيب إليه الآلاء وكان يخلو  
بغار حراء فيتحنث فيه - وهو  
التعمد الليالي ذوات العدد - قبل  
أن ينزع إلى أهله ويتزوّد  
لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد

(1) The Arabs sometimes changed ن to ث making تحنث for تحنف. The former means "casting away sin" and the latter "following the Hanfiyyah i. e. religion of Abraham or the true religion.

his flight is accounted to him according to its motive."

- 2 — We are informed by 'Abdullāh b. Yūsuf, who had it from Mālik, through Hishām b. 'Urwah, through his father, through 'Ayishah, the Mother of the Faithful (Allāh be pleased with her) that Al-Hārith b. Hishām (Allāh be pleased with him) asked the Apostle of Allāh (Peace be upon him) saying: "O Apostle of Allāh! How doth the Revelation come to thee?"

The Apostle of Allāh (Peace be upon him) replied, "At times it cometh to me like the ringing of a bell,<sup>(1)</sup> which kind is the most sore upon me; then it leaveth me after I have given heed to the utterance; and sometimes the Angel seemeth to me like a man speaking to me, and I give heed unto

يُنْكَحُهَا فَيَجْرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»

٢ — حدثنا عبد الله بن يوسف قال

أخبرنا مالك عن هشام بن عروة

عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين

رضي الله عنها أن الحارث بن هشام

رضي الله عنه سأل رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال يا رسول الله

كيف يأتيك الوحي؟ فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« أحياناً يأتيني مثل صلصلة

الجرس وهو أشدُّ عليَّ فيفهم

عني وقد وعيتُ عنه ما قال،

وأحياناً كما يتمثل لي الملك رجلاً

فيسكلمني فأعي ما يقول» قالت

عائشة رضي الله عنها « ولقد رأيته

(1) Probably a bell such as those tied round the necks of animals, which were familiar to the Arabs. Some commentators have suggested the sound of rustling of the Angel's wings, and they maintain that bells are condemned by Muslims; but there is no reason why the sound of bells should not be intended here, especially as bells were not condemned until after the establishment of Islām; and in any case, the words of the text suggest the power of the sound rather than its source, and the condemnation of bells only referred to church-bells.



was first manifested to the Apostle of Allāh ( Peace be upon him ) and the meaning of the words of Allāh ( Glorified be His Name ) " We have sent down to thee a Revelation as We did to Noah and the Prophets after him."

1— We are informed by Al-Humaidi, Abdullah b. Az-Zubair, who had it from Sufiān, who was told it by Yahia b. Sa'īd Al-Ansārī, who received it from Muhammad b. Ibrāhīm At-Taimī, who heard 'Alqamah b. Waqqās Al-Laithī, who heard 'Umar b. Al-Khattāb (Allāh be pleased with him) say from the pulpit: I heard the Apostle of Allāh ( Peace be upon him) say, "Actions are judged only by intentions, and every man is requited only in accordance with what he intendeth; and if any man flee to attain a worldly goal, or unto a woman<sup>(1)</sup> to marry her, then

**باب \* كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ**  
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْلُ  
اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا  
أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ»

١ - حدثنا الحميدى عبد الله بن الزبير  
قال حدثنا سفيان قال حدثنا يحيى بن  
سعيد الأنصارى قال أخبرنى محمد بن  
إبراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن وقاص  
الليثى يقول سمعت عمر بن الخطاب رضى  
الله عنه على المنبر قال سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّمَا  
الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ  
أَمْرٍ مَأْوٍ نَوْى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ  
إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ

(1) Before Islām, slaves were not allowed to marry Arab women of better standing than themselves; but when Islām brought social equality, many embraced it and fled to Medina in order to enjoy the privilege. This hadith refers to the story of an emigrant who fled to Medina to marry Umm Qais, who had refused to accept him unless he joined the Prophet in his flight. He is known as "Muhājir Umm Qais."

The purpose of this hadith was to commend sincerity of motive to those who sought after the title of Muhājir, which was much esteemed by early Muslims.

# NOUR-EL-ISLAM REVIEW

PUBLISHED BY AL-AZHAR UNIVERSITY, Cairo.

## جامع صحيح البخارى

ترجمه الى الانجليزية

الاستاذ ابراهيم حسن المومنى

الاستاذ فى الآداب وعضو الجمعية الاسيوية الملكية ببريطانيا العظمى  
والمحاضر بمدرسة التجارة العليا بمائشستر

### AL-BUKHARI

A COLLECTION OF MUHAMMAD'S AUTHENTIC TRADITIONS.

Translated into English

BY

I. H. EI-MOUGY, M.A., M.R.A.S.

LECTURER, HIGH SCHOOL OF COMMERCE, MANCHESTER.

#### BOOK I.

#### CHAPTER I.

IN THE NAME OF ALLAH THE  
ALL-LOVING THE MOST MERCIFUL.

The Shaikh, <sup>(1)</sup> Imâm <sup>(2)</sup> and  
Hâfez <sup>(3)</sup>, Abu 'Abdulâh Muhammad  
b. Ismâ'il b. Ibrâhîm b. Al-Mughî-  
rah Al-Bukhârî (Allâh, be He  
exalted, have mercy on him, Amen)  
stated:—

CHAPTER. How the Revelation<sup>(4)</sup>

#### الكتاب الأول

#### الباب الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الإمام الحافظ أبو  
عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم  
ابن المغيرة البخارى رحمه الله تعالى آمين.

(1) Professor.

(2) Doctor of Islâm.

(3) A Traditionist who has committed at least 100,000 traditions to memory.

(4) Written or verbal inspiration — the words of God to the Prophet; also the  
bearer of the same, in this case Gabriel.